DAMAGE BOOK

﴿فهرست كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾

صحيفة

﴿ هذا ﴾

خلاصة الكلام

في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام الى وقتنا

هذا بالتمام تأليف شيخ الاسلام ملاذ العلماء
الاعلام امام الحرمين وزين الزمان
المرحوم بكرم الله المنان مولانا
السيد احمد بن زيني دحلان
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين
م

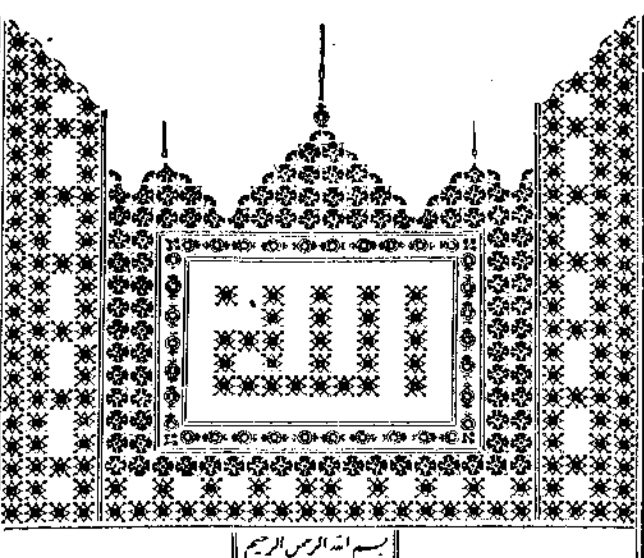
قد اشتمل هذا الكتاب على ما يقضي بالعجب العجاب من الاسلوب العجيب والاستطراد الغريب فمن ذلك غزوات الشريف غالب مع الوهابيه والرد عليهم بما هو أمضى من السيوف الاشرفيه وقصة دخول القرامطه مكة المشرفة وذكر بعض أحوال السلاطين ومن تولى من الولاة ولاية الحجاز الامين وغير ذلك من اللطائف الادبيه والانساب الهاشميه وليس الخبر كالعيان وستقر به بعد التأمل العينان

خذ ما نظرت ودع شيأ سمعت به ٭ في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

﴿ ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش التاريخ المسمى بالاعلام ﴾
(باعلام بيت الله الحرام وهو تاريخ مكة المشرفه حرسها الله)

﴿ الطبعة الاولى ﴾
(بالمطبعة الخيريه المنشأه بحوش عطى بجماليه)
(مصر المحميه سنة ١٣٠٥)
﴿ هجريه ﴾

*



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني بعض من لا تسعني مخالفته أن ألخص في كراريس من ولي امارة مكة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا ليسهل مراجعة ذلك عند الاحتياج وان كان ذلك مذكورا في التواريخ الا أنه منتشر في ضمن كثير من الوقائع والاخبار لا يهتدي اليه من أراده الا بمشقة فجمعت هذه الكراريس ملخصا لما فيها من التواريخ المعتمدة عند أهل العرفان مقتصرا على ما لا بد منه في البيان ﴿وسميته خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾ واعلم أن علم التاريخ علم يعرف به أحوال الماضين وموضوعه أخبار السابقين وغرته اعطاء كل ذي حق حقه واسترجاع النفوس وتثبيتها واستكثارها من الاعمال الصالحة قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال حسان بن زيد لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التاريخ ويحكى أن يهوديا أظهر كتابا ذكر فيه أنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة منهم علي ومعاوية وسعد بن معاذ رضي الله عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين علمت ذلك قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم يوم الفتح وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان فتح خيبر في السنة السابعة وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فأي منقبة أشرف من هذا قال الصفدي التاريخ للزمان مرآة وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاة وأنشد

لولا الاحاديث أبقتها أوائلنا ● من الندى والردى لم يعرف السمر

يقال

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام حرما آمنا ومثابة للناس وأمر بتطهير الكعبة البيت الحرام والعاكفين وأزال عنها الخوف والباس وقيض لعمارة حرمه الامين أعظم الخلفاء والسلاطين وأجلسهم على سرير السعادة أكرم جلاس نحمده على حصول المراد ونشكره على الكرامة والاسعاد بهذا الحرم الشريف الذي سواء العاكف فيه والباد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك السلام ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة دار السلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام نجوم الهدى ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طائف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف ووقف بعرفات والمشعر الحرام واقف ﴿وبعد﴾ فلما وفقني الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلني

من جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسي الى الاطلاع على علم الآثار وتشوقت الى فن التاريخ وعلم الاخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما أبقاه الدهر من أخبار ووقائع الدوران وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والاحداث بعد ماصاروا الى الاجداث فان في ذلك عبرة لمن اعتبر واتعاظا بحال من مضى وغبر واعلاما بأن ساكن الدنيا على جناح سفر ومفاكهة للفضلاء وافادة لمن يأتي بعد من البشر فان من أرخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقائع أيامه فقد كتب كتابا من بعده بحوادث دهره ومن قيد ماشاهد فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن في عصره ومن كتب التاريخ فقد أهدى الى من بعده أعمارا وبوأهم أمامهم وأبصارهم

ديارا ما كانت لهم ديارا وأعلم أهل الآفاق بلادا ما كانت لهم مستقرا ولا دارا

فاتني أن أرى الديار بطرفي
فلعلي أرى الديار بسمعي

وقد أفادنا الامم الماضون باخبارهم وأطلعونا على مادثر وبقي من آثارهم فأبصرنا مالم نشاهده بابصارهم وأحطنا علما بما لم نحط به خبرا باخبارهم فرحمهم الله تعالى أجمعين وبوأهم جنات عدن فيها خالدين وقال

لقد غرسوا حتى أكلنا وانما
لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

فأردنا الافادة من بعدنا ببعض مارأينا وشاهدنا واعلامهم ببعض ماشاهدنا وعهدنا استدعاء للدعاء منهم والاسترحام وطلبا للمثوبة من الله البر السلام وقد قلت في هذا المقام

لم يبق منا غير آثارنا
وننمحي من بعد اخلاق
وكلنا من جمعنا للفنا
وانما الله هو الباقي

يقال من أرخ فقد حاسب الايام على عمره ومن كتب حوادث الزمان فقد كتب الى من بعده بحديث دهره ومن قيد ماشهده فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره وقد قيل

اذا علم الانسان أخبار من مضى • توهمته قد عاش حينا من الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره • اذا كان قد أبقى الجميل من الذكر

وقال آخر

طالع تواريخ من في الدهر قد وجدوا • تجدهم وما تسلى عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا • من الرزايا بهم كم فتتت كبد

قالوا ومن حفظ التاريخ زاد عقله ومن نظر في وقائع الزمان هانت مصيبته قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر الله التاريخ في كتابه واستنبطه بعضهم من قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين والحاصل أن القرآن فيه الاعلام بذكر الامم الماضية والقرون الخالية وفيه الاحياء لذكرهم ومآثرهم فيحصل بذلك التثبيت له صلى الله عليه وسلم ولامته والتنويه بعلو قدره وشرف أمته وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول أول أمير تولى امارة مكة بعد فتح النبي صلى الله عليه وسلم اياها في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة

﴿عتاب بن أسيد رضي الله عنه﴾

وهو بتشديد التاء وبفتح همزة أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم عتاب رضي الله عنه يوم الفتح فولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة عند مخرجه الى حنين في العشر الاول من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان عمره احدى وعشرين سنة وجعل معه معاذ بن جبل الانصاري وهبيرة بن شبل رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين قيل ان أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح هبيرة بن شبل رضي الله عنه فكان معاذ وهبيرة رضي الله عنهما يتناوبان الصلاة بالناس بمكة وحج عتاب رضي الله عنه بالناس سنة ثمان ولم يزل واليا على أهل مكة الى وفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت وفاته و وفاة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في يوم واحد وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشر من الهجرة وقيل ان عتابا توفي يوم ورود خبر وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لاهل مكة وقال صلى الله عليه وسلم لعتاب حين بعثه واليا على أهل مكة هل تدري الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا وولي امارة مكة في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه (المحرز بن حارثة بن سعد بن عبد العزى ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي ثم نافع بن الحارث الخزاعي) وخرج نافع هذا لملاقاة سيدنا عمر رضي الله

﴿تنبيه﴾ لايخفى على بصائر أولي البصائر وخواطر أهل الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذي هو حرم أمن للانام زاده الله شرفا وتعظيما ومنحه عزا وعظمة واجلالا وتكريما أعظم مساجد الدنيا وأشرف مكان خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام سيما سلاطين الاسلام الذين هم ظل الله في العالم وخلائف الله في الارض على كافة بني آدم وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدة من الخلفاء أمراء المؤمنين وعمره ورممه جملة من أكابر السلاطين وسنشرحه ان شاء الله تعالى وكان آخر ماشاهدنا من آخر أيام الصبا الى الكهولة ماعمره المهدي العباسي وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسي وزيادة دار ابراهيم للمقتدر العباسي ثم مالت الاروقة الثلاثة من الجانب الشرقي من المسجد الحرام سنة تسعمائة وخمسة وتسعين وفارق

السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباى والمدرسة الافضلية لصاحب اليمن التى صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصار وايرعون ذلك من كل جانب من السلطنة الشريفة فى أيام السلطان الاعظم الاكرم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى أن مال هذا الجانب الشرقى ميلا عظيما ظاهرا محسوسا بحيث كان يخشى سقوطه ثم علق وأسند بالاخشاب فى أيام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم مالك ملوك العصر والزمان الحليم السليم الكثير الاحسان السلطان سليم خان ابن سليمان خان أنزل الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان فعرض ذلك عليه فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الاربعة على أحسن وضع وأجمل صورة (٤) فأمر أن يجعل مكان السطح قبب محكمة راسخة الاساس لان خشب السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله الارضة والقبب أمكن وأزين فى سنة تسعمائة وسبع وتسعين فلما وصل اليه الحكم الشريف شرع فيه لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانية وتسعين على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان وأسس على تقوى من الله ورضوان الى أن نقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول ونعيم لا ينفد ولا يحول فى جنة عالية فيها عين جارية بها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام فى أيام دولة السلطان الاعظم الهمام أجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط البسيطة بالعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض خداوندكار العالم وسلطانه وأمير المؤمنين الذى جلس على كرسى الخلافة من تخت قدر كسرى وايوانه الذى غذى بلبان العدل والاحسان ونشأ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الآن وأحب العلماء والصالحين وأمدهم بالخيرات الحسان الى آن وعجز عن القيام بحق شكره لسان كل ملسان مجدد معالم المسجد الحرام هو وأبوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية وقد شملها سعده وجده ناشر ألوية الامن والامان فى جميع الممالك والبلاد ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الاعظم والليث الغشمشم والبحر الخضمطم السلطان مراد جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفى عقبه الى يوم التناد وأزال بنور عدله ظلم الظلم والعناد وشتت بسيف قهره شمل أهل الكفر والالحاد

عنه الى عسفان حين قدم للحج واستخلف على مكة عبد الرحمن بن أبزى مولى بنى خزاعة فأنكر عليه سيدنا عمر رضى الله عنه كونه جعل مولى من الموالى واليا على أهل مكة فلما رأى عتبه عليه قال يا أمير المؤمنين انه أقرأهم وأعلمهم بالكتاب والسنة فهان ما بعمر رضى الله عنه وقال ان الله ليرفع أقواما بهذا الكتاب ويضع آخرين أى لعدم علمهم به وممن ولى مكة لعمر رضى الله عنه (خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وأحمد بن خالد وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف والحارث بن نوفل القرشى) وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يحج بالناس فى زمن خلافته الا السنة الاولى من خلافته فانه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس وكانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وممن ولى مكة فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه (على بن عدى بن ربيعة وخالد بن العاص والحارث بن نوفل المتقدم ذكرهما ثم عبد الله بن خالد بن أسيد) وهو أخو عتاب بن أسيد (ثم عبد الله بن عامر الحضرمى ونافع بن الحارث الخزاعى) المتقدم ذكره وفى أول سنة من خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم صار سيدنا عثمان يحج بنفسه الى أن حصر سنة خمس وثلاثين فأمر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فحج بالناس ولما استشهد سيدنا عثمان رضى الله عنه كان أمير مكة (خالد بن العاص) المتقدم ذكره وولى مكة فى خلافة سيدنا على رضى الله عنه (أبو قتادة الانصارى وقثم بن العباس) وقيل وليها أيضا أخوه (معبد بن العباس رضى الله عنهم) ولما استشهد سيدنا على رضى الله عنه كان أمير مكة قثم بن العباس ولم يتفق لسيدنا على رضى الله عنه أن يحج بنفسه فى زمن خلافته لاشتغاله بالحروب فحج بالناس سنة ست وثلاثين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وحج بهم سنة ثمان وثلاثين قثم بن العباس وفى سنة تسع وثلاثين حج بهم شيبة بن عثمان الحجبى وسبب ذلك انه قدم مكة يزيد بن شجرة الرهاوى عاملا لمعاوية رضى الله عنه على مكة وأخذ البيعة له بمكة ونازعه عامل على رضى الله عنه ثم اتفقا على أن يعتزلا الحج بالناس ويحج بهم شيبة بن عثمان واستشهد سيدنا على رضى الله عنه سنة أربعين من الهجرة وولى مكة فى خلافة سيدنا معاوية رضى الله عنه جماعة منهم أخوه (عتبة بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابنه عمرو بن سعيد) المعروف بالاشدق (وخالد بن العاص المخزومى وعبد الله بن خالد بن أسيد) وكانت وفاة معاوية رضى الله عنه سنة ستين من الهجرة وولى مكة فى زمن ابنه يزيد جماعة منهم (عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة ابن أبى سفيان وعثمان بن محمد بن أبى سفيان والحارث بن خالد المخزومى وعبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ويحيى بن حكيم) ثم بايع أهل مكة (عبد الله بن الزبير) رضى الله عنهما سنة اثنين وستين

وهدم معاول بأسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصيب معدلته وصيب عدله ورأفته المساجد والجمع كما قال الله القوى القادر فى محكم كتابه العظيم الباهر ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ وفى ذلك أقول

ان سلطاننا مراد الظل الله فى الارض باهر السلطان ... ملك سار من مضى من ملوك الارض وجامعين المعانى
ملك هو فى الحقيقة عندى ... ملك سبع صبغة الانسان ... ملك عادل فكل ضعيف ... وقوى فى حكمه سيان
سيفه والمنون طوع رهان ... على قتل العدو يتدران ... كل المسجد الحرام بناء ... فاق فى العالمين كل المبانى
هكذا هكذا والا فلا لا ... انما الملك فى بنى عثمان ولما كان هذا (٥) البنيان العظيم الاركان آثارا باقيا على صفحات الزمان دالا على عظم شأن من أمر ببنائه من أعيان الانسان كما أشار اليه القائل فى سالف الازمان

ان البناء وان تعاظم أمره ... أضحى يدل على عظيم البانى

جمعت فى هذه الاوراق من أخبار ذلك ما رق وراق تسير به الركبان الى سائر الآفاق وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الاشراق ويحفظ فى خزائن الملوك والسلاطين كانفس الاعلاق فكان كتابا حسنا فى بابه عنما عن تعلق بأسبابه أنيسا يحمل مؤانسته وجليسا لاتمل مجالسته جمع بين لطائف تاريخيه وأحكام شرعيه ومواعظ نافعه وفوائد بارعه ﴿وسميته الاعلام بأعلام بيت الله الحرام﴾ وخدمت به خزائن كتب هذا السلطان الاعظم الشاب الاعدل الاكرم المطيع لله ولاوامر خير الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله يوم لاظل الا ظله ويشملهم بفيض فضله العظيم فلافضل الافضله خلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلال سلطنته القوى المتين لتأييد هذا الدين المبين وأنام الانام فى ظل أمانه وعدله المكين وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرا طويلا وثبته على نهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا والله أسأل أن يكسو هذا المؤلف من حسن القبول حليا بالا عطله كر الليالى والايام ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفائزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام وقد رأينا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة والابواب الى فصول بحسب الاحتياج والى الله المرجع والمآب ﴿الباب الاول﴾ فى ...

من الهجرة ومات يزيد سنة أربع وستين واستمر بها عبد الله بن الزبير الى أن استشهد سنة ثلاث وسبعين من الهجرة فولى مكة (الحجاج) من قبل عبد الملك ثم بعد الحجاج وليها جماعة منهم (مسلمة بن عبد الملك بن مروان ثم الحارث بن خالد المخزومى) وفد على عبد الملك فلم يصله فرجع من عنده وأنشأ أبياتا فبلغت عبد الملك فأرسل فى طلبه فلما وقف بين يديه سأله عما عليه من الدين فقال ثلاثون ألفا فقال له عبد الملك قضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة فقال بل ولاية مكة فولاه اياها وقيل ان ذلك كان قبل ولاية مسلمة بن عبد الملك ثم عزل الحارث وولى مسلمة ثم عزل مسلمة وولى (خالد بن عبد الله القسرى (ثم نافع بن علقمة الكنانى ثم يحيى بن الحكم بن أبى العاص) وتوفى عبد الملك سنة ست وثمانين فولى الخلافة ابنه الوليد فولى مكة (عمر بن عبد العزيز بن مروان) وعزله سنة تسع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين وولى (خالد بن عبد الله القسرى) المتقدم ذكره واستمر الى أن توفى الوليد سنة ست وتسعين فولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وولى مكة (خالد بن عبد الله القسرى) ثم عزله وولى (طلحة ابن داود) ثم عزله بعد ستة أشهر وولى (عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد) وتوفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين وولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فولى مكة (عبد العزيز) المذكور ثم (محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم عروة بن عياض ثم عبد الله ابن قيس بن مخرمة ثم عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقة العدوى) وذكر ابن جرير أن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور أولا هو الذى ولى مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته جميعها وجمع بعض الناس فقال لعل المذكورين من الولاة تولوا امارة مكة لعمر بن عبد العزيز زمن ولايته عن الوليد فى المدة التى كانت ولايته بالمدينة فان مكة كانت فى ولايته أيضا وتوفى عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة فولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فولى مكة (عبد العزيز) السابق ذكره (ثم عبد الرحمن بن الضحاك القرشى ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى) وتوفى يزيد بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وقيل مائة وسبعة فولى الخلافة هشام بن عبد الملك فولى مكة فى زمنه جماعة منهم (عبد الواحد النصرى) المتقدم ذكره ثم (ابراهيم بن هشام المخزومى) خال هشام بن عبد الملك (ثم أخوه محمد بن هشام) وقيل ممن ولى مكة زمن هشام بن عبد الملك (نافع بن علقمة الكنانى) السابق ذكره فى خلافة عبد الملك وتوفى هشام بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وعشرين فولى الخلافة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فولى مكة (يوسف بن محمد الثقفى) وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة وولى الخلافة يزيد بن الوليد وولى مكة (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) وكانت مدة خلافة يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات فولى الخلافة أخوه ابراهيم بن الوليد ثم بعد أربعين ليلة

شرفها الله تعالى وحكم بيعها وشرائها وحكم المجاورة بها ﴿الباب الثاني﴾ في بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ﴿الباب الثالث﴾ في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام ﴿الباب الرابع﴾ في ذكر ما زاد العباسيون في المسجد الحرام ﴿الباب الخامس﴾ في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد التربيع الذي أمر به المهدي العباسي ﴿الباب السادس﴾ في ذكر من عمره من ملوك الجراكسة في المسجد الحرام ﴿الباب السابع﴾ في ذكر ملوك آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم الى انقضاء الدوران وذكر نبذة من أخبار شاه اسمعيل القزلباش ﴿الباب الثامن﴾ في دولة السلطان المغفور بالرحمة والرضوان السلطان الاعظم سليمان خان ﴿الباب التاسع﴾ في ذكر دولة السلطان الاعظم الخاقاني حضرة سليم خان الثاني صاحب التكايا والمباني ﴿الباب العاشر﴾ في ذكر سلطان الزمان السلطان مراد الذي بأجله تأليف هذا الكتاب ﴿الخاتمة﴾ في ذكر المواضع والامكنة المشرفة التي يستجاب فيها الدعاء ﴿المقدمة﴾ في ذكر سندنا فيما ننقله في كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام الى من ننقل عنه الوثوق والاعتماد ﴿اعلم﴾ أن من بركة العلم نسبته الى قائله وما لم يكن هناك سند بين الناقل الراوي ومن ينقل عنه فلا اعتماد على هذا النقل ولا بد أن يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة هو الامام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقي ثم الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي ثم قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي ثم المكي مكة ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد وهذا الاخير ممن أدركناه ولنا عنه رواية فأما الاولون فنذكر سندنا اليهم لنعتمد على نقلنا عنهم أما أبو الوليد الازرقي فنروي تاريخه ومؤلفاته عن جماعة أجلاء أخيار وعلماء كبار منهم والدي المرحوم مولانا علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفي القادري الخرقاني النهروالي ثم المكي رحمه الله تعالى وليس جدنا قاضي خان صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غيره الا انه من علماء نهروان قال أخبرنا بها العز عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فهد عن شيخه قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المؤرخ وقال أخبرنا عبد الله بن عمر والموفق عن أبي زكريا يحيى بن يوسف القرشي اجازة أن أبا الحسن علي بن هبة الله الخطيب عبد الله بن

خلع وولي الخلافة مروان بن محمد بن مروان فأثبت ولاية (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) على مكة ثم عزله وولى على مكة (عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك) ثم تغلب على مكة أبو حمزة الخارجي وأخرج منها عبد الواحد وقصة هذا الخارجي مذكورة في التواريخ ثم جهز مروان بن محمد جيشا لاخراج الخارجي من مكة والمدينة وأمر على الجيش عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فأخرج جيش أبي حمزة الخارجي وقتله وولي مكة وولي أيضا لمروان بن محمد (الوليد بن عروة السعدي) ويقال أيضا وليها لمروان (محمد بن عبد الملك بن مروان) وانقضت دولة مروان بن محمد سنة مائة واثنين وثلاثين وقتل

﴿ابتداء دولة بني العباس﴾

وقام ملك بني العباس فكان أول خلفائهم السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وولي مكة في أيامه عمه (داود بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما ثم وليها أيضا في زمن السفاح (عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) وتوفي السفاح سنة مائة وستة وثلاثين وولي الخلافة أخوه المنصور وولي مكة في خلافته جماعة أولهم (العباس بن عبد الله بن معبد) السابق ذكره (ثم زياد بن عبيد الله الحارثي) السابق ذكره أيضا ثم عزله وولي مكة (الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني) واستمر الى سنة ثلاث وأربعين فعزله وولي مكة (السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب) واستمر الى سنة خمسة وأربعين ومائة

﴿ظهور النفس الزكية ومبايعة الائمة له﴾

وفيها ظهر بالمدينة النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب فبايعه الائمة من أهل عصره كمالك وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى ومن في طبقتهما فوجه الى مكة من قبله (محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب) ومعه القاسم بن اسحق واليا على اليمن يعني القاسم بن اسحق فخرج عليهم السري أمير مكة من قبل المنصور والتقيا بشعب اذاخر فانهزم السري ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيرا فأتاه كتاب من محمد بن عبد الله يأمره بالرجوع الى المدينة ليعينه وينصره وسير جيش المنصور اليه لمحاربته وعليهم أمير عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس فسار من مكة هو والقاسم بن اسحق فبلغه وهو بنواحي قديد قتل محمد بن عبد الله النفس الزكية والقصة مذكورة في التواريخ وقيل ان الذي ولاه محمد بن عبد الله على مكة الحسن بن معاوية والد محمد بن الحسن والله أعلم بالصواب ثم عاد السري الى ولاية مكة من قبل المنصور واستمر الى سنة مائة وستة وأربعين فعزله المنصور وولى

طاهر الازدى أنبأه عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال أنبأنا بها المبارك بن عبد الجبار المعروف بالطيورى قال أنبأنا بها أبو طالب محمد بن على بن الفتح العشارى قال أنبأنا بها أبو بكر بن أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمى قال أنبأنا بها أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال أنبأنا بها أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد الازرقى رحمه الله وأما أبو عبد الله محمد بن اسحق الفاكهى فانى أروى مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر خطيب بلد الله الحرام أحمد محب الدين ابن أبي القاسم محمد العقيلى النويرى المالكى تغمده الله برحمته قال أنبأنى به المسند المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقى الشهير بالحفار اجازة قال أنبأتنى به المسندة المعمرة زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم اجازة قال أنبأنى به الحافظ المسند جمال الدين أبو الحسن على بن هبة الله بن سبط الحميرى اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد بن محمد السلفى اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد التميمى كتابة قال أنبأنا به الحافظ أبو على الحسين بن محمد الغسانى أحد أركان الحديث بقرطبة قال أنبأنا به الحافظ الحكم بن محمد الجزائى عن أبي القاسم بن أبي غالب الهمدانى عن أبي الحسن الانصارى عن مؤلفه رحمه الله تعالى

﴿الباب الاول فى ذكر وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيع دورها واجارتها وحكم المجاورة بها﴾

(اعلم) ان بلد الله الحرام مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة ولها مبدأ ونهايتان فبدؤها المعلاة وهى المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب جدة موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضى الله عنه اصق مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له بازان وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل جزل الى أكثر من نصف جبل أبي قبيس ويقال لهذين الجبلين الاخشبان وسماهما الازرقى جبل أبي قبيس والجبل الاحمر فانه قال أخشبا مكة أبو قبيس وهو الجبل المشرف على الصفا والآخر الذى يقال له الاحمر وكان يسمى فى الجاهلية الاعرف وهو الجبل المشرف على قيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير انتهى فيكون قيقعان ما يشرف على الجبل المقابل لابى قبيس وقال ياقوت فى معجم البلدان قيقعان هو نفس الجبل وانما سمى الآن جبل جزل بكسر الجيم وفتح الزاى وتشديد اللام لان طائفة من الحبوش يقيمون بهذا الجبل يسمون بهذا الاسم يلعبون فيه بالطبل (وأما موضع الكعبة المعظمة) فهو وسط

مكة (عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس) عم المنصور والسفاح واستمر الى سنة مائة وتسع وأربعين وكان عبد الصمد هذا من عجائب المخلوقات منها أنه مات باسنانه التى ولد بها وكانت قطعة واحدة من أسفل وله اتفاقات غريبة ثم ولى بعد عبد الصمد (محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس) رضى الله عنهما واستمر الى سنة مائة وثمانية وخمسين وفيها توفى المنصور وولى الخلافة ابنه محمد المهدى فولى مكة (ابراهيم بن يحيى بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس) الى سنة مائة واحدى وستين فولى (جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس) الى سنة ست وستين فولى (عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب) وذكر الفاكهى ان محمد ابن ابراهيم الامام السابق ذكره ممن ولى مكة أيضا للمهدى وتوفى المهدى سنة مائة وثمانية وستين وولى الخلافة ابنه موسى الهادى وفى أيامه تغلب على مكة (الحسين بن على بن الحسن المثنى بن الحسن السبط) وذلك فى سنة مائة وتسعة وستين فانه ظهر بالمدينة وخرج عن بايعه الى مكة فدخل مكة وبلغ الهادى خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يأمره بمحاربته ومدافعته وكان محمد بن سليمان قد توجه الى الحج فى هذه السنة فى عدة من قومه وعسكر بذى طوى وانضم اليه من حج من جماعتهم وقوادهم فلاقاهم الحسين فاقتتلوا يوم التروية فقتل الحسين وهو محرم وقتل من أصحابه نحو مائة رجل بفخ وهو موضع معروف بقرب الزاهر وحمل رأس الحسين الى الهادى فلما رآه تعبس ولم يعجبه ذلك ومنع الآتين برأسه من الجائزة وممن قتل مع الحسين من أهل بيته سليمان بن عبد الله بن حسن وعبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن حسن وروى أبو الفرج الاصبهانى فى مقاتل الطالبيين باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى فيه باصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المسلمين ينزل لهم باكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم انتهى وكان الحسين هذا شهيد فخ كريما شجاعا مفضالا وفد مرة على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة وكان لا علاقة ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص كذا قال الفاسى وتوفى موسى الهادى سنة سبعين ومائة فولى الخلافة أخوه هرون الرشيد فولى مكة فى زمنه جماعة لا يعرف ترتيبهم فى الولاية منهم (أحمد بن اسمعيل بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وحماد البربرى وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن محمد ابن على بن عبد الله بن عباس والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام) السابق ذكره (وعبد الله ابن قثم بن عباس) السابق ذكره (وعلى بن موسى بن عيسى أخو العباس بن موسى والفضل بن

المسجد الحرام بين هذين الجبلين في وسط مكة ولها شعاب كثيرة ومزورة اذا أشرف الانسان من جبل أبي قبيس لا يرى جميع مكة بل يرى أكثرها وهي تسع خلقا كثيرا خصوصا في أيام الحج فانه يرد اليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد وبصرة والحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشحر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم الا الله تعالى فتسعهم جميعا وأفنيتها وجبالها ووهادها وهي تزيد عمارتها وتنقص بحسب الازمان وبحسب الولاية والامن والخوف والغلاء والرخاء وهي الآن بحمد الله تعالى في دولة السلطان الاعظم الفياض الاكرم معمر هذا العالم بالبذل والفضل والكرم (السلطان مراد خان) خلد الله ملكه وجعل بساط البسيطة ملكه في أعلا (٨) درجات العمارة والامن والرخا بحسب ما رأينا من أول العمر الى الآن هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت اشاهد قبل الآن في زمن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى أني أدركت الطواف وحدي من غير ان يكون معي أحد مرارا كثيرة أترصد خلاء الكثرة ثوابه بان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط وأما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن أولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثابر على أداء هذه العبادة بالانفراد ظاهرا كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد في جميع الدنيا ولا يشاركه غيره في تلك العبادة بغيرها الا الطواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله تعالى أعلم بالسرائر ❊ حتى حكى لي والدي رحمه الله ان وليا من أولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف أربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو الطواف الشريف فتقدم ليشرع واذا بحية تشاركه في ذلك الطواف فقال لها من أنت من خلق الله تعالى فقالت أنا أرصد ما رصدت قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت انت من غير البشر فاني فزت بالانفراد بهذه العبادة وأتم طوافه ❊ وحكى لي شيخ معمر من أهل مكة انه شهد الظباء تنزل من جبل أبي قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو صدوق عندي وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عبيد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان ابن عفان) رضي الله عنه (وموسى بن عيسى بن موسى) المتقدم ذكره وفي سنة مائة وثلاثة وسبعين جاءت الحبشة في زمن الحج الى جدة فأوقعوا بن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فجهز واليهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل ان ذلك كان سنة ثلاث وثمانين ومائة والله أعلم وأراد الرشيد أن يوصل ما بين بحر القلزم وبحر الروم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكي لو فعلت ذلك دخلت سفاين الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وتوفي الرشيد سنة احدى وتسعين ومائة وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي الخلافة ابنه محمد الامين فولى مكة في أيامه (داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما فضمت اليه المدينة فولى ابنه سليمان المدينة فبعد مضي مدة كتب اليه أهل المدينة يلتمسون منه الاتيان اليهم ويفضلونها على مكة فرد عليهم أهل مكة بقصيدة مثلها وحكم بينهم رجل من بني عجل ناسكا كان مقيما بجدة والقصة مشهورة لا حاجة لاستيفائها ولما خلع الامين سنة سبع وتسعين ومائة وبويع المأمون أبقى (داود بن عيسى) على ولاية مكة والمدينة ثم فارق مكة متخوفا من الحسين بن الحسن بن علي الاصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بالافطس وذلك ان أبا السرايا السري بن منصور الشيباني قام بالعراق يدعو لبيعة أهل البيت وتغلب على كثير من العراق فولى مكة (الحسين بن الحسن) المذكور فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين الى مكة جمع أصحابه وقال لا استحل القتال بمكة والله لئن دخلوا من هذا الفج لاخرجن من هذا الفج وانحاز في ناحية ثم خرجوا الى العراق وصعد الناس عرفة بلا امام فصلى بهم رجل من عرض الناس بلا خطبة ودفعوا من عرفة وقيل ان الحسين بن الحسن لما بلغ سرف توقف عن دخول مكة خوفا من بني العباس فلما بلغه خلوها منهم وخروج داود بن عيسى دخل في عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى الى عرفة فوقف بها ليلا ثم صلى بالناس الصبح بالمزدلفة وأقام بمنى الى ان قضى الحج ثم عاد الى مكة فعسف وظلم واستمر الى ان بلغه قتل أبي السرايا سنة مائتين فخاف تغير الناس عليه فعمد الى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج لجماله وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه علي بن محمد المذكور فلم يزل به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرها ولقبوه أمير المؤمنين وذلك في ربيع الاول سنة مائتين وبقي شهورا ليس له من الامر شيء والامر للافطس وعلي بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم

تأتي بالحنطة من بجيلة فلا يجد أهلها من يشتري منهم جميع ما جلبوه وكانوا يبيعون ما جاؤا به بالآجل اضطرارا ويعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون في ظلال السلطنة الشريفة خائضون في بحر انعامها واحسانها ونعمتها الوريفة أدام الله تعالى سلطنته الزاهرة وأطال عمر مولانا السلطان وخلد دولته القاهرة وخلافته الباهرة (ومكة شرفها الله تعالى) يحيط بها جبل لا يسلك اليها الخيل والابل والاحمال الا من ثلاث مواضع أحدها من جهة المعلاة والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم لا الخيل والجمال والاحمال وكانت مكة في قديم الزمان مسورة

بجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر الى الجبل المقابل وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد أهداه ملك الهند الى صاحب مكة وقد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه ثقوب للسيل قصير دون القامة وهو سمت قطعة جدار بني الى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى ناظر العين باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل في يوم العطش الاكبر قدام الميزان وجعل على السبيل منظرة بها شبابيك من الجهات الاربع يتنزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وهدم ما عداه وكان في جهة الشبيكة أيضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة وكان هذا السور فيه بابان بعقدين أدركنا

أحد العقدين يدخل فيه الجمال والاحمال ثم هدم شيأ فشيأ الى ان لم يبق منه شيء الآن ولم يبق منه الا فم بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور في جهة المسفلة في درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره وذكر التقي الفاسي رحمه الله نقلا عمن تقدم انه كان بمكة سور من أعلاها دون السور الذي ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية فانه كان من الجبل الذي الى جهة القرارة ويقال له لعلع الى الجبل المقابل الذي الى جهة سوق الليل قال وفي الجبلين آثار تدل على اتصال السور بهما انتهى ولم يبق الآن شيء من آثار السور التي في معلاة واعلى دور مكة كانت تنتهي الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى أن احتيج الى سور المعلاة قال الفاكهي رحمه الله تعالى ومن آثار النبي صلى الله عليه وسلم مسجد بأعلى مكة

جاء جيش من المأمون وعليه عيسى بن يزيد الجلودي فطلب محمد بن جعفر الديباج الامان بعد ذلك فقال عند بئر ميمونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثا فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الديباج الى العراق واعتذر للمأمون فقبله قال الذهبي ان الجلودي خرج بالديباج الى العراق واستخلف على مكة ابنه (محمدا) وقيل استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وجاء من اليمن ابراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنتين وقال الفاسي وولي مكة بعد الجلودي (هرون بن المسيب ثم حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان) ثم وليها (ابراهيم بن موسى الكاظم) السابق ذكره وذكر الازرقي أن يزيد بن حنظلة كان واليا على مكة خليفة لحمدون وممن ولي مكة للمأمون (عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) مع المدينة وممن ولي مكة أيضا للمأمون (صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وسليمان بن عبد الله ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن سليمان والحسن بن سهل) الا أنه لم يباشرها بل عقد له عليها وممن وليها للمأمون أيضا (عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه واستمر الى أن توفي المأمون سنة مائتين وثمانية عشر فولي الخلافة أخوه المعتصم بن الرشيد فولى مكة (صالح بن العباس) المتقدم ذكره وبقي الى خلافة المتوكل وولي مكة للمعتصم أيضا (اشناس التركي) من كبار قواده وذلك أنه أراد الحج فقوض اليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها فلما دخل مكة أقام (محمد بن داود بن عيسى) نائبا عنه على الحج ودعي لاشناس على المنابر في الموسم وكل بلاد دخلها حتى رجع الى سر من رأى وتوفي المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود وتولى الخلافة ابنه الواثق وتوفي الواثق سنة مائتين واثنين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره فولي الخلافة أخوه المتوكل بن المعتصم فولى مكة (علي ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور) الى سنة مائتين وتسعة وثلاثين فتوفي فوليها (عبد الله بن محمد بن داود ثم عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ثم محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام) وممن عقد له على ولاية مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل (ابنه محمد المنتصر) فأرسل اليها بعض قواده وممن وليها أيضا في خلافة المتوكل (ايتاخ مولى المعتصم) وكان من كبار قواد المتوكل واستمرت ولايتها الى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبعة وأربعين وولي الخلافة ابنه المنتصر ومات بعد ستة أشهر فولي الخلافة المستعين بن المعتصم فولى مكة في أيامه (عبد الصمد ابن موسى) المتقدم ذكره (ثم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) رضي الله عنهما وتغلب على مكة في أيامه اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون بن

يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند دار جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وكان الناس لا يتجاوزون في السكنى في قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفي ذلك يقول عمر بن ربيعة نزلت بمكة من قبائل نوفل • ونزلت خلف البئر أبعد منزل حذرا عليها من مقالة كاشح • ذرب اللسان يقول ما لم يفعل قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود دثر الى الآن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع رايته يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد تجاوز العمران عن حد هذه البئر كثيرا الى صوب المعلاة ﴿وأما حدوث هذه الاسوار﴾ فقد قال التقي الفاسي رحمه الله ما عرفت متى أنشئت هذه الاسوار بمكة ولا من أنشاها ولا من عمرها غير أنه بلغني أن الشريف أبا عزيز قتادة بن ادريس الحسني جد ساداتنا أشراف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمرها قال وأظن أن في دولته عمر السور الذي بأعلى مكة وفي دولته سهلت العقبة التي بني عليها سور باب الشبيكة وذلك من جهة المظفر صاحب أربل في سنة ستمائة وسبعة ولعله الذي بني السور الذي بأعلى مكة والله أعلم قال ورأيت في بعض التواريخ ما يقتضي أنه كان بمكة سور في زمن المقتدر العباسي وما عرفت هل هو هذا السور الذي بأعلى مكة وأسفلها أو من أحد الجهتين قال وطول مكة من باب المعلاة والى باب الماجن يعني درب اليمن بالمسفلة موضع السور الذي كان موجودا في زمانه طريق المدعى والمسعى وسيل وادي ابراهيم والسوق الذي يقال له الآن سوق الصغير مع ما فيه من دورات وافتات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد وهو وما ينقص ثمن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعني الذراع الشرعي وطول مكة من باب المعلاة الى باب الشبيكة من طريق المدعى ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد أيضا انتهى وقال أيضا ذكر الزبير بن بكار عن ابن سفيان بن أبي وداعة السهمي أن سعد بن عمرو السهمي أول من بنى بيتا بمكة وأنشد في ذلك شعرا وأول من بوأ بمكة بيته • وسوّر فيها ساكنا أناثي ويبنى لمن بنى بمكة بيتا أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الازرقي وانما سميت الكعبة كعبة لانه لا يبنى بمكة بناء مرتفع

عبد الله بن الحسن المثنى فبانه صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفر ما على المقام من الذهب وكان وضعه المتوكل فضرب به جعفر دنانير وصرفه في قتاله فغلبه اسمعيل على مكة فهرب جعفر واستولى اسمعيل على مكة ثم سار الى المدينة فملكها ثم مات بالجدري سنة مائتين واثنين وخمسين وممن ولي مكة للمستعين (ابنه العباس ومحمد بن طاهر بن الحسين) ولم يباشرا وقتل المستعين سنة مائتين واثنين وخمسين وولي الخلافة المعتز بن المتوكل وولي مكة في زمنه (عيسى بن محمد بن اسمعيل المخزومي) قال الفاسي وممن ولي مكة في خلافة المعتز أو المهدي أو المعتمد (محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور) الملقب كعب البقر وقتل المعتز سنة مائتين وخمسة وخمسين وولي الخلافة المهتدي بن الواثق فولي مكة في زمنه (علي بن الحسن الهاشمي) كذا ذكره الفاسي ولم يرفع نسبه وقتل المهتدي سنة ست وخمسين ومائتين وولي الخلافة المعتمد على الله بن المتوكل فولي مكة أخاه (الموفق طلحة ابن المتوكل) وقيل (محمد بن المتوكل ثم ابراهيم بن محمد بن اسمعيل العباسي) الملقب بري ثم وليها (أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى) المتقدم ذكره وذكر الفاسي ان المعتمد كان قد ولي أبا عيسى محمد ابن يحيى المخزومي ثم عزله بأبي المغيرة السابق ذكره فصار باقتل أبو عيسى ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبي عيسى بين يديه على رمح وممن ولي مكة للمعتمد (الفضل بن العباس بن الحسين بن اسمعيل العباسي وهرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى) وقد عد الناس ممن ولي مكة للمعتمد أحمد بن طولون صاحب مصر ولم تثبت ولايته بهذا القدر لانه لم يباشرها وممن ولي مكة زمن المعتمد (محمد بن أبي الساج وأخوه يوسف بن أبي الساج) ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين وبويع بعده لابن أخيه المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل قال القاضي محمد بن جار الله في تاريخه وأما ولاتها يعني مكة في خلافة المعتضد ثم في خلافة أولاده المكتفي والمقتدر والقاهر ثم في خلافة الراضي بن المقتدر ثم المتقي ثم المستكفي ثم المطيع جماعة كثيرة ولم يعرف منهم سوى عج بالعين المهملة والجيم ولم يعلم مبدء ولايته غير ان بعضهم ذكر أنه كان واليا سنة مائتين واحدى وثمانين وذكر ابن الاثير انه كان واليا سنة مائتين وخمسة وتسعين فيحتمل انه استمر لهذا التاريخ أو عزل وأعيد وممن ولي مكة في هذه المدة (مؤنس الخادم) الملقب بالمظفر بالعقد لا بالمباشرة ولم يعلم من باشرها نيابة في مدة عقد هاله وممن ولاتها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها (ابن ملاحظ) ترجمه الهمداني بسلطان مكة ولا أعلم له اسما ولا متى كانت ولايته غير اني أظن أنه كان عليها سنة ثلاثمائة أو قبلها وممن وليها في هذه المدة ابن مخلب وقيل ابن محارب ولم تعلم أول ولايته

﴿ذكر دخول القرامطة مكة﴾

عنهما ثم قال حدثني جدي عن ابن عيينة عن ابن ملينة الحجبي عن شيبة بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة الا أمر بهدمه ثم قال قال جدي لما بنى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم داره التي بمكة حيال المسجد الحرام أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها اعظاما للكعبة ثم قال الازرقي قال جدي فلم يبق بمكة دار لكبير أو غيره تشرف على الكعبة الا هدمت أو خربت الا هذه الدار فانها باقية الى الآن انتهى ﴿وأما حكم بيع دور مكة واجارتها﴾ فقد ذكر الامام قاضي خان أنه لا يجوز بيع دورها عند أبي حنيفة رضي الله عنه في ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبي يوسف قال صاحب الواقعات وعليه الفتوى وروى الحسن عن أبي حنيفة أن بيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول أبي يوسف وعليه الفتوى ذكره في عيون المسائل قال قوام الدين في شرح الهداية بيع بناء مكة جائز اتفاقا لان بناءها ملك الذي بناه ألا ترى أن من بنى في أرض الوقف جاز ان يبيع بناءه فكذا هذا ﴿وأما بيع أرض مكة﴾ فلا يجوز عند أبي حنيفة وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند أبي يوسف يجوز ورجح الطحاوي قول أبي يوسف وقال رأينا المسجد الذي كان للناس سواء العاكف فيه والباد لا ملك لاحد فيه ورأينا مكة على غير ذلك فقد أجيز البناء فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل دار ابن سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما كانت مما يغلق عليه الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التي يجري فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان المراد المسجد الحرام لا جميع أرض مكة انتهى ملخصا ﴿وأما اجارة دور مكة﴾ فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن أبي حنيفة أنه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم أن ينزلوا عليهم في دورهم اذا كان فيها فضل وان لم يكن فلا وهو قول محمد رحمه الله تعالى انتهى وروى محمد في الآثار عن أبي حنيفة عن عبيد الله بن زياد عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل من أجور بيوت مكة شيأ فانما أكل نارا أخرجه الدارقطني باسناد ضعيف وقال الصحيح أنه موقوف وروي أنه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان أهل الموسم

ومما ينبغي ذكره هنا دخول أبي طاهر القرمطي سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتله الحجاج ونهبه الاموال لان هذه الحادثة من الحوادث الفظيعة والوقائع الشنيعة التي ما أصيب أهل الاسلام بمثلها لكن لابد من اتمام الفائدة بذكر ابتداء أمر القرامطة فنقول ذكر كثير من المؤرخين ان ابتداء أمرهم كان من سنة ثمانية وسبعين ومائتين في خلافة المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وكان أول من ظهر منهم رجل قدم من خوزستان الى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف ويسف الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة وأقام على ذلك مدة وكان اذا قعد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل على ذلك حتى استجاب له خلق كثير ومرض بقرية من سواد الكوفة فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين فلما شفي من مرضه سمي باسم ذلك الرجل كرميته ثم خففوه فقالوا قرمطة ويقال للتابعين له القرامطة وفي تاريخ ابن خلكان القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض يقال خط مقرمط ومشي مقرمط اذا كان كذلك وكثر اتباع القرمطي من أهل السواد والبادية ممن لا عقل ولا دين له وأخبرهم بعقائد باطلة وأحكام مخالفة للشرع في الصلاة والاذان وغيرها فاعتقدوا صدقه واغتروا بعبادته وزهده وتقشفه فأجابوه ثم انتقل الى ناحية الشام وانقطع خبره الا أن مذهبه انتشر وكثر المتمسكون به وزعم القرامطة انهم يدعون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل انهم يدعون لمحمد بن الحنفية وظهر من القرامطة بناحية السماوة رجل يقال له ذكرويه يحيى ويكنى أبا القاسم وسموه الشيخ وزعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق قال ابن الاثير وقيل لم يكن لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبد الله وكانوا يسمونه يحيى بن المهدي فقصد القطيف ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى وكان من غلاة الشيعة فاظهر له يحيى أنه رسول المهدي وذكر له انه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره وان ظهوره قد قرب فجمع له علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف واقرأهم كتابا كان مع يحيى من المهدي يزعم أنه من المهدي فأجابوه وقالوا انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ووجه الى سائر قرى البحرين يدعوهم لذلك فأجابوه وكان ممن أجابه أبو سعيد الجنابي بتشديد النون كما في تاريخ ابن خلكان نسبة الى جنابة قرية من أعمال فارس فاجتمع على أبي سعيد خلق كثير من الاعراب والقرامطة فقتل من كان حوله من أهل القرى ممن لم يدخل تحت طاعته ثم سار الى القطيف ففعل مثل ذلك وأظهر في سنة ست وثمانين ومائتين انه يريد البصرة

لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج فانهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته الى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة وهذا مبني على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة ولم يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق على موضع فهو أولى به وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والاوزاعي رضي الله عنهم أو كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أموالهم كيف شاؤا اسكانا وبيعا واجارة وغير ذلك وبه قال الامام الشافعي وأحمد رضي الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك عمل الناس قديما وحديثا

﴿وأما أسماء مكة المشرفة﴾ فانها سميت بها لقلة مائها من قولهم أمتك الفصيل ما في ضرع أمه اذا لم يبق فيه شيأ ولذلك تسمى المطهرة أو لانها تمص الذنوب أو تفنيها ومن أسمائها بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة ولذلك سمي علم الشعر عروضا لان الخليل ابن أحمد اخترعه بمكة فسماه عروضا باسمها والبلد الامين والبلدة والقرية وأم القرى قال المحب الطبري سمى الله تعالى مكة بخمسة أسماء مكة وبكة والبلد والقرية وأم القرى قال ابن عباس سميت أم القرى لانها أعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها ومن أسمائها كوثى وأم كوثى لان كوثى اسم لمحل من قعيقعان وفاران والمقدسة وقرية النمل لكثرة نملها والحاطمة لحطمها الجبابرة والوادي والحرام والعرش وبره وحفر وصلاح مبنيا على الكسر كحذام وقطام ومن أسمائها طيبة أيضا ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال مكة ومن أسمائها الباسة بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قاله مجاهد لانها تبس من ألحد فيها أي تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال بسا وتسمى الناسة أيضا بالنون والشين المعجمة أي تنش بتشديد آخرها أي تطرد من ألحد فيها وتنفيه ولها أسامي غير ما ذكرنا وللمجد الفيروزابادي رسالة في أسمائها قال الامام النووي رضي الله عنه ولا يعرف في البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الارض وقال عبد الله المرجاني رحمه الله تعالى في تاريخه للمدينة بعد ذكره لاسماء

فكتب عامل البصرة الى أمير المؤمنين المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق في عمارته أربعة عشر ألف دينار ثم أغار أبو سعيد بمن معه من الجيوش على نواحي هجر من نواحي البصرة وقوي أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينهم وبينه وقائع يطول الكلام بذكرها مذكورة في التواريخ وامتد ملك القرامطة الى نواحي الشام ومصر واليمن والحجاز وملكوا جانبا من العراق وتوفي المعتضد سنة تسع وثمانين ومائتين وولي الخلافة بعده ابنه المكتفي وبقي القتال بينه وبين القرامطة وزاد أمرهم وانتشرت جيوشهم في أقطار الارض وتعرضوا للحجاج ونهبوهم وقتلوا أكثر الحجاج سنة أربع وتسعين ومائتين وتوفي المكتفي سنة خمس وتسعين ومائتين وولي الخلافة بعده أخوه المقتدر بن المعتضد وبقي القتال بينه وبين القرامطة في مواضع كثيرة وفي سنة احدى وثلاثمائة قتل أبو سعيد الجنابي رئيس القرامطة وقائد جيوشهم وكان قد عهد الى ابنه سعيد فانتزع الامر منه أخوه أبو طاهر وقام بالقتال وقيادة الجيوش والدعوة الى مذهب القرامطة وكان قتل أبي سعيد في الحمام قتله خادم له صقلبي وكان أبو سعيد قد استولى على هجر والاحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين ولم يزل أمرهم منتشرا وفتنتهم قائمة الى أن دخل أبو طاهر مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان لهذه الطائفة الملحدة اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين فأعظم شخص خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا بهجر وسماها دار الهجرة وأراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفكه دماءهم الى ان اشتد به الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففي أواخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين الى أن قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض عند الكعبة أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده قيل وهو سكران وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى أن قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف وكان ممن يطوف شيخ الصوفية في ذلك الوقت الشيخ علي بن بابويه ولم يقطع طوافه وجعل يقول منشدا

(ترى المحبين صرعى في ديارهم • كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا)

والسيوف تفقوه الى أن سقط ميتا رحمه الله تعالى وما أرؤس الشهداء ببئر زمزم وما بمكة من آبار

مكة ومن الخواص اذا كثبت بدم الرعاف مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الرعاف ﴿وأما فضل مكة شرفها الله تعالى﴾ فاعلم ان مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الارض بالاجماع وذكر القاضي عياض ان موضع قبر نبينا صلى الله عليه وسلم أي ماضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الارض بالاجماع فالرسول سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فيه قال اليشكري رحمه الله تعالى

جزم الجميع بأن خير الارض ما • قد حاط ذات المصطفى وحواها

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت • كالنفس حين زكت زكى مأواها

ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أن مكة شرفها الله تعالى أفضل أم المدينة الشريفة عظمها الله تعالى فذهب الامام الاعظم أبو حنيفة وأصحابه والامام أحمد وأصحابه والامام الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أن مكة أفضل من المدينة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما لحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ولا ريب في انفضا. لها التي أثبتها الله تعالى لبلده الحرام بفضل فيها بيته المعظم الذي اذا قصده عباده حط عنهم أقذارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين أحياء وأمواتا وفرض الحج اليه على من استطاع اليه سبيلا مرة في عمره وفي كل عام على الناس أجمعين فرض كفاية وحرمها يوم خلق السموات والارض ولا تدخل الا باحرام وهي مثوى ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسقط رأس خير الانام صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول أكثر القرآن ومهبط الوحي ومظهر الايمان والاسلام ومنشأ الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين وبها الحجر الاسود وزمزم والمقام وغير ذلك من المزايا العظام ولقد قال القائل

ارض بها البيت المحرم قبلة • للعالمين له المساجد تعدل

حرم حرام أرضها وصيودها • والصيد في كل البلاد محلل

وبها المشاعر والمناسك كلها • والى فضيلتها البرية ترحل

وبها المقام وحوض زمزم مشرعا • والحجر والركن الذي لا يرحل

والمسجد العالي المحرم والصفا • والمشعران لمن يطوف ويرمل

وبمكة الحسنات ضوعف أجرها • وبها المسيء عنه الخطايا تغسل

وحفروا دفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب

(أنا بالله وبالله أنا • يخلق الخلق وافنيهم أنا)

وصاح في الحجاج وهو على فرسه يقول ياحمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الامان وقد فعلنا مافعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه وكان قد استسلم للقتل وقال له ليس معنى الآية الشريفة ماذكرت وانما معناها من دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه ولم يلتفت اليه وصانه الله ببركة بذل نفسه في سبيل الله للرد على هذا الكافر أخزاه الله تعالى وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فانحط أخره وخر ميتا وقعد آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي يزعم أنه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجاردي الهروي أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلق باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب البيت الحرام وقتلوا أيضا امام الفقهاء الحنفية الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بابويه كما تقدم والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرين من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهل مكة وغيرها الا من اختفى في الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي رهجان ونهبت القرامطة من داره وثيابه وأمواله ماقيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار كما في تاريخ القطبي فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور أهل مكة الى أن صار الباقي ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون الناس ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا قدر يسير فادوا بأنفسهم وسعوا بأرواحهم فوقفوا به بلا امام وأتموا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال فجمع الجميع مع مانهبه من أموال الحجاج وقسمه على أصحابه وعرى البيت وانتزع ثوبه وقسمه بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة الشريفة غيبوه في بعض شعاب مكة وتألم لذلك واستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ذلك

وقال الامام مالك رضي الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد الي فأسكني أحب البلاد اليك رواه الحاكم في المستدرك وما هو أحب البقاع الى الله يكون أفضل والظاهر استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وقد أسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتكون أفضل البقاع وأدلة أخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومباحث والله أعلم ﴿وأما حكم الجوار بمكة شرفها الله تعالى﴾ فذهب امامنا الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وبعض أصحاب الشافعي وجماعة من المحتاطين في دين الله تعالى رضوان الله عليهم أجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالانس والتبسط الى أن يذهب من قلبه

الهيبة بالكلية فيصير بيت الله تعالى في نظره القاصر كسائر البيوت والعياذ بالله أو تنقص الهيبة والحرمة الاولى في نظره كما هو شأن سائر الناس في الاكثر الا من عصمه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم الناس أنيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم في وطنه وهو مشتاق الى مكة باق حرمتها في نظره خير له وأسلم من مقامه بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه وهذا ملخص ما قاله امامنا رضي الله عنه ولهذا كان عمر رضي الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء المناسك بالدرة ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فانه أبقى لحرمة بيت ربكم في قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجي من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل

وكم من بعيد الدار نال مراده ۞ وكم من قريب الدار مات كئيبا

وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ فيه بالهم قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولهذا اختار حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المقام بالطائف وحواليه على مكة وقال لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الي من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول بتضاعف السيئات بأرض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور أبو محمد الحريري سنة بمكة فلم يستند الى حائط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق باطني فأعانني على ظاهري وبقي أبو عمر الزجاجي الصوفي أربعين سنة لم يقض حاجته

العام وصار بزندقته يقول أخزاه الله تعالى

فلو كان هذا البيت لله ربنا ۞ لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية ۞ محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا ۞ جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلاد هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذي سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد المذكور وبقي موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركا بمحله وفي تاريخ الخميس أن أبا طاهر القرمطي دخل مكة بأمر قلائل نحو سبعمائة فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وانفاذا لما أراده سبحانه وتعالى والله غالب على أمره فسبحان من لا يسئل عما يفعل ولا راد لما قضاه سبحانه وتعالى ثم ان الفاجر أبا طاهر القرمطي أراد أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين ويقال لهم الفاطميون وهم الذين ملكوا المغرب ومصر وكان هذا الامر أول ظهور عبيد الله المهدي فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك الينا مهنئا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح به عباده وحملته الى منزلك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما يجوز به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم اثنين وعشرين سنة يستجلبون به الناس طمعا أن يحول الحج الى بلادهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وأشد وهن في الدين من أولئك الكفرة اللئام الملحدين ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها في الحاضر والباد الى أن دمر الله تلك الطائفة القاهرة وابتلى أبو طاهر النجس ورماه الله بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال عذابه ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحج الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاء به سنبر بن الحسن القرمطي في يوم النحر عاشر ذي الحجة من السنة المذكورة فلما صار بفناء الكعبة حضر أمير مكة

ابو

البشرية في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا روى عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه في مدة اقامته بمكة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق في مصنفه • وروى عن وهيب بن الورد المكي رحمه الله قال كنت ذات ليلة أصلي في الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار خفيا فاستمعت فاذا هي تناجي وتقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى ممن حولي من سمرهم وتفكههم باللغو وذكر أحوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا يعني لهم واللهو والعبث لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه • وسئل الامام مالك رضي الله عنه الحج والجوار أحب اليك أو الحج والرجوع فقال ما كان الناس الا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء كراهة المجاورة عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله تعالى أعلم • وذهب الامام أبو يوسف ومحمد والامام الشافعي والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم الى استحباب المجاورة بمكة في قولهم انه الافضل قال وعليه عمل الناس • وحكى الفاسي في منسكه عن المبسوط ان الفتوى على قولهما • وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صبر على مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام • وعن سعيد بن جبير من مرض يوما بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذي يعمله في سبع سنين فان كان غريبا ضوعف ذلك رواهما الامام الفاكهي رحمه الله تعالى ومحصل ما ذهب اليه أبو حنيفة رضي الله عنه من كراهة المجاورة مبني على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فمن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته في عينه وقلبه كما كان عند دخوله في الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالاقامة بها هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك في تضاعف الحسنات بها وأما تضاعف السيآت فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولا شك في تردد الاولياء اليها في الاوقات الفاضلة فمن لمح أحدهم أو لحظه هو نال السعادة العظمى وورد أنهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون كل عام • وكان دأب والدي رحمه الله تعالى قبل أن يكف نظره أن يبادر يوم النحر بعد رمي جمرة العقبة الى مكة ويجلس تجاه بيت

أبو جعفر محمد بن الحسن ذكر أنه لما سقط منه الحجر الاسود وعليه ضباب من فضة في طوله وعرضه انضبط شقوق حدثت فيه بعد قلعه وأحضر له جصا يشد به فوضع حسن بن المروق البناء الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك الشيخ محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة الشيخ محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسي وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الاسود الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون بعيرا وتلك من آيات الله في الحجر الشريف وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي أرسل لاحمد بن أبي سعيد القرمطي أخي أبي طاهر بخمسين ألف ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بجكم التركي مدبر الخلافة ببغداد خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه وقال العلامة القطبي في تاريخه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القضية متناقضة وهذا أصح ما روي فيها فاعتمدناه فعض عليه بالنواجذ قال القطبي ثم ان الحجبة خافوا من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا ممن أراده الله بسوء ثم أمر صانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبع وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه في محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك وبقية وقائع القرامطة مع الخلفاء بالعراق والشام ومصر مذكورة في التواريخ فلا حاجة الى الاطالة بها وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى ما نحن بصدده من ذكر ولاة مكة فنقول وممن وليها (محمد بن طغج) المعروف بالاخشيد عقد له بها ولولديه (أبي القاسم وعلي) وكان مبدأ ذلك سنة ثلثمائة واحدى وثلاثين قال الفاسي ولا أعلم من باشر لهم ولاية مكة وانما ولوها بعقد من المكتفي ولما مات طغج الاخشيد تولى كفالة ولديه كافور الاخشيدي بمصر وممن ولي مكة (القاضي أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي) وذلك سنة ثلثمائة وثمانية وثلاثين وقيل انه باشر ذلك لعلي بن الاخشيد هذا ما تحصل من الكلام على ولاتها في هذه المدة

﴿ذكر خطبة محمد بن سليمان العلوي لنفسه بمكة﴾

وفي سنة ثلثمائة وواحد وقع في الموسم أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن داود العلوي خطب لنفسه بالامامة في مكة وخلع طاعة العباسيين وكان أول خطبته الحمد لله الذي أعاد الحق الى نظامه وأبرز

الله تعالى ويلحظ بنظره ويستمر جالساً هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويسعى ويعود الى منى وكان يقول ان أولياء الله لابد أن يحجوا في كل سنة ويفعلوا الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة في أول يوم النحر فأبادر الى النزول من منى في ذلك اليوم وأجلس في الحطيم وبي أشاهد الطائفين لعل أن يقع نظري الى أحدهم أو يقع نظره علي فيحصل لي بذلك بركتهم واستمر على ذلك الى أن كف نظره رحمه الله تعالى فكان يذهب به ونجلسه في الحطيم ويقول ان كنت لا أنظرهم فلعل أن يقع نظرهم علي فيحصل لي بركتهم واستمر على ذلك الى أن توفي رحمه الله وان أولياء الله يخفون أنفسهم عن أعين الناس فلا يراهم الا من أسعده الله تعالى والله تعالى المسؤل أن يجعلنا ممن سعد في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى (١٦)

﴿الباب الثاني في بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً﴾

قال قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي المكي في كتابه شفاء الغرام لا شك ان الكعبة المعظمة بنيت مرات وقد اختلف في عدد بنائها ويتحصل من مجموع ما قيل في ذلك انها بنيت عشر مرات وهي بناء الملائكة عليهم السلام وبناء آدم عليه السلام وبناء أولاده وبناء الخليل ابراهيم عليه السلام وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم وبناء قريش قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدي وآخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفي وفي اطلاق العبارات في بناء الكعبة تجوز فان بعضها لم يستوعبها البناء كالبناء الاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب [illegible] للعزيز الميزاب فقط وأعادوا بقي الجوانب الثلاث وهي جهة الباب وجهة المستجار الذي هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب قائمة باقية على بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ﴿أما بناء الملائكة الكعبة المشرفة وهو أول بنائها﴾ فذكره الامام أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الازرقي في تاريخه فقال حدثنا علي بن مسلم العجلي عن أبيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصاري حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال كنت مع أبي علي بن الحسين عليهما السلام بمكة فبينما هو يطوف بالبيت وأنا وراءه اذ جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر أبي فالتفت أبي اليه فقال

وهو الاسلام من كلمه وكل دعوة خير الرسل باسباطه لابي أعمامه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وكتب عنهم ببركته أمر المهتدين وجعلها في عقبه الى يوم الدين ثم أنشد

لاطابن سبق * من كان للحق دينا * واسطون بقوم * بغوا وجاروا علينا
* يهدون كل بلاء * من العراق الينا *

وفي سنة ثلاثمائة وسبعة عشر كان دخول القرامطة مكة كما تقدم الكلام على ذلك وفي سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت في حكم دولة العبيديين واشتهروا أيضاً بالفاطميين ودخلها قائدهم القائد جوهر وهو عبد المعز العبيدي ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة واحدى وستين ثم اتسع ملكهم حتى دعي لهم على منابر الحرمين وصارت الخطبة الاسلامية على قسمين فمن بغداد وحلب وسائر ممالك الشرق الى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسي ومن حلب الى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبيديين

﴿ذكر دولة الاشراف بمكة﴾

(ولنذكر أول دولة الاشراف الذين ملكوا مكة) طبقة بعد طبقة فان ابتداء ملكهم ولاية مكة كان من هذه المدة فالطبقة الاولى من الاشراف الذين ملكوا مكة الموسويون ويقال لهم بنو موسى وهم أول من ملكها من الاشراف الحسنيين وتداولوها وأولهم (جعفر بن محمد بن الحسين) وقيل ابن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الاخشيدية قبل أن تملك مصر العبيديون وكان ذلك بعد موت كافور الاخشيدي وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وستة وخمسين وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل سنة ثلاثمائة وستين وسبب ذلك انه وقعت فتنة بين بني حسن وبني حسين أصحاب المدينة وكان جعفر بن محمد بالمدينة فبادر وملك مكة ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدي فكتب له المعز بولاية مكة ثم لما توفي جعفر المذكور تولى (ابنه عيسى بن جعفر) ودامت ولايته الى سنة ثلاثمائة وأربعة وثمانين ثم ملكها بعده أخوه (أبو الفتوح الحسن بن جعفر) كما سيأتي وفي مدة ولاية عيسى بن جعفر سنة خمس وستين وثلاثمائة أرسل العزيز العبيدي صاحب مصر أميراً على المكة ولاه بايابة عنه فحصر مكة واشتد الغلاء ولم يحج أحد من العرب في هذه السنة وتوالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لاجل طلب الخطبة لهم ومازال الامر حتى خطبوا

السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أسألك فرد عليه السلام وسكت أبى وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتى أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت الى فجلست الى جانبه فقال يا محمد أين السائل فأومأت الى الرجل فجاء فجلس بين يدى أبى فقال له عم تسأل قال انى أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له أبى من أين أنت قال من أهل الشام قال أين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين يعنى التوراة والانجيل قال نعم فقال له أبى يا أخا الشام احفظ عنى ولا تروعنى أما بدء هذا الطواف فان الله تعالى قال انى جاعل فى الارض خليفة فقالت الملائكة أى رب أتخلق غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى انى أعلم ما لا تعلمون قال فظنت الملائكة أن ما قالوه رد على الله وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم يتضرعون ويبكون اشفاقا من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش ثم ان الله تعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لى فى الارض بيتا مثاله وقدره وأمر الله تعالى من فى الارض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انتهى فإن هذا الحديث الشريف يدل على أن بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة الشريفة كان بعد خلق الارض ولنا أحاديث دالة أن الكعبة خلقت قبل الارض بأربعين سنة فى رواية وبألفى عام فى رواية قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق ابن العباس الفاكهى المكى فى أوائل تاريخ مكة حدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال حدثنا الواقدى قال حدثنا اسحق بن يحيى بن طلحة أنه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت خلقت قبل الارض بألفى سنة ثم بسطت الارض من تحته أقول وظهر مما رويناه أن موضع البيت الشريف خلق قبل الارض لا نفس بناء البيت وانه أول ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى كما سقناه والله تعالى أعلم

للعزيز وتوفى العزيز سنة ثلاثمائة وست وثمانين فولى مصر ابنه الحاكم بأمر الله ثم انه فى سنة ثلاثمائة وخمسة وتسعين أرسل الحاكم بأمر الله الى صاحب مكة اذ ذاك وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر سجلا يتنقص فيه الصحابة رضى الله عنهم وبعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يأمر الخطيب أن يقرأه على المنبر فشق ذلك على الامير أبى الفتوح وتأنى ذلك الامر فى الموسم وحضر الحجاج وتداعت العرب من حوالى مكة من هذيل وغيرهم وحضروا فى المسجد غضبا لله ورسوله فلما كان الخطيب على المنبر زحف الناس زحفة واحدة بالحجارة والعصى على المنبر وكلموه حتى صار رضاضا ولم يدروا أنه على المنبر أم لا وكان يوما عظيما فلم يقدر أحد بعد ذلك أن يعلن بهذا المذهب القبيح ثم ان أبا الفتوح أظهر العصيان لصاحب مصر الحاكم بأمر الله بسبب ذلك السب للصحابة وخلع طاعة الحاكم وبايع الناس لنفسه وخطب بالناس فقال فى أول خطبته طسم تلك آيات الكتاب المبين الى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ثم خرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب وسلموا عليه بالخلافة وأظهر العدل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانزعج منه الحاكم صاحب مصر وخضع القبائل من العرب منهم آل الجراح واستمال منهم حسان بن مفرج فبذل له ولاخوانه أموالا جزيلة على أن يتخلوا عن أبى الفتوح ويخلوا بينه وبينه فلما فطن لذلك أبو الفتوح استجار بمفرج أبى حسان فكتب مفرج الى الحاكم فى شأنه فرضى الحاكم بذلك ورضى عن أبى الفتوح وأبقى له ملك مكة فرجع الى مكة والياً عليها وفى مدة غيبته عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم ابن الفاتك عبد الله بن داود ابن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقال لبنى أبى الطيب السليمانيون فلما رجع أبو الفتوح الى مكة تنحى أبو الطيب عنها وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب دمية القصر وأورد له من الشعر قوله

وصلتنى الهموم وصل هواك • وجفانى الرقاد مثل جفاك

وشكى لى الرسول انك تغضبى • يا كفى الله شر ما هو حاكى

وكان فيه من الشجاعة والجلادة والقوة ما لا مزيد عليه • يحكى أن أخته أرسلت اليه بدراهم ليأخذ لها حنطة فأنف من ذلك فأخذ الدراهم وفركها بيده حتى محا سكتها وذهب نقشها ورد الدراهم اليها مع حنطة أرسلها اليها وقال لحامل الدراهم ان هذه الدراهم زيوف لا تصلح فبلغ أخته ذلك وكانت مثله فى القوة فأخذت كفا من الحنطة وفركتها حتى صيرتها دقيقا ثم أرسلت به اليه وقالت ان هذه

﴿الثاني بناء آدم عليه السلام الكعبة المشرفة﴾ وقد ذكره الامام أبو الوليد الازرقي فقال حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والباء الموحدة بعدها ألف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة قال يارب مالي أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن ابن لي بيتا فاطف به واذكرني حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي قال فأقبل آدم يتخطى الارض فطويت له ولم يقع قدمه على شيء من الارض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض فكشف عن أس ثابت في الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة من الصخر

ما لا يطيق الصخرة ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سيناء وطور زيتا والجودي وحراء حتى استوى على وجه الارض وهذا يدل على أن آدم عليه السلام اعاد أساس الكعبة حتى ساوى وجه الارض وأول ذلك بعد دثور ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى ثم أنزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عليه السلام ليستأنس به فوضعه على أساس الكعبة ويدل على ذلك ما رواه أبو الوليد الازرقي في تاريخه قال حدثني أبي عن جدي قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب أخبرني عن البيت الحرام قال كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتي أنزلته معك تطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلي عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده وقال الازرقي أيضا حدثني أبي قال محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر بن أبي معروف عن عبد الله بن أبي زياد قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال يا آدم ابن لي بيتا بحذاء بيتي الذي في السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى

الحادثة الا تصلح ولم يزل أبو الفتوح واليا على مكة حتى مات سنة أربعمائة وثلاثين فمدة ملكه ثلاثة وأربعون سنة ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه (شكر الملقب بتاج المعالي واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله) وكان جوادا عظيم القدر وقد عليه بعض العرب وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلق فأعجبت الشريف شكرا لكن لم يسعه طلبها من ذلك العربي لكونه نزل ضيفا عنده فلما رجع ذلك العربي الى أهله أرسل اليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي ولا تذكرني له فأدرك القائد العربي في بعض المنازل فنزل عليه فلما عرفه أكرمه وذبح له فأتاه بعد ساعة بلحم فأكل ونام فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس وانه يريد شراءها منه فأتاه العربي بجلدها وأكارعها وقال له انك لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا نذبح لك فلم نجد ما نعقر الا الفرس فذبحناها وكانت نفيسة فتلف من لحمها فشكر له القائد ذلك وأسلمه المائة الدينار ورجع الى الشريف شكر وأخبره بالخبر فقال له أحسنت ولو رجعت بالدراهم ألحقتك بالفرس وأما الآن فأنت حر لوجه الله اه واستمر الشريف شكر الى أن توفي سنة أربعمائة وثلاثة وخمسين في شهر رمضان وفي عمدة الطالب ان وفاته كانت سنة أربعمائة وأربع وستين وكان له شعر حسن منه

قوض خيامك من أرض تهان بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب

وارحل اذا كان في الاوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه حطب

قيل ان ملكه كان ثلاثا وعشرين سنة جمع بين ملك مكة والمدينة بعد محاربة بينه وبين بني حسين ولم يخلف بعده الا بنتا فولي الامر بعده (عبد له) فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكرهم فانتزعوا الملك منه ووقعت بينه وبين بني أبي الطيب مظالم وأشياء يطول الكلام بذكرها وكان ممن ولي مكة من بني الطيب (محمد بن أبي الفاتك بن عبد الرحمن بن جعفر) وفي سنة أربعمائة وتسعة وخمسين قدم الى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي فدخل مكة سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب واستعمل العدل والاحسان لاهل مكة فرخصت الاسعار واستراحت الناس جدا وكثر الدعاء له واستمر بمكة الى يوم عاشوراء وقيل الى ربيع الاول فقام الاشراف الحسنيون عليه وقالوا له اخرج الى بلدك واجعل لنا بمكة أميرا من شئت فجعل على مكة (محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم) واستجد له الصليحي عسكرا وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فارسا وقيل ان الداعي للصليحي على الخروج من مكة ان بني أبي الطيب كانوا قد انهزموا من مكة لما قصدها الصليحي فجمعوا جموعا وأرسلوا اليه يطلبون منه الخروج من مكة وأن يولي عليهم واحدا منهم وكان قد وقع في جماعته الوباء

ومات

•وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن أبي المليح أنه قال كان أبو هريرة يقول حج آدم فقضى المناسك فلما حج قال رب لكل عامل أجر قال الله تعالى أما أنت يا آدم فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وكان آدم عليه السلام اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل ذلك •وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثني هشام بن سليمان المخزومي عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم أنه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها قال فمذ طاف آدم عليه الصلاة والسلام كانت سنة الطواف

﴿الثالث بناء أولاد آدم عليه السلام الكعبة المعظمة﴾ روى الازرقي بسنده الى وهب بن منبه قال لما رفعت الخيمة التي عزى الله بها آدم عليه السلام من حلية الجنة حين وضعت له بمكة في موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوأ لابراهيم انتهى •وقال الحافظ أبو القاسم السهيلي في الفصل الذي عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها الاول حين بني شيث بن آدم عليه السلام انتهى ولعل مراد السهيلي بالاولية بالنسبة الى بناء البشر لا الملائكة وان بناء آدم عليه السلام انما هو الاساس الى أن ساوى وجه الارض وأنزل الله عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس والمراد بالخيمة المشار اليها في خبر وهب بن منبه رضي الله عنه هو البيت المعمور ولعلها

ومات منهم نحو سبعمائة فخرج منها على الصورة المذكورة وفي عمدة الطالب انه لما توفي شكر بقيت مكة شاغرة فملكها حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود السليماني وقامت الحرب بين بني موسى وبين بني سليمان قريبا من سبع سنين ثم خلصت للامير محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم وبقيت في أولاده مدة ولم يملكها من السليمانيين سوى حمزة بن وهاس لكن الذي في التواريخ انه ملكها أربعة منهم أبو الطيب ومحمد بن أبي الفاتك كما تقدم قال الفاسي ومحمد بن جعفر هذا أحد ملوك مكة المعروفين بالهواشم وهو أبو هاشم محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر لانه ثار بالمدينة زمن المعتز بن المتوكل ومحمد الثائر هو ابن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ودامت ولايته الى ثلاثين سنة وفي تاريخ السنجاري نقلا عن الوقائع وفي سنة أربعمائة وسبع وخمسين حج أبو الغنائم نقيب الاشراف ببغداد فأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطبة للعباسيين ولم يدع لصاحب مصر فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة لقطع محمد بن جعفر صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر وأخذ محمد بن جعفر صاحب مكة قناديل الكعبة وصفائح الذهب التي كانت على الباب واستمر على الخطبة لبني العباس وترك الاذان بحي على خير العمل وقد كانوا أيام العبيديين أذنوا بها فلما بلغ العباسيين ذلك بعثوا له بثلاثين ألف دينار وقصده بنو سليمان الحسنيون وهم أولاد سليمان ابن عبد الله بن موسى ويقال لسليمان الحرابي لشجاعته ويقال لبنيه الحرابيون ومعهم حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن أبي الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلاقاهم محمد بن جعفر المذكور وحاربهم فغلبوه ففر الى ينبع وولي مكة (حمزة بن وهاس) فجمع محمد بن جعفر جموعا وقصد حمزة بن وهاس وكانت بينهم حروب حتى أخذ محمد ابن جعفر مكة من حمزة بن وهاس وكان محمد بن جعفر على غاية من القوة والشجاعة ذكر في بعض حروبه على التركاني فضربه بالسيف فقطع درعه وجسده والفرس حتى وصل السيف الى الارض فبهت الجند واستمر محمد بن جعفر الى أن توفي سنة أربعمائة وأربعة وثمانين فولي مكة أيضا (القاسم بن محمد بن جعفر) كذا قال الفاسي وقال غيره القاسم بن شميل بن محمد بن جعفر قال وهذا البطن يقال لهم الهواشم ولم يزل القاسم على مكة حتى هجم الاصبهبذ بن سارتكين في أوائل السنة المذكورة فهرب القاسم وأقام (الاصبهبذ بمكة) الى شوال سنة أربعمائة وسبعة وثمانين فجمع القاسم جموعا وكبس الاصبهبذ سنة أربعمائة وثمانية وثمانين واستقر القاسم واليا على مكة الى أن توفي في صفر سنة

خيمة غير البيت المرفوع وانها رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام وأبقي البيت المعمور الى أن رفع زمن الطوفان وفي ذلك ارتكاب المجاز ما تصح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها ﴿الرابع بناء الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة﴾ قال السيد الامام التقي الفاسي رحمه الله تعالى أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت بالكتاب والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ما ذكره الفاكهي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال لم يرد عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام انتهى فهو ينكر ما قدمناه من الآثار فبناء ابراهيم عليه السلام أول بناء بالنسبة الى من بناه بعده لا أول حقيق والله تعالى أعلم وأحكم. وروى الازرقي رحمه الله في تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عليه السلام لما بنى البيت جعل طوله في السماء تسعة أذرع وجعل طوله في الارض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعا وجعل عرضه في الارض من قبل الميزاب من الركن الشامي الى الركن الغربي الذي يسمى الآن الركن العراقي اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله في الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور الى الركن اليماني احدى وثلاثين ذراعا وطول عرضه في الارض من الركن اليماني الى الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولا مبوب حتى جعل لها تبع الحميري بابا وغلقا بعد ذلك وحفر ابراهيم عليه السلام في بطن البيت على يمين من دخله حفرة تكون خزانة للبيت يوضع فيها ما يهدى الى البيت وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبني واسمعيل عليه السلام ينقل له الاحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبني ويحوله له اسمعيل عليه السلام في نواحي البيت حتى انتهى على موضع الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام يا اسمعيل ائتني بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدؤن منه الطواف فذهب اسمعيل في طلبه فجاء جبريل عليه السلام الى سيدنا ابراهيم عليه السلام بالحجر الاسود وكان الله عز وجل استودعه جبل أبي قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ نورا فأضاء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية وانما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها

خمسمائة وثمانية عشر وقيل سبعة عشر وكان القاسم بن محمد هذا أديبا شاعرا لطيفا من شعره

قوم اذا اختصموا الحجاج حسبتهم • ليلا وخلت وجوههم أقمارا
لا يبخلون بزادهم عن جارهم • عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الطريد دعاهم لملمة • بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا
واذا زناد الحرب أخمد نارها • قدحوا بأطراف الاسنة نارا

ولما توفي القاسم بن محمد ولي مكة بعده ابنه (فليتة بن القاسم) ويقال له أبو فليتة وكان أديبا فاضلا شاعرا واستمر الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعة وعشرين فولي مكة ابنه (هاشم بن فليتة) وفي سنة خمسمائة وتسعة وثلاثين نهب هاشم بن فليتة الحج العراقي بالحرم الشريف وهم يطوفون لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحاج العراقي ودامت ولاية هاشم بن فليتة الى سنة خمسمائة وتسعة وأربعين وقيل الى سنة خمسمائة واحدى وخمسين فتوفي فولي مكة ابنه (القاسم بن هاشم) وكان يلقب عمدة الدين وفي سنة خمسمائة وثلاث وخمسين وقعت فتنة بين القاسم وعمه قطب الدين عيسى واستولى على مكة عمه (عيسى) وقال الفاسي ان القاسم لما فر من أمير العراق استولى على مكة عمه عيسى ولهذه الفتنة دخلت هذيل مكة ونهبوها ونهب الناس وفي اصادر القاسم بن هاشم أعيان مكة والتجار والمجاورين وأخذ غالب أموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج ثم ان القاسم جمع جموعا ورجع فخرج عيسى من مكة فملكها القاسم وذلك سنة خمسمائة وسبعة وخمسين وأقام بها أياما يسيرة ثم قتل وسببه أنه قتل قائدا من قواده فتغير عليه أصحابه وكاتبوا عمه عيسى فأقبل عليهم فهرب القاسم وطلع جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فأخذه بعض أصحاب عيسى فقتلوه فلما سمع بذلك عمه ندم وغسله ودفنه بالمعلا وفي تاريخ السنجاري نقلا عن الوفائي وفي أيام عيسى وقعت فتنة عظيمة بين عسكر عيسى بن فليتة وبين الحج العراقي فقتل من أهل مكة جماعة وانتصر عيسى على الحج العراقي وانتهبوه ولم يتمكنوا من دخول مكة فنفروا ما شاء وقد أخذوا جميع جمالهم وأسبابهم وقتل من الفريقين خلق كثير واستمر عيسى بن فليتة الى سنة خمسمائة وخمس وستين فنازعه أخوه مالك بن فليتة واستولى على مكة نحو نصف يوم وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة الى وقت الزوال ثم خرج مالك الى بقي عيسى ثم عاد مالك سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومعه هذيل فخرج اليهم عسكر عيسى فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار وأخذ ما في المراكب

﴿انقراض دولة العبيديين﴾

وفي سنة خمسمائة وسبع وستين كان انقراض دولة العبيديين بمصر وكان آخرهم العاضد وتفاصيل دولتهم

قال ولم يكن ابراهيم عليه السلام سقف البيت ولا بناه بمدر وانما رصه رصا قال وذكر بسنده الى عبد الله بن عمر أن جبريل عليه السلام نزل بالحجر على ابراهيم عليه السلام من الجنة وانه وضعه حيث رأيتم وانكم لا تزالون بخير مادام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك أن يجيء جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى قال السيد الامام تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى روينا عن قتادة قال ذكر لنا أن الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وحراء قال وذكر لنا ان قواعده من حراء قال ويروى أن الخليل عليه السلام أسس البيت من ستة أجبل من أبي قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى ومن احد وقال الازرقي رحمه الله قال أبي وحدثني جدي عن سعيد ابن سالم عن ابن جريج عن مجاهد أنه قال كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون أن البيت ثما هنالك من غير تعيين لمحله وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما دعا عنده أحد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه فلم يزل منذ أهبط الله آدم الى الارض معظما محترما عند الامم والملل * قال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في كتابه العرائس في قصص الانبياء عليهم السلام لما أنجى الله خليله ابراهيم عليه السلام من نار النمرود وآمن به من آمن خرج مهاجرا الى ربه وتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصي ابراهيم وبذلك أكرمها الله تعالى فأتى ابليس الى فرعون وقال ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل الجبار الى ابراهيم وقال له ما هذه المرأة منك فقال هي أختي وخاف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى فرجع ابراهيم الى سارة فقال ان هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله فانه ليس مسلم في هذه الارض غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلي وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليها منذ فارقته الى أن عادت

دولتهم مذكورة في التواريخ واستولى على مصر السلطان صلاح الدين الايوبي ودعا للعباسيين ولم يزل عيسى بن فليتة الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعين في الحج من هذه السنة وقع بين عيسى قبل وفاته وبين أمير الحج العراقي مقاتلة بالزاهر ولما توفي عيسى بن فليتة ولي مكة بعده ابنه (داود بن عيسى) واستمر الى ليلة النصف من رجب سنة خمسمائة واحدى وسبعين فعزله الناصر العباسي فوليها أخوه (مكثر بن عيسى) واستمر الى الموسم ثم عزل وجرى بينه وبين طاشتكين أمير الحج العراقي حرب شديد كان الظفر فيه لطاشتكين وتحصن مكثر بحصن له على جبل أبي قبيس بعد نهب الحجاج وأخذ أموالهم فدخل طاشتكين مكة وأخرجه من الحصن قهرا فهرب ونهبت مكة وأحرقت بها دور كثيرة فلما استقر الحال سلم طاشتكين البلد (للقاسم بن مهنا الحسيني) أمير المدينة فاستمر بمكة ثلاثة أيام فرأى عجزه عن القيام بامارة مكة فراجع في ذلك طاشتكين فولى مكة (داود بن عيسى) السابق ذكره وأمر طاشتكين بهدم القلعة التي كانت على أبي قبيس ولم يوف أكثر الحجاج المناسك في هذا العام

﴿ذكر آخر أمراء مكة الملقبين بالهواشم﴾

قال الفاسي بعد ذكر اعادة داود بن عيسى لامارة مكة ولا نعلم الى متى استمرت غير انه كان يتداول هو وأخوه مكثر امارة مكة ثم انفرد بها مكثر بن عيسى نحو عشر سنين آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير ان الاكثر هل هي ولايته أو ولاية أخيه داود على الشك والصحيح انها ولاية مكثر وفي أيام مكثر بن عيسى أبطل السلطان صلاح الدين الايوبي صاحب مصر المكس المأخوذ من الحجاج في البحر على طريق عيذاب وكان من لم يؤد بعيذاب يؤخذ منه بجدة وهو سبعة دنانير مصرية على كل انسان وكان يأخذ ذلك أمير مكة وكان سبب ابطاله ان الشيخ علوان الاسدي الحلبي حج فلما وصل الى جدة طولب بذلك فأبى أن يسلم لهم شيئا وأراد الرجوع فلاطفوه وبعثوا الى صاحب مكة وكان الشريف مكثر بن عيسى فأمر باطلاقه ومسامحته فلما طار الى مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن مدخول مكة لا يقي بمصالحنا وهذا الحامل لنا على هذا فكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين وذكر له حاجة أمير مكة وعرفه ان البلاد ضعيفة وانه ما لم تدخل ما يكفيه وان ذلك هو الذي حمله على هذه البدعة الشنيعة فأنعم عليه مولانا السلطان صلاح الدين بثمانية آلاف أردب قمح وقيل بألفي دينار وألفي أردب قمح وأمره بترك هذه المظلمة جزاه الله خيرا وكان الخطيب يدعو في خطبته للخليفة العباسي ثم لمكثر ثم السلطان صلاح الدين

﴿ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام﴾

اليها اكراما له وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام فلما دخلت سارة على الجبار ورآها دهش في حسنها ولم يملك نفسه ان مد يده اليها فيبست يده على صدره فلما رأى ذلك أعظم أمرها وقال لها سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا أوذيك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق يده فوهب لها هاجر وهي جارية قبطية جميلة وردها الى ابراهيم فأقبلت اليه فلما أحس بها انفتل من صلاته وقال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وخدمني هاجر وقد وهبتها لك فلعل الله أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسمعيل وأقام ابراهيم بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايلياء وهو يضيف من يأتيه وقد أوسع الله عليه وبسط له في الرزق والمال والخدم فلما أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله يأمرونه بالخروج من بين ظهراني قومهم وأمرهم أن يبشروا ابراهيم وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا عليه سر بهم وقال لا يخدم هؤلاء القوم الا أنا فجاء بعجل حنيذ سمين مشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم فنكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة تخدمهم فبشروها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت قال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم مائة وعشرين وقال مجاهد وعكرمة ضحكت أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت * قال السدي فحملت سارة باسحق وكانت قد حملت هاجر باسمعيل فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسمعيل فأخذه ابراهيم وأجلسه في حجره وأخذ اسحق الى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فأجلسته الى جنبك وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيرت في يمينها فقال لها ابراهيم اخفضيها واثقبي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء والخفاض بالجواري للنساء كالختان للرجال ثم تضارب اسمعيل واسحق كما تهارش الاطفال فغضبت سارة على هاجر وحلفت أن لا تساكنها في بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فأمر الله تعالى ابراهيم أن يأتي بهاجر وابنها الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وموضع البيت ربوة حمراء فعمد بهما الى موضع الحجر بسكون الجيم فيه وأمرها أن تتخذ

وفي سنة خمسمائة واحدى وثمانين مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثمانون نفسا وفي سنة خمسمائة وخمسة وثمانين أخذ داود بن عيسى بن فليتة طوق الحجر الاسود وكان من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما فلما قدم الحاج عزل داود أمير الحج وولى أخاه مكثر وهرب داود الى وادي نخلة ومات هنالك وبه ينتهي البحث السابق ويعلم ان انتهاء دولتهم كانت في ولاية مكثر وفي سنة خمسمائة واثنين وتسعين عند نفر الحاج وقعت بمكة ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر وسقطت أحجار من الركن اليماني من الكعبة الشريفة وقال أبو شامة في ذيل الروضتين في سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وقع من الركن قطعة وتحرك البيت الشريف مرارا وهذا شئ لم يعهد وفي سنة خمسمائة وسبعة وتسعين وقيل ثمانية وتسعين وقيل تسعة وتسعين انتزع مكة من مكثر (الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) والشريف قتادة هذا هو جد سادتنا الاشراف ملوك مكة الى الآن خلد الله ملكهم الى آخر الزمان وبه انقرضت دولة بني فليتة الهواشم وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف وكان ذا بأس وتجلد وشوكة فجمع بني عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة وحارب الاشراف بني حراب من أولاد عبد الله المحض بن الحسن المثنى ثم استأنس هو وجماعته فصار واسعه وملك ينبع والصفراء وسبب طمعه في ملك مكة ما بلغه من عكوف أمرائها الهواشم بني فليتة على اللهو وتبسطهم في الظلم واعراضهم عن العدل اغترارا منهم بما هم فيه من العز والعنف لرعاياهم فتوحش لذلك خواطر جماعة من قوادهم ولما عرف ذلك قتادة فتقهم اليه وسألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مكة وبعثه على السير اليها ان بعض الناس فزع اليه مستغيثا به في ظلامة ظلمها بمكة فوعده بالنصر وتجهز في جماعة من قومه فما شعر أهل مكة الا وهو معهم بها ولاهيا على ما هم عليه من اللهو والاثم مالتهم فلم يكن لهم عليه مقاومة ولا طاقة فملكها دونهم وقيل انه لم يأت اليها بنفسه في ابتداء ملكه لها وانما أرسل اليها ابنه حنظلة فملكها وأخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة وقاتل حنظلة بن قتادة ولم يحصل لمحمد ظفر وبعث البلاد لقتادة فجاء اليها قتادة بنفسه بعد ولده حنظلة سنة ستمائة وواحد وعلى القول الاول قالوا ان قتادة دخل مكة بغتة يوم السابع والعشرين من رجب وكانت ملوك مكة تخرج في مثل ذلك اليوم الى التنعيم تعتمر مع غالب أهل مكة اتباعا لعبد الله بن الزبير في اعتماره في مثل هذه الليلة فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة فرجع الشريف مكثر وجماعته فحاربوهم وكان

عن ابن شاهم انصرف فتبعته هاجر فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها شن ماء فنفد فعطشت
وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم تر داعيا ولا مجيبا وصعدت على الصفا فلم تر أحدا ثم هبطت وعينها من ولدها حتى نزلت فغابت
عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر واستمرت الى ان صعدت المروة فما رأت أحدا فترددت لذلك سبعا وعادت الى ولدها
وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته عن السيلان كي لا يضيع الماء
• وفي لفظ النبوة لولا انها عجلت لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله
عزوجل يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وقال الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي
في تفسيره لا يجوز لاحد أن يتعلق بهذا في جواز طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل عليه السلام وانه فعل ذلك بأمر الله تعالى وقد روي ان سارة لما غارت من هاجر لما ولدت اسمعيل خرج بها ابراهيم عليه السلام الى مكة وأنزل ابنه وأمه هناك وركب منصرفا من يومه وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى (وماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره) ففي المسند ولك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له ورجاله موثقون الا أنه اختلف في ارساله ووصله وارساله أصح كذا في فتح الباري لشرح البخاري وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء
زمزم لما شرب له وان شربته لتستشفي به شفاك الله وان شربته لقطع ظمأك قطعه وهي هزمة جبريل وسقيا الله اسمعيل وعن
عكرمة قال كان ابن عباس اذا شرب من زمزم قال اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وفي صحيح البخاري قال
أبو ذر رضي الله عنه ما كان لي طعام الا ماء زمزم أجتزي به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على
كبدي سخفة جوع وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر انه طعام طعم زاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه مسلم وشفاء سقم وقال
القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن مكذبا ولا شربه مجربا
(قلت) ومن عجيب ما اطلعت عليه من كتاب وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى للسيد نور الدين السمهودي الشافعي عالم المدينة في

وكان الظفر له عليهم فهزموا الى وادي نخلة قال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير ووقع حرب أيضا بين
الشريف قتادة وصاحب المدينة الشريف سالم بن قاسم الحسيني وفي ذلك يقول الشريف قتادة

(مصارع آل المصطفى عدن مثل ما • بدأن ولكن صرن بين الاقارب)

ثم حارب ثقيفا فارا أهل الطائف وملك البلاد منهم واتسع ملكه واتسعت ولايته من بلاد اليمن الى
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه مجدا وصار له صيت في العرب لم يكن لغيره وكان فاضلا
أديبا شاعرا وله الشعر البليغ وكانت ولادته في حدود سنة سبع وعشرين وخمسمائة وتوفي بمكة
سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين ولقتادة شعر بليغ يشهد بنبله وسمو الهمم العلية ومن ذلك
ان الخليفة الناصر العباسي طلب الشريف قتادة بأن يسير الى بغداد فسار متوجها اليه الى أن
وصل النجف وبلغ الخليفة وصوله فأخرج القائم العلماء والاعيان وكبراء الدولة وكان مما أخرجوا
معهم أسد في سلسلة فلما رآه الشريف قتادة تطير وقال مالي ولارض تذل فيها الاسود والله
لادخلتها ورجع من النجف ولم يدخل العراق فلما بلغ ذلك الناصر كتب اليه يعاتبه فكتب اليه
الشريف قتادة الجواب ومن جملته قوله

(بلادي وان جارت علي عزيزة • ولو أنني أعرى بها وأجوع)
(ولي كف ضرغام اذا ما بسطتها • بها أشتري يوم الوغى وأبيع)
(معودة لثم الملوك لظهرها • وفي بطنها للمجدبين ربيع)
(أأتركها تحت الرهان وأبتغي • بها بدلا اني اذا لرقيع)
(وما أنا الا المسك في أرض غيركم • أضوع وأما عندكم فأضيع)

قيل لما جاءه كتاب الناصر المشتمل على العتاب في رجوعه أرسل له الناصر معه مالا وكسوة فاخرة ولم
يظهر له التعب عما جرى من فعله وجعل الامير الذي جاء بالكتاب يستدرجه ويخدعه ويحثه على
التوجه للقاء الخليفة ويقول له ليس كمال الخدمة الا تقبيل العتبة ولا عز الدنيا والآخرة الا بنيل
هذه المرتبة فقال له الشريف قتادة أنظر في ذلك ثم جمع بني عمه وعرفهم ان ذلك استدراج لهم وقال
لهم يابني الزهراء عزكم الى آخر الدهر بمجاورة هذه البنية والاجتماع في بطحائها واعتمدوا بعد اليوم
ان تعاملوا هؤلاء بالشر يرهبوكم من طريق الدنيا والآخرة ولا يرغبونكم بالمال والعدد فان الله
قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها وانها لا تبلغ الا بشق الانفس ثم عاد الشريف على الامير
وقال له اسمع الجواب وأنشده الابيات المتقدمة فقال الامير يا شريف أنت ابن بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم والخليفة ابن عمك وأنا مملوك تركي لا أعلم من الامور الا في المكتب ما علمت ولكن

عصره ومؤرخها ومحدثها وقد أخذنا عمن أخذ عنه فروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئر زمزم ولم تزل أهل المدينة قديما وحديثا يتبركون بها ويشربون من مائها وينقلون منه الى الآفاق كما ينقل ماء زمزم لبركتها انتهى ورجعنا الى القصة قال ومرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا طيرا يحوم على جبل أبي قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم فقالوا لهاجر ان شئت نزلنا معك وآنسناك والماء ماؤك نشرب منه فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة وتوفيت هاجر وقبرها في الحجر يسكون الحجر وشب اسمعيل فتزوج اسمعيل من جرهم وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبني اسمعيل العرب العاربة والعرب المتعربة وكان لسان ابراهيم عبرانيا ولسان اسمعيل عربيا ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزور هاجر وابنها فأذنت له واشترطت أن لا ينزل عندها فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فأتى الى بيت اسمعيل فوجد امرأته فسألها أين صاحبك فقالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل عليه السلام يخرج من الحرم الى الحل يتصيد ما يعيش به فقال لها عندك ضيافة من طعام أو شراب فقالت ليس عندي شئ فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له غير عتبة بابك فذهب ابراهيم عليه السلام فلما جاء اسمعيل قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا فأقرأك السلام وقال غير عتبة بابك فقال الحقي بأهلك وتزوج غيرها فمكث ابراهيم مدة ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم الى مكة وقدم على منزل اسمعيل فوجده غائبا في الصيد فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد ورحبت به وقالت انزل رحمك الله وجاءت بلحم ولبن فأكل وشرب فقالت له يا عم هلم حتى أغسل رأسك وأزيل شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت شقه الايمن ثم الايسر ثم أفاضت الماء على رأسه وبدنه الى أن فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال لها اذا جاء صاحبك فاقرئي عليه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فالزمها فلما جاء اسمعيل وجد رائحة أبيه فقال هل جاءك أحد قالت جاءني شيخ من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فأنزلته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه أقرأك السلام وقال لك كذا وكذا فقال ذاك أبي أمرني أن أثبت معك وقيل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى أن بني عليه فيما بعد

فقد رأيت ان هذا من شرف العرب الذين يسكنون البوادي وحاشا الله أن أحمل هذه الابيات عنك الى الديوان فأكون قد جنيت على بيت الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وبنيه رضي الله عنهما والله لو بلغ هذا الى حيث أشرت يعني الخليفة لترك كل وجه وحول جميع الوجوه اليك حتى يفرغ منك مالهذا ضرورة انما كان خطر ببالك انهم استدرجوك فلا تسر اليهم وقل جميلا فأصغى اليه الشريف قتادة وشكر رأيه ثم قال ما الرأي عندك قال الرأي عندي أن ترسل من أولادك من ان وقع عليه شئ مما يمسك ولا يقع ان شاء الله ومعاذ الله أن يجري الا ما تحبه وسترى ان شاء الله من الخير ما لا يخفى عنك فأعجبه قوله وفعل فبعث ابنه راجحا ومعه أشياخ من الشرفاء فدخلوا بغداد واجتمعوا بالخليفة الناصر فقابلهم بالاعزاز والاكرام وأنزلهم أشرف الاماكن ثم عادوا الى مكة وكان الشريف قتادة عند ذكر هذه القضية يقول لعن الله أول رأي عند الغضب ولا أعدمنا عاقلا ناصحا يثبتنا عند ذلك وقيل ان الخليفة لما بلغته الابيات السابقة كتب اليه أما بعد فاذا نزع الشتاء جلبابه ولبس الربيع أثوابه قابلناك بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون فلما أحس الشريف قتادة بالشر كتب الى بني عمه بني حسين بالمدينة يستنجدهم ومن جملة كتابه قوله

(بني عمنا من آل موسى وجعفر ۞ وآل حسين كيف صبركم عنا)
(بني عمنا انا كفتان دوحة ۞ فلا تتركونا يجتني الغير فننا)
(اذا ما أخ خلى أخاه لآكل ۞ بدا بأخيه الاكل ثم بدا بنا)

فلما أقبلت الجنود الناصرية أتته بنو حسين فكسروها وبددوا شملها فلما رأى الخليفة الناصر شدة بأسه مدحه على سيرته وأولاده فأمرهم وأخذ منه قرى متعددة وتوفي الشريف قتادة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين كما تقدم قيل ان ولده الحسن قتله خنقا وكان مريضا والله أعلم بحقيقة الحال فولي مكة (الحسن بن قتادة) المذكور وكان للشريف قتادة كثير من الاولاد منهم الحسن وراجح وادريس وعلي فتولى مكة بعد قتادة الحسن وكان قاتلا بأقبح الافعال الناصرى لاتهامه أنه واطأ راجح بن قتادة أن يوليه مكة ثم علق رأسه في ميزاب الكعبة واستمر على ولاية مكة الى سنة ستمائة وتسعة عشر فانتزعها منه الملك المسعود صاحب اليمن من قبل أبيه ملك مصر والملك المسعود هو يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر وأبو بكر العادل هو أخو السلطان صلاح الدين كان ملك مصر فيه وفي أولاده بعد أخيه صلاح الدين قدم الملك المسعود من اليمن الى مكة ومعه جيش فحاربه الشريف حسن ثم كان

الظفر

ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة لما بناها كذا في قصص الانبياء وروي فيها أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاآ ما بين المشرق والمغرب ثم لما أمر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام ببناء بيته الشريف قدم الى مكة وبناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام أمره أن يؤذن الناس بالحج فقال يارب وما عسى أن يبلغ مدا صوتي فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه وأجيبوا داعي الله فأسمع الله صوته جميع من في الدنيا ومن سيولد ممن هو في أصلاب الرجال الآباء وأرحام الامهات ﴿وأما أمر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسمعيل عليهما السلام﴾ فقد اختلف العلماء في أن المأمور بذبحه اسمعيل أو اسحق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما وذهب عبد الله بن عمر وابن المسيب والشعبي ومجاهد والحسن البصري رضي الله عنهم أنه اسمعيل قال الامام أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى في كتابه تهذيب الاسماء واللغات اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق عليهما السلام والاكثرون على أنه اسمعيل عليه السلام انتهى وممن رجح كون الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى قال في ترجمته وهو الصحيح وروي عن كعب الاحبار عن رجال قالوا لما أرى ابراهيم في المنام أنه يذبح ابنه وتحقق انه أمر ربه قال لابنه يابني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدري أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أشفق به وأشد حبا له فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله تعالى قد أمره بذلك فليطع أمره فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال لا والله ما يريد الا ذبحك فقال لاي شئ فقال زعم ان الله أمره بذلك

الظفر للملك المسعود وهرب الشريف حسن ولما علا الملك المسعود من مكة جعل أمرها نيابة (لنور الدين علي بن عمر بن رسول) ورتب له عسكرا فقصده الحسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع سنة عشرين وستمائة فخرج اليه نور الدين الى الحديبية وكسره فهرب الحسن راجعا ثم رحل الى الشام ثم الى العراق ووصل الى بغداد وادركه أجله هناك وفي سنة ستمائة وستة وعشرين ولي مكة للملك المسعود عتيقه (صارم الدين ياقوت المسعودي) ثم توفي في تلك السنة الملك المسعود واستولى على اليمن بعده نور الدين عمر بن علي بن رسول وبويع بالسلطنة وتلقب بالملك المنصور ولما توفي الملك المسعود كان أبوه الملك الكامل صاحب مصر موجودا فولى على مكة (طغتكين التركي) أحد خدامه قال ابن خلكان ولقد حكى الي من حضر الخطبة بمكة يوم الجمعة فسمع الخطيب يقول على المنبر في حق الملك الكامل صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الحرمين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين وفي سنة ستمائة وتسعة وعشرين وقيل سبع وعشرين اتصل راجح بن قتادة بنور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن فلم يزل به ويحسن له أخذ مكة حتى بعث معه جيشا الى مكة فأخرجوا نائب الملك الكامل وهو طغتكين التركي ثم جاء جيش من الملك الكامل فأخرجوا راجحا ومن معه ثم وليها (راجح بن قتادة) مع عسكر من صاحب اليمن سنة ثلاثين وستمائة ثم وليها (عسكر الملك الكامل) في آخر هذه السنة وخرج منها راجح كذا في تاريخ السخاوي والحاصل أنه من سنة ست وعشرين وستمائة وما بعدها كانت ولاية مكة لملوك اليمن وعساكرها وملوك مصر وعساكرها ولم تصف مكة لآل قتادة بل كانوا مع ملوك اليمن اما أصولا أو توابا ثم صفا الامر للشريف راجح بن قتادة ودامت ولايته الى آخر ذي الحجة سنة احدى وخمسين وستمائة وهذا اجمال تحته تفصيل ينطوي على عجائب تدل على همة هذا السيد الشريف الجليل وان كان فيها تطويل وقد بسط ذلك العلامة الرضي في تاريخه وان كان في بعض ما ذكره مخالفة لما في تاريخ السخاوي باعتبار تواريخ الازمان فلنذكر عبارة الرضي بتمامها قال العلامة الرضي في تاريخه ذكر أهل التواريخ المعتمدة انه في سنة ستمائة وست وعشرين التي توفي فيها الملك المسعود وصل جيش من مصر ومعه أمير عظيم من أمراء مصر يسمى طغتكين ودخل مكة وكان فيها نور الدين فنفر نور الدين الى اليمن واستمر بها جيش مصر الى سنة سبعة وعشرين وستمائة فوصل جيش من صاحب اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول وصحبته الشريف راجح بن قتادة فاستولوا على مكة فجهز صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا فقاتلوا الشريف راجحا فانكسروا واستولوا على مكة بأمرهم

قال فليفعل ما أمره الله تعالى به وصمما وطاعة لأمر الله تعالى فاقبل الشيطان الى ابراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه فقال اني أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذي رأيت انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فنكص ابليس على عقبيه ورجع بخزيه وغيظه فلما خلا ابراهيم في الشعب وقال ذلك في ثبير قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقال له عند ذلك يا أبتاه اذا أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من دمي فينقص أجري وان الموت شديد ولا آمن أن أضطرب عنده اذا وجدت مسه واستحد شفرتك حتى تجهز على فتذبحني فاذا أنت أضجعتني لتذبحني فأكبني على وجهي ولا تضجعني لشقي فاني أخشى ان أنت نظرت الى وجهي ان تدركك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك في وان رأيت ان ترد قميصي الى أمي فاني أرجو ان يكون أسلى لها فافعل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمره بالحبل فأوثقه ثم حد شفرته ثم تله للجبين واتقى النظر الى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها في يده ثم اجتذبها اليه ونودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه وأتاه بكبش من الجنة قال ابن اسحق حدثني الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أخرج الله هذا الكبش من الجنة قبل رعى قبل ذلك أربعين عاما قال الفاكهي ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء أن الكبش وهو الذي فدي به اسمعيل كبش أملح أقرن أعين ثم روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه هو القربان المتقبل من أحد ابني آدم فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الوالد أمر الله تعالى من ذبح ابنه قرة عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد أمر الله تعالى وأمر والده وانقياده الى ذلك راضيا مستسلما باذلا روحه لله تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتها لامر الله تعالى واطاعة زوجها * اللهم صل وسلم عليهما أفضل صلاتك وسلامك وعلى سائر الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وانفعنا ببركاتهم أجمعين وارزقنا التوفيق وحسن اليقين آمين * قال الازرقي ثم ولد لاسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته

الاول فافتكين فأسرف في القتل ونهب البلاد وأخاف أهل مكة وفاشديدا ثم عاد الشريف راجح بجمع عظيم وأمده صاحب اليمن بعسكره فقدم مكة وطرد أمير صاحب مصر فلما بلغ الملك الكامل صاحب مصر ذلك جهز عسكرا مع الحاج فلما بلغ ذلك الشريف راجح خرج من مكة ودخل عسكر مصر من غير خدار به وذلك في سنة ثلاثين وستمائة ثم في سنة احدى وثلاثين جهز الملك المنصور صاحب اليمن عسكرا ومعهم الشريف راجح فدخلوا مكة وأخرجوا أمير صاحب مصر فلما أن وصل الحاج بلغ الشريف راجحا أن السلطان الملك الكامل صاحب مصر واصل بنفسه على النجائب فخرج الشريف راجح فحج الملك الكامل وحج فلما رجع عاد الشريف راجح الى مكة وفي سنة اثنين وثلاثين وصل عسكر من مصر وأخرجوا الشريف راجحا فتوجه الى اليمن فبعث معه المنصور بخزانة وعسكر فخرج اليه عسكر مصر ووقع بينهما قتال كبير انكسر فيه عسكر الشريف راجح هذا كله في سنة أربع وثلاثين وستمائة وفي سنة خمس وثلاثين قدم السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول في ألف فارس ذلقاه الشريف راجح في ثلاثمائة فارس فدخلوا مكة وخرج عسكر مصر وتصدق نور الدين على أهل مكة بأموال كثيرة وفي هذه السنة مات الملك الكامل صاحب مصر وخطب بمكة لصاحب اليمن المنصور وأقام الشريف راجح في ولاية مكة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وفي هذه السنة أرسل صاحب مصر الملك الصالح بن الملك الكامل ألف فارس ومعهم الشريف شيحة بن قاسم الحسيني أمير المدينة فلما سمع بهم الشريف راجح خرج من مكة فدخلها الشريف شيحة فلما بلغ ذلك صاحب اليمن جهز عسكرا الى مكة مع الشريف راجح فلما أحس بهم الحسيني فر هاربا من مكة وأخلاها وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة أرسل صاحب مصر عسكرا الى مكة فلما بلغ صاحب اليمن تجهز وخرج الى مكة بجيش كثير فهرب المصريون واستقر ادار السلطنة بمكة فدخل السلطان نور الدين علي بن رسول مكة وصام رمضان بها وأبطل المكوس والجبايات وأعرض عن ولاية الشريف راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وولاه مكة فذهب الشريف راجح الى المدينة واستنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة فأنجدوه فخرج راجح معهم من المدينة ومعهم سبعمائة فارس قاصدا مكة ومعهم الامير عيسى الملقب بالحرون وكان فارس بني حسين في زمانه فبلغ ذلك الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وكان ابنه أبو نمي في ينبع فأرسل اليه يطلبه وعمر أبي نمي في ذلك الوقت سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة فخرج في أربعين من ينبع قاصدا مكة فصادف القوم سائرين فلما صادفهم حمل عليهم بالاربعين الذين معه وهم سائرون فهزمهم ورجعوا الى المدينة مغلوبين وفي ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معية الحسني

السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي اثناعشر رجلا منهم ثابت بن اسمعيل وقيدار بن اسمعيل وقطور بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل مائة وثلاثين عاما ومات ودفن في الحجر مع أمه فولي البيت بعده ثابت بن اسمعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا ونموا ثم توفي ثابت فولي البيت بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمي وضم بني ثابت بن اسمعيل وصار ملكا عليهم وعلى جرهم ونزلوا بقيقعان بأعالي مكة وكانوا أصحاب سلاح كثير وتنعقع فيهم وصارت وكانوا نازلين باسفل ونزلوا بأجياد وكانوا أصحاب خيل وغيره وكان الامر بمكة لمضاض بن عمرو ودون السميدع الى أن حدث بينهما البغي واقتتلوا وقتل السميدع وتم الامر لمضاض بن عمرو وفي ذلك يقول ونحن قتلنا سيد الحي عنوة ۞ فأصبح فيها وهو حيران موجع (٢٧) وما كان يبغي ان يكون خلافنا بها ملك حتى أتانا السميدع فذاق وبالا حين حاول ملكنا وعالج منا غصة تتجرع فنحن عمرنا البيت كنا ولاته نداوم عنه من أتانا وندفع وما كان يبغي ان يلي ذاك غيرنا ولم يك حي قبلنا ثم يمنع وكنا ملوكا في الدهور التي مضت وكنا ملوكا كالارام فنوضع ثم نشر الله بني اسمعيل وخؤلتهم جرهما وكانت جرهم ولاة البيت لا ينازعهم بنو اسمعيل لخؤلتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة انتشروا في الارض فلا يأتون قوما ولا ينزلون بلدا الا أظهرهم الله عليهم بدينهم وهو دين ابراهيم حتى ملكوا البلاد ونفوا عنهم العماليق وكانوا ولاة مكة وكانوا ضيعوا حرمة الحرم واستحلوها واستخفوا بها فاخرجهم الله من أرض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن عمرو خطيبا فقال يا قوم احذروا البغي فقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم وأخرجتموهم فتفرقوا في البلاد وغرقوا كل ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه فلم يطيعوه وقالوا من يخرجنا ونحن أعز العرب وأكثرها رجالا وسلاحا فقال لهم اذا جاء أمر الله بطل ما تقولونه فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال التي كانت تهدى الى الكعبة ودفنها في بئر زمزم وقد نضب ماؤها فحفرها بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها الغزالين والاموال وطم

وهو اذ ذاك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة ويمدح أبانمي ويحسن فعله

ألم يبلغك شأن بني حسين ۞ وفرهم وما فعل الحرون
فبالله فعـل أبي نمي ۞ وبعض الناس تشبهه الحتوت
يصف بار بعين على مئين ۞ وكم من كثرة طلبت تهون

ثم ان أبانمي دخل مكة بعد هزم الجيش مسرورا منصورا فأكرمه أبوه بأن جعله شريكا له في الملك وكان أبوه الحسن بن علي بن قتادة من الشجاعة بالمحل الاعلى وكانت أمه أم ولد حبشية يحكى أنه كان في بعض حروبه فلحقته أمه في هودج ودعته فلما جاءها قالت له يا بني انك تقف اليوم موقفا ان ظفرت فيه بعدوك قال الناس ظفر ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هربت قال الناس هرب ابن الامة السوداء فانظر لنفسك فانه لا موت قبل فراغ العمر فشكر لها ذلك وقال جزاك الله خيرا فلقد نصحت وأبلغت ثم ردها وقاتل قتالا عظيما حتى ظفر وأقام الحسن بن علي بن قتادة على ولاية مكة أربع سنين وفي سنة احدى وخمسين وستمائة قدم الشريف (جماز بن حسن بن قتادة) من دمشق في عسكر من الملك الناصر على انه يأخذ له مكة ويخطب له بها فدخل مكة في رمضان واستولى عليها وقتل الحسن بن علي بن قتادة ثم نقض العهد السابق مع الناصر وخطب للملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن واستمر الى الحج فقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش واستولى على مكة وخرج منها جماز بن الحسن بن قتادة بلا قتال وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة واستمر فيها الى شهر ربيع الاول سنة ثنتين وخمسين وستمائة فهجم على مكة ابنه (غانم بن راجح) وانتزع الملك من أبيه وتوفي الشريف راجح سنة أربع وخمسين وستمائة وكان شجاعا طوالا من الرجال اذا قام تصل يده الى ركبتيه واستمر غانم بن راجح الى شوال من السنة المذكورة فانتزعها منه (أبونمي وعمه ادريس بن علي بن قتادة) بعد قتال بينهم مات فيها ثلاثة أنفار واستمرا الى الخامس والعشرين من ذي القعدة فجاء جيش المبارز بن علي بن الحسن بن برطاس من الملك المظفر صاحب اليمن فجمع ادريس وأبونمي جموعا فقاتلوا ابن برطاس وهزموه وأسروه ثم افتدى نفسه ورجع من حيث جاء ولم يحج أحد تلك السنة لهذه الفتنة وفي سنة أربع وخمسين وستمائة تنازع ادريس وأبونمي ثم اصطلحا واستمرا الى سنة سبع وستين وستمائة فتنازعا وانفرد بها أبونمي وأخرج عمه ادريس وخطب لصاحب مصر السلطان بيبرس وحج السلطان بيبرس تلك السنة فلاقاه الشريف أبونمي وأصلح بينه وبين عمه ادريس واشركه معه في أمر مكة ثم توجه الى بلاده فانفرد بها ادريس وأخرج أبانمي فبعد أربعين يوما جمع جموعا وقصد مكة فخرج اليه الشريف ادريس والتقيا فخلص فقتل

البئر واعتزل جرهما وأخذ معه بنى اسمعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة وأخرجت جرهما من البلاد ووليت أمر مكة وصاروا أهلها فجاءهم بنو اسمعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوا خزاعة السكن معهم فأذنوا لهم وسألهم فى ذلك مضاض بن عمرو الجرهمى وكان قد اعتزل أيضا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستأذنهم ان يساكنهم فأبت خزاعة وقالت من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر ونزعت ابل لمضاض بن عمرو فدخلت مكة فأخذتها خزاعة ونحرتها وتوارثتها كلها فاقتص مضاض أثرها فوجدها فى بطن وادى مكة فأبصر الابل تنحر وتؤكل ولا سبيل اليها ورأى انه ان هبط الوادى قتل فولى منصرفا الى أهله وأنشأ يقول

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا • أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطا فجنوبه • الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا • صروف الليالى والجدود العواثر
وأبدلنا عنها الالٰه دار غربة • بها الذئب يعوى والعدو محاصر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت • نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة • فأبناؤه منا ونحن الاصاهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة • كذلك يا للناس تجرى المقادر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة • كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تبكى لبلدة • بها حرم أمن وفيها المشاعر
بواد أنيس لا يطار حمامه • ولا ينفرن يوما لديها العصافر
وفيها وحوش لا تريب أنيسه • اذا خرجت منها فما ان تغادر
فياليت شعرى هل يعمر بعدنا • جياد ومفضى سيله والظواهر   ظلما اهما
وهل فرج يأتى بشئ نريده • وهل جزع ينجيك مما تحاذر

وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة وفيهم بنو اسمعيل لا ينازعونهم فى شئ ولا يطلبونه الى أن كبر شأن قصى بن كلاب بن مرة فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة وكان قصى أول رجل من بنى كنانة أصاب بمكة فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والقيادة وهو الذى جمع أمر قريش فسمى مجمعا بكر المهم المشددة وفى ذلك يقول القائل

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر
هم ملكوا البطحاء مجدا وسوددا •

الشريف ادريس وذلك سنة تسع وستين وستمائة فدخل أبو نمى مكة واستقل بولايتها فاستنجد عمه ادريس بجماز بن شيحة صاحب المدينة فجمع جموعا وقصد مكة وأخرج أبا نمى ثم عاد أبو نمى بعد أربعين يوما ومعه جموع وأخرجهما واستمر بها

﴿ذكر من مات من الزحام بباب العمرة﴾

قال الفاسى وفى سنة ستمائة وسبعة وسبعين مات من الزحام بباب العمرة ثمانون رجلا وفى سنة ستمائة وثلاثة وثمانين وقعت فتنة بين الشريف أبى نمى وبين بنى أخيه وأعانهم عليه عسكر وردوا من اليمن فخرج الشريف أبو نمى من مكة وجمع جموعا وأخرج بنى أخيه والعسكر اليمنى فورد جيش من مصر مع الحج لاخراج أبى نمى وكان على مكة سور فأغلق أبو نمى أبواب السور ومنعهم من الدخول فحاصروه وأحرقوا باب السور من جهة المعلا ودخلوا مكة وفر من مكة أبو نمى زمن الحج فأقام بمكة ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قبل صاحب مصر فاتفق أن خرج منهم ناس الى جهة منى فتمكن لهم أبو نمى فى تلك الناحية وهجم عليهم وقتل أميرهم ثم نادى مناديه من قتل رجلا فله فرسه وسلبه فقتلت العرب بالترك وأخذ رواحلهم وسلاحهم ثم دخل العرب مكة وصدقوا معه فكسروا ما وجدوه بمكة من العسكر وفر من فر الى مصر فلما بلغ ذلك صاحب مصر جهز جيشا كثيفا وأراد أن يسير بنفسه فعذله بعض الصالحين ومنعه وأدركته مكاتيب الشريف أبى نمى وهداياه وهو يعتذر اليه فقبل عذره وأبقاه على امارة مكة ثم فى سنة ستمائة وثمانية وثمانين ولى السلطان قلاوون صاحب مصر على مكة (جماز بن شيحة الحسينى) صاحب المدينة وأمده بعسكر فخرج منها أبو نمى ودخلوا مكة ثم عاد أبو نمى وأخرجهم منها وفى سنة ستمائة وتسعة وثمانين وقع بين الشريف أبى نمى وبين الحاج فتنة بالثنية من الشبيكة وانتهى الامر الى أن حصروا مكة وشهروا بها أكثر من عشرة آلاف سيف وقتل من الفريقين أربعين نفسا من جماعة ولد الشريف أحد بن قتادة وأما الجرحى فكثير ونهبت أموال الناس واستمر الشريف أبو نمى منفردا بمكة الى سنة سبعمائة وواحد فلما كان شهر صفر نزل عن ولاية مكة لولديه (الشريف حميضة ورميثة) ثم توفى الشريف أبو نمى بعد ذلك بيومين وخلف ثلاثين ولدا ما بين ذكر وأنثى ولما توفى صلى عليه وطيف بنعشه سبعا على جرى عادتهم ودفن وبنى عليه قبة بالمعلا وكان فاضلا كريما شجاعا وكانت ولايته مكة انفرادا ومشاركة لابيه وعمه نحو خمسين سنة الا أوقات يسيرة زالت ولايته عنها وبقى ملك مكة فى بنيه ثم بعد وفاته استمر ولداه حميضة ورميثة الى الموسم وفى هذه السنة حج الامير بيبرس صاحب الكرك فلما كان بمكة اجتمع به الشريف (عطيفة وأبو الغيث) ابنا الشريف أبى نمى وشكيا اليه أن أخويهما

وهم طردوا عنها خزاعة بني عمرو وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصي والتقرش هو الاجتماع وما كان يسمى قريش قبل ذلك قريشا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بنو قصي كذلك الى ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام في هذا المقال وهو مع ذلك قطرة من بحر فاختصرنا منه هذا المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار ﴿الخامس والسادس بناء العمالقة للكعبة المعظمة﴾ ذكر الازرقي في ذلك وذكر سنده الى سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في خبر بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم وذكر الفاكهي بسنده الى سيدنا علي بن أبي طالب أيضا رضي الله عنه أنه قال أول من بنى البيت ابراهيم عليه السلام ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم فبنته العمالقة قال السيد التقي قلت هذا يقتضي ان جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضي أن العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبري في القرى وذكر المسعودي في مروج الذهب أن الذي بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد في بناء البيت ورفعه كما كان عليه بناء ابراهيم عليه السلام والله أعلم بحقيقة ذلك وذكر الازرقي شيئا من خبر العمالقة يقتضي سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان بمكة حي يقال لهم العماليق كانوا في عز وثروة وكانت لهم خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما حولها وكانت العضاه ملتفة مبقلة وكانوا في عيش رخي فبغوا في الارض وأسرفوا على أنفسهم وأظهروا المظالم والالحاد ولم يشكروا الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فاخرجهم الله بأن سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم حتى ألحقهم بمسقط رؤس آبائهم ببلاد اليمن فتفرقوا وهلكوا وأبدل الله بعدهم الحرم جرهم فكانوا سكانه الى أن بغوا فيه أيضا فاهلكهم جميعا ﴿السابع بناء قصي للكعبة المعظمة﴾ ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب النسب أن قصي بن كلاب لما ولي أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبنه أحد من بناتها قبله مثله وذكر أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في مغازيه أن قصي بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الامام الماوردي في الاحكام السلطانية فانه قال فيها أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد

طالباهما واستبدا بامارة مكة واتهما قد قهرا اهلها وآذيا الاهالي الخلق فولاهما الامير بيبرس على مكة وقبض على حميضة ورميثة وصحبهما معه الى مصر وقيل وليها أبو الغيث ومحمد بن ادريس بن قتادة وفي سنة سبعمائة وثلاثة عاد رميثة وحميضة من مصر والمين على مكة وأظهر العدل ثم رجعا الى الجور فبعث اليهما صاحب مصر جيشا فانهزما ثم عادا وفي سنة اثني عشر وسبعمائة حج الناصر قلاوون صاحب مصر ففرا منه ثم عادا بعد رجوعه وفي سنة سبعمائة وثلاثة عشر وصل عسكر من صاحب مصر ومعهم ثلاثمائة فارس مدرعين ومعهم أبو الغيث بن أبي نمي فلما سمع بهم حميضة ورميثة فرا الى حلي من أرض اليمن واستولى أبو الغيث على مكة وقصد حلبا من معه في طلب حميضة ورميثة فلم يظفر بهما الا انهما بالسراة فرجع الى مكة وأقام الجيش بمكة شهرين ثم ان أبا الغيث قصر في حق الجيش وكتب لهم خطابا بانه غني عنهم فعادوا الى مصر ولما بلغ حميضة رجوع الجيش قصد أبا الغيث بجمع من العرب وانتزع مكة منه وقتله على فراشه وذلك سنة سبعمائة وأربعة عشر وبعد أن قتله جاء الى داره ثم استدعى اخوانه للضيافة فأتوه فقدم لهم أخاهم أبا الغيث مصلوقا في جفنة وكان قد أوقف على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين في يد كل واحد منهما سيف فاذعنوا له واستقر حميضة مستقلا بأمر مكة فانتزعها منه أخوه رميثة في شعبان سنة سبعمائة وخمسة عشر بولاية من الناصر صاحب مصر وجاء معه جيش فهرب حميضة الى الخلف والخليف وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام بعد ان أخذ ما جمعه من النقد وابن خمسمائة جمل وأحرق الباقي بالنار وكان وصول الجيش مكة منتصف شهر رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما ثم توجهوا الى الخلف والخليف وكان حميضة قد التجأ الى صاحب ذلك الحصن وصاهره لحميه فقصده أخوه رميثة بمن معه من العسكر الى هناك فوقعت بينهم محاربة وأسروا ابنا لحميضة وأخذوا جميع ما معه من الاموال ورجعوا الى مكة في شهر ذي القعدة وهرب حميضة الى العراق وقصد السلطان خدابنده من سلاطين التتار وكان مسلما فأكرمه وأنعم عليه فلما رأى اقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعده بان يخطب له بها فعين له عشرة آلاف من العسكر وأمر عليهم السيد طالبا الافطس وأرسل الشريف حميضة الى أمراء العرب فاجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤا الى أمراء طي وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابنده في أثناء ذلك وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الافطس عداوة فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة فنهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة وقاتل الشريف حميضة العرب قتالا شديدا وشد حتى قال الافطس مازلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

انتهى الفاسي في شفاء الغرام وما رواه القاضي الزبير بن بكار أن قصياً بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعاً ففيه نظر لما اشتهر في الأحكام أن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى طول الكعبة تسعة أذرع وأن قصياً أراد أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعاً فالمعروف أنه من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعاً في بناء الخليل بل يزيد عن الثلاثين مقداراً قليلاً وان أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعاً ثلاثة أذرع أو أزيد وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير أن قريشاً اقتصرت من عرضها في جهة الحجر الشريف لأمر اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن الزبير عناداً له والله تعالى أعلم. وكان مبدأ أمر

قصي أن أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل فولدت له زهرة وقصياً فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وفتح الصاد مصغر قصي بمعنى بعيد واسمه زيد وانما لقب قصياً لأنه أبعد عن أهله ووطنه مع أمه لما توفي أبوه فانها تزوجت ربيعة بن حرام فرحل بها الى الشام وولدت له رزاحاً فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر فعيروه بالغربة وقالوا ألا تلحق بقومك وكان لا يعرف له أباً غير ربيعة بن حرام زوج أمه فشكى اليها ما عيروه به فقالت له يا ولدي أنت أكرم أباً منهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فقدم لمكة فعرف له قومه فضله فقدموه وأكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم حليل بن حبشية الخزاعي بيده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى حليل ابنته فعرف حليل نسبه فزوجه ابنته عيسى

رميثة

فتزوجها قصي وكثرت أولاده وأمواله وعظم شأنه وهلك حليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته عيسى فقالت لا أقدر على السدانة فجعلت ذلك لأبي غبشان وكان سكيراً يحب الخمر فأعوزه في بعض الأوقات ما يشرب به من الخمر فباع مفتاح البيت بزق خمر فاشتراه منه قصي وسار في الأمثال أخسر صفقة من أبي غبشان فلما صار المفتاح الى قصي تناكرت خزاعة وكثر كلامها عليه فأجمع على حربهم فأثار بهم وأخرجهم من مكة وولي قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه فملكوه على أنفسهم وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة ويعظمونها على أن يبنوا بها بيتاً مع بيت الله فكانوا يكمنون بمكة نهاراً فاذا أمسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون الجنابة بمكة

حتى شاهدتها من الشريف حميضة معاينة ثم ان الشريف حميضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب الى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخلها الا باذن السلطان فكتب الى السلطان بمصر يعرفه بذلك وانه ليس مع أخيه الا فرس واحدة فكتب اليه السلطان ان وافق أن يأتي الى أبواب بلاد يقيم عندنا فاقامته وساعه يؤتوه بالسالفة وأما الحجاز فلا يقيم فيه وكتب السلطان بالامان لحميضة وأرسله مع عدة من الأتراك لاحضار حميضة فلما وصلوا اعتذر حميضة بعدم القدرة على السفر وتغيب عنهم فرجعوا الى مصر واستمر رميثة الى انقضاء السنة فلما كان يوم الأحد سادس جمادى الآخرة سنة سبعمائة وثمانية عشر أقبل حميضة بجموع ودخل مكة وأخرج منها رميثة وخطب حميضة لملك العراق وهو ابن خدابنده أبي سعيد وقيل ان استيلاءه هذا كان برضا من رميثة فجهز الملك الناصر جيشاً من مصر وأمرهم أن لا يعودوا الا بعد القبض على حميضة فلم يظفروا به بل ترك مكة وفر منها وبقي مبعداً الى أن قتل بالشرق وقيل ان الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة وقيل ان جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه وبقي رميثة على ولاية مكة ثم قبض عليه بهادر مقدم العسكر الذي بعث به الناصر وولى الناصر سنة تسعة عشر (عطيفة بن أبي نمي) وجهز معه جيشاً اوعز الملك الناصر تلك السنة وفي سنة سبعمائة واحدى وعشرين توجه الشريف عطيفة الى مصر من القحط الذي حصل بمكة من عدم الامطار وقلة الواصل من البحر فرسم السلطان بنقل الحب الى مكة ورتب لصاحب مكة كل عام شيأ من القمح يحمل اليه من الصعيد وألزمه أن يسقط المكس الذي يأخذه على الواردين ففعل ذلك وفي سنة اثنين وعشرين وسبعمائة أطلق الملك الناصر الشريف رميثة وأشركه مع أخيه عطيفة في ولاية مكة

﴿ذكر الفتنة بين الترك والتكارنة﴾

وفي سنة سبعمائة وأربعة وعشرين حج ملك التكرور موسى وحضر معه للحج أكثر من خمسة عشر ألفاً من التكارير ووقعت فتنة بين الترك والتكارير بالمسجد الحرام وأشهرت السيوف بالمسجد وكان أمير التكرور بالشباك المشرف على المسجد من رباط هناك فأمر جماعته بالكف فامسكوا وفي سنة سبعمائة وثلاثين وقعت فتنة بين أمير المصريين وأهل مكة وقتل الأمير وابنه وجماعة منهم وذلك يوم الرابع عشر من ذي الحجة والخطيب يخطب فلما بلغ السلطان ذلك غضب ونوى أن يبعث الى مكة جيوشاً ويستأصل الاشراف فقيض الله له قاضي القضاة جلال الدين القزويني فوعظه وعظاً بليغاً وصرفه عن نيته ترضي على رميثة وأبنائه والباغي على مكة عقرده ورحل عطيفة الى مصر واستمر رميثة الى سنة سبعمائة وأربعة وثلاثين فاشترك معه أخاه عطيفة بلا قتال ثم انفرد بها

فلما جمع قصي قومه اليه أذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا وان يكثروها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد اخراجكم فقالوا له أنت سيدنا ورأينا تبع لرأيك فجمعهم حول البيت وفي ذلك يقول القائل

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر
وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم * به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وابتدأ وبنى دار الندوة وهي في اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها قال الازرقي ولم يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن أربعين سنة وكان ولد قصي كلهم أجمعون يدخلونها وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا المطاف بيت الله تعالى مقدارا وقال انه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمى بالمطاف الشريف وشرعوا أبواب بيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كل بيتين طريقا ينفذ منه الى المطاف الى أن زاد عمر رضي الله عنه في المسجد الحرام وتبعه عثمان رضي الله عنه وتبعهما غيرهما على ما سيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصي أول ملك من بني كعب أصاب ملكا أطاعه به قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من أكرم لئيما شركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان * وكان اجتمع لقصي ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهي سدانة البيت الشريف أي توليته مفتاح بيت الله والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة يجلب البهائم من الخارج فيسقي الحاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه الحاج وكانت وظيفته فيهم والرفادة اطعام الطعام لسائر الحاج عدلهم الاسمطة في أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد التقي رحمه الله ان الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر الى أيامنا وقال وهو الطعام يصنع بأمر السلطان كل عام حتى ينقضي الحج * قلت وأما في زماننا فلا يفعل شئ من ذلك ولا أدري متى انقطع وأما الندوة فقد تقدم بيانها وأما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى محاربة عدو فيجتمعون

رميثة وأخرج عطيفة ليلة رحيل الحاج من مكة واستمر الى سنة سبعمائة وخمسة وثلاثين فرجع عطيفة وشاركه الى اثنا سنة سبعمائة وستة وثلاثين فتنافرا فاقام عطيفة بمكة وخرج رميثة وأقام بالجديد من وادي مر ثم هجم رميثة مكة في شهر رمضان من السنة المذكورة فلم يظفر وخرج منها بعد ان قتل وزير عطيفة وبعض أصحابه وأقام بالجديد ثم اصطلحا سنة سبعة وثلاثين ثم انفرد رميثة بالولاية بعد ان حضر هو وأخوه عطيفة عند الملك الناصر بمصر فاعتقل عطيفة وبعث رميثة الى مكة ولم يزل عطيفة بمصر الى أن توفي بها سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان موصوفا بالشجاعة والكرم

﴿ذكر فتنة بعرفة بين الاشراف وأمير الحج المصري﴾

وفي سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين كان بعرفة فتنة وقتال عظيم بين الاشراف وأمير الحج وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الاشراف نفر يسير منهم السيد محمد بن عقبة بن ادريس بن قتادة وبعد الوقوف توجهوا الى مكة وتحصنوا بها وتركوا الحضور الى منى في أيامها ودخل الحج مكة قبل النفر الاول وفات كثير من الناس المناسك بسبب هذه الفتنة وفي سنة سبعمائة وأربعة وأربعين وقعت أيضا فتنة بين أمير الحاج وأهل مكة وقتل جماعة وخمدت الفتنة ولم يزل الشريف رميثة متوليا الى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فنزل عن الولاية وتركها لولديه ثقبة وعجلان الكبير وعجزه ثم ان ثقبة توجه الى مصر يطلب مكة من السلطان الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد قلاوون فلما وصل اليه اعتقله وأمر برد ولاية مكة الى أبيه رميثة فوردت اليه وخرج الشريف عجلان الى اليمن ومنع الجلاب من الوصول الى مكة ولما رحل الحج قصد مكة ونزل الزاهر ثم اصطلح مع أبيه

﴿ولاية الشريف عجلان بن رميثة﴾

وفي سنة ست وأربعين توجه الشريف عجلان الى مصر فولاه الملك الصالح مكة دون أبيه فوصل الى مكة ومعه خمسون مملوكا وقبض على البلاد بلا قتال في حياة أبيه وبايعه أخوه ثقبة وخرج الى وادي نخلة وأقام مع رميثة بمكة أخواه سند ومغامس وأعطاهما رسوما يأكلانها ثم أخرجهما الى مر الظهران ثم لحقا بأخيهما ثقبة بنخلة فلم يجداه وأخبرا انه توجه الى مصر فلحقاه بمصر فقبض عليهم جميعا وكان الملك الصالح قد توفي قبل وصول عجلان الى مكة وتسلطن بعده أخوه الكامل شعبان وكتب الى عجلان بالولاية وتوفي الشريف رميثة سنة ست وأربعين أيام مجيء ابنه عجلان من مصر وولايته عليها وكان عند وصوله زين السوق بمكة وفي أثناء الزينة توفي أبوه رميثة وكانت ولايته مكة سبع مرات كما في تاريخ الرضي شريكا لاخيه حميضة نحو عشر سنين وشريكا لاخيه عطيفة نحو

يحبسونها ويقاتلون عندها والقيادة امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب وهذه كلها اجتمعت في قصي فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين
أولاده وكان عبد الدار أكبر أولاده وكان عبد مناف أشرف زمان أبيه فقال قصي لعبد الدار لالحقنك يا بني بالقوم وان شرفوا
عليك فاعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له وأعطاه السقاية واللواء
وقال لا يشرب أحد الا من سقايتك ولا يعقدوا لقريش لواء لحربها الا أنت بيدك وجعل له الرفادة وقال لا يأكل من هذا الموسم
طعام الا من طعامك وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله
من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصي فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله
وأهل بيته وأهل حرمه
وان الحاج ضيف الله
وزوار بيته وهم أحق
الاضياف بالكرامة
فاجعلوا لهم طعاما وشرابا
أيام الحج حتى يصدروا عنكم
فجعل قصي كلما كان بيده
من أمر قومه الى عبد الدار
وكان قصي لا يخالف ولا
يرد عليه شئ صنعه لعظم
شأنه وقاد سلطانه قال ابن
اسحق ثم ان قصيا هلك
فقام على أمره بنوه من
بعده ثم ان بني عبد مناف
هاشما وعبد شمس
والمطلب ونوفلا أجمعوا
على أن يأخذوا ما بأيدي
بني عبد الدار من الحجابة
واللواء والسقاية والرفادة
ورأوا أنهم أولى بذلك منهم
لشرفهم عليهم وفضلهم
وتفرقت قريش فكانت
طائفة منهم يرون ان بني
عبد مناف أحق من بني
عبد الدار وطائفة يرون
ابقاء بني عبد الدار على
ما جعله قصي لابيهم فاجمعوا
على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء والندوة
لبني عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولي الرفادة والسقاية هاشم وكان عبد شمس سفارا مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا وهو أول من
سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانما سمي هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه
كما قال القائل
عمرو الذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت اليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الاصياف
ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا فولي الرفادة والسقاية أخوه المطلب بن عبد مناف وكان
ذا شرف وكرم وكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان أصغر من عبد شمس فتوفي المطلب بردمان من أرض اليمن وتوفي

خمس سنين ومنفردا عنه خمس عشرة سنة فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وكان الشريف رميثة
كريما شجاعا ممدوحا

﴿ذكر شراكة ثقبة وسند ومغامس للشريف عجلان في ولاية مكة﴾

وفي سنة سبع وأربعين أو ثمان وأربعين أطلق السلطان الشريف ثقبة وأخويه سندا ومغامسا
وأشركهم مع الشريف عجلان فجاؤا من مصر ومعهم مرسوم فيه أن لهم نصف البلاد وأن
الشريف عجلان له نصف البلاد ثم تنازعوا فكان ثقبة بالجديد من وادي مر فخرج اليه الشريف
عجلان وأراد قتاله فاصلح بينهما القواد ثم انسلخ الشريف عجلان عن البلاد فوثب ثقبة ودخل
البلاد فجاء الخبر الى الشريف عجلان فذهب الى مصر ومعه ولده أحمد فرجع متوليا مكة
وأخرج منها أخوته ثقبة وسندا ومغامسا الى اليمن وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين
وسبعمائة وفي سنة سبعمائة واحدى وخمسين حج الملك المجاهد صاحب اليمن فوقع بينه وبين
الشريف عجلان وحشة فاغرى به الشريف المصريين فقبضوا عليه ثم قيل انه لما أحس بهم هرب
الى جبل هناك وقاتل بعض جماعته ثم انكسروا ونهبت محطته باقيها فنزل من الجبل على أمان من
المصريين فقيدوه وقيل انه لما صعد الى الجبل ورأى القتل في جماعته نادى بأعلى صوته ان كان
القصد أنا فلا تقتلوا الناس فانا آتيكم فكفوا عن الحرب ونزل اليهم بنفسه فترجل له الامراء عن
الخيول وأركبوه بغلا وذهبوا به وألزم الامراء الشريف عجلان بحفظ الحج بعد ان ذهب أكثره
نهبا ثم ذهب المصريون بالملك المجاهد الى مصر فأكرمه صاحبها ثم جهزه الى بلاده فلما بلغ الدهنا من
وادي ينبع ورد أمر من صاحب مصر بالذهاب به الى الكرك فاعتقل هناك ثم شفع فيه فأعيد الى
مصر ثم توجه منها الى بلاده فوصلها في ذي الحجة سنة سبعمائة واثنين وخمسين وفي سنة احدى
وخمسين وسبعمائة ولي مكة الشريف ثقبة مع الشريف عجلان موافقة بينهما وكان ثقبة قد وليها
بمفرده في هذه السنة فلم يمكنه عجلان فاقام بخليص الى أن دخل مع أمير الحج فاصلح الامر بينه وبين
أخيه على المشاركة ثم استقل بها ثقبة اثناء سنة سبعمائة وثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه
عجلان واستمر ثقبة الى أن قبض أمير الحج عليه وعلى أخويه سند ومغامس وابن عمه محمد بن
عطيفة وفر عنه القواد والعبيد وذلك في موسم سبعمائة وأربعة وخمسين وذلك ان عجلان خرج الى
الامراء واشتكى عليهم أمره فدخلوا مكة وقبضوا على الاشراف ثم أحضروا الشريف عجلان
وألبسوه الخلعة من الزاهر ودخلوا به مكة وذهبوا بالاشراف الى مصر ثم أطلق ثقبة من مصر
واصطلح مع عجلان وشاركه في ولاية مكة سنة سبعمائة وسبعة وخمسين ثم انفرد بها ثقبة في ثالث
عشر

عبد شمس بمكة وتوفي نوفل بالعراق ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه
من قبله وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم * وكان أكبر أولاده الحارث لم يكن له أول أمره
غيره وبه كان يكنى فقال عدي بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب أو بالقلة
تعيرني فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة فلما كمل له عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى
الوفاء بذلك فأطاعوه وقالوا له أوف بنذرك وافعل ما شئت قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا
ودخل بهم على هبل وهو صنم كان يعبد في جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على هؤلاء
بقداحهم وأعطاه كل
واحد قدحه وكان عبد الله
ابن عبد المطلب أصغرهم
سنا وأحبهم الى والده ثم
ضرب صاحب القداح
فخرج السهم على عبد الله
فأخذ عبد المطلب بيده
وأخذ الشفرة ثم أقبل به
على اساف وهو صنم كان
على الصفا ليذبحه عنده
فجذب العباس عبد الله
من تحت رجل أبيه حتى
أثر في وجهه شجة لم تزل في
وجه عبد الله الى أن مات
فقامت قريش من أنديتها
وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال
الرجل يأتي بابنه فيذبحه
فما بقاء الناس على هذا
ولكن اعذر فيه فتفديه
بأموالنا وكان بالحجاز عرافة
كاهنة لها تابع من الجن
فانطلقوا حتى قدموا عليها
وقص عليها عبد المطلب
خبر نذره فقالت لهم
ارجعوا عني اليوم حتى
يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا
من عندها ثم غدوا عليها
فقالت كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت قربوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى
ولدكم واستمروا كذلك الى أن يخرج السهم على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقربوا
عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة فعشرة
حتى بلغت الابل مائة فخرج القدح على الابل فأعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل فأتي بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن
لحومها آدمي ولا وحش ولا طير قال الزهري وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل فجرت في قريش ثم في العرب
وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ((الثامن بناء قريش الكعبة المشرفة)) قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد

عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده في موسم هذه السنة ثم اشتركا
في موسم سنة سبعمائة وثمانية وخمسين ودامت ولايتهما الى أن عزلا سنة سبعمائة وستين بعد أن
استدعيا للحضور الى سلطان مصر الناصر حسن فاعتذرا فولاها (الشريف سند بن رميثة ومحمد
ابن عطيفة بن أبي نمي) وجهز مع محمد بن عطيفة جيشا كثيفا وكان سند باليمن مع أخويه فوصل الى
مكة ولازم العسكر والامراء

﴿ذكر فتنة بين الاشراف وعسكر مصر﴾

وفي سنة سبعمائة واحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والاشراف وقتل كثير من الاتراك
وعثرت بالشريف مغامس بن رميثة فرسه فسقط فقتله الاتراك وأسر الاشراف كثيرا من الاتراك
وأرسلوهم الى ينبع وصاروا يبيعونهم وينادي عليهم الاول كالعبيد فلما بلغ صاحب مصر هذه
الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده الى الاسكندرية الى البرج وكانا معتقلين عنده وأمر بتجهيز
عسكر للحجاز وأمرهم باستئصال الاشراف وقال لا حاجة لنا بهم فلم يقم بعد ذلك الا أياما حتى عزلته
الاتراك وولوا مصر الملك المنصور محمد بن المظفر فأطلق السيد عجلان وولاه مكة وأشرك معه أخاه
ثقبة بسؤال منه وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكرا وكان ثقبة بوادي مر فلما وصل
عجلان وادي مر اجتمع بأخيه ثقبة وكان عليلا فاستمر هنالك الى أن توفي في شوال سنة اثنين وستين
وسبعمائة وحمل الى مكة ودفن بها واستمر الشريف عجلان على ولاية مكة

((ذكر تشريك أحمد بن عجلان مع أبيه في ولاية مكة))

ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة وجعل له ربع المتحصل وقطع الدعاء لسند
على المنبر وأمر بالدعاء لابنه أحمد ثم ان سند بن رميثة استولى على جدة ونازع في الامر ولم يتم له
ومات بالمدينة سنة سبعمائة وثلاثة وستين واستمر عجلان وابنه الى سنة سبعمائة وأربع وستين
ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بسؤال أبيه له ذلك على شروط منها أن لا يقطع اسمه في الخطبة
والدعاء بأعلى زمزم فولي ابنه أحمد ذلك وكان نجيبا وجمع من الاموال والخيل ما لم يجمعه
أحد قبله من هذا الفرع وفي سنة سبعمائة وستة وستين أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة
وعوض عنه صاحب مكة مائة وستين ألف درهم من بيت المال وألف اردب قمح وقرر ذلك في
ديوان السلطان شعبان صاحب مصر ونقر ذلك في دعائم المسجد الحرام وذلك باق الى الآن من
جهة باب الصفا وباب الزيادة وباب الباسطية وفي سنة سبعمائة وخمسة وثمانين وقعت فتنة بين
حاج العسكر والمغاربة وبين حجاج العراق واليمن زمن الحج وقتل فيها نحو ألف انسان واستمر

الصالحي قدس الله تعالى روحه في كتاب سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وهو أحسن كتاب للمتأخرين وأبسطه في السيرة النبوية ولنا منه اجازة عامة رحمه الله تعالى ان امرأة جمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق أكثر أخشابها وجاء سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخل الا من شاؤا وكان البحر قد رمى سفينة الى ساحل جدة لتاجر رومي اسمه باقوم بموحدة وقاف مضمومة وكان نجارا بناء فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى جدة فابتاعوا خشب السفينة وكلموا باقوم الرومي أن يقدم معهم الى مكة فقدم اليها وأخذوا أخشاب السفينة أعدوها لسقف الكعبة قال الاموي (٣٤) كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد الى الكنيسة مع باقوم الى الكنيسة التي أحرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت قريبا من جدة بعث عليها ريحا فحطمتها انتهى قلت لا يعرف طريق بحر الروم والحبشة يرمى بها على جدة الا ان يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجهزها من بندر السويس أو الطور أو نحو ذلك قال ابن اسحق وكان بمكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم أن يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم قال وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى الى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها أحد الا احزألت وكشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويزعمون أنها تحفظ الكعبة وهدايا ها وان رأسها كرأس الجدي وظهرها وبطنها أسود وانها أقامت فيها خمسمائة سنة قال ابن عقبة فبعث الله تعالى طائرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش الصهريج

نرجو أن يكون الله تعالى رضي لنا ما أردنا فعله فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها قال ابن هشام فتقدم عائذ بن عمران بن مخزوم وهو خال النبي صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من مالكم الا حلالا لا يدخل فيه مهر بغي ولا ربا ولا مظلمة ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبني زهرة وبني عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى وبني عدي بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل

الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد الى سنة سبعمائة وسبعين فانتقل الشريف عجلان الى الجديد من وادي مر ثم توفي به وحمل على أعناق الرجال الى مكة وصلي عليه وطيف به أسبوعا ودفن بالمعلى وبني عليه قبة وقد بلغ سبعين سنة وكانت مدة ولايته استقلالا واشتراكا نحو ثلاثين سنة

((ذكر اشتراك محمد بن أحمد بن عجلان لابيه في ولاية مكة))

ثم استمر أحمد بن عجلان الى سنة سبعمائة وثمانية وسبعين فأشرك معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان ودامت ولايتهما الى أن توفي أحمد سنة سبعمائة وثمانية وثمانين

((ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام))

وفي سنة احدى وثمانين وسبعمائة مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثلاثون رجلا ولما ان توفي الشريف أحمد بن عجلان أقام ابنه محمد مائة يوم ثم قتل في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة قتله أمير الحج المصري وقيل قتل في أيام منى بسوق منى ضربه رجل بسكين مسمومة وغاب في سواد الناس ولم يعرف وقيل ان الشريف محمد بن أحمد بن عجلان كان في حبس أبيه جماعة من الاشراف منهم عمه محمد وخالاه أحمد وحسن ابنا ثقبة وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة فسأل السلطان أباه أحمد أن يطلقهم فأبى ثم كحلهم ابنه محمد بعد موت أبيه فتغير عليه السلطان وكان عمه عنان بن مغامس فر من أحمد بن عجلان فأضمر السلطان ولاية (عنان بن مغامس بن رميثة) عوض محمد وسيره من مصر مع الحج المصري ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحج المصري أن يحتفل بمحمد لئلا يتشوش فيفر ويفوت المراد فلما وصل الى مكة خرج محمد للقائه فلما حضر عند الجمل وثب عليه باطنيان فقرباه بجراحات مات منها من فوره وذلك يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة سبعمائة وثمانية وثمانين وله من العمر نحو عشرين سنة ولما قتل أعلنوا بولاية عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي عوضه ودخل مكة مع الترك وهم مسلحون حتى انتهوا الى أجياد ففر من ثبت لهم من جماعة محمد وثبتت ولاية مكة لعنان بن مغامس وله قصة عجيبة في فراره من مكة الى مصر خوفا من أحمد بن عجلان

((قصة فرار عنان بن مغامس من مكة الى مصر))

وذلك ان الشريف أحمد بن عجلان كان قد قبض على عنان وحسن بن ثقبة ومحمد بن عجلان وأحمد بن ثقبة وابنه علي وقيدهم وحبسهم ثم انهم أرادوا الفرار من الحبس ففطن بهم الحراس وفر منهم عنان وما شعر أحد به هنالك فسار الى جهة سوق الليل فصادف كبيش بن عجلان وجماعة يفتشون عليه يحفونهم فاختفى في محل هنالك وأراد الله خلاصه فلم يصادفوه وصادف بعض معارفه فأخفاه في بيت له ثم أنزله في صهريج ووضع عليه حشيشا فنمى الى كبيش انه قد لجأ الى البيت ففتشه سوى

معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فأفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق يكاد أن يخطف البصر
فانتهوا عند ذلك الاساس ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر واختصم فيه القبائل وكل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه
وكادوا أن يقتتلوا على ذلك فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم فيما
اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد
الامين وكان يسمى قبل أن يوحى اليه أمين الامانته وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه ثم قصوا عليه قصتهم فقال صلى الله عليه
وسلم هلم الى ثوب فأتى به فأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب ففعلوا وجميعا

واتوا به ورفعوه الى ما يحاذي
موضعه فتناوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
الثوب ووضعه بيده
الشريفة في محله وفي ذلك
يقول هبيرة بن أبي وهب
المخزومي
تشاجرت الاحياء في فصل
خطة
جرت طيرهم بالنحس من
بعد أسعد
تلاقوا بها بالبغض بعد
مودة
وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الامر قد جد جده
ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول
طالع
يجيء من البطحاء من غير
موعد
ففاجأنا هذا الامين محمد
فقلنا رضينا بالامين محمد
بخير قريش كلها أمس
شيمة
وفي اليوم مع ما يحدث الله
في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله

أعم وأرضى في العواقب والبد أخذنا بأطراف الرداء وكلنا • له حصة من رفعها قبضة اليد فقال ارفعوا حتى اذا ما علت به •
أكفهم وافى به غير مسند وكل رضينا فعله وصنيعه • فأعظم به من رأي هاد ومهتد وتلك يد منه علينا عظيمة •
يروح بها هذا الزمان ويغتدي (ولما بنت قريش الكعبة) جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة أذرع زائدة
على ما عمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها أذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة
ورفعوا بابها عن الارض ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا في داخلها ستة دعائم في صفين ثلاث في كل صف من شق الحجر
الى الشق اليماني وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة ((تنبيه)) اختلف في سن رسول الله صلى

الصهريج فلم يجده فرجع ثم ان عنانا بعث لبعض أصحابه فأخرجوه وركائب الى المعلى وجعلوا عليها
حشيشا ليخفى أمرها ولحقها عنان من سوق الليل وجاء الى المعابدة عند امرأة كان يعرفها فأخفته
بلباس ثياب النساء وبلغ الخبر الى كبيش فركب وأتى الى منزل تلك المرأة وسألها عنه فقالت من عنان
وأتت بكلام فهم منه انه ليس عندها فصدقها ورجع فلما جن الليل ركب عنان مع رجلين أو ثلاثة
ووصل خليصا وقد كانت ركائبه فسأل عن ناقة لصاحب له فقيل هي مهازيل أخبروه ان صاحبها كان اذا
فرغ من علفها قال ليت عنانا يخلص فنجو عليك فكانت ما عناه فركب عنان وسار الى مصر فأقبل
عليه الملك الظاهر برقوق وولاه مكة عوضا عن محمد بن أحمد بن عجلان كما تقدم وكان السيد كبيش بن
عجلان لما قتل محمد بن أحمد بن عجلان فر الى جدة فاستولى عليها بمن معه من العرب ونهب الاموال
التي بجدة والغلال التي فيها لبعض الدولة بمصر واتفت عليه للطمع بعض أصحاب عنان ثم انتقل
كبيش بما أخذه من الاموال للوادي وأكثر القتل في الطرقات وعنان مقيم بمكة
((مشاركة أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة لعنان في ولاية مكة))
وأشرك معه في الامارة ابن عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة وكان أحمد بن ثقبة ضريرا
لانه كحله محمد بن أحمد بن عجلان وانما أشركه لانه كان من أجل بني حسن وأسعدهم خيلا ورجالا
وسلاحا وكان يدعي لهم معه على زعمه ورأى ان ذلك تقويم لامره فكان الامر بخلاف ذلك فنما
الامر الى السلطان وعرفوه ما وقع من الاختلال فعزل عنانا
((ولاية علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي على مكة ورجوعه الى
مصر حيث لم يمكنه منها عنان))
وولي مكة (علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي) ووصل الخبر بولايته في ثاني شعبان سنة تسع وثمانين
وسبعمائة ثم قدم مكة ومعه كبيش وآل عجلان ومن جمعوا فلم يمكنهم منها عنان وأصحابه وقاتلوهم
بأذاخر وقتل كبيش ونحو عشرين معه ورجع آل عجلان الى الوادي ثم توجه علي بن عجلان الى مصر
((ذكر رجوع علي بن عجلان مشاركا لعنان في ولاية مكة))
فأعاده صاحب مصر وأشركه مع عنان بشرط حضور عنان الى خدمة المحمل المصري وجاء علي مع
المحمل فلما بلغ عنانا ذلك تهيأ للقاء المحمل خوفا كادان يصل خوف بآل عجلان فرجع الى الزاهر وأقام
بها وحج بالناس علي بن عجلان بعد ان قرأ توقيعه بالحطيم وسار بعد الحج بمن معه من الاتراك الى الزاهر
فهرب عنان ومن معه ولما رحل الحج المصري نزل عنان بمن معه الوادي وشارك علي بن عجلان في
جدة ثم سافر عنان الى مصر في اثنا سنة تسعين وسبعمائة فاعتقل هنالك واصطلح علي بن عجلان مع

الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الأقوال وروي عن مجاهد ان ذلك كان قبل المبعث بخمس سنين والله أعلم ((التاسع بناء عبد الله بن الزبير الكعبة الشريفة في زمن الاسلام)) وسيأتي تفصيل ذكره وما وقع له في الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ان شاء الله تعالى ((العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي)) بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير وسيأتي بيانه عقب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم وتعليته جوف الكعبة ورفع الباب الشريف الذي في لصق الملتزم وسد الباب الغربي الذي بلصق المستجار لا غير وما عدا ذلك في الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة ووجهه ظهرها وما بين الركن اليماني والحجر الاسود فهو بناء سيدنا عبد الله بن الزبير باق الى الآن كما سنذكره في زيادة عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم عليه السلام

((فصل في تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضة وقناديلها الشريفة)) قال أبو الوليد الأزرقي رحمه الله أول من حلى الكعبة الشريفة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين اللذين وجدهما في بئر زمزم حين حفرها ثم قال أول من ذهب البيت في الاسلام عبد الملك بن مروان وقال الفاسي ما يقتضي خلاف ذلك وقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وذكر الفاكهي ان عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب بها على باب الكعبة الزيارة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل . وذكر الأزرقي ان الأمين بن هارون الرشيد أرسل الى عامله على مكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار فضرب بها صفائح ذهب على الباب وجعل مساميرها وحلقتي الباب وأعتابه من الذهب وذكر أيضا ان حجبة الكعبة أرسلوا الى المتوكل العباسي يذكرون له ان زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها كانتا ذهبا فأرسل المتوكل الى اسحق بن سلمة الصائغ بذهب وأمره بعمل ذلك فكسر اسحق تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلاثة أذرع وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه

الاشراف بمكة واستمر الى سنة سبعمائة واثنين وتسعين وفي اثنائها شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فوصل مكة في نصف شعبان من السنة المذكورة واصطلح هو وآل عجلان وكان معه القواد ومع علي الشرفاء واستمر الى شهر صفر سنة سبعمائة وأربعة وتسعين فولي مكة علي بن عجلان بمفرده وذلك ان بعض آل عجلان هم بقتل عنان في المسعى فنفر ولم يظفروا به وخرج من مكة ولم يدخلها الا بعد ان استدعاه هو وعلي بن عجلان سلطان مصر فدخل عنان مكة ليتجهز بعد ان أخليت من العبيد فأقام مدة يسيرة وخرج الى مصر ولحقه علي بن عجلان واستخلف على مكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد وقبض على عنان بمصر وسجن بالاسكندرية مع جماز الحسيني صاحب المدينة وعلي بن مبارك بن رميثة ووالده وذلك سنة سبعمائة وتسعة وتسعين ورجع علي بن عجلان الى مكة متوليا من الظاهر برقوق

((موت الشريف عنان بمصر))

ثم نقل عنان الى مصر سنة ثمانمائة وأربعة وحصل له مرض اقتضى استئصال بعض جسده فعولج لذلك باجماعه في محل حمي بالنار فاشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمسة عن ثلاث وستين سنة وكان شجاعا مقداما جوادا ذكر ان أجاز الشاعر ابن العليف في قصيدة بثلاثين ألف درهم واستمرت ولاية علي بن عجلان الى أن استشهد في سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين وكان مغلوبا عليه من الاشراف وذلك انه بعد وصوله من مصر بشهر قبض على جماعة من الاشراف والقواد فخودع فيهم فأطلقهم فصاروا يشوشون عليه ويكلفونه ما لا تصل قدرته اليه

((قتل الشريف علي بن عجلان))

فأفضى الحال الى أن قل الأمان بمكة وبجدة فقصد التجار ينبع ولحق أهل مكة لذلك شدة وما زال القواد به حتى عملوا على قتله فقتلوه سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين ولما قتل ولي مكة أخوه (الشريف محمد بن عجلان)

((ولاية الشريف الحسن بن عجلان))

وتقوى بالعبيد الى أن وصل أخوه الشريف الحسن بن عجلان من مصر بولاية مكة عوضا عن أخيه لانه كان قبل ذلك توجه الى مصر مغاضبا لأخيه علي فلما وصل خبر قتل علي الى مصر جعل سلطان مصر الحسن واليا على مكة فجاء الى مكة ومعه عسكر ولاقاه أخوه محمد من عسفان ودخل مكة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة سبعمائة وثمانية وتسعين وهرب منه بعض الاشراف ثم خرج الى بئر شمس لقتالهم فساروا منه الى وادي مر فسار اليهم والتقوا بمكان يقال له

المنطقة قال وكان اسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتاكلت فأبدلها بخشب آخر والبسه صفائح من فضة قال اسحق الصائغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعين ألف درهم وذكر السيد القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ما وقع بعد الازرقي من تحلية البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة قلع أيام الفتنة عضادتي باب الكعبة وعتبتها وسبكهما دنانير وصرفها ماعلى الفتنة فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه وأعيدت كما كانت قال ومن ذلك ان ام المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت الشريف ذهبا فعمل ذلك في سنة عشر وثلثمائة قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين ابن محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر أنفذ في سنة تسع وأربعين وخمسمائة حاجبه الى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان الكعبة من داخلها قال ومن حلاها الملك المظفر الغساني صاحب اليمن ومن حلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن أيضا ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة الذي عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة انتهى ما ذكره التقي الفاسي رحمه الله قلت وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان يختلس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف أسفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسلمي اراس يفعل ذلك وحبسوا واهينوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية في أيام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان أسكنه الله تعالى فراديس الجنان في سنة احدى وستين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة في منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر أحمد جلبي المقاطعجي صهر المرحوم محمد بن سليمان دفتردار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان يشعر لطيفا بالتركي وتخلصه تيركاوتا جلبي وترجم باللسان التركي كتابه روضة الشهداء لمولانا جامي وضمنه من لطائف النظم والنثر ما يستحسنه ومن محاسن السجع ما يحسن على السمع وهو كتاب مقبول

الزيارة فقاتلهم وقتل منهم عدة وعجز عن ولاية مكة وحاس الناس من الرعية والتجار وكان أديبا فاضلا شاعرا واستقر الشريف حسن بن عجلان على ولاية مكة الى سنة ثمانمائة وتسعة فأشرك معه ولده بركات بن حسن في امارة مكة وفي هذه السنة وصلت هدية كبيرة من صاحب بنقالة السلطان غياث الدين أعظم شاه ومعها صدقة لاهل الحرمين وخلع للقضاة والائمة وهدية من صاحب كنباية وكتاب يخبر فيه انه أمر ببناء البنالات للناس في صلاة الجمعة لا يجدون ما يستظلون به من الشمس عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام وان بعض الناس منهم الشيخ حسن المناوي حسن البنالات فجعل ما يستظل به الناس وانا اعتنا بخيام تنصب في المطاف فانت تلك الخيام ونصبت حول المطاف مدة قليلة وكان في نصبها ضرر لعثار الناس بأطنابها فأخذها الشريف بعد سفر الحج المصري بأيام قلائل وفي سنة ثمانمائة وعشرة تكلم الشريف حسن لابنه أحمد في مشاركته لاخيه بركات فولى السلطان نصف امارة مكة لاحمد شركة لاخيه وولى أباهما نيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز وجاء التوقيع من السلطنة سنة احدى عشرة وثمانمائة فكان الخطيب يدعو للشريف حسن وولديه بمكة ويدعى في المدينة للشريف حسن بمفرده وفي سنة ثمانمائة واثني عشرة كان بين الشريف حسن وأمير الحاج المصري منافرة حصل بسببها قتل في الحاج ونهب لكثير منهم حال توجههم لعرفة ومنى وتخلف أكثر أهل مكة عن الحج وسبب ذلك ان أمير الحاج لما وصل الى ينبع أعلن للناس ان أمير مكة معزول وانه يريد محاربته فبلغ الخبر الى الشريف فاستعد للقتال وجمع من الخيل والرجال ما لم يجمع مثله أحد قبله من امراء مكة قيل ستمائة فرس وخمسة آلاف مقاتل حتى ضاقت بهم مكة ونعبت الخواطر وتوقع الناس فتنة عظيمة فيما بينهم كذلك اذ لا طف الله وأتى الخبر من مصر أن السلطان قد أعاد الشريف حسنا وأولاده وبعث اليهم بالخلع مع خادمه الخاص فيروز وبعد ذلك بيوم أو يومين وصل الخادم فيروز مكة وألبس الشريف وأولاده التشاريف السلطانية وقرأ العهد الذي معه بعودهم وتأخر أمير الحج عن الدخول تخوفا من الشريف لما بلغه ما عومه من القوة فتكلم الاعاقل وزموا الشريف في عدم مؤاخذة أمير الحاج وطلب منه ان يأذن له في الدخول فأجابه الشريف الى ذلك مع اشتراط ان يسلم اليه الامير جميع ما معه من السلاح الى وقت خروجه فمضى فيروز المذكور وذلك وسلم أمير الحاج جميع ما معه من السلاح للشريف ودخل مكة مع فيروز المذكور وحضر بين يدي مولانا الشريف واعتذر اليه ثم انه خرج من عنده وانقبض كل منهما عن صاحبه الى ان انقضت أيام الحج ووقف الناس بعرفة في هذه السنة يومين لاختلاف وقع في الشهور وتوجه أمير الحاج بالحج بعد ان دفع اليه الشريف سلاحه وظهر من الشريف في حقه ما حمده

متداول بين الناس الظرفاء وكان وصوله الى مكة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان في البيت الشريف خشبة من أخشاب
خشبة المنيف انكسرت وسار الماء ينزله من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضي مصر يومئذ قدوة علماء الموالي
العظام مولانا حامد أفندي وهو اليوم مفتي ممالك الاسلام بالباب العالي أطال الله عمره المديد وأدام بقاءه السعيد فدخل الى بلد
الله الحرام وقاضي مكة يومئذ الافندي مولانا محمد بن محمود المعروف بخواجه قيني أسكنهما الله فسيح الجنان وحف تربتهما بالروح
والريحان فاطلعا على هذا الاختلال وعرضاه على الابواب الشريفة السلطانية فلما وصل العرض الى المرحوم المقدس المغفور
الاقدس السلطان سليمان خان جازاه أعلى غرف الجنان أرسل الى مفتي الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا
أبي السعود أفندي المفتي
الاعظم قدس الله روحه
يستفتيه عن حكم الله في
هذه المسئلة جوازا وعدم
جواز فكتب اليه بجواز
ذلك ان دعت الضرورة
اليه فارسل بجواب المفتي
الاعظم الى صاحب مصر
يومئذ الوزير المعظم
المرحوم علي باشا فأرسله
الوزير المذكور الى ناظر
الحرم المشار اليه وقاضي
مكة يومئذ محمد بن محمود
رحمهما الله تعالى مع أمر
شريف سلطاني مضمونه
العمل بمقتضى الفتوى
فجمع أحمد جلبي مؤن
العمارة والاخشاب
اللائقة لهذا العمل وكان
كاتبه مولانا مصطفى جلبي
ومعماره مصطفى المعمار
وقبل الشروع في العمل
اقتضى رأيهم مشاورة
العلماء في ذلك فجلس
مولانا الافندي محمد بن
محمود بن كمال بعد صلاة
الجمعة لاربع عشرة ليلة
خلت من ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة في الحرم الشريف واستحضر مفتي العلماء الشافعية
المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ومولانا الشيخ نور الدين علي بن ابراهيم العسيلي ومولانا القاضي يحيى بن
جار بن ظهيرة ومؤلف هذا الكتاب وتكلموا في هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من أعواد سقف الكعبة
مكسورين الاعلى محاذاة بنية الخشاب السقف الشريف من وسطها مقدار اثنى عشر قيراطا وذكر ان عودا ثالثا الى جانبهما
لجهة الباب الشريف نزل أيضا نحو أصابع عن محاذاة أعواد السقف الصحيحة هبوطا الى أسفل وانه يحتمل ان يكون مكسورا
أيضا ويحتمل ان يكون صحيحا لكنه اعوج باعوجاج مال الى جانبه من العود المكسور وشهد معه أحد الجمالي المصري وغيره

عليه

عند الناس كافة ولم يحج مولانا الشريف ولا احد من أولاده تلك السنة ولا أهل مكة الا القليل
وأصاب الحج مشقة بين المأزمين فحصل هناك قتل ونهب من غوغاء العرب ودفع عن الناس بعض
رجال الشريف وفي سنة ثمانمائة وخمسة عشر وقعت فتنة بعرفة بين العرب وقتل من آل جميل
جماعة وركب الشريف حسن بنفسه لاخماد الفتنة وسلم الله تعالى

﴿ذكر الجمل الذي دخل المسجد الحرام﴾

قال العلامة القطبي ان في أثناء جمادى الآخرة من هذه السنة هرب جمل لجمال فدخل المسجد
وجعل يطوف بالكعبة والناس حوله يريدون امساكه فلم يقدر وا فتركوه الى ان أتم ثلاثة أسابيع
ثم جاء الى الحجر الاسود واستلمه ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك محاذيا للميزاب ودموعه
تتساقط وألقى نفسه على الارض فمات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة وحفروا له ودفنوه ثمة

﴿ذكر الفتنة التي حصلت في المسجد بين القواد والمصريين وتسمير
أبواب المسجد وبعض امضاء الاطل﴾

وفي سنة ثمانمائة وسبعة عشر لما كان يوم الجمعة خامس ذي الحجة حصلت فتنة بين القواد
والمصريين وانتهكت حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال وسفك الدماء وتلويث الخيل
بسبب طول مقامها في المسجد وسبب ذلك ان أمير الحاج المصري أدب بعض العبيد العمرة على حمل
السلاح لنهيه عن ذلك وحبسه فرغب مواليه في اطلاقه فامتنع فلما قام الناس لصلاة الجمعة من
اليوم المذكور دخل جماعة من القواد المسجد الحرام من باب ابراهيم على خيولهم وعليهم لامات
الحرب واتجهوا الى مقام الحنفي فلقيهم الترك والحاج وقاتلوهم الى ان وصلوا سوق المعلاة أسفل
مكة فظاهر عليهم المصريون وانتهب السوق وبعض بيوت المكيين فلما كان آخر النهار أمر أمير
الحاج بتسمير أبواب المسجد كلها الا باب بني شيبة والباب الذي عند المدرسة المجاهدية فسمرت
الابواب وأدخل جميع خيله المسجد وجعلت في الرواق الشرقي قريبا من رباط الشرابي وباتت في
المسجد الى الصباح والمشاعل موقدة في المسجد ومشاعل المقامات موقدة أيضا وهرب القواد
الحاج الذي بالابطح وخارج المسجد فخرج الشريف حسن وانضم الى القواد وعزم بأسفل مكة
وحضر اليه في بكرة هذا اليوم جماعة من أعيان مكة وذكروا له ما وقع فأظهر التعب وكراهة ذلك
ورجعوا الى أمير الحاج المصري وأخبروه عنه وأخبروه انه أعطاهم امساك القائد وضربه وأمر
باطلاقه وطلب منهم ان صاحب مكة يخمد هذه الفتنة فرجع الجماعة الى الشريف وأخبروه
والتمسوا منه اخماد الفتنة والعفو عن هذه الزلة فبعث ولده الشريف أحمد الى أمير الحاج فعلم

وذكروا بأنه ان لم يتدارك تغير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب في أمثال ذلك ان يسقط الى أسفل ويتزعزع الجدران بسقوطه ويغلب في الظن اختلال في جوانب السطح يؤدي الى سقوط السقف جميعه وتشقق الجدران وسقوطها فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح وتبديل تلك الاعواد وعينوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصب طائفة حركهم الهوى والغرض لمخالفة ما رأينا وحركوا طائفة من الاغبياء الى الكلام وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة هذه المدة المديدة وتوالي تشعثها من الجوانب الاربع ولا تؤثر فيها دليل على أن قيامها ليس

بقوة البناء بل هي قائمة بقدرة الله تعالى وانه لا يجوز تغيير أخشابها الا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والترهلات التي تنبو عن مسامع العقلاء وهولوا الامر على عوام الناس وضعفائهم وكادت أن تقوم لذلك فتنة عظيمة في العوام وكتب شيخنا مولانا شهاب الدين أحمد بن حجر تأليفا واسعا في الرد على أولئك المعاندين واستند الى نقول كثيرة وهم على الجواز وجاءني رحمه الله تعالى عن رضي الدين الشاب على ما سمع رضي من النقول بالجواز ونقل لي عن المحب الطبري في كتابه استقصاء البيان في مسألة الشاذروان بسنده ذكره حديث عائشة رضي الله عنها في هدم الكعبة ما نصه ومدلول هذا الحديث تصريحا وتلويحا انه يجوز التغيير في الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة انتهى * ولما بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن غي صاحب مكة اذ ذاك تغمده الله تعالى برضوانه وأسكنه فسيح جنانه حضر بنفسه من البر الى مكة المشرفة وطلب سيدنا ومولانا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ أبي الحسن البكري نفع الله به وبأسلافه الكرام وشيد به أزر شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ومولانا الافندي الاعظم قاضي مكة المشرفة وسيدنا ومولانا قاضي القضاة ومرجع أهل بلد الله الحرام القاضي تاج الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكي طيب الله مثواه وجعل الفردوس الاعلى مأواه وناظر الحرم الشريف المكي يومئذ أحمد جلبي المذكور رحمه الله واجتمعوا تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام وأشير الى سيدنا

عليه الامير وخرج من عنده ونادى بالامان فاطمأنت الناس وأمنت بعد جراحات كثيرة حصلت للفريقين قال بعضهم ولا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة وكان القائد الذي وقعت الفتنة بسببه يقال له سراد واتفق ان تلك السنة كانت غلاء فقال بعض الادباء في ذلك

وقع الغلاء بمكة * والناس أضحوا في جهاد
والخير قل فهاهم * يتقاتلون على جراد

وفيه تورية لطيفة واستمر الشريف حسن وأولاده الى سنة ثمانية عشر وثمانمائة

((ولاية رميثة بن محمد بن عجلان))

فولي السلطان الشريف (رميثة بن محمد بن عجلان) فدخل مكة في العشر الاول من ذي الحجة وصرح في توقيعه انه ولي نيابة السلطنة عن عمه حسن وامارة مكة عوضا عن ابن عمه

((رجوع الشريف حسن في ولاية مكة))

وخرج الشريف حسن من مكة الى الشقان وبعث ابنه بركات الى مصر لاستعطاف السلطان فأنعم عليه بولاية مكة وجهز له خلعة فوصلت في العشر الاوسط من شوال سنة ثمانمائة وتسعة عشر فتوجه الشريف حسن الى مكة فلما بلغ باب المعلى قاومه أصحاب رميثة ومنعوه الدخول فأزال من كان هناك بالرمي بالنشاب والاحجار فعمد بعض العسكر الى الباب فحرقه حتى سقط على الارض وهدموا بعض السور من جهة الجبل وبركة الشامي ودخل منه بعض العسكر وقاوموهما من الجبل ورموا أصحاب رميثة بالنشاب وحاصل الامر انهم دخلوا مكة بعد حصول قتال بين الفئتين وخرج جماعة من أعيان مكة ومن الفقهاء والصلحاء ومعهم ربعات شريفة وقابلوا الشريف حسنا وسألوه كف القتال فأجاب الى ذلك بشرط اخراج معانديه من مكة فرجع الجماعة الى الشريف رميثة وأخبروه بذلك ودخل الشريف حسن وخيم عسكره بالمعلى حول البركتين فأقام هناك حتى أصبح ودخل مكة لابسا خلعة السلطان الملك المؤيد في السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة وطاف بالبيت وقرأ توقيعه وكان يوما مشهودا ونادى بالامان للمعاندين خمسة أيام فخرجوا الى اليمن ثم ان الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن وانتظم الاقتصار القواد على الشريف حسن وقاموا بنصرة ذوي رميثة بن أبي نمي وهم أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي وأولاد علي بن مبارك بن رميثة وأعانوا بولاية مكة لثقبة بن أحمد بن ثقبة ومبارك بن علي بن مبارك وجعلوا الكل منهما نوابا بجدة فخرج عليهم الشريف حسن فهربوا من جدة وقصدوا مكة فخار بهم نائب الشريف وهو حسن مفتاح الزفتاوي فقتلوه وقتلوا معه جماعة ثم فروا الى جهة اليمن

ومولانا الشيخ الاعظم محمد البكري ان يأتي درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فتكلم على جاري عادته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح أبهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقاد نفائس الدرر الجياد • فلما انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتي للناس فرآها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكري فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحق ومحض الصواب وأمر مولانا السيد أحمد العمال بالشروع في العمل فشرعوا وسكتت الفتنة ولله الحمد وكل ذلك بتدبير المرحوم القاضي تاج الدين المالكي رحمه الله وكان عاقلا حاذقا اذا رأى صواب محض ولا يفصل الا من فكر صائب (٤٠) تام وتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة احدى وستين وتسعمائة ثم لما كشف عن تلك الاعواد التي في السقف وجدوها كما ذكروا وأبدلوها بأعواد جيدة في غاية الاحكام والاستقامة وأعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان وسطر تواريخ ذلك في صحائف المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ نظموا أشياء يمكن كتابتها فكتبت انهم كلاما يتضمن التاريخ وهو • الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بالشرائع المحمدية وسقفها بالتشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا وأصلح الوجود بوجود من وجد فيها باجتماع [illegible] ان يقتضي وأتاصيه [illegible] مكرمة [illegible] عبد الله من آمن بالله واليوم الآخر كان له أعظم كرامة وآثاره الخالدة الأوفر من ملك سعيه [illegible] الله [illegible] سليمان بن السلطان سليم خان الحادي عشر من ملوك بني عثمان خادم الحرمين (ولاية الشريفين الخاقان الموفقة الويه أوامره وراياته مظفرة في الخافقين فانه جدد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع وأصلح أركانها المقدسة وجدرانها المقدسة قبلة للسجود والركوع وغرد طير تاريخ تجديد عمارته على غصون حساب أبجد (مكان تجديد سطح بيت الله مالك الملك سلطان سليمان) ملكه الله الارض ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تسجد جباه الخلائق اليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع في تسوية فرش المطاف الشريف فان أحجاره انفصلت وصار بين كل حجر وحجر حفر وكانت تلك الحفر تسد تارة بالنورة وتارة بالرصاص وتسمر بمسامير الحديد فزال ما بين

اثر الى سنة ثلاث وثمانمائة وعشرين وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكا لوالده في بلاد والده وبقيت [illegible]

(ذكر قيام الشريف بركات بن حسن وولايته مكة)

في سنة ثمانمائة واحدى وعشرين تخلى الشريف حسن عن أمر مكة لابنه الشريف بركات فجمع عليه ابنه أحمد وخرج عن طاعة أبيه فاستعطفه أبوه فلم يفد وأغراه بعض جماعة من المفسدين على نهب جدة ففعل ثم صالح أباه ودخل مكة ثم نكث وذهب الى ينبع ثم رجع مع الحج ثم عاد الى ينبع وفي سنة ثمانمائة وثلاثة وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تفويض امارة مكة لولديه بركات وابراهيم والانفصال عن الامارة لرغبته في العبادة لكبره وضعفه وتوجه [illegible] الارسال الى [illegible] فوصل جوابه ثاني عشر ربيع الاول سنة ثمانمائة وأربعة وعشرين وبها عهد مكة لولديه بركات ولم يسمح لابراهيم فحصل التنافر بين الاخوين فخرج ابراهيم الى اليمن ثم جاء ومعه جمع من الاشراف وغيرهم ودخل مكة والزموا القواد [illegible] مع أخيه وأبيه بالكره عليهما واستمر الامر على ذلك سنة ثمانمائة وستة وعشرين فأمر الشريف حسن بترك الامارة لابنه ابراهيم لانه أمر عليه [illegible] فلم يفعل وبلغت [illegible] الشريف حسن وابنه بركات من صاحب مصر الملك الظاهر بن الملك المؤيد وبلغ الشريف حسن ان أمير تحمل اليه من مصر في قافلة تركمانية على الخضراوات مكة أمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين المسجد الحرام ثم ولي مصر السلطان برسباي فجعل امارة مكة الشريف رميثة بن محمد بن عجلان وكان باليمن فلم يصادف الامر محلا وكان أمير الحاج قرقماس الشاعري قد دخل مكة وهو في غاية الوجل والخوف وكان يظن عدم مقابلة الاشراف له فخرج الشريف حسن الى تلقي المحمل على جري العادة ولبس التشريف الوارد ثم قابل الامير المذكور وقابله خاصة وقال له بلغنا ان مولانا السلطان عزلنا عن امارة مكة فكلام الحساد الباطل [illegible] أهل [illegible] والذين اذا بلغهم [illegible] البلاد وأضروا العباد [illegible] الامير ان [illegible] مولانا السلطان [illegible] فلما سافر الامير المذكور أرسل معه الشريف حسن هدية عظيمة للسلطان فلما وصل الامير الى مصر وذكر للسلطان ما قاله الشريف حسن وأخبره بما وقع من نحو من الفتنة وحفظه للحاج وقدم له الهدية رضي السلطان فأرسل الى الشريف حسن بالتأييد والاستمرار وقضى جميع مطالبه

الاحجار من المفروشة طرف الحجر الى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الاربعة وا
هـذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح أبواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى ثم
الباب الشريف واصلاح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب الى ان غير بعد ذلك وعمر
فوصل ووضع فى الخزانة العامرة (وأما عمارة المطاف الشريف) فوقع فى سنة احدى وستين وتسعمائة
يكتب على بعض مواضع المطاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا تقربا الى الله تعالى (٤١) زيادة تجديد فرش أحجار المطاف وتب
الطائفين
وتحلية الباب ...
والميزاب المعظم المـ
خليفة الله تعالى الاعظم
سلطان الروم والعرب
والعجم من اصطفاه الله
تعالى واجتباه لترميم بيته
الحرام واختاره وارتضاه
بخدمة الركن والمقام
السلطان ابن السلطان
الملك المظفر أبو الفتوحات
السلطان سليمان خان
تقبل الله منه صالح
الاعمال وبلغه ما يؤمله من
السعادة والاقبال ولما تم
ذلك غرد بالتاريخ طير الهنا
عمر الله قلبنا

• (فصل فى ذكر تعاليق الكعبة المعظمة وكسوتها) •

اما التعاليق فقال المسعودى فى مروج الذهب كانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا وجواهر فى الزمان الاول وكان ابن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا الى

الكعبة • وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى أول من علق فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل
عن الازرقى فى أشياء أهديت للكعبة منها ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث
اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت فى الكعبة والمأمون بالياقوتة التى تعلق فى
كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت فى وجه الكعبة وبعث المتوكل على الله بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع
والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم واهدى المعتصم العباسى قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهب

• (ولاية الشريف على بن عنان بن مغامس على مكه) •

وفى سنة ثمانمائة وسبعة وعشرين توجه الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى الى
مصر فولاه السلطان برسباى امارة مكة فورد من مصر ومعه عسكر جرار فدخل مكة سادس جمادى
الاولى من السنة المذكورة وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته

• (رجوع الشريف حسن فى الامارة) •

وفى أول ذى الحجة سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين ورد التفويض من السلطان برسباى للشريف
حسن وعزل على بن عنان لوجب كتاب وصل الى السلطان من الشريف حسن رقق فيه المعانى
وعرفه ان عزله من غير جناية فأعاد اليه مكانته وحفظ عليه أمانته فدخل مكة رابع ذى الحجة
من السنة المذكورة

• (ذكر وفاة الشريف حسن بمصر سنة ٨٢٩) •

ثم ان الشريف حسن بعد موسم سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين توجه الى مصر للقاء السلطان
برسباى فاجتمع به وأجله وأعظمه وقرره على أمر مكة وذلك فى العشرين من جمادى الاولى سنة
ثمانمائة وتسعة وعشرين وقد أصابته علة فتجهز للرجوع فأدركته منيته فتوفى بمصر سادس عشر
جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكانت ولايته سنة سبعمائة وخمسة وسبعين وكانت مدة
ولايته انفرادا ومشاركة لابنه بركات ستة عشر سنة وشهورا وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة
بمكة بنى رباطا للرجال وآخر للنساء ولم يكن بمكة من يدانيه فى جوده وكرمه وكان من الفضلاء أجازه
بالتحديث جماعة من علماء مصر والشام وخرج له التقى بن فهد أربعين حديثا ومدحه كثير من
الشعراء منهم العلامة شرف الدين اسمعيل بن المقرى صاحب الروض والارشاد فى مذهب
الشافعية وله فى مدحه قصائد منها قصيدة مطلعها

أحسنت فى تدبير ملكك يا حسن • وأجدت فى تحليل اخلاط الفتن وهى طويلة

• (ولاية الشريف بركات بن حسن على مكة بعد وفاة أبيه وذكر بعض فضائله) •

وولى مكة بعده ابنه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى بن حسن بن على بن
قتادة وكان الشريف بركات بن حسن هذا أديبا فاضلا مائلا بالطبع الى العلماء والاخذ عنهم وقد
أجازله جماعة منهم الحافظ العراقى والهيثمى والبرهانى والمراغى وحدث عنه البقاعى وغيره

• (ذكر استدعاء السلطان برسباى الشريف بركات الى مصر) •

قال القاضى جمال الدين بن ظهيرة ان السلطان برسباى بعد موت الشريف حسن استدعى ابنه

ى مكة يومئذ من قبل صالح بن العباس فأرسل الى الحجبة ليقبضهم القفل فأبوا ان يأخذوه منه
رسل به الى الخليفة فأبوا ان يطلعوه ذلك وتوجهوا الى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة
ى كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم وذكر الفاكهي أن مما اهدى الى الكعبة طوق من ذهب مكلل
ية كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض أمره على المعتمد على الله
الشريف فعلقت قال التقي الفاسي رحمه الله تعالى ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة فيها كتاب بيعة
بن المعتمد على الله وبيعة أبي أحمد الموفق بالله ابن أخي المعتمد على الله وقدم بهما الفضل بن عباس
دى وستين
ب وكان وزن
ه ثمانمائة وستين
رهما فضة وعليها خارجا
من ذلك ثلاث آزرار
بثلاثة سلاسل من فضة
ودخل الكعبة يوم الاثنين
لاربع خلون من صفر
فعلق هذه القصبة مع
معاليق الكعبة (قلت)
وسيأتي ان هرون الرشيد
كتب أن يكون ولي عهده
بعده محمد الامين ثم عبد
الله المأمون وبايع لهما
على ذلك أعيان مملكته
وكتب مبايعتهم وأرسل
نسخة ذلك العهد الى
الكعبة وعلقها في الكعبة
ثم لما وقع بعده الاختلاف
بينهما وأرسل الامين
عسكر القتال أخيه
المأمون أرسل الى مكة
وأخرج كتاب العهد من
الكعبة ومزقه فرق الله
ملكه وانكسر عسكره
وانتصر المأمون وجاء الى
بغداد وحاصر الامين الى
أن أمسكه عبد الله بن طاهر وقتله وأتى برأسه الى المأمون وسيأتي تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى * ثم لما فولي
وقعت الفتن بمكة أخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك وقد كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة
وكانت شيوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلست منها ما تسد به خللها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد أدركنا في أيام
الصبا وقد ذهبت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يتهم بذلك بل أخبرني بعض أنه عمل لاحدهم محطا من كان من الخشب مؤلفا من
عدة أعواد طول كل واحد منها نحو ذراع تركب فيطول ثم ينكل ويجعل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتدأ فدخل
وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركب ذلك المحط ونزل قنديلا وفك تلك الاعواد وعفس ذلك القنديل ووضع في كمه الواسع ثم

بركات من مكة فتوجه اليه ومعه أخوه ابراهيم فقدما مصر في شهر رمضان سنة تسع وعشرين
وثمانمائة فلاقاهم السلطان بالاجلال والاكرام وخلع عليه الخلعة السنية وعزاه عن الروح
الزكية وولاه أمر مكة المحمية وطلب الشريف بركات لاخيه ابراهيم ان يكون نائبا عنه بمكة اذا
غاب وتوجها الى مكة فوصلا عاشر ذي القعدة فقرأ عهده ولبس الخلعة واستمر الى سنة ثمانمائة
وخمسة وأربعين فعزل بأخيه علي ثم أعيد

(ولاية علي بن حسن بن عجلان)

وفي سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وصلت المراسيم من صاحب مصر بأن ثلث ما يتحصل من عشور
المراكب الهندية يكون لامير مكة والثلثان لصاحب مصر ثم في سنة ثمانمائة وأربعين جاءت
المراسيم بأن نصف عشور جدة من المراكب الهندية يكون لامير مكة وفي سنة اثنين وأربعين توفي
سلطان مصر السلطان برسباي فتغلب السلطان جقمق على ابن برسباي وملك مصر وأرسل
للشريف خلع التأييد وأرسل الامير سودون ومعه خمسون فارسا من الترك تقيم بمكة وولاه نظر
الحرمين وشد العمائرها وفي هذه السنة وقع بين الاشراف وآل بني نمي وبين السيد علي بن حسن
منافرة فسافر السيد علي صحبة الحاج ثم وقعت فتنة بين الاشراف والاتراك واقتتلوا في المسعى
وقتل جماعة من الفريقين

(ذكر اعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف جمل المحمل)

وفي سنة ثلاث وأربعين وردت مراسيم باعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف الجمل الذي يأتي
بالمحمل وفي سنة خمسة وأربعين وقيل ست وأربعين عزل السلطان الشريف بركات

(ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة)

وولي مكة أخاه الشريف علي بن حسن ووصل الى مكة في رجب وخرج منها الشريف بركات وتوجه
الى اليمن واستمر الشريف علي الى شوال من السنة المذكورة فقبض عليه الاتراك وعلى أخيه
ابراهيم وتوجهوا بهما الى جدة ثم الى مصر وأظهروا مرسوما بولاية أخيهما الشريف أبي القاسم بن
حسن وكان بمصر فقام بحفظ مكة ولده زاهر بن أبي القاسم

(ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن على مكة)

ووصل الشريف أبو القاسم من مصر في ذي القعدة من السنة المذكورة ودخل مكة لابسا الخلعة
واستمر الى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وثمانمائة فهجم عليه الشريف بركات ففر

(رجوع الشريف بركات الى مكة وفرار أخيه أبي القاسم)

فولى مكة الشريف بركات وشاع في آخر السنة ان السلطان غضب من فعل الشريف بركات وانه بعث بعزله مع الحج فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز وورد مع الحج نحو عشرين أميرا فخرج الشريف بركات للقاء الامراء على مجرى العادة في أكمل عدة فلما بصروا به على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم وحج بالناس الا أنه اعتزلهم بالموقف فوقف جانبا عنهم الى أن نفروا ثم خرج بعد النزول عن مكة ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة

•(رجوع الشريف أبي القاسم الى مكة)•

فعاد الشريف أبو القاسم الى مكة واستمر الى سنة احدى وخمسين

•(رجوع الشريف بركات الى ولاية مكة)•

فلما كان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر باعادة الشريف بركات الى امارة مكة ورضي عنه السلطان لان ابنه محمد بن بركات توجه الى مصر وتلطف بالسلطان فأكرمه ورضي عنه وأعاد والده الى مكانته ولما جاء هذا القاصد الى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم الى وادي الابار ثم توجه الى مصر ومات بها وآخره على سنة ثمانمائة وثلاثة وخمسين وكان الشريف علي بن حسن فاضلا كريما اذا ذوق وفهم ونظم رقيق فمن شعره قوله

اذا نال العلا قوم بقوم • رقيت علوها فردا وحيدا

•(استدعاء السلطان بجقمق الشريف بركات الى مصر وأخذ العلماء عنه الحديث المسند ورجوعه الى مكة)•

وفي سنة ثمانمائة واحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات الى مصر فقدم الى القاهرة مستهل رمضان فخرج السلطان للقائه الى الرميلة وبالغ في اكرامه وقابله بالاجلال والاكرام وأخذ عنه العلماء بالقاهرة وازدحموا على القراءة عليه لعلو سنده وأجازهم ورجع الى مكة ودخلها خامس جمادى الاولى محرما بالعمرة فطاف وسعى بالليل وخرج الى الزاهر وبات به ودخل مكة في الصبح لابسا الخلعة الولاية وقرئ توقيعه بالحطيم وفي سنة ثمانمائة وتسعة وخمسين مرض الشريف بركات فمرض لابنه محمد أن يكون ولي عهده من بعده

•(وفاة الشريف بركات)•

ثم توفي الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة بأرض خالد من وادي مر وحمل على أعناق الرجال الى مكة وغسل وصلي عليه وطيف به سبعا على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة ورثاه الشعراء

أذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله عنه واتفق مرة أمير من أمراء جدة قنديلا كان علقه قريبا في البيت الشريف فتكلم على ذلك الشيخ وأراد اهانته فلم يقدر على ذلك وتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الانسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة في الكعبة لا ينفعها تعليقه ولا يضرها فقده وقد وصلنا الى حد المخمصة فمعذور في ذلك ان وقع فعله منا والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر في غاية الصون في أيام هذا الشيخ الموجود الآن لعفته وأمانته وعلقت في أيامه قناديل كثيرة أهداها الملوك الى الكعبة الشريفة وهي محفوظة معلومة عند الناس باقية برونها في سقف البيت الشريف في أوقات فتح الكعبة لسائر الناس • وقد وصل في وسط سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الباب العالي الشريف السلطاني جاويش اسمه محمد جاويش كان قبل ذلك كاتبا للحرم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجه بشارة اتمام المسجد الشريف الى الباب العالي السلطاني وهو رجل في غاية الامانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروءة وعلو الهمة سلمه الله تعالى فأقبلت عليه السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وأنعمت بأنواع الانعام والترقي وغير ذلك من الاكرام وأدخل في عداد خواص جاوشية الباب العالي وأرسل الى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف في هذه العمارة أجلهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الاشراف صفوة الصفوة من أشراف بني عبد مناف السيد الشريف الحسيب النسيب المستغني بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب بدر الدنيا والدين حسن بن أبي نمي خلد الله دولتهما وسعادتهما وأدام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء الاعلام ونسل الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم سلاطين الانام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقاضي المدينة المنورة سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسيني المكي المكين لا زال مشمولا بعين الله الامين مشمولا في أيام نظارته بالعز والتمكين وأهل الحرمين الشريفين غارقين في بحر احسانه كل وقت وحين وكذلك القاضي بمكة المشرفة يومئذ أقضى قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين

لطف بلدزاده ذكره الله بالصالحات وأفاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك أمير العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام معمر المسجد الحرام الامير أحمد وفقه الله وسدد واكرمه وأسعد وجهزت السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى بها الاسلام وأيدنا أيدها بن سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع الجاويش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف بيت الله تعالى زاده الله تعالى تشريفا وتعظيما والثالث في الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف النبوي تعظيما لسيد الانام وقال على ذلك الوجه البالغ تحية ٭ مباركة من ربنا وسلام فلما وصل محمد جاويش الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى بما في يده من الخلع والتشاريف والقناديل المعظمة قوبل بغاية التعظيم والاجلال وعومل بنهاية الاحترام والاقبال وألبس الخلع الشريفة الفاخرة وأنعم عليه بالضيافات والانعامات الوافرة وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد حسن المشار الى حضرته العالية أدام الله عزه واقباله ومعه أكابر السادة الاشراف وجلس في الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله تعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسني المومى اليه خلد الله عظمته واجلاله عليه وباقي من ذكر وسائر الاعيان والاهالي وكافة العلماء والفقهاء والموالي واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة وامتلأ الحرم الشريف بذلك الموكب المنيف وفتح باب بيت الله تعالى وأحضرت الخلع الشريفة السلطانية والقناديل السنية الخاقانية وقرئت المراسيم الشريفة المطاعة في الاقطار والجهات فوق منبر لطيف بصوت جهوري يسمعه الخاص والعام وألبس سيدنا ومولانا السيد حسن نصره الله تعالى خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف مولانا وسيدنا السيد حسن بالبيت بخلعته على المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعلو زمزم على العادة والناس كلهم رافعون أصواتهم بالدعاء والتأمين الى ان فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتي الطواف في مقام ابراهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة وأحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكانا عاليا يقع

٭(تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات)٭

وجاء جواب عرضه ثاني يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائبا في اليمن لقبض بعض أموال والده ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشريف بركات وفي شهر شوال ورد اليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية في والده وتأييده في ولاية مكة وكان مولد الشريف محمد بن بركات في رمضان سنة ثمانمائة وأربعين بمكة وكان جم الفضائل شريف الشمائل واستمر الى سنة ثلاثة وتسعمائة متوليا على مكة مظهرا العدل في الرعية ودانت له العباد واتسع ملكه وامره في البلاد وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة وفي سنة ثمانمائة واثنين وسبعين تولى سلطنة مصر الملك الاشرف قايتباي وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات وخلعة لقاضي مكة القاضي برهان الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي وأرسل مراسيم تقتضي رفع المكوس بمكة وأمر ان ينقر ذلك على اسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام وفي سنة ثلاثة وسبعين وثمانمائة غزا مولانا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد بين خليص ورابغ وقتل شيخهم روحي وأخاه مالكا ونحو سبعين رجلا وغنم نحو ثلاثين ألفا من المواشي وفي سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين وصل مع الحج مرسوم من السلطان يطلب صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات والقاضي ابراهيم بن ظهيرة فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات وصحبته القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة والقاضي أبو السعود بن ظهيرة وجماعة من أقاربهم فقوبلوا بالاجلال والاكرام من السلطان قايتباي ثم رجعوا

٭(ذكر من مات بجوف الكعبة من الزحام)٭

وفي سنة احدى وثمانين مات من الزحام بالكعبة خمسة وعشرون نفرا

٭(ذكر صلاة الشريف هزاع بن محمد بن بركات التراويح بالختمة)٭

وفي سنة اثنين وثمانين صلى بالناس السيد هزاع بن الشريف محمد بن بركات صلاة التراويح بجميع القرآن على يمين مقام المالكية وجعل له حطيم من الخشب علق فيه من الثريات والقناديل مالا يحصى وأوقد من الشموع في تلك الليالي مالا يحصى وكان في كل ليلة يخرج من بيت والده في زفة عظيمة فيها جماعات من الاعيان ويتلقاه من باب المسجد القضاة الاربعة ويمشون معه الى مصلاه ثم اذا فرغ يمشون معه الى باب المسجد ويصلي خلفه الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان والاروام والتجار وغيرهم ويصلي على يمينه نقيبه وعن شماله القاضي أبو السعود ابن ظهيرة وفي ليلة الختم زف المصلي المذكور راكبا من بيت والده الى الصفا وسار الى ان دخل المسجد وزيد

نظر الداخل الى البيت الشريف فى أول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأحضر سلما يصعد عليه فعلقهما سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيما لامر السلطنة العلية المنيفة وقرئت الفواتح فى الكعبة الشريفة وحولها ودعت الناس أجمعون ورفعت أصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرعون بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى خلافته الزاهرة وأبد أيام سلطنته القاهرة وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم وكان يوما شريفا مشهودا ووقتا مباركا ميمونا مسعودا رقمته الليالى والايام فى صفحات أوراقها وأثبتته فى جرائد دفاترها وأطباقها

وانما المرء حديث بعده . فكن حديثا حسنا لمن روى ثم توجه محمد جاويش بالقناديل الذى بقى معه الى المدينة المنورة ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له أكابر المدينة الشريفة وأعيانها وعلماؤها وصلحاؤها وأركانها وشيخ حرمها ونوابها ومن له شأن وقدر من مجاوريها وسكانها وعمل موكب شريف فى الحرم الشريف النبوى وقصد الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وعلق تلك القناديل تجاه وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقرئت الفواتح وحصل الدعاء من جيران سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله تعالى ملكه السعيد وأبد معدلته وفضله واحسانه المزيد فالله يطيل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات ويرشده ويسوقه الى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ويسدده وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين من سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم وأبد دولتهم الى انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة آباءه السلاطين العظام وفاق بهذه المزية آباءه وأجداده الكرام لا زال فائقا سلاطين العالم وخلفاءها وراقيا باقدام اقدام عزمه ملوك الدنيا وعظماءها

هو العادل الظلام للمال والعدا . خزائنه قد أقفرت ودیارها
عليم بنور الله ينظر قلبه . فلم يخف أسرار القلوب استتارها
به دمر الله الصليب وأهله . به ملة الاسلام عال منارها
فلا زالت الافلاك تجرى بنصره . ولا زال عنه قطبها ومدارها

.(فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها). ذكر

فى الشموع والوقيد أضعافا مضاعفة ومشى معه جميع الناس وكان من جملة الماشين معه والده وأنشد المنشدون فى الختم وخلع عليهم وعلى المكبرين والفراشين والوقادين وفرقت الحلاوة على الحاضرين وكان ذلك كله مما يضرب به المثل وفى سنة أربعة وثمانين وثمانمائة غزا مولانا الشريف جازان من أرض اليمن فخرب حصونها وأودیتها وأخذ الاموال وغنم غنائم جزيلة منها ورجع سالما

.(ذكر حج السلطان قايتباى).

وفى هذه السنة حج السلطان قايتباى واحتفل به مولانا الشريف غاية الاحتفال وأرسل بعض قواده بسبقه للقاء السلطان فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له سماطا فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر من كرم الاخلاق واللطف ما لا يوصف حتى يقال انه لما تناول من نوع الحلواء الذى يقال له كل واشكر التفت الى قائد الشريف وقال له قد أكلنا وشكرنا وخلع على القائد ومن معه ولما وصل الى ينبع عدل الى المدينة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وسار مولانا الشريف محمد بن بركات للقائه الى الحصفرا فلاقاه السلطان راجعا من المدينة وكان صحبة الشريف ولده هزاع وقاضى مكة برهان الدين بن ظهيرة وجملة من الاعيان ووجوه مكة وسار السلطان يلاطفهم ويشكر لهم فعلهم وفارقوه من بدر وتقدموا الى مر الظهران ورتبوا هنالك سماطا فلما كان يوم الاحد مستهل ذى الحجة وصل السلطان الى الوادى ووجد السماط ممدودا فجلس عليه ومن معه وجعل يأكل وخلع على الخدم ووصل بقية الخطباء والقضاة وأعيان مكة وسلموا عليه وانصرفوا وركب فيمن معه ودخل مكة ليلا وكان قاضى مكة ابن ظهيرة هو الملقن له الادعية الى ان دخل من باب السلام فدخل بحصانه فمر قطا تحت عمامته فتقدم رمضان المهتار فناولها اياها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث لم يدخل محرما فترجل من العتبة الثانية وقرأ الرئيس لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ثم دعا للسلطان وأمن أصحاب الاصوات وطاف وخرج الى الصفا فسعى راكبا فلما فرغ من السعى عاد الى الزاهر فى صيوانه وبات هنالك وركب فى الصبح فى موكب أعظم ولاقاه مولانا الشريف محمد بن بركات وأعيان الاشراف وقضاة مكة وخرج للقائه حتى النساء ودخل مكة فى أوفى عظمة ووصل الى مدرسته التى بناها قبل ذلك عند باب النبى ومد له الشريف سماطا واستمر بها الى ان طلع عرفات وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتأخر بعد الحج أياما بمكة ولما أراد السفر ركب معه شريف مكة وأولاده وقاضيها فودعهم وأمرهم بالرجوع من الزاهر ورجع الى مصر فوجدها على غاية من الضبط فى مدة غيبته واستمر السلطان قايتباى على سلطنة مصر الى ان توفى سنة احدى وتسعمائة

الازرقي وابن جريج رحمهما الله تعالى ان أول من كسى الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيما لها واسم هذا التبع أسعد وانه رأى في منامه أن يكسو الكعبة فكساها الانطاع • ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال أسعد في ذلك وكسونا البيت الذي حرم الله ملاءً معصبا وبرودا وأقمنا به الى حيث كنا • ورفعنا لواءنا المعقودا قال الازرقي أيضا حدثني سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فاذا بلي شيء منها جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء • وكانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان متريا يتجر في المال فقال لقريش أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العدل وقال أيضا أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسمعيل بن ابراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه قال كسى النبي صلى الله عليه وسلم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي وكان يكسى كل سنة كسوتين فيكسو أولا الديباج قميصا يدلى عليها يوم التروية ولا يخاط ويترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقوه فاذا كان الى عاشوراء علقوا عليها الازار وأوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهي من القباطي • فلما كان أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات فتكسى الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطي أول رجب وتكسى الديباج الابيض في عيد رمضان واستمر على ذلك ثم أنهى اليه أن الازار الذي تكسى به الكعبة في العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذي يكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة وانه يحتاج أن يجدد لها ازارا في عيد رمضان مع قميص الديباج الابيض الذي تكسى به على العيد فأمر أن تكسى ازارا آخر في عيد رمضان ثم بلغ المتوكل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مس أيادي الناس فزادها ازارا وأمر باسبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه في كل شهرين ازارا وذلك في سنة أربعين ومائتين • ثم بعد الخلفاء العباسيين وأيام وهنهم

●(وفاة الشريف محمد بن بركات)●

وفي سنة تسعمائة وثلاثة توفي الشريف محمد بن بركات في الحادي عشر من محرم بوادي مر الظهران وحمل الى مكة وصلي عليه ودفن بالمعلا وبني عليه قبة ولما وصلوا به من الوادي الى مكة ضجت البلاد وغلقت الابواب وقرئت الربعات ستة أيام بالمسجد الحرام صباحا ومساء بحضرة الاشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم وحزن عليه الناس وكان موته مصيبة عظيمة على العباد ورثاه الشعراء بالمراثي وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة كما تقدم وكان رحمه الله جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وكان الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن مصاص من الصالحين المجاورين بمكة قال رأيت في المنام في أيام الشريف محمد بن بركات صاحب مكة ان الشريف المذكور توفي وان الشيخ عليا المذكور الرائي للرؤيا يغسله وكان دملا يخرج منه القيح والدم يسيل فاراد الشيخ على ان يكتفي بذلك الغسل ويكفنه والقيح يسيل فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له نقه نقاك الله قال فكررت غسله الى ان نظف ثم استيقظت فلما توفي الشريف محمد بن بركات المذكور ودعيت لغسله فرأيت الدمل الذي كنت رأيته في المنام ورأيته يخرج منه القيح فلا زلت أغسله حتى نظف وهذا يدل على صلاح مولانا الشريف محمد وصلاح هذا الرائي

●(ولاية الشريف بركات بن محمد)●

فتولى مكة بعده ابنه الشريف بركات ومولده سنة ثمانمائة واحدى وستين بمكة المشرفة ونشأ في كفالة والده وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمانية وسبعين ورجع شريكا لوالده وأخذ في مصر على نحو أربعين شيخا وأجاز وه وأجازه بمكة جماعة وجاء التأييد له من سلطان مصر وأشرك معه أخوه هزاع في لبس الخلعة الثانية الواردة اليه ثم خالفه أخوه الشريف هزاع ومعه أخوه أحمد سنة تسعمائة وأربعة وتوافقا مع أمير الحج فسعوا له في ولاية مكة وطلبوا له مرسوما بالولاية من سلطان مصر السلطان الغوري

●(ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات)●

فجاء المرسوم بولاية هزاع ووقع بينه وبين الشريف بركات حرب بوادي مر فكسر فيه هزاع وقتل من أصحابه نحو الثلاثين ثم أعانه أمير الحج المصري فكثر القتال على الشريف بركات وأخذت محطته بما فيها فانهزم وذهب الى جدة ودخل الشريف هزاع مكة ثم ذهب الشريف بركات الى بدر وجمع جموعا فلم يأمن هزاع فخرج مع الحج المصري الى ينبع فدخل الشريف بركات مكة أواخر ذي الحجة

وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بيسوس وسندبيس ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد رسول الله دالات في قلب دالات وقد تزاد في حواشي تلك الدالات آيات أخر مناسبة أو أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تترك ساذجة بحسب ما يؤمر النساج به فلما آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى أيام سلطنتهم القاهرة ما دام الدوران وأقام الزمان وأخذ المرحوم المقدس السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان مملكة العرب من الجراكسة بالسيف والسنان جهزت كسوة المدينة الشريفة على ماجرت به العادة وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد ولما آلت السلطنة الى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ثم ان قريتي بيسوس وسندبيس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة تناقص مفرد يعهما عن الوفاء بمصروف الكسوة فأمر أن تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ثم أضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى أخر وقفها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عامرا فائضا مستمرا وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا أعظم السلاطين الفخام وهي الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان الكرام زين الله بمزاياهم اجياد الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيامة ان شاء الله الملك العلام ﴿واما نزع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس﴾ فقد ذكر الازرقي رحمه الله تعالى قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن أبي نجيح عن أبيه ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع

ثم تأهب لقتال هزاع وأقبل هزاع نحوه بجموع وعساكر فخرج لقتاله والتقيا بالبرقاء تاسع جمادى الاولى سنة تسعمائة وسبعة وقتل خلق كثير من الفريقين فانهزم الشريف بركات وتوجه الى الليث

•(وفاة الشريف هزاع)•

ودخل الشريف هزاع مكة وجاءته المراسيم والخلع من السلطان ثم مرض وتوفي خامس عشر رجب من السنة المذكورة

•(ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات)•

فولي مكة أخوه أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازاني وكان أيضا مغاضبا لاخيه بركات وكانت ولايته بمساعدة القاضي أبي السعود بن ظهيرة ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد وأعيان الشرفاء

•(رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة واعتذار صاحب مصر له)•

ثم وردت المراسيم والخلع من السلطان صاحب مصر للشريف بركات واعتذر اليه السلطان بأن ماوقع انما هو بمباطنة أمير الحج لاخويه فدخل مكة الشريف بركات وخرج منها أخوه الشريف أحمد الجازاني ثم قبض الشريف بركات على القاضي أبي السعود بن ظهيرة لاعانته الشريف أحمد الجازاني وأخذ أمواله وقتله تغريقا في البحر عند القنفذة ثم ان الشريف أحمد الجازاني جمع جموعا وتقاتل مع أخيه الشريف بركات سنة ثمانية وتسعمائة فانهزم الشريف بركات وقتل ولده السيد ابراهيم ودخل مكة ثم خرج منها وتوجه الى اليمن ودخل مكة الشريف أحمد وصادر أهلها وأخذ أموالهم وسبى الارقاء وأمهات الاولاد وحصل الخوف والنهب الكثير ثم عاد الشريف بركات وتحارب حادي عشر رمضان مع أخيه أحمد بالمعنى وانهزم الشريف بركات وتوجه الى الحسينية فتبعه أخوه أحمد بعسكره فاخلف الشريف بركات الطريق ودخل مكة ففرح به أهل مكة لما جرى عليهم من ظلم أخيه وعاهدوه على القتال معه وحفروا خندقا في أعلى مكة وفي أسفلها فعاد اليه أخوه أحمد ثالث عشر رمضان من أسفل مكة فقاتله الشريف بركات وأهل مكة معه وأظهر له المجاورون من الاروام الصدق فكسر والشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين وفر الى جهة جدة واستنجد بصاحب ينبع فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به وقصد مكة في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ودخل مكة من اذاخر فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة وقاتلوهم عند باب المعلاة قتالا شديدا وفر جماعة الشريف بركات وثبت معه الاروام والمجاورون وأبان ذلك اليوم عن شجاعة وقوة حتى انه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى بالجرادة وانه أخذ بها الخندق الذي حفره الاتراك حول سور المعلاة وكان عرضه سبعة

كسوة البيت فى كل سنة فيقسمها على الحاج وقال أيضا حدثنى جدى حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال سمعت ابن أبى مليكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فكلما كسيت فى الاسلام من بيت المال خففت عنها تلك الكساوى شيأ فشيأ • وكان أول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما كان أيام معاوية بن أبى سفيان كساها الديباج مع القباطى ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطى وحبرة وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوى ويخلقها بالطيب ويلبسها ما جهزه اليها فجردها وطيبها وطيب جدرانها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التى بعث بها معاوية وقسم الثياب التى كانت عليها بين أهل مكة وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حاضرا فى المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه قال وكان شيبة يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها فأنكر ذلك عليها وقال أيضا حدثنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن عبد الحكيم ابن أبى فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمرا فجلست الى عبد الله فى منزله زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة ورأيته يخلق جدورها وطيبها ورأيت ثيابها التى جردها عنها قد وضعت بالارض ورأيت شيبة بن عثمان يومئذ قسمها فلم أر ابن عباس أنكر شيأ من ذلك مما صنع شيبة بن عثمان وقال أيضا حدثنى جدى حدثنا ابراهيم بن محمد بن أبى يحيى حدثنا علقمة عن أمه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال لها يا أم المؤمنين تكثر ثياب الكعبة عليها فنجردها عن خلقانها ونحفر لها حفرة ندفن فيها ما بلى منها كيلا فقدروا يلبسها الحائض والجنب فقالت له عائشة رضى الله عنها ما أصبت فبئسما صنعت فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها فى سبيل الله تعالى وابن السبيل ومذهب علمائنا رضى الله عنهم فى ذلك رجوع أمره الى السلطان وقال الامام فخر الدين قاضى خان رحمه الله تعالى فى كتاب الوقف من فتاواه ديباج الكعبة اذا صار خلقا يبيعه السلطان ويستعين به فى أمر الكعبة لان الولاية فيه للسلطان لا لغيره وفى تتمة الفتاوى عن الامام محمد رحمه الله تعالى فى ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شئ له ثمن لا يأخذه وان لم يكن له ثمن فلا بأس قال الامام نجم الدين الطرسوسى فى منظومته

أدرع وجعل يضرب فى الجيش بسيفه فانهزموا وهو يضربهم حتى أبعدهم وانهزموا راجعين الى ينبع ثم ان الشريف بركات خرج الى اليمن لاجل بعض الاصلاحات فجاء الشريف أحمد ودخل مكة فى غيبة الشريف بركات وأذل أهلها وعاقبهم أشد عقاب وأهانهم أشد اهانة وقتل خلقا كثيرا ونهب البيوت وسبى الارقاء وأمهات الاولاد ورجع الى ينبع فصادف اقبال تجريدة من مصر الى مكة فاجتمع بأميرها وجعل له ستين ألف أشرفى أحمر على ان يقبض على الشريف بركات وولاية مكة فتركه بينبع ورجع الى مكة وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن فى ثالث عشر ذى القعدة فخرج الى ملاقاة التجريدة فقام أمير التجريدة على الشريف بركات بالزاهر ودخل مكة وهو لابس الخلعة وأمير التجريدة معه فلم يزالوا الى ان وصلوا مدرسة الاشرف قايتباى فقبض على الشريف بركات ومن معه من الاشراف وجعلهم فى الحديد ونهب بيوتهم وأخذت خيولهم وأباعرهم ونادى فى البلد للشريف أحمد الجازانى وحج بهم أمير التجريدة وهم فى الحديد ثم رجع بهم الى مصر فتعجب السلطان الغورى لذلك وأمر باطلاقهم من الحديد وأنزل الشريف بركات فى منزل خاص به هو ومن معه من الاشراف ثم ان الشريف بركات ما زال ينتهز الفرصة حتى أمكنه الله ففر الى مكة أواخر سنة تسعمائة وثمانية وفى تاريخ الرضى سنة تسعمائة وتسعة ولم يشعر به الغورى الا بعد يومين فأرسل خلفه فلم يلحقه فبالغ فى الحفظة على من بقى بمصر من الاشراف وجعل عليهم حرسا وأخرج الحاج فى هذه السنة بقوة عظيمة من العسكر والمدافع خوفا من الشريف بركات فلما بلغ ذلك الشريف بركات بعث مكاتيب لامير الحج يؤمنه ويأمره بالحج على أحسن الاحوال ويعرفه انى من خدمة السلطان ولا يحصل منى شئ فى أمر الحاج فلما بلغ هذا الخبر السلطان رضى عنه ورد اليه عياله وجميع ما كان له بمصر وفى غيبته هذه عن مكة قتلت الاروام المقيمون بمكة أخاه الشريف أحمد صاحب مكة فى الطواف يوم الجمعة عاشر رجب

﴿ولاية الشريف حميضة بن محمد بن بركات﴾

وبعد دفنه ألبس الامير على العساكر أخاه السيد حميضة خلعة لولاية مكة وأقامه على الجازرحتى يأتى أمر السلطان من مصر وكتبوا الى السلطان الغورى بذلك ثم ان الشريف حميضة قابل أمير الحج المصرى ولبس الخلعة الواردة وحج بالناس ذلك العام وأما الشريف بركات فانه سار من ينبع الى المدينة ثم منها الى الشرق فنزل على السيد حيدان بن شامان الحسينى وكان بعض الاشراف من بنى حسن خطب ابنته الشريفة عيشة بنت حيدان فقبله وفى الحى زير يضرب وقد تهيؤا للزواج ولم يبق الا العقد فسأل الشريف بركات من العريس ان يسمح له بهذه البنت فيتزوجها فسمح له بها

فعقدوا ايها على الشريف بركات

﴿زواج الشريف بركات بالشرق﴾

ودخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبي نمي ابن بركات

﴿ولادة الشريف أبي نمي ابن بركات سنة ٩١١ ليلة ٩ من ذي الحجة﴾

فولدت له الشريف أبا نمي المذكور ليلة التاسع من ذي الحجة سنة تسعمائة واحدى عشرة ونرجع الى اتمام الكلام الاول فنقول انه لما كان يوم التروية سنة تسعمائة وثمانية هجم الشريف بركات عن معه من العرب من عنيبة وغيرهم على مكة وشرعت العرب في النهب فأرسل الامرا الشريف بركات وضمنوا له ان يأخذوا له من أخيه حميضة خمسة آلاف دينار فقال حميضة مالي قدرة فأعطاه الامرا من مال الصر الذي جاؤا به فكف العرب ودخل مكة وهرب الشريف حميضة ثم ان السلطان الغوري أرسل بالتفويض الى الشريف بركات سنة تسعمائة وعشرة وان المعول في الامور عليه وأمر ان يخلع على أخيه قايتباي ويدعى له ولابنه على بن بركات ويختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر وفي سنة تسعمائة وثلاثة عشر خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومي الزبيدي الذي كان سببا في نهب مكة زمن أخيه أحمد الجازاني ووصل الى جبل الروحا وقتل مالك بن رومي وأولاده الثلاثة وأخاه مقبل بن رومي وطائفة كثيرة منهم وبعث برؤسهم الى الغوري ونصبت على أبواب مصر وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان الغوري

﴿وفاة علي بن بركات بن محمد بن بركات﴾

وفي هذه السنة توفي علي بن بركات فجعل الشريف بركات عوضه أخاه محمد بن بركات وكان كل منهما يلبس معه الخلعة أعني محمدا وقايتباي وفي سنة تسعمائة وخمسة عشر بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل الى السلطان الغوري بهدية من جملتها عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ذهبا وعشرون فرسا وللدويدار ثلاثة آلاف دينار فقابلهم السلطان وخلع عليه وعلى من معه وأرسل الى مولانا الشريف خلعة وهدية سنية وخاطبه بخطاب بليغ وفوض اليه جميع أمور الاقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها وحصل بمكة فرح عظيم

﴿وفاة قايتباي بن بركات بن محمد بن بركات﴾

وفي سنة تسعمائة وثمانية عشر توفي السيد قايتباي وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة أرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات الى عنده فأرسل يعتذر اليه وأرسل ابنه أبا نمي ابن بركات بدله الى مصر ومعه السيد عرار بن عجل وقاضي مكة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي ونجم الدين بن

وما على الكعبة من لباس . ان رث جاز بيعه للناس ولا يجوز أخذه بلا شرا . للاغنيا الا ولا للفقرا وقال الامام الفقيه أبو بكر الحدادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شئ من كسوة الكعبة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيأ من ذلك فعليه رده ولا عبرة بما يتوهمه انهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه . فقد روي عن ابن عباس وعائشة انهما قالا يباع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله تعالى انتهى . وقد ورد في الحديث لولا حداثة قومك بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله قال القرطبي من علماء المالكية رحمه الله تعالى كنز الكعبة المال المجتمع مما يحلى به من الذهب والفضة لان حليتها حبس عليها كقمرها وقناديلها لا يجوز صرفها (٤٩) في غيرها انتهى فعلى قول القرطبي يكون كسوتها أيضا حبسا عليها كقمرها وقناديلها فلا يملكها انتهى وقال الزركشي من علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في قواعده قال ابن عبدان أمنع من بيع كسوة الكعبة وأوجب رد من حمل منها شيأ وقال ابن الصلاح مفوض الى رأى الامام والذي يقتضيه القياس أن العادة استقرت قديما بأنها تبدل كل سنة وتأخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع وغيره والذي يظهر لي أن كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فأمرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبيين أو غيرهم وان كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع الى شرط الواقف فيها فهي لمن عينها له وان جهل شرط فيها عمل فيها

بما جرت العوائد السابقة فيها كما هو الحكم في سائر الاوقاف وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بني شيبة انهم يأخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله تعالى أعلم . وللعلماء المتأخرين رسائل في حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لي الآن الوقوف على شئ منها

.(الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما أحدث فيه من التوسيع والزيادة في زمان خلافة سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن خلافة سيدنا عثمان بن عفان وزمن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهدم عبد الله بن الزبير بناء قريش للكعبة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر

والميزاب من الكعبة واعادتها على ما بنته قريش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف)* اعلم ان الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا ابراهيم عليه السلام لم يكن حولها دار ولا جدار احتراما للكعبة الشريفة فلما آل أمر البيت الى قصي ابن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصي قومه وأمرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتا من جهاتها الاربع وكانوا يعظمون الكعبة ان يبنوا حولها بيوتا أو يدخلوا مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل فقال لهم قصي ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم وبدأ هو وبنى دار الندوة في الجانب الشامي كما تقدم بيانه ويقال انها مقام الحنفية الذي يصلي فيه الآن الامام الحنفي الصلوات الخمس وقسم قصي باقي الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم وشرعوا أبوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطائفين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال ان القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الشريف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى بيت الله تعالى ثم كثرت البيوت واتصلت الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على أشهر الاقوال بشعب بني هاشم بقرب الجبل المسمى الآن بشعب علي وكان صلى الله عليه وسلم يسكن دار سيدة النساء أم المؤمنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ثم لما ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون في زمن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه فرأى انه يزيد في المسجد الحرام فأول زيادة زيدت في المسجد الحرام زيادته رضي الله عنه *(فنبدأ بذكرها فنقول)* روينا بالسند المتصل المذكور سابقا في المقدمة عن الامام أبي الوليد الازرقي قال أخبرني جدي قال أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وانما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام * ولما كان زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها في المسجد وبقيت دور احتيج الى ادخالها في المسجد وأبى أصحابها من بيعها

يعقوب المالكي وولداه القاضي محمد والقاضي تاج الدين وجملة من القواد فتوجهوا الى مصر ومعهم السيد أبو نمي وعمره اذ ذاك ثماني سنين فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغوري بالاعزاز والاكرام وأجلس السيد أبا نمي على حجره وقبل يده وفرح به غاية الفرح وكان السلطان الغوري يتجهز للخروج الى قتال فسأل السيد أبا نمي ما سورتك فقال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستبشر الغوري بذلك ثم جعله شريكا لوالده في أمر مكة وجدة وينبع وسائر الاقطار الحجازية وكتب له توقيعا شريفا بكل ذلك وأعاده الى والده وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة وكان يدعى لهما على المنابر وفي سنة تسعمائة وعشرين حج أمير ركب السلطان الغوري ومعه اولاده محمد وكان أمير الحج مودة أكرمهم مولانا الشريف بركات وقام بكل ما يحتاجونه أتم قيام وسأله ان يتوجه معهم الى مصر ليجازوه على فعله فسار معهم وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثيرة لما وصل الى مصر وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر وأكرمه السلطان وأجزل بره والاحسان اليه ثم رجع الى مكة في شهر رجب من العام المذكور وزينت مكة لقدومه وكان يوم قدومه أكبر فرح

(ذكر قتال السلطان الغوري والسلطان سليم خان وفقد سلطان مصر سنة ٩٢٢)

وفي سنة اثنين وعشرين كان القتال بين السلطان الغوري والسلطان سليم ملك القسطنطينية بمرج دابق وكسرت الجراكسة وفقد السلطان الغوري في المعركة تحت سنابك الخيل وذلك كله مبسوط في التواريخ ودخل السلطان سليم مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان السلطان سليم كثير المحبة لاهل الحرمين وهو أول من رتب لهم صدقة الحب ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشا الى مكة المشرفة وكان بالديار المصرية القاضي صلاح الدين ابن أبي السعود بن ظهيرة معتقلا لان الغوري طلب منه عشرة آلاف دينار فجهز قاصي عمله الى مصر واعتقله ثمة فأطلقه السلطان سليم لما دخل مصر فلما بلغ القاضي تجهيز الجيش اجتمع بوزير مولانا السلطان سليم وعرفه عظمة صاحب مكة ومنزلته من الشرف وانه من خدم مولانا السلطان وان الرأي ارسال مكتوب اليه ولا تبدو منه مخالفة أبدا ولا يحتاج الى تجهيز جيش فاستقر الحال على ارسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات بابقاء الشريف أبي نمي على شركة أبيه نظير توقيع السلطان الغوري وكتب القاضي صلاح الدين لمولانا الشريف يعرفه بما وقع ويسأل منه ارسال ابنه الشريف محمد أبي نمي الى الحضرة السلطانية يتشرف باللقاء ويكون دليلا على الرضا والبقاء فقبل الشريف ذلك فلما وصل اليه الامر السلطاني أرسل ابنه أبا نمي وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة في حبس الغوري وأرسل بهم بعد اكرامهم

فقال لهم عمر رضي الله عنه أنتم نزلتم في فناء الكعبة وبنيتم به دوراً ولا نزلكون فناء الكعبة ومازلت الكعبة في سوحكم وفنائكم فقومت الدور وجعل ثمنها في جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت في المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبوابا كما كانت بين الدور وقيل ان تهدم جعلها في محاذاة الابواب السابقة ٭ ثم كثر الناس في زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بتوسعة المسجد واشترى دوراً حول المسجد هدمها وأدخلها في المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم ففعل كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهدم دورهم وأدخلها في المسجد فضج أصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال انما جرأكم على حلمي عليكم ألم يفعل ذلك بكم عمر رضي الله عنه فما ضج به أحد ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوه فضجرتم مني وصحتم علي ثم أمر بهم الى الحبس فتشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم ولم يذكر الازرقي رحمه الله متى كانت زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهما ٭ وذكر ابن جرير الطبري وابن الاثير الجوزي في تاريخهما ان زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت في سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان في سنة ست وعشرين من الهجرة ٭ أقول زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل أم نهشل ٭ قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقي محمد بن فهد الهاشمي العلوي رحمهم الله تعالى في كتاب اتحاف الورى باخبار أم القرى في حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل أم نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعمي مكانه الذي كان فيه لما عفاه السيل فأتي به وربط بلصق الكعبة في وجهها وذهب السيل بام نهشل بنت عبيدة بن سعد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلاً هائلاً فكتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالمدينة الشريفة فهاله ذلك وركب فزعا الى مكة فدخلها بعمرة في شهر رمضان فلما وصل الى مكة وقف على حجر

الى مكة

٭(ابتداء المحمل الرومي سنة ٩٢٣)٭

وأرسل الامير مصلح بيك بمحمل رومي وكسوة للكعبة وصدقات ولما وصل الشريف أبو نمي الى مصر قابله السلطان سليم بالاجلال والاكرام وأعاده شريكاً لوالده وعمره اذ ذاك اثنتا عشرة سنة وبعث معه أمراً سلطانيا بقتل حسين الكردي صاحب جدة من جهة الغوري وهو أول من بنى السور على جدة وولي على جدة الخواجا قاسم الشرواني فقام بالامر السيد عرار ونزل جدة وأغرق حسين الكردي المذكور في البحر بعد أن ربط في ظهره صخرة ولما أن قدم الامير مصلح بيك بالمحمل الرومي والامير العلائي بالمحمل المصري خرج الشريف لملاقاتهما هو وابنه في عرضة من قومه فالتقوا في الزاهر ولبسا الخلعة وسار امام الامراء والمحمل خلفهما الى أن أوصلاهما الى باب السلام فأدخل المحملان الحرم وجعل أحدهما على يمين مدرسة الاشرف قايتباي والآخر على يسارها وسكن الامير مصلح المدرسة وسكن الامير المصري رباطا كان في مسيل الوادي هدم بعد ذلك لتوسعة المسيل وفرقت الصدقة الرومية لاربع مضين من ذي الحجة سنة تسعمائة وثلاثة وعشرين في الحرم على الفقراء والمجاورين من أهل مكة وقرر فيها لصاحب مكة خمسمائة دينار ثم فرقت الذخيرة وهي صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها الجراكسة فأبقاها مولانا السلطان سليم تفرق على العربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة ثم فرقت صدقة الاوقاف المصرية ويسمى الصر الحكمي ولم يحج في تلك السنة المحمل الشامي وخطب يوم التروية الشريف النواكيري ودعا لحضرة مولانا السلطان سليم وخطب بعرفة قاضي مكة القاضي صلاح الدين بن ظهيرة ودعا للسلطان في الموقف الاعظم

٭(أول ورود حب الصدقة لاهل مكة سنة ٩٢٣)٭

ثم وصلت الى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب قمح وهو أول حب ورد لاهل مكة فكتب جميع بيوت أهل مكة الا السوقة والتجار ووزع عليهم ذلك الحب وكان المتولي لنظر ذلك الامير مصلح قال العلامة السنجاري وقد تزايد هذا الحب ولله الحمد حتى صار معاش أهل مكة منه فان السلطان سليمان زاد على ذلك ثلاثة آلاف أردب والسلطان مراد بن سليم بن سليمان زاد خمسة آلاف أردب فيجب على أهل مكة وسائر الاقطار الاسلامية الدعاء من صميم الفؤاد بدوام هذه الدولة الشريفة العثمانية أدامها الله تعالى الى يوم القيامة وعمر الامير مصلح مقام السادة الحنفية ولما فرغ توجه الى المدينة المنورة لاجراء الصدقات ثم الى مصر ثم الى الروم

المقام وهو ملصق بالبيت الشريف ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي رضي الله عنه انا يا أمير المؤمنين عندي علم ذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الامر فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بمقاط وهي عندي في البيت فقال له عمر رضي الله عنه اجلس عندي وأرسل اليها من يأتي بها فجلس عنده وأرسل اليها فأتى بها فقيس ووضع حجر المقام في هذا المحل الذي هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الى الآن قال وفيها وسع أمير المؤمنين رضي الله عنه الردم الذي بأعلى مكة وبنى المسجد وبناه بالضفائر والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعلم سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم في سنة اثنتين ومائتين وكشف عن بعض أحجاره وهدت فيه صخرة عظيمة كبيرة لم ير مثلها والاقدمون يسمون هذا الردم ردم بني جمح بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من قريش نسبوا الى جمح بن عمرو بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك * أقول المراد بهذا الردم الموضع الذي يقال له الآن المدعا وهو ما كان يرى منه البيت الشريف أول ما يرى وكان الناس يرونه خصوصا من يريد الحج من ثنية كدا وهي الحجون اذا وصلوا هذا المحل شاهدوا منه البيت الشريف والدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى وكانوا يقفون هناك للدعاء واما الآن فقد حالت أبنية عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة الى انه المدعا * قال مولانا القاضي جمال الدين محمد أبو البقاء بن الضياء الحنفي في كتاب البحر العميق في مناسك الحج الى بيت الله العتيق انه كان يرى في زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعني المدعا فاذا والسيد ظهر له يقف ويدعو ويسأل الله حوائجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية البيت * ونقل حافظ الدين النسفي في المنافع عن صاحب الهداية رحمهما الله تعالى انه استوصى عن شيخ سماه له فقال له اذا وصلت المدعا من كدا ورأيت الكعبة فادع الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعاء فلم قال ان من زارها ودعا كانت دعوته مستجابة انتهى * وكان القاضي أبو البقاء بن الضياء المذكور في أواسط المائة التاسعة ووفاته في سنة أربع وخمسين وثمانمائة ولا شك ان من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عند مشاهدتهم الكعبة ولا أعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وكان ذلك المحل غير مرتفع في عهده صلى الله

(وفاة السلطان سليم سنة ٩٢٦)

وتوفي السلطان سليم سنة تسعمائة وستة وعشرين وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان وأرسل بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبو نمي

(وفاة الشريف بركات سنة ٩٣١)

واستمر الشريف بركات الى ان توفي رابع عشر ذي الحجة وفي تاريخ الرضي لست بقين من ذي القعدة سنة تسعمائة واحدى وثلاثين وصلى عليه تجاه الكعبة وطيف به سبعا ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة وله من العمر احدى وسبعون سنة وكانت مدة ولايته استقلالا ومشاركة لابيه وولده واخوته نحو ثلاث وخمسين سنة وخلف كثيرا من الاولاد أعظمهم وأعلاهم قدرا الشريف أبو نمي

(ولاية الشريف أبي نمي استقلالا بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة)

فولي مكة بعد وفاة أبيه وتقدم ان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكان ذا جد واقبال وسعد يستمد به في جميع الاحوال وكان والده الشريف بركات يضع يده على ناصية ابنه أبي نمي ويقول لم تزل الاكدار علي متوالية حتى ظهرت هذه الناصية وقد أعز الله الشريف أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه وجعل له من الذكر والصيت ما لم يكن لاحد من اسلافه وآبائه شارك والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة ثم استقل باعباء سلطنة الحجاز بعد موت أبيه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وجاءته المراسيم السلطانية العلية فتمهدت بولايته نار الفتن وأجمع بمكة وجه الزمن ولم يزل متمتعا بمكارم الشيم ودانت له رقاب الامم وفي سنة تسعمائة وأربعة وأربعين توجه الشريف أبو نمي لاخذ جازان وصاحبها اذ ذاك عامر بن عزيز فأخذها الشريف وقرر صاحبها وأقام بها الشريف قائدا من جهته يضبطها ورجع ظافرا منصورا واستمرت في حكمه الى سنة تسعمائة وخمسة وأربعين فلما مر بها سليمان باشا راجعا من اليمن أخرج منها قائد الشريف وأقام فيها نائبا من جهته وأضافها الى ما افتتحه من اليمن ثم ورد سليمان باشا مكة فواجهه الشريف ليلة دخوله في الحرم ولما أراد التوجه الى مصر بعث معه الشريف أبو نمي ابنه السيد أحمد لمقابلة مولانا السلطان سليمان وصحبته السيد عرار بن عجل والقاضي تاج الدين المالكي فوصلوا الروم واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان ففرح بهم وأجلس السيد أحمد بن الشريف أبي نمي مسامتا له على يساره وأحسن اليهم وأشرك السيد أحمد مع أبيه في امرة مكة

(جد الاشراف آل منديل وآل سرار)

عليه وسلم ومارفعه الاسيدنا عمر رضي الله عنه بالردم الذي بناه وارتفع عن الارض فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه ولكني أنظر في جميع عمري في المدعا بوقف فيه تبركا فالائق استمرار وقوف الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى أعلم • ولما ردم هذا المكان صار السيل اذا وصل من أعلى مكة لا يعلو هذا المكان بل كان ينصرف عنه الى جهة الشمال للبناء الذي بناه عمر رضي الله عنه فلا يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن وصارت هذه الجهة من يومئذ الى اثناء هذا مرتفعة عن ممر السيل وصار السيل الكبير كله ينحدر الى جهة سوق الليل ويمر بالجانب الجنوبي من المسجد الى ان يخرج من أسفل مكة وهذا السيل وادي ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل جياد ويمر عرضا الى ان يصدم الركن اليماني من المسجد وينصرف الى أسفل مكة وقوة جريان هذا السيل يمنع من جريان سيل وادي ابراهيم فيقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة في كل عشرة أعوام تقريبا مرة فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الناس الى التنظيف وتبديل الحصى ونحو ذلك وقد عمل المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا لذلك غاية الاهتمام واندثرت أعمالهم بطول الزمان ولم يتفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد ولسنا الآن بصدد شرح ذلك ﴿واما زيادة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في المسجد الحرام﴾ فقد ذكرها الامام أقضى القضاة الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية وغيره من الائمة المعتمدين رحمهم الله تعالى وفي كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه جدار يحيط به وكانت الدور محيطة به وبين الدور أبواب تدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دورا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جدارا قصيرا وكانت المصابيح توضع عليه وكان عمر رضي الله عنه أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها أيضا وبنى المسجد الحرام والاروقة فكان عثمان أول من اتخذ

والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل منديل وآل حراز وتوفي السيد عرار هناك وتوعك السيد أحمد فلم يرجع من عامه ورجع سنة تسعمائة وسبعة وأربعين ولاقاه والده الشريف أبو نمي من وادي مر الظهران ومد له سماطا هناك ودخل مكة غرة ربيع الاول وقرأ توقيعه بالحطيم يوم العاشر من ربيع وألبس الخلعة السلطانية وطاف بها والمؤذن يدعو له ولوالده وامتدحه الادباء والشعراء بالشعر الرائق

•(ذكر قتال الشريف أبي نمي الافرنج بجدة)•

ومن مناقب الشريف أبي نمي قتاله الافرنج وذلك انه في سنة تسعمائة وثمانية وأربعين خرجت طائفة عظيمة من الافرنج وضربت غالب البنادر ثم قصدوا جدة في أواخر السنة ونزلوا المرسى المعروف بابي الدوائر في خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم مولانا الشريف أبو نمي بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة في جيش عظيم بعد ان أمر بالنداء في نواحي مكة من يحب أهله أمر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة فبلغ أهل الجهاد مبلغا عظيما لا يعد ولا يحد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فشاهدوهم يزيدون عددا وعددا وعيشا رغدا وخدم مولانا الشريف يتوجهون الى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام بأغلى ثمن حتى فرغت الحروب وكادت تعدم فاقبلوا على نحر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنة واستمر ذلك مدة فقال بعض الناس لمولانا الشريف ان هذا الفعل يستأصل ما عندك من الابل فأجابه باني نويت ان أنحر ما أملكه وعلكه أولادي وأحفادي واذا نفدت الابل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله ولما قرب زمن الحج برز أمره الى ابنه الشريف أحمد ان يقابل الامراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه توجهوا القاء مولانا الشريف أبي نمي بجدة لالباسه الخلع فقابلهم ولاقاهم وهو شاكي السلاح لا يبادرونه على هيئة المقاتل ولما ان قرب الامراء أمر باطلاق المدافع فاطلق لقابلتهم نحو ثمانمائة مدفع فالبسوه الخلع الواردة بحجتهم وانصرفوا راجعين ولما رأى الافرنج صبره وحصاره لهم انقلبوا خائبين مخذولين ولما بلغ مولانا السلطان سليمان ذلك زاد في اكرام المشار اليه وسمح له بنصف معلوم جدة الى غير ذلك من الانعامات التي لا تحصر

•(فتنة بين الشريف أبي نمي وأمير الحج محمود باشا سنة ٩٥٨)•

وفي سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين الشريف أبي نمي وأمير الحاج محمود باشا وذلك ان محمود باشا سولت له نفسه الهجوم على الشريف أبي نمي يوم النحر وقتله هو وأولاده في ساعة واحدة فظفرهم الله به ووقع في أيديهم وأرادوا قتله ثم ان الشريف خشي على الحاج فامسك

المسجد الاروقة انتهى • وقال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث سنة ست وعشرين فيها اعتمر امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة فأتى ليلا فدخل فطاف وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ماقدمناه قال وجدد أنصاب الحرم وكلم أهل مكة عثمان رضي الله عنه أن يحول الساحل من الشعيبة وهي ساحل مكة قديما في الجاهلية الى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة فخرج عثمان رضي الله عنه الى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله أحد الا بمئزر ثم خرج من جدة على طريق عسفان الى المدينة وترك الناس ساحل الشعيبة من ذلك الزمان (٥٤) واستمرت جدة بندرا الى الآن لمكة شرفها الله تعالى وهي على مرحلتين طويلتين من مكة بسير الاثقال تستوعب احداهما الليل كله في أيام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشيء قليل وأما الراكب المجد والساعي على قدميه فيقطعها في ليلة واحدة وما رأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيها بل رأيت من أدركت من مشايخي الحنفية كانوا يكملون الصلاة فيها وأما أنا فأرى القصر فيها لان مدة القصر عندنا ثلاث مراحل يقطع كل مرحلة في أكثر من نصف النهار من أقصر الايام بسير الاثقال وهاتان المرحلتان تكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فأزيد ثم رأيت في موطأ الامام مالك رضي الله عنه حديثا يدل على صحة ماجنحت اليه ورويته عن مالك أنه بلغه ان ابن عباس كان يقصر الصلاة في مثل ما بين مكة والطائف وفي مثل ما بين مكة وعسفان وفي مثل ما بين مكة وجدة والله أعلم ﴿ثم وقعت زيادة الشريف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه﴾ هو صحابي ابن صحابي أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ذات النطاقين وخالته عائشة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق رضي الله عنه وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قوي قسم الليالي الى ثلاث فليلة يصلي قائما الى الصبح وليلة

عن قتله وأمر باطلاقه ثم ذهب الشريف ليلة النفر الى مكة والناس في أمر مريج فلم يرد ذلك الجبار الاطغيانا فنادى ان الشريف معزول فلما سمع الاعراب ذلك نهبوا الحجاج وأخذوا أموالا كثيرة وعزموا على أخذ مكة أيضا فبلغ ذلك الشريف وعلم هلاك الحجاج فركب بنفسه وأثخن في العرب الجراح وقتل بعضهم فخمدوا واستقر أمير الحاج بمكة والناس في أمر مريج بحيث عطلت أكثر شعار الحج ورحل كثير من الحجاج من غير رمي للجمار ثم رحل محمود باشا وهو يتوعد الشريف بالعزل والنقمة من السلطنة ثم كان عكس ما أضمر فلما وصل الخبر من الابواب السلطانية أرسلوا التأييد والاعتذار لمولانا الشريف عما وقع من محمود باشا وانه قوبل بما يستحقه من النكال وكان ذلك من كرامات صاحب مكة وقبل هذه الفتنة كان السيد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن أحمد بن الاستاذ الفقيه المقدم باعلوي بالفقيه المشهور صاحب الشبيكة أرسل من حضرموت كتابا لمولانا الشريف أبي نمي يقول فيه ما عليك من الطاحين والعبيد والفلاحين وأنت منصور عليهم مع اشارات كثيرة لم يفهم معناها الا بعد وقوعها أرسلها مع خادمه فحفظ الشريف الكتاب فوقعت تلك الواقعة بمنى فلما أراد الخادم ان يسافر الى حضرموت طلب من الشريف جواب الكتاب فقال له الشريف شيخك صفته كذا وكذا وجعل يصف السيد فقال له الخادم هذه صفة سيدي عبد الله بالفقيه فقال له الشريف رأيته في وقت الواقعة وهو امامي يذود الناس عني وكان الشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري حج في هذا العام ونزل من منى للطواف والسعي وكان عنده في منزله الشيخ أحمد الحرفوش فحصل للشيخ محمد حالة جلال فجعل يدور في المجلس الذي هو فيه وقد امتلأ غيظا ويشير بيده كأنه يدفع شيئا ويقول حوش يا حرفوش فاستغرب الحرفوش ذلك ثم ان الشيخ لما سكنت حالته قال للحرفوش الآن وقعت بمنى فتنة عظيمة وكان الامر كذلك (ويحكى) عن بعض مشايخ اليمن انه أمر بعض فقرائه وهو باليمن ان يجذب ماء من بئر عندهم في بلدهم ويكبه في الارض في ساعة الوقعة ثم عاد الى شعوره وقال وقعت فتنة عظيمة بمنى وطفأناها بهذا الماء ومحمود باشا صاحب الواقعة كان ممن ولي اليمن وأرسله داود باشا صاحب مصر بخلع للشريف فلما وصل الى مكة كأنه لم يرض بما قوبل به من الشريف فعاد الى مصر وهو تعبان في نفسه فلما صار أمير الحج سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت منه هذه الفتنة ثم انه ورد متولي اليمن سنة تسعمائة وستين فلما وصل الى جدة لم يحتفل به جماعة الشريف لما سلف منه فأرسل للشريف يعتذر ويحلف له أن ماوقع منه كان من غير اختيار وانه تاب الى الله عز وجل ورجع فقبل الشريف عذره وأرسل الى خدمه فتلافوا ما فرط منهم في حقه ثم انه صعد الى مكة للطواف فخرج أناس للاقاته وبشروه برضا

يصلي ويستمر راكعا الى الصبح وليلة يصلي ويستمر ساجدا الى الصبح وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين حديثا • وكان ممن أبى البيعة ليزيد وفر الى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا أهل مصر والشام فانهم بايعوا ليزيد فلما هلك أطاع أهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام الى أن ولي عبد الملك فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير وأمر الحجاج عليهم ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه فخرج ابن الزبير وحده وقاتل قتالا عظيما الى أن استشهد رضي الله عنه في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وأنشد فيه النابغة الجعدي

حكيت لنا الصديق لما وليتنا • وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس في الحق فاستوى • وعاد صباحا حالك الليل أسحم

وكان لما حاصره الحصين ابن نمير في عسكر جهزه يزيد عليه التجأ الى المسجد الحرام فنصب عليه المجانيق وأصاب بعض حجارة الكعبة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استقصرتها حين بنت الكعبة فان بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع أخرجه الشيخان في صحيحيهما وفي رواية مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير اني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الناس حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فمنهم من أبى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم وأقدم على ذلك ﴿ولما أراد هدم البيت الشريف لتجديد بنائه﴾ خرج أهل مكة خوفا وامتنع العمال عن ذلك فأرقى عبد الله بن الزبير عبيدا من السافين وعبيدا من الحبوش يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة • قال الامام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله في تاريخه مرآة الجنان أراد عبد الله بن

الشريف ففرح بذلك وقابله مولانا الشريف من تربة الشيخ محمود هو واخوته ففرح غاية الفرح وأنزلوه مدرسة قايتباي وعملوا له سماطا فاقام يومين ورجع الى جدة متوجها الى اليمن

•(وفاة السيد أحمد بن أبي نمي سنة ٩٦١)•

وفي سنة تسعمائة واحدى وستين توفي السيد احمد بن أبي نمي والسيد أحمد هذا هو جد السادة الاشراف آل منديل وآل سرار وكان أكبر من الشريف حسن وكان مشاركا لابيه بأمر سلطاني بالتماس والده فكان يلبس معه خلعة ثانية فلما توفي التمس مولانا الشريف من السلطنة ان يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة وزينت البلد سبعة أيام

•(ابتداء مجيء المحمل من اليمن سنة ٩٦٣ واستمر الى سنة ١٠٤٩)•

وفي سنة تسعمائة وثلاثة وستين عرض الوزير مصطفى باشا المتولي على اليمن على مولانا السلطان أن يحدث محملا يجيء من اليمن فأذن له فوصل المحمل فبرز مولانا الشريف لملاقاته الى بركة ماجن ولبس الخلعة ودخل الشريف مكة ومعه المحمل والامير وأنزلوا المحمل بالمعلا واستمر مجيء هذا المحمل الى سنة ألف وتسعة وأربعين ثم انقطع لما حدث من الفتن وفي سنة أربعة وسبعين وتسعمائة طلب مولانا الشريف من السلطنة تفويض الامر الى ابنه الشريف حسن وأراد هو العكوف على العبادة فجاء الامر بالتفويض لابنه الحسن بحيث فوض اليه أمر مكة وجدة والمدينة وينبع وخيبر وحلي وجميع أقطار الحجاز من خيبر الى حلي الى نجد وما دخل في ذلك وعكف مولانا الشريف أبو نمي على العبادة واجتناء العلوم وكان جامعا لاشتات الفضائل حائزا لمحاسن الشمائل وله النثر الفائق والشعر الرائق وتوفي ابنه الشريف بركات سنة تسعمائة وخمسة وثمانين فحزن عليه كثيرا قال الشيخ نور الدين الشهير بالعلم دخلت على مولانا الشريف أبي نمي معزيا له في ولده السيد بركات فانهملت دموعه فأخذها عنديل فأنشدته ارتجالا

يا أيها الملك العزيز ومن رقى • هام العلى رفع المهيمن شانه

لا تبك مرحوما أتى تاريخه • بركات أنزله اللطيف جنانه

•(وفاة الشريف أبي نمي سنة ٩٩٢ ومدة ولايته مشاركة واستقلالا ٧٢ وعمره ٨٠)•

فسري عنه بعض ما كان فيه واستمر الشريف أبو نمي الى أن توفي تاسع شهر المحرم وقيل في العاشر سنة تسعمائة واثنتين وتسعين بوادي الابار من جهة اليمن وحمل الى مكة وصلي عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلا وبني عليه قبة وكان عمره ثمانين سنة وشهرا ويوما ومدة ولايته منفردا ومشاركا لوالده

الزبير ان يجعل الطين الذي بني به الكعبة من الورس فقيل له انه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالجص فأرسل الى صنعاء اليمن
طلب منها جصا نقيا فاحكما فأتوا به فبني به الكعبة اه ﴿فلما أكملوا هدمها﴾ كشف منها عن أساس ابراهيم عليه السلام فوجد
الحجر داخلا في البيت فبني البيت على ذلك الاساس وكان أدار سترا على فناء البيت وكان البناة يبنون من وراء ذلك الستر والناس
يطوفون من خارج وادخل الحجر في البيت وألصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه وفتح لها بابا غربيا في مقابلة هذا الباب
ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف خمسة وعشرون
سنة وكانت النفقة قصرت بقريش لما بنوا (٥٦) الكعبة يومئذ فأخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حائطا قصيرا
علي انه من الكعبة فأزال
عبد الله بن الزبير ذلك
الوضع وأعادها على
ما كانت عليه زمن الجاهلية
وهي على قواعد ابراهيم
عليه السلام وكان طول
الكعبة قبل قريش تسعة
أذرع فلما أكمل عبد الله بن
الزبير طولها ثمانية عشر
ذراعا عرضية لا طول لها
فزاد في طولها تسعة أذرع
فصار طولها في السماء
سبعة وعشرين ذراعا
﴿ولما فرغ من بنائها﴾
طيبها بالمسك والعنبر داخلا
وخارجا من أعلاها الى
أسفلها وكساها بالديباج
وبقيت من الحجارة بقية
فرشها حول البيت
الشريف نحوا من عشرة
أذرع • وكان فراغه من
عمارة البيت الشريف في
سابع عشر رجب سنة
أربع وستين من الهجرة
فخرج الى التنعيم هو وأهل
مكة معتمرين شكرا لله
تعالى وعمرانه بدنة وذبح
كل أحد على قدر وسعه وجعلوا ذلك اليوم عيدا مشهودا وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة الى هذى
اليوم يجتمعون الى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن الاعتمار في هذا اليوم في كل عام ويأتون من البر بقصد هذه العمرة
وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيد قتادة بن ادريس
ابن الحسني جد ساداتنا الاشراف ولاة مكة الآن أدام الله تعالى عزهم وسعادتهم لما علم من أمراء مكة يومئذ وهم طائفة أخرى
من بني حسن يقال لهم الهواشم لانهماكهم على اللهو واللذات وكثرة الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم ونفرت
القلوب عنهم وعدم توجههم الى أحوال البلاد ترقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفرصة لاشتغال

ثلاث وسبعون سنة (يحكى) ان الشيخ عفيف الدين الدلاصي لما توفي الشريف أبو نمي امتنع من
الصلاة عليه فرأى تلك الليلة سيدة النساء السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في المسجد الحرام
والناس يسلمون عليها فأراد الشيخ عفيف الدين السلام عليها فأعرضت عنه فتعلل وسألها فقالت
يموت ابني ولا تصلي عليه فاعتذر اليها واستيقظ من نومه وحدث بما رأى وأعقب الشريف أبو
نمي كثيرا من الذكور والاناث فمن الذكور الحسن وثقبة وشبير وراجح ومنصور وسرور ومنهم أحمد
وبركات لكنهما توفيا في حياته ولكل منهما عقب وكان من أعظم أولاد الشريف أبي نمي الشريف
حسن •(ولاية الشريف حسن بن أبي نمي استقلالا)•
فولي مكة بعد موت أبيه ولبعض الفضلاء من أهل مكة في تاريخ وفاة الشريف أبي نمي

يامن به طبنا وطاب الوجود • قد كنت بدرا في سماء السعود
ما صرت في الترب ولكنما • أسكنك الله جنان الخلود

٩٩٢
ذكر السيد عبد القادر العيدروس صاحب النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر ان
الشريف أبا نمي كان من أكابر العلماء وجلة الاولياء وقد أخذ كثيرا عن العلماء وأخذ عنه
كثيرون اه وكانت ولادة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي سنة تسعمائة واثنين وثلاثين حملت
به أمه عام وفاة جده الشريف بركات وكان الشريف حسن جامعا بين الفتوة والديانة كما جمع جده
صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة كأنه معهد للكمالات الجلية ومعقد لخناصر أرباب الهمم
العلية وكانت آية عظيمة في حل المشكلات مع وفور العقل وصحة الفراسات اثمر للعلماء المفاخر
وألحق عاجزهم بالماهر فانتظموا في سوحه انتظام اللآلئ في الاكاليل ونظموا في محاسنه ما يضاهي
زواهر الاكاليل وكان يجيز على البيت الواحد والقصيدة الالف وأكثر وأبرزت له مخدرات العلوم من
أنواع ما ينظم وينثر وهو أول من كتب في التوقيعات يجري على الوجه الشرعي والقانون العرفي
المرعي فكان يكتب ذلك على الحجج الشرعية وتبعه على ذلك من بعده من الملوك ويكتب على
القصص وهي الاسترحامات الجواب الى سؤاله زاد الله في نواله وكتبه فلان وعلى ظهر الحجة والقصة ويكتب
على التقارير اسمه فقط من غير ان يجهر عليه ولما توفي والده تولى امارة مكة وجاءته المراسيم
السلطانية بالتأييد وهناه الشعراء ومدحوه بقصائد كثيرة ولما بنى دار السعادة التي هي منزله جعل
له بعض الافاضل أبيات شعر كتبت في بعض الطراز وهي هذه

ياسائلي عن محل الملك من كتب • لها السعادة ما ان سارت الفلك

أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بتهليلاتهم الى التنعيم فهيم بعينه وذويه يدخل مكة وهى يومئذ مسورة وولاتها من حسن الهواشم آخرهم الشريف مكثر بن عيسى بن فليتة ففر عن معه الى جهات اليمن وتمكن السيد قتادة من البلاد وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية فى ولده الى الآن والى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وفى سنة أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر فكتب اليه عبد الملك ان يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامى قدر ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش وكبس أرضها بالحجارة التى فضلت ورفع الباب الشرقى وسد الباب الغربى وترك سائرها ولم يغير منها شيأ فهى الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامى بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله ابن الزبير فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحج فى ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله ابن ربيعة المخزومى وهو من ثقات الرواة فحادثه فى أمر الكعبة فقال عبد الملك ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمع منها فى أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك من عائشة رضى الله عنها انها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومك استقصروا فى بناء البيت ولولا حدثان عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه فى زمن ابراهيم وان بدا لقومك ان يبنوه فهلمى لاريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع قال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بابا شرقيا يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه فقال عبد الملك أنت سمعتها تقول ذلك قال نعم سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب فى يده منكسا ساعة طويلة ثم قال وددت والله انى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ذكره النجم بن فهد رحمه الله تعالى وقد ذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد المهمة والحديث مشهور ورجعنا الى ما نحن بصدده فى ذكر زيادة سيدنا عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام ◦ وبسندنا المتقدم ذكره متصلا مرفوعا الى الامام أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الازرقى قال حدثنى جدى قال كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان

هذى الديار التى قد عز منشؤها ◦ فما بنى مثلها عجم ولا ترك
أرخت بنيانها اذ تم معظمها ◦ بنظم بيت كدر زانه السلك
ما منزل الملك الا ما حوى حسن ◦ وفى بنيه يكون العز والملك

فكتب ذلك فى الطراز فعظم على أخيه السيد ثقبة بن أبى نمى بيت التاريخ فأنشأ داره المعروفة به وكتب فى طرازها شعرا أنشأه له بعض الفضلاء رجا فيه بقوله

◦(ما منزل الملك الا ما حوى ثقبه)◦

ففرح به السيد ثقبة غاية الفرح لمناقضته للسابق فى دار الشريف حسن فاتفق انه لما جلس فيه للسكنى أتاه الشريف حسن للتهنئة وجعل يقرأ الطراز فلما وصل الى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبة من الخجل وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن وللشيخ عبد القادر الطبرى أبيات فيها تاريخ دار السعادة فى شطر هى هذه

ان بيتا بناه خير مليك ◦ أسس الله كفه واشاده
فاق فى وصفه وحسن بناه ◦ كل قصر لاهل العلى والسياده
جاء تاريخ وصفه فى نصيف ◦ أنا بيت الملوك دار السعاده

◦(موضع دار السعادة ودار الهناء)◦

يقال ان دار السعادة كان فى موضع التكية المصرية الآن وكان من تولى من ذوى زيد ينزله وأما ذوو بركات فينزلون فى دار الهناء ويقال انه كان فى موضع بيت الشريف محسن الذى تجاه باب الوداع وذكر السيد محمد مدنى المعروف بكبريت انه دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبى على مولانا الشريف حسن يستأذنه فى السفر الى الهند فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائى

فيم اقتحامك لج البحر تركبه ◦ وأنت تكفيك منه مصة الوشل

(فاجابه بقول الطغرائى من القصيدة)

أريد بسطة كف أستعين بها ◦ على قضاء حقوق للعلى قبلى

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة حيث لم يكن مذكورا عقب البيت الذى ذكره مولانا الشريف وامر له بألف دينار وفى أيامه فى سنة تسعمائة وست وتسعين فقد مفتاح الكعبة وذلك ان الشيخ عبد الواحد الشيبى فتح الكعبة فى رمضان على جرى العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب فوقعت الضجة واغلقت أبواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفر وابه ثم وجد سنان باشا اليمن مع رجل أعجمى فأخذه وقرره وكبس داره فوجد عنده غير المفتاح كثيرا من

الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشى يتبعون الافياء فاذا قلص قامت المجالس * قال وحدثنا جدى حدثنا عبد الرحمن بن
الحسن بن القاسم بن عقبة عن أبيه قال زاد عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام واشترى دورا وأدخلها فى المسجد وكان مما اشترى
بعض دار جدنا الازرقى وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بنى شيبة على يسار الداخل الى المسجد وكانت دارا
كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر ألف دينار وأدخلها المسجد الحرام وكتب لنا الى أخيه مصعب بن الزبير بالعراق يدفع الينا فقال
فركب رجال منا الى العراق فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث الا يسيرا حتى قتل مصعب فرجعوا الى مكة فصار
ابن الزبير يعدنا ويدافعنا حتى جاء الحجاج ابن يوسف وحاصره وقتل ولم نأخذ منه شيأ * قال وذكر جدى أنه سمع
مشيخة أهل مكة يذكرون
ان عبد الله بن الزبير
سقف المسجد غير انهم
لا يدرون أكله سقف أم
بعضه قال ثم عمره عبد الملك
ابن مروان ولم يزد فيه
لكنه رفع جدرانه وسقفه
بالساج وعمره عمارة حسنة
* قال وحدثنى جدى حدثنا
سفيان بن عيينة عن
سعيد بن قرة عن أبيه قال
كنت على عمل المسجد فى
زمان عبد الملك بن مروان
فأمر أن يجعل فى رأس كل
اسطوانة خمسين مثقالا
من الذهب قال وروى
جدى عن سفيان عن
عمرو بن دينار عن يحيى بن
جعدة عن زاذان بن فروخ
قال مسجد الكوفة تسعة
أجربة ومسجد مكة سبعة
أجربة وذلك فى زمان عبد
الله بن الزبير ﴿ذكر عمارة
الوليد بن عبد الملك
للمسجد الحرام﴾ قال شيخ
شيوخنا الحافظ السيوطى
رحمه الله تعالى كان الوليد
جبارا ظالما أخرج أبو نعيم فى الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن تاما لها
حيان بالحجاز وقرة بن يزيد بمصر امتلأت الارض والله جورا قال الحافظ السيوطى لكنه أقام الجهاد فى أيامه وقصت فى دولته
الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه * وقال ابن أبى عبيدة وأين مثل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد
دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوى وبنائه قال أبو الوليد الازرقى قال جدى عمر الوليد المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك
وعمل عملا محكما وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو أول من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس
الاساطين صفائح الذهب وأزر المسجد بالرخام وجعل للمسجد شرافات قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى بعث الوليد بن عبد

السرقات أقر بها فقطع رأسه وأرسل المفتاح للشيخ عبد الواحد الشيبى وقد ترجم مولانا الشريف
حسن بن أبى نمى العلامة المحبى فى كتابه المسمى خلاصة الاثر فى أعيان أهل القرن الحادى عشر
وأطال فى ترجمته فياذكره وله نشأ فى كفالة والده وساعد والده وساعده ولبس الخلعة الثانية بعد أخيه
أحمد فى سنة اثنتين وستين وتسعمائة ثم فوض اليه والده الامر فلبس الخلعة الكبرى التى لصاحب
مكة ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية واستمر مشاركا لوالده فى الامرة الى ان انتقل والده سنة اثنتين
وتسعين وتسعمائة فاستقل بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن قيام وضبط الامور والاحكام على
أحسن نظام وأمنت البلاد واطمأنت العباد وقطع دابر أهل الفساد فكانت القوافل والاحمال
تسير بكثير من الاموال مع آحاد الرجال ولو فى المخاوف والمهالك وخافه كل مقدام فاتك وكان عظيم
القدر مفرط الدهاء بصيرا بفصل الامور شجاعا مقداما صاحب فراسة عجيبة

﴿فراسة الشريف حسن بن أبى نمى فى أحكامه﴾

(حكى) انه سرقت الفرضة السلطانية بجدة وضاع منها قناديل مسورة وأموال كثيرة ولم يكسر بابها
ولا نقب جدارها ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب بل وجد حبل مسدول من بعض
الجوانب فلما عرض الامر عليه طلب الحبل ثم شمه فقال هذا حبل عطار ثم دفعه الى ثقة من
خدامه وأمره ان يدور على العطارين فعرفه بعضهم وقال هذا الحبل كان عندى اشتراه منى فلان
فسألوا عن ذلك فوجدوا الحبل قد نقل من رجل الى رجل الى ان وصل لشخص من جماعة أمير جدة
ثم وجدت السرقة بعينها فى المحل الذى ظنها فيه ومن ذلك انه اختصم عنده رجلان مصرى وشامى
فى جارية فادعى كل منهما انها أمته وأقام بذلك بينة فأحال فكرته الوقادة وطلب قليلا من الحب وقال
لها ما اسم هذا فى بلادكم فقالت برغل فحكم بها للمصرى فظهر بعد ذلك انها ملكه ومن ذلك انه اختصم لديه
رجلان شامى ومصرى فى جمل فادعى كل منهما انه له وأقام بذلك حجة ثم قال لهما انى سأحكم بحكم فان
ظهر لى أن الحق بيد أحد كما غرمت الآخر ثمن الجمل فأمر بذبح الجمل فذبح وأمر باستخراج مخه
فاستخرج فتأمله وقضى بالجمل للشامى وأمر المصرى بتسليم القيمة فقيل له فى ذلك فقال رأيت مخه
منعقدا فاستدللت بذلك ان أهل الشام يعلفون دوابهم الكرسنة وهى تعقد المخ وأهل مصر
يعلفون الفول وهو يعقد الشحم دون المخ فظهر بعد ذلك ان الحق كما قال ومن ذلك ان شخصا دفن
مالا بالمزدلفة أى لكونه محفوظا مدة مقامه بالمزدلفة وكان شخص يرقبه فلما قصد النفر منها الى
منى وجد المال قد حفر عنه وأخذ ولم يظفر بأثر من آثار الغريم الا بعصا ملقاة فأخذها ورفع شكواه
اليه وذكر له القصة فسأله هل وجدت من أثر فقال نعم وجدت عصا ملقاة فطلبها منه فأحضرها ثم

الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابي الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في باطنها وعلى الاركان التي في جوفها ويقال ان الحلية التي حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هي ما كانت في مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الاندلس على بغل قوي تفسخ تحتها وكان لها أطواق من ياقوت وزبرجد

﴿الباب الرابع في ذكر ما زاده العباسيون في المسجد الحرام﴾

لما انطوى بساط ملك بني مروان وآل الى آل عباس الامرة والسلطان مزقت بنو أمية كل ممزق وشقق الدهر حلل ايناسهم ومزق وحرق بنار البأس لباسهم وخرق وكان رقص لهم وصفق وكانت ثغور آمالهم بواسم وغرر أيامهم بصنوف اللهو مواسم ورياح عزتهم في رياض عزتهم نواسم وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ويجري على حسب مطلوبهم خيول القدر والقضا ثم انحرفت عنهم الايام فأظلمت اشراقهم وأذوى باهيب العكس يانع ايراقهم ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجسام وأذيق الموت الاحمر مروان الحمار ونزع من تخت الملك الى تحت حافر الحمار فما بكت عليهم الارض وما بقي لهم الا ما قدموه من نفل وفرض ونزعوا من بين الاتراب الى باطن التراب وسيقوا للحساب الى يوم الحساب فصفة الدنيا لا وفاء فيها لبنيها ولا بقاء لحالتي تجليها وتجنيها ولا بقاء منها على تجليها وتجنيها ذلك عزة عاد وهدمت قصر شداد وأخربت ارم ذات العماد فأف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها كم نادت عليهم حذار حذار من بطشي وفتكي وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكي ولا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي وكانت مدة ملكهم ألف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل الله تعالى لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر وقال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة بني الحكم وولده وأخرج ابن مردويه عن

تأملها فأمر باحضار جماعة مخصوصين من العرب فحضروا فأشرفهم على الغصار وسألهم هل يعرفون صاحبها فقالوا انه هي عصا فلان فأحضره وسأله فأنكر فشدد عليه فأقر بالمال ومن ذلك ان شخصا من سادات اليمن وصل الى مكة بجارية حسنا سنها نحو العشر سنوات فتعصب عليه طائفة من الجبرت وادعى بعضهم انها من أصل وانها ابنت فلان وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك واستخلصوها من يد ذلك السيد قهرا فرفع القضية لمقام الشاهدين وأخذ يستدرجهما عن حالهما وانهما مشاهير من طول مكثهما بمكة من مدة طويلة وان شهادتهما مقبولة ثم سألهما عن الشهادة وأدياها كما سبق وانها بنت فلان الجبرتي ولدت ببلده ونحن ما قبل وصولنا مكة فقبل شهادتهما ثم سألهما عن مدة اقامتهما بمكة وهل خرجا بعد دخولها فذكرا ان المدة تزوف على ثلاثين سنة وانهما ما خرجا منها الى بلدهما بعد ان دخلا فشاغلهما بالكلام ساعة ثم سألهما عن سن الجارية فقالا نحو عشر سنين فأخذ يسبهما ويتكلم عليهما حيث شهدا بولادتها وهما ببلدهما وقصدا تلافيهما وأعاد الجارية الى سيدها وكانت هذه الحكومة منه حكمة بالغة وانه فضح بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك فانهم سلكوا هذا المسلك مدة واستخلصوا به أرقاء الناس من أيديهم ثم قال في الخلاصة وكان محبا للعلماء معظما لهم كثير الانعام عليهم فكانوا يتقربون الى خدمته بالتآليف الجليلة فيجيزهم عليها الجوائز الجزيلة من ذلك ان الشيخ عبد القادر الطبري تقرب الى خدمته بشرح القصيدة الدريدية فأجازه عليها بألف دينار واتفق انه حكم تاريخ الشرح قوله

أرخــتـي مؤلفي • بيت شعر ماذهب
أحمد جود ماجد • أجازني ألف ذهب

فلما قرأ البيتين قال والله ان هذا النزر جدا بالنسبة الى هذا التأليف ولكن حيث وقع الاختصار عليه فعلى الرأس والعين وأعطاه ذلك وكان مولانا الشريف حسن رحمه الله فاضلا باهرا وأديبا غضا ومحاضرة وائقة واستحضار غريب (يحكى) انه كان في مجلس تصدر بعض الناس على بعض بني عمه فيه فظهر أثر الغضب على ابن عمه ففطن له مولانا الشريف حسن فقال انه ليقودني للعجب ويهز من عطف أريحي ما عدا الطرب قصيدة أبي الطيب المتنبي التي أولها

فؤاد ما يسليه المدام • وعمر مثل ما يهب اللئام

فسلي بذلك ابن عمه وتبسم وجهه بعد القطوب لانه علم انه عرض له الى قوله فيها ولو لم يعل الا ذو محل

ويروى

ولو ان المقام له علو • تعالى الجيش وانحط القتام

(ويحكى) انه سقط من يد بعض بني عمه خاتم به حجر ثمين القيمة فلم يطلبه ويفتش عليه فقال له مولانا

الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوماً وهو مهموم فقيل له مالك يا رسول الله قال اني رأيت في المنام كان بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فانها دنيا تنالهم فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان رضي الله عنه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز وما كانت في الحقيقة ولاية بني أمية الا فتنة للناس وآل الملك من بعدهم الى آل العباس وأضحكهم الدهر بعد العبوس والباس وألبسهم الدهر حلل الامر والنهي وأفرحهم بذلك الالباس وآنسهم بعد الوحشة ومادام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا دول تدول وتدال وما زال لكل زمان دولة (١٠) ورجال ﴿فأول من ولي منهم السفاح﴾ أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن العباس رضي الله عنهما وكان أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور وقال جرير الطبري كان بدء أمر العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك الى أن بويع لولده محمد سراً فلما مات محمد عهد لولده ابراهيم فحبسه مروان وقتله في الحبس فعهد ابراهيم لاخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة في ثالث ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان مولده سنة ثمان ومائة وتوفي بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان بذولا سفاكاً قتل في مبايعته من بني أمية وأتباعهم ما لا يحصى كثرة ووطأت الممالك من المشرق الى أقصى الغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاماً ومدة امارته أربعة أعوام وجرت عادة الله في الملوك والسلاطين قصر أعمار من سفك الدماء منهم ﴿وولي بعده أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله﴾ هو أسن من أخيه السفاح وبويع له بعهد من أخيه في أول سنة سبع وثلاثين ومائة وكان ظلوماً غشوماً وهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الاخوين محمداً وابراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكانا خرجا عليه وآذى بسببهما خلقاً كثيراً من العلماء قتلاً وضرباً ممن أفتى بجواز الخروج عليه منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه أكرهه على القضاء فحبسه فمات في السجن لكونه أفتى بالخروج عليه وسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبته الصناع والعمال على الدانق والحبة وقتل أبا مسلم الخراساني وهو الذي قام بدعوة

الشريف لم لا تقف لطلب ذلك الخاتم الثمين فقال الست من أبناء أمير المؤمنين فلمح مولانا الشريف الى قول أبي الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها • وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

(ولمح ابن عمه لقول المتنبي)

كذا الفاطميون الندى في أكفهم • أعز انمحاء من خطوط الرواجب

وقد نظم الامام عبد القادر الطبري أرجوزة في محاسن مولانا الشريف حسن وسماها حسن السيرة وشرحها بشرح سماه حسن السريرة وأطال في ذلك ثم قال في خلاصة الاثر انه لم يزل حامياً حوزة البيت المعظم وذاباً عن سوحه المطهر المفخم حتى انه من مزيد أمنه احتاط فيه العرب والعجم ورعى الذئب مع الغنم وأمن السبل الحجازية ومهد الطرق الحرمية فكانت تشد الرحال في سائر جهاته وليس معها خفير سوى الاجير ولا يفقد منها متاع ولا يختلس منها ولا قدر صاع وربما ترك المتاع أو المنقطع في القفر السبسب لم يلق له ما يحمل عليه أو يركب فيوجد سالماً من الآفات ولو طالت الاوقات مع كثرة الطارقين لتلك المعاهد والسالكين لهذه المواطن والمقاصد ولم يعهد هذا الا في زمن هذا الملك العادل ولم ينقل مثله عن مثله من الملوك الاوائل فلقد كانت هذه الطرق مخوفة والخائف كلها غير مألوفة حتى من أراد أن يعزم من مكة الى التنعيم للاعتمار لا بد له أن يأخذ خفيراً من أرباب الدولة الكبار وان لم يفعل ذلك يعطب في نفسه وماله ولا يرثى في أخذ الثار لحاله وطالما نهبت الاموال ما بين مكة وعرفة ليلة الصعود اليها وسفكت الدماء في تلك المشاعر ووجدت الاجساد لديها واذا سرق متاع قل ان يظفر به وربما قتل صاحبه عند طلبه بسببه وكل ذلك من العرب المحيطين باطراف البلاد الساعين في الارض بالفساد فقد بسط الله بساط الامان بولايته ألزمهم بحراسة هذه المواطن وغرم ما يذهب للناس في هذه الاماكن وعاملهم بصنوف العقاب وأنواع العذاب من الصلب وقطع الايدي وتكليف أحدهم بالقتل ان لم يرد الى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية والآراء السلطانية المرضية حتى صلح العالم غاية الاصلاح ونادى منادي الامن بالبشر والفلاح فاطمأنت النفوس باقامة هذا الناموس واعتدلت أحوال الرعايا واتصل ذلك الى علم الملوك البقايا فشكر كل سعيه في هذه المآثر الجيدة وحمد الله تعالى في هذه المعدلة الظاهرة الحميدة وكثر حجاج بيت الله العتيق وضربوا اليها آباط الابل من كل فج عميق فيرون ما كانوا يسمعون به عياناً فيستخيرون الله تعالى في ان تكون بلد اقامتهم مسكناً وأهلها اخواناً وكان في القواعد القديمة لولاة

لولا مكة الكريمة أن ينادي بعد تمام الحج يا أهل الشام شامكم ويا أهل اليمن يمنكم فيرحل كل الى بلده ولا يقيم بمكة الا خواص أهلها من ذوي البيوت القديمة فلما تولى مكة وشاع ذكره رغب كل أحد في المجاورة بها وصارت مصرا من الامصار

•(وفاة داود بن عمر الانطاكي صاحب التذكرة سنة ١٠٠٨)•

وفي تاريخ الرضي في سنة ثمان بعد الالف توفي العالم العلامة الفاضل الحكيم داود بن عمر الانطاكي البصير صاحب التذكرة وكان اجتمع بمولانا الشريف حسن بن أبي نمي صاحب الترجمة وله معه محاورات ولطائف وكان آية في الحذق والنباهة من جملة ذلك انه لما حضر مجلس الشريف المذكور أمر الشريف أحد أخوانه أن يمد يده ليجسها على انها يد الملك فلما جسها قال ليست هذه يد الملك فأعطاه الاخرى فقال وهذه أيضا ليست يد الملك فأعطاه الشريف حسن يده فقبلها وقال هذه والله يد الملك فانظروا الى فطنته وذكائه مع كفاف نظره

•(وفاة الشريف ثقبة بن أبي نمي سنة ١٠٠٨)•

وفي هذه السنة توفي الشريف ثقبة بن أبي نمي أخو مولانا الشريف حسن وله عقب يقال لهم ذوو ثقبة كان بعضهم بمكة وكان بعضهم في البر

•(وفاة الشريف حسن بن أبي نمي سنة ١٠١٠)•

وفي سنة ألف وعشرة توجه مولانا الشريف حسن الى نجد غازيا فتوفي هناك ثالث جمادى الآخرة وكان في مسافة عشرة أيام عن مكة فحمل على البغال الى مكة ووصلوا به في ثلاثة أيام وغسل وكفن وصلي عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة رحمه الله وله من العمر أربع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر ومدة ولايته مشاركا لابيه ومستقلا نحو خمسين سنة

•(عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم)•

وله أولاد كرام وذرية فخام نحو سبعة وعشرين وخلف من الاناث خمسا وعشرين وقيل ستة عشر فأولاده الذكور أبو طالب وحسين وبازوسالم وأبو القاسم ومسعود وعبد المطلب وعبد الكريم وادريس وعقيل وعبد الله وعبد المحسن وعبد المنعم وعدنان وفهيد وشنبر والمرتضى وهزاع وعبد العزيز ومضر وعنان وجود الله وعبيد الله وبركات ومحمد الحارث وقايتباي وآدم قال الشهاب الخفاجي في كتابه الريحانة آخر ترجمة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي وقد كان انتهاء سعود الشرف بالحجاز بالشريف حسن وفي المغرب بمولاي أحمد وفي الروم بالسلطان مراد وغن الآن لا ندري ما يريد وما يراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار

الناس الى بني العباس وشرح ذلك يطول ووطئت لهم الممالك ودانت لهم الامصار ولم يخرج منه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي فانفرد بالاندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت في يدهم مدة • وفي المحرم سنة ثلاثين ومائة أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله الى أن انتهى الى المنارة التي في ركن باب بني سهم ولم يزد في الجانب الجنوبي لاتصاله بسيل الوادي ولصعوبة البناء فيه وعدم ثباته اذا اقوى السيل عليه ولذلك لم يزد في أعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وأدخلها في المسجد الحرام وكان الذي ولي عمارة المسجد لابي جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثي • وكان من شرطته (٦١) عبد العزيز بن عبد الله بن مسافع حدثه مسافع بن عبد الرحمن الشيبي وكان زياد أجحف بدار شيبة بن عثمان وأدخل أكثرها في الجانب الاعلى من المسجد فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلا ففعل فكان في هذا المحل ازورار في المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هناك فعملت واتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل أبي جعفر طاقا واحدا بأساطين الرخام دائرا على صحن المسجد وكان الذي زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بأنواع النقوش ورخم الحجر بالحاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو أول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبيد الله الحارثي والي الحرمين والطائف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك في عامين وقيل في ثلاثة أعوام • وكتب على باب بني جمح أحد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم

(قوله بركات) المذكور من أولاد الشريف حسن من عقب بركات الشريف سعيد العمري ابن مساعد بن مبارك بن هزاع بن عبد الله بن عمرو بن بركات بن حسن بن أبي نمي

بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصري وأبو جهل بعد الحسن البصري اهـ وأرخ بعضهم وفاة مولانا الشريف حسن بقوله من قصيدة

فنظمت تاريخ الوفاة جواهرا • في سلك بيت صغته بنضار
حسن عناية العزيز بطوله • وأحله أوج الجناب البارى

•(ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي)•

ولما توفي مولانا الشريف حسن تولى امارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب قال في خلاصة الاثر كان من أمره انه لما كبر أبوه فوض أولا نيابة الامارة لابنه الشريف حسين فلم يطل أمره فيها فمات فولاها شقيقه الشريف مسعودا وكان موصوفا بالشجاعة والقوة لكنه لم يسلك مسلكا مرضيا فتوفي وهو شاب فآلت الى أبي طالب صاحب الترجمة وكان ذا فكر صائب وشجاعة عظيمة وفضيلة باهرة وبعد ما حكم بالنيابة عن أبيه مدة أمر أبوه أمراء الحاج ان يلبسوه الخلعة الكبرى وألبسوا والده عبد المطلب الخلعة الثانية فألبساه اياهما ثم جهز من اتباعه الامير بهرام بهدية سنية الى الابواب السلطانية في هذا الخصوص والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقريرا لذلك فاجيب الى ملتمسه ورجع بهرام بالتقرير وصورة منشوره مطولة مذكورة في ريحانة الخفاجي

•(ما كتب في منشور الشريف أبي طالب)•

ومن جملة ما في ذلك المنشور رقم ليعلم كل من كحل بصره باثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلئ لفظه العظيم ممن في دائرة تلك الديار وهالة تلك الاقطار وانتظم في سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور من الاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان ان امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما أحاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند الشريف أبي طالب ناظرا بعين الانصاف متجنبا سبيل الاعتساف ويصرف المستحقين بحسن التصريف ويصرف من لا يستحق برايه الشريف أقمناه مقام نفسنا في ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم محققة كافية من منطوق ومفهوم فليحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم الكتاب من أهل مكة ومن في جوارها وطيبة الطيبة وسائر اقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بابتسام السرور من حاضرها وباديها انا أعطينا القوس باريها فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها سدد الله سهام رأيه في اغراض الصواب وفتح له بمفاتيح اليسر كل مغلق من الابواب ما سقطت من أكف الثريا الخواتم ورقت على منابر الاغصان خطباء الحمائم والسلام

والذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وفرغ منه ورفعت الايدي منه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة وذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين وحسن معونته وكفايته واكرامه له باعظم كرامته فاعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه وجمع الله له به خيري الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيده * وحج المنصور في ذلك العام وأحرم من الحيرة وبذل على بخله الاموال العظيمة وأعطى أهل المدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ثم سافر الى الشام ثم أتى الى الرقة فنزلها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله تعالى * وذكر حكاية مفيدة أذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن مقصود بالمقطوفاندته وهي لما حج كان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلي ولا يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة فيجيء المؤذنون ويسلمون عليه ويؤذنون للفجر ويقيمون الصلاة فيخرج يصلي بالناس فخرج ذات ليلة في السحر فسمع وهو يطوف رجلا عند الملتزم يقول اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من كلامه ثم خرج من الطواف الى ناحية من المسجد ثم أرسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر وأقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أقلقني وأمرضني وأشغل خاطري فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتني على نفسي وصعيت الى باذن واعية انبأتك بالامور من أصلها والا احتجبت عنك بقدرة الله واقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل عن غيري فقال أنت آمن على نفسك وقل فاني ألقي اليك السمع وأنا شهيد بالقلب فقال ان الذي داخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق ومنع عن اصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض هو أنت فقال أيها الرجل كيف يداخلني الطمع والصفراء والبيضاء بيدي والحلو والحامض في قبضتي ومن يحول بيني وبين ما أريد من ذلك فقال هل داخل الطمع أحدا من الناس ما داخلك يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل استرعاك أمور المؤمنين وأنفسهم وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والطين وأبوابا من

•(وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن سنة ١٠١٠)•

وفى سنة وفاة الشريف حسن توفى ابنه الشريف عبد المطلب وكانت ولادة الشريف أبى طالب سنة تسعمائة وخمس أوست وستين واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير منازع له فيه وهيأ الله له أسباب الصلاح وأصلح الله به أمور البلاد والعباد وقام بأعباء الملك وأظهر السطوة وقهر أهل العناد وهابته النفوس وانصف فى أحكامه وسار السيرة المرضية وكان حسن الهيئة شديد الهيبة واذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته وكانت تخافه البوادى وأهل النوادى وكان سخيا ندى الكف

(ومما يحكى) من كرمه انه زار النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يلى أمر مكة فلما أمسى نزل فى وادهناك هو ومن معه فاضافه رجل من أهل الوادى يقال له السودانى فذبح الذبائح ومد الموائد وقدمها ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره لشغل عرض له فعمد السودانى الى أربع أوخمس دجاجات فذبحهن وطبخهن وقدمهن على كيلتين من العيش فى زبدية كبيرة من الصينى وجاء بها اليه وقال له ياسيدى هذا عشاء عبدك اجبرخاطره جبر الله خاطرك فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات ودعا له فلما استقل بالولاية وفد عليه السودانى بعد سنة فقال له الشريف الزبدية التى تعشينا فيها عندك فقال نعم فقال ائتنى بها فلا ٔها له ذهبا وله كثير من هذا القبيل ولاهل عصره فيه مدائح كثيرة ولما توفى أبوه أمر بالقبض على عبد الرحمن بن عتيق وكان وزيرا لابيه الشريف حسن وكان ظالما جبارا عنيدا صدرت منه مظالم كثيرة تتعلق بدماء الناس وأموالهم وكان غالبا على الشريف حسن متوليا عليه لا يسمع فيه شكية شاك حتى كان الناس يقولون ليس فى دولة الشريف حسن ما يشينها الا ابن عتيق ويقال انه كان ساحرا سحر الشريف حسن فلما توفى وتولى ابنه الشريف أبو طالب قبض على ابن عتيق وحبسه وأراد أن يحقق مظالمه فيردها الى أهلها فايس ابن عتيق من الخلاص فقتل نفسه وذلك فى جمادى الآخرة سنة ألف وعشرة وأرخ بعض الادباء ذلك بقوله

أشقى النفوس الباغيه • ابن عتيق الطاغيه • نار الجحيم استوطنت • منه وفاتت ماليه
لما أتى تاريخه • أجب لظى والهاويه

ولم يزل الشريف أبو طالب فى أعلى درجات الحبور مالكا لازمة الامور والعلماء عاكفة على أبوابه والشعراء ناظمة محاسن صفاته فى أحاسن ألقابه

•(وفاة الشريف أبى طالب سنة ١٠١٢)•

الى ان توفى راجعا من بعض غزواته بمحل يقال له العش من نواحى بيشة فى العشر من جمادى الآخرة

الخشب والحديد وجعلت معهم السلاح واتخذت وزراء فجرة وأعوانا ظلمة ان نسيت لا يذكرونك وان أحسنت لا يعينونك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وأمرت أن لا يدخل عليك غيرهم من الناس ولم تأمر بايصال المظلوم اليك ومنعت عن ادخال الملهوف عليك وحجبت الجائع والعارى والمحتاج وما أحد منهم الا وله حق فى هذا المال فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك يقولون فى أنفسهم هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوه ولا يخالف أمرهم عامل الا أقصوه عنك وأبعدوه فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وأكرموهم وهادوهم

من صانعهم ودارهم وكان أول من صانعهم وداراهم عمالك بالاموال والهدايا والرشاقة وقووا بها على ظلم رعيتك ليظلموا من دونهم فامتلأت بلاد الله تعالى بالظلم والغشم وزاد بغيهم وطمعهم وكثر فسادهم وافسادهم وصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاءك متظلم حيل بينه وبين الوصول اليك وان أراد رفع قصته اليك وصرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك وان سألت عنه قالوا أساء الادب فاذا بناء وجهل مقامك فصر بناء فا بقاء الاسلام على هذه المظالم والآثام وانى سافرت الى أرض الصين فقدمتها وقد أصاب ملكها آفة أذهبت سمعه فجعل يبكى فقال له وزراؤه لم تبكى لا بكت عيناك فقال انى لا أبكى على فقد سمعى ولكنى أبكى على المظلوم يصرخ ببابى يطلب رفع ظلامته فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب فنادوا فى الناس ان لا يلبس الاحمر الا مظلوم لاميزه بالنظر فاعينه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلومين ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلامتهم انظر يا مسكين هذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاموال لا تجمع الا لواحد من ثلاثة أمور ان قلت أجمعها للولد فقد أراك الله عبرا فى الطفل يخرج من بطن أمه عريانا ماله على وجه الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة بحويه وتصونه عن كل أحد فما زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق اليه ما قدر له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره ولست بالذى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وان قلت اجمع المال لاشتد به سلطانى فقد أراك

الله عبرا فمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع وما ضرك ما كنت أنت وولد أبيك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هي أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق ما أنت فيه منزلة تدرك الا بالعمل الصالح واعلم بانك لا تعاقب أحدا من رعيتك اذا عصاك بأعظم من القتل وان الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الاليم وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فكيف يكون وقوفك غدا بين يديه وقد نزل ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك ما كنت فيه شيأ . قال فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فانهم قد فروا مني قال نعم فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك واذا فتحت الابواب وسهلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت بالعدل ونشرت الفضل وأنا ضامن لمن هرب منك أن يعود اليك . وجاء حينئذ المؤذنون وسلموا عليه وأذنوا الفجر وأقاموا فقام المنصور للصلاة وصلى بالناس واذا بالرجل قد غاب من بين أيديهم فلما فرغ المنصور من الصلاة سأل عنه فقالوا ذهب فقال ان لم تأتوني به عاقبتكم عقابا شديدا فذهبوا يلتمسونه فوجدوه في الطواف فتقدم اليه الحرسي وقال انطلق معي والا هلكت وهلك من معي فقال كلا لا يقدر عليك وأخرج من جيبه ورقة وقال ضعها في جيبك فلا ينالك منه سوء فانه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال دعاء لا يرزقه الى السعداء من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله تعالى رزقه عليه وأعطاه أمله وأعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال اقرأه لي لآخذه عندك أو تأتيه منك . فقال قل اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كما علمت ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الي وأنا المسيء .

سنة ألف واثنتي عشرة فغسل هنالك وكفن وقصد به مكة ولم يأت معه من السادة الاشراف غير السيد ابراهيم بن بركات وصلي عليه يوم الاربعاء ضحى ثاني عشر جمادى الآخرة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة فكانت ولايته سنتين وأربعة عشر يوما وعمره سبع وأربعون سنة وهو يزار ويحمي سادا(تنا) بنو حسن من احتجار بقبره ولا ينال من استجار به مكروه

﴿ولاية الشريف ادريس بن حسن﴾

فولي مكة بعده أخوه مولانا الشريف ادريس بن الحسن بن أبي نمي ومولده سنة تسعمائة وأربعة وسبعين وكانت ولايته باجماع من السادة الاشراف وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن حسن وابن ابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن وأرسلوا قاصدا الى الروم بما وقع عليه الاتفاق فقوبل بالاجلال والاكرام من مولانا السلطان أحمد وبعث اليه بخلعة الاستمرار وقرئ توقيعه بالحطيم حادي عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة قال في خلاصة الاثر في ترجمة الشريف ادريس وكان من أجل الناس من سراة الاشراف تهابه الملوك والاشراف شجاعا حسن الاخلاق وكان يكنى أبا عون وكان له من العبيد المولدين والرقيق الجلب ما يزيد على أربعمائة ومن المقاديم من العرب جماعة كثيرون واستمر أخوه الشريف فهيد وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له في الربع في جميع أقطار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة فكثرت أتباع فهيد من الاشراف وغيرهم بحيث صار موكبه يضاهي موكب الملك وكان اذا جلس وقفت الترك عن يمينه وشماله واتخذ رماة البندق نحو مائتين أو أكثر ولم يحفظ أتباعه وعبيده من النهب والسرقة فكثر ضررهم على الناس وعجز عن مداراته الشريف ادريس ولما اشتد أمره أخذ بجانب ابن كمال الدين القطبي وأراد أن يصيره مفتيا فلم يرض الشريف ادريس ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك فأرسل الشريف ادريس لابن أخيه الشريف محسن وكان اذ ذاك باليمن وكان توجه الى اليمن مغاضبا لعمه الشريف ادريس وكتب اليه أن يأتي بجميع من معه من الاشراف والقواد والعرب فحضر ومعه أمير جدة محمد بن بركات الحرامي ونودي في البلد بأن البلاد لله وللسلطان وللشريف ادريس والشريف محسن وخلع الشريف فهيد من الذكر ومنع من الربع وجعل ما كان له للشريف محسن ولم يخطب له وكان يومئذ في بيته جموع وافرة فاستعد أصحابه للقتال وأشار اليه أعيانهم بالحرب فامتنع من ذلك وطلب من الشريف ادريس مقدار شهر مهلة ليتأهب للخروج من مكة الى حيث أراد فأعطاه ثم خرج من مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه الشريف ادريس أن يمكنه من سكنى مكة بغير ربع فامتنع فانضم الى بعض أكابر الحج المصري وسافر الى مصر ثم توجه الى الديار الرومية واجتمع بالسلطان

بالسلطان أحمد فيقال انه أنعم عليه بامارة مكة فعاجلته المنية ومات هناك في سنة عشرين بعد الالف وقيل في تاريخ موته مات بالروم فهيد بن الحسن واستمر الشريف محسن مشاركا لعمه الشريف ادريس على صدق الكلمة والنصح والمساعدة في الاحوال المهمة وتنافر بنو أخيه عبد المطلب ابن حسن لامر فقام الشريف محسن في موافقتهم له فتم ذلك ودخلوا في الطاعة وطابت نفوسهم

(دخول الشريف ادريس وابن أخيه الشريف محسن أقصى الشرق)

وتوغل الشريف ادريس والشريف محسن في الشرق ووصلا الى قرب الاحساء واجتمعوا هنالك بذوي عبد المطلب حين كانوا مغاضبيه واصطلحوا ثم وصلوا الى الاحساء وضربت خيامهم قبالة الباب القبلي من سور الاحساء وأكرمهما صاحبها علي باشا وأمرهما بالدخول والاقامة عنده واستمرا أقاما معه ثمانية أيام ورجعا ولم يتفق لاحد من أشراف مكة المتولين من المتقدمين دخول الاحساء كما اتفق لهذين الشريفين ثم وقع بين الشريفين ادريس ومحسن تنافر بسبب خدام الشريف ادريس وتجاوزهم في التعدي وعمت البلوى بما صدر عنهم من الامور المشتملة على التلبيس خصوصا من وزيره أحمد بن يونس وكان الشريف ادريس متغافلا عما يصنعونه ولم يلق سمعه الى ما ينهى اليه من فعلهم ولا ينصف أحدا من شكايتهم وراجعه الشريف محسن في شأنهم مرارا ورد القول عليه فكانت الشكوى الى غير منصف فرأى الشريف محسن وخامة عواقب الحال فعند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بني عمه السادة الاشراف والعلماء والفقهاء والاعيان ورفعوا الشريف ادريس عن ولاية الحجاز

(استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز)

وفوضوا الامر الى الشريف محسن وكان ذلك في سنة أربع وثلاثين وألف ولما أشيع بمكة ان السادة الاشراف تمم اقامة الشريف محسن مستقلا بالامر حصل اضطراب عظيم في البلد وحركة عظيمة وجمعت آلات الحرب من الجانبين وكان ذلك يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وألف فلما كان يوم الخميس ألبس كل منهما آلة الحرب لمن معه من العساكر والجنود ووقف كل منهما عند باب داره فبرز من جماعة الشريف محسن شرذمة من جانب مقعد السيد بشير بنية عقد النداء في البلد للشريف محسن استقلالا فقبل وصولهم المقعد رمتهم الجمالية المحمولون في مدرسة السيد العيدروس بالبندق فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق السيد سليمان بن عجلان بن ثقبة وانقا مرجان بن زين العابدين وزير الشريف محسن فرجع الباقون وفي ضحى هذا اليوم ركب الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ومعه خيل والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن

الى نفسي فما بيني وبينك تتودد الي بالنعم وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك الي انك أنت التواب الرحيم قال فقرأته وأخذت الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى الي تستحثني فأتيته واذا هو مطرق فلما رفع نظره علي سكن غضبه وغيظه وتبسم وقال لي ويلك أتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري ثم قال هات الورقة فأخذها وصار يبكي الى ان بل لحيته وأمر لي بعشرة دنانير ثم قال أتعرف الرجل فقلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام * قلت وأنا أروي هذه الحكاية عن والدي الشيخ علاء الدين أحمد القادري الخرقاني الهروي الحنفي نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال أنبأني بهذه الحكاية العز بن عبد العزيز بن النجم عمر بن

فهد عن القاضي زين الدين أبي بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي * قال أنبأنا الامام أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قال له أنبأنا محمد ابن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا محمد بن علي بن الفتح حدثنا أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري عن ابراهيم ابن أحمد الخشاب حدثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الرازي حدثنا المثنى حدثنا سلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت أبا المهاجر المكي يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها قال النجم عمر بن فهد رحمه الله * وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان

الثوري فلما وصل الى بئر ميمون بعث الى الخشابين فقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤوا ونصبوا له الخشب وكان سفيان نائما بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة وأخذها ثم قال برئت منه ان دخلها أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر المنصور من بئر ميمون فلما كان بين الحجون سقط عن فرسه واندقت عنقه فمات لوقته في سابع الحجة وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه في أحدها ليعمى قبره على الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظر الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب قدس رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في عظمة سلطان السلاطين

ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه ومن ألطاف الله تعالى ان الجماعة بالمسجد الحرام فاتهم ذلك اليوم والاسواق فاتحة وفيها الاقوات ولم يحصل تغير أبدا فلما كانت ليلة الجمعة خامس المحرم وقع الصلح بينهما على أن يستقل الشريف محسن بالامر ويكون الكف عن المحاربة ستة أشهر منها ثلاثة يكون الشريف ادريس فيها في البلد وثلاثة في البر فاتفق الحال ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده ثم خرج ادريس من مكة ليلة المولد وقال في خلاصة الاثر ونقل الثقات انه لما ضويق عليه وأجلبت عليه الاشراف ومن معهم بحيث انه أصيبت جوريقة بين يديه بالبندق فسقطت ميتة بين يديه فارتاع لذلك وحزن ووضع منديلا لطيفا على وجهه وبكى لفقد الناصرين فدخلت عليه في تلك الحالة أخته الشريفة زينب بنت الحسن فقالت له علي م ذا الحزن والعناد فهالاين أخيك فقد واستشهد قطويلة فحينئذ أرسل الى الشريف محسن والاشراف وطلب منهم مهلة شهرين في البلد وأربعة أشهر خارجها ليتأهب للسفر الى حيث شاء فأعطاه الشريف محسن ذلك وشرط عليه أن لا يحدث شيأ من المخالفات فاستمر شهر محرم وصفر فدخل فيه حتى خيف عليه

(وفاة الشريف ادريس سنة ١٠٣٤)

وفي ليلة المولد خرج من مكة فطاف للوداع الا في محفة وخرج وقد أضعفه المرض فتوفي سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة في جبل شمر ودفن بمحل يسمى ياطب ومن الاتفاق العجيب ان ياطب حسابه بالجمل اثنان وعشرون سنة وهي مدة ولايته مجورة فان ولايته احدى وعشرون سنة ونصف وعمره ستون سنة ووصل خبر وفاته الى مكة في مستهل رجب وصلى عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام رحمه الله تعالى واستمر الشريف محسن على امارة مكة وعرض الى الابواب السلطانية بما وقع فجاءه الجواب بالتأييد وقرئت المراسيم رابع عشر رمضان سنة ألف وأربعة وثلاثين وكان القارئ لمرسومه العلامة الشيخ عبد الرحمن المرشدي وكانت ولادة مولانا الشريف محسن سنة تسعمائة وأربع وثمانين ونشأ في كفالة عمه أبي طالب لان أباه الشريف حسينا توفي في حياة أبيه الشريف الحسن بن أبي نمي كما تقدم وكان الشريف محسن كثير الفضائل قال العلامة العصامي في تاريخه قام بالامر الشريف محسن وأحسن كما أحسن الله اليه ونهض من الاحكام الاحكام ما وجب عليه فصفت من الامن مناهله ووضحت من طريق الجهل مجاهله وقد ألف العلامة أحمد بن الفضل با كثير تأليفا في مناقبه ومحاسنه سماه وسيلة المآل بذكر فضائل الآل ومدحه الشعراء بقصائد وأرخوا عام ولايته فمن ذلك قول الامام علي بن عبد القادر الطبري

عام ولاية المليك محسن ❊ ابن الحسين بن الشريف الحسن

وما اشتهر سلطان الشرا العادي من ما مون وما أسرع زوال ملكه وصير ورته عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وعلم ان الملك لله الواحد القهار لا شريك له في الملك ولا ولي له من الذل على الدوام والاستمرار والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وعاش أربعا وستين سنة وكان رأى مناما يدل على قرب أجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفي كما ذكرناه (وولي بعده الملك والخلافة ولده أبو عبد الله محمد ولقبه المهدي) ❊ ثالث من ولي من العباسيين وقام بالبيعة له بمكة لما مات أبوه أبو الربيع بن يونس الحاجب وأسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر في بغداد فكتم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان المنصور أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب وأمر فأطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الاحبة وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله أحتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على خلافة أمور المسلمين وزل فبايعه الناس وأول من جمع بين تعزيته وتهنئته أبو دلامة الشاعر حيث قال

عيناي واحدة ترى مسرورة ❊ بأميرها جذلى وأخرى تذرف
تبكي وتضحك تارة ويسوءها ❊ ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة محرما ❊ ويسرها ان قام هذا الخلف
ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى ❊ شعرا أسرحه وآخر أنتف
هذا حباه الله فضل خلافة ❊ ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدي لما شب ولاه أبوه طبرستان والري وما يليها فتأدب وتميز وجالس من العلماء وكان كريما مليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا علي العلماء والقضاة وأحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا وقدم عليه مروان بن أبي حفصة الشاعر وأنشده قصيدة فلما وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا ❊ مسيرة شهر بعد شهر نواصله
وما نحن نخشى أن يخيب مسيرنا ❊ اليك ولكن أهنأ البر عاجله

فضحك المهدي وقال كم بيتا قصيدتك قال سبعون بيتا فأمر له بسبعين ألف درهم قبل أن يتم انشادها وله شعر رقيق لطيف أحسن من شعر أبيه وأولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولي وهو

ما يكف الناس عنا ❊ ما يريد الناس منا
انما همتهم أن ❊ ينبشوا ما قد دفنا

من رام أن يضبطه فقد أتى • تاريخه خير ملوك الزمن

وللامام زين العابدين بن عبد القادر الطبري أبيات في آخرها التاريخ وهو هذا

فاهذا قد جاء تاريخه المقشرون بالحسن المؤرخ عامه

ولي الملك محسن بن حسين • أعز الله نصره وأدامه

ومن الوقائع الغريبة في مدة ولايته انه خرج في خمس وثلاثين بعد الالف غازيا الى جهة الشرق فاتفق انه في هذه السنة كانت خطبة العيد للامام زين العابدين ابن الامام عبد القادر الطبري فتأهب والده لها بجميع ما يحتاجه من السماط والحلوى على القاعدة المعروفة

•(نقل خطبة العيد من الائمة الشافعية الى الائمة الاحناف وما وقع فيها من الغرائب)•

فلما كان يوم الاربعاء سلخ رمضان المعظم أرسل الوزير حيدر باشا الوارد من اليمن ذلك العام الى الوزير مصطفى السيوري ان لا يباشر العيد الا خطيب حنفي فتوجه الامام عبد القادر الطبري الى الوزير مصطفى السيوري وراجعه في ذلك فقال الوزير راجع الباشا فرجع الامام عبد القادر الى منزله وأتى بعد المغرب الى دار ولده وقد تأهب وأحضر كل ما يحتاج اليه فجاءه الخبر بالمنع فشهق شهقة الامام عبد القادر كانت موته وظنت سقطة فلما تحقق موته نقل الى بيته وباشر الخطبة الشيخ محمد بن موسى الفليوي المكي ونزلوا بجنازة الامام عبد القادر والخطيب على المنبر فيا له من فرح انقلب الى مأتم وسرور تبدل الى حزن ومأتم وتقطع قلوب عيال أثبتن المصائب فالات فدموع الحزن في دم الدلال سافكات ولم يزل مولانا الشريف محسن متفردا بمراده قامعا الانداده آمنا في سربه عزيزا في حزبه الى ان دخلت سنة سبع وثلاثين وألف فورد من السلطنة العلية أحمد باشا متوليا على اليمن فلما دخل مركبه بجدة ومعه نحو الفين من العسكر غرق بالقرب من جدة ونجا هو ونحو ثلثمائة من عسكره وكان دخوله الى جدة في صفر من السنة المذكورة فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين في جدة غواصين لطلب أسبابه فعينوا له أقواما فغاصوا نحو خمسة عشر يوما ولم يخرجوا شيأ من أسبابه فتخيل انهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن مع انه بعث الى مولانا الشريف بهدية سنية وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبد الرحمن المرشدي مفتي السلطنة بمكة فكاتب منه وأوصى عليه خدمه فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه وشنق حاكم مولانا الشريف بجدة وهو القائد راجح ونزل الى جدة الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي قال في خلاصة الاثر انه كان بين الشريف مسعود بن ادريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبد المطلب معالاة ومواطأة قبل نزوله لبندر جدة مضمونها ان الشريف أحمد قال للشريف مسعود اني

لو سكابا مان الار • ض ما كانوا بحيث كا   ان أرادوا كشف أمري • فقد سترناه كشفنا   ومن نظمه هذا البيت من عدة أبيات نظمها في جارية كان يحبها حبا شديدا   أما يكفيك انك تملكيني • وأن الناس كلهم عبيدي   وكان المهدي يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروي الحديث فقال يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا سبق الا في حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح ففهم المهدي انه وضع له هذه الزيادة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بالرد تأدبا وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام قال المهدي أشهد ان قفاك قفا كذاب ثم أمر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت وكان نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خزائن مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر ألف عدل ثياب خز فأخرج منها ثوبا واحدا ودعا الخياط وقال فصل من هذا جبة لي وجبة لولدي محمد المهدي فقال لا يجيء منه جبتان فقال فصل جبة وقلنسوة وبخل ان يخرج ثوبا آخر منها فلما أفضت الخلافة الى ولده محمد المهدي أمر بتلك الثياب كلها بعينها ففرقها كلها في عبيده وخدمه في ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير اللهو وانتصب الا انه يكره الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا ووصى ابنه الهادي بقتلهم حيث وجدهم وقال النجم عمر بن فهد في حوادث سنة ستين ومائة وفيها حج أمير المؤمنين المهدي العباسي وحمل له الامير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شيء لم يتم لاحد قبله ونزل المهدي دار الندوة وجاءه عبيد الله بن عثمان بن ابراهيم الحجبي في ساعة خالية نصف النهار فأدخل عليه فقال له ان معي شيأ لم يحمل لاحد قبلك فكشف له من الحجر الذي فيه صورة قدمي ابراهيم خليل الله عليه السلام وهو الذي يزار الآن بمقام ابراهيم عليه السلام فسر المهدي بذلك وقبله ومسح به وصب فيه ماء وشرب به وأرسله الى أهله وأولاده فمسحوا به وشربوا منه ثم احتمله وأعاده الى مقام ابراهيم وأعطاه المهدي جوائز كثيرة وأقطعه شرفا بوادي نخلة يقال له ذات الفريع فباعه بعد ذلك بسبعة آلاف دينار • وذكر حجبة الكعبة للمهدي انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عامها من ثياب اليمن فجردت الكعبة منها وطلي جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح

الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية المسكة المطيبة على جدران الكعبة الى أن استوعبوها ثم كسيت ثلاث كساوى من القباطي والخز والديباج وقسم المهدي في الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهي ثلاثون ألف ألف درهم وصل بها معه من العراق وثلثمائة ألف دينار وصلت اليه من مصر ومائتا ألف دينار وصلت اليه من اليمن ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب فرق جميع ذلك على أهل الحرمين واستدعى قاضي مكة يومئذ وهو محمد الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي وأمره أن يشتري دورا في أعلى المسجد ويهدمها ويدخلها في المسجد الحرام وأعد لذلك أموالا عظيمة فاشترى القاضي جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور فما كانت من الصدقات والاوقاف اشترى للمستحقين بدلها دورا في فجاج مكة واشترى كل ذراع يكسر في مثله مما دخل في المسجد بخمسة عشر دينارا فكان مما دخل في ذلك الهدم دار الازرقي وهي يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الخارج من باب بني شيبة وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها داخلا في المسجد الحرام في زيادة عبد الله بن الزبير ودخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار دفعت اليها وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل ان يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وأدخل في المسجد وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت الخلافة اليه فبناها دارا ثم صارت الى حماد البربري فعمرها وزين باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء ثم قلت وتداولت الايدي عليها بعد ذلك الى أن صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراغي والثاني كان يعرف برباط السدرة فاستبدلهما السلطان قايتباي وبناهما مدرسة ورباطا في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ووقف عليها مسقفات بمكة وأقطاعا بمصر وهو باق الى الآن صدقة جارية على سكانه غير انه شرع في أوقافه الخراب لاستيلاء الايدي الجارية عليها عمر الله من عمرها وأحسن الى من أحسن نظرها وهذه الزيادة الاولى للمهدي في أعلى المسجد وكذلك في أسفل الى أن انتهى به الى باب بني سهم ويقال له الآن باب العمرة والى باب الخياطين ويقال له الآن باب الخياطين وكذلك زاده من الباب الشامي الى منتهاه الآن وكذلك زاد في الجانب اليماني أيضا الى قبة

لا أريد الملك لنفسي انما أريده لك وهو بيننا فسد ذلك من استطعت من آل أبي نمي وثبطهم وحل عزائمهم فوعده الشريف مسعود بذلك وفعل فلما نزل الشريف أحمد الى جدة تداخل مع أحمد باشا المذكور فولاه شرافة مكة ونادى له في جدة وأبان عزل مولانا الشريف محسن ثم قدر الله ان الباشا مات في تلك الايام وعدّ الناس ذلك من كرامات صاحب مكة فكتب كخيا الباشا لمولانا الشريف محسن بوفاة الباشا وطلب منه عشرة آلاف قرش ليتوجه بها الى اليمن قال والبلاد بلادكم فلم يفعل فعمل الكخيا الشريف أحمد بن عبد المطلب واستمال العسكر فقتلوا الكخيا ومن بقي من جماعة الشريف محسن وصادروا التجار وأهل البلد فأخذوا منهم جملة من الاموال ونهبوا خرب الشريف محسن فلما بلغ ذلك مولانا الشريف محسنا خرج لهم الى الحديبية موضع مقابل لجدة فخرج اليه بعض الاتراك وأخذوا قطيع غنم لعرب فقاتلهم بعض الاشراف فقتل السيد ظافر بن سرور ابن أبي نمي والسيد أبو القاسم بن بازان وغيرهما ومن الاتراك نحو الخمسين ثم انحاز كل الى فئته وأتى الخبر لمولانا الشريف محسن ان السيد مسعود بن ادريس دخل مكة واستمال الاشراف بني حسن بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبد المطلب أطمعه فيه بنيابة مكة ان هو استمال الاشراف اليه فكر الشريف محسن راجعا الى مكة ونزل على جماعته هنالك السيد قايتباي بن سعد بن بركات فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذي ورد مع الباشا السابق ذكره وسار من جدة الى مكة في سبعة عشر يوما ولما وصل التنعيم لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان خرج الشريف محسن لقتاله بجيش جرار الا ان غالب من معه كان مباطنا للشريف أحمد وباطنه السيد مسعود بن ادريس فلما التقى الفريقان وتبين للشريف محسن انحلال عقد من معه كف عن القتال بعد ان أطلق جماعة الشريف أحمد مدافعهم وتوجه الشريف محسن ومعه بعض جماعته الى اليمن

•(وفاة الشريف محسن بأرض اليمن سنة ١٠٣٨)•

واستمر هنالك الى ان توفي سنة ألف وثمان وثلاثين وعمره أربع وخمسون سنة ودفن بصنعاء وبني عليه قبة هنالك تزار

•(دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن مكة ومعاقبته لبعض أعيانها سنة ١٠٣٧)•

ودخل مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب ضحى يوم الاحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلاثين وألف وفر من مكة من كان فيها من جماعة الشريف محسن واختفى من اختفى وممن اختفى من الاعيان الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي مفتي السلطنة العلية فلما بلغه اختفاؤه حث في طلبه ونادى عليه ببراءة الذمة ممن وجد لديه فأظهره من أضمره فذهب بداره وقبض عليه وحبسه

الشراب وتسمى الآن قبة العباس والى حاصل الزيت وكان بين جدار الكعبة اليمانى وجدار المسجد الحرام الذى يلى الصفا تسعة وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وكان مادورا مسيل الوادى فهذه كلها الزيادة الاولى للمهدى وأمر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا الى قرب جدة فى موضع كان فى أيام الجاهلية ساحلا لمكة يقال لها الشعيبة فرمت هنالك لان مرساه قريب بخلاف بندر جدة لان مرساه التى تقف فيه السفينة بعيدة من البر وصادفت أساطين الرخام تحمل منها على العجل وتصاكى العربان ان بها الآن بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله أعلم بحقيقة ذلك وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث حفرلها فى الارض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل اسطوانة على موضع القاطع كشف منه السيل العظيم الواقع فى سنة ثلاثين وتسعمائة فشاهدنا أساس الاساطين على هذا الوجه واستمر عليهم الى سنة أربع وستين ومائة فحج المهدى فى ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست فى وسط المسجد بل فى جانب من وراء المسجد قد اتسع من اعلاه وأسفله ومن جانبه الشامى وضاق من الجانب اليمانى الذى يلى مسيل الوادى وكان فى محل السيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد فى بطن الوادى ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون الى الصفا وكان المسعى فى موضع المسجد الحرام اليوم وكان بابه دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى عند حد ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى نحر الوادى يردونها فى بعض المسجد الحرام اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العبادى وجعلوا المسعى والوادى فيها وكان عرض الوادى من الميل الاخضر اللاصق للمأذنة التى فى الركن الشرقى وكان هذا الوادى مستطيلا الى أسفل المسجد الآن يجرى فيه السيل ملاصقا لجدر المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليمانى فلما رأى المهدى تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة فى الجانب اليمانى من المسجد أراد لتكون الكعبة فى وسط المسجد فقال له لا يمكن ذلك الا بأن تهدم البيوت التى على حافة المسيل فى مقابلة الجدار اليمانى من المسجد وينقل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل فى المسجد كما قدمنا ومع ذلك فان وادى ابراهيم له سيول عارمة وهو واد مدور يخاف ان حولنا عن مكانه ان لا يثبت أساس البناء فيه على ما تريد من الاستحكام فتذهب به السيول ونحولوا السيول فيه

وأقام القاضى أحمد بن عيسى المرشدى

• (سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى) •

ثم قتل الشيخ عبد الرحمن فى السجن كما سيأتى قال الرضى فى تاريخه اختلفت الاقوال فى سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فقيل تعريضه بالشريف أحمد بن عبد المطلب فى خطبة عقد عقده الى خطيب بها فى زواج سلطانة بنت على شهاب وكان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يزوج فعرض الشيخ بذلك حيث قال فى ابتداء الخطبة الحمد لله الذى أعز سلطانه وأدحض شيطانه وقيل انه جاء الى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبد المطلب معزيا لابسا صوفا أبيض أى وكانت عادتهم لبس السوادى مثل ذلك اليوم وقيل ان الشريف أحمد حين استولى على مكة وطلع الى دار السعادة على فرش الشريف محسن وجد تحت طرف المرتبة قبيا من الشيخ المذكور يتضمن تهمة بقاة جائرين ظالمين وبوجوب قتالهم بخطه المعروف واسمه الموصوف وكان الشريف أحمد بعد ان حبس الشيخ عبد الرحمن المرشدى يخرجه فى كل شهر ليحضر ديوانه وهو فى اصفاده واحزانه فأقبل مرة فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبد المطلب أنشد

لا تضع للعزيز قدرا وان كنت مشارا اليه بالتعظيم

فالعزيز الكريم ينقص قدرا • بالتعدى على العزيز الكريم

فالتفت الشريف الى الحاضرين وقال انظروا الى جراءته فى ثلبى وقوة جنانه لحربى فحصل عين ذلك المجلس وهو الامام زين العابدين بن عبد القادر الطبرى يعتذر ويحسن التعليل عما قدر وقصره الشريف عن التطويل وقال هيهات انما قصد من القطعة ما قيل ولم الجر بالتقول رى الحشر بتعيينها وبالتصريح • ثم قال والله انى لاعلم انه افضلكم على الاطلاق وتدعو الى العفو عنه الا انه جبل تكبرا ان يجعل نفسه عقلا وجعلنى حمارا وأمر باعادته الى حبسه الى ان نقله الى رمسه فانه لم يزل فى الحبس الى الموسم فورد الحج المصرى وأميره قانصوه باشا ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة فخرج لملاقاته الشريف أحمد ولبس الخلعة على جرى العادة وخرج بالناس ولم يحج أحد من أهل مكة فى هذا العام الا القليل ولما كانت ليلة الحادى عشر من ذى الحجة جاء مولانا الشريف من أوحى اليه ان الامراء عزموا على اطلاق الشيخ عبد الرحمن المرشدى وتخليصه من يد مولانا الشريف فبعث من ليلته الى الحبس

• (قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فى السجن) •

وأمر بقتل الشيخ وأخيه فشفع ما كه عتيق بن عمر فى القاضى أحمد أخى الشيخ عبد الرحمن لصحبة

فتنصب في المسجد ويلزم هدم دور كثيرة وتكثر المؤنة وتكبر ولعل ذلك لا يتم فقال المهدي لابد ان أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته وصار يلهج بهذا فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادي الى آخره ورمعوا الوادي من فوق الاسطحة وطلع المهدي الى جبل أبي قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة في وسط المسجد ورأى ما يهدم من البيوت وعمل مسيلا ومحلا للسعي وتخصصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضي به • ثم توجه الى العراق وخلف الاموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة (٧٠) العظمى وهذه هي الزيادة الثانية للمهدي في المسجد الحرام هذا ملخص ما ذكره الازرقي والفاكهي والحافظ نجم الدين عمر بن فهد وتوارد كلهم رحمهم الله تعالى ﴿وهنا اشكال﴾ ما رأيت من تعرض له وهو ان السعي بين الصفا والمروة من الامور التعبدية التي أوجبها الله تعالى علينا في ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا في ذلك المكان المخصوص الذي سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ما ذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى في الحرم الشريف وحول المسعى الى دار ابن عباد كما تقدم • وأما المكان الذي يسعى فيه الآن فلا يتحقق انه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره فكيف يصح السعي فيه وقد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المسعى القديم فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها للسعي فيه ولم يحول تحويلا كليا والا لانكره علماء الدين من الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم اذ ذاك فكان الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما والامام مالك بن أنس رضي الله عنه موجودين يومئذ وقد أقروا ذلك وسكتوا وكذلك من صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعي وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان اجماعا منهم رضي الله عنهم على صحة السعي من غير نكير نقل عنهم وبقي الاشكال في جواز ادخال شيء من المسعى في المسجد وكيف يصير ذلك مسجدا وكيف

كانت بينهما فشفعه فيه ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبد الرحمن فقتلوه صبرا في تلك الليلة ودفن بالشبيكة وقتل معه تلك الليلة حيدر الشامي أحد تجار مكة بدلا عن القاضي أحمد بن عيسى المرشدي لكونه أمر بقتل الاثنين فلما كانت صبيحة يوم الصرح جاء الامراء الى مولانا الشريف وذكروا له أمر الشيخ وشفعوا فيه فقال قد فرطتم فيه وهلا ذكرتم لنا قبل هذا وكان عمر الشيخ المرشدي حين قتل احدى وستين سنة وأصاب الناس عليه أعظم حسرة وقتل الشريف أحمد هذه القتلة بعينها كما يأتي وفي الاثر كما تدين تدان وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان وكان أحمد الشريف بن عبد المطلب ذا أدب وفضل نبيها نجيبا جيد الذكاء حسن الصورة عظيم الهيبة أخذ طريق الصوفية عن العارف بالله أحمد الشناوي وهو الذي بشره بولاية مكة لكنه قال له على الشهادة يا أحمد فقال على الشهادة وكان كثيرا ما يكني عنها بطلوع الشمس ولما دخل مكة واستولى عليها صادر كثيرا من الناس وأخذ أموالهم ولم يرحم أحدا وعاقب كثيرا ممن كان قبل استبعدها عنه ومعرضه وكان له اخوان وجلساء قبل الولاية فقتل لهم الاذية واستمر متغلبا على مكة فحبس من حبس وقتل من قتل فنفرت الناس وجلت عن مكة وخالفت القبائل وقطعت الطرق وأكثر العسكر الفساد في شرف البلاد وسكنوا بيوت الاشراف وانتهكوا حرمتهم وكان ممن فر منه واختفى الشيخ جمال الدين محمد باقشير فتوجه مع الحج المصري الى مصر مختفيا وفي ليلة خروجه مختفيا صادف في خروجه في طريقه الشريف أحمد عائدا من العمرة فكتب بطاقة وأمر بعض العامة أن يعطيها الشريف أحمد فأوصلها له فقرأها في ضوء الشمع وكان يسير بها بدلا عن المشاعل فاذا فيها

تستحل الدماء وتحرم بالعشرة دمها وعن دماء الناس أصلك
ما رأينا والله أعجب حالا • منك وانما اغتالك متصلك

فسأل عن صاحب الرقعة فلم يعرف ولحق الشيخ جمال الدين باقشير بمصر الى ان قتل الشريف أحمد فرجع الى مكة واستمر الشريف أحمد على ولاية مكة ولم يف للشريف مسعود بن ادريس بتلك العهود بل أراد قتله ففر الى قانصوه باشا والتجأ اليه فوجد قانصوه ملوا على الشريف أحمد فلما أقبل قانصوه قاصد اليمن لاقاه الشريف مسعود من ينبع أو الحوراء وجاء معه مختفيا وكان قانصوه مأمورا ان ينظر في أمر مكة ويولي فيها من يختار ولما ان قضت الحاج مناسكهم وذهبوا الى بلادهم شاف قانصوه بنفسه أستفل مكة فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق الا خيمة وخيام العسكر فاشار قانصوه الى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمد المباس ان يحسن للشريف أحمد الوصول الى قانصوه للوداع ففعل وذهب الى الشريف أحمد وحسن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر

حال الاعتكاف فيه وحله بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق فيصير مسجدا ر يصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر من يسعى فاعلم ذلك وهذا مما انفردت ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه ﴿فصل﴾ ومما يلائم ما نحن فيه ما نقل في التعدي على المسعى الشريف واغتصاب ما وقع قبل عصرنا بنحو مائة عام في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف قايتباي المحمودي سامحه الله تعالى ومحصله انه كان تاجر يستخدمه قبل سلطنته و يتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته وما أثره الجميلة واعتقاده في العلماء والصلحاء واتصافه بطلب العلم أيضا وكان السلطان قايتباي أرسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له مدرسة و يعمر جانبا من الحرم الشريف ومن المسجد الشريف النبوي بعد الحريق المشهور الواقع في سنة ست (٧١) وثمانين وثمانمائة و بنى له المدرسة التي في المدينة الشريفة وأجرى عين الزرقاء بالمدينة وعين خليص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير أن حب الجاه ونفاذ الامر أوقعه فيما انذكره وهو انه كان بين الميلين ميضأة أمر بعملها الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن ابن قلاوون وكانت في مقابلة باب علي حدها من الشرق بيوت للناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادي ابراهيم الذي يقال له الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضي الله عنه الذي هو الآن رباط يسكنه الفقراء فاستأجر الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه الميضأة وهدمها وتقدم من جانب المسعى خمسة وثلاثة أذرع وحفر أساسه ليبني بها رباطا لسكن الفقراء فمنعه من ذلك قاضي القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضي الشرع المبين القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضي ابراهيم محضرا حافلا حضره علماء المذاهب الاربعة ومن أجلهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي رئيس العلماء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عبد المالكي والقاضي علاء الدين الرداد الحنبلي وبقية العلماء المكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وأنكر عليه جميع الحاضرين وقالوا له في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعا وأحضروا النقل من تاريخ الفاكهي وذرعوا من ركن المسجد الى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن أساسه فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال ابن الزمن المنع خاص بي أو بجميع الناس فقال له القاضي أمنعك الآن لانك مباشر

صفر فلما كانت ليلة الاحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف ركب الشريف أحمد اليه وصحبته جماعة من الاشراف ومن الخدم فلم يزالوا يدخلون في الخيم من باب الى باب حتى وصلوا اليه فصادفوه نائما ثم نصبا الشطرنج

•(قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة ١٠٣٩)•

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع فقتل الشريف أحمد وأطلق الباقين فتحركت عساكره فأظهروا لهم مقتولا ونشر العلم ونودي المطيع للسلطان يقف تحته فوقفت العساكر تحته وخلع على الشريف مسعود بن ادريس وكانت مدة ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة واحدة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما

•(ولاية الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي سنة ١٠٣٩)•

فولي مكة بعده مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي وكان ملكا جوادا شجاعا حسن التدبير محبا للادب عارفا بمقادير العلماء والافاضل فبلغت به الناس المنى وكثر عليه الثناء ومدحه الشعراء بالقصائد

•(دخول السيل المسجد وسقوط البيت سنة ١٠٣٩)•

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وثلاثين بعد الالف كان سقوط البيت في مدة الشريف مسعود المذكور وسببه انه وقع مطر شديد في التاسع عشر من شعبان ودخل السيل المسجد وغرق فيه نحو ألف انسان وهذه القصة مع العمارة مذكورة في التواريخ فلا حاجة بنا الى ذكرها

•(وفاة الشريف مسعود سنة ١٠٤٠)•

وفي اثناء مدة العمارة توفي الشريف مسعود في عشرين من ربيع الثاني سنة أربعين وألف فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر

•(ولاية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد ساداتنا
آل عون أمراء مكة حالا الى آخر الدوران)•

فاجتمع السادة الاشراف واتفقوا على توليته الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وعرضوا ذلك الى السلطنة العلية فجاء مرسوم التأييد وكان اتمام عمارة البيت الشريف على يده وهذا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي هو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة فانه محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن حسين بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وقد ترجم صاحب خلاصة الاثر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي فقال كان سيدا جليلا

هذا الحال لهذا الفعل الحرام وأمر المعيرة أيضا بازالة تعديه وتوجه القاضي بنفسه الى محل الاساس ومنع البنائين والعمال من العمل وأرسل عرضا ومحضرا فيه خطوط العلماء الى السلطان قايتباي وكتب ابن الزمن أيضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصب وقيام ومساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل فلما وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباي نصر ابن الزمن وعزل القاضي ابراهيم وولى حصمه المنصب وأمر أمير الحاج ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان أمير الحاج شيك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانمائة ووقف بنفسه بالمسيل وأوقد المشاعل وأمر البنائين والعمال بالبناء خوفا من انكار العامة عليهم فبنوه الى ان صعدوا به وجه الارض (٧٢) وجعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا وبنى في جانبه دارا وصغر الميضأة جدا وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل في جانب الميضأة مطبخا لطبخ فيه الدشيشة وتقسم على الفقراء ووقف على ذلك دورا بمكة ومزارع بمصر واستمرت الى أن انقطع ذلك الطبخ وبيعت القدور بل والدور وبالله العجب من ابن الزمن ومما ذكرناه في فضله وخيريته كيف ارتكب هذا الجرم باجماع المسلمين طالبا به الثواب وكيف تعصب له سلطان عصره السلطان قايتباي مع انه أحسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا وخيرية وهو يأمر بفعل هذا الأمر المجمع على حرمته في مشعر من مشاعر الله تعالى وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم وأين هذا مما يحكى عن أنوشروان العادل وهو من أهل الكفر لما أراد المهندسون تسوية ايوانه بادخال قطعة أرض لعجوز بعد أن بذلوا لها الملائمة أضعافا عن أرضها فأبت فأمر بعدم التعرض لارضها فبقي في ايوانه ازورار بسبب ذلك فقيل هذا الازورار خير من الاستقامة وصار ذلك مثلا يذكر بعد الوقت من السنين والليالي وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن روى

(فصل) قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة سبع وستين ومائة ما لخصه فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وخرقوا الوادي في موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وهو الآن الطريق الذي يمر منه الى دور السادة

عظيما طالما ولي مكة بعد أخيه الشريف مسعود وهو اذ ذاك أكبر آل أبي نمي بالاتفاق من الاشراف وأمراء السلطان وكان ممتنعا من الولاية وتغافل عن جنازة الشريف مسعود فلذلك فالزموه بذلك حقنا للدماء فالم يملك زمام الولاية حتى رضي وحصل بولايته الامن والامان واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن الى ان حج بالناس سنة أربعين

(نزول الشريف عبد الله بن حسن عن الامارة لولده محمد ومشاركة زيد بن محسن لولده المذكور سنة ١٠٤١)

وفي شهر صفر من سنة احدى وأربعين وألف خلع نفسه تعففا وديانة وقلد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبد الله وأرسل الى اليمن يطلب مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي لانه بقي هناك بعد ان توفي والده وأخبره انه يريد ان يجعله شريكا لولده فوفد عليه الشريف زيد ابن محسن من اليمن فأشركه مع ولده في النصف الآخر وتخلى مولانا الشريف عبد الله عن الامر وتجرد لله بعبادة الا انه كان يدعى له على المنبر معهما

(وفاة الشريف عبد الله بن حسن سنة ١٠٤١)

واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بعد ان خلع نفسه الى ان توفي ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وصلى عليه ودفن في قبة والده الشريف حسن فكانت مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام وأعقب جملة من الذكور وهم محمد وأحمد وحمود وحسين وهاشم وتقية وزامل ومبارك وزين العابدين واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة وجاءهما التأييد من السلطنة العلية والخلعتين وقرئ مرسومهما في سابع جمادى الاولى من هذه السنة وفي هذه السنة عصى أهل الطائف وقتلوا السيد راشد بن بركات بن أبي نمي صبرا في مقر به بالمبعوث فجاء الخبر للسيد علي بن بركات بن أبي نمي فاستنجد بني عمه جميعا فأجابوه فخرج معهم مولانا الشريف زيد بأمر مولانا الشريف محمد بن عبد الله فقبضها وقتل من رأى في قتله الاصابة ورجع الى مكة ومعه غالب الاشراف في موكب عظيم وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية وملخصها ان عسكرا من اليمن خرجوا عن طاعة قانصوه باشا وجاء الخبر انهم لما وصلوا القنفذة اجتمع بهم السيد نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي واستمالهم على أخذ مكة فأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الاذن في دخول مكة ثم يتوجهون الى مصر فرجع اليهم الجواب بعدم الاذن في دخول مكة ثم جاء الخبر بأن الاتراك وصلوا السعدية فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهما عساكر الى قوز المكاسة أسفل مكة قال

الاشراف أمراء مكة المشرفة عمر الله بهم البلاد وأزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد وابتدؤا من باب بني هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب علي رضي الله عنه ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب بابا في المسجد يعرف الآن بباب حزورة وتحرفه العوام فيسمونه باب عزورة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادي ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى أسفل مكة واذا طفح عن ذلك خرج من باب الخياطين أيضا ويسمى الآن باب ابراهيم فعمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة ومن الجانب اليماني وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولا الى الجدار الذي عمل آخرا وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا فاتسع المسجد غاية الاتساع وأدخل في قرب الركن اليماني من المسجد في أسفله دار أم هانئ لان دارها رضي الله عنها كانت بقرب هذا الباب داخل المسجد الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد أمراء مكة ساداتنا الاشراف آل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت عند دار أم هانئ رضي الله عنها بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلت أيضا تلك البئر في المسجد الحرام وحفر المهدي عوضها بئرا خارج الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء ومن أبواب المسجد من أسفله باب بني سهم يعرف الآن بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يدخلون منه الى المسجد

من أعلى مكة كما هو السنة الشريفة وسيأتي ذكر بقية أبواب المسجد الحرام عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله ملك سلطنتها الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى واستمر البناة والمهندسون في بناء الزيادة ووضع الاعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقش بالالوان نقرا في نفس الخشب كما أدركناه وكان في غاية الزخرفة والاحكام باقيا فيه لون اللازورد في غاية الصفاء والرونق بالنسبة الى لازورد هذا الزمان واستمر عملهم الى ان توفي المهدي رحمه الله لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذي أراده وكان مولده في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ومدة ملكه احدى عشرة سنة وشهرا وعاش ثلاثا وأربعين سنة وعقد الامر لولده موسى الهادي

العلامة العصامي وكان خروجهم في عشرين من شعبان في مثل سقوط البيت وفي الساعة بعد العصر وكان ذلك السقوط سنة تسع وثلاثين وألف كما تقدم ووقع اللقاء بين العسكر بن هنالك فحصلت ملحمة عظيمة

• (قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله في وقعة الجلالية سنة ١٠٤١) •

وقتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله صاحب مكة وجماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن حراز والسيد حسين بن مغامس والسيد سعيد بن راشد وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحرث وقتل من الجماعة نحو المائتين ورجع الاشراف بالشريف محمد عصر ذلك اليوم وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه في المعلى مع آبائه وكانت مدة ولايته سبعة أشهر الا ستة أيام وتوجه من نجا من الاشراف الى جهة وادي مر الظهران بعد ان قاتل مولانا الشريف زيد قتالا شديدا ثم بعد تمام الواقعة دخلت الاتراك مكة

• (ولاية الشريف نامي بن عبد المطلب سنة ١٠٤١) •

ومعهم الشريف نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي فنودي له بالبلد وأشركوا معه السيد عبد العزيز بن ادريس بن حسن في ربع مكة لكن لم يشركوه في الدعاء على المنبر وأرسلوا الى أمير جدة دلاور أغا ان يسلمها اليهم فمنع من ذلك فجهز اليه الشريف عبد العزيز والعسكر وحاصروا الامير المذكور ثم دخلوا جدة ونهبوا بيته وأخذوه وأهانوه وضربوه ثم أطلقوه ونهبوا غالب التجار بجدة ثم رجعوا الى مكة وتفرق العسكر الى غالب بيوت الاشراف وبقية البيوت وعاثت العسكر في مكة وصادر الشريف نامي بعض التجار وقتل مصطفى بيك كبير العسكر الذين كانوا مع شريف مكة وفر بقية العسكر الذين كانوا معه الى جدة ثم الى سواكن ولما كان اثناء شهر ذي القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأصحبها مولانا الشريف زيد بن محسن وكان بعد الواقعة توجه الى المدينة فصادف بدر السيد علي بن هيزع بريد مصر فكتب معه الى صاحب مصر فوصل السيد على المذكور وأخبر الباشا وقال الامر فيما وقع بمكة من الجلالية فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكري ومعهم خمسة صناجق سافروا برا وجهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكري وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد وأمره بان يلبسهما ويتوجه الى ينبع لملاقاة العسكر فلبسهما بالمدينة المنورة في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه الى ينبع ولاقى العسكر وسار معهم الى ان وصلوا الجموم ووصل خبرهم الى مكة فبعث الشريف نامي عيونا يبصرون له العسكر في وادي الجموم نحو ثلاثين خيالا وعشرة هجانة فوصلوا الوادي ليلا فشعر بهم العسكر المصري فلحقهم الخيل

•(فصل في ولاية أبي محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور العباسي)• ولد بالري في سنة سبع وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده بجرجان وقد عهد له أبوه بالخلافة فأخذ له البيعة أخوه هرون الرشيد لما مات أبوه لثمان بقين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله أحد في مقدار سنه • وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد لما بويع له بالخلافة وما ركبها خليفة غيره وكان طويلا جسيما أبيض شفته العليا تقلص فيكثر لذلك فتح فمه ويغفل عن ذلك فيستمر فمه مفتوحا فوكل به أبوه في صباه خادما كلما رآه مفتوح الفم قال له موسى أطبق فيستفيق على نفسه ويضم شفته فلقبه الناس موسى أطبق فعرف بهذا اللقب

وكان وصاه أبوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان شجاعا كريما يعجبه المال دخل عليه مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدة في مدحه فلما بلغ الى قوله

تشابه يوما بأسه ونواله
فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي قبل أن يتمها أيما أحب اليك ثلاثون ألفا معجلة أو سبعون ألفا مؤجلة فقال بل ثلاثون ألفا معجلة فقال له معجلا لك المعجل والمؤجل ثم قال بل عجلا لك جميعا وأمر له بمائة ألف ومدحه ابراهيم الموصلي بقصيدة أولها

سلمى أزمعت بينا
فأين لقاؤها أينا

فأعطاه سبعمائة ألف درهم وكان اكمال المسجد الحرام أول شيء أمر به الهادي وبادر الموكلون بذلك الى اتمامه الى ان اتصل بعمارة المهدي وبنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص وكان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة المهدي في الاستحكام والزينة والاهتمام لكن كملت عمارة ولايته المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا الى هذه الايام وما زيد بعد ذلك الا الزيادتان كما نشرحهما ان شاء الله تعالى • وهذه الاساطين الرخام جلبها المهدي من بلاد مصر والشام وأكثرها مجلوب من بلاد اخميم من أعمال مصر وهي بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر والى غيرها من البلدان الرخام العظيم والاعمدة اللطيفة المنحوتة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله أعلم • ولم تطل مدة موسى الهادي وكان مدة ملكه سنة وشهرا وتوفي شابا وعمره أربع وعشرون سنة في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة • واختلف في سبب موته فقيل انه دفع نديما فتعلق

فقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالا وخمسة أو ستة هجانة وفر الباقون الى مكة فجاؤا الى الشريف نامي وأخبروه بما حل بهم فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الجلالية ومعه أخوه سيد بن عبد المطلب والسيد عبد العزيز بن ادريس لاربع خلون من ذي الحجة بعد صلاة العصر سنة احدى وأربعين وألف وتوجهوا الى تربة وتحصنوا بها وفارقهم في اثناء الطريق السيد عبد العزيز بن ادريس واتحدر الى ينبع وكان بمكة مولانا السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا فنادى في البلاد لمولانا السلطان فأمن الناس واطمئنوا وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بخلو البلاد

•(دخول مولانا الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين وخروج الشريف نامي الى تربة)•

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس ذي الحجة دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق ونزل بدار السعادة ودخل المحمل المصري عقب دخوله ولم يكن معهم حجاج غير العسكر ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم وطاف بالبيت والرئيس يدعو له والمنادي ينادي له في شوارع مكة ثم سأل عمن تخلف من العسكر فأخبر جماعة منهم تخلفوا انهم قتلوا منهم نحو الخمسين وحج بالناس في السنة المذكورة وامتدحه الشعراء بقصائد وحصل للناس سرور كثير

•(توجه الشريف زيد لقتال الشريف نامي في تربة)•

ثم بعد قضاء المناسك توجه مولانا الشريف زيد مع الاشراف والعسكر الى تربة لمحاصرة المتحصنين بها فحاصروهم وخرج من الحصن بعضهم بالامان وهجم العسكر على الحصن ودخلوه وقتلوا غالب من فيه وأمسكوا كور محمود والشريف نامي وأخاه سيدا وجاء الخبر الى مكة ثم بعث المبشرين سابعة أيام وكان دخولهم الحصن عاشر محرم سنة اثنين وأربعين وألف ثم جاؤا ودخلوا مكة [illegible] عشر محرم فاستفتوا بمكة على الشريف نامي وأخيه فأفتى العلماء بقتلهما

•(تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى)•

فشنقوا الشريفين بالمدعى في زوشين متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم وأمرت العساكر بتدريق مواعد كور محمود وأركبوه جملا وطافوا به في شوارع مكة ثم علقوه بالجميزة التي في المعلى وبقي حيا الى آخر النهار فأنزلوه وقتلوه وحرقوه وذروا رماده في الهواء وتخلف أمير الحاج المصري والشامي الى ان رجع العسكر من تربة وتوجهوا جميعا أواخر صفر واستمر مولانا الشريف زيد حاكما بمكة ضابطا لها مؤمنا لها ولاهلها الى أن توفي الى رحمة الله وكانت مدة الشريف نامي مائة يوم ويوما على قدر حروف اسمه وكان مولد مولانا الشريف زيد سنة ست عشرة وألف بأرض ينبع وكانت أيام

بقوله في مصيبته فدخل القصب في مخارجه فماتا جميعا وقيل بل قتلته أمه الخيزران لما أراد قتل أخيه هرون الرشيد ليولي العهد ولدا صغيرا من أولاده عمره عشر سنين وكانت أمه الخيزران قد استبدت بالامور والاحكام وكانت المواكب تقف على بابها فزجرها الهادي عن ذلك وقال لها لئن وقف امير على بابك لاضربن عنقه أما لك مغزل يشغلك أو مصحف أو سبحة تذكرك فقامت من عنده غضبى فبعثت اليه طعاما مسموما فأطعمه فعملت على قتله فلما وعك أمرت جواريها أن يغممنه ببساط جلس على جوانبه فانسد نفسه الى أن مات ●(وولي الخلافة بعده بعهد من أبيه أخوه هرون الرشيد العباسي الخامس من العباسيين)● ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومولده في الري لما كان أبوه المهدي أميرا عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه الخيزران أم الهادي وفيها قال مروان بن حفصة الشاعر

باخيزران هناك ثم هناك ... أمسى يسوس العالمين ابناك

وكان فصيحا بليغا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفي ذلك يقول بعض شعرائه

فمن يطلب لقاءك أو يرده ... فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما في عام واحد وكان يصلي في خلافته كل يوم ألف ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بألف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام ● وبلغه عن بشر المريسي انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض رضي الله عنه ويعظمه وكان يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام أبو يوسف رضي الله عنه وكان يعظمه كثيرا ويمتثل أوامره ● ويروى عن أبي معاوية الضرير قال أكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدي من لا أعرفه ثم قال لي الرشيد أتدري من يصب عليك قلت لا قال أنا اجلالا للعلم ● وأراد الرشيد أن يوصل بحر الروم ببحر القلزم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكي لو فعلت ذلك دخلت سفائن الروم واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وكانت أيام الرشيد أيام خير كأنها أعراس وله أخبار في اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى ● وأسند الصولي عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد في السنة التي ولي فيها الخلافة الى طرق الروم فغزا أماها وظفر وعاد غير

ولايته مواسم لاهل الفضائل تجبي اليه ثمرات العلوم والاداب من كل طائل ويقابل بالبشر والنائل ويباحث العلماء في دقيق المسائل وفي سنة ثلاث وأربعين خرج مولانا الشريف زيد لقتال صبح وهم فرقة من حرب فسار اليهم ونصره الله عليهم حتى صعد الى أقصى جبلهم وغنم منهم أموالا لا تعد ثم صالحه أهل السهل بالسلاح والمال فأخذه منهم ورجع

●(وقوع الفناء في الخيل بمكة سنة ١٠٤٣)●

وفي هذه السنة وقع الموت والفناء في الخيل بمكة وسمته العامة أبا مشفر وفنيت الخيل حتى لم يبق بمكة الا فرس واحد أخذه مولانا الشريف وصارت الاشراف تركب الحمير وفي عشرين من ذي الحجة وقعت فتنة بين العبيد والعسكر المصري وسببها انهم تزاحموا عند سقيا الماء بالزابيز فثارت الفتنة واتسعت حتى ان العسكر أحضروا مدفعا عند الزابيز وآخر عند المدرسة واستمرت الفتنة الى ان هجم الليل ثم خرج مولانا الشريف ثاني يوم وأسكن الفتنة ونادى مناديه بالامان فأمن الناس وسكنت الفتنة

●(منع العجم من الحج والزيارة سنة ١٠٤٧)●

وفي سنة سبع وأربعين وألف ورد أمر سلطاني مضمونه ان العجم لا يحجون البيت ولا يزورون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد النزول نادى منادي الشريف على الموجودين منهم في ذلك العام ان يخرجوا الى السفر سابع عشر ذي الحجة ولا يحجون بعد عامهم هذا وداروا عليهم العسكر واخرجوهم من بين الحاج فخرجوا على أشنع حال وفي هذه السنة غزا مولانا الشريف بني سعد وغامد ورجع سالما غانما وفي سنة تسع وأربعين وألف حج بشير آغا الطواشي من مماليك السلطان مراد وكان حظيا عنده فاستأذنه في الحج فأذن له وأخرج دستورا اكرم ما بيده ومعناه جواز تصرفه في كل ما يريد من عزل وتولية فلما دخل مصر خرج لملاقاته صاحب مصر الى خارج البلد فلما نظر اليه نزل عن فرسه وسار الى أن قبل ركبته ومشى الى ان أمره بالركوب فدخل مصر ووصل الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد فأخذته أنفة الاريحية والهمة العلية وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه العبر فعزم على الخروج من مكة ليكون عذرا في عدم اللقاء وحاجزا عن التساؤل بعد الارتقاء ولما زاد به هذا الطارئ قصد العارف بالله السيد عبد الرحمن المحجوب وذكر له ما خطر بباله لتزايد بلباله فقال له مولانا السيد عبد الرحمن دع عنك هذا والله يكفيك من ذلك وطب نفسا فما يقع الا الخير ولله التدبير فاعتمد على قوله فلما ان وصل بشير آغا الى رابغ أتاه خطاب بخبر وفاة مولانا السلطان فبطل ما بيده من الاحكام وصار كأحد الناس بعد ان كان رئيس الحكام وجاء الخبر الى مولانا الشريف زيد بالتأييد

بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان هذا الامر قد صار اليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله في عام واحد أول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطي وغيره وقال الحافظ النجم عمر ابن فهد رحمهما الله في حوادث سنة سبعين ومائة فيها حج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حجه ماشيا على اللبود تفرش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التي حج فيها ماشيا هي حجته في سنة سبع وسبعين ومائة وقال وفي بعض حجات هرون اخلي له المسعى ليسعى فيه فتعلق بعقاله وهو يسعى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فوقف له هرون الرشيد وأقبل عليه فصاح به ياهرون فقال لبيك ياعم قال ارق الى الصفا فلما رقاه قال ارم بطرفك الى البيت قال قد فعلت فقال كم هي يعني الحج فقال ومن يحصيهم الا الله تعالى قال فاعلم أيها الرجل ان كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه ويسئل عنها وحدها يوم القيامة وأما أنت وحدك فتسئل عنهم أجمعين فانظر كيف جوابك حين تسئل يوم القيامة فبكى هرون بكاء شديدا وخدمته يعطونه منديلا بعد منديل وهو يبلها بدموعه فقال له وأخرى أقولها لك قال قل ياعم فقال ان الرجل اذا أساء التصرف في ماله حجر عليه فكيف أنت تسرف في مال المسلمين وتسيء التصرف فيه وأنت تحاسب عليه بين يدي الله عز وجل فازداد بكاؤه وآثر نحيبه وأراد خدمه ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصائحه كلها وقام عنه بنفسه وهرون يبكي ويتضرع ويستغفر

﴿فصل﴾ وفي اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أم الرشيد والهادي الى مكة قبل الحج في سنة احدى وسبعين ومائة فأقامت الى ان حجت وعملت الخيرات واشترت دورا بالصفا الى جنب دار الارقم المخزومي التي تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبأ لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خيفة من صولة على المسلمين في أول البعث وأسلم فيه جماعة رضي الله عنهم ولما أسلم فيه عمر رضي الله عنه أظهر الاسلام وفيه قبة ومزار تسمى قبة الوحي وهذه الدور التي اشتراها صاحبنا المغفور له المرحوم المبرور المشكور الامير المأمور باجراء عين عرفة الى بيت الله المعمور الباذل نفسه وماله وأولاده في سبيل الله طالبا لنيل المثوبات والاجور دفتردار مصر سابقا صاحب اللواء السلطاني قال

وان السلطان توفي في أوائل شوال فولي بعده مولانا السلطان ابراهيم بن أحمد خان أخو السلطان مراد فورد بشير آغا مكة فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة وبشير آغا عنده ان خبر موت السلطان مكتوم فلما تقاربا وتصافحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدما على بشير آغا ولاكبه وقال (الله رحمت ايله سلطان مراد) ففي سمعه بشير آغا اندخل في جسمه ومشى كالاسير وهذا من جملة سعودات مولانا الشريف زيد ومن جملة ما اتفق ان الشريف رحمه الله رأى ليلة في منامه ان شخصا ينشد هذا البيت

كان لم يكن أمر وان كان كائنا ❊ فكان به أمر نفى ذلك الامرا

فحفظ البيت وكتبه بالسواك على رمل في صحن خاص خشية النسيان وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر واستمر بشير آغا الى ان حج وتوجه صحبة الحاج وقد ضمن البيت الذي رآه مولانا الشريف زيد في منامه الشاعر المشهور محمد الانسي في قصيدة طويلة امتدح بها مولانا الشريف زيد فاجازه بألف دينار وفي هذه السنة عمي أهل الحجاز فغزاهم مولانا الشريف ولم يزل بهم حتى أضعفهم ثم رجع سالما رابع ذي الحجة وفي سنة ثلاث وخمسين وألف وقع سيل عظيم بعرفة يوم الموقف واستمر من الظهر الى المغرب ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور ومنعهم من دخول الحرم واستمر الناس وقوفا الى آخر الليل فخف فقطعه الناس بغاية المشقة وفي سنة ألف وست وخمسين وردت مشيخة الحرم المكي لصنجق جده مصطفى بيك وكان متوليا صنجقا فقط من سنة اثنين وخمسين فلما جاءته مشيخة الحرم مضافة الى الصنجقية استفحل أمره وشرع في التطرق للاحكام بمكة فنفرت نفس مولانا الشريف زيد من ذلك فلما جاء وقت الحج خرج مولانا الشريف من مكة وأقام بها نائبا السيد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وتوغل في بلاد الشرق حتى وصل الى محل بينه وبين البصرة خمسة أيام وكان أوصى بعض هذيل رجلا يقال له أحمد الجعفري بقتل مصطفى بيك وأمره أن يقتله مهما أمكن وفي هذه السنة ورد بشير آغا السابق ذكره متوليا مشيخة حرم المدينة فجاء الى مكة وطلع الى الطائف للتنزه مع الصنجق المذكور في أوائل سنة سبع وخمسين وألف فطلعا وهما في أعلى درجات النعمة واستمرا الى هلال رجب فنزل مصطفى بيك مكة من طريق كراء فلما وصل الى النقب الاحمر ظهر له العربي المأمور بقتله وكان قد صحبه وخدمه وتعرف به وآلفه فاقبل عليه وقد انفرد عن أعوانه ومع الجعفري شاب آخر فلما قرب منه وحاذاه قال للشاب قبل يد سيدك وكان على جانبه الايسر فاعطاه يمينه فضربه الجعفري من جانبه الايسر بجنبية في وسطه فقطع بها مصارينه وكلاه وأقام عليه تكلاه فلما طاح

قال لرفيقه السراج وتولوا بين الجبال لا تدركهم الخيل ولا الرجال فلحق مصطفى بيك أصحابه وقد خرجت روحه ونقلوه الى مكة ودفنوه بالمعلى وقدم مولانا الشريف من سفره فى ذى القعدة وسرت بقدومه كل نفس وذهب الضيق مثل ما ذهب أمس

•(زيارة مولانا الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة سنة ١٠٥٩)•

وفى سنة تسع وخمسين وألف عزم مولانا الشريف على زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فتوجه ودخلها ثامن شهر شعبان من السنة المذكورة

•(قتلة زفر افندى قاضى المدينة)•

واتفق أن وقعت حادثة عجيبة ليلة عاشر الشهر المذكور وهى ان حضرة زفر أفندى قاضى الشرع الشريف نزل لحضور صلاة الصبح وقت الغلس ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفتردارية وثب عليه شخص فضربه بالسلاح فى ظهره فانفذه من صدره فانكب على دابته ولم تزل سائرة به الى ان دخلت به محراب سيدنا عثمان رضى الله عنه وامام الشافعية قائم يصلى فى المحراب الفجر فقام بعض الناس اليه وأنزلوه على آخر نفس وهو يقول يارسول الله يارسول الله ووضع امام الوجه الشريف وبعد لحظة قضى عليه واتهموا مولانا الشريف زيدا بقتله من غير معرفتهم شيأ يقتضى ذلك فشدت العساكر واجتمعت وأغلقت باب السور وكان الشريف زيد نازلا خارج السور فوجهوا المدافع اليه وشرعوا ينادون النرح عنا فبعث اليهم الشريف زيد أكابر جماعته وأكابر جماعة عسكر مصر فخاطبوهم بانه لا علم للشريف زيد بذلك ولا شعور له ولاموهم على ذلك خطابا من تحت السور فتراجعوا وفتحوا باب السور وفى اليوم الثانى استدعى وجوههم ابنظر فى حال قتلة الافندى وبحث عنهم فلم يزل عسكر رؤس الفتنة واحدا بعد واحد وحبسهم مدة مديدة ثم حصلت شفاعة فى بعضهم فاطلقهم وذهب بالباقين وهم تسعة نفر وأمر بابقائهم فى ينبع واستمروا الى الحج فاستشفعوا بأمير الحاج فشفعه فيهم ثم ان عسكر والغيطاس بيك أمير جدة ونزلوا معه واتفق انه فى نزوله هذا الى بندر جدة كان مغاضبا لمولانا الشريف لاسباب ذكرها المؤرخون أقواها وأعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف ادريس المذكور سابقا فى دولة الشريف ناى على غيطاس بيك وافساده على الشريف زيد وتوغير خاطر البيك المذكور عليه فتواطأ معه على الباسه شرافة مكة فبعد نزوله الى جدة لحقه السيد عبد العزيز المذكور فألبسه شرافة مكة ونودى له فى البلاد ثم خرج غيطاس بيك والشريف عبد العزيز ومن معهما من العسكر وخرج الشريف زيد ومن معه من الاشراف لدفعهم وتلاقوا تاسع عشر جمادى الآخرة سنة

المنشور المذكور باحسان الى يوم النشور ابراهيم بك ابن تغرى بردى المهمندار أسكنه الله تعالى فى دار القرار جنات تجرى من تحتها الانهار ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب چلبى أفندى ناظر الصدقات السليمية حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذوى الخلق الحليم والطبع الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله الى جنات النعيم وملكه ملكا أعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاهزاده يومئذ قبل ان يلى تخت السلطنة العظامى ففرح بها كثيرا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشئ فيها عمائر وخيرات وجهات تصرف الى فقراء هذه الجهات فلم يقدر له ذلك وزاحمته أمور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان الجائر ولا ساعده الدهر الغادر ولكن حصل له ثواب مانواه من الخيرات فالاعمال بالنيات وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وصارت هذه الدار الآن من املاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر فى هذا الاوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك عن الآباء والاجداد السلطان الاعظم الاكرم السلطان مراد خلد الله تعالى أيام سلطنته القاهرة الى يوم التناد وألهمه العدل فى الرعية لاحياء رسوم المعدلة بين العباد • قلت ولم أطلع للرشيد مع كثرة خيره على انه عمر فى أيامه شيأ من المسجد الحرام غير أن عامله بمصر موسى بن عيسى أهدى الى مكة المشرفة منبرا منقوشا مكلفا له تسع درجات فجعل فى المسجد الحرام وأخذ المنبر القديم الذى كان يخطب عليه بمكة ووضع فى عرفة وذلك فى أول حجات الرشيد فى سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك • وفى سنة أربع وأربعين من الهجرة الشريفة نصب وخطب عليه معاوية بن أبى سفيان وهو أول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياما على أقدامهم فى وجه الكعبة وفى الحجر • قال أبو الوليد الأزرقى حدثنى جدى عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال أول من خطب بمكة على منبر معاوية بن أبى سفيان وساق ما قدمناه فى ذلك ثم قال وذلك المنبر الذى جاء به معاوية ربما خرب فكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد فأتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لمن بعده الى أيام الواثق بالله العباسى فأراد ان يحج فأمر ان يعمل ثلاث منابر منبر لمكة ومنبر لمنى ومنبر لعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على أهلها مالا كثيرا • وفى أيامنا التى

أدركناها من الشباب الى المشيب شاهدنا ما سار اليها سلاطين مصرنا وسنذكرها في محلها ان شاء الله تعالى ﴿فصل﴾ اعلم أن ما ينبغي للعاقل ويدخر عنه الا الأبله أن الدنيا دار الأكدار ومحل الهموم والغموم والحسرات وان أخف الخلق بلاء وألما الفقراء وأعظم الناس تعبا وهما وغما الملوك والأمراء والأكابر ولو يحال لكل بشر غني قامة من الهم وقيل

لقد قنعت همتي بالخمول … وصدت عن الرتب العاليه
وما جهلت والله طيب العلى … ولكنها تؤثر العافيه

وقيل أيضا

بقدر الصعود يكون الهبوط … فاياك والرتب العاليه
وكن في مقام اذا ما وقفت … تقوم برجلاك في عافيه

وما المرتبة الملوك والسلاطين بحال الضعفاء والفقراء والمساكين

في كل بيت كربة ومصيبة … ولعل بيتك ان رأيت أقلها

فارض بحالك وقرلك واشكر الله على نعمة ظهرك ولا تتعد طورك بعد ذلك ادعيه خفيه ساقها اليك ورحمة أفاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك واعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك ... من هذه العظات * ومن ذلك ان هرون الرشيد من أعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأيا وتدبيرا وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة امطري حيث شئت فان خراج الارض التي تمطري فيها يجيء الي ومع ذلك كان أتعبهم خاطرا وأشدهم فكرا وأشغلهم قلبا وكان من أولاده محمد الامين من زبيدة بنت جعفر المنصور

﴿تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الامين والمأمون﴾

وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف أرادت وكان ولده منها محمد الأمين شديد الترفه والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا يستحق الخلافة وولده الثاني من جارية سوداء اسمها مراجل من جواري المطبخ ماتت في نفاسها عن عبد الله المأمون وكان أتم عقلا ورأيا وأصح تدبيرا وأكثر فضلا ومعرفة فيه صلاحية لتدبير الملك وأهلا لأن يكون خلفا عن أبيه في خلافته وما قدر أبوه ان يجعله ولي عهده بعده مخافة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل ولي عهده محمد الامين في سنة خمس وسبعين ومائة ولقبه بالامين وعمره يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المأمون ولي العهد بعد محمد الامين في سنة ست وثمانين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي ثم ولقبه المؤتمن وقسم ملكه بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد ألقى بينهم وأضر الرعية بهم قال عبد الملك بن صالح

ستين وألف قريب موضع قبر السيدة ميمونة رضي الله عنها وصار بينهم قتال عظيم أصيب فيه عدد كثير من الجانبين من الأشراف وغيرهم فلما اشتد الحال طلب الشريف عبد العزيز الامان له ولغيطاس بيك ومن معهما فأعطاهم مولانا الشريف زيد الامان وأرسل مع غيطاس بيك خمسين نفرا يوصلونه الى جدة ثم بعد مدة جاء الامر بعزله فتوجه الى مصر ولحقه السيد عبد العزيز

﴿وفاة السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ١٠٦٣﴾

وتوفي السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ثلاث وستين وألف وأما غيطاس بيك فاتى في سنة احدى وستين أميرا على الحاج فتوهم منه مولانا الشريف غاية التوهم الا انه خرج للملاقاة على العادة واجتمعا بأخذ بالقانون القديم وهي المناكبة فصافحه بيده ومن تلك السنة تركت المناكبة وبقيت المصافحة فقضى حجه وذهب وقيل في أسباب فتنة غيطاس بيك ان سببها رضوان بيك الفقاري أمير الحاج وكان غيطاس بيك من عمائكه في سنة ثمان وخمسين ووقعت منافسة بين رضوان بيك وبين مولانا الشريف فحقد عليه رضوان بيك وكتب الى الابواب وأكثر الخطاب وطلب عزل الشريف زيد فوافقه السلطان على مراده وأخرج عزل الشريف زيد فاضمر رضوان بيك عزله وتولية الشريف مبارك بن شبير بن حسن الى ان وصل الى عسفان ولم يظهر ما أكن وكان صاحب مصر أحمد باشا طالب الى الابواب فلما وصل الروم أخبر بذلك فتكلم مع حضرة الوزير الصدر الاعظم وراجعه في ذلك وعرفه ان رضوان بيك حمل بهذا الفعل لكثير مما أمره وان هذا الامر لا يكون الوصول اليه الا بشق الانفس واقتضى الامر ان أعيد مولانا الشريف زيد وجهزوا قاصدا بأمر مولانا السلطان ناسخا للأمر الاول الذي بيد رضوان بيك وأمر القاصد بالجد في السير لاداء هذا الخبر فوصل يوم الرابع من ذي الحجة وكان ذلك يوم وصول مولانا الشريف من الطائف فنزل من المعابدة في الآي أعظم الى ان دخل من باب السلام والامر بين يديه الى ان وصل الحطيم وفتحت الكعبة فقرأ مرسومه الوارد ولبس القفطان وكبتت الاعداء ورضوان بيك عما وقع قد دخل مطويا على حنق فحج ورجع وهو جاهد في هوى نفسه فأخذ بمعوقية مدة لغيطاس بيك وقربه لانه ارادة حتى وقعت تلك الفتنة وقيل سببها اتهامه مولانا الشريف قتل قاضي المدينة والله أعلم بحقيقة الحال ولا مانع من اجتماع تلك الاسباب وفي سنة سبع وستين عقد مولانا الشريف زيد على ابنته لمولانا الشريف حمود بن عبد الله واحتفل في زواجه ومدحه علماء مكة ومدحوا مولانا السيد حمود بعدة قصائد وفي سنة اثنتين وسبعين وألف حصل بمكة غلاء شديد وسببه حدوث جراد كثير وأعقب ذلك وباء عظيم عم الارض ودخل الجراد مكة فصار يقع في كل شيء حتى

حتى تعب الناس واستمر مدة حتى كسى الجدران بأجمعها فاعقبه الغلاء فأشار مولانا الشيخ محمد البابلي بترك التسعير فنادى المنادى بذلك فأظهر كل ما عنده وهون الله الامر

•(حدوث سيل عظيم بمكة دخل المسجد سنة ١٠٧٣)•

وفي سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت السابع من شعبان أمطرت السماء بعد صلاة العصر وحصل سيل عظيم دخل المسجد الحرام فبلغ القناديل ومات به في المسجد ستة نفر وبات تلك الليلة الى الصباح فلما طلعت الشمس نزل مولانا الشريف بنفسه وأمر بفتح مسيل باب ابراهيم فنزل السيل الى أسفل مكة وباشر مولانا الشريف العمل بنفسه حال التنظيف واقتدى الناس به ونظفوا المسجد وغسلت الكعبة تطاهروا باطنا ثم جيء بالجير والبقر لحرث الارض وحمل ما بقي من التراب والطين وجدد سليمان أغا المعمار بعض ما تلف ثم جاء سنة أربع وسبعين محمد أغا الكزلار بالامر لاتمام هذه العمارة وأعقبه السلطان بالامر بقتله فما وجد في مكة بل توجه الى الزيارة بعد الحج فادركوه ثمة وقتلوه وبقي سليمان أغا على العمارة وفي سنة ست وسبعين وألف خرج مولانا الشريف الى بلاد جهينة لقتالهم بالعساكر المصرية ومعه غالب الاشراف وكان خروجه لاخذ ثار السيد مساعد بن محمد بن مساعد بن حسن بن مسعود وكان الملزم له بالخروج أخاه السيد غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود لانه ولي الدم الاقرب فتوجه مولانا الشريف لقتالهم فظفر بهم ورجع سالما

•(وفاة الشريف زيد بن محسن سنة ١٠٧٧)•

وفي سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد ثم توفي يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام فمدة ولايته خمس وثلاثون سنة وشهر وأيام ورثاه الشعراء بقصائد وأرخوا وفاته بتواريخ من ذلك قول الشيخ أحمد بن أبي القاسم الحلي حيث قال

مات كهف الورى مليك ملوك الـ • أرض من لم يزل مدى الدهر محسن
فالمعالي قالت لنا أرخوه • قد ثوى في الجنان زيد بن محسن

وعمره احدى وستون سنة وأعقب الشريف سعدا ومحمد يحيى وأحمد وحسنا وأما ابنه حسين فمات في حياة أبيه وخلف محسنا ولي من امارة مكة كما سيأتي ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد وحسن وأما السيد محمد فكان بالمدينة وأحمد كان بجدة رديف ملك الشريف زيد السيد حمود بن عبد الله ابن حسن بن أبي نمي فكان يرى انه الاحق بولاية مكة بعد الشريف زيد لكون أبيه الشريف عبد الله بن حسن هو الذي طلب الشريف زيدا من اليمن وأشركه في الامر مع ابنه محمد كما تقدم فلما توفي الشريف زيد انحازت الاشراف بأجمعها الى دار السيد حمود ولم يبق مع الشريف سعد

الله قلدهم وانا خلافته • لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا وقدم الامر هرون لرأفته • بنا أميننا ومأموننا ومؤتمنا
وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه أميا فاراد الله تعالى خلاف ما أراده الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المأمون وصارت الخلافة بعد المأمون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلفاء كلهم من نسله ولم يجعلها من غير نسله من أولاد الرشيد وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وأمرهم بمبايعة أولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما ووضع الاعيان والاركان والامراء والكبراء خطوطهم عليه وجهزه الى بيت الله تعالى وأمر بتعليقه في وسط الكعبة الشريفة (٧٩) ليشتد الوثوق به ولا يقع خلاف في ذلك

قال ابراهيم الموصلي
خير الامور بغية
وأحق أمر بالتمام
أمر قضى احكامه
مولاي في البيت الحرام
ولم يغن ذلك التدبير عما
رقمه قلم التقدير في لوح
المقادير والله على كل
شيء قدير وقال
ولو كانت الدنيا تنال بفطنة
وتدبير رأي نلت أعلى
المراتب
ولكنما الاقدار تجري بقدرة
من الله لا تجدي تدابير طالب
قال شيخ شيوخنا الحافظ
السيوطي رحمه الله تعالى
وذكر محمد بن الصباح
الطبري ان أباه مشى مع
الرشيد من خراسان الى
النهروان فجعل الرشيد
يحادثه في الطريق ويشكو
همومه ويتنفس عند ذكره
نفثات الصدور والى ان
قال يا صباح أظنك لا تراني
بعد هذا فقلت بل يطيل
الله عمر أمير المؤمنين
ويفديه بارواحنا ويعيش

سالما من الآفات فقال انك لا تدري ما أجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك ما أخفيه عن غيرك وتنحى عن الطريق وأومأ الى من معه بالتنحي عنه فأبعدوا عنهم وهم يرمقونه بطرف خفي ثم قال أمانة الله يا صباح ان تكتم أمري فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير معصوبة على بطنه فقال هذه علة أكتمها عن كل احد وحولي رقباء لكل واحد من أولادي يعدون أنفاسي على فمسرور رقيب المأمون وجبريل بن بختيشوع رقيب الامين وفلان وعدّ ثالثا أنسيته رقيب المؤتمن وكل منهم يحصي أيامي وساعاتي ويستطيل عمري وحياتي وظهر ذلك الآن منهم أن أطلب منهم برذونا يركبني فيأتوني به أعجف ضعيفا يزيد في علتي ويضاعف على مرضي ثم طلب منهم برذونا يركبه فأتوه ببرذون عاجز منقطع بتعسير ا كما ذكره وبدا ربهم بصبر على ما يكابده منهم فنظر الى

نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وهم ينظرون الى نظرة خفت عاقبتها وكفاني الله تعالى شرهم واستمر الرشيد عليلا الى أن أفضى وفاته بطوس رحمه الله تعالى فانظر الى هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذي قل ان يوجد له مثيل وهو عاجز في يد غلمانه مغلوب عليه في ملكه وسلطانه متحسر على عظيم شانه متأسف على علو مكانه بيده خزائن الارض ولا يملك منها نقيرا ولا قطميرا ولا يقدر على كل شيء وكان ربك قديرا * ولما جردت المنية موسى الحمام على هرون ومزقت ثياب رشد الرشيد مخالب المنون وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان وحنطته بحنوط أعماله (٨٠) وأدرجته في أكفان خصاله وخلاله ونقلته من سرير السعود الى اخدود اللحود فمضى كأنه لم يكن شيأ مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا * وقد حكى الرشيد انه كان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس وقد غلب عليه الوعك عرف انه ميت فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لي قبرا في هذا المحل فحفروه فقال قربوني الى شفيره فحملوه في قبة الى ان نظر الى القبر فسالت عبرته وزادت حسرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير وامر ان ينزل الى لحده من يقرأ ختمة فيه ففعلوا ذلك فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد في القبر بطوس لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائة وتقدم ان مولده بالري سنة ثمان وأربعين ومائة وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ونصف رحمه الله تعالى

الاجابة لخصيمهم العدد فترددت الرسل من الجانبين السيد حمود والشريف سعد الى عماد أفندي وكان عين الدولة بمكة لانه مفتي جدة وشيخ الحرم المكي * وقعت رجة عظيمة بمكة في التولية على المسلمين من يقوم مقام الشريف زيد بين ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبد الله وقام كل من الرجلين أشد قيام وجمع الجموع وبذل المال وتحصنوا في البيوت والمنابر فرد الامر الى عماد أفندي شيخ الحرم فاستحسن تولية الشريف سعد فأرسل الخلعة اليه فلبسها في بيته فقيل لعماد افندي ان الشريف زيدا كان قد أخذ أمرا سلطانيا من الدولة لابنه السيد محمد وكتمه لامر خشيه ولم يظهره خوفا من الاختلاف فهو ولي العهد بعده فقال قولوا للشريف سعد بشرط انك قائم فجاء جماعة من الاشراف من جهة السيد حمود راجعين عماد أفندي فقال لهم نحن البسنا الشريف سعد بشرط انه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى لانه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني فلم يردوا له جوابا ورجعوا الى بيت السيد حمود فأخبروه وفي خلاصة الاثر انهم راجعوا عماد أفندي فقال له بعضهم وهو السيد مبارك بن فضل بن مسعود نحن حمود شيخنا وكبيرنا ولا نرضى الا به وكان عند عماد أفندي السيد راجح بن قايتباي من جانب الشريف سعد فوقع بينهما كلام طويل ثم ذهب الاشراف الى الشريف حمود وكان للشريف زيد عبد حبشي اسمه بلال ومملوك تركي اسمه ذو الفقار وكان شجاعا للعسكر وأوصاه الشريف زيد على بنيه فقام عليهم أحسن قيام وكان ذا هيبة ورأي سديد فقام على قدميه وشمر عن ساقيه ورتب العسكر في المواضع الحصينة والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بني عمه وشيعته ونار الفتنة قائمة أشد قيام

(جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة سنة ١٠٧٧)

فجلس الشريف سعد للتهنئة ودعا مشايخ العرب وأهل الادراك وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس وامتدحه الشعراء بعدة قصائد وفي اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر الى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود وكل منهما جمع جيوشه وتحصنوا في البيوت والمنابر وركب جماعة السيد حمود على الجبل الذي خلف بيته وعلى الجبل المعروف بجبل عمر وترامو بالرصاص من بعد ولم تحصل مواجهة واستمر بهم الحال وكل يوم يصبحون في قيل وقال وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصائل ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد حمود على قدر معلوم من المعلوم وعينت جهاته وكان يوما عظيما عند الناس وحصل بذلك الامن وارتفع الباس وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام ثم كتب محضرا من الشريف سعد الى الدولة العلية بانها ما صار من وفاة الشريف زيد وجلوس الشريف سعد بعده والتماس تأييده

(فصل) ولما توفي الرشيد ولي الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة أبيض جميلا فصيحا بليغا سيء التدبير وبقائه كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن لا يصغي الى قول المشير * ولما ولي الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار في العذارى واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار وجارية ابن عمه ابراهيم بن المهدي بعشرين الف الف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وأرسل الى الكعبة المعظمة من جاءه بصحيفة عهد والده له ولأخويه فمزقها وعهد الى ولده رضيع سماه الناطق بالحق ودعي له على المنابر ومن نصح الامين ومنعه عن هذا الغدر والنكث خازم بن خزيمة فقال له يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك وانى أنصحك وأصدقك ولا أكذب في نصحك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على

تمسكت العهود فينكثون عهدك وان الحسد شؤم والناكث منكوب مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب اليه ورقة النفوس عليه ولذلك تأثير فى الظاهر والباطن فأبى الامين منه ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم أشد تصميم وأرسل جيشا مع على بن عيسى على أخيه المأمون عدتهم أربعون ألفا وأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه أربعة آلاف مقاتل فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وبعث طاهر بن الحسين برأسه الى المأمون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المأمون بذلك وكثر أتباعه ومال الناس اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولازال أمر المأمون يعلو بحسن تدبيره وامتثال الناس اليه ويضعف الامين فى لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه بحضرته واحتجابه عن أهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل الى بغداد فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو فى جنب حوض مع جواريه يتصيد معهن السمك من ذلك الحوض وكان وضع فى آنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة التى فى أنفها لها ثم افرغ الامين رأسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد فقال له دعنى فان الجارية فلانة صادت سمكتين وأنا ماصدت شيأ فرجع مسرور باهتا واذا بالجند قد أحاطوا بدار الخلافة ونهبوها وأمسك طاهر ابن الحسين الامين بيده وحبسه فلما شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين ياطاهر اعلم انه ماقام لنا قائم قط فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانظر لنفسك أودع يلوح بأبى موسى الخراسانى وأصحابه الذين بذلوا أموالهم فى قيام الدولة العباسية فكان مآلهم الى القتل وهذه عادة الله تعالى فمن ذكر من مقيمى الدول كعمرو بن سعيد أقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وأبى مسلم الخراسانى أقام دولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين قتله عبيد الله المهدى وأمثال ذلك كثير فأثرت هذه الكلمات فى قلب طاهر وصار يحذر منها الى أن كان آخر قتله بيد المأمون ولما رأى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الامين وحبسه عدم سكون الفتنة أدخل أعاجم لا يعرفون اللسان على الامين وأمرهم بقتله فقتلوه وأخذ رأسه وطيف به فى مدينة بغداد ونودى عليه هذا رأس المخلوع الى أن سكنت الفتنة وكان ذلك فى المحرم سنة

خطوط الاعيان وذهب به عبد الله المذكور سابقا بلال آغا الى مصر وسلمه لصاحب مصر فارسله الى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه وأصحبه مكتوبا من عنده وصدر أيضا عرض آخر من السيد حمود بنقض ما كتبه الشريف سعد ولم يكن عليه الا خطوط السادة الاشراف وأرسله مع رجل من أهل مصر يسمى الشيخ عيسى فقضى الله عليه قبل دخوله مصر بيومين فوجدوا العرض فى تركته فلم يجدوا له نفاذا وصدر أيضا عرض ثالث من السيد محمد يحيى بن زيد من المدينة لانه كان بها وعليه خطوط الاعيان من أهل المدينة وألزم السيد محمد يحيى نفسه أربعين ألف دينار للوزير الدولة العثمانية فلما كان اليوم الثانى والعشرون من رجب جاءت الاخبار الصحيحة بان الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة وفى السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضرة السلطان بالخلعة الشريفة والامر السلطانى فلبس الخلعة بالمسجد الحرام وقرئ الامر السلطانى وجلس للتهنئة وامتدحه الشعراء ولم يحضر هذا المجلس السيد حمود ولا أحد ممن معه من السادة الاشراف ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة الى أن حصل بينهما التنافر والفراق وقام كل منهما فى مقاومة صاحبه على ساق وذلك باسباب عدم ايفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمود من تلك المقررات والوعود فازمع السيد حمود على الترحل عن البلاد ومفارقة العيال والاولاد فبرز الى وادى مر يوم الاربعاء ثامن ذى القعدة من سنة سبع وسبعين وألف وأرجفت الناس لهذا الخروج وخيف انقطاع السبل وأقام بمن معه من السادة والاشراف والخدم والاتباع الى قدوم الحاج المصرى فاجتمع بأميره السيد حمود ومعه السيد أحمد ابن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان فانهوا اليه الحال وعدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به ومن معه لحجهم وقالوا لامير الحج انا أيها الامير لاندع أحدا يحج الا ان نأخذ ماهو لنا وكان قدره مائة ألف أشرفى فالتزم للسيد حمود ان يقدمه الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا منها وقبل ذلك وخلى سبيله ومن معه فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذى الحجة خرج اليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة ثم كلمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق التزامه وأعطى خادم السيد حمود الخمسين الالف قبل الصعود وبقى السيد حمود ومن معه بالوادى الى ثالث عشر وقيل عشرين من ذى الحجة فدخل مكة ومن معه من الاشراف وقصد أمير الحج وكبار العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد فترددت الرسل بينهم ثم عقدوا مجلسا بحضرة الامراء ووجوه أركان الدولة وعماد افندى لسماع الدعاوى التى بينهم فارسل الشريف سعد بلال آغا وكيلا عنه فى الخصومة والدعوى فاغتاظ السيد حمود من ذلك وأراد قتله فى ذلك المجلس فذهب مسرعا فزعا

ثمان وتسعين ومائة • قال محمد بن راشد أخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال فطلبني في ليلة مقمرة فجئته فقال
ما ترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معي نبيذا فسقاني ثم طلب جارية تغنيه فجاءت جارية اسمها ضعف فتطيرت
منها وغنت بشعر النابغة الجعدي   كليب لعمري كان أكثر ناصرا • وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم   فتطير من ذلك وقال غني غير
هذا فغنت تقول   أبكى فراقهم عيني فأرقها • ان التفرق للاحباب بكاء   مازال يعدو عليهم ريب دهرهم
حتى تفانوا وريب الدهر عداء   فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا فقالت   أما ورب السكون والحرك
ان المنايا كثيرة الشرك   ما اختلف الليل والنهار ولا • دارت نجوم السماء في الفلك   الا لنقل السلطان عن ملك
قد زال سلطانه الى ملك
وملك ذي العرش دائم أبدا
ليس بفان ولا بمشترك
فقال لها قومي لعنك الله فقامت فعثرت في كأس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما أظن أمري الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشاطئ قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقام مغتما ورجعت عنه فأخذ بعد ليلتين وقتل تجاوز الله تعالى عنه وعظم قتل الامين على المأمون وكان يريد أن يرسل به طاهر بن الحسين الى أخيه حيا ليرى رأيه فيه فنقد ذلك على طاهر حتى عاش طريدا لعبيدا وآل أمره الى ما آل

{فصل} لما تم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة أعظم مأتم آل الملك الى عبد الله المأمون بعد قتل أخيه في سنة ثمان وتسعين ومائة • وكان من أتم رجال بني العباس حزما وعزما وعلما وحلما ودراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وتأدب   وحصل
وتفقه وبرع في فنون التاريخ والادب ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الادب ففضل وأفضل وحمل الناس بالقول بخلق القرآن
ولولا ذلك لكان يعد من أكمل الخلفاء وكان يضرب المثل بحلمه ومن انصافه انه رأى آل النبي صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة
من غيرهم وهم بخلع نفسه وتفويض الامر الى علي بن موسى الكاظم وهو الذي لقبه بالرضا وضرب الدنانير والدراهم باسمه
وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولي عهده في الخلافة فاشتد ذلك على بني العباس وخرجوا عليه وبايعوا
ابراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك فثار المأمون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المأمون في صفر سنة أربع ومائتين

فأرسل الشريف سعد أخاه السيد محمد يحيى وكيلا عنه وتطالبا على يد الحاكم الشرعي وطال المجلس
ولم يقع بينهما اتفاق وادعى على السيد حمود بأنه أخذ أموال الامن طريق جدة فلم يثبت عليه ذلك
بوجه شرعي وطلب مولانا السيد حمود ان يتوجه الى الديار المصرية و يرفع أمره الى الحضرة
السلطانية فأذنوا له واتفق الحال على ذلك ثم لما توجه الحاج الشامي وسائر الحجاج توجه معهم حتى
وصل الى بدر فتخلف عنهم وأقام بها فلما دخلت سنة ثمان وسبعين وألف توجه السيد حمود من بدر
الى ينبع في شهر صفر وأرسل ولده أبا القاسم والسيد أحمد الحارث وولده السيد محمد والسيد غالب
ابن زامل بن عبد الله بن حسن وجماعة من ذوي عنقا وأرسل معهم هدية الى صاحب مصر المسمى
عمر باشا ومن جملة تلك الهدية ستة من الخيل فلما بلغوا الحوراء لاقاهم قاصد من ابراهيم باشا المتولي
بعد عزل عمر باشا بمكاتيب متضمنة للامر بالاصلاح فرجع السيد غالب بن زامل صحبة القاصد
لينظر ما يتم عليه الحال وأقام الباقون بالحوراء نحو خمسة عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشدة فلم
يصل اليهم خبر بعد هذه المدة فساروا الى مصر فدخلوها ليلة عيد المولد وقدموا مكاتيبهم والهدية
والخيل التي معهم لابراهيم باشا فأكرمهم وعظمهم وأضافهم واحترمهم فاستمر الحال كذلك الى شهر
جمادى الآخرة ولم يرجع ذلك القاصد من مكة الى مصر فأشيع بها ان السادة الاشراف اللذين بينبع
قتلوا ذلك القاصد وحصل الهرج والمرج وجاءت الاكاذيب فرجا بعد فرج فأشار بعض الاشقياء
على الباشا بمسك السيد أبي القاسم والسيد محمد الحارث ونقلهم من منزلهم الى محل آخر وجعل
عليهم حرسا واستمر السيد حمود بينبع ولما ان سافر الحج وقع تنافر بين الشريف سعد وأخيه السيد
محمد فانه طلب ان يكون له ربع مكة بشعار الدعاء مع الشريف سعد فامتنع الشريف سعد فخرج السيد
محمد مغاضبا لاخيه ولحق بالسيد حمود بينبع فخرج الشريف سعد وضرب وطاقه بالزاهر لارادة
لحوقهم ثم جاءه خبر ورود خلعة له من صاحب مصر فرجع الى مكة وجاءته الخلعة سابع عشر رجب
ولما سمع السيد حمود باعتقال ولده أبي القاسم والسيد محمد الحارث لحقه من التعب ما لا مزيد عليه
ثم جهز الباشا صاحب مصر تجريدة لقتال السيد حمود ومن معه خمسمائة من العسكر وعليهم صنجق
فلما وصلت الى ينبع اعترضها السيد حمود والسيد محمد بن زيد ومن معهم من الاشراف وجمع من
جهينة وغيرهم وقتلوا منهم نحو أربعمائة نفس واستولوا على أموالهم وقبضوا على
الصنجق وحريمه وأولاده وقالوا هؤلاء رهائن في السيد أبي القاسم بن حمود والسيد محمد بن
محمد الحارث وأصيب في هذه الوقعة جماعة من الاشراف وقتل آخرون ولم يزل الصنجق عندهم
الى ان مات ووصل خبر هذه الواقعة بمكة تاسع عشر رجب وحصل بمكة اضطراب عظيم ولما

وتوفى الامام على بن موسى الرضا فى سنة ثلاث ومائتين وأسف عليه المأمون وأراد اقامة غيره فذكر الصولى ان بعض نصحائه قال له انك فى برك بأولاد على بن أبى طالب كرم الله وجهه والامر فيهم أقدر على برهم والامر فيك وكلمه العباسيون فى اعادة لبس السواد فأبى فكرروا ذلك عليه الى أن أجابهم الى ذلك وأعاد شعار السواد وكان كثير الجهاد وهو الذى افتتح قره حصار وكان كثير العبادة قيل انه ختم فى شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء ممتحنين فى أيامه يجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فأهلكه الله تعالى ويقال ان سبب موته انه اشتهى أكل سمكة تسمى الرعادة فلما أحد أخذته النفاضة من ساعته لبردها فأكل فمات لوقته وما أمن المأمون من اظفار ريب المنون ونقل من الملك الى الهلك حيث المصون وواراه التراب عن الاحباب وسالت العيون ورجع الى ربه الكريم وانا الى الله راجعون وكانت وفاته لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بأرض الروم ودفن فى طرسوس وفيه قال أبو سعيد المخزومى

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون أو عن ملكه المأسوس

خلفوه بعرصتى طرسوس ... مثل ما خلفوا أباه بطوس

{فصل لمامات المأمون ولى بعده الخلافة أبو اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد} مولده سنة ثمانين ومائة وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن أولاد الرشيد والثامن من ولد العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانية وأربعين سنة وذكر الصولى قال كان مع المعتصم غلام فى الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم ياسيدى واستراح من الكتاب فقال ياولدى وان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه لاتعلمه شيأ فانشأ عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ماوصل اليها أحد قال وهو أول من أدخل الاتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا وبعث الى سمرقند وفرغانة أمراء الاشراء الاتراك وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل فى بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم أهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تخرج جندك

وصل الخبر الى مصر اشتد حنق صاحب مصر وأمر بقتل من بها من اتباع السيد أبى القاسم والسيد محمد الحرث وضيق عليهما بنقلهما الى حبس شنيع لايليق بهما وجمع العلماء واستفتاهم فى قتلهما فامتنعوا عن الافتاء بذلك فضيق عليهما الحبس واستمر الى ان عزل ابراهيم باشا وتولى حسين باشا جنبلاط فسأل عن حالهما من حين دخوله عن سبب حبسهما فأخبر بقضيتهما ثم تفحص الى الغاية عن حالهما بسؤالات كثيرة حتى ظهر له انهما مظلومان فأمر بالافراج عنهما واحضارهما اليه فأكرمهما غاية الاكرام وخيرهما بين الاقامة والعود بعد ان أنزلهما فى بيت نقيب الاشراف وأكرمهما وأتباعهما الامزيد عليه ثم مشى السيد محمد الحرث الى مكة خفية على ركائب وتأخر السيد أبو القاسم بن حمود واستمر بمصر الى ان توفى بالطاعون ولم يزل السيد حمود بينبع بعد الواقعة المشهورة ثم انتقل الى الشرق ووقع له بالشرق وقائع مع مطير وبنى ظفر وبنى حسين ولم يزل على هذا الحال وهو فى غاية الاعزاز والاجلال الى ان أذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد فوفد عليه السيد حمود بالطائف وقيل بالمبعوث سنة احدى وثمانين وألف فقابله بالاجلال والاكرام ثم دخل معه الطائف وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مبانى الصلح المحكم الاساس عبراى من ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وأقاما فى أرغد عيش بعد ذلك الطيش وفى سنة تسع وسبعين وقع غلاء وقحط بمكة حتى أكل الناس الكلاب والهرات والرمم العظام وأما بندر جدة فكان أعظم من ذلك فكانوا يرسلون الى مكة لطلب القوت وأهل الطائف اجتمع عليهم البرد والجوع والخافة وصارت كيلة الحب عندهم خمسين محلقا ثم لطف الله فوردت جدة المراكب المصرية بالغلال وحرايات أهل مكة وفى هذه السنة ورد مع الحاج الشامى حسن باشا وفوضت الدولة اليه أمر جدة ومشيخة الحرم المكى والنظر فى أمر مكة ولما دخل المدينة أغراه بعض الناس منهم محمد ظافر ببعض خدم مولانا الشريف سعد الذين كانوا بالمدينة فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد وفى خلاصة الاثر ان سبب ارسال حسن باشا ان أهل المدينة رفعوا الى السلطان شكايات من الشريف سعد فلما بلغ الشريف سعدا مافعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعا فلما دخل حسن باشا مكة دخلها بموكب فخيم الى باب السلام ثم استلم الصر المكى ولم يقسم منه شيأ فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل وقال ليظهر مابيده ان كان بيده عزل أو تولية وكادت ان تقوم فتنة فالتزم له الامراء بانه لايقع منه تعد وتفرق منهم وخرج مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد وقع بمكة بحيث عزل السوق فلما خرج ونزل فرق حسن باشا الصر على أهاليه ولم يجتمع مولانا الشريف سعد بالباشا الى ان سعى

بهم ساء أمراء الحج وتحققوا عدم المخالفة وطلبوا احضار مولانا الشريف فاجتمع بهم في الحرم ثاني محرم
الحرام خلف مقام الحنفي بالسقيفة وحضر أعيان الدولة وجمع من المسلمين وأصلحوا بينهما ثم قام
مولانا الشريف الى منزله ثم ان مولانا الشريف أتاه الى منزله هو وأخوه الشريف أحمد بن زيد
فلما أرادوا الانصراف ألبس كلا منهم قفطانا يليق به وقام مشيعا لهما الى باب الطريق وفي اليوم
العاشر من محرم وصل المذكور الى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به ولما أراد القيام أمر له مولانا
الشريف بفرس تساوي ألف دينار فنزل من عنده وسافر من وقته الى جدة ثم ظهر منه غاية الشقاق
كما سيأتي وفي ثالث ربيع الاول من هذه السنة قام عسكر مولانا الشريف من أجل تأخير المرتبات
وتعصبوا مع شيخ العسكر ثم نهبوا ما قدروا عليه من السوق فأقاموا بالمعلى يوما وليلة ثم رحلوا متوجهين
الى اليمن فخرج اليهم السيد حسن بن زيد وضمن لهم الوفاء ورجعوا جميعا وفي الخامس من ربيع
الاول دخل السيد محمد يحيى بن زيد مكة مصالحا لاخيه مولانا الشريف سعد فتكلمت العساكر
القادمون بمكة مع مولانا الشريف في أمره وانه كان من أسباب القتل بينه وبين العسكر مع السيد محمود
فأظهر لهم مولانا الشريف كتابا من الباشا صاحب مصر فيه الامر باصلاح الاشراف المتنافرين
مهما أمكن وسجل ذلك عند قاضي الشرع فسكنت الفتنة وفي خامس عشر ربيع الآخر وقعت
مشاجرة بين عسكر مولانا الشريف وافترقوا فرقتين وتقابلوا بالسيوف على باب مولانا الشريف
وحصل في الفريقين جراحات ثم اصطلحوا وفي هذا الشهر توجه مولانا السيد محمد يحيى الى قبيلة
بني سعد لخروجهم عن الطاعة فلم يقدر عليهم فأرسل الى أخيه مولانا الشريف سعد يعرفه بذلك
فأرسل اليه بجموع جزيلة فقبيل وصولهم اليهم دانوا بالطاعة على اعطاء جميع الاموال وسلامة
الارواح وفي ثاني رجب من هذه السنة وصل الى بندر جدة سلطان من سلاطين العجم فأرسل اليه
مولانا الشريف من يقابله ومعهم تحف ثم دخل مكة وادى الحج ونال منه مولانا الشريف مالا
عظيما وفي شهر رمضان في التاسع منه من هذه السنة وقعت صاعقة بمكة فقتلت رجلا وفي هذه
السنة طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه أن يكون شريكا له في مكة فوافقه على ذلك وفوض
اليه ربع مدخول مكة فطلب أن يدعى له في المنبر معه فأمر مولانا الشريف بذلك ثم عرض الى
السلطنة وطلب تقرير ذلك فجاءت المراسيم بذلك ولما جاء الحج ألبس كل منهما خلعة وفي سنة
احدى وثمانين وألف لما كان يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان دخل المسجد رجل
أعجمي بيده سيف والخطيب يخطب وهو ينادي بالفارسية انه المهدي وجلس في بعض الطواف الى
ان فرغ الخطيب فلما أراد ان ينزل قصده الاعجمي بالسيف وأراد ضربه فرد في وجهه باب المنبر

الا ان له عنا حاربنا الآن قال كيف تحاربوني وأنتم عاجزون عن حربي قالوا نحاربك بسهام الاسحار ونرسل عليك سيوف الدعاء فقال
والله لا أطيق ذلك ولكن أنظروني لانظر لي بلدا أستقل بهم فيها ولا تتضرروا بي وكفوا عني سهام دعائكم فبنى مدينة سر من رأى
بقرب بغداد وانتقل اليها في سنة عشرين ومائتين وللمعتصم عدة غزوات مع الكفار أشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها
اليد البيضاء وتصرف بالملة المحمدية وقهر الكفرة أعداء الدين وأعز فيها الاسلام والمسلمين وسببها ان ملك
الروم كان اذ ذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا للمعتصم يهدده فاستشاط غضبا فكتب له الجواب فلم يرضه شئ منها وخرق
الكتاب الذي ورد عليه وأمر أن يكتب في ظهر قطعة منها • بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرؤه
وسيعلم الكافر لمن عقبى
الدار وتجهز من ساعته
فمنعه المنجمون وقالوا ان
الطالع نحس فقال هو نحس
عليهم لا علينا وسافر من
يومه ولاحقت العساكر
ووقع حرب عظيم قتل فيه
ستون ألفا من النصارى
وأسر منهم ستون ألفا
وهرب ملكهم وتحصن
بحصن عمورية فحاصره
المعتصم ونزل به الى أن فتحه
وأسر ذلك الملك الكافر
وقتله وكان ذلك فتحا عظيما
من أعظم فتوح الاسلام
ومدحه الشعراء بقصائد
طنانة وأحسن ما قيل فيها
قصيدة أبي تمام التي سارت
بها الركبان وطنت حصاتها
في الاسماع والآذان
وهي
السيف أصدق أنباء من
الكتب
في حده الحد بين الجد
واللعب
بيض الصفائح لا سود
الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب • والعلم في شهب الارماح لامعة • بين الخميسين لا في السبعة الشهب فتلا بعقبه
أين الرواية بل أين النجوم وما • صاغوه من زخرف فيها ومن كذب ولو تبين أمر قبل موقعه •
ما يخفى ما حل بالاوثان والصلب فتح تفتح أبواب السماء له • وتبرز الارض في أثوابها القشب فتح الفتوح تعالى أن يحيط به •
نظم من الشعر أو نثر من الخطب تدبير معتصم بالله منتقم • لله مرتقب في الله مرتغب لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا • من نفسه وحدها في جحفل لجب عداك حر الثغور المستضامة عن
برد الثغور على سلسالها الحصب حتى تركت عمود الشرك منعفرا • ولم تعرج على الاوتاد والطنب

ان الاسود أسود الغاب همتها • يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن • جرثومة الدين والاسلام والحسب
ان كان بين صروف الدهر من رحم • موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها • وبين أيام بدر أقرب النسب

انظر الى هذا الدر المنضود والجوهر الذي يزري بجوهر العقود وتنزه في رياض ألفاظه ومعانيه واجتني ثمار البلاغة من متاطف أزهاره وعجائبه وخذ بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه • وكان المعتصم من أعظم الخلفاء الذين ألزموا الناس بخلق القرآن وجبر علماء الاسلام على ذلك وأذاقهم الهوان وهذه من أعظم خلاله الرديه مع انه كان عاريا لا حظ له من الكمالات العلميه بل حمله على ذلك تجرده الجهل والعصبيه وما كان أغناه هو وأخوه عن إلزام العلماء بهذه الجهالات عدوانا وبغيا وما لهم والدخول في هذه المسالك الضيقة الا لا وغيا وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور وبهذا انقادا لما أسرع ما ذهبوا وذهب غرورهم وغرهم بهذا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ولما نزل به الاجل سبقه الذي ما عصم المعتصم ظهور الحصون ولا ايوان الحصون ولا منعه عن حمامه انعام مال ولا بنون

كل حي لاقى الحمام فمودي • ما لحي مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيأ ولا تر • عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر في شماريخ رضوى • ويحط الصخور من هبود
ولقد تنزل الحوادث بالاي • ام وعنا في العصر ذا الجلود
وأرانا كالزرع يحصد بالده • ر فمن قائم وحصيد
يحكم الله ما يشاء ويقضي • ليس حكم الله بالمردود
ليس يجدي من المنون حصون • عاليات ولا حصار حديد

ومن أدعيته لما احتضر اللهم انك تعلم اني أخافك من قبلي لا من قبلك وأرجوك من قبلك لا من قبلي فيامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه • وتوفي الى رحمة الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين

{فصل} وولي الخلافة بعد المعتصم أبو جعفر ولقب الواثق بالله في تاسع ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومائتين • ومولده لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف تركيا اسمه أشناس ولقبه بالسلطان وهو أول خليفة استخلف سلطانا وألبسه وشاحين وتاجا جوهرا وتبع أباه في القول بخلق القرآن ثم رجع عن ذلك آخر

فلاحقته العامة من العساكر فحاولوا قتله بالسيوف الى أن أثخنوه جراحة وتبعوه الى ان أخرجوه من باب السلام ثم جرته العامة الى المعلى وجعلوا عليه قمامة وأحرقوه ولما نزل الى جدة حسن باشا المتقدم ذكره بارز مولانا الشريف بالعداوة وقطع معاليمه من جدة وطلع الى الحج ختام سنة احدى وثمانين وقيل اثنتين وثمانين وألف فلما فرغ من تعريفه توجه الى المزدلفة ثم الى منى وأقام بها فلما كان اليوم الثالث من أيام منى رمي برصاصة وقيل بثلاث رصاصات عند غروب الشمس تجاه جمرة العقبة وهو منحدر الى مكة فأصابت نخلة فوقع من فوق حصانه واحتملته العساكر الى التخت وتولوا به وقالوا من وجدوه فقاتلوهم من الحجاج والفقراء الى ان وصلوا الى باب الباسطيه مسكنه وبلغ مولانا الشريف الخبر فنزل من منى بمن معه من العسكر والاشراف في لباس الحديد ونزل الى بيته واجتمعت عساكر حسن باشا المصانع وجعلوا المدافع في باب السدة وفي رباط الباسطيه ومن جهة باب الشبيكة ومن جهة سويقة واقتضى الحال تحرز مولانا الشريف أيضا ولم يزل الحال هكذا الى الصبح فاجتمع أمراء الحج على مولانا الشريف فأخبرهم ان هذا الامر ليس لي به خبر وقد وقع ذلك والله أعلم بفاعله ولا علم لي به وطلب مولانا الشريف محاسبته ما دام في قيد الحياة عما عوله من مدخول جدة لا يمنعه من غير أمر فقضى ذلك بعد اتمام المحاسبة على يد وصيه في الدعوى ووكل الخواجا محمد سعيد بن مصطفى الصبوري وزير جدة من جهته بجدة الى حضرة القاضي وادعى على الباشا المذكور وأحضر دفاتر سند جدة فصح لمولانا الشريف عنده أربعة وعشرون ألف قرش فتوسطت الامراء في ترك البعض فأخذ عشرة آلاف وسامح بأربعة عشر ألفا وقيل كان المبلغ ثلاثين ألفا فترك عشرة وأخذ عشرين ثم ان الباشا المذكور توجه الى جدة في سابع عشر ذي الحجه ثم توجه الى المدينة المنورة فلما دخلها وأقام بها أياما حسن له جماعة الامر السابق ذكره ان يبعث الى مولانا السيد أحمد بن محمد الحرث بن الحسين بن أبي نمي ويوليه شرافة مكة فبعث اليه فجاء الى المدينه فألبسه حسن باشا خلعة في الروضة الشريفة ونادى له في البلد وأمر بالدعاء له على المنبر وأرسل الى جدة بذخيرة ليتوجه بها الى مكة فلما بلغ مولانا الشريف الخبر توجه الى ينبع وتحقق ان حسن باشا ألبس الشريف أحمد الحرث

• (صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد بن الحرث حين ولاه حسن باشا امارة مكة بالمدينه) •

فكتب الى السيد أحمد كتابا التحية مع اللائق من الاحترام بحق الاكرام مع مزيد الملاطفه ومضمونه كما في تاريخ العصامي بعد مزيد الثناء وحميد الدعاء ان هذا الذي ... من قصدك لبرد الملك وأتوابه فهذا أمر أنت بيته الاصلي ومثلك أحرى به وأولى فانك أنت الشيخ والوالد الاكل

عمره · قال الخطيب كان أحمد بن أبي دواد حاضراً فقال الرجل وهو مكبل بالحديد أخبروني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس اليه هل علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه أم لم يعلمه فقال ابن أبي دواد بل علمه فقال فكان يسعه أن لا يدعو الناس اليه وأنتم لا يسعكم فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضاً على فمه ودخل بيته ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ونحن لا يسعنا وأمر أن يعطى الرجل ثلثمائة دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن أحداً بعدها ومقت ابن أبي دواد من يومئذ ولم يرفع له شأن والرجل هو أبو عبد الله بن محمد الازدي شيخ النسائي · وكان الواثق عالماً شاعراً حاذقاً كثير الأكل أكثر بني العباس رواية للشعر ومن شعره (٨٦) في واقعة مال له

حياك بالنرجس والورد · معتدل القامة والقد
فألهبت عيناه نار الهوى · وزاد في اللوعة والوجد
أملت بالملك وصالاً له · فصار ملكي سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده · فأنصفوا المولى من العبد

قال الصولي أجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات في الرقة واللطف · مات بسر من رأى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين · ويحكى انه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذ واستل عينيه وأكلها فسبحان الحي الذي لا يموت وتبارك القوي القادر ذو الجلال بيده الملك لا يزول ولا يزال (ثم ولي بعده أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي) مولده سنة خمس ومائتين وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات أخوه فيه وأمه أم ولد تركية اسمها شجاع وكان كريماً ما أعطى خليفة شاعراً ما أعطاه المتوكل وكان ستقاسيا أظهر الاخبية السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وألبس النصارى لباس الغل وشنع على الجهمية والمعتزلة وأمر بأن يحلق لحية قاضي مصر ابن أبي الليث ويطوف به الاسواق على حمار لانه كان جهمياً معتزلياً يقول بالجهة وخلق القرآن · ومن أفعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين وهدم ما حوله من الدور وجعل مزرعة ومنع من زيارته فتألم الناس لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

تالله ان كانت أمية قد أتت · قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله · هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ·

طريقه من النكال وقال فان كان هذا بحكم الاساس والبنيان جارياً على مقتضى رسوم السلطان فنحن بالطاعة أعوان وان كان الامر خلاف ذلك وانما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر وتمقات ذلك الذمم القصير القاصر فأجل حالنا ان نستخفه أو ان نستنزله اختلاط الاشارب وغوغاء الجيش فأرسل اليه بالجواب مولانا السيد أحمد بأن الامر لم يكن على هواي وانما هو الزام مع علمي بان هذا الابتداء لا يكون له تمام والسلام ولما بلغ حسن باشا ان الشريف سعد قد ذم جميع أحواله وعزم على حربه وقتاله وتجهز للمسير اليه والركوب عليه وضع في الخوابي من حديد قريباً من مائتين غلاً بالرصاص والحديد يرمي بها من بعد الى الجيش فنهاه السيد أحمد الحارث عن ذلك وسهل الامر فيما هنالك فترك الحركة واستقر وأقام بالمدينة واستمر وكان السيد حمود بن عبد الله المبعوث قد بعث اليه السيد أحمد الحارث وحسن باشا يطلبان منه المعونة واتفق ان مولانا الشريف سعد بعث اليه أيضاً يطلبه ويستمد به ويعده بما يرقم فاتفق وصول الرسولين اليه في يوم واحد فتوجه قاصداً اليهم مولانا الشريف سعد فوصل اليه وهو بجهة بالقرب من ينبع كذا في تاريخ العصامي وفي خلاصة الاثر فعزم سعد وأحمد الى المدينة وصمما على القتال وكان حمود نازلاً بالمبعوث في المربعة المشهورة الى السيد محمد الحارث فأتاه السيد أحمد بن حسن بن حراز رسولاً من الحارث وحسن باشا بكتابين يستدعيانه اليهما للانضمام ووعداه بما يريده من الجهات والمعينات ومضمون كتاب ابن الحارث بعد الثناء واظهار الود والشوق ان أمالك لم يكن لسعد الامر بال ولم يلتفت اليه بالقال والحال وانما اتفق ولدي محمد الى الشرى وكرر علي القول مرة بعد أخرى ولم أوافقه حتى رأيت جدك النبي في المنام فالاولى ان تدع الاوهام فيتفق رجعت والقصد أني أمرك الذي تعرفه ولا تنكره فاقبل النصيحة وأعظم حسن تذكره فتفكر حمود ساعة وقال كاتب رسول سعد يصححان لو أستافقل الغروب فاذا براكب مسرع فقدم اليه وأخرج مكتوبين من سعد وأحمد ومضمونهما الحث له في المسير اليهما وان حسن باشا قد شمر عن ساقيه للحرب وكشر عن نابيه للطعن والضرب واستشهد سعد بقول الشاعر

وما عاظمت رقاب الاسد حتى · بأنفسها تولت ما عناها

وأتبعه بقوله وأنت تعلم ان الامر الذي بعثنا بعينك وأدري بما يؤول اليه الامر في ذلك وهذه ألف دينار صحبة الواصل اليك وأدرك أدرك أدام الله فضله عليك فقال له بعض الحاضرين ما رأيت لمن تتوجه قال الى سعد صاحب الفضل ومولاه فان بيني وبينه في ضريح الحبر عبد الله عهوداً والعارضني فيها والذي عبد الله لكنت وجهه بالسيف دون ذلك ثم توجه على الركائب يومه الثاني وقوض

الاخيه وفارق الماني حتى وصل الى سعد وأخيه وهما على مقال له مفاداوا في ذلك عزل حسن باشا وأتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخزانه والذخيرة التي طلبها حسن باشا فأرسلت له من جدة فقبضها وأخذها عن آخرها وقسمها على من عنده ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن باشا وطلبه الى الابواب وجاء لمولانا الشريف خلعه مع ذلك القاصد عليها ثم وفي خلاصة الاثر عند ذكر هذه الحادثة وكان ارسالها مضمرا باسم المكايد وتوجه القاصد بخبر العزل الى المدينة فتوجه حسن باشا من المدينه على طريق غزة وتوفي في الطريق وتوجه معه محمد ظافر واغاة القاهرة فذهب محمد ظافر الى غزة ثم الى مصر ثم انقطعت الاخبار عن مولانا الشريف وكثرت الاقاويل عند الوزير حتى قيل انهم أحضروا له ثوب الباشا الذي ضرب بالرصاص فيه وزاد الاعداء في الكلام وكان الشيخ محمد بن سليمان المغربي المشهور بالروداني اذ ذاك في القسطنطينية وكان مجاورا بالمدينه ثم بمكة وله عداوة مع الشريف سعد وذلك انه تشفع عنده في شفاعة فلم يقبلها ثم سافر الى الروم واتصل بالوزير واجتمع بالسلطان محمد بن ابراهيم وطلب منه ان يزيل أشياء كانت بمكة فأمر السلطان بابطالها فلما كانت قضية حسن باشا حضر عند الوزير وانتهز تلك الحال فوجد مكانا فسيحا للمقال فعند ذلك أمر الوزير الاعظم باخراج أمر سلطاني الى صاحب مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكري من مصر الى مكة وكتب الى حسين باشا صاحب حلب ان يجيء في هذا العام بألفي عسكري وينظر في أمر الحرمين ولا يبرم شيأ دون اشارة الشيخ محمد بن سليمان وأمر الشيخ بالحج واصلاح البلد وتولية من يرى فيه الصلاح وجعل اليه أمر ذلك فلما كان ثالث شوال ورد من مصر الخبر بتجهيز العساكر الى الجهة الحرميه وكثر الهرج والمرج واستمر مولانا الشريف بينبع الى ذي القعدة فرجع ووصل الى مكة يوم الحادي عشر من ذي القعدة

{ غريبة }

ولما كان يوم الثالث عشر من ذي القعدة جاء رجل من أهل وادي الجموم معروف بالخير عليه آثار الجذب وانفرد عن الناس ونادى بأعلى صوته من الشبيكة وهو سائر الى ان وصل المعلى وهو يقول يا أهل مكة أشهدكم وأشهد الله وملائكته اني أديت الامانة الى شريف مكة وهو ان أمرا يريد ان ينزل بأهل هذه البلدة عقوبة فليخرج بجميع الناس يوم الجمعة يصلي بهم ركعتين ليرفع هذه البلاء بذلك عن أهل هذه البلدة وقد أديت ما أمرت بتبليغه فوصل خبره الى مولانا الشريف فاستدعاه وسأله عن حاله فقال أنا رجل مقيم بالريان فصليت البارحة العشاء ونمت ثم قمت لصلاة أصليها واغتسلت من عين هناك فغشيني نور ملأ الافق فوجدت خشية ثم رفعت رأسي وأنا كالغائب

في قتله فقتلوه مرحما وهذا الفعل السيئ محا جميع محاسنه وصار ما عذب من زلال احسانه مغلوبا بأجاجه وآسنه وعدت عليه هذه الزلة أقبح فضيحة وهذه الخلة الشنيعة أقبح من كل قبيحة • ووقعت في أيامه عجائب منها ان النجوم ماجت في السماء وتناثرت كالجراد ولم يعهد قط مثل ذلك ورجمت قرية السويداء بناحية مصر بأحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع الى جبل آخر ووقع في قرية طائر دون الرخمة فصاح يا معشر الناس اتقوا الله أربعين مرة ثم جاء من الغد ففعل ذلك فكتبوا الخبر بذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيه شهادة خمسمائة انسان سمعوا ذلك • ثم في رمضان سنة احدى وأربعين ومائتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فأرسل المتوكل الى مكة مائة ألف دينار ذهبا لاجراء ماء عين عرفات اليها فصرف فيها الى ان جرت ذكر ذلك السيوطي رحمه الله • وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه اتحاف الورى بأخبار أم القرى في حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين فيها غارت عين مشاش وهي عين مكة فبلغ ثمن القربة درهما فبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير في تاريخه وهذه العين من عمل زبيدة وهي عين بازان طالما تهدمت • قلت عين مشاش موجودة الى الآن وهي من جملة العيون التي تصب في ذيل عين حنين وهي تجري وتضعف أحيانا بقلة المطر ومجراها معروف • ولما كثرت المماليك في بغداد ودخلوا في أمر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل الى أن حملهم الطغيان على العدوان وسطوا على الخليفة المتوكل لما أراد ان يصادر مولاه آيته ووصيفه التركي لكثرة أمواله وخزائنه فتعصب له باغر التركي وانحرف الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة أتراك وهو في مجلس انسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فقال الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على وجوههم وبقي الفتح وحده والمتوكل غائب عن نفسه من السكر فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقده الى خصره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ثانية فماتا جميعا فلفهما في بساط ومضى هو ومن معه ولم ينتطح في ذلك شاتان • وكان قتله في ليلة الاربعاء لليلتين مضتا من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين في القصر الجعفري وكان بناه المتوكل ولما قتل

دفن فيه رحمه الله تعالى هو ووزيره الفتح بن خاقان رحمهما الله تعالى • وكانت خلافته أربعة عشر عاما وعمره احدى وأربعون سنة (وولى بعده ولده محمد أبو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هرون الرشيد العباسى) بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يتهنأ بالملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة ويقال انه واطأ الاتراك على قتل أبيه لينال الخلافة بعده والله أعلم بذلك • وكان على حذر من الاتراك ويسبهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فعلموا بأمره وأرادوا قتله فما أمكنهم الاقدام على ذلك لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند توعكه ليسمه فنصده بمبضع مسموم فأحس بذلك وأراد قتل الطبيب فقال انك تصبح طيبا وتتقدم على (٨٨) قتلى فامهلنى الى الصبح فأمهله فأصبح ميتا • ويحكى انه بات ليلة فى وعكه فانتبه فزعا وهو يبكى فسألته أمه ما يبكيك فقال أفسدت دينى ودنياى رأيت والدى الساعة وهو يقول قتلتنى لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فاستمر موعوكا من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا أياما قلائل وذكر ابن حجى فى المعجم ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من بسط الخزانة وانه الملوكى فرش فرأى فيه صورة رأس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فأحضر له رجل من الاعاجم فقرأه باطنه وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عن معناها فقال لا معنى لها فألح عليه فقال هى أنا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبى فلم أتمتع بالملك الا ستة أشهر وهى مشهورة فتغير وجه المنتصر لذلك وأقام من ذلك المجلس وترك اللهو الذى أراده وسارعت اليه المنية • وكان على خلاف رأى أبيه فى آل أبى   الحرب طالب وعاد قبر الامام الحسين بعدما كان هدمه أبوه وأمر بعمارته ورد على آل الحسين حائط فدك • وقصته مشهورة وهى مما تنقمه الشيعة على سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وانما فعل ذلك لحديث سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ووافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه لعلمه أن ذلك هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال • وكانت خلافة المنتصر ستة أشهر كما توهمه • وقال أبو منصور الثعالبى رحمه الله فى العجائب ان أعرق الاكاسرة فى الملك شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الا ستة

فشاهدت النور وقد اجتمع دائرة مكتوبا فيها نحو اثنى عشر سطرا أولها لا اله الا الله والثانى الله نور السموات والارض والثالث خط خط شطه ولم أعرف بقية الاسطر غير هذه الثلاثة فأردت أن أميل الى جهة اليمين فرأيت من أخذ بشقى الايسر فأردت أن أميل الى الايسر فأخذت من الايمن فقلت من أنت وقد غمرتنى رائحة المسك فقال اسمع وع انا رسول جبريل من رب العالمين اذهب الى مكة وأبلغ صاحبها السلام وناد بأعلى صوتك من أسفل مكة الى أعلاها وقل لهم ان سلطان يوم عرفة سلطان فأمر مولانا الشريف بالاحسان اليه ثم سرحه وعاد من يومه ولم يعد مولانا الشريف وأبى قوله وحمل الناس قوله على التخابط والتقاول واذا اقترب الى ما وقع بعد ذلك علمت صدق الدعوى ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذى القعدة وصل الاغا الآلاى من العسكر ورئيسه محمد جاويش ونزلوا الجرول خارج الشبيكة فخرج اليهم الوزير والحاكم وبعث مولانا الشريف لمحمد جاويش هدية من الخيل فرس تحريجا ذهب وكذلك أخوه الشريف أحمد فشكر فعلهما ثم أخبرهما واستفسرا عن مجيئه بهذا العسكر فلم يخبرهما وقال لا علم لى وانما جهزت بهذا العسكر الى مكة وقيل لى يصل الباشا مع الحج حسين باشا صاحب الامر اليه وأمرنى حضرة الباشا صاحب السعادة ان لا أدخل البلد بهذا العسكر ثم جاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان لمولانا الشريف من المدينة يخبره بوصوله مع حسين باشا وانه من الجزين نكرت ايلوه عليه يتعلق بوفاته عن الوزير الاعظم فلما قرأ الشريف كتابه أمر القاضى امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدى ان يأتى المنار اليه وأرسل معه كاتب المراية محمد حلبى وفى اليوم الثالث من ذى الحجة بعث مولانا الشريف لمحمد جاويش ان يخرج من طريق المرضى يوم خروج الشريف لملاقاة الامير ولبس الخلعة وامتنع من ذلك فعند ذلك تأمر مولانا الشريف المراد من هذا النزل وفى اليوم الخامس من ذى الحجة ورد الامير المصرى والشامى جميعا مولانا الشريف لملاقاتهم ثم بأنه أرسل اليه يسأل عن سبب التأخر مولانا الشريف امتناع محمد جاويش عن الخروج من طريقه وبعث اليه ان أفصل واترك العسكر البارحة ولا تضيق بهم الطريق وترددت المراسيل الى قبيل الزوال فأرسل محمد جاويش بعض الصناجق ان لا يحصل شئ من العسكر فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما أو حلفهم او امن الحوت ونزلوا على الزاهر ولبس الخلعة ورجعا من الشبيكة وهو أول الاختلاف وانه لم يعهد من صاحب مكة أن يخرج لملاقاة الامير من الحوت فلما وصلا الى منزلهما أطلقا المدافع ثم رجعوا الى العسكر كذا فى تاريخ العصامى وفى تاريخ الرضى ان مولانا الشريف لما خرج من الجوف وقف منتظرا لارسال الخلعة اليه فأرسلوا اليه بالطلب للحضور فأبى وعاد الى مكة عازما على

الحرب والقتال فأرسلوا اليه الخامة بنهاية الاسراع وفي هذا اليوم أرسل مولانا الشريف قاصدا
الى البيضاء من جهة اليمن بأمر الامير فرحان صاحب جازان بالعود من هناك وأن لا يدخل مكة
فورد الخبر من يلملم لما وصل الامير فرحان صنعاء وأخبر الامام القائم فيهم وهو المتوكل على الله اسمعيل
قال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقد صد صلى الله عليه وسلم عن البيت فتعب غالب فقهاء
الزيدية وقصدوا الامام المذكور بالقصائد التي فيها ما شق عليه من العتاب والتعريض
والتحريض على أخذ مكة ولما كان سادس ذي الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة وصحبته
القاضي امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي والجمال محمد بن مصطفى كاتب الجراية وحسين المبرى
فسألهم مولانا الشريف عما رأوه وفهموه من حسين باشا فأخبروا أنهم لاقوه ورأوا منه غاية
الكمال وسألوه عن العساكر المصرية فقال ما عندي علم بهم وانما أمرت بالخروج مع الحج الشامي
وحفظه من العرب ولما كان يوم السابع من ذي الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر ودخل
الطواف ليلة ثامن بعد ان أرسل له مولانا الشريف هدية سنية منها فرس بحلاية تساوي ألف
دينار وكذلك بعث اليه مولانا الشريف أحمد وخرج مولانا الشريف لملاقاته تلك الليلة بعد صلاة
المغرب بالعلي وتصافقا على نحو [illegible] وقبل الباشا المذكور يد مولانا الشريف أحمد وأظهر من
الفرح بلقائه وأبدى من الخضوع ما تقر به العين وهو مضمر ما أضمره لحسين وأمر مولانا
الشريف بالتقدم عنه وتأخر عنه في السير ولم يزل الى باب السلام فقال لمولانا أذنوا [illegible] الشريف
عندكم قهوة اذا فرغنا فأذن له مولانا الشريف بعود دخل الحرم وعزم مولانا الشريف الى دار
السعادة ثم طاف وسعى ودخل الحرم بعد السعي ثم دخل من الحرم الى دار الخواجا محمد الكركي
وكان نزل بها أيام الكتاب جح في هذه السنة واستمر عنده الى نحو ثلث الليل ثم خرج من عنده وطلع
الى مولانا الشريف واستمر عنده يظهر اللطف والمؤانسة ويستدعي الحديث بأنواع المؤانسة الى
أن مضى نحو نصف الليل فخرج من عنده فأركبه مولانا الشريف فرسا أخرى من خيله ولما كان
يوم الثامن من ذي الحجة خرج مولانا الشريف وأخوه مولانا الشريف أحمد لملاقاته على جري
العادة للبس الخلعة الواردة مع الامير الا انه نزل عسكر اليمن وتأخر من الحجون وقال مولانا
الشريف لبعض جلسائه لما رجع لما نزلنا من الحجون تكاثرت بين الفراسة واذا هو قد جمع عسكره
الى العسكر المصري وظهر لي على ذلك غدري وأرقتهم موقف البراز وكل في يده حزام وخاتمه
الملبس للدروع والكل منهم مدروع فعلمت انه أمر بيت بليل وقدمنا في الحصون من ظهور
الخيل فلم نزل حتى خلصنا الى السعة وأخذنا حينه مرتفعة فأرسلنا له السيد الحسين بن حسن بن

أشهر وقلت وكل منهما مات مسموما كانت وفاة المنتصر بالفصد بمبضع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ثمان
وأربعين ومائتين وكان عمره ستا وعشرين سنة ﴿ثم ولي بعده أبو العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم المعتمد بالله أخو
المتوكل على الله﴾ واتفقوا معه الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا أن يلي الخلافة أحد من أولاده
فيأخذ بثأر أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله ومولده سنة احدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد تسمى مخارق وما كان
له من الخلافة الا الاسم وكانت الممالك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركي وبغا التركي حتى قيل في
ذلك خليفة في قفص * بين وصيف وبغا * يقول ما قالا له * كما تقول الببغا فاستمر كذلك وهو يترصد لهما الى
ان ظفر بوصيف التركي فقتله وثنى بأمر التركي الذي كان سطا على المتوكل وقتل به فتنكرت له الاتراك فخرج عنهم من سامرا الى بغداد فأرسلوا اليه يعتذرون منه ويسألونه في العود الى سامرا وهو محل الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين [illegible] باطلاعا على التواريخ متجملا في ملبسه وهو أول من أحدث الاكمام الواسعة فجعل عرض الكم ثلاثة أشبار وهو الآن من شعار سادتنا أشراف مكة بني حسن أعزهم الله تعالى ولما أبى المستعين عن العود الى الاتراك في سامرا قصد الاتراك خلعه فأتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمدا أبا عبد الله بن المتوكل على الله ولقبوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عاما ولم يل الخلافة أصغر سنا منه
وخلعوا المستعين بالله في أول سنة اثنين وخمسين ومائتين وجهزوا الى بغداد جيشا كبيرا لحرب
المستعين بالله وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال أشهرا وكثر القتال وغلت الاسعار وعظم البلاء وتلاشى أمر المستعين بالله الى ان خلع
نفسه وأشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فأخذوه واحدروه الى واسط وحبسوه بها تسعة أشهر ثم ندب له سعيد الحاجب
فذبحه في الحبس في ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله احدى وثلاثون سنة رحمه الله واستمر المعتز بالله خليفة وكان بديع
الحسن مليح الصورة وليس في الخلفاء أجمل حسنا منه وكان مستضعفا مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز خائفا
منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه أرزاقهم فركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه ليصفو له الملك ولم يكن في خزائنه مال

لم يرض عليهم وطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها فأبت عليه وشحت بالمال وسمحت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا وأتوا الى دار الخلافة وجروا المعتز برجله فأوقفوه في الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وأدخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشا وأحضروا أبا عبد الله محمد بن الواثق بالله ولقبوه المهتدي بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف أم المعتز وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار وجهازا ونصف اردب لؤلؤ ومكوك زمرد وثلاث ارادب ياقوت (٩٠) أحمر ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى ان ماتت وأهل الناس لا يترحم عليها حيث ظهر عنده ما عندها من المال وشحت به على ولدها

وكان المهتدي كثير العبادة ليس له من الامر شئ وكان قد اطرح الملاهي ومنع الظلمة عن الظلم فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج اليهم وقاتلهم بنفسه الى ان مسكوه وبايعوا وعصروا على بطنه الى ان مات رحمه الله تعالى في رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما

(وولي الخلافة بعده ابن عمه أبو جعفر أحمد) وتلقب المعتمد على الله وستأتي ترجمته قريبا ان شاء الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الزيادتين)

اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد توسعته الذي أمر به المهدي بن المنصور العباسي وشرع فيه ومات قبل اتمامه فتم الامر لابنه الهادي بن المهدي المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم ووقع ترميم في الجانب الغربي كتب من المسجد الحرام قبل الزيادتين في أيام المعتمد على الله العباسي ثم بنيت الزيادة الكبرى في الجانب الشمالي من المسجد الحرام في أيام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى في الجانب الغربي من المسجد الحرام في أيام المقتدر بالله فلنذكر تراجم هؤلاء الخلفاء ولنذكر ما أحدثوه في المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ما نذكر في ضمن ذلك من الفوائد الاستطرادية ترويحا للنفس وتسهيلا لحصول الفوائد والانس وتوقيفا على أحوال الدهر وتعريفا بما يحدث من الحوادث في كل عصر لئلا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر عن قبله في غدر هذه العجوز العمياء وهذه الفوائد الحقيقية هي نتائج علم الاخبار ليعتبر

يحيى وطلب امداد الخلعة بعد انبناء على مفارقة الاحياء فأرسل وأمرنا بالوصول اليه لشرب القهوة وقد أعتقنا السلطانية سورة فأرسلت أقول ما جرت بهذا عادة وشرب القهوة من غير هذه العادة فأرسل يقول ان في هذا تعظيم شأن السلطان ولكم منا الامان وان لم يكن منكم وصول لينا فلا نعلم لكم لدينا فعند ذلك ثبت مناديهم راجعا وفي القتال طامعا فنادى مناديه الامان الامان فلما علم الاشراف عن وطاقه والثبات اشتاقه أرسل بالخلع فشروه فعلمت ان الامر شوره فلبست الخلع أنا وأحمد ورجعت أشكر الله وأحمد ثم ركب مولانا الشريف ماشيا بالقوم وهو متحرس من ذلك الغاشي وبات على ثم صعد الى عرفات راسخ رقيه منزله بعرفات الى أن نفر الناس الى المزدلفة مع المحمل فعند ذلك ركب مولانا الشريف الى الموقف الاعظم ثم الى المزدلفة ثم الى منى ولما كان ثاني يوم النحر الذي فيه ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن بشارة امارته والرعاية على الحجاج والرعايا تأخر أمين الصرة في وصوله الى مولانا الشريف عن الوقت المعهود فأرسل مولانا الشريف بطلبه فوجده عند الباشا فلم يعتنوا بالقدوم الى عنده لا بأسه فأرسل يعرفهم ان اتقوا اعلموا بانا يأتيهم اليه واستمعوا اعلم حتى الفضيه

●(ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد ومسيره الى الديار الرومية سنة ١٠٨٣)●

ولما علم انه لابد من القتال او الارتحال رأى ان القتال في هذا الشهر الشريف مما يضر بأهل الحرم الشريف واختار الارتحال فارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنين وثمانين وألف فما أصبح الصباح الا وقد ذهب وراح ثم توجه الى الطائف ثم الى تربة ثم الى بيشة وأقام بها ثم سار عنها الى جهات عديدة ثم توجه الى الديار الرومية وأقام بها وقابل الدولة العلية ثم عاد الى ولاية مكة سنة ألف ومائة وثلاث كما يأتي بيانه وحاصل الامر انه تولى امارة مكة أربع مرات سيأتي ان شاء الله تعالى بيانها في محالها وهذه المرة الاولى وكانت مدة ولايته في هذه المرة ست سنوات الا أحد عشر يوما وقيل الا أحدا وعشرين يوما فلما أصبح الناس يوم الثاني عشر من ذي الحجة شاع بين الناس ارتحال مولانا الشريف سعد وأخيه فاجتمع حسين باشا وأمين الصرة وكاتب الديوان ومحمد جاوش في منزل الشيخ محمد بن سليمان علي واستدعوا جماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان

●(ولاية الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم على مكة سنة ١٠٨٣)●

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبي نمي وأظهروا ان عندهم أمرا سلطانيا بتوليته اشارة اليه امارة مكة وأنه مخلوع الولاية وكان بعض من حضر من الاشراف وسلمهم

المعتبر مال نفسه بمال غيره في هذه الدار فان من قواعد الحكمة ان أفعال الفاعل متشابهة الآثار والله تعالى هو الفاعل
المختار وان دار الآخرة هي دار القرار وقد وجدت هذا القول ذا سعة * فان وجدته ناقلا فقل لناقله مخالفة
العبيد الازالة الخليفة المهتدي بالله صبرا أحمد والى الحبس وأخرج الله ابن عمه جعفرا ﴿أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله
ابن الرشيد العباسي﴾ ولقبه المعتمد على الله بايعوه على الخلافة في رجب سنة ست وخمسين ومائتين ومولده سنة تسع وعشرين
ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها فتيان وكان له اسم مالك على الامور واللذات فقدم أخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله
وجعله ولي عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان له ولد صغير اسمه جعفر

لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد لهما اللوائين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق انه ان حدث به الموت وولده جعفر صغير كان الموفق ولي عهده وان كان حين ذلك ولده كبيرا كان ولده ولي عهده وكتب بذلك معاهدة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاة وانه لولي عهد ولديه وأرسلها الى مكة فعلقت فيها وما أفاد من هذه المعاهدة شيء بل يحذر من قدر وما وقع الا ما قدره الله تعالى وكان الموفق بالله مدبرا شجاعا مباشرا للامور الملكية مدبرا ملاحظا لاحوال الرعية وكان أخوه المعتمد منهمكا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية غير مباشر للامور الملكية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجابات
كثيرة * وكان ميمون النقيبة مظفرا في الحروب وكان ظهر في أيام المعتمد على الله صاحب الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رئيس
اسمه بهبول يدعي انه أرسله الله الى الخلق وادعى علم الغيبيات وقتل من المسلمين حينئذ كثيرا حتى قيل انه قتل ستمائة وخمسين
ألف مسلم وكان يستأسر نساء المسلمين ويبيعهن بأبخس الاثمان وكان ينادي على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عند هذا الخائن
نساء شريفات يطؤهن ويمتهن في خدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب في الاسلام وغلب هذا الكافر بلادا كثيرة فأباد
أهلها من المسلمين واستأصل أهلها وجعلها دارا لمملكته كواسط ورامهرمز ونهر الاهواز فندب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع
والعساكر من مملكته ووقائع الحروب ووجهته قوارع الخطوب فأخذهم جميعا بيدا ورضي بهم ساعدا وعضدا ونصب لعموده

كتب من الوزير الاعظم ومن صاحب مصر بالوصية والمعاونة وكل ذلك كان برأي الشيخ محمد بن
سليمان وتدبيره فانه الذي سيرهم على هذا المنهج المذكور ورتب تلك المقدمات لانتاج هذا الفعل
المقدور

(صورة كتاب الوزير للسيد محمود بن عبد الله بن حسن)

ومن جملة من له كتب مع السادة الاشراف من الوزير الاعظم السيد محمود بن عبد الله بن حسن
المتقدم ذكره ولم يحضر معهم بل لما تولى الشريف بركات خرج من مكة ثم رجع كما سيأتي ولفظ كتابه
مورد واقعة هاشم وشيخ المحامد والمكارم السيد محمود نظم الله عقوده وأيد سعوده وبعد
فلا يخفى ان كان لكعبة البيت الحرام ومطاف طوائف الاسلام وهو أول بيت وضع للناس
وأسس على التقوى منه الاساس وانه لم يزل في هذه الدولة العثمانية أمنا لاهله من النوائب
ومرضا مخصصا بأحسن الالطاف الى ان ظهر من السيد سعد من الامر الشنيع ما يشيب عنده
الطفل الرضيع وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة البهية وأذاقهم كأس المنون
وريبه فلما بلغ هذا الحال الشنيع للحضرة الكريمة السلطانية أمر بعزل السيد سعد عن شرافة مكة
وتفويضها الى الشريف بركات فعمل فيها بأحسن التصرفات وتكونوا له عونا وظهيرا وناصحا
ونصيرا وكل ما يتفرع غصنه من دوحة فاطمة الزهراء أو تتصل نسبته الى مكة المكرمة فأنتم
تهدونه الى طريق الصلاح وترشدونه الى معالم النجاح والفلاح واستمروا على ما تعهدونه من التكريم
والتبجيل والله على ما نقول وكيل وأما بقية الكتب فكلها بهذا المضمون الا ان العبارة مختلفة
ولا حاجة الى التطويل بنقلها وفي المشرع الروي للسيد الشلي في ترجمة السيد عبد الله الحداد ان
الشريف بركات قبل ان يتولى الامارة بأيام أتاه وهو في الحرم السيد الحداد وسأله الدعاء بتيسير
المطلوب فدعا له بذلك

*(ترجمة الشيخ محمد بن أحمد الزرعة واستشهاده من القرآن وماوقع
لولده بعد موته سنة ١٠٨٦)*

فلما ذهب سأل الشيخ رجل من أشراف مكة عما طلب فقال انه طلب ان يكون ملكا ثم ان مولانا
الشريف بركات نزل من منى الى مكة في موكب عظيم وجاء الناس يهنئونه بالملك من السادة الاشراف
والاعيان والعربان وامتدحه الشعراء بقصائد ومن جاءه يهنئه الشيخ محمد بن أحمد الزرعة فقرأ عنده
الآية أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة
وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وكان الشريف بركات
من آل ابراهيم بن بركات بن أبي نمي فتعجب الحاضرون وكذا الشريف بركات من هذا الاستشهاد

الاسلام وأنتضى السيوف والرماح والسهام وركض بجحفله الى الاعداء الكفرة اللئام الى أن التقى الفئتان على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب فقلبت السودان من لمعات الصارم الابيض وولوا الادبار للفرار كما يفر الليل الاسود من النهار المبيض وانهزموا ما بين مقتول ومأسور ومجروح ومكسور غير مجبور الى أن قتل كبيرهم بهبول وجموع عسكره المخذول ونصر الله تعالى ملة الاسلام وعباده وزال ذلك الظلام واستردت المدن التى أخذها بالكثر وانتقاد كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد واطمأنت المسلمون وكافة العباد (ولقبوه الناصر لدين الله) وسار له حتى تبدلقبان ودخل الى بغداد فى عظمة وعلوشان ورأس ذلك (٩٢) الكافر على رمح ورؤس كبار عسكره على الرماح ودعاله المسلمون وقصده الشعراء بالقصائد واحبه الناس وبعد صيته وكثرت فيه المدائح واستفحل أمره ولاحت له السعادة والفلاح واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا فى لهوه ولذاته وشرب الراح وله اسم الخلافة وجميع الامور يتعاطاها الموفق بصدر منشرح وسداد غاية السداد وفى أيامه سنة احدى وسبعين ومائتين وقع وهن فى بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربى قبل زيادة باب ابراهيم وكان فى نفس الجدار الغربى من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين وكان بقربه دار تسمى دار زبيدة بنت أبى جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه وانهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس وكان عامله بمكة يومئذ هرون بن محمد بن اسحق وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضى • فكتبا   عليها رفع أمر هذا الهدم الى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله عامله على مكة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف وجهز له مالا بسبب ذلك فشرع فى عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه بالالوان المزخرفة وأقام الاسطوانتين الساقطتين من المسجد وهما وركب اسقفه ونصب فى أيام عمارته سرادقا بين العمال والبنائين وبين الناس يسترهم عن أعين من بالمسجد الى أن تم كل ذلك فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وركب من الحجر لوحين فى جدار المسجد الشريف فى ذلك الجانب نقش على أحدهما بالنقش فى لوح الحجر ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم أمر أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أطال الله بقاءه

لكن بحوزى الشيخ محمد الزرعة بعد ذلك منه كالجوزى سفار وذلك ان الشيخ محمد الزرعة توفى سنة ست وثمانين وألف وله ولد رحل فى غاية البعد الاله وخلف سبعة عشر ألف دينار وأوصى منها الابن ابن له بأربعة آلاف فقال الشيخ محمد بن سليمان ان هذا الرجل لم يزك ماله وقد استغرقت الزكاة ماله وصار لبيت المال وأمر ولد الشيخ محمد الزرعة وهو الشيخ تاج الدين ان يبرك عند القاضى ويقر بأنه ليس له أهلية التصرف فى هذا المال وأقام على نفسه الحواله بحمد سكر بالتصغير وكيلا مفوضا فى حفظ ماله والتصرف فيه وأخذوا المال بالكره ورتب له القاضى معلوما مقررا يأخذه من الوكيل وأرخ بعضهم ولاية الشريف بركات بقوله بارك الله لنا فى بركات الآن فيه زيادة واحد ولما كان يوم الخامس عشر من ذى الحجة نزل مولانا الشريف بركات الى الحطيم واجتمع كبراء العسكر وقرئ مرسوم يتضمن عزل الشريف سعد بن زيد وتولية الشريف بركات وألبس مولانا الشريف قفطانا ودعا فاتح الكعبة لمولانا السلطان ولما كان يوم التاسع والعشرين من ذى الحجة اجتمع مولانا الشريف وكبراء العسكر وحسين باشا فى منزل الشيخ محمد بن سليمان فأظهر أمرا سلطانيا يتضمن نظره فى الحرمين واصلاح ما فسد والتصرف فى أحوالهما فأذعن له مولانا الشريف بركات ومكنه من زمام وفق التصريف فنشر ألوية العدل وبث جيوش الفكر ياقعرت عنه القلوب وشرع فى اظهار المطلوب وكان مولانا الشريف بركات يحضر درسه فى كثير من الاوقات وكذا شيخ الحرم صاحب جدة وفى رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمرا يتضمن اخراج من كان فى الخلاوى الموقوفة ممن له بيت وعيال فروجع فى ذلك فلم يقبل وأظهر والدفاترى فما أجدى ذلك نفعا وأخذ مدرسة الشرابية من يد الشيخ أحمد الحكيم وكان بيده أوامر لا آية تقضى له بالسكنى فما أجدى ذلك وأعطاها لبعض المجاورين وأخرج الشيخ ابراهيم بيرى زاده من وقف الدورى الكائن أعلى المدعى من جهة سوق الليل وقال انه من مال السلطان جقمق وانه كان موضع دشيشة للفقراء وأخذ ما بأيدى الناس من حب السلطان جقمق الوارد الى مكة وحب السلطان سليمان الواصل من مصر لاهل مكة وكذلك حب السلطان قايتباى ومال الدشيشة وعمر بذلك تكية فى محل وقف الدورى المذكور وطبخ فيها شربة للفقراء بالحب المذكور وقال السنجارى وما أحسن قول المهتار الشاعر المكى ومن لم يدرك هذا الوقت المكى

وطائف الناس قد صارت مفرقة • ما بين عبد ومعتوق وآفاق

وأهل مكة قد بارت تجارتهم • فما ترى كوكبا يبدو بآفاق

وعمر الشيخ محمد بن سليمان عدة أروقة بمكة كانت خربت قد استولت عليها الايدى ونصب الشيخ

بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله على مكة ونواحيها هرون بن محمد بن اسحق بن موسى في سنة اثنتين وسبعين ومائتين وعلى اللوح الثاني نقش كتابته ورسمه بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضي يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام املا في ذلك من رجاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأجره وتم ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار في سنة اثنتين وسبعين ومائتين والحجران المذكوران لا وجود لهما الآن بل محاهما الدهر والازمان وعفا أثرهما القديم والجديدان كما عفا أثر غيرهما من العمائر والبنيان ودار عليهما الدوران ولا يبقى الاثر أيضا (٩٣) بعد زمان الدهر فسبحان من يبقى بعد العين والاثر ◦

فصل في الكلام على الاشباح والصور

وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام أبي عبد الله محمد بن اسحق الفاكهي رحمه الله تعالى ◦ وكان للموفق بالله ولد نجيب هو أحمد أبو العباس جعله الموفق ولي عهده واستعان به في حروبه وأيام الموفق وظهرت به نجابة وقوة فخشي الموفق منه على نفسه وعلى أخيه المعتمد لما رأى من شجاعته وبسالته فأودعه في السجن ووكل به من يثق به في أمره واستمر محبوسا الى الزمان الذي قدره الله تعالى له ◦ ثم وقعت الوحشة بين المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله المذكور وربما نفرت قلوبهما وتشاحنت الصدور فان الرئاسة الدنيوية لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك والسلطنة أسرع شيء يوغر صدور الملوك والانفراد والاستقلال مما يتفانى عليه أبناء الدنيا من أصحاب الاملاك وما هي الا جيفة مستحيلة ◦ عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ◦ وان تجتذبها نازعتك كلابها ولما كان المعتمد على الله مع كونه عاجزا عن أخيه الموفق كان يحسده ويريد هضمه لاستيلائه على المملكة وضايق المعتمد عنه واشتغاله بالقصف عن أحوال الرعية عن الملاهي والملاذ فاستعان المعتمد على الله في هضم جانب أخيه بصاحب مصر يومئذ أحمد بن طولون وكان ملكا مطاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود كثيرة الاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة آهلة كثيرة الخيرات لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم فكان يحصل منها أموال كثيرة جدا بسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج

عليها العصامي مدرسا في مدرسة قايتباي ونصب الشيخ محمد المغربي القدامي مدرسا مالكيا في المدرسة المذكورة ومدرسها الحنفي قاضي الشرع ونصب مدرسا للحديث الشيخ عبد الله العباسي عوضا عن المدرس الحنبلي وصرف على الدشيشة من كراء جقمق وقايتباي وأموال الحرمين ومن الاوقاف الباقية والحاصل انه تصرف تصرفات كثيرة يطول الكلام بذكرها وفي سابع محرم من سنة ثلاث وثمانين ورد مكة السيد حمود بن عبد الله بن حسن بعد ان كاتب مولانا الشريف فراجعه وقيده الشيخ محمد بن سليمان بن حسين باشا الايهام انقضاء أمر دولته وعدم حضوره ولاية الشريف بركات واعلامه الشريف بركات ان الصلاح في امتثاله وكتب له حجة شرعية تتضمن الامان والاذن من جهة السلطنة له في دخوله مكة وكان دخوله في اليوم المذكور وأراد الشريف بركات ومن معه من العسكر أن يتوجهوا الى الطائف لمنع الشريف سعد وأخيه من خروجه من الطائف وكان خروج الشريف سعد من الطائف يوم الثامن عشر من المحرم وتوجه الى عباسة ثم الى تربة وفي الخامس والعشرين من المحرم توجه السيد حمود الى الطائف بالعساكر المصرية وفي السادس والعشرين توجه الشريف بركات بالعساكر المصرية وتأخر عنه محمد باوش أياما ثم لحق به ومن معه من العسكر ثم توجهوا الى المبعوث وفي ثالث صفر أمر الشيخ محمد بن سليمان ان تدهن السواري المكتوب فيها أبطال المكوس لظهور الناس ما فيها من الكتابة فدهنت وفي ليلة المولد الشريف أمر بترك الدفوف ومنع من ذلك أهل الزوايا وفي خلافة الاولى رجعة الشريف بركات وفي أيامه عمرت الخاصكية التكية المعروفة الآن بمكة بين الزيادتين والمدعى وصرف عليها أموالا كثيرة وعم نفعها وفي اليوم الثاني عشر من ربيع ورد الخبر من مصر بقتل محمد طاهر أغا غب المدينة واستمر مولانا الشريف بالمبعوث الى شهر ربيع الاول فأتاه الخبر بأن مولانا الشريف سعدا توجه الى بيشة فنزل مولانا الشريف الى الطائف واستمر هناك وأما الشريف أحمد بن زيد فانه فارق أخاه الشريف سعدا من بيشة وتوجه الى الدورة بني حسين لمصاهرته اياهم واستمر مقيما عندهم الى ان ورد الحج الى المدينة وقد دخلها قبل دخول الحج المدينة واجتمع بأمير الحج الشامي ثم ارتحل من المدينة ثاني ذي الحجة ونزل ديار حرب على أحمد بن رحمة واستمر الى ان رجع الحج الشامي فلم يتفق له معه مصر فتوجه في أول سنة أربع وثمانين وألف الى الفرع ثم خرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب ورجع اليهم الشريف أحمد وحضر القتال ثم لما كسر حرب رجع الى الفرع ثم وصل اليه أخوه الشريف سعد وأما أخوهما السيد حسن بن زيد فتوفي باليمن سنة أربع وثمانين وألف وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب في أواسط سنة أربع وثمانين وألف

في زمنها او ما قاربه او ما كانت خرابا يبابا أكثرها مأوى البوم والصدا ولا تفزع رعيتها من جور ولا تشاهد داعرا حرسها الله تعالى بعدالة
سلطاننا الأعظم وخليفة عصرنا الأكرم الأفخم الذي عمر بعدالته البلاد سلطان السلاطين (السلطان مراد) ألهمه الله تعالى
العدل والرفق بالعباد وحقق بسيفه الصارم أهل الظلم والفساد وأطال عمره ودولته حتى تلحق الأحفاد بالأجداد فكان
المعتمد على الله أحمد بن ... وأمره أن يقاتل أخاه الموفق ليخف أمره عليه فكانت حروب وجرت بينهما من ذلك شؤون
واشتغل الموفق بذلك عن أخيه وصار يوانسه تارة ويداريه ويباعده تارة ويدانيه ومضى على ذلك أيام وانقضى عليه أعوام
الى أن مات فاقتحم الموفق كل الهول ولزم الموت (٩٤) الفراش بعد متون سوابق الخيل ووهى جسده ووهنت
قواه ولا لسانه حصانه ولا
فاه
وتمايل من علته فلما
من بعد سلام الشفا قال له
الأسد
فلما اشتد حاله وتحقق
... انما آله الدرن
الى البائس وحكمه
وأشد واسمه وولده المعتضد
وأورده ... وجازا
به الى ... الموفق فلما
رآه أيقن بالموت وتحقق
وقال له يا ولدي لهذا اليوم
خبأتك وفوض اليه وأوصاه
بعمه المعتمد خيرا وكان
ذلك قبل موت الموفق
بثلاثة أيام وطلب الموت
على الموفق فرسب طبقا عن
طبق الى أطباق الثرى
بالعنق ومضى عن الدار
الفانية الى الدار الباقية
والحق وكانت وفاته رحمه
الله في سنة ثمان وسبعين
ومائتين وشمت في موته
أخوه المعتمد وظن انه
استراح من الموفق وما
علم انه عن قليل بأخيه
ملحق وحسب انه فاز بالدهر وما علم ان الصفا يعقبه الكدر وان الدهر ما صفا لأحد من البشر السيد
وان صروف الدهر تأتي بالعجب والعبر وأنه لا يبقي ولا يذر فلما طال عليه الطول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد
خذلان الناصر من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حرمه القاصر ولم يبق للمعتمد عمال ولا اعتماد على الدهر
الخؤون الغادر وانتقل من سرير الملك الى ظهر الهلاك ومضى كأن لم يكن شيئا مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وكانت
وفاته ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى ﴿وولي الخلافة بعده في تاريخه ابن
أخيه أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي﴾ مولده سنة ثلاث وأربعين

خرج هو وجميع السادة الأشراف بالعساكر المصرية والعربان وكان شيخهم أحمد بن رحمة فقصروا
عن ادراك ذلك ورسول مولانا الشريف اليهم وتأهبوا لقتاله فأقبل عليهم بجيوشه ونزل بدرا وأقام
بها مدة محاصرا لهم وهم متحصنون في جبالهم وسوره عليهم وسعاتهم بعض قبائلهم رماة لا نظير لهم عن
الآخرين مع انه في كل عشرة أيام أو أقل يرمهم بالحركة اليهم والركوب عليهم ثم يحول عزمه عن
القتال فعل ذلك بهم مرارا عديدة مع طول الاقامة فتفرق أكثرهم بهذه المصابرة مع أشياء أخرى حتى
صاروا لا يفترون ... حركته ولو عزمت في أثناء ذلك الحركة عليه ووثب الاسد فتكسرهم واستأصلهم
وأقام في قتالهم نحو ستة أيام وجيوشه تحمل آدباشي حرب الى بدر وحطم خيامهم وأما جثث القتلى
فهي متراكمة على بعضها في كل جبل وواد من تلك الجبال والأودية مع سبي النساء والأطفال حتى
أبادهم وبهذه الأقطار وأجرى فيها أحكامه ... بعد ثلاثة أيام وكانت هذه
الواقعة من أعظم الفتوحات لهذا الملك العظيم وكان ذا ابهم تشمت الأشراف المذكورين ثم وافقه
حتى انه اتفق أن السيد مسعود بن عبد الله والسيد أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن
ابن أبي نمي الآتي ذكر ولايته شرافة مكة وقع بينهما واقعة قبل ولاية الشريف أحمد بن غالب
شرافة مكة فكانا التقيا موقف الحرب وآن وقت الطعن والضرب أقبل عليهما ... الملك العظيم
وأقسم عليهما الأعظم اصطلحا في هذا الموقف واعتنقا وتصالحا وأولاهما الالطاف والنوال
﴿وفاة السيد مسعود بن عبد الله بن حسن سنة ١٠٨٥ وكذلك وفاة
السيد أحمد بن محمد الحارث في السنة المذكورة﴾
وكانت وفاة السيد مسعود المذكور في سنة خمس وثمانين وألف بالطائف ودفن خلف قبة الحبر رضي
الله عنه وجعل على قبره تابوت وعليه كسوة وفي السنة المذكورة توفي أيضا السيد أحمد بن محمد
الحارث المتقدم ذكره من ولاة حسن بالمدينة المنورة وكانت وفاته بمكة المشرفة ودفن في
قبة السيد مسعود بن حسن ووضع عليه تابوت وأما السيد أحمد بن غالب فسيأتي ذكر وفاته عند ذكر
ولايته شرافة مكة وفي سنة خمس وثمانين أيضا في سابع رجب كان خروج مولانا الشريف بركات الى
الفرع وأخذ ثاره ممن أهلك عمه وخروجهم عن طاعته وقيل لانه بلغه أن الشريف أحمد بن زيد نزل
الفرع واستمال أهله فسار اليهم مولانا الشريف بركات ومعه السادة الأشراف ولم يتخلف الا من
قطع عذره وكان سيره في التاريخ المذكور وخرج معه صاحب جدة ... كرموه ...
فلاقاه أهل عسفان وسار إليها وأدركهم شهر الصيام قبل وصولهم الفرع في منزل يسمى قديرة
فأتم به صيامه وعيد ثم توجه اليه ووصله ونزل بقرية منه تسمى أم العيال وأمر السيد ناصر بن

ومائتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتمد في تاريخ وفاته المذكور آنفاً وامه ام ولد اسمها صواب وكان ملكاً مهيباً ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعاً يقدم على الاسد وحده شديد السياسة اذا غضب على أحد ألقاه في حفيرة وطم عليه التراب وكان أسقط المكوس في أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بني العباس بعد ما وهى ووهن وأظهر عزة الملك بعد ما تذلل وامتهن وكان يسمى السفاح الثاني حيث جدد كل منهما ملك بني العباس وفي ذلك يقول ابن الرومي

هنيأ بني العباس ان امامكم ❊ امام الهدى والجود والبأس أحمد
كما بأبي العباس أنشئ ملككم ❊ كذا بأبي العباس أيضاً يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه ❊ تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفي ذلك يقول عبد الله بن المعتز أيضا

أما ترى ملك بني هاشم ❊ عاد عزيزاً بعد ما ذللا
يا طالباً للملك كن مثله ❊ تستوجب الملك والا فلا

وكان مع سطوته وبأسه يتوخى العدالة ويجيز أمورا في صورة الجبروت والعسف وهو في الباطن محق فيها فيحمد فعله وهذا هو الرأي السديد فلما كم الرشيد جمعه بين سياسة الدنيا والحق رحمه الله تعالى ووقعت قصته في الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد للصيد وأمامه فحضر مقثاة حتى جاوزه فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فأحضره وسأله عن سبب صياحه فقال ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة فأخربوها فأمر باحضارهم فضرب أعناقهم ثم مضى وهو يحادثني فقال اصدقني يا عبد الله ما الذي تنكره الناس علي من أحوالي فقلت له سفك الدماء كثيراً فقال ما سفكت دماً حراماً منذ وليت فقلت له بأي ذنب قتلت أحمد ابن الطيب فقال انه دعاني الى الالحاد وظهر لي الحاده فقتلته لنصرة الدين قلت والثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن بم استحللت دماءهم ولأي شيء قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم هم الذين نزلوا المقثاة فأمرت بضرب أعناقهم ثم أمر صاحب الشرطة باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثاة وأحضرهم بأنفسهم وشاهدتهم ثم أمر باعادتهم الى الحبس وهكذا ينبغي لتدبير السياسة واظهار النصفة وتخويف الجند وارعابهم ومن معدلته انه كتب الى الآفاق بابطال ديوان المواريث والأمر بتوريث ذوي الأرحام وكانوا لا يعطونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الناس بالظلم ولا يتصل

السيد أحمد الحارث النزول بقرية أخرى تسمى بابي ضباع ثم استمر مقيما بتلك القرية الى ان ذهب جميع أموالهم ومن ارعاهم من عادوا الى طاعته راغبين من غير قتال ثم انه امشى من عنده بقبض على خمسة وعشرين شخصا من كبارهم وأتى بهم الى مكة في الحديد الى ان ماتوا بأجمعهم واحدا بعد واحد ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد ابن زيد وتحولا الى وادي الصفراء من ديار حرب ثم قصدا المدينة ونزلا الغابة ثم توجها قاصدين الابواب السلطانية قال في خلاصة الاثر ونهبوا في الخامس من شوال متوجهين الى الشام لا يعرف احد من أعيان العرب الا أكرموهم ومن أعجب الاتفاق نزولهم على مراح بني حجيم من غير علم منهم بذلك وكان الشريف سعد قتل آباءهم فلما علموا به حصل لهم كرب شديد ولم يشعروا الا وقد جاءوا اليهم بالمودة والسلام وأظهروا عدم المعرفة وأكرموهم وذبحوا لهم الذبائح ومنحوا المنائح وهذا من غير شيمة معهودة من جدهم ولم يزالوا على مثل ذلك مع كل من مروا عليه من العرب الى أن وصلوا الشام وتلقاهم أمراؤها وكبراؤها وتلقوهم باكرام عظيم ثم دخلا آدرنة في ربيع الاول سنة ستين ودخلا اسلامبول في ربيع الثاني من السنة المذكورة فأكرمهما مولانا السلطان محمد بن ابراهيم على الشريف سعد بالشوبة المدورة في حادي عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وأقام الشريف أحمد باسلامبول الى سنة ثلاث وتسعين وانشأ فيها قصيدة تسمى كلابيه وكان قبل ذلك أرسل مولانا السلطان الى أخيه الشريف سعد فورد عليه من المورة فأعطي بلاد [illegible] تسمى [illegible] واستمر بها الى سنة أربع وتسعين وألف ثم في أثناء ذلك عاد الى اسلامبول ثم صارت ولاية الشريف أحمد بن زيد شرافة مكة وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى وفي أواخر شهر الحجة من سنة خمس وثمانين وألف ورد كتاب من السيد محمد بن زيد لمولانا الشريف بركات يطلب الاذن في دخول مكة فامتنع الشريف بركات من الاذن له فتوجه الى اليمن ثم توفي سنة تسعين باليمن [illegible] السادة الاشراف [illegible] عدم [illegible] ورود [illegible] مكة [illegible] بركات [illegible] ألف وتسع وثمانين وفي سنة خمس وثمانين خرج جماعة من السادة الاشراف مغاضبين لمولانا الشريف بركات يدعون عليه انه [illegible] من الانعامات السلطانية فنزلوا بوادي مر الظهران فبعث اليهم السيد بشير [illegible] بن بركات [illegible] حتى رجعوا [illegible] الانعام الواصل [illegible] بالسوية [illegible] وأربعة آلاف دينار وأتى [illegible] وفي سنة خمس وثمانين أيضا ورد مرسوم من السلطنة [illegible] بدخول مكة أربعة أقسام الربع لمولانا الشريف وثلاثة الارباع للسادة الاشراف على السوية وفيها أيضا حصل لمولانا

بجميع ما فيه من الارث بل يؤخذ كثير من حين موته بأنواع التعللات وكان يحصل على الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق الى الآن أمر الله ازالته على يد سلطاننا وفقه الله تعالى لاحياء المكارم واسداء المحارم وأعانه على ابطال المظالم ● ولما أمر المعتضد بابطال ديوان المواريث في سائر مملكته فرح الناس بذلك وأكثروا ودعوا له بدوام دولته وصار له بذلك صيت عظيم وأمر جليل عند الله الكريم ولعله هو الذي نفعه في يوم آخرته وأسكنه الله جنات النعيم ● وكان من قضاته القاضي أبو خازم بالخاء المعجمة والزاي وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى فكان من بعض قضاياه في الدين أن شخصا انكسر عليه مال كثير للناس وثبت ذلك عليه عند القاضي المذكور فأمر بتوزيع ماله

على غرمائه بالمحاصصة وقد انكسر على ذلك المديون مال الخليفة المعتضد أيضا فأرسل المعتضد الى القاضي أبو خازم يقول انى كنت مع غرماء هذا المديون بالمحاصصة فان لي أيضا مالا في ذمته فاجعلني كأحد غرمائه فقال أبو خازم اني لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فأرسل وكيلا ... أرسل أمراء ليكونوا شهودا أنه من غرماء هذا المديون فاحكم لكل بعد سماع الدعوى والبينة والتزكية فأمر وأمر المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضي وكانوا من أكابر أمرائه فحضر أحد منهم الى القاضي ثم فاض ردها واحدهم ولم يحكم القاضي للمعتضد أن يكون من غرماء ذلك المديون فأعجب المعتضد ديانة القاضي وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وعدم ميله اليه وما أحوج زماننا هذا الى قاض مثل هذا القاضي وما في أطراف البلاد يقول الحق ويثبت ولا يميل الى خواطر العباد وكان المعتضد ينظم شعرا حسنا ومن نظمه

حتى

عاودني بمجاريه دائرة

يا حبيبا لم يكن يعدله عندي حبيب ● أنت عن عيني بعيد ● ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شيء من اللهو نصيب ● لك من قلبي على قلبي وان غبت رقيب ● لو تراني كيف حالي ● لرثى لي وعجيب
وفؤادي حشوه من ● حرق القلب لهيب ● فيك محزون كئيب ● وقال المعتضد عفا الله عنه
تمتع من الدنيا فانك لا تبقى ● وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا ● ولا تأمنن الدهر اني أمنته ● فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع ● عدوا ولم أمهل على ظنة خلقا ● وأخليت دور الملك عن كل نازل ● وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا

الشريف سرور كان الخواجا عثمان بن زين العابدين جيلاني وزيرا له وأقامه مقاما وحتى معه العسكر الى ان توسلوا الى داره بسوقه وفي هذه السنة أيضا جاء الى أخي الوزير الاعظم وتوفي في أيام التشريق ونزل الى مكة مع جنازته مولانا الشريف بركات والشيخ محمد بن سليمان وكل امراء الدولة ودفنوه بالمعلى ثم رجعوا الى منى وفي شهر رمضان من سنة ست وثمانين جاء الخبر الى مكة بعزل الوزير الاعظم أحمد باشا الكبرلي وهو معتقد الشيخ محمد بن سليمان فاجابه خبر أعظم من ذلك وأصابه عليه من التعب ما لا مزيد عليه ومن هذا اليوم ظهر الاختلال في أمر الشيخ ولما جاء الخبر بموت الوزير أمر الشيخ محمد بن سليمان الناس بقراءة الربعة بعد صلاة العصر في الحرم الشريف ونزل بنفسه مع مولانا الشريف بركات وحضر وجوه الناس وقرئت الربعة ثلاثة أيام وولي الوزارة بعده مصطفى باشا وفي سنة ست وثمانين أرسل مولانا الشريف بركات ابنه الشريف سعيدا الى الابواب العالية وقد التمس أن ينعموا على ابنه المذكور بامارة مكة بعده وأن يكون ولي عهده فأجابته الدولة الى ذلك وقابلت ابنه المذكور بالاجلال والاكرام ورجع الى مكة رابع ذي الحجة ومعه خلعة ومرسوم بما التمسه الامام بابه بذلك فقرئ ذلك المرسوم بالحطيم وألبس الخلعة المذكورة وجاء أمر من الوزير الاعظم التركي مضمونه ان الشيخ محمد بن سليمان يرفع يده عن تعارض أمور الحرمين واتفق انه نزل عند الله الناس وفي ثاني عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وقيل سنة ثمانين وردت من مصر أغاوات من خدمه انتمى الى ... السعادة صاحب مصر ان مولانا الشريف بركات أخذ ذوي الحب الوارد لفقرائه مع ما جعل لهم ... الحب الوارد عند ... وأن شريفه بعض الفقهاء فسأله القاضي هل أعطاه مولانا الشريف شيئا من الحب الوارد والوالم يأخذ منه شيئا وأخذوا ... وقوا ... وكتب مولانا الشريف وجب هذا الأمر وجهه وأثبت ذلك وجاء جواب مولانا الشريف واضطرب أمر الشيخ محمد بن سليمان فقصد قطاع الطريق السياري ومن العجب في هذا الخروج مطابقته لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم ثم نزل الشيخ من الطائف في شعبان وتوجه الى المدينة قبل ان ذلك كان بأمر من الوزير الاعظم وان الأمر كان أولا باخراجه من الحرمين ثم شفع فيه فأمر باخراجه الى المدينة فلما وصل المدينة اعتزل الناس الا من لابد منه وفي ثامن شوال من سنة ثمان وثمانين وقت أصبح الناس فاذا الكعبة الشريفة ملطخة بشيء يشبه العذرة من جميع جوانبها وتلوثت أستار الكعبة المعظمة وكذلك الحجر الاسود والركن اليماني واتهم الناس بهذا الفعل الشيعة فاستدت حمية الاتراك المجاورين والحجاج وأخذوا من الحرم خمسة أنفس من العجم بعد شروق الشمس ووقعوا فيهم بالضرب والرجم بالحجارة

فلما بلغت النجم عزا ورفعة • ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا رماني الردى سهما فأخمد جمرتي • فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملقى
وأفسدت دنياي وديني سفاهة • فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى فيا ليت شعري بعد موتي ما أرى • إلى رحمة الله أم ناره ألقى

ومما وقع في أيام المعتضد من عمارة المسجد الحرام من الجانب الشامي زيادة دار الندوة وأدخلها في المسجد الشريف من الجانب الشامي ملصقة إلى رواق الجانب المذكور وهذا المحل يسمى دار الندوة وهي كانت في زمن الجاهلية دارا تجتمع صناديد قريش فيها عند نزول حادثة بهم للاستشارة في دفع ذلك الحادث عنهم بالاتفاق على رأي يجمعون على كونه صوابا فيأتون به بعد ذلك وكانت الندوة مما تفتخر به قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي

بن كلاب الرفادة والسقاية والسدانة والندوة واللواء ففرقها في أولاده • ولما ظهر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به كثير من قريش من الأنصار خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم إبليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي واختار لهم من الآراء ما اختاره فنجاه الله تعالى من كيد المشركين وأذن له في الهجرة كما هو مذكور في كتب السيرة • وذكره الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وليست الزيادة هي عين دار الندوة بل محلها في تلك الأماكن لا على التعيين من خلف مقام الحنفي الآن إلى آخر هذه الزيادة • وكانت دار الندوة بعد ظهور

الإسلام وكثرة بناء الدور بمكة دارا واسعة ينزل بها الخلفاء إذا وردوا مكة ويخرجون منها إلى المسجد الحرام للطواف والصلاة وكان لها فناء واسع صار ساحة ترمى فيه القمائم وإذا حصلت الأمطار الغزيرة سال من الجبال التي في يسار الكعبة مثل جبل قعيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة إلى ذلك الفناء رحبات أوساخه وقماماته إلى دار الندوة وإلى المسجد الحرام واحتيج إلى تنظيف تلك الأوساخ والقمائم من المسجد الشريف كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي وصار ضررا على المسجد الحرام • فكتب قاضي مكة من قبل المعتضد العباسي القاضي محمد بن عبد الله المقدمي وأمير مكة يومئذ من قبله أيضا عج ابن حاج مولى المعتضد المذكور مكاتبات إلى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب يتضمن أن دار الندوة

حتى أخرجوهم إلى باب السلام وبعضهم إلى باب الزيادة وقتلوهم شدخا بالحجارة وضربا بالسيوف وألقوهم على بعضهم ولم يطالب فيهم أحد قال العصامي في تاريخه ولقد رأيت ذلك الشيء يعني ما لوثت الكعبة به وتأملته فإذا هو ليس من القاذورات وإنما هو من أنواع الخضراوات عجن بدهن خيري وأدهان معفنات فصار ريحه ريح النجاسات وكان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليلة ولم يعلم الفاعل لذلك وغلب على بعض الظنون أن ذلك جعل عمدا ووسيلة إلى قتل أولئك والله أعلم بالسرائر وهو يتولى البواطن والظواهر ولبعضهم في ذلك

مذ لوثت الكعبة من لم تكن • تعرفه ليلا وأصبحنا
أسلمت الأعجام أرواحها • وقالت الأعراب آمنا

وفي شهر الحج من سنة ثمان وثمانين وألف ورد مرسوم من الوزير الأعظم بأن يطلق مولانا الشريف بركات على المصونة الشريفة عمرة بنت الشريف زيد ألفا ومائتي قرش أحمر من المال الذي جعلته السلطنة للسادة الأشراف وكذلك يطلق عليها من الحب الوارد بأسماء الأشراف سبعمائة أردب فأطلق عليها مولانا الشريف الدراهم وتوقف في أمر الحب وقال يكفيها نصفه وامتنعت من أخذ النصف ثم جاء مرسوم آخر في سنة تسع وثمانين لصاحب جدة أن يدفع للشريفة عمرة المذكورة سبعمائة أردب فدفعها الخادم لها سليم آغا من الحب الوارد في السنة المذكورة

•(ابتداء خروج أمير الطائف لقاء الحج الشامي وتشييعه إلى المدينة سنة ١٠٨٩)•

وفي سنة ثمان وثمانين أيضا ورد أمر سلطاني لمولانا الشريف بأن يخرج مع الحج الشامي إلى أن يتعدى به على العرب القاطعين الطريق إلى أن يخرج عما هو تحت قطر الحجاز فخرج معهم يوم السابع من [illegible] سنة تسع وثمانين وألف ومعه عدد من الأشراف وأقام مقامه أخاه السيد عمرو بن محمد وفي [illegible] الآخرة سنة تسعين وألف اعتدى بعض العسكر على رجل من سواكن ونزل على مولانا [illegible] السواكني فقتل ذلك العسكري ودخل على مولانا السيد أحمد بن غالب [illegible] وسفروا إلى اليمن فطلب العسكر المقيمون بمكة إحضار القاتل من مولانا الشريف فأرسل معه جماعة فأدركوه في الطريق فقتلوه وأتوا برأسه إلى مولانا الشريف فأرضا العسكر وهدأت الفتنة وفي عاشوراء من سنة تسعين أيضا ورد مرسوم سلطاني بعمرته الإنعام على مولانا الشريف بعشرة آلاف أحمر في مقابلة خروجه كل سنة مع الحج الشامي وجمع المرسوم خلعة [illegible] وقرئ المرسوم بالحطيم وفي ثاني جمادى الأول من سنة إحدى وتسعين وألف خرج مولانا الشريف غازيا إلى جهة الشرق وسار معه جماعة الأشراف ولم يتخلف عنه

قد عظم خرابها وتهدمت وكثيرا ما يأتي فيها القمام حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه واذا جاء المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمام الى المسجد الحرام وانها لو أخرج ما فيها من القمام وهدمت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام يصلي الناس فيها ويتسع الحاج بها لكانت مكرمة لم يتهيأ لاحد غير الخلفاء بعد المهدي والهادي ومنقبة باقية وشرفا وأجرا باقيا على طول الزمان وان بالمسجد سربا كثيرا وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر وان وادي مكة قد انكبس بالاتربة فعلت الاودية عما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليماني أيضا الى المسجد الحرام ولا بد من قلع تلك الاراضي وتمهيدها وتتريبها الى حد ترفعها السيول متعذرة عن الدخول الى المسجد الحرام ووصل أيضا الى بغداد سدنة الكعبة ورفعوا أمرهم الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش في أرضها قد تكسر وان عضادتي باب الكعبة كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة في سنة احدى وخمسين ومائتين بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب وضربه دنانير واستعان به على حرب العلوي الذي خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون العضادتين بالديباج ووقعت بعدها أيضا فتنة بمكة في سنة ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذي كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أثناء الباب الشريف من الذهب وضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة ويجعل بدل الذهب فضة مموهة على الباب الشريف وعلى أثناء الباب الذي يستلم الناس فيه أيام الحج تبركا بذلك المكان وعتبة الباب الشريف ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة ويجدد تمويهها كل سنة والمناسب اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وان رخام الحجر الشريف قد تكسر ويحتاج الى التجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تاما ويحتاج أن يتم من جوانبها كلها وان ذلك من أعظم القربات وأكرم المثوبات وقد رفع الى الديوان العزيز المبادرة الى انجاز ذلك والامر راجع الى دار الخلافة الشريفة والسلام فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من أهل الدولة قدم راسخ في قصد الجميل وفعل الحسنات ورغبة جميلة في احراز الاجر والمثوبات بادر الى عرض ذلك على امساع

الا المذكور وفسد بيته وفي الرابع عشر من شوال جاء المبشر بأخذ مولانا الشريف قبيلة كاتب وانه قتل فيهم قتلة شنيعة ورجع الى مكة في السابع والعشرين من ذي القعدة سالما غانما وفي هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الاعظم في ان الشيخ محمد بن سليمان يعود الى مكة فجاء الاذن له بذلك وان يحكف يده عن مغالطة الدولة فدخل مكة في التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة حصل بمكة مطر عظيم وكثر السيل ودخل المسجد وبلغ الى نصف الكعبة واستوعب جملة العواميد التي في الرواق من الجهة الغربية لانحدارها وكان ذلك اليوم خروج الحج المصري فغرق فيه كثير من المسافرين ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل المسجد فلم يزل السيل يدفعه وقد انقلع حمله حتى رقي على منبر الخطيب فلم يزل الى الصبح من اليوم الثاني واستمر الماء الى الصباح ففتح باب ابراهيم وانحدر الماء فوجدوا تحته كثيرا من الغرقى من الغرباء وأهل البلد وأما خارج المسجد فقد أخرب غالب البيوت وذهب بأموال عظيمة وقال كبار المكيين في ذلك الوقت ان هذا السيل لم يشاهدوا مثله فكان ذلك السيل من مصائب الزمان ثم شرعوا في تنظيف المسجد على المعتاد وأرخ بعضهم هذا السيل بقوله (طغى الماء) وحصل من هذا السيل خراب عظيم في المدينة فجاء الامر من مولانا السلطان محمد بن ابراهيم بتعميرها فعمرت سنة اثنتين وتسعين وألف وفي خلاصة الاثر وفي هذه السنة أيضا حصل في قرية العلاعه وما حولها من أرض الطائف برد شديد ودمع عظيم بحيث صار يضرب بالحجر والابواب كالبنادق غالبه كبيض الحمام وبعضه كبيض الدجاج قال المحبي في تاريخه وقد سمعت غير واحد يقول وزنت واحدة فكانت رطلا ووقع بعضه على قدر تمرة وأتلف أكثر البساتين وخرج كثيرا من الحيوانات وبعضها مات وفي ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين وألف ... لانا الشريف أحمد بن غالب من مكة مغاضبا لمولانا الشريف بركات وخرج طروحه عند ... مرانب ... شهر ... ثم الثلاثين وسار متوجها الى الابواب السلطانية شاكيا من مولانا الشريف بركات ... جمادى الاولى وقعت فتنة بين الاتراك وعبيد الاشراف في المسعى وانتهب بعض ال... يانى المروءة وقتل بعض الاتراك المجاورين تحت مدرسة القاضي وأصيب بعض الاتراك ... معه من جهة بيت مولانا الشريف بعزل السوق ثم فرأى مولانا الشريف الامر حتى سكنت الفتنة ثم ورد خوندار ... الثاني من ... لانا الشريف ... مع الاشراف ... في السبل ... لانا الشريف

الخليفة المعتضد وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها وبذل المقصود وفيها فبرز أمر المعتضد اليه والى غلامه المؤمن بالحضرة بعمل ما رفع اليه من ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد الحرام وأن تهدم دار الندوة وتجعل مسجدا يلحق بالمسجد الحرام وتوصل به وأن تحفر الوادي والمسيل والمسعى وما حول المسجد الحرام ويعمق حفرها الى أن يعود الى حالته الاولى ويجري ماء السيل [illegible] المسجد الحرام [illegible] وأن يحكم ذلك بأبلغ الاحكام ويعمر ما تجب عمارته على وسعه الاتقان والاحكام وأمر أن يحمل من خزائنه مالا عظيما الى عامله وأمر قاضي بغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويجهز عماله من يعتمد عليه

وأمر بحمل المال اليه فأنفذ بعضه نقدا في أيام الحج مع ولده أبي بكر عبد الله ابن يوسف وكان معتمدا على حوائج دار الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارتها وأرسل بقية المال سفاتج يقبضها الى ولده المذكور ليشتريها من كتب اسمه في تلك السفاتج وعين معه لهذه الخدمة رجلا يقال له أبو الهياج عميرة بن حيان الاسدي له أمانة وحسن رأي ونية جميلة وسيرة حسنة فوصلا الى مكة في موسم حج سنة احدى وثمانين ومائتين بالذهب الخالص بابه الكعبة الشريفة ورجع بعد الحج بمكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والاعوان وعاد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحاج الى بغداد ليرسل اليه ما يحتاج اليه من بغداد لتكميل ما أمر به من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج في حفر الوادي وما حول المسجد الحرام فحفره حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنا عشرة درجة وانما كان الظاهر منها خمس درجات فحفرت الارض ورمي بترابها خارج مكة ونظفت دار الندوة من القمام والاتربة وهدمت وحفر اساسها وجعلت مسجدا وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة أبواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الارض الى جهة الشمال أحد عشر ذراعا وجعل بين الابواب الكبار ستة أبواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابان بطاق شارعين الى الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي وأقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة وركبت سقوفها على أساطين وسويت بخشب الساج وجعل لها منارة وفرغ من عمارتها في ثلاث

وعبيد الحاكم وما انضم اليهم من عبيد السادة الاشراف وأتباعهم الحسنية اتفاقا من سوق الشريف لحضورهم بعسكر مصر فتفاقم الامر على مولانا الشريف فأرسل اليهم أخاه السيد عمرو ابن محمد ليردهم فامتنعوا الا أن يتضمن لهم شريف من الاشراف انه لا يعطي أحدا منهم العسكر اذا وقع شيء في البلد فضمن لهم ذلك بعض الاشراف فدخلوا أرسالا ثم ان مولانا الشريف ظفر بعبدين ليلا فأمر بقتلهما فقتلا بالمعلى وأصبحت جثتهما ملقاة بالشارع ثم أمر بعبدين آخرين كانا في حبسه فشنقهما بالمسعى وأوهم انهما القاتلان للعبدين اللذين في المعلى ثم ان مولانا الشريف ازداد به التعب والهم فأصبح مريضا يوم الثلاثاء خامس ربيع الثاني من سنة أربع وتسعين بمرض باطني لا يعلم سببه الا الله

(وفاة الشريف بركات سنة ١٠٩٤)

فازداد به المرض الى ان توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة فصلى عليه الشيخ عبد الواحد بن أحمد الشيبي بعد الشروق تحت الكعبة ودفن بالقرب من المعلى بجوار الشيخ الشيبي بوصاية منه وبني عليه حائط غير مسقف وأسفت الناس عليه سامحه الله تعالى وكانت مدته عشر سنين وأربعة أشهر وعشرين يوما قال السنجاري وكان وحيد دهره وانسان عين عصره لولا ما اعترض دولته من اختلال الشيخ محمد بن سليمان ورثاه كثير من الشعراء بقصائد ثم قال السنجاري وبالجملة فانه كان كثير الاحسان عارفا بأحوال الزمان وفي خلاصة الاثر في ترجمة الشريف بركات وحظي عند السلطنة وكان مقبول الكلمة عندهم معتقد الملا كان يكثر من مداراتهم وكان كثير الاحسان للاشراف والتعطف بهم وتفوقوا في زمنه وقويت شوكتهم وكثرت أموالهم بسبب ذلك بقي كبار الاشراف وصغارهم تحت طوعه وكان يخرج بهم لحرب العرب من أهل نجد وغيرهم ويكون النظر فيه له وللاشراف وحمدت طريقته وأمنت في زمنه السبل وتحصنت الديار وانتظم الامر خصوصا للحجاج وفيه يقول بعض أدباء دمشق وقد حج

أتى الركاب فهذه أم القرى ... قد لاح نور الهدى من مشكاتها
واجعل شعارك منه تقوى الله كي ... تستقبل الخيرات من بركاتها

قال ولم يزل كذلك عالي الهمة ميمون النقيبة الى ان تغلب عليه غالب الاشراف وخرج السيد أحمد ابن غالب مفارقا له في نحو ثلاثين شريفا من ذوي مسعود وغيرهم

(ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤)

وبعد وفاة الشريف بركات تولى ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن

سنين ولعل اكمالها في سنة أربع وثمانين ومائتين الا انها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل الى وضع أحسن منه بعد المعتضد المذكور وقال محمد بن اسحق الفاكهي في تاريخ مكة ان أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له ان قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان اليه أمر البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها مساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من مصل ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل أساطينها حجارة مدورة منحوتة وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشا مزخرفا وعقودا مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا أحسن من أول ووجدت مرقوما في بعضها انه عمل ذلك في سنة (١٠٠) وثلثمائة انتهى ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة أمرا عظيما وفعلا جزيلا أتى به المعتضد بالله وأثرا باقيا على صفحات هذا الدهر ما فاز به سواه وفعلا لا يزال يذكر وصاحبه يمدح بألسنة الخلق ويشكر وقد بليت عظامه تحت التراب الأعفر فامات من يذكر بالجميل بعد أن يقبر وما عاش من عاش بالسوء يذكر ما عاش من عاش منهم وما خمد أثره ولم يمت من يمكن بالخير مذكورا واستمرت تلك الأساطين المنحوتة من الاحجار السود عليها السقف الساج المزخرف المعمول مشيدة باقية الى ان أدركناها في عمرنا ثم بدلت بأساطين منحوتة من الشبيكي الاصفر بعقود محكمة أزين من عقودها الاولى وجعل عرض السقف الذي يلي خشبه كل حين قباب مرفوعة نزهة للناظرين في غاية الاتقان والتزيين في زمان سلطان سيقت سلاطين الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله تعالى سلطانه وأفاض على العالمين بره واحسانه (رجعنا الى ما كنا فيه) من أخبار المعتضد العباسي وما وقع له من الناس الذي ليس من آسي ولما أن عضد المعتضد عضد الموت الناجد وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد وما منعه عن الحمام قوته ولا منعته عنه منعته ولا هيبته فأزلته يد المنايا من سرير الخلافة والملك وأركبته سرير الجنائز الى شفير الفناء والهلك ودفنه في تربة عمله الصالح وسقى ثراه عاطب من تناله القائح (ومن أدرب ما حكاه) المسعودي عن المعتضد في وقته أنه اهتل من افراطه في كثرة هنا بياض بالاصل

أبي نمي ألبسه قاضي مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذي بيده المتضمن كونه ولي عهد أبيه ولم ينازعه في ذلك أحد من السادة الاشراف ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني نزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم وحضر الفقهاء وأكابر الدولة وقرئ أمر سلطانه الوارد في حياة أبيه ثم جهز قاصدا الى الابواب السلطانية يخبر بوفاة والده ويطلب صريح الاستمرار وكتب له على عرضه علماء مكة فوصل جوابه من صاحب مصر ثاني رجب المبارك من السنة المذكورة وفيه التعزية في المتوفى وصحبته خلعة الاستمرار على ما كان عليه والده من امارة مكة فلبس القفطان الباشوي ثم ورد الامر السلطاني في الرابع والعشرين من شعبان وفي الثامن والعشرين ورد من الروم أغا وأخبر انه ورد صحبة مولانا السيد أحمد بن غالب وانه معه أمر سلطاني يخاطب به المرحوم الشريف بركات مضمونه ارضاء السيد أحمد بن غالب وابقاؤه وجميع مماليكه والوصاية على السادة الاشراف وان لا يخرج مولانا الشريف أحدا منهم الى الوصول الى الابواب وان تكون البلاد أرباعا الربع منها لمولانا الشريف والثلاثة الارباع للسادة الاشراف وأخبر الاغا ان السيد أحمد واصل وانه فارقه في الطريق وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقب وفاة أبيه فما أظهره ثم وصل السيد أحمد بن غالب وصار تقسيم الارباع ومن ذلك حصل الاختلاف بين الاشراف فكتب السيد أحمد بن غالب مائتين من العسكر لقتالها من ضروب العالم واغارت اليه عبيد ذوي زيد وفي خلاصة الاثر بعد ذكر وفاة الشريف بركات قال ثم عقد مجلس الاجتماع يوم الجمعة ثاني يوم الوفاة بالحطيم حضره الاشراف والعلماء والاعيان والعسكر فاظهر الشريف سعيد أمرا سلطانيا كان برزله لما أرسله والده الى السلطان ان الملك لسعيد بعد أبيه فقرئ بذلك المجمع ولم تقع مخالفة من أحد وكان قد ورد للشريف سعيد بعد وفاة أبيه الامر بالارباع فأخفاه وكان الاشراف متحققين خبره قبل وصوله فطلبوه من الشريف سعيد فأحضره الى مجلس الشرع وعمل مقتضوه وقسموا مداخيل البلاد أرباعا ربع للشريف بمكة وربع تشيخ فيه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن أبي نمي والسيد ناصر بن أحمد الحارث ومعهما جماعة من الاشراف والربع الثالث تشيخ فيه السيد أحمد بن غالب والسيد أحمد بن سعيد ومعهما جماعة والربع الرابع تشيخ فيه السيد عمرو بن محمد والسيد غالب بن زامل ومعهم جماعة فحصل بذلك التشاجر في القسمة والنهب والتشاجر ووقع في البلاد السرقة والنهب واختلفوا فيما بينهم وصارت الرعية بالارباع ولزم من ذلك ان كل صاحب ربع يكون له كتبة وخدام يجمعون ما هو له وجمع السيد أحمد بن غالب عسكرا وانضم اليه من العبيد كثير فتعب الشريف سعيد بذلك وأمرهم بترك العسكر فامتنعوا وقالوا ان السوالف

الجماع وطالت علته وغشي عليه فشك من حوله في موته وكان لا يجسر عليه أحد لشدة هيبته فتقدم اليه الطبيب يختبره فجس نبضه ففتح عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة فتعاه أذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته * وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الاولاد ذكورا واحدى عشرة بنتا وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا رحمه الله ﴿فصل﴾ لما اشتد مرض المعتضد جعل ولي عهده من بعده ولده أبا محمد ولقبه المكتفي بالله وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام فلما توفي المعتضد الى رحمة الله كان المكتفي غائبا بالرقة فنهض بالبيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبد الله وكتب اليه فوصل الى بغداد من الرقة في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله يوما مشهودا زينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور خلع عظيمة ومدحه الشعراء وأنعم عليهم بالجوائز السنية * وكان مولده في غرة ربيع الاول سنة أربع وستين ومائتين وأمه أم ولد تركية اسمها جيجل وكان بديع الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القائل يصف الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها
فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي
والله لا أختارها ولو انها
كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وكانت سيرته حسنة وأفعاله حميدة فأحبه الناس وفرحوا بخلافته ودخوله وذكر عبد الغافر في تاريخ نيسابور عن ابن أبي الدنيا وكان معلما للمكتفي قبل أن يلي الخلافة قال فلما أفضت الخلافة الى المكتفي كتبت اليه هذين البيتين

ان حق التأديب حق الأبوه * عند أهل الحجى وأهل المروه
وأحق الرجال أن يحفظوا ذا * ك ويرعوه أهل بيت النبوة

انتهى * ومن أعظم الحوادث في أيامه ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى ابن مهرويه القرمطي ومحل خروجه سواد الكوفة وهم اباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين يدعون ان الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينتسبون اليه بالباطل ويسندون اليه أقاويل باطلة لا أصل لها ويكفرون من عداهم وهم الكفرة قاتلهم الله تعالى ﴿ولما ظهر بالخروج يحيى المذكور﴾ جهز اليه المكتفي بالله جيوشا واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة الى أن قتل وسبق الى جهنم وبئس المصير فقام بعده أخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه

سبقت بقتل هذا الصاحب الربع وشهد بذلك كبار الاشراف وذكر الشريف سعيد انه اتهم من هذا الفعل وطلب من يكفل له ابن غالب فكفله عشرة من الاشراف واصطلحا على ذلك ثم ادعى الشريف سعيد ان عبيدهم أتلفوا البلاد والقرى ان أهل الارباع كل منهم يرسل رجلا من جانبه يحرس البلاد بالليل مع جماعته وارسل ابن غالب أخاه السيد حسنا وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن موسى بن سليمان في جماعة من الخيالة والمشاة ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر ولما قدم الحاج وخرج الشريف سعيد لملاقاته على المعتاد خرج معه الاشراف في العرضة فبعد ان حج الناس ونزلوا عقد الشريف مجلسا فيه أحمد باشا حاكم جدة وأمير الحاج الشامي سليم باشا وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك وأمين الصرة وأكابر عسكر الجاويشية فلما حضروا اجتمعهم شكا من السيد أحمد بن غالب من جهة كتابة العسكر وانه سعى في كيده في البلاد وافسد عليه الاشراف وانه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد وأرسلوا الى السيد غالب بن زامل ليحضر فتأخر عن الحضور في بيت الشريف سعيد وقال ان كان القصد الاجتماع في المسجد وان كان لكم دعوى فاوكل وكيلا يسمع ما تدعون به علي وارسلوا يسألونه من جهة كتابة العسكر وما بعدها فاجاب بان هذه قواعد بيننا قد سلفت ان لصاحب الربع ان يكتب عسكرا واما قولكم انه حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة فاطلقوا مناديا ينادي معاشر الناس كافة هل أحد منكم يشتكي من أحمد بن غالب أو من جماعته أو من عسكره شيئا أو أخذوا لاحد حقا أو ضربوا أحدا وان وجدتم مشتكيا صح مقالة الشريف سعيد والا فلا وجه له ولكم وأما قولكم انا تركنا العرضة فسبب تخلفنا ان يقع شيء فينسب الينا أو الى جماعتنا وأكثر هذا وجميع الاشراف اجتمعوا على قلب واحد وغيروا لهم سريرة ودروعهم على أظهرهم وملأوا الجياد الى العقد وتحركت الانفة الهاشمية التي تأبى الضيم والاعراض وانجواب السيد أحمد بن غالب علموا انه لا وجه له عليه فسعوا في الصلح بينهما وكتب بينهما بذلك حجة وطلبوا من السيد أحمد بن غالب ان يأتي الى الشريف سعيد فاتاه ليلة ثم أتاه الشريف سعيد ليلة أخرى وتم الصلح وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم انه أمر مناديا ينادي في البلاد باخراج الاعراب من مكة من جميع الناواحي فحصل للناس مزيد تعب فتكلم العسكر معه في ذلك فرجع فلما رأى أحمد باشا حاكم جدة اختلال حاله سلطا على ربع حب الخرابة التي ترد الى مكة وأراد الاستيلاء عليه فلم يمكنه ذلك الاشراف فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر المحرم افتتاح سنة خمس وتسعين وأراد النزول الى جدة فشكت عليه الاشراف بعد ان تكلموا في ذلك فامتنع وتحزبوا جميعا وقالوا لا ينزل حتى يعطينا ما هو لنا ولا يبق

فما عنده شيء وكان ذلك بعد أن قدم أهله ونقلهم الى خارج مكة قاصدين جدة فصار حينئذ أحد من ضمنوا اجتمعوا كلهم ببيت السيد محمد بن حمود وأرسلوا اليه السيد عقيبة فقال له ان نزلت قبل أن تصلح الأشراف يأخذوا جميع أسبابك التي تقدمت وينهبوا سرايتك ويقتلوك فاذعن حينئذ ووافقهم فقالوا الأرضى بذلك حتى يكفل لنا فكفله كرد أحمد آغا وجميع رؤساء العسكر وكتب بذلك حجة وانه ان حصل منه منع لبعض حقوقهم يكن قاضي الشرع والسلطان ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب وطلب منهم شريفا يوصلهم الى جدة خوفا من العرب أن يطمعوا فيه ففعلوا ذلك وأرسلوا معه السيد مبارك بن ناصر ثم اشتد البلاء بالسرقة ليلا ونهارا وكسرت البيوت والدكاكين وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد خوف القتل أو الطعن وصار العبيد لا يأتون الا ثمانية أو عشرة وانقلب ليل الناس نهارا وكثرت القتلى في الربيعة حتى ضبطت القتلى في رمضان فبلغت تسعة أشخاص فضجت الناس من هذه الأحوال فأرسل الشريف سعيد الى الأبواب السلطانية ترجمانه يذكر فساد مكة وانها شوشت وأرسل يطلب عسكرا لاصلاحها وكانت الناس في هذه المدة يتوسلون الى الله تعالى أن يصلح الأمور واستجاب الله دعاءهم واقتضى تقدير السلطان وأركان دولته أن لا يصلح هذا الخلل الا الشريف أحمد بن زيد فأعطي الشرافة اهـ وسيأتي ذكر ذلك بعد تمام الكلام على دولة الشريف سعيد

(ذكر ورود الأمر السلطاني باخراج الشيخ محمد بن سليمان وما وقع له عند خروجه)

وفي مدته كان اخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة وذلك انه في شهر شوال سنة خمس وتسعين ورد أمر سلطاني يتضمن اخراجه من الحرمين قدم به السيد أحمد بن غالب وحصل عند قاضي الشرع فلما حصله القاضي أرسل الى الوزير عثمان حمدان وبعثه مع نائبه الى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين ويخبره بورود الأمر السلطاني فامتنع الشيخ من الخروج وقال ليس هذا وقت خروج من البلد واذا جاء الحج خرجت مع الحج فصمم القاضي في خروجه وعدم ابقائه الى الحج وطلع بنفسه الى مولانا الشريف وألح على اخراجه فأرسل مولانا الشريف سعيد ابن عمه السيد رضوان بن عمرو بن ابراهيم والقائد أحمد بن جوهر الى الشيخ يأمره بالخروج وانهم يعطونه كل ما يريد أو انه يحضر عند القاضي ويبدي عذرا فامتنع وقال ان الأمر السلطاني ورد بأن أخرج وأنا خارج اذا جاء الحج وأما الآن فلا أرمي بيدي الى التهلكة وليس في الأمر ان أخرج يوم وصول هذا الأمر وتحصيله فزادت سطوة القاضي وبعث ترجمانه الى الوزير ليرسل معه عشرة من عساكر الشريف وأمرهم أن يأتوا بالشيخ مكرها الينا فجاؤا الى باب دار الشيخ وهو في المدرسة التي عند مدرسة الداودية

الاسود زعم أنها آيته وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه وتلقب بالمدثر وزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرآنية ولقب غلاما له بالمطوق بالنور وتسمى أمير المؤمنين وزعم أنه المهدي ودعا لنفسه على المنابر وأفسد بالشام وعاث فيها الخور بوا وقتل الثلاثة وعزته وأسرهم وقتل فيهم في الثلاثة في سنة احدى وتسعين ... خلفه من بعدهم خلف ظاهر منهم مقاصد سيأتي ذكرها استطرادا ... ولم يتفق زمان المكتفي وكانت مدة ملكه ستة أعوام وستة أشهر ... سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد فقيل انه سالم وصح عنده ذلك فخلع ولي عهده أخاه المقتدر بالله﴾ وبويع له على ان يكون

الخليفة بعده قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته التي مات فيها والله ما آسى الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين في أبنية وعمارات لا أحتاج اليها وذكر أبو منصور الثعالبي قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذي خلفه المكتفي مما جمعه هو وأبوه لا يتم مائة ألف ألف دينار ما بين عين وأمتعة وأوان وعقارات وكان من جملة الأمتعة ثلاثة وسبعون ألف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والأرض له الملك واليه ترجعون ولما جاء الأجل المحتوم المقدر وقال لسان حاله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر انقصف غصن شبابه القشيب ويبس عود جماله النضير الرطيب وصار بدر كماله مخسوفا وعاد ضياء المشرق بالجمال ممحوقا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء في ليلة الأحد لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر القعدة الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وخلف ثمانية أولاد ذكور وثماني بنات ﴿وولي المشهورة

بعده أخوه أبو محمد على المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي﴾ بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ذكره الجلال السيوطي وأمه أم ولد تسمى شغب وولي الخلافة ثلاث مرات هذه الأولى منها ولم يتم له فيها أمر لصغر سنه فتعصب الجند عليه واتفقوا على خلعه فخلعوه وعقدوا البيعة لأبي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين واستمر خليفة ساعة من ذلك النهار وعبد الله بن المعتز لقصر خلافته لا ينبغي عده من الخلفاء ولكن نذكره لفضله وأدبه

وهو أشعر بني العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا وأدخولا ومعرفة بعلم الموسيقى وأشعر الشعراء مطلقا في التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة التي لا يشق غباره فيها أحد مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين وقال المعافى بن زكريا لما بويع ابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر المحدث المؤرخ رحمه الله تعالى فقال لي ما الخبر قلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن رشح للوزارة فقلت محمد بن داود قال فمن رشح للقضاء قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم فقلت ولم لا يتم فقال كل من ذكرت ذوو شأن عظيم متقدم في فضله وعلمه وعقله وان الدنيا مولية والزمان مدبر ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت اسمه برآسة في مثل هذا الزمان وما أرى هذا العقد الا آيلا الى الانحلال والانصرام فقدر الله تعالى انهم سلموه في ذلك اليوم وبعد تمشي أمره فان عبد الله بن المعتز لما عقدت له البيعة والخلافة أرسل الى المقتدر يأمره باخلاء دار الخلافة وان يذهب الى دار محمد بن طاهر لينظر في أمره فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له جواب عندي غير السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستبسلون للقتال في غاية الخوف والرعب وهجموا على عبد الله بن المعتز وعلى بعض الامراء والفقهاء وسلمهم الى يونس الخازن وقتل منهم من أراد وحبس عبد الله بن المعتز وأخرج من الحبس ميتا واستقام الامر للمقتدر وهذه ولايته الثانية فسار أحسن سيرة واستقام أمره بعد الاضمحلال وذهبت شمس سعادته بعد الزوال ولاح بدر فلاحه من أوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا بأس بتحلية هذه العجالة وترويق هذه الرسالة ببعض أشعاره المستظرفة ليعلم الناظر مرتبته في البلاغة واقتداره على الكلام فنورد قصيدته في الحماسة التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على أن الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع وفات الادعاء لهذا المطلب العالي من أمثاله ممجوج في الاسماع منفر للطباع فاذا أبرزه مع ذلك في قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال شاعر عصره الاديب المفوه ابن الرومي

في زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قيء الزنابير

وهذه منتخب تلك القصيدة التي فاخر فيها بين قومه بني العباس وآل أبي طالب رضي الله عنهم في

المشهورة بمدرسة ابن سليمان والباب مغلق فهموا بكسر الباب والشيخ واقف في الطاقة يستغيث بالناس وينادي بأعلى صوته يا أهل مكة يا مسلمين اطلبوا شريعة محمد بن عبد الله ان أمر السلطان بقتلي فأمضوه وان كان باخراجي فأنا خارج اذا جاء الحج والازدحام على بابه يجمع بين الخاص والعام وأهله يقصدون بالبكاء والنحيب فخرج عند ذلك العلامة الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي المصري وكان مجاورا بمكة وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية يقسم فيها ويأخذ معلومها وطلع الى القاضي فلم يقبل شفاعته فرجع من عنده فرآه الشيخ محمد بن سليمان فصاح بأعلى صوته مستغيثا به فوقف للشيخ وقال له يا شيخ محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فقال أنا مطيع لله ورسوله ولأولي الامر ولم يأمر السلطان بقتلي في هذا اليوم وأنا خارج مع الحج ولست بكافر وأودع من يسمعني شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا غير مداهن للشرع ولست بخارج من داري فليصنعوا ما يرونه والعامة من ورائهم تصرخ بسبه بأنواع السب الشنيع ويجعل هو يسب مولانا الشريف سعدا والمرحوم مولانا الشريف بركات بأنواع السب وعم الجميع بالقول الفاحش ثم ان بعض أصحاب الشيخ لحق بمولانا الشريف نفيعة بن قتادة واستغاثه وأطمعه فيه فخرج من بيته ودخل من باب رباط الغوري الذي عند باب الوداع وتسبب في الوصول الى الشيخ فدخل عليه وآمنه وأمر مولانا السيد نفيعة بفتح باب الدار فلما رآه العسكر ومن معهم وقفوا ورجعوا الى مولانا الشريف والقاضي وأخبروهم بأن مولانا السيد نفيعة عند الشيخ وانه آمنه وأرجعهم الى من أرسلهم ثم ان السيد نفيعة قال للشيخ ان كان لا بد من خروجك فاخرج أنت وأنا الى بلدي تجلس واستمر عندي الى الحج فرضي ثم ان مولانا السيد نفيعة فرق الناس وطلع الى الشريف والقاضي وكلمهما بأنه في جواره واستأذنهما في بقائه بمكة الى الحج فبقي وقد ذلت صورته ولانت سطوته وانقبض انبساطه وتطأطأ اشتطاطه ثم سافر مع الحج وهكذا الدنيا اقترانا بوفاء لا تدوم على صفاء ومما رسخ في المسامع ان الدنيا بجمعها غير الآكل وبأكلها غير الجامع ثم توفي في عاشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين بالشام ودفن بالصالحية بسفح قاسيون وكان الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء وأصله من سوس وولد بها سنة ثلاث وثلاثين وألف وأخذ العلم بالمغرب وصحب اجلاء الشيوخ من أهل المغرب ولازم أكابر العلماء ثم رحل وطاف المغرب ثم رحل الى المشرق فدخل مصر وأخذ عن أكابرها وعلمائها ثم دخل أرض الحرمين وأقام بالمدينة المنورة ملازما غالب أوقاته للذكر والخلوة عن الناس ثم وصل لمكة المشرفة وأقام بها وصحبه الفضلاء وأخذوا عنه وكان رحمه الله عالما متفننا متضلعا عديم النظير فصيح النطق ذا هيبة

الخلافة وما أنصفوها ادعاه ونكته أتى بشعر بليغ معناه فقال   ألا من لعيني وتسكابها • تشكى القذا وبكاها بها
ترامت بنا حادثات الزمان • ترامى القسي بنشابها ويا رب ألسنة كالسيوف • تقطع أرقاب أصحابها
وكم دهى المرء من نفسه • فرقه حد أنيابها وان درسة أمكنت في العدو • فلا تبدلنها لأربابها   فان لم تلج بابها مسرعا
أتاك عدوك من بابها وماذا تقدم بعدها • وتأميل أخرى وأنى بها وما ينتقص من سباب الرجال • يزدى نهاها وألبابها
نهت بني دعى بابها • نصيحة ربابأنسابها وقد ركبوا بغيهم وارتقوا • معارج تهوي بركابها وراموا فرائس أسد الشرى
وقد نشبت بين أنيابها

دعوا الأسد تفرس ثم اشبعوا • بما فضل الأسد في غابها   فقتلا أمية في دارها
وكانت حقا بأسلابها
ولما أبى الله أن تملكوا
نهضنا اليها وقمنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته
ولكن بنو العم أولى بها
فهلا بني عمنا انها
خطة رب حبا بابها
وكانت تزلزل في العالمين
فشدت لدينا بأطنابها
وأقسم أنكم تعلمون
بأنا لها خير أربابها
فرد عليه شاعر زمانه
وبليغ أوانه الصفي الحلي
بقوله
ألا قل لشر عبيد الاله
وطاغي قريش وكذابها
أأنت تفاخر آل النبي
وتجحدها حق أنسابها
بكم باهل المصطفى أم بهم
ترد العداة بأوصابها
أعنكم نفى الرجس أم عنهم
لطهر النفوس وألبابها
أما الشرب والفهو من دأبكم
وفرط العبادة من دأبها
هم الصائمون هم القائمون
هم العالمون بآدابها
هم الزاهدون هم العابدون • هم الساجدون بمحرابها   ذلك
هم قطب ملة دين الاله • وأهل الرحاب بأقطابها   تقول ورثنا ثياب النبي • فلم تجذبون بأهدابها   وعندك لا تورث الانبيا
فكيف حظيتم بأثوابها   أبوهم وصى نبي الاله • وأهل الوصية أولى بها   أجدك يرضى بما قلته • وما كان يوما بمرتابها
وكان بصفين من حزبهم • لحرب الطغاة وأحزابها   وصلى مع الناس طول الحياة • وحيدر في صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم • وهل كان من بعض خطابها   واذ جعل الأمر شورى لهم • فهل كان من بعض أربابها
وقولك أنتم بنو بنته • ولكن بنو العم أولى بها   بنو البنت أيضا بنو عمه • وذلك أدنى لأنسابها

جلالة وفراسة في اصابة الرأي وعارله بمكة شهرة فاعتقده كثير من الناس ثم رحل الى الديار الرومية صحبة أخي الوزير مصطفى باشا وبلغه بواسطة أخيه الوزير من ترقى مراتب العز ما شاء حتى قلده السلاطين والوزراء النظر في أمر الحرمين ورجع وحصل جميع ما تقدم وكان له اليد الطولى في المعقول وعلم الفلك وغيرهما وله تآليف كثيرة منها حاشية على التصريح للشيخ خالد في علم النحو قال السخاوي كان نادرة في هذه الدائرة من الحين السائرة والأوحد الامام بلا بديل ومحقق تبدل تقصر عن وصفه العبارة وتعجز بذكره السيارة وكان شريف مكة وصاحب جدة لا يقطعان أمرا دونه وانتهت اليه رئاسة مكة وبنى بمكة رباطا للفقراء يعرف الآن برباط ابن سليمان عند باب ابراهيم يسكنه أهل اليمن وبنى مقبرة بالمعلى تعرف الآن بمقبرة ابن سليمان فأقام بمكة تلك المدة وأمره نافذ على علائه وشدته الى ان تبدلت تلك السعودات بالنحوس وهبط بعد ان كان على الرؤس فورد الأمر بانتزاعه الى آخر ما تقدم رحمه الله وسامحه ولا يعترض بذكر قضية الشيخ محمد بن سليمان وان كان القصد من هذا التاريخ المختصر ذكر أمراء مكة وما يتعلق بهم لأن هذه القضية لها تعلق بهم وفيها عبرة لمن اعتبر وأيضا هي مشهورة بين الناس اجمالا وكل أحد يحب أن يطلع عليها تفصيلا فلا لوم في ذكرها ومن الحوادث في دولة سيدنا الشريف سعيد ان والده سيدنا الشريف بركات كان أرسل هدية الى سلطان الهند فأقام الحامل للهدية هناك أربع سنين لعدم قبول السلطان عليه والتفاته اليه فدخل بجماعة من الهدية الى بعض أمرائه وكان بيد امرأة فأهدى اليها جماعة من الهدية وأفهمها انه مرسول من الشريف بركات صاحب مكة ففرحت بذلك فرحا عظيما ورقمتها موقعا وأمرته بالاقامة لتهيئ له هدية لمرسله فاتفق ان صرفت كيسة هناك واستبدلت ما فيها من الذهب الى ان صار له صورة وأمرت بجعله في هدية سيدنا الشريف وجعلت أيضا معها صدقة لمكة فجاء الحامل للهدية والصدقة لمكة بعد ولاية سيدنا الشريف سعيد ومن جملتها هذا الذهب ومقداره على ما قيل ثلاثة قناطير من الذهب ورغبا بصفو خالصا على النصف وكافور ثلاثة أرطال وعود وزباد وخمسة قناديل ذهب للكعبة ومجرتان وشماعدين وللمدينة أيضا قناديل وشماعدين فلما وصلت هذه الهدية في شعبان سنة أربع وتسعين وقع بين السادة الأشراف أصحاب الارباع نزاع لأن الأشراف يريدون ان يأخذوا ثلاثة أرباع تلك الهدية والشريف سعيد لا يريد اعطاءهم ثلاثة الارباع فأوجب ان تحمل في بيت السيد محمد الحارث الى ان يتفقوا او ينقضي رمضان فبقيت عنده ثم اتفقوا على ان يأخذ أصحاب الارباع النصف مما ورد باسم الهدية وتفرق الصدقة على الفقراء فأخذوا الهدية وفرقوا الصدقة وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الأشراف مفصلا واستمر

كذبت ولولا أبو مسلم لعزت على جهد طلابها   وقلت بأنكم القائلون • اسود أمية في غابها   وقد كان عبد الهم لاذكم
رأى عندكم قرب أنسابها   وكنتم أسارى بطون الحبوس • وقد شغلكم لئام أعتابها   فأنتم حكم وحباكم بها
وقمصكم فضل جلبابها   يجاز بهوه بشر الجسرا • لتقوى النفوس واتجابها   ودع في الخلافة فضل الخلاف
فليست ذلولا لركابها   وما أنت والفحص عن شأنها • وما قمصوك بأثوابها   وما ساوم تلك سوى ساعة
فما كنت أهلا لاسبابها   ودع ذكر قوم رضوا بالكفاف • وجاؤا الفضاعة من بابها   عليك بالهول بانعاناتها
وخل المعالى لاربابها   ووصف العذار وذات الخمار • ونعت العقار وأنقابها (١٠٥) • فذلك شأنك لاشأنهم

وجرى الجياد بأحسابها
ومن السحر الحلال الذي
عقده في سلك الآل زرقه
بقلم البلاغة على صفحات
الايام والليالي هـذا
الموشح الذي يصلح وشاحا
للجوزا واكليلا على
التاج الجلي نجوم الثريا
سارت به الركبان
وتناقله الرواة بألسنة
الزمان قوله
أيها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكى
وسقاني أربعا في أربع
ما لعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبرى
عشيت عيناى من فرط البكا
وبكى بعضى على بعضى معى
غصن بان مال من حيث
استوى
مات من يهواه من فرط
الجوى

 خفق الاحشاء موهون القوى • كلما فكر في البين بكى • ويحه يبكى لما لم يقع • ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومى عذلوا واجتهدوا • أنكروا شكواى مما أجد   مثل حالى حقها أن تشتكى • كمد اليأس وذل الطمع
كبدى حرى ودمعى يكف • يذرف الدمع ولا يعترف   أيها المعرض عما أصف • قد نمى حبى بقلبى وزكا
لا تقل في الحب انى مدعى ومن تشبيهاته الرائقه واستعاراته الفائقه قوله ومقرطق يسعى الى الندماء • بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم • ملقى على ياقوتة زرقاء • (وله مثله وهو معنى بديع) • خليلى مناب الراح من بعد طبخها
وقد عدت بعد الكسر والعود أحمد • فها أنا عقار من قميص زجاجة • كياقوتة فى درة تتوقد • يصرع عليها المائشربك فضة

ذلك الى سنة خمس وتسعين فولى مولانا السلطان سيدنا الشريف أحمد بن زيد وجاء الخبر الى مكة
فى عشرين من ذى القعدة وكان قدوم مولانا الشريف أحمد مع أخيه الى اسلامبول سنة سبع
وثمانين وألف وقد ترجم الشيخ المحبى صاحب خلاصة الاثر سيدنا الشريف أحمد بن زيد بترجمة
واسعة ووصفه بالفضل والادب وكان قد اجتمع به فى القسطنطينية فى جملة ما قال فى الخلاصة وأقام
بقسطنطينية مدة مديدة واتحدت بخدمته اتحادا تاما وتقربت اليه كثيرا وكان كثيرا ما يدنينى
اليه ويقبل على بكليته وقد مدحته بقصائد منها هذه القصيدة ثم ذكرها وهى طويلة جيدة
بليغة مطلعها

بجوب الارض من طلب الكمالا • ومن صحب القنا بلغ النوالا
وكم فى الارض من سكن ودار • وان كان النوى يضنى الجمالا
وما بجسرى الدماذ لاراكن • رأيت الذل ان أهوى الجمالا

ثم ذكر كثيرا من تلك القصائد ثم ذكر كيفية ولايته مكة وفى تاريخ الرضى انه فى سنة سبع وثمانين
أنعمت الدولة على مولانا الشريف سعد بولاية المدينة وأمر بالتوجه اليها واستمر مولانا الشريف
أحمد باسلامبول وعرضت عليه ولاية طرسوس وأخرى بجهة الروم فلم يقبل واحدة منهما وكان
جوابه ان تقصدتم ولاية بلاد فالافضل تحت أعتاب السلطنة فاستمر مقيما بها يحصل له من
الاكرام والترقيات ما فوق المرام وحصل بينه وبين قزلار آغامى محبة أكيدة وطلب الاجتماع
بالوالدة فاجتمع بها وأغدقت له سوابغ النعم ووعدته بتمام المرام واستمر كذلك الى سنة ثلاث وتسعين
وألف فوصل فيها الى الديار الرومية السيد محمد بن مساعد والسيد بشير بن مبارك من سواكن من
السيد أحمد بن غالب فركنا الى مولانا الشريف أحمد وكانا عنده فألقى بعض المفسدين الى الوزير
الاعظم وقال ان اقامة مولانا الشريف أحمد باسلامبول يخشى منها فالاولى عدم اقامته بها
بحضرة الوزير وأبعده فقطانا بولاية كرك كليسة اسم محل بينه وبين ادرنه ثمان ساعات فلكية
وكان قبل ولايته بشهرين أرسل بأخيه الشريف سعد الى البلد المسمى وزة بكسر الواو وتخفيف
الزاى وهى قريبة أيضا من كرك كليسة بنحو ثمان ساعات واستمر كل منهما بمكانه الى سنة أربع
وتسعين ثم قدم لهم السلطان بالتوجه الى حيث شاؤا من الديار الرومية فتوجه مولانا الشريف
سعد الى اسلامبول واستمر مولانا الشريف أحمد فى بلدته وطابت له وتأنس بها الى ان كانت سنة
خمس وتسعين ثم لما جاءت الاخبار الى مولانا السلطان بما وقع فى الحجاز من الخراب والفساد والنهب
وكان السلطان بادرنة طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال وولاه بعد استقرار رأى رجال دولته

انها حاق ببعض نحل وتعقد * وتقى من نار الجحيم نفسها * وذلك من احسانها ليس يجحد   وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهات الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعره وغير ذلك * ومن كلامه في البلاغة البلوغ الى المعنى ولم تطل سفر الكلام واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة لا تكاد تحيط بها هذه العجالة ولما تقرر أمر المقتدر في التمكن والاقتدار واستقرت خلافته أتم استقرار استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سيرة واستمر في الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمائة فخرج يونس الخادم على المقتدر وركب معه الجيش (١٠٤) والامراء وجاؤا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من داره ونهبوا دار الخلافة فكان مما نهب منها ستمائة ألف دينار وألزم المقتدر واشهد على نفسه بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة (وأحضر أبو منصور محمد بن المعتضد ابن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد) وبايعه يونس والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى الوزير أبي علي بن مقلة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابن مقلة الى سائر البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان في العسكر ماجوا ونادوا ... امام السلطان فارتفعت الاصوات فنهبهم الحاجب ومالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا بأخيه محمد القاهر اليه وهو مذعور يبكي ويقول الله الله يا أخي و ... واستدناه المقتدر وقبل بين عينيه وقال له يا أخي لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك   كيف
والله لا ينالك مني مكروه فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند واسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرة والثالثة ثابتة   *(فصل)* من جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه بل كان ابراهيم هذا خياطا يجلس عند هذا الباب مدة دهر فعرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام بقرب باب الحزورة ويقال له باب الخياطين وبقربه باب ثان يقال له باب بني جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزبيدة أم

على ان الصلاح لا يكون الا به وقد ذكر في خلاصة الاثر كيفية توليته حيث قال ولم يزل متقيما بالروم والاحوال تتقلب به الى ان حصل لمكة ما حصل من الاختلاف بين الاشراف فبلغ ذلك السلطان فأرسل الى الشريف أحمد يطلبه فلما أتاه ودخل قام اليه وقابله بغاية الاجلال ووضع كفه بكفه وصافحه من قيام وقال اللهم صل على محمد وآل محمد وأول خطابه من السلطان قال له يا شريف أحمد الحجاز خراب أريد لك تصلحه فامتثل ذلك فعند ذلك ألبسه ما كان عليه ثم جلس السلطان وأمره بالجلوس فجلس وأعاد عليه ما قاله أولا مرتين وهو يجيبه بالامتثال والقبول فعند ذلك قال السلطان الآن أوان الذي أبرزه الله تعالى ثم أمر الوزير والكتاب ان يكتبوا له ما تمسه فخرج الشريف وقدم له مركوب من خيل السلطان ورحل على خيل البريد الى دمشق وقد خرج الحاج منها قال صاحب الخلاصة فدخلت عليه مهنئا له بالشرافة وأنشدته هذه الابيات

الحق عاد الى محله * والشيء مرجعه لاصله
يا طالما وعد الزما * ن بعوده أعيا بمطله
حتى تحقق في أوانه * في الناس مقتدر بمثله
والسيف عند الاختبار * مرجعه يعرف فضل نصله
والدهر يظهر تارة * ويعود معتذرا لأهله
لا ريب في المرء الورى * بفعاله الحسنى وعدله
فالكل شاكر صنعه * والسامع له وصائن فضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام ثم خرج قاصدا الحاج حتى لحقه بالعلا ودخل المدينة الشريفة وتلقاه عسكرها وقرئ المرسوم السلطاني بحضرة الحجرة الشريفة كما قرئ بها أولا ثم دخل مكة سابع ذي الحجة ختام سنة خمس وتسعين وألف وذكر في الخلاصة أيضا عند ذكر آخر ولاية الشريف سعيد بن بركات في ضمن ترجمته أيضا ان الشريف سعيدا عرض لما خراب الحجاز وطلب عسكر الاصلاح وكان هو وعمه عمرو ينتظران الجواب فلما كان سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد الى أحمد باشا صاحب جدة وكان بالابطح ببستان الوزير عثمان حميدان واستمر عنده الى جانب كبير من الليل ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهبا الى السيد غالب بن زامل وكان نازلا بذي طوى فلما جاوزا الحجون اذا هم برجل على ذلول فاستخبره من أي العرب فقال من بني عمرو فقال له الشريف سعيد أمعك كتاب من يحيى بن بركات وهو أخو الشريف سعيد فقال لا وكان الشريف يحيى قد ذهب لزواة الخيف التي ... فأمر بضربه وهدده بالقتل فأقر بانه رسول من الشريف أحمد بن زيد الى السيد أحمد بن غالب وانه ذهب متوليا مكة ولحق الحاج الشامي في العلا ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر الشهر الى بيت عمه السيد عمرو واستدعى السيد غالب بن زامل والسيد ناصر بن أحمد الحارث والسيد عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وتشاور في اظهار هذا الامر

الامين بنيتا في سنة ثمانين ومائتين وما بقي لتينك الدارين أثر الآن والذي يظهر ان داري زبيدة كانت احداهما في الجانب الشامي في
مكان رباط الخوزي الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليماني من تلك الزيادة وهي رباط رامشت الذي يعرف الآن
برباط ناظر الخاص فأدخلت هذه الساحة التي بين الدارين في المسجد الحرام وأدخل البابان يعني باب الخياطين وباب بني جمح
بحيث دخلا في المسجد الحرام وجعل عرض البابين بابا كبيرا هو المسمى بباب ابراهيم فتمت هذه الزيادة (قال الحافظ نجم
الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى) في حوادث سنة ست وثلاثمائة من كتابه اتحاف الورى باخبار أم القرى وفيها زاد قاضي مكة
يومئذ محمد بن موسى في الجانب الغربي قطعة عند باب الخياطين وباب بني جمح وهي المروج التي كانت بين داري
زبيدة أم الامين وجعل ذلك مسجدا أوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين التي في ازاء جدار المسجد الكبير الى العتبة التي عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعا الا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها اليماني وذلك من جدار رباط الخوزي الى جدار رباط رامشت الآن وخمسون ذراعا وربع ذراع وفي هذه الزيادة في جانبها الشرقي المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على أساطين مغروزة من الحجارة وكذلك في جانبها الشمالي والذي في جانبها الغربي رواق وفي جانبها الشامي سبيل وسط رواقيه وكانت بهذه الزيادة منارة ذكرها الفاسي في شفاء الغرام » قلت أما المنارة فلا أدري من بناها ولا متى هدمت وأما السبيل فكان
موجودا الى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية وأعيد بناؤه سبيلا كما كان وهذه الزيادة
الثانية وقعت في أيام المقتدر العباسي رحمه الله تعالى » (ومن جملة محاسن المقتدر أيضا) انه أبطل من دواوينه استخدام أهل الذمة
من اليهود والنصارى وأبطل تصرفهم في الاموال السلطانية وأعاد الامر بتوريث ذوي الارحام في سائر ممالك الاسلام
وأتلف كثيرا من الاموال وأفرغ خزائن بيت المال وباع كثيرا من الضياع حتى أرضى الجند بإعطائهم وكان يفرق كل
عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس كذا ذكره الجمال يوسف بن تغري بردي في تاريخه مورد
اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة » وقال أبو المحاسن يوسف سبط ابن الجوزي رحمهما الله تعالى كان المقتدر يصرف في طريق

كيف يكون فاتفق الامر على ان يرسلوا الى السيد مساعد بن الشريف سعد بن زيد وأرسلوا له السيد
عبد الله بن هاشم فأتى به فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى الجماعة مجتمعين جلس معهم وقال
الشريف سعيد يا سيد مساعد لم أرسل اليك في هذا الوقت الا قصدي أن أودعك أهلي وان عمك
الشريف أحمد تولى مكة وانك تقوم مقامه حتى يصل وأرسل الشريف سعيد الى آغاوات العسكر
وقال لهم ان الامر للسيد أحمد بن زيد فاخدموا سيدكم وخرج الشريف سعيد تلك الليلة الى الوادي
وأقام به حتى سافر الحج المصري فذهب معه الى مصر وفي تاريخ السنجاري انه في صبح الليلة التي
سافر فيها الشريف سعيد انعقد مجلس في المسجد خلف مقام الحنفي وحضره أكابر الاشراف
وصاحب جدة والقاضي والمفتي والعلماء ووجوه الناس وأمير السيد مساعد بن سعد بن زيد نائبا
عن عمه الشريف أحمد بن زيد ونودي له في البلد وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي
القعدة سنة خمس وتسعين ثم توجه الشريف سعيد بن بركات الى مصر وتوفي بها أما أخوه السيد
يحيى بن بركات فتوجه الى الشام وسيأتي ذكر ولايته امارة الحج الشامي ثم ولايته شرافة مكة وفي
ثاني ذي الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لكبار الاشراف مضمونها التطمين والترغيب
والوصية على البلد الى حضوره وخرج الناس الى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد فوصل يوم
السابع من ذي الحجة ودخل مكة في موكب أعظم وكادت الناس ان تقتتل من الزحام وجلس
للتهنئة ومدحته الشعراء بقصائد وفرح الناس به وحج بالناس ثم نشر لواء العدل والانصاف فحصل له
في القلوب هيبة وأمنت الطرق واستقر الناس واستمرت ولايته الى سنة تسع وتسعين وألف

(ذكر قضية الشيخ تاج الدين القلعي سنة ١٠٩٧)

وفي أيامه كانت قضية الشيخ تاج الدين القلعي مع أحمد باشا صاحب جدة وشيخ الحرم المكي وملخصها
انه في يوم الاحد خامس عشر ربيع الثاني سنة سبع وتسعين وألف واتفق أن كانت نوبة الامامة لصلاة
الصبح في مقام الحنفي عند الشيخ تاج الدين ابن الشيخ عبد المحسن القلعي فتأخر قليلا فصلى بالناس
بعض المجاورين فلما أتم الصلاة سأل أحمد باشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذي تأخر عن الحضور
فأخبر به فدعاه الى مدرسة الداودية ثم أمر بضربه فلما سمع بذلك بعض الائمة أنفت
نفوسهم فاجتمع منهم جماعة مع بعض أئمة الشافعية وهو الشيخ علي العصامي وكان أكبر الجماعة
وذهبوا الى مولانا الشريف أحمد بن زيد وعرفوه ما وقع وقالوا انه ان جرم التأخير لعذر لا يوجب هذه
الاهانة وطلبوا منه ان ينصفهم من هذه المظلمة بما هذا القدر فاجاب لا طاقة لي بذلك ثم على
فرض كون الامام أتى جرما لا يوصل به الى هذه الحالة فقال مولانا الشريف انا لا أرضى بهذا الذي

مكة والحرمين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار • وقال الحافظ السيوطي كان النساء غلبن على المقتدر فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود • وكان مبلغ النفقة على بيمارستان أم المقتدر في كل عام سبعة آلاف دينار وانه ختن خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار (وقدمت رسل ملك الروم) بهدايا لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح الكامل سماطين من باب الشماسية الى دار الخلافة ببغداد غير الرسل يمرون في هذه المسافة وأقام بعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي علقت على دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت في الارض اثنين وعشرين ألف بساط وفي الحضرة مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وغير ذلك • ورأى الجمال يوسف افرى بردى من جملة الزينة شجرة صيغت من الذهب والفضة والجواهر تشتمل على ثمانية عشر غصنا أوراقها من الذهب والفضة وأغصانها تتمايل بحركات مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فتسمع لكل طير صفير منفرد وصفير خاص وهذا يعدونه من الدولة العباسية وضعفها فكيف كان زينتها في أيام قوة دولتهم وكمال وسعها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤون ولا تحوله الاحوال وهو الله   ربي الكبير المتعال له الملك وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثيل كون الاكوان وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا تعالى شأنه وعلا سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا • (فصل وأول ما ظهر من الوهن للخلافة) • في أيام المقتدر ظهور الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين وينسبون الى مولانا محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويرون ضلال كافة المسلمين وأول خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر سماها دار الهجرة أراد نقل الحج

دونكم ولكن اكتبوا سؤالا وخذوا عليه خط المفتي ونأخذ لكم المصحف بعد ذلك بالوجه الشرعي فكتبوا السؤال فأجابهم المفتي الشيخ عبد الله عتاقي زاده بانه يجب تعزير من أهان أهل العلم وطلع جماعة منهم لمولانا الشريف أحمد وأشرفوه على الجواب فأمر بالاجتماع عند القاضي واقامة الدعوى على الباشا الذي ضرب الشيخ تاج الدين فاجتمعوا وحضر الباشا عند القاضي بعد الطلب وأقيمت الدعوى فحكم القاضي على الباشا شيخ الحرم بما يوجبه جواب السؤال ثم اصطلحوا في المجلس وخرج شيخ الحرم وأخذه معه الى بيته الشيخ تاج الدين القلعي وأرضاه بما طابت به نفسه وحقد شيخ الحرم في نفسه على المفتي لاجل هذه الفتوى ثم بعد مدة أتى الى الباشا ان المفتي الافندي عبد الله عتاقي أحدث مرحاضا في سبيل السلطان مراد فجعله في جدار المسجد فأرسل جماعة يشرفون على ذلك فرجعوا اليه بعد الاشراف وأخبروه بانه قديم من ابتداء الاصل فقام بنفسه وذهب الى دار المفتي وسأله عن المرحاض فقال له انه قديم وليس مما أحدثته فسبه وضربه الى ان أدماه ورماه على الارض وداسه برجله وخرج فتلاه المفتي وقصد منزل مولانا الشريف وعليه دمه فغضب مولانا الشريف لذلك غضبا شديدا وحصل اضطراب في البلد وأخذ الناس حمية وأنفة مما حصل للمفتي وعزل السوق فخاف الباشا فدخل عند القاضي فأرسل مولانا الشريف للقاضي ان يحفظه عن الفرار وأمر شيخ الفراشين أن يدعو الفقهاء ووجوه الناس للقيام بهذا الشأن فمشت العامة الى بيت القاضي ووجدوا القاضي والباشا في المسجد ثم جاء الوزير عثمان حميدان وأخذ الباشا وخرج به من الباب الذي من جهة باب الزيادة وأدخله منزله بسويقة والناس تتبعه بالرجم بالحجارة ثم اجتمعوا عند القاضي وألزموه باحضار الباشا لتقام الدعوى عليه وامتنع من الحضور فقالت الفقهاء انه خان الشرع وحكموا بارتداده وكفره لاهانته الشرع وضربه للمفتي وأخذوا بذلك حجة وطلعوا بها لمولانا الشريف فأخذها منهم ولم يؤذن في هذا اليوم لصلاة الظهر لهذه الحادثة غير ان الائمة صلوا وقامت الجماعة ثم نادى المنادي من مولانا الشريف بالامان وبعد صلاة العشاء أخذ الوزير عثمان حميدان الباشا وأطلعه لمولانا الشريف فلامه على فعله فلم يجد جوابا وطلب مولانا الشريف المفتي فجاء بعد الامتناع وجلس معتزلا عن الباشا ولم يجتمع به واجتمع بمولانا الشريف واعتذر له وقال له أما تنظر ما وقع لهذا الباشا من هذه الهيصة وقد جاء متعذرا ثم بعد يومين أو ثلاثة توجه الباشا مسافرا الى جدة وكتب الافندي عتاقي زاده المفتي الى من يعتمد عليه في اسلامبول وكذلك كتب مولانا الشريف أحمد بما وقع فجاءت المراسيم من السلطنة بعزل الباشا المذكور

بالبيها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفك دماء المؤمنين الى ان اشتد بهم الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم في أواخر عام سبع عشرة وثلثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد دهمهم أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا عليهم بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين مجردين في احرامهم الى ان قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها وأزقتها ثلاثين ألف انسان وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وكان أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده وهو سكران فصفر بفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج يلوذون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى ان قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف محرم

ولم يقطع طوافه على بن بابويه وجعل يقول

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

والسيوف تنفذه الى ان سقط ميتا رحمه الله تعالى وملئت بالشهداء بئر زمزم ومع كذا من آبار وحفر قد ملئت منهم وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول أنا بالله وبالله أنا بخلق الخلق وبفنيهم أنا وصاح في الحجاج يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الأمن وقد فعلنا ما فعلنا فأخذ رجل بلجام فرسه فقال وقد استسلم للقتل ليس معنى الآية ما ذكرت وانما معناه ومن دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت اليه وسلمه الله تعالى ببركة بذل نفسه في سبيل الله والرد على ذلك الكافر أخزاه الله وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فأطلع قرمطيا يقلعه فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فأطلع آخر فرمي ميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه فهاب الثالث عن الاقدام على القلع فمضى أبو طاهر وتركه على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي زعم انه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أمير حاج بخارى والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودي الهروي أخذته السيوف وهو متعلق بيده بحلقة باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب بيت الله تعالى وأخوه امام الفقهاء الحنفية أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بابويه الصوفي والشيخ محمد بن خالد زيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج

وفي سنة سبع وتسعين أيضا غزا مولانا الشريف أحمد وقصد جهة الشرق وخرج من مكة ثاني شهر ربيع الثاني في جيش عظيم وجعل نحو خمسمائة أمير وأطاعته القبائل وكافة العربان منقادون له وأذعنوا بالطاعة قال السنجاري ولم يزل مولانا الشريف يتنقل في تلك الرحاب ويتلقى ما يؤخذ من نهب الاعراب الى ان وصل الى المدينة المشرفة يوم الخميس سادس عشر شوال من السنة المذكورة فخرج لملاقاته أهل المدينة واستمر الى العصر ثم سار لزيارة السيد حمزة سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه وبات هنالك ثم دخل المدينة يوم الجمعة واتفق انه في ذلك اليوم ورد قاصد من الروم معه خلعة وسيف لمولانا الشريف وقفطان لشيخ الحرم المدني فلبس مولانا الشريف الخلعة في الروضة وألبس أيضا شيخ الحرم قفطانه واستمر سيدنا الشريف بالمدينة الى ان توجه الى مكة ثاني عشر ذي القعدة ودخل مكة هلال ذي الحجة محرما فطاف وسعى بالليل ثم عاد الى الزاهر ودخل في الصبح في الآلاي أعظم وفي شهر المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل الاختلاف والتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن غالب فخرج السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضبا في شهر صفر ومعه جماعة من الاشراف ثم في شهر ربيع توجه السيد أحمد بن غالب الى جهة الشام وفي أواخر ربيع الثاني مرض مولانا الشريف أحمد وجاءته حمى واستمر مريضا نحو خمسة عشر يوما ثم توفي الى رحمة الله يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى وقت الضحى وكتم موته ابن أخيه الشريف سعيد الى بعد صلاة الظهر وكان مولانا الشريف سعيد هذا ابن مولانا الشريف سعد بن زيد متربيا عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد يخصه بمزيد محبته الجاري من خلائقه وربما أمره بالجلوس في ديوان نيابة في مدة توعكه

•(الولاية الاولى للشريف سعيد بن سعد ١٠٩٩)•

فلما توفي مولانا الشريف أحمد جلس مولانا الشريف سعيد في الديوان العام وبعث الى الوزير وكبار العسكر فتكلم معهم في المكاتبة فأذعنوا له وطلبوا الى قاضي الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء واتفق رأيهم على اقامة المذكور مقام عمه وأحضروا الخلعة وطلعوا بها الى دار السعادة وألبسوه اياها واستقر الحال على أحسن ما يكون وأخرجوا الجنازة وقت العصر فصلوا عليه ودفنوه بالمعلى على والده فكانت مدة دولته أربع سنين الا ثلاثة أيام ومولده سنة اثنتين وخمسين وألف فعمره سبع وأربعون سنة وأسف الناس عليه وحزنوا لموته ورثاه الشعراء بقصائد ومولد الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف وسافر والده من مكة وهو عند مراضعه وعمدة الولاية الاولى من ولايته أنه شرافه بمكة وفرق يوم السبت على العسكر جوامكهم وزاد من أراد زيادته وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد ثقبة بن قتادة وكتب الى ابن عمه السيد عبد

من أهل خراسان والمغاربة ونهبت أموالهم وسبيت ذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهلها الا من اختفى في الجبال
ومن هرب من مكة يومئذ فانشبها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي رهمان ونهبت القرامطة من داره
وأثاثه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور مكة الى ان صار الباقي ممن
نجا من تلك الواقعة فقراء يتسولون ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا عدد يسير فازوا بأنفسهم وحجوا وأتموا حجهم
خوفا من البدو أمام وأعراجهم مستخفين نامونه وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة
وحليها وما نهبه من أموال الحجاج قسمها بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم
صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وعلى سائر أنبياء الله ورسله الكرام فلم يظفر به لأن سدنة الكعبة أخفوه ونجوا به في شعاب مكة وتألموا لذلك فاستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ذلك العام وصار ينشد فيه بقول قاتله الله ولعنه وأخزاه

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر ميزاب الكعبة وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام ثم انصرف الى بلده هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذي بناه في دار الهجرة وعلقه هو
في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد وبقي موضع الحجر الاسود خاليا يضع الناس أيديهم فيه
ويتبركون بمحله وأمر هذا الفاجر أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أول ظهوره وقيام عبيد الله
المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك تمتنع الى ما ركبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام
الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحاج والمعتمرين ثم تعديت وتجرأت على بيت الله
تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح بها عباده وحملته الى أرضك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك

الحسن والى أخيه ابن المرحوم الشريف أحمد بن زيد يخبرهم بذلك وكان بينبع فأمرهم بالمقام هنالك
لمحافظة ما بأيديهم وعامله من مكة الاشراف بالسمع والطاعة وزينت البلد ثلاثة أيام وفي جمادى
الثانية يوم السادس منه ورد قابجي بخبر خلع السلطان محمد بن ابراهيم وتولية أخيه السلطان سليمان
ابن ابراهيم ومعه مرسوم باسم الشريف أحمد بن زيد وقفطان مضمون المرسوم الانعام على
الشريف أحمد بحماية الحرمين الشريفين على ما كانت عليه أوائله فحضر الشريف سعيد بالحطيم
والقاضي والمفتي وأعيان الناس وقرؤا المرسوم ولبس الشريف سعيد القفطان وخلع على الناس
ثم جلس في بيته للتهنئة وفي الرابع عشر من الشهر ورد السيد عبد المحسن بن الشريف أحمد بن زيد
من ينبع ومعه السيد مساعد بن سعد بن زيد وجلسا للعزاء وفي الثالث والعشرين من الشهر
المذكور كتب الشريف سعيد عرضا لصاحب مصر يطلب التقرير له على شرافة مكة وبلغه ان
الفقهاء يتكلمون فيما لا يعنيهم فبعث اليهم ان يلزموا منازلهم ويحفظوا ألسنتهم بعد التهديد
لمحصهم عن ذلك القائد أحمد بن جوهر وفي غرة شعبان جاء الخبر بأن السيد أحمد بن غالب اعترض
المكاتيب والعرض الذي أرسله الشريف سعيد وأخذه في ينبع ممن كان معه وكان مرسلا مع الشيخ
محمد المنوفي ثم كتب الشريف سعيد عرضا آخر عليه خطوط العلماء عرفهم بواقعة الحال وما جرى
من السيد أحمد بن غالب وبعثه من جهة الشام وكان الشريف أحمد بن غالب مقيما بينبع وبعث الى
صاحب مصر يطلب ولاية مكة وبذل لصاحب مصر مالا يقال انه مائة كيس وكان بمصر مال
يجمع للفقراء من أهل مكة من باقي الحب نحو خمسة وسبعين ألف قرش فقام ابراهيم بيك
القاسمي أمير الحاج المصري ويوسف أغا وكيل صاحب مكة وأعطيا الباشا ذلك من قبل السيد
أحمد بن غالب وقاما في توليته فكتب وردت اليهما منه وتصالحا على ذلك وأخذا بعضا من المال
واستخرجوا أمرا من الباشا بولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فاتفق الامر مع بعض أعوان
الباشا وبعثوا به الى صاحب جدة فوجهه أمر لصاحب جدة في تنفيذ ذلك وأرسل صاحب مصر الى
أبواب السلطنة يطلب الولاية للشريف أحمد بن غالب فلما كان ليلة الرابع عشر من رمضان ورد
من صاحب جدة قاصد الى قاضي الشرع وأغاة الانكشارية يعرفهم بأن صاحب السعادة صاحب
مصر وجاءه منه أمر بأن مكة قد تولاها السيد أحمد بن غالب وقد بعث الينا السيد أحمد بعض
أشراف وانهم واصلون اليكم مع تسلم مولانا الشريف أحمد بن غالب وهو مولانا السيد محمد بن
مساعد بن مسعود بن حسن فطلع مولانا القاضي الى مولانا الشريف سعيد وأخبره بذلك فما
أجاب الا بالتصميم على القتال وانه لا يسلم مكة بأمر باشة وعلى فرض ذلك فكان وصوله اليك

الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر القرمطي وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم أكثر من عشرين سنة يستجلبون به الناس اليهم طمعا ان يتحول الحج الى بلادهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه أعلام صاحب الاسلام وأشد وهنا في الدين من أولئك الفجرة اللئام ذابت لهما أكباد العباد وعمت فتنتهما الحاضر والباد الى أن رمى الله تعالى تلك الطائفة الفاجرة وفرقت كل ممزق بيد الله القاهرة وابتلى أبو طاهر الخبيث بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد (١١١) وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحاج جعلهم الى بلدهم ردوا الحجر الاسود الى محله فورد سنبر بن الحسن القرمطي الى مكة في يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه أمير مكة وقد حضر أيضا أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي فأظهر سنبر الحجر من سفط وعليه ضبات من فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت فيه بعد قلعه وأحضر معه جصا يشد به فوضع سنبر بن الحسن الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقيل أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم من حج في تلك السنة محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسي وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون جملا وكانت مدة استقراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي راسل أحمد بن سعيد القرمطي أخا طاهر بخمسين ألف ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بجكم التركي مدبر الخلافة خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القصة رأيناها متناقضة وهذا أصح ما روي فيها فاعتمدناه فعض عليه بالنواجذ ثم

هو الواجب لا الى صاحب جدة وفي تاريخ الرضي ان الشريف سعيدا قال للقاضي ان كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فليأتوا به ونحن متبعون للأمر السلطاني وان كان ليس بأمر سلطاني فحكم الباشا على مصر وسعيد دائما يعزل فيه ويولي من شاء وما دون مكة الا الشريف فقال له القاضي يا مولانا هذا وزير مصر يعزل ويولي فكذبه صريحا فقال يعزل ويولي متى شاء فلما سمع القاضي كلامه بعث الى صاحب جدة يحذره عاقبة الامر فلم يجبه وأجابه بأنا ما بينا السيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان وانه طالع الى مكة مع قائم مقام المذكور السيد مساعد فلما بلغ مولانا الشريف سعيدا ذلك تأهب للقتال وجمع عبيد ذوي زيد وكلم العسكر فظهر له اضطرابهم وبعث نحو عشرين نفرا من عبيده الى نحو جدة فجاءه النذير بأن صاحب جدة وصل هو وبعض الاشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب ونزلوا الركاني بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة وان جماعة الشريف سعيد جهزوا وقالوا له لا تدخل مكة فان مولانا الشريف سعيدا غير مسلم للبلد بدون قتال أو أمر سلطاني فقال لهم انه لابد من دخول مكة ثم جاء للشريف سعيد كتاب فأمر به من قاضي مكة لصاحب جدة بأمر الله تحول وتخبره بانه اتصل اليه أخبارات العسكر فوقف الكتاب وزاد في الحرز وحفظ الطرقات وأقام عسكرا ببابه محافظين وأقام آخرين في بعض البيوت التي على الطريق ثم ظهر للشريف سعيد ان شيخ عسكره موافق للشريف أحمد بن غالب وانه بعث الى صاحب جدة يأمره بالطلوع وانه عازم على تثبيط العسكر فأمر بقتله فقتل وفي أواخر رمضان ورد الخبر بقدوم الشريف أحمد بن غالب الى مكة فاشتد الضغط وفي التاسع والعشرين من رمضان وصل المذكور النوارية وهل هلال العيد ليلة الخميس والناس في أعلى درجات الشدة وجلس مولانا الشريف سعيد لرؤيته الى مدة في الليل وهو في غاية التحفظ من كل الجهات ولم يحضر في الصبح صلاة العيد وعيد الشريف أحمد بن غالب في النوارية ومد لجماعته سماطا عظيما وترددت الرسل بينه وبين الشريف سعيد وكل يثني صاحبه عن القتال ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العسكر وجاء جماعة من الاشراف للشريف سعيد وأخبروه بان الامر قد خرج عنه وأظهروا له التخلي عنه بالكلية حتى أخوه وابن عمه فلما رأى اختلال الامر وكل الامر الى الله تعالى وأودع طوارفه السيد أحمد بن سعيد بن شبير وسار متوجها الى الطائف فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي صبيحة يوم الجمعة ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف في آلاي أعظم من الجون لابسا خلعته الباشوية ومعه جميع الاشراف ونزل داره بيت الشريف محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي وكان قد اشتراها من السيد محمد بن زيد وجلس للتهنئة وحقن الله الدماء وامتدحه الشعراء بقصائد وعزل

كثيرا من أهل المناصب وولى غيرهم

(ولاية الشريف أحمد بن غالب سنة ١٠٩٩)

وفي شهر القعدة جاء المرسوم السلطاني مضمونه ان صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا رفع الى الابواب السلطانية انه بعد وفاة الشريف أحمد بن زيد يستحق الشرافة الشريف أحمد بن غالب وان الاشراف راضون به فحصل من السلطنة الانعام عليه بذلك فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الشريف أحمد القفطان الوارد وجلس للتهنئة وزينت البلد ثلاثة أيام ولما جاء الحج خرج لملاقاته على العادة وحج بالناس وبعد سفر الحاج جاء الخبر أن الشريف سعيدا توجه مع الحج الشامي الى جهة والده وجده ومولانا الشريف أحمد بن غالب قاصدا الى الروم أوائل سنة ألف ومائة بهدية سنية وجاءه الجواب بالقبول في شوال مع مرسوم وخلعة فقرئ المرسوم بالحطيم وفتحت الكعبة للدعاء على المعتاد ولبس الخلعة وفي سنة واحد ومائة وألف في أوائل المحرم تشاور الشريف احمد بن غالب مع جماعة من الاشراف ذوي زيد فخرجوا من مكة مغاضبين له ولم يبق بمكة منهم الا السيد عبد المحسن ابن الشريف أحمد بن زيد ووصلوا الى ينبع واستمالوا العرب واتفقوا على تولية الشريف محسن بن الحسين بن زيد ونادوا له بشرافة مكة في ينبع وأخذوا ستمائة اردب حب كانت هناك للشريف أحمد ابن غالب وكتبوا الى صاحب مصر يعرفونه باخراج الشريف احمد لهم من مكة وخرج جماعة من الاشراف من ذوي عبد الله وأخذوا القنفذة ومنعوا الزيادة وانقطع طريق اليمن وكثر القطاع في درب جدة وكثرت السرقة بمكة ووقع القتل بها ليلا ونهارا وكثرت الاقاويل بين العامة في ذلك وتشاجر السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر مع الشريف أحمد بن غالب وقبل ذلك تشاجره أيضا ذوو الحرث فتتابع الاشراف المتشاورون في الخروج من مكة واجتمعوا على السيد احمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر ونزلوا الحسينية وأراد الشريف احمد بن غالب الركوب عليهم فلم يتيسر له ذلك ثم جاءه الخبر بالمناداة في جدة للشريف محسن بن الحسين بن زيد واضطرب حال الشريف وفرق العسكر في المدارس والاروقة وشعاب مكة واضطرب الناس لذلك ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضرا لصاحب جدة يسألونه عن هذا الامر ونزل به مولانا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي ومعه السيد عبد المحسن بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي ومعهم جماعة من الناس ومن أصحاب الملكات فرجعوا وأخبروا بعدم الوفاق ولم يزل الامر يتفاقم وسبب انقلاب صاحب جدة على الشريف احمد بن غالب توليته وزارة جدة لابن حميد القرشي فانه ورد جدة وجعل يناقض الباشا في كل أمر الى أن تكدر خاطره بعد صفائه فرجع لفساده بعد وفائه ثم جاء الخبر من

الطائف

ان الحجبة خافوا على الحجر الاسود من استطالة يد من اليه لعدم استحكام ثباته فقلعوه وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا عمن أراده بسوء ثم أمر باحضار صانع فصنع له طوقا من فضة زنته ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا اثباته في محله كما كان ذلك قديما كله والى الآن أيضا كذلك • وكان قلع الحجر الاسود في أيام المقتدر ثم وقع بينه وبين مؤنس حرب فقتل في المعركة ضربه واحد من البربر من خلفه فسقط الى الارض فقال لضاربه ويحك أنا الخليفة فقال له أنت المطلوب وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف العورة الى أن ستر بالحشيش ثم حفر له مكانا ودفن فيه وعفي أثره فسبحان المعز المذل السميع البصير

له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير وكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة الا أياما وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وولي أخوه مكانه أبو منصور محمد بن المعتضد ولقب القاهر بالله وتهور القاهر المذكور وسمل عينيه وجاؤا بأبي العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبوه الراضي بالله وبايعوه في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وصار خليفة الى أن مات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وبويع لاخيه أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بعده ولقب المتقي لله وقبض عليه توزون التركي وسمل عينيه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وبويع بعده لابن عمه أبي القاسم عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد ولقب المستكفي بالله واستمر في خلافته سنة واحدة وأمسكه معز الدولة ابن بويه وسمل عينيه وضمه الى المتقي بالله والقاهر بالله وصار الثلاثة في العمى • وولي الخلافة الفضل ابن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع له بالخلافة في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة • وكان رد الحجر الاسود الى مكانه من البيت الشريف في أيام المطيع لله كما تقدم وتم أمره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلاء بني بويه على الملك وطالت أيامه الى أن خلع نفسه وبويع لولده أبي بكر عبد الكريم في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ولقب الطائع لله وكان مغلوبا عليه من قبل امرائه وما كان له الا الخطبة فقط لا غير [illegible] في سنة تسع وستين وثلثمائة رسول العزيز بالله بن المعز العبيدي صاحب مصر الى بغداد وسأله عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ متغلب بالسلطنة من الطائع وبيده أمر المملكة ان يزيد في ألقابه ويقال له تاج الملة ويجدد

عليه الطائع ويلبسه التاج فأجابه الى ذلك فجلس الطائع على سرير عال وأوقف حوله مائة بسيف مسلول وبين يديه مصحف عثمان
رضي الله عنه وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيف النبي صلى الله
عليه وسلم وكان ذلك جميعه كان في خزائن الخلفاء يحملونه مواكبهم العامة واحتجب بستارة عالية حتى لا يقع عليه نظر احد قبل رفع
الستارة وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقف أرباب المراتب صفين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل الارض
وادخل رسول العزيز صاحب مصر فارتاع وأهاله ما رأى فقال لعضد الدولة هذا هو الله فقال له هذا خليفة الله في أرضه ثم استمر
يمشي ويقبل الارض سبع مرات التفت الطائع الى خادمه المقرب عنده واسمه خالص وقال له استدنه فقربه
الى رجل السرير وقبل
رجله ثم ان الطائع وضع يده على
رأس عضد الدولة وأمره
أن يجلس على كرسي
وضع له قريبا من السرير
فاستعفى عضد الدولة من
ذلك فأقسم عليه ليجلس
فقبل الكرسي ثم جلس
عليه فلما استقر جالسا
قال له الطائع قد فوضت
اليك ما كان الله تعالى
فوضه الي من أمور الرعية
في شرق الارض وغربها
فقال يعينني الله تعالى على
طاعة أمير المؤمنين وقبل
الارض فأمر أن يفاض
عليه سبع خلع فأفيضت
عليه وهو يقبل الارض
في كل واحدة وانصرف
الناس خلفه وقد أهالهم
ما رأوه واستعظموا
ما شاهدوه وما كانت هذه
العظمة الا صورة تابعة
لكون السلطنة حقيقتها
لاحد وقوتها واهية وان
السلطنة لما آلت الى أبي
النصر بن بويه ركب الطائع

اليه وخلع عليه سبع خلع وطوقه بطوق من جوهر وسوره بسوارين ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة في سنة
تسع وسبعين وثلثمائة ثم في سنة احدى وثمانين وثلثمائة جاء بهاء الدولة الى الطائع وقبل الارض بين يديه وجلس على الكرسي
وأمر خدامه من الديلم فجذبوا الطائع من سريره ولفوه في كساء وأمر بهاء الدولة ان يخلع نفسه ففعل ﴿وأتي بأبي العباس أحمد
ابن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله﴾ وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان من ذلك العام وكان على غاية من الديانة
والعبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وأمر ان يقرأ في كل جمعة في حلق أصحاب الحديث بحضرة الناس
وعده ابن الصلاح في علماء الشافعية وذكره في طبقاتهم وكانت مدة خلافته احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر

الطائف بأن السيد محسن بن أحمد الحرث نادى في الطائف للشريف محسن بن الحسين بن زيد
وبدأت الاشراف الذين مع السيد أحمد بن سعيد الى البلد وأخذوا بلاد الشريف أحمد بن غالب
نحو خمسمائة ناقة من السعدية ولم يزل مولانا الشريف في الحرز وأمر عسكر اليمن بالاقامة في
الاروقة التي خارج المسجد بالليل والنهار وفي عشرين من جمادى الثانية خرج من مكة السيد محمد بن
حمود مغاضبا أيضا ونزل العابدية ثم كتب أهل مكة عرضا الى صاحب مصر والى أبواب السلطنة
ويشكون فيه ما وقع من صاحب جدة وأكثروا فيه من التشنيع عليه وفي سادس رجب عقدوا
مجلسا في الحطيم حضره جماعة من الاشراف والعلماء والقاضي فقال مولانا الشريف اشكو
للقاضي ما وقع من صاحب جدة في حقه وانه كان سبب تفرق الكلمة وتحامل الاشراف عليه وقد
انقطعت السبل وقد نادى في جدة للشريف محسن بن حسين بن زيد من غير أمر السلطنة وان
مطلوبي ان تكتبوا لي حجة في تحرير مقالته لئلا تقوم على السلطنة فقال له كبير أغا مردار العسكر
يا شريف انتم تحافظون لمكة تذودون عنها العدو وتقاتل حتى تقتل وأما الاشراف فهم بنو عمك
لا تدخل بينكم وأما الباشا فتسأله عما فعل وانه لا يفعل شيأ من ذاته في بلد السلطان فاتفق الامر على
ان يرسلوا الى صاحب جدة رسولا من القاضي والمفتي الحاضر عن جماعة ظاهرة فأرسل القاضي
رسولا الى صاحب جدة فعاد بلا مراد وفي هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع الى جهة الشبيكة
وبعضها الى جهة المعلى وبعضها الى جهة بركة ماجن من جهة اليمن في كل جهة مدفعان وفي ثامن
عشر رجب جاء الخبر ان الشريف محسن بن حسين بن زيد ومن معه نزلوا الزاهر وان السيد أحمد بن
سعيد بن مبارك بن شنبر في أول النوم وأطلق المنجنيق سبع مدافع فنزل الزاهر فركب من بقي مع
الشريف أحمد من الاشراف وغيرهم وخرجوا الى جرول ومعهم بيرق عسكر اليمن وأخرج الى جهة
المعلى جماعة من العسكر وجماعة الى جهة الشبيكة والشريف أحمد بن غالب في بيته وفي يوم السبت
تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن زيد جماعة من الاشراف فدخلوا مكة
وقصدوا القاضي بالشرع واستدعوا رؤس البلكات وأظهروا صورة بيوردي باشوي وطلبوا من
القاضي تسجيله فامتنع وحضر بولاية الشريف محسن وطلب القاضي نفس البيوردي الباشوي
وثارت الانكشارية لعدم تنفيذ البيوردي الوارد ورقم من الباشا وهجموا على القاضي وأعانهم
العامة لما لحقهم من التعب فهرب القاضي من سطح المدرسة فلم يجدوه فنهبوا ما وجدوه وأطلقوا
البنادق على المدرسة وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف ودخلوا المسجد ورموا في وسط الحرم
وتناردوا ساعة ودخل بعض العسكر مدرسة المفتي عبد الله افندي عتاقي زاده على أهله

وتوفى الى رحمة الله تعالى فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ﴿وولى بعده بعهد منه ولده أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بأمر الله﴾ وكان ببغداد ظاهر الفضل الا انه مغلوب بيد أمرائه وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسة وأربعين سنة وتوفى فى شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ﴿وولى بعده بعهد منه حفيده أبو القاسم عبد الله محمد بن القائم بأمر الله ولقب المقتدى بأمر الله﴾ وبويع بالخلافة يوم وفاة جده بحضرة الامام الكبير الولى الشهير مولانا أبى اسحق الشيرازى أحد أركان أئمة الشافعية رضى الله عنهم وكان ببغداد من خيار خلفاء بنى العباس دينا وعقلا ومن جملة صلاحه وبركاته ان السلطان ملك شاه من آل سلجوق كان قصد أن يحكم عليه ويظهر الحيف والجنف على الخليفة المذكور فأرسل اليه وهو يقول لابد أن تترك لى بغداد وتذهب الى أى بلد شئت فأرسل الخليفة اليه يتلطف به فى ذلك فأبى الا الشدة والغلظة فقال لرسوله اسأله المهلة فى ذلك ولو شهرا فأبى وقال ولا ساعة فأرسل الى وزيره واستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم الليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده على التراب ويناجى رب الارباب ويدعو على ملك شاه فنفذ دعاؤه وهو مظلوم نفوذ السهم المسموم فى كبد الظالم واستجاب الله دعاءه وتقبل ضراعته فهلك السلطان ملك شاه قبل مضى عشرة أيام وكفاه الله تعالى شره ومات بلا نزاع وتعد هذه كرامة للخليفة المقتدى وهذه عقبى كل ظالم معتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم فرج أتى من بعد عسر • وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا • وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما • فثق بالواحد الفرد العلى
توسل بالنبى فكل هم • يزول اذا توسل بالنبى

دلك وكذلك من قال

لا تشتغل بهموم القلب ممكنها • ولا تبيتن الا خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها • يغير الدهر من حال الى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتدى بأمر الله فى محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴿وولى بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب المستظهر بالله﴾ وبويع له بالخلافة يوم مات ابوه وكانت أمه أم ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى كتابته حفظ القرآن عالما فاضلا وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفى يوم

وعياله وأولاده واقاربه فقرصهم واستمر عندهم ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد وقتل رجل فى المسجد من الهنود وعزل السوق ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبد الله بن سعيد واجتمع بالشريف أحمد بن غالب ثم خرج من عنده وأرسل الشريف أحمد جماعة الشريف محسن بن حسين يطلب منهم أن يعينوا له رجلا يوجه اطرافه فعينوا له السيد أحمد بن سعيد وطلب مهلة عشرين يوما يجهز فيها ولما كان ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من رجب خرج الشريف أحمد ابن غالب الى الحسينية قاصدا جهة اليمن ومدة دولته سنة كاملة وتسعة أشهر وعشرون يوما

•(ولاية الشريف محسن بن الحسين سنة ١١٠١)•

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة فى آلاى أعظم والبس قفطانا كان قد ورد للشريف أحمد بن غالب فاحتبسه الشريف محسن عنده من سنة احدى ومائة وألف وجلس فى دار السعادة للتهنئة وامتدحته الشعراء وكانت ولادة الشريف محسن بعد الخمسين وألف ونشأ فى كفالة جده الشريف زيد بعد انتقال والده بعد الستين ولم يزل الى أن سافر الى الابواب مع عمه ثم انتقل قبلهم الى مصر وأقام بها الى أن رجع الى مكة مع عمه الشريف أحمد ثم خرج هذا المخرج فرجع وقد كمل بدره وبزغ فجره وعاقب بعد دخوله مكة جماعة كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن غالب فنزع مفتاح الكعبة من الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى وأعطاه لاخيه الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى وكان أصغر من أخيه الشيخ عبد الواحد ومنع مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج زمن الحج وما أخذ منه المفتاح الا بعد أن عقد عليه مجلسا أحضر فيه القاضى والعلماء وادعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد بن غالب جعلها سكة وأحضر الصواغ الذين سكوها فسألهم مولانا الشريف فقالوا سككناها بأمر مولانا الشريف أحمد فسألهم ما الذى سككتموه فقالوا السورة وعول فقامت العامة وقالت انه من ذهب قناديل الكعبة التى سكت منها الشيخ عبد الواحد وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين لذلك المجلس الى أن أخذت العامة الشيخ عبد الواحد بالايدى وقام الصخب وأخذوه من أيدى العامة وخلص به خلاصا من داره مولانا الشريف وفزع أهل الشيخ عبد الواحد الى السيد ناصر الحرث فركب وأتى الى دار مولانا الشريف وخرج به الى داره ثم ان الصبح بعث الى جدة يطلب الشيخ عبد الله بن محمد الشيبى وكان بجدة فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء أن يدعى عند القاضى بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبد الواحد بالخيانة وانه اعطى الشريف أحمد بن غالب أربعة قناديل من الكعبة وادعى عليه وأثبت

الاربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة • (وولي بعد والده أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولقب المسترشد بالله) • وبويع له بالخلافة يوم مات والده وأمه أم ولد تسمى لبابة وكان شجاعا مقداما شهما ولي الخلافة بعد ما حفظ القرآن وقرأ الحديث ونظم الشعر ومن شعره

أنا الأشقر الموعود لي في الملاحم • ومن يملك الدنيا بغير مزاحم

وكان هذا التخيل من خيالاته الفاسدة فإنه ما ملك من الدنيا إلا فناء داره وخرج إلى قتال مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي فلم يقاتل معه أحد فقاتل وحده إلى أن قتل في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة • (وولي بعده ابنه جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله) • وبويع له بالخلافة يوم قتل أبيه رحمه الله تعالى ولم تطل مدته بل قبض عليه السلطان مسعود السلجوقي وخلعه من الخلافة في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة الحرام سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه وقتله في حبسه • (وولي عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولقبه المقتفي بالله) • وبويع له يوم خلع ابن أخيه وكان عالما فاضلا حسن السيرة دمث الأخلاق شجاعا توفي يوم الأحد لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة • (وولي بعده ولده المظفر يوسف بن المقتفي ولقب المستنجد بالله) • وبويع له يوم وفاة أبيه وأمه أم ولد حبشية اسمها طاوس ويحكى أنه قبل أن يصير خليفة رأى في منامه أن ملكا نزل من السماء فكتب في كفه خمس خاآت فلما أصبح سأل بعض المعبرين عن منامه فقال إنك تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك توفي إلى رحمة الله تعالى في يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثاني سنة ست وستين وخمسمائة • (وولي بعده ابنه أبو محمد المستضيء بالله ولقب المستضيء بأمر الله) • وبويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة • (وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب الناصر لدين الله) • وبويع له بالخلافة لثمان مضين من ذي القعدة وهو اليوم الثاني من وفاة والده وفي أيام ظهور السلطان صلاح الدين بن أيوب واستخلاصه بيت المقدس من أيدي النصارى الفرنج واستيلائه على مصر وإزالة دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسي على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين منافرة بسبب لقبه بالناصر لدين الله فإن صلاح الدين تلقب

ذلك بشهود والله أعلم بهم فحكم القاضي بعزله عن هذه المكانة التي هي حجابة البيت الشريف وألبس مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الله وأعطاه المفتاح وخرج إلى بيته ثم بعد يومين حضر هو وأخوه عند مولانا الشريف فأمر كلا منهما بالعمل بحق الأخوة وأن يكونا شيئا واحدا فاصطلحا فاختصره وتعاهدا على ذلك واستمر عنده المفتاح إلى أوائل محرم سنة ثلاث ومائة وألف بزيادة سنة وخمسة أشهر إلا ثمانية أيام وهي مدة ولاية الشريف محسن فلما ولي الشريف سعيد أعاد المفتاح للشيخ عبد الواحد ثم طلب الشيخ عبد الواحد أن يكون المفتاح لابنه عبد المعطي وأفرغ ذلك له فأجيب ثم توفي ابنه عبد المعطي سنة عشرة فطلب الشيخ عبد الواحد ثانيا أن يكون لابن ابنه الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي فأجيب لذلك وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه حتى صار أوحد زمانه وفريد أقرانه واستمرت سدانته وشكرت بين أهالي مكة ووارديها أمانته وديانته إلى أن توفي وفي سابع عشر شوال ورد الأغا بخط الاستمرار للشريف ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الأمراء على المعتاد ولبس الخلعة ورجع بالناس وفي يوم النحر ظهرت كتب بأيدي السادة الأشراف وأنها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن غالب من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن ومضمونه الإنذار وطلب المواجهة وأن القصد الحكم عن قريب فاضطرب الحال وحصل للعالم قلق عظيم ثم إن مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد النزول من منى وتحاوروا في هذا الأمر فاقتضى رأيهم تعريف صاحب مصر بذلك وأمر صاحب جدة بتجهيز أموال التجار وضبطها بجدة واشتد الأمر وكثر القيل والقال ثم ظهر أن ذلك كله مختلق من مكة من بعض الأشراف وأما الشريف أحمد بن غالب فإنه توجه إلى صنعاء فأكرمه إمام صنعاء وأراد أن يرسل معه جيشا يخلص مكة له ثم مات الإمام وعاقته عوائق فمكث في اليمن وتولى الإمارة صبيا ولاقى حروبا وأمورا يطول ذكرها ثم رجع إلى الركاني كما سيأتي فكانت غيبته في اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر وفي يوم النحر الأول من هذه السنة ظفر بعض عبيد السيد أحمد بن ناصر الحارث برجلين من حرب وردا حاجين فقبضوا عليهما في المسعى وذهبوا بهما إلى سيدهم فأمر بقتلهما فقتلا على جبل أبي قبيس ولزم من ذلك أن فسخ عقده مع مولانا الشريف وخرج إلى الحسينية وبعد أيام خرج السيد أحمد بن سعد بن شنبر مغاضبا وخرج معه جماعة من الأشراف وفي أواخر ذي الحجة وقع بيد مولانا الشريف عرضحال إلى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الأشراف مضمونه عدم الرضا بالشريف المذكور فعتبهم على ذلك ولام ثم إن السيد عبد الله بن هاشم خرج مغاضبا مع السيد أحمد بن سعد بن شنبر وأخذوا الطريق على المارة وارتفعت الأسعار بسبب ذلك واشتد الأمر

بنو الفاطميون ويقال لهم العبيديون أربعة عشر خليفة أولهم عبيد الله المهدي واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينسبون الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأنكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد اسمعيل بن محمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسيا وثانيهم المنصور وثالثهم القائم ورابعهم المعز وهو الذي انتقل من بلاد المغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستمر هو ومن بعده من العبيديين بمصر الى ان كان آخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم توفي يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن أيوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر للناصر لدين الله وانقرضت دولة العبيديين وكانوا أرفاضا خبثاء ومنهم ملاحدة كالحاكم بأمر الله ويحكى عنه كفريات عجيبة وأكثر المؤرخين على نفي شرفهم والله أعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة الناصر فأحيا رسوم الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكان ذا فكرة صائبة وكانت أيامه من غرر الزمان وكان له احسان الى أهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة الشريفة تكسى الديباج الابيض في زمن المأمون الى آخر أيام الناصر فكساها الديباج الاسود كما ألبس(?) ثياب أكفانه وعزله عن مصر(?) ملكه وتغيرت(?) سادات(?) وكانت وفاته في سلخ شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة (وولي مكانه بعد موته أبو نصر محمد بن الناصر ولقب الظاهر بالله) وبويع له بالخلافة يوم مات والده بعهد منه فأظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس ورد دوى الارحام وكان له مال يكيلون الديوان بكيل زائد على ما يكيلون به للناس فأبطل الظاهر ذلك وكتب مولانا

الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال الوزير ان تفاوت الكيل يشوش على ثلاثين ألف دينار فقال ابطله ولو أنه ثلثمائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركني افعل الخير فاني لا أدري كم أعيش فلم يلبث ان وفاه الله الكيل الاوفى وأثابه على عمله الصالح ووفق فعاش حميدا ومضى سعيدا وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة (وولي بعده ولده أبو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله) وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد

ونهبت أموال من طريق جدة ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين في شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد واتفقوا على ان المكس للسادة الاشراف وقدره أربعة وعشرون ألف قرش يقطع منه الثلث ويعطيهم الثلث ويصبرون على الثلث الباقي الى ان ترد المراكب وحصل بذلك رتبة(?) وما طلبوه في تسليم الثلث الى ان ورد مكة قاصد معه قفطان بالاستقرار لمولانا الشريف فدخل مكة في الآلاي الاعظم عاشر صفر وقد نزل مولانا الشريف المسجد وحضر القاضي والمفتي والفقهاء والاشراف وقرئ المرسوم بالحطيم وألبس مولانا الشريف الخلعة وقرأ بعد ذلك أوامر منها ان تعطى السادة الاشراف ما كان لهم من غير زيادة تفرع(?) لمولانا الشريف والنحر(?) من الف قفة(?) وأمران من الوزير خطابا لجميع أصحاب الدركات بالامر بالمتابعة لمولانا الشريف وأمران من صاحب مصر أحدهما بالتعريف بمضمون الاوامر السابقة والثاني خطابا لأصحاب الدركات بالسمع والطاعة ولم تعتن السلطنة لغيره مثل ما اعتنت به في هذه المخاطبات وفي أوائل جمادى الثانية تفرقت كلمة الاشراف وخرجوا الى الطرقات وأكثروا النهب في طريق جدة وغيرها وأخذوا الصنجق من جدة واشتد الحال على الناس حتى ان الصنجق صار ما يقدر على ايصال الذخيرة من جدة الى مكة الا بعسكر وفي ثالث رجب اجتمع القاضي ومراد(?) العسكر بمولانا الشريف وأسمعوه غليظ القول حيث انهم قالوا له ان كنت عاجزا عن اصلاح البلاد فمن لهذا المنصب من يقوم به فكان عذره ان قال لهم ان الاشراف لا تقاتل بني عمها واذا أردتم الخروج بالعسكر المصري فأنا أخرج بهم فأمرهم القاضي بالخروج ومقاتلة من قاتلهم فقال كبار العسكر ان حفظ مكة ليس هذا الامر منا علينا(?) اليه ولم يزل الامر متفاقم ولا يطلع أحد من جدة الا مع عسكر والاشراف ينهبهم من جدة الى مكة ثم يرجعون بهم ولا يرد من جدة الا صحبة العسكر وارتفع السعر ثم لما كان أواخر ذي القعدة ورد الخبر بوصول الشريف سعد بن زيد المدينة متوجها الى مكة فاختبط العالم وكثر القيل والقال ثم ورد الخبر انه وصل وادي مر وأرسل رجالا الى مكة يطلب الدخول فقال الشريف محسن لا يدخل مكة الا بأمر سلطاني ان كان متوليا ثم وصل الشريف سعد الى فخ ثم انتقل الى ربع اذاخر واستمر هناك ودخل شهر الحجة وكان أمير الشامي السيد يحيى بن بركات جاء في زي الامارة وخرج له مولانا الشريف وألبسه القفطان الوارد معه على مجرى العادة وحج مولانا الشريف محسن بالناس ولم يحج الشريف سعد واستمر بربع اذاخر الى ان سافر الحج الشامي والمصري فخرجت الاشراف عن طاعة مولانا الشريف محسن وعاد الامر الى انقطاع الطرق ونهب الاموال وفي سلخ ذي الحجة جمع

والربط والمدارس وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد التي لم يرَ مثلها في مدارس الاسلام ولم يوجد في المدارس أكبر منها كتباً ولا أكثر أوقافاً منها وكان بهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الاربعة ورتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها الاثنى عشرية ووقف على ذلك ضياعاً وقرى كثيرة سردها الذهبي وغيره فرحم الله أهل الخير وأهل الاحسان ورفع الله درجاتهم في أعلى الجنان ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد واتقان المهاد وطيب الماء ولطف الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك من الاسباب وقد حكي ان أول مدرسة بنيت في الاسلام مدرسة نظام (١١٧) الملك في بغداد ثم علماء ما وراء النهر عند الخبر تحزنوا على العلم وأظهروا مزيد الحزن على سقوط حرمة العلم فسئلوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا يتطلبها الا النفوس الشريفة الفاضلة فاذا كان الشرف المادي بالمناصب الظاهرة والتحصيل عليه أجرة تطلبه النفوس الرذيلة وتحصله بسبب كسب الحطام الدنيا ويزاحمونه لاجل التحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية الفانية فيرذل العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه الاترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا تعاطته أراذل اليهود فيشرف علم الطب وهذا الحال آخر طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شأن طلاب هذه العلوم المتداولة الآن في هذا السوق الكاسد فانك ترى أكثرهم مع دأبهم في الطلب والكتابة على فنون العلم والادب يزداد كل وقت عجباً وكبراً ويتعاظم على كل أحد تيهاً وفخراً ولم يتوق من أوصاف الاخلاق الرذيلة ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيلة وقلما يتحلى أحد منهم بالاخلاق الحسنة الجميلة والمزايا الفاضلة الكاملة الجليلة وما ثمرة كسب العلوم غير التخلق بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى طيب الاصول والاعراق فالله تعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معايب ذنوبنا وينير بصر بصائرنا ويزيل عوار قلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه

قلت وحيث انجر الكلام الى ذكر نظام الملك فأذكر لك حكاية لطيفة تقابلها أصحاب الآداب وهي سلوة الحبيب ونديم اللبيب ﴿قال ذكر﴾ ان نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان أبي الفتح السلجوقي قام بالدولة أحسن قيام وشيد أركانها وأسس بنيانها ووالى

مولانا الشريف الفقهاء وأعيان الناس وأجمع رأيهم على كتابة عرض الى السلطنة يشكون حالهم وبما وقع من الاشراف وهل شهر المحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الالف ومائة فتفرقت العسكر من يد مولانا الشريف ولم يبق معه من يعول عليه ورفع اليه ان الشريف سعيدا والسيد عبد الله ابن هاشم كل منهما يطلب هذه المنزلة فطلب من صاحب جدة ان يبعث له عسكرا يكونون بالباب فجاؤا ليلة ثالث المحرم ثم طلع صاحب جدة والقاضي لمولانا الشريف وتذاكروا في هذا الامر فاقتضى الحال ان يركب الصنجق ومعه جماعة من العسكر الى سعد والشريف سعيد بالمعلاة ووصل سوق المعلى خرج في ملاقاته السيد مساعد بن سعد والسيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد وجماعة آخرون واعترضوه عند السوق فردوه ومنعوه وكرهوا أخبره وانه ان جاوز هذا الحد قتل فرجع بالليل ثم سار الى جدة ولما كان يوم السبت سادس محرم نزل مولانا الشريف سعيد الى المعلاة فقعد داره ولاذ به بعض عسكر الشريف الذين تفرقوا عنه واجتمعت عليه العامة فلما بلغ ذلك عسكر جدة طلعوا الى القاضي فاستدعى القاضي بعض الاشراف وبعض وجوه الناس وبعثوا الى الشريف سعيد يسألونه عن هذا الفعل فقال مرادي انزل داري فرجعنا وجاء الخبر الى مولانا الشريف محسن فنزل عن شرافة مكة لمولانا السيد مساعد بن سعد وجاء السيد مساعد الى القاضي لتسجيل هذا النزول فجاءهم الخبر ان مولانا الشريف سعيدا وصل المسعى فخرج مولانا الشريف محسن من دار السعادة الى منزل السيد شنبر بن قتادة ولم يزل مولانا الشريف سائرا الى ان دخل منزل أبيه والمنادي ينادي بين يديه بالبلاد وليس معه أحد غير العامة

﴿الولاية الثانية للشريف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣﴾

فلما بلغ ذلك أخاه السيد مساعد نزل عما نزل له به الشريف محسن من الملكة بحضرة القاضي والمفتي وكبار العسكر فسجل ذلك وبعث له القاضي بقفطان نيابة عن مولانا السلطان فلبسه في منزله وجلس للتهنئة ومدحته الشعراء ونودي في البلاد بالزينة سبعة أيام ولم يتخلف أحد من الاشراف فولي مكة مولانا الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن وجلس للتهنئة يوم الاحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الالف فكانت مدة ولاية الشريف محسن بن الحسين بن زيد سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وهذه الولاية الثانية للشريف سعيد وتقدمت الاولى عند موت عمه الشريف أحمد وكلاهما بغير أمر سلطاني وكتبوا الى الباشا صاحب جدة فامتنع من الدعاء له ثم روجع في ذلك مرارا ونادى له بجدة سلخ محرم ثم خرج جماعة من الاشراف مغاضبين للشريف سعيد واما الشريف محسن فانه توجه الى المدينة وأخبرهم انه خرج من مكة قهرا وانه آثر عدم القتال وان الشريف سعيدا تولاها من

الاولياء واستمال الاعداء وعم احسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان أقبل اقبالا اعظم على العلماء والصلحاء
والفقهاء وبنى المدارس العظيمة والخانقاهات العالية وأجرى الخيرات الكثيرة والكساوى الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم
والمشايخ والصوفية وغيرهم ممن يتوسم فيه الدين والصلاح وعم بذلك الاقطار من بلاد العراقين الى الحرمين الشريفين بحيث
كان يخرج من خاصته الخاصة السلطانية والخزائن الديوانية من هذه الوجوه ما ينوف عن ستمائة ألف مثقال من الذهب غير
الذى ينفقه من خاصة أمواله ومحصلات غلاله وما يدخل عليه من الهوائبات وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذى يخرجه
من أموال السلطنة فسار صيته فى الآفاق وكثر حساده ولا يخلوا السعداء من الحساد فى كل زمان كما هو مشهود
بالعيان فى كل أوان وما
وجدوا للطعن على نظام
الملك طريقا غير اسرافه
فى الاخراج من الاموال
السلطانية فى هذه الوجوه
فرشوا به الى السلطان
أبى الفتح من طرق شتى
وكرروا فى سمعه ان نظام
الملك أخرب بيت المال وان
هذه المصاريف الزائدة
التى يخرجها فى هذه
الوجوه يمكن أن يصرف
فى جمع جيش كثيف
يركز رايته فى سور
قسطنطينية وكانت يومئذ
مملكة النصارى وهى
الآن بحمد الله دار ملك
الاسلام عمرها الله تعالى
بعدالة سلطان سلاطين
الانام وحرسها بالنصر
والتأييد الى يوم القيام
وانه يأخذ بتلك الجيش
كثيرا من الممالك
والاقاليم ويتسع بها المملكة
ويكثر الخراج والاموال
فلما تكرر ذلك على سمع
السلطان أثر كلامهم فى
قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع قبله القلب وانطبع فى الطبع ولو كان واهنا واهيا قائم
فى نفس الامر فطلب نظام الملك وقال له يا أبى وكان يخاطبه بالاب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغنى أنك تخرج من بيت المال فى كل
سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغنى شيأ فبكى نظام الملك وقال يابنى أنا شيخ أعجمى لو نودى على فى السوق ما ساويت
خمسة دنانير وأنت شاب تركى لو نودى عليك عسى أن تساوى ثلاثين دينارا وقد اختارنا الله وفوض أمور عباده وبلاده اليك فلم
نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعمه الله تعالى فاستمريت أنا فى كتابتى وضبطى وأنت منهمك فى لذاتك ولهوك وأكثر ما يصعد الى
الله تعالى معاصينا دون طاعتنا وجيشك الذين أعددتهم للنوائب اذا احتشدوا عليك كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان

غير رضا الاشراف فتوقف شيخ الحرم من السيد الشريف سعيد بالمدينة وأجرى على الشريف
محسن ما يقوم به ثم جاءهم كتاب من مولانا الشريف سعيد ومعه خطوط القاضى والمفتى والعلماء
بصورة الواقعة فنادى له بالمدينة ودعا له على المنبر يوم الجمعة رابع عشر صفر وأمر القاضى
الشريف محسنا بالخروج من المدينة خوف الفتنة فخرج عنها وأرسل الشريف سعيد أخاه السيد
عبد الله بن سعد ومعه ثلاثمائة من العسكر الى القنفدة لاخراج الاشراف الذين فيها وجاء الخبر
سابع ربيع الثانى بانه التقى معهم وانتصر عليهم وقتل من الاشراف خمسة ومن العسكر كثير وانه
دخل القنفدة بعد هروب من فيها واختبطت الاشراف بمكة لذلك ثم ان الاشراف الذين أخرجوهم
من القنفدة جاؤا الى طريق جدة وأخذوا قافلة فبعث مولانا الشريف سعيد عسكرا فرصدوهم فى
الطريق وفى ليلة الاثنين الثانى من جمادى الاولى ورد قفطان ومرسوم من صاحب مصر فأدخلوه
بالالاى الى ان وصل لباب السلام ودخل الحطيم ونزل مولانا الشريف سعيد وبعض الاشراف
ووجوه أهل مكة فقرئ المرسوم ومضمونه انه وصل الينا واتصل بمسامعنا ان مولانا الشريف
محسن بن الحسين بن زيد نزل عن الشرافة للشريف سعيد وما أحسن هذا فقد فرغت فى أمرى وان
الواصل اليكم قفطان من جانبنا وأمر آخر يخاطب به العسكر المحافظين مضمونه ان يكونوا تحت أمر
مولانا الشريف والحذر من المخالفة الى ان يأتى الامر السلطانى من الابواب فلبس مولانا
الشريف سعيد القفطان الوارد وخلع على من يستوجب ذلك فى مثل ذلك اليوم وطلع داره وجلس
للتهنئة ولما كان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية ورد سلحدار مولانا الشريف سعد بن زيد
ومعه صورة أمر مولانا السلطان بتفويض أمر الاقطار الحجازية لمولانا الشريف سعد بن زيد
وخلعة سلطانية للشريف سعيد ليكون نائبا عن أبيه الشريف سعد فنزل مولانا الشريف سعيد
الى الحطيم فى جمع من الاشراف وحضر القاضى والمفتى وأكابر العساكر ووجوه الناس وقرئ الامر
الوارد ومضمونه انه لما عجز الشريف محسن عن حفظ الديار المكية أنعمنا على الشريف سعد
بولاية مكة والمدينة وضبط العربان والاشراف وحفظ الحاج وقلدناه جميع الاقطار الحجازية من
[illegible] فى ذلك الى غير ذلك من الوصايا على الفقراء وأصحاب الوظائف وأمر آخر من صاحب
مصر يخاطب فيه مولانا الشريف سعيد وقاضى الشرع وباكات العساكر مضمونه حكاية
الواقع وان مولانا السلطان أنعم بشرافة مكة لمولانا الشريف سعد قبل وصول عرضنا اليه وانه
أقام نائبا عنه بمكة مولانا الشريف سعيد الى وقت وصوله فالله الله بالطاعة وعدم المخالفة
وكتاب ثالث من مولانا الشريف سعد الى نجله ذى الشرف المنيف مضمونه التعريف بالواقع وأنه

وسهم لا يعر ومرماه وهم مع ذلك منهمكون في المعاصي والخمور والملاهي هم أحرى بنزول القهر عن نزول الفتح والنصر فاتخذت للشيخ كشفا وعسكرا مخفيا يسمى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على أقدامهم صفوفا بين يدي ربهم وأرسلوا اليه دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا أكفهم فرموا سهاما تخرق السموات والارضين وسلوا سيوفا تعمل في كل حين فلو الا تبلغ الى الحصين فاتت وجيوشك في خمارهم تعيشون وبيركاتهم تغازون وبدعائهم تنصرون فبكى السلطان أبو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش يا ابا سكتر من هذا الجنس فانه الذي لابد لنا منه وانما كان كل ذلك من امانه قابلية الخير معجونا بها أثر عنده لكنه كلام الحساد مع تكرره (١١٩) الا تأثيرا ضعيفا وزال وحال وعاد الى حب الخير الذي جبل عليه واستغفر الله تعالى مما فرط من تقصيره فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم في الدار الآخرة فقد زالوا وما زالت أخبارهم تروى وآثارهم الحسنة تتلى على ألسنة الرواة ولا تطوى ﴿عدنا الى ما كنا فيه﴾ ومن جملة خدام المستنصر بالله الامير شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري العباسي بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة في سنة احدى وأربعين وستمائة ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا وفيه محل التدريس وبه كتب وقفها أهل الخير ممن أدركناهم رحمه الله تعالى وبلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام سيدنا جبريل عليه السلام من الرخام الازرق الصافي منقور فيه بالمنبت ما صورته • بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المكان الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الامم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك في شهور سنة احدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم اه وهذا اللوح باق الى زماننا وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكتم موته وخطب بعد موته الى أن جاء الامير اقبال الشرابي الى ولده أبي أحمد بن المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة أربعين وستمائة (فبويع له ذلك اليوم ولقب المستعصم بالله) وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وبزواله زالت دولتهم من الدنيا كما نشرحه ان

قائم مقامه في الوصاية الى غير ذلك وفي أوائل جمادى الثانية رجع مولانا السيد خليل الله من القنفدة وأقام نائبا في مقامه ثم جاء الخبر بعد ان الاشراف تغلبوا على القنفدة ولم تزل الاخبار تتوارد بمجيء مولانا الشريف سعد الى أن وصل الخبر بقدومه فدخل مكة ليلا وطاف وسعى ورجع الى الزاهر ودخل وقت الضحى في آلاي أكبر من الشبيكة ولم يزل الى أن دخل المسجد وحضر القاضي والمفتي والعلماء والاشراف بالحطيم ودخل قابجي بالامر السلطاني فقرئ بالحطيم وألبس مولانا الشريف سعد الخلعة السلطانية وصعد الى داره للتهنئة ومدحته الشعراء وجاء في زي الاروام بعمامة على قاووق الى الآن لسانه بالفاظ أهل الشام حيث ان غالب ألفاظه شامية واستمر بهذا الزي ثم انه لبس عمامة العرب فحصل بعد ذلك يلبس هذه مرة وهذه مرة وفرح الناس هذه السنة بمولانا الشريف سعد قال السنجاري وما أحسن قول بعضهم وهو قديم

يا سعد دارت رحى الافلاك وانتصرت • لك الليالي امدتها المقادير

•(الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣)•

وهذه الولاية الثانية لمولانا الشريف سعد وبين انفصاله من الولاية الاولى وهذه الولاية احدى وعشرون سنة وهي مدة غيبته وعند سفر الحج أمر ابنه مولانا الشريف سعيد ان يخرج مع الحج ومعه جماعة من الاشراف وفي تاسع صفر جاء الخبر بان جماعة من عنزة عدوا على الحج الشامي واعترضوه على الماء فقتل مولانا الشريف سعيد منهم جماعة وربط جماعة ووصل الحج الى المعلى فنصبت الرايات على دور السادة الاشراف على جري العادة لخبر النصرة وفرح الناس وفي شهر جمادى الاولى سنة أربع ومائة وألف خرج مولانا الشريف غازيا قبيلة حرب وسبب ذلك انهم قتلوا السيد عبد الله بن أحمد بن الحرث فالزم الشريف بقتالهم أخاه السيد ناصر بن أحمد بن الحرث باخذ الثار ولم يزل سائرا اليهم الى ان وصل بدرا وجمعت حرب جموعا وأرسلوا يطلبون الصلح والقيام بما يجب فامتنع الشريف سعد ومن معه وفي سادس عشر رجب جاء خبر بانه التقى بحرب ثالث عشر رجب واقتتل معهم فتثبطت الاشراف وانجمعوا عن اللقاء فحصل بموجب ذلك الكسر وتقوت حرب ودخلوا بدرا ورجعت الاشراف الى رابغ ثم جاء الخبر بتحول مولانا الشريف ومن معه الى خليص ووصل الى مكة في رمضان ثامن عشره واستمر الى عاشر شوال ثم توجه الى المبعوث ودخل الطائف فاقام به يوما وليلة وأقام بالمبعوث الى العشرين من ذي القعدة ثم جاء الى مكة ولم يزل بها الى أن حج بالناس وفي سنة خمس ومائة وألف خرج جماعة من ذوي عبد الله بن حسن بن أبي نمي مغاضبين لمولانا الشريف سعد الى جهة اليمن واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة وتفاقم الامر

رحمها الله تعالى وحجت والدة المستعصم بالله في سنة احدى وأربعين وستمائة وهي أم ولد حبشية واسمها هاجر وكان في خدمتها اقبال
الشرابي الدويدار ومعه ستة آلاف جمل وتصدقت بنحو ستين ألف دينار وعدة جمال ركب بغداد في تلك السنة فكانت مائة ألف
وعشرين ألف جمل ثم عادت الى بغداد رحمها الله تعالى ولما جرت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء لله
عز وجل آلت دولة آل عباس الى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم الاحوال وزالت دولة غيرهم
ولكل زمان دولة ورجال [illegible] يغير الدهر من حال الى حال وكل شئ له سبب من الاسباب وعلة
يدور عليها الانقلاب والانتقال (١٢٠) وكان سبب ضعف خلفاء بني العباس استيلاء الاعاجم عليهم وأمرائهم عليهم وتفويض
أمور جميع الممالك اليهم
وتسميتهم [illegible] بألقاب
السلطان وتفردهم بالاحكام
على مواليهم واستقلالهم
[illegible] الى
أن صاروا [illegible]
[illegible]
[illegible]
والالقاب وصار أمر الخليفة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ومن أقوى أسباب
زوال الخلافة المستعصم
بالله [illegible]
[illegible]
الناس [illegible]
وذلك أن المستعصم بالله
[illegible]
[illegible] الامير اقبال
الشرابي [illegible]
بالامور [illegible]
المملكة [illegible]
من المستعصم [illegible]
[illegible]
[illegible]
الامير اقبال [illegible] عشرين
[illegible] المستعصم [illegible] بالخلافة [illegible] ثم أعظم سبب [illegible]
الزوال ان مؤيد الدين محمد بن عبد الملك العلقمي صار وزيرا للمستعصم وكان رافضيا [illegible] على المستعصم عدوا له
ولاهل السنة يداريهم في الظاهر ويناقضهم في الباطن وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بني العباس واعادتها الى العلويين
وطمس آثار أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدعة واقامة [illegible] فصار يكاتب هولاكو خان ويطمعه في ملك بغداد
ويخبره بصورة أخذها [illegible] الخليفة واختلال العسكر وصار يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر
والاذن لهم في التفرق والذهاب أين شاؤا [illegible] حيث أذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا أين

وشرع أهل الفساد في التلصص والسرقات بمكة الى أن أمر مولانا الشريف بعض الاشراف أن
يعس مع العسكر ثم أدى الامر الى أن خرج بنفسه في الليل فخف الفساد [illegible]
وفي تاسع عشر شعبان جاءت كتب من الشريف أحمد بن غالب لبعض الاشراف يطلبون له الاذن
بدخول مكة فامتنع أكابر العسكر وفي هذه السنة خرج مولانا الشريف أيضا لقتال قبيلة حرب
في شهر جمادى الاولى ووردت البشائر رابع عشر رمضان بانهم التقوا مع حرب بالصفراء وحصلت
ملحمة عظيمة قتل فيها من العرب نحو ثلاثمائة واعتقل مولانا الشريف أربعة من مشايخ حرب
ودخل الباقون في الطاعة وكان قائم مقام مولانا الشريف بمكة السيد عبد الله بن محمد بن زيد [illegible]
[illegible] ثلاثة أيام ورجع مولانا الشريف في شوال وجاءت الاخبار بان الشريف أحمد بن
غالب هجم على القنفذة [illegible] ثم جاء الخبر انه سار متوجها الى مكة [illegible]
[illegible] من أصحاب الغالب ولم يزل يتنقل في المنازل الى أن طرقه وصول اسماعيل باشا من جهة
الروم ومعه محمد باشا صاحب جدة [illegible] ثم كتب مولانا الشريف سعد [illegible]
بمكة حاجة [illegible] بدخول مكة [illegible] ومازال الشريف
سعد [illegible] الى أن حصل [illegible] بينه وبين صاحب جدة [illegible]
في عزله [illegible] محمد باشا [illegible] قبل السلطنة [illegible]
[illegible] المشيخة [illegible]
[illegible] الشريف المذكور عند الدولة العلية ثم توجه الى الابواب [illegible]
[illegible] محمد باشا المذكور
[illegible] العسكر [illegible] الى مكة صحبة الحاج الشامي [illegible]
[illegible] على عزل الشريف سعد وتولية
السيد عبد الله بن هاشم امارة أقطار الحجاز فوصلا جميعا الى مكة المشرفة فخرج مولانا الشريف
سعد [illegible] وكان معه اسماعيل باشا [illegible] العسكر المصري [illegible]
[illegible] عسكر اسماعيل باشا يريدون أن يحيطوا بالشريف [illegible]
[illegible] وقعة [illegible] وثبت مولانا الشريف [illegible]
[illegible] مولانا الشريف [illegible] اسماعيل باشا [illegible] مولانا
الشريف سعد [illegible] بمكة [illegible] ثم بعث اليهم مولانا
الشريف [illegible] السلطان [illegible] الحرم الشريف [illegible]

يكن الامر كذلك فأخبروني عن سبب هذه العساكر وابعثوا الي بالامر السلطاني الذي بقراءته يوم النحر لا نطرقه فلم يبعثوا اليه حتى بلغوا بالباشا الى عرفات لتسع سنة ألف ومائة وخمسة ولما كان يوم السبت سابع ذي الحجة طلع أمير الحج ويوسف أغا شيخ الحرم المدني ومراد بن العسكر وقاضي الشرع والمفتي الى بستان حيدان وكان اسمعيل باشا نازلا به فلما وصلوا بعثوا الى مولانا السيد عبد الله بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وأظهر محمد باشا أمر السلطان بانه عزل مولانا الشريف سعد وتوليه السيد عبد الله بن هاشم شرافة مكة فالبسه اسمعيل باشا قفطانا في المجلس وأمره بالنزول الى البلد فركب ومعه محمد باشا والامر السلطاني بين أيديهم والمنادي ينادي بالبلد للشريف عبد الله بن هاشم فلما وصلوا الخناطة جاءهم الخبر ان بعض جماعة مولانا الشريف سعد في المنادي وحصل عليهم الرمي وتحصن مولانا الشريف سعد في داره وحصروه عن الوصول واستمروا الى صلاة الظهر ونزل مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بدار الشفاء وبقيت العساكر وانضمت اليهم العرب والانكدارية ووقف العسكر الى قايتباي وملكت جماعة مولانا الشريف جبل أبي قبيس فانحازوا الى المسعى ونهب جماعة الشريف سعد بعض دور الاتراك وقتل جماعة في المسعى ونهب رباط الهندية بسوق الليل وبعض دور مكة ولما طال الامر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ مدفعا وجاء به الى باب السدرة على باب العتيق وأراد رميه على بيت الشريف سعد فاصيب طبجيه برصاصة مات بها فنقل المدفع عن ذلك المحل ورجع به الى المسعى وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى واستمر الحال الى الليل فلما رأى مولانا الشريف سعد ان الامر يطول رحل ليلا هو وابنه الشريف سعيد الى جهة الحسينية ثم الى اليمن وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد فجمع محمد باشا القاضي المتولي والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالحطيم

﴿ولاية الشريف عبد الله بن هاشم امارة مكة﴾

وأظهر الامر السلطاني ملخصه ان مولانا السلطان عزل الشريف سعدا عن شرافة مكة لامور بلغته وانه أنعم بها على مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وألبسه القفطان وركب من باب السلام وطاف شوارع مكة والمنادي ينادي بالبلد له ونهبت العسكر منزل مولانا الشريف سعد ونحو عشر بيوت من بيوت ذوي زيد ثم ان مولانا الشريف عبد الله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لمحمد باشا وقال له ان هذا النهب لا نرضاه واسترد بعض أشياء لا تذكر وسلم ذلك لبعض خدم مولانا الشريف سعد وعد من قتل ذلك اليوم فكان زهاء مائة رجل ثم ان الباشا ظفر برجل من عسكر الشريف وشهد عليه بانه قتل بعض الرعايا فأمر

ابن ارادوا ووفروا علوفاتهم في الخزينة وأظهروا للمستعصم انه وفر من علوفاتهم خزائن أموال عظيمة توفرت في بيت المال فأعجب المستعصم رأيه وتوفيره وكان يحب المال وجمعه وما علم انه يجمعه لعدوه ، وقد سئل بنو أمية بعد ذهاب ملكهم فقالوا أقوى ما كنا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وانا أبعدنا الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو استجلابا لمحبته فصار الصديق عدوا ولم يصر العدو صديقا لاستجلاب … المال لدولة مرة … واحدة وقد يقل ألف مرة … فلو تم انقلاب الصديق … فصار أدرى بالمضرة … وكان من قضاء الله وقدره ان هولاكو خان سلطان المغول وجغتاي من دشت قبجاق يهجم على بلاد الاسلام … وجاء بعسكر جرار لا يعلمه الا الله تعالى وكان أقوى سلاطين الاسلام اذ ذاك علاء الدين خوارزم شاه وكان ملكه من العراق الى أقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجند متكاثر فظهر هولاكو وقاتله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر الى أن قتل هو وأولاده وجنوده واستباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل من فيها بالقتل العام وصار يجول هولاكو في الديار ونائره في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لاخفاء ابن العلقمي عنه سائر الاخبار الى أن وصل هولاكو خان الى بلاد العراق واستأصل من بها قتلا وأسرا وتوجه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ من نوم الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتاله وجمع من أهل بغداد وخاصة عبيده وخدمه ما يقارب أربعين ألف مقاتل لكنهم مرفهون بأنين المهاد ساكنون على شاطئ بغداد في ظل نعيم وماء معين وفاكهة وشراب واجتماع أحباب وأصحاب ما كابدوا حربا ولا ذاقوا طعنا ولا ضربا وعساكر المغل يتوفرون عن مائتي ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وسالب وناهب وقاتل يثبون وثب القردة ويتشكلون باشكال المردة يقطعون المسافات الطويلة في ساعات قليلة ويخوضون الاوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ويهجرون الغمض والهجوع ولا يبالون بالبرد والحر والسهل والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد أحدهم يتقوت بأذن فرسه يقطعها ويأكلها بنفسه ويصبر على

ذلك أياما عديده أو يكتفي هو وفرسه بحشيش الارض مدة مديده فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الخيس الى الخيس في يوم الخميس عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وستمائة وثبت أهل بغداد مع رفاقهم على حد السيوف وصبروا مضطرين على طعم الحتوف وأعطوا الدار حقها فاستمطروا غمائم السهام ووابلها وودقها واستقبلوا بنحورهم ووجوههم مواقع الحرب وبرقها ورزقوا في تلك المكافحة الفوز بالشهاده وارتقوا في الدار الآخرة رتب السعاده وجادوا بأنفسهم في سبيل الله وأجادوا أحسن اجاده واستمروا كذلك من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد انكسار وولوا الادبار بالادبار وما أغنى عنهم الفرار

ولذهم الطراد الى قتال ٭ أحد سلاحهم فيه فرار

مضوا متسابقي الاعضاء فيه

لاجلوهم بارؤسهم عثار يرون الموت قداما وخلفا فيختارون والموت اضطرار وغرق كثير منهم في دجله وقتل أكثرهم أشد قتله وأعقبهم التتار ووضعوا السيف فيهم والنار وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما يزيد على ثلثمائة ألف وسبعين ألفا وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأخذ هولاكو جميع النقود وأمر باحراق الباقي ورموا كتب بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركبانا ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة الى السواد وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام (واستؤسر المستعصم) هو وأولاده وجماعته وأتوا به الى هولاكو أسيرا ذليلا فقيرا فقيرا فسبحان المعز المذل القادر القاهر تعالى شأنه الباهر وعلا سلطانه على كل ذي سلطان قاهر فاستبقى هولاكو الخليفة أياما الى أن استصفى أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذويه وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة فيرفس بالارجل الى أن يموت ففعل به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى في يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وانقطعت الخلافة من بني العباس وهم سبع وثلاثون أولهم السفاح وآخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمي ما أراده ولم يستفد غير سلامة أهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته اياهم فان مجد الدين محمد بن الحسن بن طاوس الحلي وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلي أرسلا كتابا الى هولاكو على يد ابن العلقمي وفيه كلام

بشنفه فشنق بالجيزة في باب المعلى تحت سبيل السلطان وطلع الامير المصري بالمحمل يوم ثمان وطلع الباشا اسمعيل بالمحمل الشامي يوم التاسع ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل وأخذ بعض الحجاج في طريق منى ونهبت تبيه بعرفة من الحاج قبل وصول الامراء وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن ثم بعد الحج خرج جماعة الى جدة وأخذوا الحجاج الامراء الى ان تجمع أهل جدة ويتزلوا دفعة واحدة ونزل دفعة أخرى فاستهم بعضهم شئ فرجع من الطريق واضطربت الناس ولم يزل الامر في شدة وصار الناس ينزلون الى جدة بيرق عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف وأخذت قافلة وانذرب الشريف أحمد بن غالب وهو بلدة الركاني فارجع البعض الى أهله

٭(ذكر قبض محمد باشا على الوزير حيدان وكيف كانت حالته)٭

وفي هذا الشهر بعد النزول قبض محمد باشا على الوزير عثمان حيدان وزير الشريف سعد وسبب ذلك انه كان بينه وبين الوزير مشاحنات في أيام ولايته على بندر جدة فاضمرها في نفسه ولم يبد له شيأ من ذلك وكان يتعاطى خدمته وخدمة اسمعيل باشا ويتردد عليهما لقضاء حوائجهما وعند قرب سفرهما تواطآ على قتله فأرسلا اليه وطلباه واعتقلاه في خيمة من خيام العسكر ووكلا به شخصا من كبار العسكر وأمراه أن يأتي به اليهما بعد ست ساعات من الليل ليقتلاه فلما جزم بالهلاك واشتد به الحال وأيس من الحياة استند الى صندوق في الخيمة وهو يفكر في حاله فغفى جانب من الليل وهو على هذه الحالة فبينما هو كذلك واذا الرجل الموكل به متكئ على وجهه يصيح مددمدد فحركه بيده وناداه باسمه مرارا فلم يجبه فعلم بروعه ثم جاء الى ابريق وأخذ بيده ليبول ثم يعود فلما خرج من الخيمة قال له انهم الآن يتيمون له ويعدونه بغفلة واهانة فعزم على العود واحس عند ذلك بداهم يدفعه الى قدامه ومر زوال ما كان به من الارتياع ورقد جميع الحراس المحيطين بالخيمة فتقدم ومشى وتبعه غلام له كان معه الى أن اتصل بجدار المعلاة ثم قفز من الجدار الى داخل المقبرة واختفى ببعض الحيطان المقاربة لقبة السيدة خديجة رضي الله عنها فانتبهت الحراس وأوقدوا المشاعل وفزعت الخيل والعساكر خلفه وهو يشاهدها فلما غابت عنه وزال وهمه قام ومشى في المقابر وخرج من تربة الشيخ محمد بن سليمان ثم أخذ طريق الحلق حتى وصل الى المسجد ثم قصد بيت مولانا الشريف عبد الله بن هاشم شريف مكة حالا فاختفاه واستمر الاميران يفتشان عليه فلم يجداه وعظمت القضية بدفع مال عظيم واخفاه بسببه ومازال الشريف احمد بن غالب بالركاني معتزلا عن شريف مكة ومولانا الشريف عبد الله بن هاشم كان يحب أن يوالسه ليكون معه وليأمن من شره فلم يزل يتلطف به الى ان وافقه على المعاملة فلزم مولانا الشريف وطلب من الباشا أن يكتب له

جهة بأن دخوله برضا مولانا الشريف وضمانته ان لا يقع منه ما يضر بالرعية فكتب له وضمن مولانا الشريف انه ما يقع منه خلاف

﴿دخول الشريف أحمد بن غالب مكة﴾

فدخل مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب سابع صفر واجتمع بمولانا الشريف عبد الله بن هاشم ثم اجتمعا معا بالباشا وأرسل الباشا له هدية وفي أواسط ربيع الاول جاء خبر بقوة مولانا الشريف سعد في دار المنتفقة وانه أخذ عشور رجالا فعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف حضره الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على ارسال عسكر للمنتفقة وطلبوا دراهم من التجار فامتنعوا ثم حبسوا فأخذوا من بعضهم ثم أطلقوا ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد بن غالب مضمونها ان ما وقع من السلطنة انما كان لما رسم من الاسداء التي فعلت شيخ الحرم المدني وبعض الاروام بمكة ونهب الحجرة وكل ذلك لم يكن وأنا داخل البلد أطلب شرع الله وحجة من القاضي أتوجه بها الى أبواب السلطنة وإياكم والمنع فاني مقاتل على الدخول من قاتلني فاستدعى الشريف أحمد أغاوات العسكر وأخبرهم ان الشريف سعدا اعتمد وعرفوا الباشا بذلك في جدة فطلع الباشا من جدة ومعه العساكر وجاء الخبر أن الشريف سعدا وصل الليث مقبلا ففرق العساكر على جبال مكة وعمر المتاريس وفرق المدافع في الطرق وفي غرة ربيع الثاني نادى منادي مولانا الشريف عبد الله بن هاشم في البلد بالنفير العام فاغتم الناس لذلك وفي ثالث ربيع الثاني وصل مولانا السيد أحمد بن حازم بن عبد الله والسيد عثمان بن جازان من عند الشريف سعد وأخبرا بأن الشريف سعدا في أقوام عظيمة لا تكاد توصف فاجتمع مولانا الشريف عبد الله بن هاشم ومولانا الشريف أحمد بن غالب عند الباشا من الضحى الى الظهر واستدعوا كبار العسكر المصري من السبع بلكات ثم خرجا من عند الباشا ثم ان الباشا كتب صورة فتوى كتب عليها المفتي عبد الله عتاقي وأمر العلماء بالكتابة عليها ومضمون ذلك جواز قتال من أخل على صاحب مكة وان القائم بأمرها المخاطب بذلك وجميع من بها من أرباب الدولة وذوي القدرة على الدفاع فكتبوا عليه وفي ليلة رابع ربيع الثاني تفرق عساكر مصر تحت كل رئيس منهم جماعة وباتوا ساهرين الى الصبح خائفة ان يدهموا البلاد ولم يزالوا كذلك الى ليلة السابع من ربيع الثاني ففي صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلى مكة فكان أول من قام في هذا الامر والقتال الشريف أحمد بن غالب فركب في خيله وسلاحه وجماعته ومن والده وأظهر القوة وكذا من معه من الاشراف الى مولانا الشريف عبد الله بن هاشم وطلع بهم المعلى هو ومولانا الشريف عبد الله

يروونه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصورته اذا جاءت العصابة التي لا خلاق لها تحزن بأم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا وبل لك يا بغداد وللدار العامرة التي لها أجنحة كأجنحة النسور ... كانت الحلق في المأمون يأتي بنو قنطوراء ومقدمهم جهوري الصوت لهم وجوه كالمجان المطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصل الى بلد الا افتتحها ولا راية الا نكسها الخ الى ان وصل الكتاب الى هولاكو وأمر أن يترجم له فلما قرأه أمر لهم بسهم الامان وسفكوا بسبب ذلك من القتل والنهب ما نسبوه الى ابن العلقمي بأنه والاهم من ظلم دينه وكان من أهل النار وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قلت وأما هذه الكلمات فما عليها طلاوة كلام سيدنا علي رضي الله عنه ولا حلاوة ونفس آثار الوضع ظاهرة عليها وكأنهم اخترعوه بعد وقوع الفتنة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته الرواة في كل مجموع والله أعلم بالسرائر وما تخفيه الاحشاء والضمائر

﴿فصل﴾ كان ممن نجا من سيوف هولاكو من بني العباس أحمد ولقب المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بالله العباسي فوصل الى مصر وافدا على سلطانها اذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري في سنة ست وخمسين وستمائة فخرج السلطان بيبرس الى تلقيه وأكرمه وأثبت نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف وأعانه الظاهر بجيش وتوجه الى بغداد ووصل الى الفرات في ثالث ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة فقاتله فرقة من نواب هولاكو على بغداد فقتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم الا القليل فلم يتم له أمر ثم وصل بعد ذلك الى مصر من بني العباس أبو العباس أحمد ولقب الحاكم بأمر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدر العباسي فأكرمه الملك الظاهر وأثبت نسبه قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقته وسكن بمصر وليس له من الامر شيء وانما معه اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذي يريدون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بألقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكان سلاطين الاقاليم يتبركون بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له تقليدا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التي هو فيها فيتبرك بهذا التقليد ويتيمن به ولا يخفى ان هؤلاء ليس لهم من

الخلافة والصورة كما كان للخلفاء العباسيين ببغداد الحجور عليهم من جهة امرائهم الا صورة الخلافة فقط وهؤلاء ليس لهم ولا تلك الصورة أيضا وانما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عدهم من جملة العباسيين وكتب تاريخا للخلفاء ذكر هؤلاء من جملتهم وذكر شيأ من اخبارهم وآخر من ذكره في تاريخ الخلفاء ﴿المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب﴾ بويع له يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي والقضاة والاعيان بالقاهرة في مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان يوما مشهودا وبه ختم كتابه تاريخ الخلفاء ورأيت في تاريخ

لطيف للحافظ السيوطي أيضا سماه الوفيات في الرقيات ان في سنة ثلاث وتسعمائة مات في المحرم منها الخليفة المتوكل على الله أبو العز العباسي المصري رحمه الله تعالى ﴿وعهد لابنه يعقوب ولم يلقبه فلقبه الناس المستمسك بالله﴾ قلت واستمر يعقوب المستمسك بالله خليفة الى ان كبر سنه وكف نظره ودخلت أيام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الافخم السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وأزال عنها مظالم الجراكسة وعاد مع الفتح والبشرى الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى فتوفي الخليفة المذكور بمصر لعشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعمائة أخذه معه الى اسطنبول عوضا عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنه وذهاب نظره فلما توفي السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا الى مصر وسار خليفة بها واستمر الى الناس

أن توفي الى رحمة الله تعالى لاثنتي عشرة ليلة مضت من شعبان سنة خمسين وتسعمائة في أيام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر رحمه الله تعالى وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر أيضا وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر فمنه قوله

لم يبق من يحسن يرجى ولا حسن • ولا كريم اليه مشتكى الحزن واغا سادقوم غير ذي حسب • ما كنت أوثران يمتد بي زمني

ضمن قول الطغرائي من لامية العجم ما كنت أوثران يمتد بي زمني • حتى أرى دولة الاوغاد والسفل وقد اجتمعت به وأخذت عنه في رحلتي الى مصر لطلب العلم الشريف في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة

ثم ان مولانا الشريف سعدا لما وصل الى المعابدة عند بستان الوزير عثمان حميدان رجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وانطلقت العربان على جبال مكة والمتارس فذبحوا من بها وفر من فر واستولوا على المعلى ثم انطلقوا الى ما حول البلد من المتارس وشرع القتل في المعلى في جماعة الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم الى ان قتل أغلبهم واستعف الله عطرا برد ما كان هنالك بالمتارس من النار وفرق بين الفريقين ونزل الشريف عبد الله والشريف أحمد بن غالب من المدعى الى باب السلام ودخل الليل فلما أصبحوا رجع الامر الى ما كان من الحرب والقتل والسيف يعمل والعسكر تقتل وكان ذلك يوم الجمعة فما جاء وقت الصلاة الا وقد ملكت العرب جبل أبي قبيس وعطف جماعة منهم على جياد فلما ظهر للسادة الاشراف ما ظهر من تلك الامور والاهوال العظيمة خرج الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب ومن معهم من الاشراف متوجهين من أسفل مكة الى الركاني بين مكة وجدة بلد مولانا الشريف أحمد بن غالب ونزلا به ثم ارتحلا الى الديار الرومية الى ان توفيا بها

﴿وفاة الشريف أحمد بن غالب سنة ١١١٣ وكذلك الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة﴾

فتوفي الشريف أحمد بن غالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وتوفي الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة أيضا ومدة دولة الشريف عبد الله بن هاشم أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان وبعد ارتحال الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب الى الركاني اجتمع ناس من العلماء عند القاضي وقالوا له ان كان لهذا الباشا قدرة على دفاع هذا الرجل فليخرج لدفاعه فان جلوسه في بيته وقد استمر القتل بعسكر مصر به وبالناس وان لم يكن لكم قدرة على دفاعه فالواجب عليكم درء هذه الفتنة بالنداء للشريف سعد واقتضى رأي الجماعة حضور شريف من كبار الاشراف فطلب القاضي حضور السيد أحمد بن سعيد فامتنع فبيناهم في المجلس جاء رسول من الباشا يقول ان الباشا يقول لا غرض لي في أحد فاذا جاءكم ناس يريدون عدم القتال وذكروا من يولون من الاشراف فانا تبع لهم فقالوا له أين الاشراف الذين يريدون ان يولى واحد منهم فانك لا تجد الآن أحدا يتقدم على هذه المكانة فالرأي ان تصلحوا للشريف سعد وتنادوا له وتخمدوا هذه الفتنة فرجعوا الى الباشا واخبروه فطلب الجماعة الذين عند القاضي فما وصل اليه منهم الا أربعة فلما أن دخلوا عليه حصل لهم خوف كثير بحيل بدار الدار يقول نحن قائمون على حفظكم بعد ان كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله فكيف هذا الاختيار منكم له اليوم فقالوا له آيينا بيناه وهتكت

بالفضلاء الفخام محوطة بمن بركات المشايخ الكرام كأنها عروس تهادى بين اقمار وشموس ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام

•(الباب السادس في ذكر ملوك الجراكسة لان بعضهم أو أكثرهم عمر في المسجد الحرام وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صاروا من سلاطين الاسلام)

اعلم أن الجراكسة جنس من الترك في جنوبي الارض لهم مسند الى عامر قوامهم جبال وهي اربع برعون القشر و رعون وهم تابعون السلطان خوارزم وملوك هذه الطوائف ملك سراي كالرعية يبيعون اولادهم ويسبون منهم النساء والاولاد ويجلبونهم الى أطراف البلدان والاقاليم كذا ذكر المقريزي في عقوده قال واستكثر المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الاتراك بعد الايوبية ملوك الاكراد أصحاب مصر من شرى المماليك الجراكسة وكذلك ولده من بعده وأدخلوهم في الخدم الخاصة فصاروا سلحدارية وجامدارية وجاشنكيرية وأمراء وكبروا أمراءهم وسلكوا طريق أسيادهم من ملوك الترك وداخلوا السلطنة وغلبوا عليها واستقلوا بها واستكثروا من جنسهم وعملوا لها قوانين وقواعد انتظمت بها دولتهم وولي منهم ومن أولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكا وكانت مدة ملكهم مائة وثمانيا وعشرين سنة

•(وأولهم السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن انص العثماني الجركسي)• كذا ذكره المقريزي في عقوده وتخطئة قال الجمال يوسف ابن تغري بردي هو جركسي الاصل قام بدولة الجراكسة جلبه عثمان ابن مسافر ولذلك يقال له برقوق العثماني فاشتراه الاتابك يلبغا العمري وهو من جملة الاتراك الذين صار الرق من جملة ملكهم أجرى المتغلبين عليهم بمصر ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه ثم تنامى برقوق الحظ في عينه وتقلبت به الاحوال الى أن صار أمير مائة ألف مقدم وكان أتابكا للملك الصالح حاجي بن الاشرف شعبان بن الامجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الاتراك من مماليك الايوبية الاكراد المتغلبين عليهم ثم الجراكسة وكان من الملك الصالح المذكور في السلطنة عشرة أعوام ليس له من السلطنة غير الاسم ولزم الامير الاتابك برقوق أن خلع الملك الصالح وتولى السلطنة بدله فخلعه بعد سنة ونصف سنة وذلك في يوم الاربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ومن آثاره مدرسة أنشأها بمصر بين القصرين كان مشيد

الناس فكأنه عرف الحق فأمر بالخروج وخاف على أبناء جنسه فأمر بالتعجيل والتسداء فعجل ذلك ووصل مولانا الشريف سعد بمنزله بسوق الليل ونودي له وحصل الامن فتتابع العرب الا والبلد لصاحبها ونودي بالزينة ثلاثة أيام وخرج مولانا الشريف وجميع العساكر الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة ونزل في الاثنين يوم السبت تاسع ربيع الثاني وقدم العساكر المصرية وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤا ذلك الوادي الى أن وصلوا سوق المعلى فعطف بالعسكر على سوق الليل ولم يزل سائرا الى أن وصل الى باب علي فبعث للعسكر أن يعطفوا من السوق الكبير الى بيوتهم فلما انتهى آخرهم تقدم هو بمن معه من العرب حتى دخل منزله وامتلأ يوم ذلك الوادي ثم أمرهم الى أجياد فدخلوها وجعلوا يدخلون شيئا فشيئا الى ثاني يوم وجلس الشريف يوم السبت وطلع له الناس ومدحته الشعراء واستقرت البلاد ولله الحمد وبعث اليه الباشا بفرو سمور والبسه اياه الآن بعض العرب خرج بما نهب من الاموال يبيعها في السوق على رؤس الاشهاد وما أمكن رد شيء منها وفي يوم الاحد ألبس الوزير عثمان حميدان الفرو الذي ألبسه الباشا وجعله وزيرا كما كان وطلب له أصحاب الادراك فخلع عليهم ولما كان يوم الخميس الرابع عشر من ربيع اجتمع بالباشا في مدرسة ابن عتيق بعد صلاة الظهر وجلس عنده ساعة ورجع الى بيته ثم بعث له مولانا الشريف مركوبا من اصطبله بكامل العدة ولما كان يوم السبت نزل الباشا الى جدة وركب مولانا الشريف معه الى الشيخ محمود ومعه ولده مولانا الشريف سعيد فوادعه فنزل الباشا عن حصانه وقدمه له لما أراد الرجوع وقدم لابنه أيضا مركوبا من مراكبه وسار الى جدة ورجع مولانا الشريف الى بيته واستمر مولانا الشريف وكتب للابواب السلطانية يعتذر اليهم مما وقع فقبلوا عذره وجاءه التأييد والتشريفات

•(الولاية الثالثة للشريف سعد)•

وهذه الولاية الثالثة لمولانا الشريف سعد ثم ان مولانا الشريف أمر وزيره الخواجا عثمان حميدان أن يصنع ضيافة للعرب في بستانه في المعابدة فعمل لهم سماطا حضره مولانا الشريف وابنه واستمر واحتفل الى العصر ثم أقام العرب بعد ذلك مدة يسيرة وأذن لهم في الرجوع فرجعوا شاكرين وأبقى أناسا منهم بمكة ثم جاء الخبر من المدينة باجتماعهم من النداء لمولانا الشريف ثم عند ورود الخلعة له ونادوا له ثم جاءت الاخبار بأن الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم توجها الى ينبع وأخذا معهما ألفي اردب حب لاهل مكة وما يتبع القاضي مكة ورابع صاحب مكة وجاء الخبر أيضا بانهم كتبوا عرضا لصاحب مصر وبعثوه ثم ان الشريف جهز جماعة

عمارة تامة كرسي الخليلي فقيل له في ذلك شعر در أنشأ الملك السلطان مدرسة * فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكي الخليلي ان بانت تمامته * دهم الجبال الهاقتدى بل على وبعد الحرم المكي ما الا عمارة ما تهدم من المسجد الحرام وسائر
الركب الرجبي من مصر الى مكة بعد ما ولي اقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستمروا متغلبين على ملك مصر الى ان كثر
ظلمهم وزاد عسفهم وعتوهم فأزالهم الله تعالى بعد ذلك بالسيوف الصارمة العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والقطوت
النوبية الكائنة ملكهم الله تعالى كافة البسيطة وجعل معدلتهم ورأفتهم عامة بسائر أهل الارض محيطة وروى عن الظاهر برقوق
متمكنا بجميع أمور الاوقات وأكثر من (١٣٦) المماليك الجراكسة فتمكنوا من الملك ولا عبت بعده المماليك الجراكسة بملك
مصر وصاروا ملوكها
وسادوا فيها بالقوة والغلبة
والاستيلاء وكانت تقع
بينهم فتن وقتال وجلاد
وجدال وقتل نفوس
بحرب السيوف وشدة
بؤس الى أن يستقر
الامر على واحد منهم
فيركب في شعار السلطنة
واصطلحوا على هيئة
لباسه أخذوها عن الملوك
الايوبية الاكراد وزادوا
فيها ونقصوا وكان ذلك
الوضع مقبولا عندهم
وان لم يعرف حسن وقبح
وان كان صورة مضحكة
عند من لا يألفها ولكل
اقليم وضع خاص لاهلين
ذلك الاقليم يكون مهيبا
مقبولا في أعين أهل ذلك
الاقليم لالفهم للهيئة
السلاطين فكان من
شعار السلاطين الجراكسة
عمامة ملفوفة بصناعة
مكلفة يجعلون في مقدمها
وخلفها وسائر جهاتها كل
منها قرون بارزة من نفس
العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان في مواكبه ودواوينه ويلبس قفطانا من فاخر وأقام
الثياب يكون على كتفه اليمين طراز مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصا بالسلطان بل يلبس ذلك
من أراده من الامراء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرز من أراد ويجعل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير
صغير يظلل السلطان بتلك القبة والذي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطانا بعد ذلك وأكابر أمرائه
أربعة وعشرون كبيرا يطلق على كل واحد منهم أمير مائة مقدم على ألف بمنزلة البكلر بكية عندهم يلبس كل
واحد منهم عمامة بأربعة قرون ودونهم أمير عشرة مقدم مائة بمنزلة الصنجق يلبس كل واحد منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية

من العسكر الذين بمكة وبعثهم الى جدة فلم يرضوا الى ينبع على البحر وما رأى الباشا في ارسالهم
فائدة فرجعوا وفي شهر رمضان ورد من الابواب السلطانية خلعة لمولانا الشريف ومرسوم
بالتأبيد له وفيه الاخبار بوفاة السلطان أحمد بن ابراهيم وتولية السلطان مصطفى بن أحمد بن ابراهيم
فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الخلعة وأمر بالزينة ثلاثة أيام والذي في تاريخ السنجاري ان الخبر
بورود الاغا الذي معه المرسوم جاء في رمضان فكان الامر بالزينة وأما وروده الى مكة وقراءة
المرسوم فانه كان في رابع عشر شوال ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف لملاقاته على العادة
ولبس الخلعة الواردة اليه وحج بالناس وكانت الجمعة بالجمعة ثم لما دخلت سنة سبع ومائة وألف أرسل
مولانا الشريف الى أخيه الشريف محسن بن حسين متوليا على المدينة واستمر هناك الى أن توفي
وفي شهر جمادى الاولى توجه مولانا الشريف لزيارة الشرق ولم يرجع الا ثاني ذي الحجة وورد له
القفطان السلطاني والمراسيم على المعتاد وحج بالناس وفي سنة ثمان توفي ثاني عشر ذي الحجة مفتي
مكة عبد الله افندي عتاقي وولادته سنة تسع وأربعين وألف وأقيم بعده في الفتوى الشيخ عبد القادر
ابن أبي بكر الصديقي ولم يزل مولانا الشريف سعد منتظما مع السادة الاشراف متألفا لهم الى سنة
اثنتي عشرة ومائة وألف فحصل بينه وبين الاشراف ذوي عبد الله منافرة لعدم الوفاء بمعاليمهم
وثار عليه ذوو عبد الله عن آخرهم وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبد الله وعزموا على
الخروج ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفا فتلافى أمرهم ووعدهم ونزل الى جدة ونزل معهم
معه جماعة وأخذ لهم من التجار دراهم وأعطاهم ثم ثاروا عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة
وأربعة عشر فطالبوه في معاليمهم وادعوا عليه بعدم الوفاء بها ولم يتم لهم معه حال فخرجوا
مغاضبين له حالين على الشريف وتوجهوا الى جهة الطائف وتعرض بعضهم للقافلة عند خروجهم
وبعض الحارة فاستنجدوا الجيش وأرسل الشريف المشايخ ذوي عبد الله وعرفهم ما وقع من رفقائهم
ثم استدعى السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي وكان في
ذلك الوقت شيخ ذوي بركات ود وكبار بيته وتوجه له في وجهه فقبل ذلك فأرسل السيد عبد
الكريم لذوي بركات الذين في الوادي وأكد عليهم في حفظ الدرب وقال لهم متى أنستم أحدا من
السادة الاشراف العبادلة يريد سلوكهم قريبا منكم فامنعوا طريقنا بذلك وردهم على شئ يعرفه
فلما كان خامس عشر ربيع الثاني أرسل بعض الاشراف الذين بالوادي قاصدا الى مكة للشريف
سعد والسيد عبد الكريم يعرفهما أن السادة الاشراف العبادلة مروا على البقاع ومعهم
غزو قاصدين درب جدة ففزع الشريف سعد بنفسه وفزعت جميع الاشراف والعسكر

يكون له فرس وخدام وعلى رأسه زنط عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الجلبان وهم مشاة على رؤسهم طواق من جوخ أحمر ضيق من موضع يدخل فيه رأسه واسع من أعلاه لا يظهر رأسه وما يلبس أكثرهم الملوطة البيضاء المصقولة يكون على كتفه طراز من مخمل أو أطلس أو مزركش ودق أوساطهم شدود بيض مصقولة يشدون بها أوساطهم ويسدلون طرفها الى أنصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس ويتغالون في أثمانهم الى أن كثر عددهم وبلغوا نحو عشرين ألف فارس . وكانت لهم اصطلاحات في تربيتهم وكانت لهم الطباق يوظفون بها المعلمين من حفظة القرآن وكان الجلب يدخل به أولا الى الطبقة فيتعلم الخط والاستخراج والصلاة والقراءة حسب قابليته فاذا ترقى في الخط ومعرفة القرآن والفقه وأمور دينه ثم يترقى الى مرتبة الثقاف والصراع ورمي السهام ثم يترقى الى الفروسية الى أن يتفرس في كل ذلك ثم يترقى الى الخاصكية ثم الى الدوادارية والتقدمة ثم الى السلطنة فكان غالب السلاطين في دمع كل واحد منهم من جيء بجلاب الى السوق ليباع الى أن يموت حتى ان واحدا من الجلبان جلب وهو صغير فاحش الفروسية فاحش العرج فقال لا لايبيعه هل يلي الفروسية الاعرج سلطانا في مصر والجركسية كانوا طوائف التبس وانجح لهم مع اخوانهم وصداقة لمن صادقوه وكانت أرزاق مصر بيدهم وكانت أهل مصر تلاعب ... فيما بيدهم من الارزاق وكانوا يسدد نفقاتهم ومباشريهم ... وكانوا يتخذون غرسا لهم مباشرين وهم النصرانية مصارف فيكون للجندي فقيه يعلمه القرآن وامام يصلي به ومكبر ومباشر يكتب دخله وخرجه وخزندار وركابدار وجامدار ومهتار ومراح ومكاليس وحلاق وغير ذلك بحلوى وتفكه او كانوا في رفاهية وكان أهل مصر يعيشون في ظلهم رغدا حيث ان أسمطتهم كانت تكفي سائر جيرانهم وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والاوز وسائر النفائس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكانت لهم خيرات جارية ومبرات عالية الى ان فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت منهم المصادرات رغبة سيما آخرهم على حسناتهم وزادت مظالمهم على خيراتهم ومالوا الى العوائد المفسدين واخلوا بشعائر الشرع والدين فاستجاب الله بهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار

وأقام بمكة السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وخرج هو ومن معه ونزلوا بالوادي وصرح قاصدا للقتال المسمى بالجليل وتقدمه بعض السادة الاشراف ذوي جود وهو السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي متقدما عن رفقائه فلما التقاطلوا به الوقفة فقال قصدي مواجهة الشريف فأرسلوا الى الشريف سعد وعرفوه بذلك فلما رآه قال للاشراف لا أحد منكم يدخل محسن بن عبد الله ثم لما وصل السيد محسن وأقبل على الشريف ترجل ونزل أيضا الشريف سعد وتزاحم هو والسيد محسن ثم قال له من أين جئت فقال من عند الشريف وقصدي الصحبة فقال له الشريف سعد لنا عادة الشجعين فقال أعتقد قال له الفرو والذين معكم فقد خرجنا قصدهم الشريف عنهم أين يقصدون قال لا علم لي بهم فحلفه على ذلك ثم أراد أن يحلفه ثانيا فدخل على السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى فأدخله وتكلم مع الشريف سعد في شأنه فقال له أحلفه حتى ننقض من غزوناه أرسله السيد عبد الكريم الى بيته بالوادي ومشى الشريف سعد والاشراف في طلب القوم الى ان وصل الى الخام فسأل عن الاشراف الجلوية والغزو الذين معهم فأخبروهم انهم أخذوا على البقاع وقصدوا درب جدة فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادي ثم وصلوا جدة ونزلوا بها فهم حتى أخبر الشريف بأن الاشراف الجلوية غزونا وهو بالبلد وجماعة قال له الشريف سعد أتعرف محلهم قال نعم قال انت الدال عليهم فسار وانجش بهم وحثوا في سيرهم فأدركوهم عند الظهر مقيلين وجميع ما أخذوه من هيئتم عندهم فأقبل عليهم الشريف سعد ومن معه من الاشراف والعسكر وكان معه كتخدا الوزير سليمان باشا وبعض أشخاص من اتباع الوزير واقتتلوا معهم وقتلوا من القوم زهاء ثلاثين غير المصابين وكان مع الاشراف الجلوية من شيوخ العرب هندس شيخ الروقة وربعه وحسين بن سويدان شيخ مطير وربعه فنهب الشريف ومن معه من الاشراف جميع ما كان معهم من الابل والبندق وغير ذلك وردوا على هيئتم جميع ما أخذ منهم وردوا أيضا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الاشراف وكانت هذه الواقعة يوم الاحد سابع عشر ربيع الثاني ووصل خبرها الى مكة يوم الاثنين فدق الزير ولبس العسكر على معتادهم وركزت علامة النصر في بيت الشريف على جري عادتهم وفي هذا اليوم نزل الشريف على السيد مبارك بن يعلى فأسعده وأصبح يوم الاربعاء بمكة وجلس للناس وأما السادة الاشراف الجلوية فاستمروا خارج البلد الى أواخر جمادى الثانية وفيه اصطلحوا مع مولانا الشريف وكان الساعي بينهم بالصلح السيد أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد حسين بن زين العابدين بن عبد الله ونزلوا لملاقاة مولانا الشريف واتفقوا معه على ان يعطيهم معلوم شهر ويكونوا السوقرفة ثم ان

الظلم خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم مع الظلم والله لا يحب الظالمين وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿وكانت﴾ مدة سلطنتهم بمصر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة الى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة • وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى أحوال الملك الظاهر برقوق فنقول بعد سلطنته استمر على حاله سلطانا الى ان خلع فاحبس في الكرك ثم استخلص من الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة وأعيد الى السلطنة وصار يتتبع أعداءه ومن خرج عليه وقاتله الى ان استأصلهم وما صفا له الزمان وظن أنه آمن وأين الامان من يد الدهر الخوان ومالت شمس سلطنته الى الزوال وأعقب بدر سعادته لا بد من المحاق بعد الكمال ودب دبيب الزوال على برقوق وتباعد الاتصال ﴿فعهد بالسلطنة الى ولده السلطان فرج بن برقوق﴾ وطلب الخليفة والقضاة والامراء وأشهد على نفسه انه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنه عشرة أعوام وعين الاتابك ايتمش البجاسي لتدبير المملكة وتوفي الى رحمة الله في ليلة الجمعة وقت التسبيح منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وفي ذلك يقول أحمد المصري الشاعر

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك
الى ربه يرقى الى الطائف الدرج

وقالوا ستأتي شدة بعد موته
فأكذبهم ربي وما جاء سوى فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين ألفي ألف دينار ومن القماش والاثاث ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف ومن الخيل المسومة والبغال الفارهة ستة آلاف ومن الجمال النجيبة خمسة آلاف جمل وكان عليق دوابه في كل شهر أحد عشر ألف اردب شعير وفول • وفي أيام الشريف الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق في المسجد الحرام في ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمائة • وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد في الجانب الغربي منه ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات في سنة تسع وعشرين وخمسمائة فترك بعض سكان الخلاوي سراجا موقدا في خلوته ونزعته الفارة فأصابت الفارة الفوسقة فتيلة السراج منه الى خارجه فأحرقت الخلوة واشتعل اللهب في سقف الخلوة وخرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف واتصل بسقف المسجد الحرام والتهب به وعجز الناس

ما مضى لا يعاد واستمر معهم على الاتفاق والمحبة وفي سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسن ان يعرض للدولة العلية تولية ولده الشريف سعيد مقامه في شرافة مكة وينزل عنها له فكتب عرضا وأرسله الى الابواب العالية فأجيب الى ذلك وجاء الجواب في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع آغا مخصوص وأدخلوه مكة بالاي أعظم وجلس في الحطيم مولانا الشريف وصاحب جدة والقاضي والمفتي وأعيان الناس وقرئ الاغاة الى الحطيم بالامر السلطاني والشريف لبس مولانا الشريف سعيد وألبس أرباب المناصب على جري العادة وباب الكعبة مفتوح الى ان انقضت قراءة الاوامر وكانت ثلاثة وفيها الوصية على الحاج والرعايا والمجاورين كما هو العادة ودعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي واقتضى رأي مولانا الشريف سعيد الجلوس للتهنئة في المدرسة التي بقرب من المسجد فدخل مولانا الشريف سعيد فقبل يديه وركبتيه وهو يدعو له وعينا كل منهما تذرفان بالبكاء من شدة الفرح ثم خرج من عند والده وركب الى داره التي بسوق الليل المباركة ومدحه الشعراء بقصائد

•(الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣)•

ولما كان يوم انسحب طلع الاغاة الوارد بالقفطان بخلعة سمور وكتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد وألبسه الفرو والوارد عليه من الابواب زيادة في الاكرام والعناية وخوطب في كتابه غاية التعظيم وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد لكن ما قبلها كان غير أمر سلطاني ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف سعيد للبس الخلعة وخرج معه والده فلبس الشريف سعيد الخلعة ورجع وحج بالناس ومن الوقائع في هذه السنة ان أمير الحاج الشامي ذهب له باشة عسكره غلام وذهب لابن أخت الباشا صاحب جدة غلام فصار كل واحد يسأل عن غلامه فقام خبر لابن أخت الباشا ان غلامه عند باشة العسكر الشامي مغرور وارتكب بأخذه فلما وصل الى الباشا أمير الحاج الشامي أمر بأخذه في الحديد فأخذ وجعل في الحديد وخرج الباشا بالحمل يوم عشرين وهو معه في الحديد وكان الباشا صاحب جدة قد نزل الى جدة لاستلام المراكب الهندية فأرسل مولانا الشريف سعيد الى الباشا يشفع في اطلاقه فلم يقبل شفاعته ثم أرسل قاضي مكة فلم يقبل وسار به معه ولم يلتفت الى أحد فلما وصلوا الى عسفان وجدوا غلام باشة العسكر الشامي فأخذ الغلام ولم يطلق المعتقل وسار به الى المدينة فتكلم فيه شيخ حرم المدينة وفكه بنحو عشرين كيسا ورجع من المدينة الى جدة ولم يزل مولانا الشريف سعيد ووالده متفقين مع الاشراف الى سنة خمس عشرة ومائة وألف فتنافر مولانا السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات مع مولانا

من طاقته لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس اطفاؤها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشامي واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالي الى ان انتهى الى باب العمرة وكان هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول الذي دخل المسجد الحرام في اليوم الثامن من جمادى الاولى من هذا العام اي عام حريق المسجد الحرام وخرب عمودين من اساطين الحرم الشريف عند باب العمرة [illegible] عليهما من العقود والسقوف فكان ذلك سبب الوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان والا لعم المسجد الحرام بجميعه من الطوائف الاربعة واقتصر الحريق الى باب العمرة رحمه الله تعالى

باقي المسجد الحرام وكان من لطف الله الخفي ما يدق خفاه عن فهم الذكي فصار ما احترق من المسجد الحرام اكواما عظاما تمنع من زيارة الكعبة الشريفة ومن الصلاة في ذلك الجانب من المسجد فقال الشيخ [illegible] من اهل المعرفة ان هذا منذر بحادث جليل يقع في الناس وكان ذلك مقدم وقعة الحرب العظيمة بقدوم تيمورلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين ونهب اموالهم واحراق مساكنهم ودورهم كما هو مذكور في التواريخ المفصلة (قال الحافظ السخاوي) في ذيله على دول الاسلام للذهبي رحمه الله تعالى وفي اخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة وقع الحريق المكي حريقا عظيما اتى على ثلث المسجد الحرام ولولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق

المسجد الحرام جميعه واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا وصارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل في جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كافواه القرب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذي يلي باب العمرة عدة اساطين وخرب منازل كثيرة ومات في السيل جماعة رحمهم الله قال الفاسي رحمه الله تعالى ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهري وكان قدومه الى مكة لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة وكان هو امير الحاج المصري وتخلف بمكة بعد الحج لتعمير المسجد فلما رحل الحاج من مكة شرع في تنظيف الحرم الشريف من تلك الاكوام التراب وحفر الارض حتى كشف عن اساس المسجد الشريف

الشريف سعيد الامر اقتضاه فخرج مغاضبا وخرج بخروجه جماعة من بني عمه الى بركات ثم اتسع الخرق فخرج جماعة من كبار الاشراف ومشايخ من آل الحسن وآل قتادة و[illegible] الاسباب [illegible] المطالبة في المعاليم واشتد كل [illegible] وتوافق الخارجون وتحالفوا وتعاهدوا على [illegible] الكلمة فقام مولانا الشريف سعد [illegible] الصلح بينهم وبين ولده وقام معه في الصلح جماعة من الاشراف واجتهدوا [illegible] ما امكن وتقطعت بسبب ذلك السبل ونهبت الاموال من طريق جدة وسائر الجهات فكم من مال اخذوه وقتيل تركوه ثم ان الشريف سعدا ذهب اليهم بنفسه الى وادي مر وضمن لهم وفاء جميع ما يدعونه من المعلوم وقال لهم ان [illegible] الا ان [illegible] وحسن لهم [illegible] وشرطوا عليه شروطا منها [illegible] الطريق من النهب [illegible] ومنها انهم يكونون على ما عاهدوا [illegible] ومنها [illegible] ثم ان الشريف سعدا دخل مكة ومعه جماعة من الاشراف منهم ابن أخيه السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد وابن عمه عبد الكريم بن محمد بن يعلى وحسن بن غالب [illegible] الشريف سعيد [illegible] فخرجوا من عنده ولم يلتفتوا [illegible] الشريف سعد [illegible] الناس من الاموال [illegible] كل واحد [illegible] ثم رجعوا الى مر الظهران [illegible] والشريف سعد [illegible] الحج واحتاج الناس الى [illegible] الوقت تصدى الوزير سليمان باشا [illegible] انهم [illegible] السادة الاشراف [illegible] طريق جدة [illegible] لا [illegible] الحج [illegible] بانفسهم الى ان تدخل مكة [illegible] ثم ان سليمان باشا [illegible] مولانا الشريف سعد [illegible] ثم ان الشريف سعدا [illegible] الاشراف وكانوا [illegible] انهم ان يعرضوا [illegible] الى امير الحج على جري العادة [illegible] الا بعض اشراف كانوا [illegible]

وعن أساس الاسطوانات في الجانب الغربي من الحرم الشريف المحترم وبعض الجانب الشامي منه الى باب العمرة فظهر أساس الاسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة قوسا [illegible] وأحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض و [illegible] حتى وصل [illegible] الارض على [illegible] وقطع من جبل بالشبيكة على يمين الداخل الى مكة أحجار صوان صلبة منحوتة على شكل [illegible] منحوتة [illegible] دائرة تامة في سمك ثلثي ذراع ووضعت على قاعدة مربعة منحوتة على شكل [illegible] على الاساس المرتفع الى الارض ووضع عليها دائرة أخرى مثل الاولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت [illegible] ووضع على جميع ذلك الرصاص الى أن انتهى طوله الى طول أساطين المسجد فوضع عليه حجر منحوت من الرخام هو قاعدة وبين العمودين من فوق ذلك يصعد الى العمود الآخر [illegible] ما بين ذلك بالآجر والجص الى أن يصل الى السقف الى أن تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هذا الحكم ونقضت القطعة التي من الجانب الشامي الى باب العمرة [illegible] من عمد الرخام الابيض [illegible] من [illegible] الى [illegible] الى آخر الصوان المنحوت [illegible] على العمد الرخام [illegible] من المسجد الحرام ثلاثة أروقة والجانب الغربي [illegible] الصوان المنحوت [illegible] على شكل عمد الرخام وكانت عمارة هذه العمد في أواخر شعبان سنة أربع وثمانين وألف في غير [illegible] السقف وآخر عمله لعدم وجود خشب يصلح لذلك بمكة ولا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك [illegible] يصبرون طول ولا قوة و يحتاج الى خشب الساج ولا يجلب الا من الهند أو خشب الصنوبر ولا يجلب الا من الروم فلزم تأخير اكماله الى احضار القدر الذي يحتاج اليه من ذلك الخشب وشكر الناس الامير يوسف على سرعة تمام هذا المقدار من العمل في هذه المدة اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الى ان صلح للصلاة فيه وكان ذا همة عالية وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان ورجع الامير يوسف في ذلك العام وعاد الى مصر ليجهز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام ووصل الى مصر في أوائل سنة خمس وثمانين وألف وكان صاحب مكة يومئذ [illegible] الاشراف بمكة الآن السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله

أهل الحل والعقد [illegible] للاشراف [illegible] الناس وهم في غاية الخوف ولم يحج
من أهل مكة الا اليسير [illegible] الاشراف [illegible] مكة والناس [illegible] فلم يكن ذلك بل التزموا
الوفاء [illegible] عليهم [illegible] باشا صاحب جدة [illegible] أمير الحج [illegible] أخذ الاشراف
في الارتحال من [illegible] ونزلوا بالزاهر في السابع والعشرين من ذي الحجة [illegible] الشريف سعيد
وأرسل [illegible] الى الشريف [illegible] السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر [illegible] الى
المحكمة ومعه [illegible] عبد الله [illegible] وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد [illegible] شهودا على
الوكالة وكان الشريف [illegible] نزل [illegible] الى المحكمة وكان قاضي مكة ذلك العام القاضي أحمد
البكري أحد السادة البكرية [illegible] بالشام [illegible] فادعى السيد عبد الله [illegible] وكالة عن
جماعة على مولانا الشريف سعيد بانه [illegible] من [illegible] البلد [illegible]
[illegible] من زمن الشريف
قتادة [illegible] فانكر ذلك مولانا الشريف سعيد
وقال [illegible] من صاحب مكة ما يعطيكم من قبيل صلة الرحم ومدخول مكة
[illegible] بحضرة القاضي والعلماء [illegible] فتأثرت نفوسهم بزيادة ثم
[illegible] الاشراف الى جماعتهم بالزاهر [illegible] اجتمعوا بالشريف سعد
[illegible] ثم ان
الشريف [illegible] الى الزاهر [illegible] وقال هو ها
[illegible] فقبلوا ذلك وطلب جماعة منهم يدخلون
معه مكة [illegible] يوم [illegible] أو أزيد
[illegible] آخر يوم من شهر ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف ودخل عقب ذلك المحرم
من سنة ست عشرة [illegible] الاشراف [illegible]
[illegible] الجبل [illegible] بالشبيكة واتهموا
[illegible] الجبل [illegible] على سوقة [illegible]
[illegible] جماعة من العبيد الى جهة المعلى
[illegible] الاشراف في مضاربهم
[illegible] الزاهر [illegible] وتقدم بعض العبيد [illegible]
[illegible] أفندي في الشبيكة وكان يعرف ببيت عبد الباقي الشافعي [illegible] وجعلوا

عهده صوب الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويبادر اليه وهو الذي يقول فيه شمس الدين بن المقري الشافعي صاحب الارشاد والروض وعنوان الشرف وغيرهما من قصيدة له يمدحه ويحرض صاحب اليمن يومئذ

أحسنت في تدبير ملكك بالحسن * وأجدت في تمكين اهلاك [illegible] الى أن قال [illegible] موسى غير لابثاء [illegible] *
في الحرب لكن ابن موسى من حسن [illegible] هذا الذي عن [illegible] ومن جملة [illegible] آثاره انه لما رأى رباط رامشت وما آل اليه أمره بعد الخراب الى ان صار [illegible] فاشتراه كما كان يعرف من ماله عليه الى ان عاد أحسن من الاول وزالت السيئات [illegible] (١٤٤) [illegible] واصلح الحرم الشريف [illegible] الاسبقية [illegible] بسبب ذلك وتلك تجري [illegible] الى الآن [illegible] الناس [illegible] مشهورة في أوائل القرن التاسع وهو من الائمة الذين اشتهروا في ديوان السلطنة [illegible] في خدمة السلطان [illegible] العلائي ومن بعده وكان من أهل الخير رحمه الله وفي سنة [illegible] قدم الى مكة الامير [illegible] الغربي من المسجد الحرام وغيره مما [illegible] المسجد الشريف [illegible] من كل جانب [illegible] الاخشاب [illegible] لذلك وجلبها من بلاد الروم [illegible] بالالوان [illegible] واستعان بكثير من خشب [illegible] من جهة الطائف [illegible] خشب الساج يومئذ في مكة وبذل همته واجتهاده الى ان أسقف جميع الجانب الغربي من المسجد الحرام [illegible] ومعه بعض الجانب الشامي أيضا الى باب العجلة [illegible] المسجد الشريف [illegible] من الخير [illegible] وعلق في تلك الاسقف سلاسل من نحاس [illegible] لتعليق القناديل في الرواق [illegible] المسجد الحرام من الجانب الشرقي واليماني وأكثر الشامي الى باب العجلة كان في كل عقد من العقود [illegible] المسجد الشريف ثلاث سلاسل احداها في وسط كل عقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق القناديل [illegible] الجانب الغربي [illegible] فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب واعيدت عقوده لم تركب فيها هذه السلاسل ولا أدري كانت هذه السلاسل التي هي خارج عن

المصريون من أهل عليهم فبدأ الشريف سعيد الخروج عليهم وجمع [illegible] جماعة في دار السعادة وجماعة في دار الشيخ عبد الله العمري في الشبيكة [illegible] عسكر المصري ومن عسكر الينبع [illegible] ثم انحصر [illegible] عسكره [illegible] وأصحابه [illegible] والاشتغال به فركب وركب معه جماعة من العلماء والوجهاء [illegible] فلم يتمكن من ذلك ووقف بسوق المعلاة ووصل الرمي من جبل عمر الى [illegible] فوقه بل أصاب [illegible] الجبل بعض ذلك الرمي واستمر الى ضحوة عالية [illegible] من القتلى [illegible] وبعض العلماء واخذوا من القاضي حكما [illegible] ولاة السلطان [illegible] العامة ان يقاتلوا معه هؤلاء الجماعة وأمروا مناديا ينادي في شوارع مكة [illegible] الناس [illegible] ينادي بالنفير العام [illegible] شيخ الاسلام [illegible] سليمان باشا صاحب جدة [illegible] وجاء بالحكم وتأمله [illegible] الامر [illegible] فلما علموا الشريف سعيد [illegible] مائتي عسكري فخرج بهم من [illegible] الاشراف [illegible] الاول [illegible] فهدمت [illegible] الشريف سعيد [illegible] عسكر الشامي [illegible] وصل الى البيوت [illegible] هناك [illegible] دار الانقشار به [illegible] ثم عطف على سويقة على بيت [illegible] الشامي ورمى به على البيت فقتل من كان فيه من الاسلحة [illegible] من كان هناك من الاشراف [illegible] فرس [illegible] ابن حسن [illegible] سعد واقف تحت دار السعادة [illegible] ثم [illegible] الاشراف ثم لحق بولده وسار [illegible] جبال [illegible] الاشراف [illegible] مضاربهم [illegible] الاشراف ثلاثة أيام [illegible] الشريف سعد [illegible] المشايخ [illegible] لهم [illegible] كرامة [illegible]

الاروقة تحت العقود الدائرة منها يعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة ولم أطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت ومن بطائن أكثر عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي الى باب العجلة في سنة سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان فيه انكسار أعواده او وصل بعضها وكان يسيل منها الماء الى المسجد الشريف بأصلح الامير بسق جميع ذلك الخشب المقطوع وتسوية في سطح الاسقف بالكلس واتقن عمارتها ورماه صحن المسجد من الفاطات الاربعة على الهيئة القديمة وبذل في صرف ذلك الاموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في أيام الناصر زين الدين أبي السعادات (١٣٢) فرج بن برقوق بن أنص وهو الجركسي ثاني ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد من أبيه عند وفاته في نصف شوال سنة احدى وثمانمائة وكان الامير الاتابك ايتمش مدبر المملكة وكان الامير يشبك خزنداره فوقع بينهما منافرة أدت الى مشاجرة ثم الى مقاتلة فانكسر ايتمش وهرب الى نائب الشام الامير تنم الظاهري فجهزا جيوشا الى مصر لقتال الناصر وشيبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا امامه وانضربت احوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تيمورلنك الى بلاد الشام وأخذها من سودون الظاهري وأسره وقتله ونهب بلاد الشام وأخرب ديارها وادار وخرج الناصر فخرج بجيوشه من مصر لقتال تيمورلنك فوجده قد نزل البلاد وتوجه الى بلاد الروم واعطى الشام شيخ المحمودي وعاد الى مصر وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة ثم كثرت الفتن بين امراء مصر من الظاهرية ومماليك الظاهر برقوق واختلفت الاحوال بسبب هذه الفتن واختلافات الى ان صرح فرج من ذلك وهرب من القلعة بعد العشاء ليلة الاثنين سادس ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة واختفى عند سعد الدين ابراهيم بن غراب أحد رؤساء المباشرين فبايع الامراء أخاه الامير عبد العزيز ولقبوه الملك المنصور وعبد العزيز بن برقوق بن أنص وهو الجركسي ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت أمور المملكة في أيامه لصغر سنه واختلاف امراء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكانت مدة ملك المنصور شهرين وعشرة أيام ثم ظهر الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه امراء من مماليك أبيه وأخذ القلعة بالحراب

الشريف سعد بشاعرة ثور وأسد وطالبهم بالدخول معه الى مكة وملاقاة الشريف سعيد فدخل معه كارههم فخرج الى بعد أخذهم بهيئة وكفالتهم من تركوه من جماعتهم فاتماهم الشريف سعد ذلك اليوم وجعل لهم أنواع الاطعمة والفاكهة ثم انهم رجعوا على طائل فعند ذلك رجعوا الى الحجاز الا ان السيد أحمد بن زين العابدين ومن في عائلته والسيد أحمد بن حازم ومن في عائلته والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومن في عائلته نقضوا امارهم ومع القوم وعزموا على الجلاء بعدان ودعوا طاوروا على حالهم وأما السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم ابن يعلى فرأى الشريف سعد أن يكون الصلح فيما هو في التشاور واذا بقافلة الاشراف أخذت قافلة عظيمة خرجت من جدة وقتلوا الرجال ونهبوا الاموال فاشتد غضب الشريف سعيد ووالده الشريف سعد وقال الى كفالهم من في عهدهم أعطوا الحق من أنفسكم فانكم كفلتم هؤلاء الجماعة أياما معدودة واستردوا منهم ما كانوا أعطوهم من أموالهم فعمروا القافلة ثم ان السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد خرج اليهم حيث لم يتم ما أراده عمه من الصلح مع حدوث أخذهم لهذه القافلة من أن معهم السيد مبارك بن حمود خرج معهم من جدة وأودعها باشا الشريف سعيد في كتاب له فالتقوه ومعه من العسكر والعسكر بعدة نحو الاربعين فارسا وكان سليمان باشا صاحب جدة قد نزل الى جدة قبل خروج تلك القافلة وكان خروج الشريف عبد المحسن بن أحمد الى الاشراف في التاسع والعشرين من محرم فوجدهم قد انتقلوا الى الخيام وكانوا اعتدوا برئيس فاشتغلوا على السيد مبارك بن حمود ونحوه ممن كان مع القافلة وقبضوا عليهم واستاقوا القافلة جميعها فلما رأى السيد مبارك منهم ما رأى وكان مباركا كاسمه نزل عن فرسه ودخل مكة راجلا ونزل على السيد مساعد بن سعد وكانت قافلة عظيمة موفورة من كل الانواع وقتل من العسكر جماعة نحو خمسة عشر وأخذت الاموال وبلغت القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم بقية وثلاثين ولم يزل الامر هو هو واشتد الحصار بالاشراف فسلم من كانت له سلامة ورجعوا بماله فأخذت القافلة بالرماح وبادروا على الفلاح وأتقنهم كانوا اشتاقوا ولما وصل الى الشريف عبد المحسن جعلوا كثيرا باليسير واعتذروا الى الشريف الامر انه وبايعوه على شرافة مكة وعزل ابن عمه الشريف سعيد فرضي بعد أمد شديد ثم ارتحلوا من محلهم ونزلوا مادون يلملم من جدة يقال له عليل مصفرا وأرسلوا الى الوزير سليمان باشا يعرفونه بما اتفقوا عليه فأمرهم بدخول جدة فدخلها مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى والسيد أحمد بن هزاع والسيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وآخرون من الاشراف وأقام الباقي بعليل فأرسل الباشا كتابا

من أخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثانيا يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة وتوفي أخوه الملك
المنصور عبد العزيز وأخوه لأمه ابراهيم الى الاسكندرية فتوفيا ما في ليلة الاثنين سابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة واتهم
الناصر بقتلهما والله أعلم ثم صار الملك الناصر فرج يتتبع أعداءه من الأمراء فصار يقتلهم واحدا بعد واحد ففر منه [illegible]
وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم فخرجوا عنه الى الشام [illegible] وتكرر [illegible] في [illegible]
الاحتراز منه والهرب [illegible] ومخالفة الحلم الصغير والجم الكثير لا تستطيع الى [illegible] الاتباع وتفرقوا عنه
وسئموا عن الاتباع وهو يتبعهم [illegible] (١٣٣) [illegible] وهو ومن معه [illegible]
خيولهم في طلب العدو من العشاء الى الصباح وأشرفوا الى [illegible] على الأمراء العصاة عليه وهم بخول [illegible] في الراحة والارتياح فقال السلطان الناصر فرج ومن معه وهم [illegible] حقيرون على أمراء العاصين له وهم [illegible] كثيرون [illegible] من هذه الجملة [illegible] وهو ومن معه في غاية التعب والمشقة ولم يطعه وأطاع غروره وجهله [illegible] جماعته وخوله وظن أنه لا يقابله أحد لغروره وجهله ولا يقاتله أحد لهيبته [illegible] [illegible] لغرور [illegible] مغرور [illegible] الرماية [illegible] ودارت عليه الدوائر وخذله الدهر وما كان للناصر من قوة ولا ناصر [illegible] وهو [illegible] عدوه [illegible]
أسيرا كبيرا وقتل [illegible] ومدة [illegible] فرج [illegible] [illegible] الى أن
[illegible] وسكن [illegible] في [illegible] شهر
صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة وأتى بعد هذا [illegible] الى ذلك
البلد [illegible] الامام [illegible] أيام
[illegible] وغسله [illegible] في [illegible] التراب في [illegible] الفراديس [illegible] والرجاء من الله
الكريم أن يكون الله غفر له فان السيف محاء الذنوب وان الله علام الغيوب [illegible] في أيامه تجديد عقد [illegible]

الشريف سعيد والى والده الشريف مسعود [illegible] ان [illegible] الأشراف [illegible]
[illegible] وهم [illegible] من [illegible] خلاف على [illegible]
دفعهم [illegible] ان يخرجوا اليوم ونحن ومن عندنا معكم أو ندفعوا اليوم [illegible]
من الضرر عليكم وعلينا [illegible] الطاعة وان كنتم [illegible] عن ذلك فاخرجوا من [illegible]
[illegible] الجواب ليس لهم عند الا [illegible]
الجواب استدعى الباشا مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد [illegible] وجماعة من الأشراف
[illegible] من [illegible] الناس [illegible] [illegible] مكة [illegible]
له الأشراف [illegible] على [illegible] [illegible]
وغيرها ومعه الأشراف [illegible] محمد [illegible] ثم نادى المنادي في شوارع
جدة [illegible] والأمان والاطمئنان ووضع الشريف عبد المحسن يده على [illegible]
الشريف سعيد وجميع [illegible] من جهة الشريف سعيد [illegible] ثم ان
الوزير سليمان باشا [illegible] مولانا الشريف عبد المحسن كل ما يحتاج اليه [illegible] ومن [illegible]
[illegible] وقام [illegible] من الملبس والمطعوم [illegible] من كل
شيء وأرسل [illegible] مولانا الشريف على الأشراف [illegible]
وأرسل الى المدينة [illegible] له [illegible] على المنبر النبوي [illegible]
حرب وغيرهم [illegible] بالطاعة [illegible] وجميع [illegible] وأرسل الى الحجاز [illegible]
النواحي [illegible] ثم ان الشريف عبد المحسن أرسل [illegible] أحمد بن زيد [illegible]
السيد عبد الله بن حسن بن حمود الله والسيد عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم مع [illegible]
بالطائف [illegible] السيد عبد المطلب بالطائف [illegible] ثم وصل [illegible] السيد عبد الله بن سعيد بن سعد
[illegible] ومعه من [illegible] الأشراف محمد [illegible]
السيد عبد المطلب بن أحمد [illegible] وجمع الجموع [illegible]
الشريف سعيد [illegible] الخروج [illegible] ثم خرج من الطائف [illegible] السيد عبد الله
ابن سعيد ومن معه [illegible] وأما السيد عبد المطلب [illegible]
البادية [illegible] في الطائف [illegible] السيد عبد الله بن سعيد [illegible] السيد زين العابدين
[illegible] الشريف عبد المحسن ولي مكة [illegible] عبد المطلب [illegible]
[illegible] هذا [illegible] لا [illegible] عبد المطلب [illegible] عبد الله بن سعيد

مربوطه في سنة احدى عشرة وثمانمائة ومن مهماته انه امر السيفي الطواشي حسين بن احمد التبريزي اوصى في مرض موته ان يصرف على
عمارة عين مكة من ماله عشرة آلاف درهم وأن يعمر الميضأة المصرغتية بخمسة آلاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك في العام
المذكور ووقع في أيام الناصر فرج أيضا ان سلطان بنكالة من سلاطين أقصى الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر
شاه أرسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه ياقوت الغياثي ليتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة
ورباطا ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أعمال الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت
المذكور بأوراق سلطانية الى مولانا السيد (١٣٤) حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ جد ساداتنا الاشراف الآن جعل الله
بوجودهم الزمان وكان
وصول ياقوت الغياثي
الى مولانا السيد الشريف
حسن بن عجلان رحمه الله
مع هدايا جليلة اليه فقبلها
وأمره أن يفعل ما أمر
به السلطان غياث الدين
فكلمه أخذ ثلث الصدقة
على معتاده ومعتاد آبائه
ووزع الباقي على الفقهاء
والفقراء بالحرمين
الشريفين فعمتهم وتضاعف
الدعاء له على الخير والدال
عليه كفاعله واشترى ياقوت
الغياثي لعمارة المدرسة
والرباط دارين متلاصقتين
على باب أم هانئ هدمهما
وبناهما في عامه رباطا
ومدرسة واشترى أصيلتين
وأرابع وجبات عين
الركاني وجعل لها أربعة
مدرسين من اهل المذاهب
الاربعة وستين طالبا
ووقف عليهم ما ذكرناه
واشترى دارا مقابلة
للمدرسة المذكورة
بخمسمائة مثقال ذهبا
وقفها على مصالح الرباط وأخذ منه مولانا السيد حسن بن عجلان في الدارين اللتين بناهما رباطا
ومدرسة والاصيلتين والارابع والوجبات من قرار عين الركاني اثني عشر ألف مثقال ذهبا وأخذ منه مبلغا لا يعلم قدره كان جهزه معه
سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر مولانا السيد حسن انه يصرفه على عمارته ويقال ان قدره ثلاثون ألف مثقال ذهبا وكان السيد
حسن عين أحد قواده وهو الشهاب بركات المكين لتفقد عين بازان واصلاحها واصلاح البركتين بالمعلاة وكانتا معطلتين فأصلحهما
الى أن جرت عين بازان فيهما • وكان خان جهان وزير السلطان غياث الدين ارسل مع ياقوت الغياثي خادما يسمى حاجي اقبال
أرسله بصدقة أخرى من عنده لاهل المدينة المنورة وجهز معه مالا ليبنى له به مدرسة ورباطا وهدية الى امير المدينة يومئذ جماز

من غير قتال ثم يكشفون الخبر ويرسلون الى مكة فان كان الامر غير صحيح فلك منا ان تخرج عبد
المطلب ونحن الكفلاء بهذا فوافقهم على ذلك ثم انه خرج الا عن معه من العسكر والعبيد ووصل الى
أبيه وتخلف عنه محمد بن بازان بالطائف فدخل السيد عبد المطلب الطائف ونادى لاخيه ثانيا
واستقر هناك الى ان دخل أخوه مكة هذا كله والشريف عبد المحسن بجدة فجمع الشريف سعد
والشريف سعيد جماعة من العلماء ومنهم القاضي والمفتي وقوم آخرون وتفرق المجلس على انهم
يكتبون الى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتابا فكتبوه وأغلظوا فيه الى ان قالوا ان بيدنا فتوى
المفتي وحكم وجيه قاضي الشرع بكفر من تجرى على عزل من ولاه السلطان على البلد اذا كان بيده
أوامر سلطانية وانه لا يعزل الا بعزل السلطان وانه قد جاءنا الخبر بعزلك ومحاسبتك فكيف لك
بالعزل والتولية مع انك معزول عن منصبك ثم أرسلوا هذا الكتاب مع السيد خليل الله بن عود
ومعه جوخدار القاضي فلما ان وقف الباشا المذكور على ذلك قال أنا بيدي من السلطان مصطفى بن
السلطان أحمد ومن أخيه المتولي بعده أوامر سلطانية ان أعزل وأولي من أرى فيه الصلاح لمكة
المشرفة فلما انتهى السيد خليل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة وعامل الشريف عبد المحسن من
جدة من عامله وجابا بالجواب جوخدار القاضي فأوله الوزير المذكور فاغتاظ الشريف سعد وابنه
الشريف سعيد وأرسلا يطلبان من الباشا الاشراف على ما بيده من الاوامر السلطانية فأرسل
اليهم انه كثير بدان ذلك فأرسلا رجلا من جهة القاضي ومن كل بلك من العساكر رجلا يشرفون
على ما بيدي من الاوامر ثم انقطعت بينهم الوسائط الى ان رحل مولانا الشريف عبد المحسن من
جدة متوجها الى مكة وذلك يوم السبت ثاني عشر ربيع الاول ومعه الجموع والاشراف الى ان وصل
وادي الجموم فخرج اليهم الشريف سعيد بمن معه من العساكر المكية والمصرية ونزل بذي طوى
وأخذ الشريف سعيد ما بين الحجون ومعه عبيده وجماعة من الفقهاء ومنهم محمد بن جمهور العدواني
شيخا عليهم وفرق على الجبال المطلة على المحصب بعض العبيد وجماعة من يافع والجبالية ولما كان
يوم الاربعاء سادس عشر ربيع الاول سار الشريف عبد المحسن من الجموم ونزل صبيحة يوم الخميس
بالزاهر وأمر بحفر آبار وكان قد طمها الشريف سعيد فلما التقى الجمعان حمل بعض جماعة
الشريف عبد المحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد فأزالوهم عنه
وملكوه وقتل فيه بيرقدار العسكر وعسكري آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الاول وحصل
جروح لآخرين وأما الدفعة مما يلي جانب الشريف سعيد فخالتهم بادية من جماعة الشريف
عبد المحسن فأثخنوهم قتلا وجرحا وضربا وطرحا ولم يزالوا على ذلك الى الليل ورجعا رمت بعض
عسكر

الحسيني فانكسرت السفينة التي فيها هذه الاموال وغيرها بقرب جدة فاتهم مولانا السيد حسن بن عجلان ربع ما خرج من الغرق على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم وأخذ ما يتعلق بالسيد جان الحسيني لانه عصى وظهرت منه شناعة بالمدينة الشريفة من أخذ مفتاح خزانة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضي المدينة جبرا بعد ان أهانه وهو القاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي وضرب شيخ الخدام وأخذ من خزانة النبي صلى الله عليه وسلم احدى عشرة قرعة انقوش ذهب وصندوقين كبيرين وصندوقا صغيرا كانها مملوءة فيها ذهب مودع لملوك العراق وخمسة آلاف كفن وصادر الخدام وأراد أخذ قناديل الذهب من الحجرة فمنعه الله تعالى وتهيب العربان ما جمعه ومات لا رحمه الله تعالى فارسل مولانا السيد (١٣٥) حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرا وصلوا اليها بعد خراب البصرة وولى عليها عجلان ابن عمير الحسيني وكل ذلك سنة احدى عشرة وثمانمائة وفي سنة أربع عشرة وثمانمائة وقع في أواسط رمضان اصلاح مواضع في سطح الكعبة الشريفة كان يكثر وكف المطر منها الى أسفلها ومنها موضع عند الطابق الذي على الدرجة التي يصعد منها الى سطحها ومنها موضع عند الميزاب وكان الموضع الذي في هذا الموضع متهدما مضرا يسيل الماء منه في وسط الجدار وذلك بعد قطع اللوح الذي بين مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان ومواضع بقرب الروازن التي للقبور وكان اصلاح المواضع المذكورة بالجص وكانت الاخشاب المطبقة بأعلى الروازن التي عليها البناء المرتفع في وسط البيت وقد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك وأعيد البناء الذي كان عليها كما كان الا الروزن الذي يلي الكعبة فان خشبه لم يغير وكان الروزن الذي يلي الركن الغربي قد تخرب بعض الخشب الذي في جوفه مما يلي السقف والكسوة التي في جوف الكعبة وكانت الكسوة التي عليه قد زال تسبيلها فشمرت وكان الروزن الذي يلي الركن اليماني منكسرا فقلع وعوض بروزن جديد وجد في أسفل الكعبة قلت وهذه الروازن لا وجود لها الآن فانها سدت جميعها وأصلح في الدرجة أخشاب منكسرة وكان اصلاح ذلك عقب مطر عظيم حصل بمكة في أوائل شهر رمضان ولما قتل الناصر فرج بن برقوق على الوجه الذي تقدم شرحه ما قدم أحد من أمراء الحراكسة على التاس بالسلطنة خوفا من مخاصمة العسكر وحبا أن يقدموا على قتله فاتوا الخليفة العباسي وأبرموا عليه وسلطنوه بالجبر وهو (المستعين

عسكر الشريف عبد المحسن بعد اجتماعهم الى جماعة الشريف سعيد فارسل الشريف سعيد الى مشايخ الحارات وأخذ منهم الرباطين التي يطلقونها ليلة العيد فرميا على الجبال فأصاب مضرب بافيه عسكر من عسكر سليمان باشا ثم أمر باخراج مدفع كبير كان مدفونا بدار السعادة فأخرجوه وساروا به الى طوى فطلعوا به الى قلعة وحشوه وأطلقوه فما أفاد الا الصوت وتعارت بعض شبان من جهة أشراف الشريف عبد المحسن الى بطن الوادي تطلب البراز من الشريف سعيد فضرب منهم السيد عبد المعين بن محمد بن حمود برصاصة في كفه ولم يقدم عليهم أحد ولم يكن مع الشريف سعيد من الاشراف الا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله ومبارك بن حمود وعلي بن أحمد بن باز وبشير بن مبارك بن فضل وقد حضر واقعة الجون ولما كان ليلة الاحد وهو اليوم الرابع ظهرت الغلبة للشريف عبد المحسن وضاق الامر على الشريف سعيد فنزل ضحوة يوم الاحد المذكور الشيخ سعيد المنوفي والسيد علي ميرماه وأمره الى القاضي ما لاق الشريف سعيدا وأمروه بكتابة حجة بالنفير العام فكتب لهم حجة بذلك وأمر مناديا ينادي في الشوارع كل من لم يأت الى محكمة القاضي الآن فهو منهوب الدار مسلوب الاعتبار فاجتمع العالم تحت المدرسة السليمانية بالمسجد الحرام فقرأ عليهم المنوفي الحجة وهو مطل من طاقة المحكمة ومضمونها ان الشريف سعيدا قد ولاه السلطان مصطفى شرافة مكة وأبده السلطان أحمد وقد رأيتم ما صار عليه من هذا الباشا فيجب عليكم بذل الطاعة والخروج معه للقتال ودفع هؤلاء البغاة قطاع الطريق فيما عاد كذلك انصاح بعض الناس الحاضرين هذا باطل باطل وانطلقت العالم بلسان واحد وكاد أن يرجم المنوفي والقاضي ومن معه وفرت العالم من المسجد فلما رأى القاضي قيام العامة أمر بالخروج الى الزاهر للشريف سعيد واختياره عما وقع فخرج ومعه المنوفي والسيد علي ميرماه وجماعة من العلماء والمفتي وأعيان الناس فلما وصلوا اليه وأخبروه أنكر الامر بذلك وزجر من سعى في هذا الامر وقال من أمركم أن تنادوا في العامة واتفق الرأي هناك أن يكتبوا كتابا لكيخية الوزير سليمان باشا خطابا من الشريف سعيد وأبيه بان لهم عليهم دعوى الى القاضي فان لم تجب وتمثل كفرت وأرسلوه مع درويش كان حاضر المجلس وقال لهم أنا أحمل هذا الكتاب اليه بعد أن لم يوافق أحد على ايصاله فأوصله ذلك الدرويش الى الكيخيا المشار اليه فلما قرأه أرسله على الشريف عبد المحسن فكتب الجواب الشريف عبد المحسن الى الشريف سعيد نحن ان شاء الله غدا لا بد لنا من دخول مكة والكيخيا معنا وتكون الدعوى عليه بحضور نار الصحيحة نقول لك ولذلك ان تأخذ الحذر لنفسك والخروج من البلاد وتترك ما لا طائل تحته فان أصبح عليك الصباح وأنت في البلاد فقد رتبت منك

بالله أبو العباس بن محمد بن أبي بكر العباسي المصري) بعد التمنع الشديد منه فولي السلطنة في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة
وكان القائم بتدبير المملكة الامير شيخ المحمودي ثم خلع المستعين بالله وتسلطن مكانه وتلقب بالملك المؤيد شيخ في مستهل شعبان
سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمودا
اليزدي وأعتقه وجعله أمير عشرة ثم صار ساقي خاصكيا ثم مقدم ألف ثم ولي نيابة طرابلس ثم أسره تيمورلنك لما أسر نواب
البلاد الشامية ثم هرب منه ووقعت له أمور مع الناصر فرج من الخروج عليه وعصيانه الى أن آل أمره الى أن صار سلطانا وعصى
عليه نواب البلاد الشامية وتوجه الى قتالهم مرارا كثيرة وافتتح الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه ألم
المفاصل فصار يحمل على الاكتاف ويركب المحفة وكان شجاعا مقداما مهيبا * وكانت أسواق ذوي الفنون نافقة عنده لجودة فهمه وذوقه وكان يحب العلماء والفضلاء ويجل قدرهم * وفي أيامه وقع الغلاء العظيم بمكة حتى بيعت الغرارة الحنطة وهي حمل جمل معتدل بعشرين دينارا ذهبا وكان غالبا في جميع المأكولات حتى بيعت البطيخة بدينار ذهب الى أن رفع الله عن المسلمين تلك الشدة وكان في سنة خمس عشرة وثمانمائة * ومن أعجب ما وقع في ذلك أن جملا كان لجمال يقال له الفاروقي بعمده فوق طاقته في جمادي الآخرة من تلك السنة ففر من صاحبه ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيمنعهم ولا يمكن أحدا
من نفسه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك حروف
تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك * وفي هذه السنة
عمرت أماكن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد * وفي سنة ست عشرة وثمانمائة
عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن حسن بن أبي نمي بن بركات
ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالي من المسجد الحرام البيمارستان الذي كان
وقفه المستنصر العباسي فعمرت ودثر واستأجره من قاضي مكة يومئذ القاضي جمال الدين الشافعي اجارة طويلة مائة عام بأربعين

الذمة وهذا غاية ما لكم علينا والسلام فلما جاءهم الكتاب رجعوا الى الصواب فأودعوا بيارقهم للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

﴿خروج الشريف سعيد من مكة الى الهجمة بعد عزل سليمان باشا له عن امارة مكة﴾

وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادي والعشرين من ربيع الاول ونزل الهجمة من جهة جعرانة ومعه السيد عبد الله بن حسين ومبارك بن حمود وشبير بن مبارك بن فضل وأما أبوه الشريف سعد فدخل مكة وبات في دار السعادة قال الشيخ أبو السعود المنجاري ابن عم صاحب التاريخ بعث الينا الشريف عبد المحسن ان افرش له دار السعادة فطلعت للشريف سعد وأخبرته بذلك فقال لا بأس قال وكان واقفا معنا الى أن فرشناها وهو يأمر بالمجالس الجالسة في الفرش ولما تم فرش المحل خرج في الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول وطلع الى بستان الوزير عثمان حميدان بالعابدة بعد ان أودع بيارقه للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

﴿دخول الشريف عبد المحسن مكة متوليا امارتها﴾

ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد من أعالي مكة ومعه جموعه وهم في الدروع الضافية واللامات اللامعة الصافية وفي الآلاي الأعظم من سائر العساكر المصرية وجميع العساكر الذين كانوا مع الشريف سعيد وما انتصف اليوم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه ولم يزل سائرا الى أن دخل المسجد الحرام وقد بسط له بساط في الحطيم وفتح باب الكعبة المشرفة وحضر القاضي والمفتي والعلماء والخلق كافة ومن دخل معه من الاشراف وقرئ عليهم الاوامر السلطانية وهما أمران أحدهما من السلطان مصطفى والآخر من السلطان أحمد مضمونهما ان سليمان باشا مفوض من قبلنا على الحرمين الشريفين وأنه قائم مقامنا فقد نصبناه بصدد من رأى فيه صلاحا للعباد والبلاد ومن رأى فيه غير ذلك عزله ونفاه وأقام من يرى فيه الصلاح وهذا الخطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا جميعا وبعد تمام القراءة فلما فرغ دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي والريس دعا من أعلى زمزم على العادة المعروفة ثم دخل مولانا الشريف عبد المحسن الكعبة وخرج منها الى دار السعادة وقد هيئت له وجلس للتهنئة وقابل الناس ببشر وطلاقة وامتدحته الشعراء بقصائد وأجازهم وألبس الأغوات وأرباب المناصب على العادة ونادى المنادي في شوارع مكة بالزينة فزينت له مكة ثلاثة أيام واستمر الى اليوم الاربعاء فكانت مدة ولايته تسعة أيام عدد

حروف اسمه فنزل عن الولاية وقلدها ابن عمه مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة ابن موسى بن بركات بن أبي نمي فنزل الى المسجد الحرام بالحطيم وحضر لحضوره وجوه السادة الاشراف والوزير المعظم سليمان باشا والقاضي والمفتي والعلماء والخطباء وكبار العساكر وأهل الادراك وعامة الناس

•(ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى عن شرافة مكة)•
ولما انعقد المجلس قال مولانا الشريف عبد المحسن أيها الناس اشهدوا اني نزلت عن شرافة مكة الى سيدنا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس وسماحة وانه أهل لذلك فأمر حينئذ القاضي عبد زاده المكي أن يخاطب السادة الاشراف هل رضيتم بما رضي به مولانا الشريف عبد المحسن من ولاية مولانا الشريف عبد الكريم فقال الجميع نعم رضينا بما ارتضيه لنا وفيه الكفاية والكفاءة وكل من حضر ذلك المجلس سمع قولهم رضينا به والياً علينا ثم أمر القاضي أن يسئلوا ثانياً هذا الذي رضيتموه عن غير كراهة ولا اجبار على شرط أن لا نكلفوه ما لا يستطيع فقالوا نعم لا نكلفه ما لا يستطيع وليس مرادنا الا الصلاح لبلدنا ونحن معه في اصلاح البلد وما وقع فيها من فساد فعلينا ازالته فحصل عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور فعند ذلك أشار الوزير المعظم سليمان باشا لبعض أتباعه فأتى بفرو فألبسه مولانا الشريف عبد الكريم ثم أمر الوزير بقراءة الامرين السابق ذكرهما من السلطان مصطفى والسلطان أحمد ثم لما فرغ من قراءتهما دعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي على باب الكعبة لمولانا السلطان وكذلك الرئيس بأعلى زمزم على جرى العادة ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبد المحسن ومولانا الشريف عبد الكريم ومعهم الوزير سليمان باشا ومكثوا بها ساعة وتعاهدوا وأقسموا على الصدق فيما بينهم وخرجوا جميعاً فسار الشريف عبد الكريم الى بيت الشريف بركات بن محمد وجلس للتهنئة وخلع على أرباب المناصب والعساكر والطبل ونادى المنادي أيضاً بالزينة ثلاثة أيام وبعث الى الطائف فنودي له فيه وخطب له على منبره وأطاعته جميع العرب وبعث الى المدينة ومدحته الشعراء بقصائد وأجازهم هذا وأما ما كان من الشريف سعيد فانه توجه الى جهة المدينة فنزل على مبارك بن رحمة شيخ حرب وشكا اليه ما فعله به بنو عمه واستعدبه فأبى وقال أنا خادم السلطنة ولا أعصي أمر السلطان فارتحل عنهم ونزل بني ابراهيم واستمر بديارهم أياماً حتى اجتمع اليه بعض عرب منهم ومن جهينة وآخرون من أفق هنالك فأخذ بندر ينبع وأنزل فيه ابنه السيد عبد الله بن سعيد وأقام هو بالجابرية وصار يعطي كل بدوي عشرين أحمر وأردبين حباً من حب لأهالي مكة وجدة كان هنالك من بقية

الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة

ألف درهم ورت مصر وأذن القاضي جمال الدين للسيد حسن بن عجلان أن يصرف الاجرة المذكورة في عمارة ما تخرب منه البيمارستان المذكور ويهدم ما يحتاج الى الهدم ويرمم ما يحتاج الى ترميمه وأن ينتفع به مدة اجارته فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدد فيه ما يحصل به النفع للفقراء وجدد به ابواناً وسهريجاً ووقف جميع ذلك مما عمره وبما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى المنقطعين يأوون فيه علواً وسفلاً ويتقوتون بالاقامة به والسكنى فيه لا يزعجهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون الى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم واذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر على ذلك لولديه بركات وأحمد ثم من بعدهما فالارشد والارشد من ذريته الذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي السيد رضاء الدين أبو حامد محمد ابن عبد الرحمن الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ست عشرة وثمانمائة وانما حكم فيه المالكي لان متأخريهم أجازوا وقف المنافع وهو خلاف رأي أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما واستمر الى أن خرب ودثر واستبدل مراراً آخر ذلك في أواخر دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان واستبدل الى جانبه رباط سلطان الهند أحمد شاه الكجراتي ورباط الخواجا الطاهر واشتريت دور أخر وعمر في مكانها المدارس الاربع ويليه

مواجه مدرسة الحنفية منها جزى الله خيراً من كان سبباً في انشائها وسيأتي بيان عمارتها ان شاء الله تعالى وفي مستهل ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم الى الحج أحد خواص مماليك السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي في يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقد أناف على خمسين وكانت مدة ملكه ثمان سنين وخمسة أشهر وتسلطن بعده ولده الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ بعهد منه في يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره اذ ذاك سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار يدبر مملكته الامير ططر ومعه الملك المظفر أحمد طفلا وقاتلهم وقتل كثيراً منهم الى أن صفا له الوقت فخلع الملك المظفر وتسلطن عوضه في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع

وعشرين وثمانمائة ورجع بالمظفر أحمد الى مصر واستمر بالقلعة الى أن نقل الى الاسكندرية مطموناً في سنة ثلاث وثلاثين
وثمانمائة ونقلت جنازته من اسكندرية الى مصر ودفن بالجامع المؤيد داخل زويلة • وتسلطن الملك الظاهر أبو الفتح سيف الدين
ططر الظاهري في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم
بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه ولا زال يتقدم الى أن صار عند المؤيد رأس نوبة النوب ثم أمير مجلس ثم
تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر لقب أستاذه ومهد مملكة الشام وقتل نائبها وقبض على الامراء الخالفين له وقدم الخالفين وله آثار
جميلة ومقاصد حسنة جليلة • من أعظمها أنه قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب
تحمل له من خزينة مصر
في كل عام وجعل ذلك له في
مقابلة ترك المكس على
الخضر والفواكه
والحبوب وغيرها بمكة وأمر
أن يكتب عهد مراعاته
بذلك على سوارى المسجد
الحرام من ناحية باب
السلام ومن ناحية باب
الصفا باسقاط المكس
الذى كان يؤخذ على
الخضر والفواكه من
المأكولات وأن لا يكلف
شريف مكة على أخذ
الشئ منهم والسوارى
المكتوب بها هذا العهد
موجودة في المسجد
الحرام الى الآن • ثم لما
مهد الله للملك الظاهر
ططر مملكة الشام وحلب
عاد الى مصر فمرض في أثناء
الطريق وصار يتململ في
مصر ولزم الفراش ولم
يتهن بالسلطنة ولا كمل
فرحه بالملك وما أمهله
الدهر بل سلبه الملك
وأسلمه الى الهلاك وتوفى يوم
الاحد لاربع مضين من ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعة وتسعين يوما
﴿وولى بعده في يوم موته ولده الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر﴾ وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة
وصار أتابكه ومدبر مملكته الاتابك جانى بك الصوفى الى أن تغلب على الاتابك برسباى الدقاق فقبض عليه وأرسله الى سجن
اسكندرية وصار أتابكا في مكانه واستبد بأمور المملكة من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن عوضه في يوم الاربعاء الثاني
عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر
يوما واستمر بعد الخلع عند والدته في القلعة الى أن توفى بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وعمره نحو العشرين عاما ﴿وولى

الجرابة وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسلة للوكلاء بجدة واستمرانه يفسح الى أن جهز عليه
مولانا الشريف عبد الكريم السيد عبد الله بن محمد بن بركات بن محمد ومعه بعض الاشراف
وعسكر فنزل بالصفراء على مبارك بن رحمة فكساه وكسا بقية المشايخ وأقام هناك يستجلب العرب
ثم لحقه السيد زين العابدين بن ابراهيم بن محمد ومعه بعض أشراف من ذوى بركات وذوى شنبر
وآخرون من بنى حسن وعساكر من سليمان باشا ركبوا في الزعائم من بندر جدة ثم ان السيد عبد
الله بن محمد بن بركات ومن معه أرسلوا الشريف سعيد وقالوا له اخرج من بلاد الشريف فرد لهم
جوابا غير لائق فأيقنوا منه الخلاف فسارت الاشراف بمن معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ
أهل الفرع بجماعته من قومه ومبارك بن رحمة بمن معه من قومه الى أن وصلوا الى ينبع البحر
فجاءهم السيد عبد الله بن سعيد فحاصروه أياما ثم عجز وطلب الامان فأمنوه وخرج ليلا الى أن لحق
أبيه وأقام معه بالجابرية وتفرقت عنهم العرب ولم يبق معهم الا عبيدهم ومن يلوذ بهم وكانت هذه
الواقعة رابع عشر جمادى الاولى وورد الخبر بنصرة جماعة مولانا الشريف عبد الكريم الى مكة
فألبس المبشر ودار على دور الاشراف كما هو العادة في خبر النصرة فألبسوه الملابس الفاخرة
وركزت الاعلام على بيوت السادة الاشراف هذا ما كان من أمر الشريف سعيد وأما أبوه
الشريف سعد فبعد أن خرج الى المعابدة أرسل الى ابن أخيه الشريف عبد المحسن وطلب الاقامة
بعيدا عن مكة ولا ملكه وقام معاملاته ثم بعد خلع الشرافة عن الشريف عبد الكريم بعث اليه فماطله
من ابن أخيه الشريف عبد المحسن فأجابه الى ذلك وذلك بعد خروجه من مكة الى نواحى الشرق
ثم بعد برهة جمع جماعة من الروقة ومخالد والنفعة وقبائل من الاعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن
يدخل بهم الطائف فصده وكيل الديرة السيد عبد الله بن حسين بن جود الله وكان معه من
الاشراف السيد مبارك بن أحمد بن زيد وعبد الله بن أحمد بن أبي القاسم وجماعة آخرون كانوا
بالطائف في عملة الشريف عبد الكريم وكانوا ينيفون على السبعمائة مع جملة عبيدهم وحواشيهم
من ثقيف وبني سعد وغيرهم وتجهزوا للقائه فهمهم علاقاتهم فثبطه السيد أحمد بن زين العابدين
بكتاب منه عرفه فيه ما أوجب اعراضه عن الطائف وتوجه الى مكة فتبعه السيد مبارك بن أحمد
بجماعة من نحو كرى وغيره من الطرق فدخل مكة فعرض بهم على مولانا الشريف عبد الكريم
سادس جمادى الاولى بالمعابدة وكان الشريف عبد الكريم لما سمع بقدوم الشريف سعد خرج الى
المعابدة واستمر هناك متهيأ للقائه فلما كان ليلة الثلاثاء سادس جمادى الاولى وصل الشريف سعد
الى الهجيجاء ونزل بها وهى محل على ميل من مكة مما يلى الجعرانة وسار في آخر الليل بمن معه فما

شعروا

﴿برسباى السلطنة وتلقب الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقى﴾ وهو الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أخذ من بلاد جركس و بيع فى بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام و باعه فاشتراه الامير دقماق الظاهرى نائب ملطية وقدمه الى الظاهر برقوق فقربه وأعتقه فصار يترقى الى أن ولاه الملك المؤيد مقدم ألف وجرت عليه نكبات وحبوس الى أن ولى الظاهر ططر فقربه وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم جعله داودارا واستمر على ذلك الى أن تسلطن على الوجه الذى قدمناه واستمر فى السلطنة مدة طالت وحسنت أيامه ومن جملة مناقبه انه أخذ بلاد قبرص وأسر ملكها فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو فى تحت ملكه بمصر لم يتحرك وكان عاقلا مدبرا سياسيا ذا وقار وسكينة متجملا فى ملبسه ومركبه محبا لجمع المال واشترى من ماله ثلاثة آلاف مملوك جركسى وعمر بالقاهرة المدرسة الاشرفية وهى من محاسن مدارس مصر ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمر أيضا جامعا عظيما فى سرياقوس ووقف عليه أيضا أوقافا كثيرة وفى أول سنى سلطنته أرسل الامير مقبل القديدى وأمره بعمارة أماكن متعددة من المسجد الحرام كان قد استولى عليها الخراب فأحسن بناءها وجدد كثيرا من أسقف المسجد الحرام كان قد تآكلت أخشابها وكذلك جدد سطح الكعبة الشريفة وكانت الاخشاب التى تربط فيها كسوة الكعبة قد تآكلت وذابت فقلعها ووضع عوضها أخشابا جديدة محكمة بمسامير كبار من الحديد وأحكم كل ذلك غاية الاحكام وأتقنه غاية الاتقان * وفى سنة ست وعشرين وثمانمائة أمر الاشرف برسباى أمير الحج بمكة يقال له مقبل القديدى الاشرفى بقلع الرخام المفروش فى باب الكعبة وجدرانها من داخل لتخربه وتقلعه وأن يجدده برخام جديد وأن يعيد ما كان صحيحا غير منكسر وكذلك يصلح الاساطين التى فى جوف الكعبة الشريفة ويحكمها وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريرا فى سقف الكعبة الشريفة فتتبعوا ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التى تقابل باب البيت قد مال رأسها من محله فأعادها الى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الاشرف برسباى فى لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه فى جدار البيت الشريف وهو باق الى الآن وكان مسند العمارة وهو الامير مقبل القديدى الاشرفى والناظر عليها الخواجا على الكيلانى تاجر السلطان وحضر فى العمارة شيخ الكعبة والقضاة الاربعة وناظر الحرم

شعروا به الا وهو وقد وصل بيوت المعابدة بما يلى اذا خرقه بمن معه من البدو وأهل المعابدة فركب الشريف عبد الكريم بمن عنده وطلع له عسكر الباشا من ترك ومغاربة ومعهم كيخية سليمان باشا و بعض أشراف من آل أبى نمى فكر الشريف سعد راجعا الى أن نزل الخرمانية محل قريب من الهججا ووقعت العسكر فى البدو وعمل السيف فيهم ولحق بالشريف عبد الكريم السيد بشير بن جازان ومعه نحو سبعين مقاتلا من هذيل يقال لهم الصعليان ولحق به أيضا سليمان بن أحمد بن سعيد ابن شنبر وكان قد ورد هذا اليوم من جدة وكان قد تفرق عن الشريف عبد الكريم كثير من الاشراف مغاضبين له ولم يحضر هذه الواقعة منهم أحد واستمر فى المقاتلة الى الساعة الثالثة من النهار فضربت فرس الشريف سعد برصاصة وضرب السيد أبو على بن بازن بن هاشم بن عبد الله برصاصة فسقط من على فرسه وقتل نحو خمسة عشر فرسا من خيل الاشراف وقتل من قوم الشريف سعد ما ينيف على الثلاثين وعقر من ابلهم ما ينيف على العشرين وقتل من جماعة الشريف عبد الكريم نحو سبعة أو ثمانية وامتزجت الدماء من الخرمانية الى رأس الشعبة من ربيع اذاخر دماء الناس والخيل والابل وفى الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد فولوا هاربين فحمل عليهم الشريف عبد الكريم بمن معه حملة واحدة وساروا يقتلون فيهم وساروا هاربين وخرج من عامة الرعية أكثر من عامة الحاربين وهم يصيحون برفع الاصوات ويكبرون عليهم وكانت مقتلة عظيمة ومصيبة مهولة ولم يزالوا يقتلون فيهم الى أن أوصلوهم الهججا فكمن الشريف سعد ببستان هنالك فيه ابنة الشريف سعد بنت سعد بن زيد ووقف اليه السيد عبد الكريم من جانب والسيد عبد المحسن من جانب ووقف لوقوفهما من معهما من الاشراف والعرب الا أنهم رموا الرصاص على نفس البستان وكادوا يصيبون الشريف سعدا فخرج من الجانب الآخر وتبعه من سلم من القتل ورجع الشريف عبد المحسن من الهججا وأما الشريف عبد الكريم فلحق بالشريف سعد ومن معه من الاتراك والعسكر وجدوا الى أن وصلوا بستان سلمى وهم يكثرون القتل وينهبون ما قدروا على نهبه من الابل والخيل وقتل بين سلمى والهججا أكثر مما بين الهججا واذاخر فصاح الشريف سعد وطلب الامان ودخل على السيد محمد بن عبد الله بن حسين بن عبد الله فأدخله وطلبه أن يأخذ له مهلة عشرة أيام و يقيم ببستان سلمى فكلم فيه الشريف عبد الكريم فى ذلك فامتنع وأبى الا أن يسير من وقته من حيث جاء والا فلا أدعه ابدا فرجع السيد محمد بن عبد الله وأخبره بما قاله الشريف عبد الكريم فبينما هو يحدثه اذ غدره ابن جهور العدوانى وهنيدس شيخ الروقة فطعنه ابن جهور فى يده وخدشه هنيدس بالرمح فى رأسه وهربا فأخذ فى طلبهما واقتفاه ابن هنيدس

الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة في شهر صفر * وفي أول هذا العام عمر الرخام الذي في أرض الحجر في باطنه وظاهره وأعلاه وأسفله على يد الامير مقبل المذكور * وفيها عمر باب الجنائز أحد أبواب المسجد الحرام الواقع أمام رباط سيدنا العباس رضي الله عنه أمام هذا الباب واغتاسمي باب الجنائز لانه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه الى المسجد للصلاة عليها فيه وجرت عادة أهل الحرمين الشريفين بادخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك أهل المدينة يدخلون جنائزهم المسجد النبوي ويقفون بها أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها في الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام الشافعي

والامام مالك والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم وأما الحنفية في الحرمين الشريفين فيقلدون أولئك الائمة ليجوز لهم هذا الفضل العظيم لان مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه عدم جواز ادخال الميت المسجد وطالما تصفحت كتب الفتاوى وتفحصت عن رواية أختار الجواز الى أن ظفرت بعون الله تعالى بجواز ذلك وهي رواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه ففرحت بها كثيرا كأني ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فانها من مهمات المسائل لاسيما لاهل الحرمين الشريفين فعض عليها بالنواجذ واعتمد على ما أثبت في هذه المسألة فقد ذكر علماؤنا رضي الله عنهم ان كل قول قال به الامام أبو يوسف والامام محمد والامام زفر فهو رواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وحيث ثبتت هذه الرواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه فهي قول له وان كانت غير ظاهر الرواية فأخذنا بها تصحيحا للعمل جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في الحرمين الشريفين من صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتأثيم من سلف مع وجود المساغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذي نقلده رضي الله عنه ﴿وقد رفع السؤال في ذلك صورته﴾ ما قولكم في مسألة الصلاة على الميت في المسجد الحرام المكي ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة هل يجوز للحنفي ادخال الميت اليهما والصلاة عليه فيهما كما هو عمل الحرمين قديما وحديثا وهو شأن السلف الصالح الى الآن أم لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه كراهة الصلاة على الميت في المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على ادخال موتاهم

زيادة فرسه في فخذه وقارا بأنفسه ثم ان الشريف سعد اسار مارا ببستان سلمى وبات بالزعماء وتفرق من بقي معه من العربان فرجع الشريف عبد الكريم عند ذلك الى مضاربه بالمحصب وبات هنالك ودخل صبيحة يوم الاربعاء ثامن الشهر في الآي أعظم موكب مع عساكر مصر وعساكر الباشا الى أن وصل منزله ومعه السادة الاشراف وقبائل العرب وكان يوما مشهودا وجلس للتهنئة رابع الاربعاء ثم ان الشريف سعدا وصل الى كلاخ ثامن عن طريق عفار الى الليث ثم الى القوس ونادى في بني علي وبني عمرو بقية قبائل زهران وغامد واطمعهم في أخذ القنفدة وما فيها من الاموال فأجابوه فأخذوا القنفدة فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل اليهم عسكرا من عسكر الوزير سليمان باشا من طريق البحر وأمر عليهم مملوكا للشريف أحمد بن زيد فوصلوا القنفدة وحاصروا أولئك القوم فهربوا منها ونزلوا بعد انسه علو دوقة واجتمع اليهم كثير من العربان حتى بلغوا الثلاثة آلاف ومعهم خمسة أشراف فخرج الشريف عبد الكريم من مكة لملاقاتهم وخرج معه الشريف عبد المحسن وكثير من الاشراف والعساكر وكان قد أرسل قبله جماعة من الاشراف وغيرهم مددا لمن كان هنالك وأمرهم بالتوجه الى أن يصلهم فكان من قدر الله ان وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله واشتد القتال وكادوا ان يهزموا الكثرة من مع الشريف سعد من العرب ثم هبت عليهم ريح النصر وانكسرت قبائل الشريف سعد وطلب الشريف سعد منهم الذمة ثلاثة أيام فسمعوا الذمة بشرط ان يرحل ويدخل الحجاز فلم يردلهم جوابا وكان ذلك بعد انسه فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة لم يشعروا الا وقد دهمهم بعد ان أفسدت قبائله قبائلهم فلما ظهر للاشراف ذلك انحاز بعضهم الى قوم الشريف سعد وأما جماعة الشريف عبد الكريم فتردعوا وعادوا الى دوقة فلما بلغوا دوقة وجدوا بها الشريف عبد الكريم فتقووا به ورجعوا الى قتال الشريف سعد فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه ولم يبق معه أحد فقصد الشريف سعد أرض غامد وليس معه الا ثلاثة أو أربعة من الخيل ومثلها من الركاب واقام الشريف عبد الكريم بالقنفدة وجهز أخاه الشريف حامدا الى الطائف ومعه مائتان خوفا من ان الشريف سعدا يقصد الطائف فلما دنا من الطائف بلغه ان الشريف سعدا سبقه اليه ودخل الطائف ومعه نحو ألف وثلاثمائة من غامد وزهران وذلك لست وعشرين خلت من رمضان ونادى فيه لنفسه وخرج متوجها الى مكة والتف على من معه كثير من العربان وغيرهم حتى صاروا أمما كثيرة وأما السيد حامد فدخل الطائف ونادى فيه لاخيه الشريف عبد الكريم ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضرا حضره القاضي والمفتي والعلماء والسادة الاشراف وأكابر العساكر وكان ذلك المحضر بالمسجد عند مقام الحنفي في الثامن والعشرين

الى مقابلة وجه النبي صلى الله عليه وسلم طلبا للبركة ومرحمته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التي هي بنص الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة منتظرا في بابه مولاه الكريم تعالى ويحرم من هذه البركات كلها ويأثم من أدخله مواطن هذه الرحمة والخير (فكتبت ما صورته اللهم وفقنا للصواب) اعلم رحمنا الله واياك ان شرف المسجد الحرام وروضة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ونزول الرحمة بهما على من دخل فيهما أمر واضح لا شك فيه ولا مرية تعتريه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقد تواطأ أهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم الى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طلبا للمزيد التبرك

والاستمرار عليه ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين التأبي من ذلك أو الانكار على فاعله مع انه سائغ في مذهب نعمان الامام أبي حنيفة رضي الله عنه من الائمة المجتهدين رضي الله عنهم ولا نقدم على تأثيم السلف الصالح بما فعلوه طلبا لمزيد الرحمة والبركة واتباعا للائمة رضوان الله تعالى عليهم رحمة ويجوز للمسلم الاخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسائل وان خالف امامه رضي الله عنهم أجمعين ومع ذلك فقد وجدت نقلا صريحا للمحيط البرهاني عن الامام الثاني ان في رواية عنه قوله مثل قول الامام الشافعي رضي الله عنهما وصورة ما نقل وانما تكره الصلاة على الجنازة في المسجد الجامع ومسجد الحي عندنا وقال الشافعي لا يكره وعن أبي يوسف روايتان في رواية كما قال الشافعي وفي رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام والقوم في المسجد لا يكره انتهى فترجح عندي ان أفتي بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية وحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بالامام أبي يوسف رضي الله عنه قدوة في هذه المسألة فاعلم ذلك واحفظه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على أن الكراهة كراهة تنزيه نص عليه شرف الائمة العقيلي كما نقله عنه الامام الزاهدي رحمهما الله تعالى قاله الفقير قطب الدين الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى في كتابه اتحاف الورى باخبار أم القرى في حوادث سنة ست وعشرين وثمانمائة وفيها عمر الامير مقبل القديدي باب الجنائز على صفته الآن لانه كان قد سقط ما فوق أحد البابين الى منتهى المسجد الحرام المقابل لرباط المراغي وتخرب ما بين هذا الباب والباب

والعشرين من رمضان وقال لهم الباشات الشريف سعد أجمع جموعا وقصد مكة وأخذها بالغلبة والحال انه نزل عنها لولده الشريف سعيد سابقا لادعائه العجز عن القيام بها وانا عزلنا ابنه الشريف سعيد لعدم رضا بني عمه به بحيث قطع معاشهم ووقع بذلك فساد الطرق وقتل العالم ونهب الاموال وتولد من ذلك ما شاهده العالم من القحط والغلاء وخصوصا عزل الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ثم انه نزل عن طيب نفس واشرك معه ولد الشريف عبد الكريم لما رأى فيه من الصلاح وقد صلحت معه العباد والبلاد وأمنت الطرق وعاش الناس فقال كل من في المجلس نعم لا يصلح لها الا هو ثم قال اعرضنا على الابواب بعد رضا أهل الحل والعقد ثم سأل الحاضرين عن الحكم في هذا المتغلب فقالوا على عسكر السلطان وعونة الاسلام دفعه وقتاله فحكم القاضي بذلك وكتب بموجب ذلك حجة فأجاب جميع العساكر بالسمع والطاعة والخروج لدفع هذا المتغلب فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا السلاح وباتوا ليلة الثلاثين متظاهرين بالاستعداد للمقاتلة ونزلوا في المتاريس فلما أقبل الشريف سعد بقومه نزلوا عن متاريسهم من غير قتال والله أعلم بحقيقة الحال وبلغنا ان الشريف سعدا لما رجع الى عابد وزهران راجع نفسه وقطع آماله وعاد الى الله وبسط عذره لمن معه فبينما هو كذلك اذ جاءه بعض الرمالين فقال له اني أرى لك الملك الى أمر مكة ولا بد لك من دخولها ولكن ان مضيت جدا في السير هذا والا فلا تملكها ما دام الشريف عبد الكريم بأرض اليمن فعند ذلك جدد العزم وسار مجدا في ليله ونهاره قاطعا الجبال والرمال برجله لعدم حمول الخيل من كونها في تلك الاماكن فما راع الناس صبح الثلاثين من رمضان الا وهو بالابطح وكان مولانا الشريف عبد الكريم بأرض اليمن ولم يكن بمكة من الاشراف الا شرذمة قليلة وكان قائم مقام الشريف عبد الكريم بمكة السيد محمد بن عمرو بن محمد بن بركات فتهيأ من معه من الاشراف واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا ومن تابعه منهم فأطلعوهم على جبال المعلى المتصلة بالمعابدة وجعلوا عسكر دمر الانكشارية على جبل أبي قبيس وركب هو ومن معه من الاشراف ونزلوا وادي ابراهيم المعروف بالمدرج ومعه بعض العسكر ورموا بالرصاص الى ان تكاثر عليهم العرب وانتشروا في الجبال كالجراد ونزلت العساكر من مراكزهم فالتحموا بالمنهزمين فجاءه الشريف سعد وساورهم بالرصاص يصل الى شعل ووقوف الاشراف بالحريق فلما وصل الشريف سعد بستان الوزير لي علمت الاشراف ان لا قدرة لهم عليه فخرجوا من مكة ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة غير ان السيد عبد المطلب بن أحمد بن زيد كان واقفا على باب داره مواجها للاعداء فجاءته رصاصة فسقط من على فرسه وذلك بعد دخول عمه الشريف سعد ثم

الآخر وأزيل الحاجز الذي كان بينهما وأزيلت الاسطوانات الرخام الاثنان تليان هذا الحاجز وعمر فجاءت مصونة حتى ارتفع وعمر أماكن هذا الموضع بين باب علي وباب العباس وموضع آخر يتصل بباب الافضلية انتهى • قلت ورباط المراغي هو الآن محل رباط السلطان قايتباي الذي هو منزل أمير الحاج المصري في هذا الزمان والمدرسة الافضلية هي أوقاف الخواجا محمد بن عباد الله وبينهما بابان للمسجد أحدهما باب واحد يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار السيدة خديجة رضي الله عنها في هذا الباب يقال له باب الحريريين لان الحرير يباع في هذا الباب فات وعادة الناس في زماننا ادخال الجنائز من أبواب العباس ويخرج من (١٤٣) باب السلام وأما أرى ان تدخل الجنائز وتخرج من باب الحريريين ما بين مدرسة قايتباي ودار الخواجا ابن عباد الله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب الى المسجد ويخرج منه ولا شك انه أكثر بركة وخيرا من سائر أبواب المسجد الحرام وانما يقال له باب القفص لان الصباغ يصوغون الحلي في أقفاص للبيع بقرب هذا الباب • قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى وفيها عمر الامير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة الى القاضي أبي السعود ابن ظهيرة الى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي الى الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الاساطين التي عليها هذه العقود وهي سبعة أساطين في الرواق الاول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبعة متصلة بجدار المسجد وجدد من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وجرب وباب علي وهو ثلاثة أبواب أيضا والباب الاوسط من أبواب الصفا وهي خمسة وباب العجلة وهو باب واحد وأحد بابي الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمم باقي أبواب المسجد وبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى • وفي هذه السنة جدد الاشرف برسباي الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وأزال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزيني عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التي على باب العجلة عن يسار الداخل الى المسجد الحرام وهي مدرسة وخلاو

توفي ثاني عيد الفطر ونزل في جنازته عمه الشريف سعد وصلى عليه ورجع الى داره وحزن عليه أخوه الشريف عبد المحسن حزنا كثيرا كان سبب الشدة قيامه في دفع الشريف سعد كما سنراه وتمادت البادية التي مع الشريف سعد على النهب من كل جهة فنهبت البيوت وأخذوا ما وجدوا من نقود وقوت وما عز وهان من متاع وأثاث وأنواع الذكور والاناث فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه وكم من حرة وشريفة هتكت وكاسية سلبت وحامل أسقطت فما زالوا ينهبون الرفيع والوضيع ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل فمن الناس من مات خفاة ومنهم من مرض ومنهم من اختبل فلما دخل الشريف سعد دار السعادة أرسل الى سليمان باشا بالامان لتسكين الشان غير انه لم يأمنه فجمع الباشا جميع جنده عند بابه وملأ المدافع وفرق بعض العسكر في البيوت حوله أياما عديدة والشريف سعد يأمره بترك ذلك ويقول له انت آمن على نفسك ومالك فقال ليس الى ترك هذا سبيل والله حسبنا ونعم الوكيل ثم أرسل اليه يقول له انت من الوزراء وأرباب الدولة فلا بأس ان تلبسني خلعة التشريف لتأمن العباد والبلاد ويطيع الحاضر والباد فلم يجبه الى مطلوبه معتمدا على استعداده فلما آيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس في الحرم الشريف حضره القاضي والمفتي وجماعة من العلماء وبني عمه فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه وقال اعلموا أيها الناس اني كنت نزلت عن شرافة مكة لولدي سعيد فلما لم يصلح لها عزله بنو عمه وولوا ابن عمه عبد المحسن ثم انه نزل عنها للشريف عبد الكريم والتمست منه اقامة أودي فأبى وما رضي بذلك فوثبت عليها الآن فهل ترون اني أحق بها وأهل لها فقال الجميع نعم فقال اذهبوا الى سليمان باشا وألزموه ان يلبسني خلعة التشريف لتقر العباد والبلاد فذهبوا اليه فقال أمر سهل لكن على شرط ان يكتب حجة شرعية تتضمن ان الشريف سعدا قد أفسد البلاد وأضر بالعباد وان ذلك سبب قيام بني عمه عليه وعزلهم له وانهم ولوا عبد المحسن برضاهم وانه نزل عنها بطيب نفسه للشريف عبد الكريم برضاه ورضا بني عمه الاشراف لكونه أحق بهذه الشرافة وأصلح لها وانه خرج لاصلاح بعض الطرقات فتغلب عليها الشريف سعد بسبب غيبته ودخل مكة فأنهى ذلك الى الشريف سعد فجعل باذنه كتابة ذلك فكتب بذلك حجة وأرسل له الباشا قفطانا ألبسه اياه بعد أخذ الحجة فنادى مناديه في شوارع مكة سادس شوال بالامان والاطمئنان وان البلاد بلاد السلطان وبلاد الشريف سعد ابن زيد

• (الولاية الرابعة للشريف سعد) •

وهذه الولاية الرابعة ومدتها عدة (حي) ثمانية عشر يوما كما ستراه وثاني يوم انتهاء سابع عشر شوال جاء الخبر ان الشريف عبد الكريم في الحسينية قافلا من اليمن ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة

وحرب واستمر هنالك الى الظهر وانتقل منها الى المفجر فقاومته هذيل وقوموا اشرار الحرب وكانوا مع الشريف سعد جمعهم له السيد أحمد بن جازان معونة له فحمل عليهم جماعة من عتيبة وحرب الذين كانوا مع الشريف عبد الكريم فاثخنوا فيهم الجراح وطردوهم عن مواقفهم وأما الشريف سعد فانه لما بلغه انتقال الشريف عبد الكريم ومسيره بمن معه الى المفجر خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بمن معه من الاشراف مكملون اللبسة بالدروع وهم خمسة وأربعون ومعه من بقي ممن كان معه من العرب وصعد بمن معه الى أعلى مكة ونزل المنحنى وأما الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف والعرب فانهم بعد هزيمة هذيل تمروا على ساعد الجد ودخلوا جميعا سائرين الى ان وصلوا المحصب فانصب عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالمحصب فلم يبالوا بذلك الى ان شارفوا الشريف سعدا ومن معه فوقع القتال ووقعت مطاعنة من الاشراف في بعضهم البعض فضربت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت به على الارض ونودي عليه فدخل على السيد عبد المحسن بن محمد بن حمود فانكب عليه ومنعه من الطعن ويقال انه طعن ثلاث طعنات واركبه على فرسه وحضنه ومضى به الى العابدية ووقع انكسار شنيع اقبائله وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم وحصل قتل في جماعته وهرب من هرب منهم ابن جهور العدواني ودخل الشريف عبد الكريم والشريف عبد المحسن مكة بين المغرب والعشاء ونزل على سلطان باشا وتلاهم من معهم من الاشراف وسيوفهم شاهرة في أيديهم ورماحهم مشرعة على أكتافهم الى ان دخلوا بيوتهم ثم نودي في تلك الليلة بالامان وان البلاد بلاد الشريف عبد الكريم

●(الولاية الثانية للشريف عبد الكريم)●

وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الكريم وان كان الشريف سعد أخذها بالغلبة وحال نزوله بيت الباشا أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء واقامة الصلاة فامتثل الرئيس ذلك فأقيمت الصلاة وأمن الناس بعد ان كادت أرواحهم تزهق ثم بعد صلاة العشاء رجع الى المحصب ومعه جميع آلات البادية وبات تلك الليلة هنالك ودخل في الصبح ثامن عشر شوال في آلاي عظيم وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما رأوا ما صار بين دخلوا دار السعادة وجماعة دخلوا دار بيرم آغا وغيره من البيوت وجماعة في جبل أبي قبيس بزاوية الشيخ بابق والبيوت التي حوله فأقاموا يومهم وليلتهم محاصرين الى الضحوة الكبرى ثم أرسل الباشا مدافع وعسكرا ورموا بالمدافع الى الاماكن التي فيها أولئك المحاصرون فكسرت الابواب فدخل العسكر وقتلوا كل من هنالك وربطوا جماعة وذهبوا بهم الى بيت الباشا فقتلوا هنالك واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يبق

للفقراء في غاية الاحكام والاتقان والمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الآن بيد النجاريين أئمة مقام الحنفي يسكنها الاعيان الواردون الى الحج وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت الآن وأبقى أيضا عبد الباسط سبيلا وحفر بئرا في طريق العمرة على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذي يقال له فخ يقال لها الجعرانة فيه مدفن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وكان أحد الاجواد في الاسلام وكان يقول ما أظن لي أجرا فيما أعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ووالله ما هذا عندي وهذا الحصى الا بمنزلة واحدة وكان خرج على الهادي العباسي بمكة وقاتل خالد البربري ومن معه من جنوده العباسيين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أخرى من قبل الهادي ونزل الحسين ابن علي بفخ وقاتل قتالا شديدا الى ان قتل هو وجماعة من شيعة أشراف بني حسن رحمهم الله تعالى وجاءت رؤسهم وهي مائة رأس يتقدمها رأس الحسين بن علي الى الهادي ويقال له الحسين بن علي الفخي نسبة الى فخ وروى أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المسلمين ينزل اليهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم وعبد الباسط هذا هو ابن خليل ابن ابراهيم الدمشقي ثم القاهري ناظر الجيش في أيام الظاهر ططر ومن بعده كان عزيزا رئيسا كريما نافذ الكلمة على السلطان واسع العطاء كبير الهمة له في كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وبغزة وله على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة بمصر كانت تغل مغلا كبيرا استولى عليها الخراب الآن وكانت له سحابة للفقراء تنصب لهم في الطريق يستظلوا تحتها وكانوا يحملون على جمال في شقادف أعدها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطري والقسماط وكان يطبخ لهم في المناهل ويذبح لهم الغنم في الذهاب من مصر الى مكة وفي مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم وأصلح كثيرا من درب الحجاز وكان متكلما على أوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمرها وغلاها الى ان فاضت وكثرت في

زمانه . وقد ذكر شيخ الاسلام قاضي القضاة عصره الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه فتح الباري ان الصالح بن
الناصر بن قلاوون اشترى ثلث قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها في كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تكسى من
ريع تلك القرية الى ان فوض أمرها المؤيد شيخ الى الزيني عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فنمت وكثر ريعها وبالغ في تحسينها
بحيث يعجز الواصف عن وصف حسنها جزاه الله على ذلك خير الجزاء . اهـ وكنا قد اذكر هذا الامام الجليل في مثل هذا التأليف
العظيم . ورأيت أيضا في شرح ايضاح المناسك للسيد نور الدين علي السمهودي الحسني عالم المدينة رحمه الله تعالى ما لفظه وكسوة
الكعبة الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية في هذه الاعصر من وقف قرية يقال لها سندبيس في طرف
القليوبية مما يلي القاهرة
اشتراها السلطان الصالح
اسمعيل بن السلطان محمد
ابن قلاوون من وكيل
بيت المال ووقفها لان
تكسى منها الكعبة
الشريفة كل سنة وتكسى
الحجرة الشريفة النبوية
في كل خمس سنين مرة على
ما قاله الزين المراغي وذلك
في عشر الستين وسبعمائة
. أقول هذه القرى
موجودة الآن بمصر
لكن ذكر لي من كتبة
ديوان مصر الفاضل
الكامل . مولانا مصطفى
چلبي بن مسيح زاده لما
كان مقيما بمكة المشرفة
ناظرا على الحرم الشريف
المكي ذكره الله تعالى
بالصالحات ان هذه
الاوقاف ضعفت جدا وقل
محصولها وصارت لا تفي
بكسوة الكعبة الشريفة
فعرض ذلك على أبواب
المرحوم المغفور له السلطان
سليمان خان أسكنه الله
فسيح الجنان فأمر بالحاق قرى أخر اشتريت من بيت المال وأوقفها وألحقها بأوقاف كسوة
الكعبة الشريفة وهي باقية الى الآن ومنها كسوة الكعبة الشريفة في كل عام ﴿ولنعد الى تكميل ترجمة القاضي عبد الباسط﴾
كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء لاربع ليال مضين من شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة وتوفي السلطان الملك الاشرف
برسباي يوم السبت الثالث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة . وفي يوم وفاته تولى بعده العزيز الملك جمال
الدين يوسف وعمره يومئذ أربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبر مملكته الاتابك جقمق العلائي ولا زال
يقوى أمره والاقدار تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بن برسباي بعد ان تسلطن نحوا من خمسة أشهر لم يكن له فيها الا مجرد

الا من توارى ثم تتبعوا من كانوا في جبل أبي قبيس فقتلوهم حتى وصلوا بالقتل الى الصفا وكانوا
نحو السبعمائة وكان يوم سخط نعوذ بالله من مكره وكل محل من مكة تجد فيه القتلى قيل ان عدة
القتلى في ذلك اليوم ألف وما ثار رجل حتى عجز الناس عن مواراتهم وصاروا يحملونهم على العجلات
ويرمونهم من رواشن دار السعادة واسطحتها الى الارض فيجرونهم بحبالهم ويلقونهم في العجلات
ويحفرون لهم حفرا ويلقونهم فيها وجمعت الرؤس في حوش الشريف وجعلت في الخيش وبني منها
أرضم على ثار جده سبيل السلطان مراد في المعلى باعتبار المار بهم فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر
الشريف سعد بالعابدة يقمر يفنا حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاحد خامس ذي القعدة سنة
ست عشرة ومائة وألف وغسل وصلى عليه الشيخ عبد القادر المفتي الصديقي بوصاية وعهد منه
اليه وطلع في جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الاشراف والناس ودفن في قبة الشريف أبي
طالب عند والده الشريف زيد وقد تبين لك ان ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات فالمرة
الاولى مدته فيها ست سنوات الا احدى وعشرين يوما والثانية سنتان والثالثة سبع سنين
وسبعة أشهر واثنا عشر يوما والرابعة ثمانية عشر يوما فمدة الولايات الاربع خمس عشرة سنة
وسبعة أشهر وتسعة أيام متفرقة وولادته سنة اثنتين وخمسين وألف فيكون عمره أربعا وستين سنة
رحمه الله تعالى وفي هذه القضية قبل وصول الشريف عبد الكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات
والجهات وصارت الناس تؤخذ من المعلاة والشبيكة والمسفلة وقل ان تجد أحدا يمشي منفردا
ويسلم فيها لكثرة العربان وانتشارهم وكثرة القتل والنهب حماية للعابدة ومما اتفق ان عتيبة
ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هذيل واثنين من قريش قريبا من السد فخرجت هذيل
في صبيحتها نحو مائتي مقاتل الى ان وصلت العابدة فوجدوا هناك جماعة من عتيبة وفيهم هتيمس
شيخ الروقة فقتلوه وقتلوا معه نحو سبعة أنفار من عرب عتيبة وطرحوهم في الطريق وركبوا جبل
الخندمة وصرح بمحاربتهم فارتجت لهم الارض فركب السيد أحمد بن جازان في جماعة من
الاشراف فاستنفروهم الامان فلم يأمنوا الان عتيبة اجتمعت فرقة منهم بالعابدة فلم تزل بهم الاشراف
حتى رضوا عند العصر فأخذوا هدنة عشرة أيام ونادى السيد أحمد بن جازان لهذيل امانهم في ممشاته
وأمانه وجهه ثم ان عتيبة رحلوا غضابا ونزلوا بالمبعوث على غير رضى واستمر الحال والخوف الى أن
دخل الشريف عبد الكريم وكان ما كان ثم ان الشريف عبد المحسن نادى بان هذيلا وعتيبة
الكل منهم في وجهه لا يمد أحد منهم يده على رفيقه فسكن الاضطراب وأمنت الناس وفي اليوم
الحادي والعشرين من شوال ورد الى الشريف عبد المحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبد الله
ابن

الاسم ٠ وتسلطن مكانه في يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ولقبوه الملك الظاهر سيف الدين أبا سعيد جقمق العلائي الظاهري وجلس على سرير الملك وتم أمره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من بلاد جركس الى مصر فاشتراه علاء الدين علي بن الاتابك اينال اليوسفي فنسب اليه فقيل له جقمق العلائي ٠ ثم انتقل الى الظاهر برقوق فقيل له الظاهري وكان عنده خاصكيا ٠ ثم صار في دولة الناصر ساقيا عنده ٠ ثم صار أمير عشرة ٠ ثم صار في دولة المؤيد خزندارا ٠ ثم صار من مقدمين الالوف ٠ ثم في دولة الاشرفية صار حاجب الحجاب ٠ ثم أمير آخور كبير ٠ ثم أمير سلاح ٠ ثم صار أتابكا الى ان تسلطن فخرج عن طاعته الامير قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم (١٥٥) قتله ٠ ثم خرج عن طاعته نائب حلب تغري برمش ٠ ثم اينال الجكمي نائب الشام فجهز عليهما العساكر فقاتلوهما واحدا بعد واحد وظفر بهما وقتلهما وبعد ذلك صفا له الوقت فأخذ وأعطى وأقدم وبسط وكان متواضعا محبا للفقهاء والعلماء والصالحين يميل الى تربية الايتام ويحسن اليهم عفيفا عن المنكرات طاهر الفم والذيل لا يعلم من ملوك الجراكسة قبله ولا بعده أعف منه وكان على قاعدة الاتراك الدعوى عنده لمن سبق ويذاكر مسائل فقهية ويتعصب لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وملك مصر نحوا من خمسة عشر عاما الى أن أورى الدهر له من نقمه نارا واتخذ بدل عيشه الاخضر بالموت الاحمر ولم يجد له أنصارا واتخذ تحت الارض بعد تحت الملك قرارا واصفرت

(١٩ - تاريخ مكة)

الارض منه في سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة ٠ وكان الظاهر جقمق أول ملوك التفت الى مكة المشرفة وأرسل خلعة ومرسوما للسيد بركات بن حسن بن عجلان بولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمدي ليكون أميرا على خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة وشيد العمائر بها ٠ وكان من عمارة الامير سودون بالمسجد الحرام في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة انه قلع الرخام الذي على سطح الكعبة الشريفة وكان الخشب الموضوع في السطح الشريف لان يربط فيه حبال الكسوة الشريفة قد تأكل وتآكل خشب الروازن الاربعة التي كانت في سقف الكعبة التي كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجردت الكعبة الشريفة واستمرت مجردة يومين وليلتين يشاهد الناس أحجارها الى ان أكمل ترميمها واصلاحها وأعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الاثنين

ابن بركات يخبران الشريف سعيدا قدم من الجاربة الى ينبع ومعه من قبائل العرب جماعة يريد أخذ البندر لما بلغه ان أباه دخل مكة فخرج اليه وردد ناه فرجع الى الجاربة وأقام بها وبعد استقرار الشريف عبد الكريم بمكة كتب عروض منه ومن سليمان باشا عليها خطوط العلماء والاشراف بشرح ما قد صار فلما وصلت الى مصر أخروها بمصر لتوافق بين أيوب بيك أمير الحج المصري وبين الشريف سعيد لما كان في نفس أيوب بيك من صاحب جدة قورد سكز وأمين مصر زوروا غيرها وأرسلوها الى الابواب السلطانية مضمونها ان صاحب جدة عزل الشريف سعيدا وولى الشريف عبد الكريم من غير جناية فلما وصلت الى الابواب السلطانية أمر الوزير الاعظم صاحب مصر ان يجهز عسكرا تجريدة ليرجعوا الشريف سعيدا الى مكانه ويكون باشا التجريدة أيوب بيك فلما جاءتهم الاوامر السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بيك أمير الحج المصري وايواز بيك على ارسال التجريدة الى مكة اعانة للشريف سعيد فكان الامر كذلك ثم بعد ذلك أطلق الوارد بعروض الشريف عبد الكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة فوصل بها الى الابواب فاراد الوزير كتمها فما تجرها الى السلطان أحمد فامر باحضارها فقرئت بين يديه فاستدرك الامر وكتب الى سليمان باشا صاحب جدة بان ينظر فيما هو الاصلح للحرمين وفوض اليه الامر ان يولي من فيه الاصلاح فهرب صاحب مصر التجريدة وجعل ايواز بيك باشا التجريدة وأيوب بيك أمير الحج المصري وعملوا تجريدهم وباعوا حب السلطان المعين لاهالي مكة واستعانوا بثمنه على ما أرادوه فورد ايواز بيك بالتجريدة الى ينبع في ذي القعدة فوصل الى الشريف سعيد وأخبروه انه بالجاربة فبعثوا اليه واستدعوه وقد تخلى عن كل أحد الا السيف وآيس حتى من طروق الطيف فأعاد عليهم الجواب بالاعتذار بعدم وجود لوازم الهمة العلية مما يحتاج اليه في هذه القضية فبعثوا اليه بما يليق بمقامه من جهازه وخدمه ومقامه وأقبل الى ايواز بيك في أربعة آلاف خيال محفوفا بالعز والاجلال فخلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبته مع محمود آغا أحد أغاوات السلطان أحمد ونادى له بينبع ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة ورد مكة سبعة أنفار من عرب حرب من كل بلد رجل ودخلوا الى قاضي مكة وبيدهم كتب من ايواز بيك أمير التجريدة ومن الشريف سعيد وفيها الخطاب لقاضي مكة وللسرادير ومضمونها ان السلطنة أنعمت على الشريف سعيد بشرافة مكة فانتم أطيعوا الله والرسول والسلطان واياكم والمخالفة وقد ألبس قفطان الشرافة الذي ورد به محمود آغا صحبتنا وهو أحد أغاوات السلطان أحمد وهو وارد صحبتنا وقوم هذا الحال وورود بابينبع ثالث شهر ذي القعدة فوقع بمكة لموجب هذا الشأن رجة عظيمة فلما بلغ ذلك الشريف

عمان بقين من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وأصلح أضار رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف وأصلح أيضا رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة وبيض مأذنة باب الحزورة ورمم أسافل مأذنة باب علي وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة نار ابه وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام وبيض علو مقام ابراهيم وعلو مقام الحنفية وقبة باب ابراهيم والاميال التي تلاصق دار العباس في المسعى والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان والذي يقابله التي هي علامة للسعي بين هاوعين في كل ميل قنديلا بالليل من قناديل الحرم الشريف في شهر رجب وشعبان وشهر رمضان تضيء للمعتمرين وفي بعض ذي الحجة للاضاءة على الحاج اذا أرادوا السعي وجعل على الصفا قنديلا وعلى المروة ثم عمر الامير سودون المذكور مابقي من المواضع المأثورة في منى وفي المشعر الحرام مزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذي كان بين المأزمين في طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحاير عند مزاحمة جمال الحاج في ذلك المحل وكانت السراق تكمن خلف الاشجار وتنهب جميع ماتظفر به من الحاج وتخطف منهم جميع ماتقدر عليه فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وأزال الصخور الكبار ونظف الطريق ووسعها وشكره الحاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر في طريق المسلمين والا شجر الحرم لا يعضد ولا يقطع فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى وكذلك الامير خوش كلدي نائب جدة في عصرنا في حدود سنة خمسين وتسعمائة قطع أشجار السلم مابين المأزمين وكسر الاحجار ٢ في سفح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحجاج ودفع بذلك الحل عنهم شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس أثابه الله تعالى وسيأتي شيء من عماراته فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي موسم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصري رسول سلطان العجم شاه رخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الاضحى وفرقت الصدقة على أهل الحرم وفي سنة خمسين وثمانمائة وصل بيرام خواجا ناظرا على المسجد الحرام وبنى بالمعلاة سبيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم على يمين الصاعد الى المعلاة صار الآن في عصرنا بستانا عمره خواجكي مولانا محمد بن محمود أفندي ٢ بياض بالاصل

عبد الكريم أرسل اليهم وسامهم القتل وحبسهم الى الظهر ثم أطلقهم ثم شاع ما ينافي ذلك وان القفاطين انما أرسلت باسم الشريف عبد الكريم وان هذا الامر من تصرف ... قيام أزوب بيك أمير الحج المصري مع الشريف سعيد لغرض في نفسه ثم جعل الشريف عبد الكريم محضرا في المسجد جمع فيه القاضي والمفتي والعلماء والاشراف وكبار العسكر واجتمع معهم كثير من الناس فقال الشريف عبد الكريم اعلموا اني دخلت مكة وقد حل بها ما حل من الغلاء وانقطاع الطريق وهذا كله بسبب الشريف سعيد وحكامه فقال الناس صدقت ثم قال هل تشهدون اني ظللت البلاد وأرحت العباد وأمنت الناس بعد أن وليت قالوا نعم ثم قال هل حدث مني من المظالم ما يوجب رفعي عنها قالوا حاشا الله قال هل ترضون بولايتي عليكم أو ترضون بولاية الشريف سعيد قالوا لا نرضى الا بك فقال هؤلاء الاتراك يريدون توليه سعيد وعزلي فقالت العامة باطل باطل عن لسان واحد ثم ان الاشراف الحاضرين وقع منهم تهديد القاضي ولمن حضر من العساكر المصرية وقالوا لا نسلم لما جاء به ايواز بيك ولو كان معه أمر سلطاني بولاية الشريف سعيد فنحن لا نعصي أمر السلطان غير ان السلطان لا يرضى علينا الخلاف ولا يولي علينا الا من نرضاه فجعل القاضي صورة ما وقع في هذا المجلس وكتب به حجة ووضعت خطوط الاشراف والعلماء والسادة عليها وبعثوا بها الى ايواز بيك فأجاب ان صحبتنا أغا من أغاوات السلطان معه أمر سلطاني ناص بان شريف مكة لا يكون الا سعيدا واننا لا نقصد الا الاصلاح ولم نؤمر الا بهذا وصلتا عن والشريف سعيد اليكم أشرفنا كم على ما أمرنا به ويحصل هذا الاتفاق ان شاء الله تعالى فأعاد اليه الشريف عبد الكريم والسادة الاشراف ان دخول الشريف سعيد غير صلاح وانما يجلس في موضعه الى ان يرحل الناس من الحج ثم نفد وه الى مكة وننظر في الامر فقال ايواز بيك لابد من دخوله صحبتنا فأرسل اليه الشريف عبد الكريم والاشراف يقولون ان دخلتم به فما عندنا الا السيف فاجتهدوا وتجهزوا فعند ذلك تخلف ايواز بيك بمن معه من العسكر الجريدة وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصري بالجموم من وادي مر وصمم الشريف عبد الكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو قتالهم فخرج رابع ذي الحجة الى بئر طوى في عبيده وتلاحقته بنو عمه الاشراف فلما غربت الشمس الا وقد اجتمع عنده نحو ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم وأصبح ذلك الوادي وهو بحر غاص بالوادي واستمر الى سادس ذي الحجة ومن الغريب انه ورد ثاني ذي الحجة على سليمان باشا وهو بجدة أمر سلطاني من البحر مضمونه ابقاؤه على جدة وزيادة سواكن وانا أبقيناك على ما في يدك من تفويض أمر الحرب والامر اليك في ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية ولمن يرضاه أهل

عمي مكة المشرفة في سنة سبع وستين وتسعمائة وقدمة خانم سلطان بنت الوزير الاعظم رستم باشا وأمها والدة السلاطين خاصكي
سلطان رحمهما الله وهو الآن في تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة ● وفي موسم سنة خمسين وثمانمائة أيضا حج وزير من وزراء
السلطان مراد الثاني طيب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة جزيلة لأهل الحرمين الشريفين وبنى في بركة ماء العباس
بالحرم الشريف ثمانمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس وملأ القرب وخرج بها السقاؤن الى المسعى
يسقون الناس وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالا جزيلة تقبل الله منه صالح أعماله ● وفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة عمر
ناظر الحرم بيرم خواجا في الجانب الشرقي قطعة من جدار المسجد الحرام يلي رباط السدرة الذي هو الآن رباط
الاشرف قايتباي وعمر
شباكا خلوة منسوبة
للشيخ عفيف الدين بن عبد
الله بن أسعد اليافعي
وشباك خلوة منسوبة
للشيخ جمال الدين محمد بن
ابراهيم المرشدي وجدد
في الرواق القبلي من
الجانب الشامي سبعة عقود
وعمر أيضا عين حنين
وأصلح مجاريها وأرضها
ترميما محكما ووصل في ذلك
العام كسوة الحجر اسماعيل
مع كسوة البيت الشريف
لا نعلم تجرد ذلك عادة قبل
هذا او وضعت في البيت
الشريف ثم كسي بها الحجر
الشريف من داخله في
العشر الاخير من ذي الحجة
سنة ثلاث وخمسين
وثمانمائة بعد ان حفظت
في جوف البيت الشريف
سنة كاملة وعمر ناظر
الحرم الشريف بيرم خواجا
عين عرفة في عرفة كانت
دائرة مملوءة بالتراب
فأخرج ترابها وأصلحها
وساق اليها الماء من الآبار التي يقرب بها يشرب الحاج منها وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما في
جهات الخيرات رحمه الله تعالى ● ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجي الامير بردبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس
والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة وطاف وسعى وعاد الى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من أعلى مكة ولاقاه أكابر
مكة وأعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرأ مرسومه بالحطيم وهو مؤرخ بثاني عشر جمادى الآخرة يتضمن انه ولي نظر الحرم
الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان قبله وان يكون محتسبا بمكة واستمر بهذه الوظائف وهو قائم الحرمة
نافذ الكلمة وباشرها مع التمكين وعمر في أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام ● وفي هذه السنة أمر قاضي القضاة أبو

الحل والعقد ويرون فيه الصلاح وعزل من ثبت فساده فبعث سليمان باشا الشريف عبد الكريم
يخبره بذلك فاطمأنت نفسه عند ذلك وعلم ان الله ناظر اليه فانه ليس القاصد ودق الزير وأظهر
السرور واستفاض الخبر عند القاضي والاهالي ففرح الناس بهذا الامر ثم ان سليمان باشا خرج
من جدة ونزل طوى مع مولانا الشريف عبد الكريم ثالث ذي الحجة ثم لما كان خامس الشهر دعا
سليمان باشا القاضي والمفتي وبعض العلماء وأكابر العساكر المصرية الذين بمكة ما عدا عسكر
الانقشارية فانهم لم يحضروا واجتمع الجميع بطوى عند الشريف عبد الكريم والوزير سليمان
باشا وتشاوروا في هذا الامر واتفقوا على انهم يرسلون لانوازبيك ليحضر من معهم ويعدلونهم عما في
نفوسهم ويحذرونهم فتنة بني حسن الاشراف ويعرفونهم بما جمعوا من العرب وان هذا أمر
يترتب عليه ابطال الوقوف بعرفة وأداء المناسك والسلطان لا يرضى بذلك فان كان معكم أمر
بعثوا به الينا وان كنتم مطيعون لامر السلطان فاكتبوا ذلك كله وبعث القاضي بالكتاب مع
جوخدار وبعض الباشكات فلما قرؤه اضطربوا وشاوروا الانقياد اليه الا انه كان من قضاء الله
وقدره ان سليمان باشا نزل الى القاضي بالمحكمة سادس ذي الحجة قبل ورود الجواب اليه من
انوازبيك وأراد ان يجمع وجوه الناس عند القاضي ويظهر أمره الذي بيده ليشهد عليه الناس
وليشهد الناس باستحقاق الشريف عبد الكريم وان عزله الشريف سعيد وقع في محله فلما اجتمع
الناس بالمحكمة ثارت الانقشارية على الباشا والقاضي والعلماء وبعثروا السيوف في المسجد
فهرب الناس ولم يبق الا الباشا وحده عند القاضي فاخرج القاضي صورة أمر قرئ بحضرة الباشا
والعسكر الانقشارية مضمونه انا قد ولينا الشريف سعيدا مكة ورددنا اليه بعد عزلكم فانتم
أطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم فبرد سليمان باشا عما أراد فقال له الانقشارية اذهب أنت
والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى وأمره بالخروج من بلد السلطان
والا فانتم الخصماء فذهب سليمان باشا والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم
بطوى فسألوه ان يحقن الدماء ويقيم شعار الحج بخروجه من البلد الله ورسوله فجمع الوادي
والاشراف وأخبرهم بما جاء به القاضي والوزير والعلماء فاطاعوه وبعد تأبى من الاشراف فرحل
عن معه يوم السادس من ذي الحجة الى الركاني وبعث الى الشريف سعيد والى انوازبيك والى أمير
بيك أمير الحج المصري ان ادخلوا في أمر القتال الى بعد الحج فنودي للشريف سعيد بالوادي
وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحارث وبمجرد خروج الشريف عبد الكريم
تقطعت الطرق وحصل النهب في طريق جدة وذهبت جملة أموال للناس وكذلك طريق اليمن

السعادات بن ظهيرة الشافعي رباط رامشت لوكيل القاضي ناظر الخاص ثم وصلت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدله وحكم بصحة الاستبدال حاكم حنفي ثم أمر بعمارته رباطا فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجي بردبك وفتح فيه عدة شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذي هو باق عليه الى الآن وفي سنة ست وخمسين وثمانمائة وصلت أحكام من الظاهر جقمق تتضمن الامر باخراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة المنسوبة الى الاشرف برسباي وان تبقى كسوة الملك الاشرف الظاهر جقمق وحده ففعلوا ذلك وفيها سافر أمير الترك الراكز بمكة الامير جانبك النوروزي وولي عوضه في منصبه ناظر الحرم التاجي بردبك وفي سنة سبع وخمسين وثمانمائة وردت القصاد من مصر تخبر بأن الملك الظاهر جقمق زاد به مرضه فخلع نفسه من السلطنة في يوم الخميس لتسع بقين من محرم من السنة المذكورة لولده أبي السعادات فخر الدين عثمان وتلقبه الملك المنصور وعقد له البيعة وفرح الناس به واطمأنوا وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وسنه دون العشرين وركب بشعار السلطنة وحمل الاتابك أينال العلائي أمير كبير القبة والطير على رأسه وجلس على تخت الملك في قلعة الجبل وباشر الامور الى ان توفي والده بعد سلطنة ولده باثني عشر يوما فوقعت فتنة بين الامراء فخلع الملك العزيز عثمان وتسلطن الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر أينال العلائي في صبيحة يوم الاثنين لثمان مضين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وهو جركسي جلبه الخواجا علاء الدين عن الى مصر فاشتراه الظاهر برقوق وأعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل في الدولة الى ان صار في أيام الاشرف برسباي أمير مائة مقدم ألف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله أتابكا واستمر الى أن تسلطن وتم أمره في الملك وطالت مدته وأيامه نحو ثمان سنين وشهورين وأياما وكان طويلا خفيف اللحية شبيه الشعر بأينال الاجرود وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء متجاوزا عن الخطا والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم في الناس وفي ابتداء سلطنته سافر اليه أمير الترك الراكز بمكة وناظر الحرم ومحتسب مكة الامير بردبك التاجي وولي عوضه أمير الترك الراكز بمكة شيبك الصوفي وطوغان شيخ الحرم ومحتسب وولي مشدا على

وحصل مرض الحج خلق كثير ثم ان الشريف عبد الكريم ركب من الركاني وواجه بيرام باشا أمير الحج الشامي ومعه جماعة من الاشراف فاجتمع به في وادي الجموم ثامن شهر ذي الحجة وصار منهم من التدابير ما تولد منه النافع الكثير كما سنرى ان شاء الله وأما الشريف سعيد فانه دخل مكة يوم السابع من ذي الحجة ودخل معه أمير الحاج المصري أيوب بيك وأمير التجريدة ايواز بيك مع التجريدة وسائر عساكر الحج المصري ومعه نحو أربعين من الاشراف لم يكونوا مع الشريف عبد الكريم في عقبه وكان دخوله من الشبيكة الى المسجد هو ومن معه وقد فرش له بساط في الحطيم وفتحت الكعبة الشريفة وقرئت له الاوامر على من حضر من الاعيان ثم خرج الى منزله الذي بسوبقة

(الولاية الرابعة للشريف سعيد ٦ ذي الحجة سنة ١١١٦)

وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد وفي ليلة التاسع من ذي الحجة دخل أمير الحج الشامي بيرام باشا وأراد أن يؤخر القفطان الى منى فامتنع الشريف سعيد من تأخيره فبعث به اليه وألبسه في منزله ثم خرج الى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا ومر بمنى ولم يبت بها ووقف الناس وكانت الحجة بالجمعة وحصل للناس الامان ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل ولم يرد في هذه السنة من العراق الا أربعون من العجم ولم يحج أحد من النواحي غير الاتراك ومن ورد مع الحج المصري والشامي غير جماعة من أهل الجامع العجم السابق ذكرهم وارتفعت الاسعار بعرفة حتى ان بعضهم اشترى كبشا بعشرة أحمر وبعث الشريف سعيد الى ناظر السوق الذي كان في زمن الشريف عبد الكريم وهو مصطفى الداغستاني وألبسه في زمن الحج فقطان النظر في السوق والعادة الجارية ان يبطل حكم الناظر في زمن الحج وفي الخامس عشر من ذي الحجة نزل الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف بوادي التنعيم وبعثوا الى الامير بيرم باشا أمير الحج الشامي فبعث اليهم الخيام والصواوين وجعلوا بينهم سفيرا السيد عبد الله بن عمرو بن بركات فتقدم عليه مولانا الشريف سعيد فبعث اليه ينهاه عن الدخول الى مكة فسمع بذلك بيرم باشا فقال للسيد عبد الله انا الملك السلطان وأنا نائب السلطان فلا علاقة لكم ولا تبعه بيرم باشا عسكرا عشرون معه أينما أراد فكان يمشي بهم في شوارع مكة كرها واستمر الشريف عبد الكريم بالتنعيم أياما حتى ركب اليه بيرم باشا في بعض ليالي الحج فاستمر عنده الى نصف الليل أو قرب الفجر ورجع عنه وفي مدة اقامة الشريف عبد الكريم بالتنعيم هو ومن معه لم يحصل منهم أذى للناس بل رفهم الطارق آمنا ويسير الى مكة آمنا ولم تزل الرسل بينهم وبين ايواز بيك وبيرم باشا أمير الحج الشامي ثم ارتحلت الاشراف الى القاع من أعلى الجموم وشاع في العامة انهم يريدون أخذ الحج المصري وقتل أيوب بيك فدخله من الخوف ما أخره

جدة خان بلبغا وهو الذي بنى البستان الذي على يسار الذاهب من منى المعروف به الآن وحفر فيه عدة آبار وغرس فيه ما قدر عليه من الأشجار حتى شجر التمر هندي وأدركناه فيه ووقف عليه سقفات بمكة ولم يقع في أيام الأشرف عمارة للحرم الشريف واستمر سلطانا إلى أن خلع نفسه من السلطنة وعقدها لولده ● (الملك المؤيد شهاب الدين أبي الفتح أحمد بن أينال) ● في يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمس وستين وثمانمائة وتوفي والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه أتابك خشقدم بعد خمسة أشهر وخمسة أيام وولي السلطنة عوضه ● (الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد خشقدم الناصري) ● يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة وهو رومي جلبه الخواجا ناصر الدين وبه عرف

واشتراه المؤيد شيخ وأعتقه وصار خاصكيا عنده ثم تقلب في الدولة إلى أن جعله الأشرف أينال أتابكا للعساكر فخلعه وتسلطن مكانه وكان محبا للخير وكسى الكعبة الشريفة في أول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الشرقي والجانب الشامي بيضاء بجامات سود وفي الجامات التي بالجانب الشرقي بعض ذهب وأرسل في سنة ست وستين وثمانمائة منبرا وكان من خشب فركب في يوم الأربعاء والخميس وخطب عليه الخطيب في يوم الجمعة ثاني الحجة الحرام وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصفا تقريبا ومرض وطال مرضه وتوفي في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وتسلطن في ذلك اليوم خشداشه الأتابك يلباي ● (وهو الملك الظاهر يلباي المؤيدي) ● فخلع على الأمير تمربغا الظاهري بالأتابكية عوضا عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وكان ضعيفا عن تدبير الملك فخلعه الأمراء من السلطنة في يوم السبت لسبع مضين من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فكانت مدة سلطنته شهرين إلا أربعة أيام وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه ● (الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهري) ● وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر ولكن كان يقال إنه رومي الأصل من مماليك الظاهر جقمق أعتقه ورباه صغيرا إلى أن جعله خاصكيا ثم سلحدارا ثم خزندارا كبيرا ثم دوادارا ثانيا ثم صار في دولة الملك المنصور دوادارا كبيرا ثم أخرج إلى مكة ثم عاد إلى القاهرة في دولة الظاهر خشقدم فصار مقدم ألف ثم صار في دولة الظاهر يلباي أتابك العساكر ثم

عن السفر في معتاده عقب النزول من منى بيومين أو ثلاثة فقامت عليه الحجاج لشدة ما لحقهم من الغلاء وعدم الوجدان لما يريدونه فخرج تاسع عشر ذي الحجة وكان سبب إقدامه على السفر بعد ما حصل له من الخوف أن السيد ناصر الحارث وجماعة من كبار الأشراف خرجوا إلى الشريف عبد الكريم ومن معه من الأشراف وسايسوهم وضمنوا لهم الصلح وتواطؤوا معهم على حالة تكافلوا على ما يصلح الفريقين وأخذوا منهم عهدا على عدم تعرضهم للحج فخرج الأمير مسافرا وخرج سالما إلا أنه وقع نهب في أطراف الحج المصري وهل محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة وسبعة عشر وفي سادسه دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد مكة ومعه جماعة من الأشراف لما وقع ما جرى بينهم وبين السيد ناصر الحارث من العهد المتقدم فنزلوا على مولانا الشريف سعيد بداره التي بسوق الليل ولم يتخلف إلا ذوو بركات وقال الشريف عبد الكريم لأخيه إنه يريد التوجه إلى الشام بمن معه من ذوي بركات ثم عزم أن ينزل الحمراء ثم ارتحل عنها إلى محل يقال له دغيم ومعه من البدو ما لا يحصى ولم يزل إلى أن نزلت عليه قبائل حرب بجماعتهم وقالوا لا نفارقك حتى نموت أو تموت فبلغ ذلك الشريف سعيدا واشتد عليه الأمر فجمع كل الأشراف وأطلعهم على ما بلغه من قوة الشريف عبد الكريم ووصول حرب إليه وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه إليهم فما أجابه منهم أحد إلى ذلك هذا أهل من معه في محلته وأما بقية الأشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبد الكريم فطلبوا منه ما هو لهم فأخذ في جمع دراهم لهم وأعطاهم مما لهم شيئا يساوي الثلث ثم تجهز وخرج إلى طوى فأقام بها أياما إلى أن لحقه الأشراف الذين في محلته ثم سار من بدا الشريف عبد الكريم وأودع أثقاله السيد أحمد بن حازم وبعث إلى هذيل فأقبلوا عليه فلما وصلوا نهبوا ما وجدوه من أموال الناس فلما دخلوا مكة أتوا فيها بالسرقة والنهب فلما أشرف الشريف سعيد عليه زحف إليه الشريف عبد الكريم بمن معه فركب إليه جماعة من الأشراف يصدونهم عن الملاقاة وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى ينظروا في أمر يجمعه ومعه فأجابهم إلى ذلك فرجعوا إلى الشريف سعيد وأخبروه بأن الشريف عبد الكريم مقاتلك بعد أن خرجت إليه فإن لم تصالحه وإلا فلا بد من هذه الملاقاة وقد أخذنا المهلة ثلاثة أيام فجلسوا معه مجلسا وتشاوروا بينهم فرأوا أن يجعلوا له كذا شهرا أنف شريف آخر وأن يقيم حيث شاء غير مكة إلى أن تأتيه أجوبة كتبه من الأبواب فرضي الشريف سعيد بذلك فرجعوا إلى الشريف عبد الكريم وأخبروه فقال إنه يرضى بهذا القول ولا شك قاطعا والعهود أنه إن نقض هذا نقضوا عهده وعاملوا الشريف عبد الكريم ويكونون وإياه يدا واحدة فأخذ عليهم العهود ثم رجعوا إلى الشريف سعيد

سلطان وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنائع بحيث يعمل القسي الفائقة بيده ويعمل السهام عملا فائقا
ويرمي أحسن رمي يفوق غيره فيها مع الفروسية التامة ومع ذلك ما صفا له الدهر يوما ورماه عن كبد قوسه بأبعد رمي ومازال به
الامر الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولي السلطنة أتابك العساكر يومئذ (السلطان الملك الاشرف قايتباي المحمودي
الظاهري) في ظهر يوم الاثنين وهو السادس من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وهو السادس عشر من ملوك
الجراكسة وأولادهم بمصر مولده ببلاد جركس تقريبا في بضع وعشرين وثمانمائة جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه
واشتراه الاشرف برسباي وأعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب وتنقل في المراتب الى ان صار في دولة الظاهر
خشقدم أمير مائة مقدم ألف ثم صار في دولة الظاهر تمربغا أتابكا ثم صار بعد خلعه سلطانا بعد تمنع منه وتمنع وحصلت له البشارة بالسلطنة من عدة أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان محبا للفقراء معتقدا في الصالحين * ويحكى عنه أنه كان يحكي عن نفسه أنه لما جلب الى مصر للبيع وهو اما مراهق أو بالغ كان معه رفيقه أحد المماليك الجلب فتحادثوا أمر الحال في ليلة من ليالي شهر رمضان فقالوا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه فقال قايتباي اما أنا فاطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال الثاني وأنا أطلب من الله ان أكون أميرا كبيرا وقالا له أي شيء تطلبه فقال أنا أطلب من الله خاتمة
الخير فصار قايتباي سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكان اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا عبد
رحمهم الله وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى في الخيرات والطول الطائل في اسداء المبرات بنى بالمساجد الثلاثة عدة
ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الانوار وله بمصر والشام وغيرهما آثار جليلة وخيرات جميلة أكثرها باق الى الآن
وجميع عمائره يلوح عليها الواضح النورانية والانس * وفي أول ولايته أرسل الى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن
بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين والى قاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الشافعي بقضاء مكة
ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمظالم وان ينقر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف في باب السلام

وأخبروه بذلك فقال لهم ذلك ثم قال مروه فليرتحل من محله لتعلم الناس من البادية والاتراك انا
اصطلحنا فقد منوا له ذلك وكفل جماعة هذا وجماعة هذا وبعثوا الى الشريف عبد الكريم بذلك
فارتحل من محله الى محل يقال له شعثا قريبا من جدة فبقي بها مدة والشريف سعيد يساقيه جدة
تقسما طريق جدة فتارة تؤمن الطرق وتارة تخاف واستمر الحال نحو أربعين يوما ثم ان الشريف
سعيدا حدثته نفسه بالنزول الى جدة ومقابلة سليمان باشا فمنعه من دخولها ومنع جماعة من
الاشراف بعثهم الشريف سعيد الى جدة فدخل منهم السيد محمد بن عبد الكريم بعد جهد جهيد
وحاول الباشا ان يأخذ له من التجار شيئا للشريف سعيد يستعين به فلم يوافقه لا قرضا ولا على الزالة
وأمرهم بالرجوع وأن لا يدخلوا جدة مخافة ان يؤذوا أهلها فتقرر عند الشريف سعيد أن
سليمان باشا يده مع يد الشريف عبد الكريم وجماعته فأرسل الى ابن عمه الشريف عبد المحسن
وكان بالحسينية وأخبره وطلب منه أن يأتيه بجدة وأتاه فتوسل به ان ينزل الى الباشا ويأخذ له شيئا
من المال يستعين به أو يحيله على الزالة فأبى ثم التمس منه ان يركب معه لملاقاة سليمان باشا فقال له
وكيف نقابل أحد وزراء السلطان ولم يوافقه ثم انه بعث الى ايواز بيك صاري العسكر المصري والى
الانكشارية وسائر البلكات يشكو من سليمان باشا ويستدعيهم الى قتاله فلم يوافقوه وبقي في حيرة
عظيمة مقلا من المال والرجال ففارقه من معه من الاشراف لذلك ولما تقدم لهم مع الشريف عبد
الكريم من العهود والوفاء والمفارقة له فذهبوا الى الشريف عبد الكريم فلما تكاملت الاشراف
عند الشريف عبد الكريم انتقل من شعثا ناويا ان يصبح الشريف سعيدا ويأخذه فلما احس
بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ان يرجع الى مكة فأودعه عزيمته
وسرى من ليلته فاصبح بمكة وذلك تاسع شهر ربيع الثاني ولما وصل الى مكة أطلق المنادي في شوارعها
وطرقاتها على أرحام كل من كان من الاشراف مع الشريف عبد الكريم مثل ذوي شنبر وذوي
جازان وذوي بركات وذوي نمي وغيرهم ورجالهم ان لا يبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة ومن بات
منهم فهو مصلوب وبيته منهوب فحصل عند طوارف السادة الاشراف من الخوف ما أوجب
انهم يأوون بيوت ساداتهم داخلين عليهم مما يخاف فركب اليه السيد حسن بن غالب والسيد
أحمد بن حازم ولاموه على هذا النداء وقالوا له هذا لا يكون فانه يأتي منه سالفة بيننا ان
كل من خرج من البلد تنهب طوارفه وتقتل وهذا أمر لا يمكن الوفاق عليه لكونه مضرا بالعالم
فرجع المنادي عند العصر ينادي بخلاف النداء الاول وان النداء الاول مرجوع عنه وعليهم
الامان ثم انه ثاني عشر الشهر بعث الشريف سعيد المفتي وجماعة من السبع بلكات الى الشريف

وفي آخر سنة أربع وثمانين وثمانمائة أو التي قبلها بنى مسجد الخيف بناء عظيما محكما وجعل في وسط المسجد قبة عظيمة على حد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيف منى وبنيت جدرانه المحيطة به وبنى أربع اواوين من جهة القبلة فصارت قبة عالية فيها محراب النبي صلى الله عليه وسلم وبلصق القبة مأذنة التي على عقد باب المسجد بثلاثة أدوار وبنى له الاستادين وبنى دارا بلصق الباب وكانت مسكن أمراء الحاج وعلى الباب في الدار المذكورة سبيل يملأ من صهريج كبير جعل في صحن المسجد يملأ من المطر وجعل للمسجد بابا آخر الى جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذي في سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذي أنزلت فيه سورة المرسلات على النبي صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر عظيم باق الى الآن من آثار المرحوم السلطان قايتباى وقد غلب عليه الدثور عمر الله من عمره أو تسبب في تعميره وعمر السلطان المذكور مسجد نمرة في عرفة وهو المسجد الذي يجمع فيه الامام بين الظهر والعصر جمع تقديم في يوم عرفة للحجاج المحرمين في ذلك الآن ولا يجمع عند أبي حنيفة في غير ذلك الحال جمع تقديم الا في ذلك المسجد ولا يجمع تأخيرا الا في المزدلفة بين المغرب والعشاء للحجاج وجعل في صدر ذلك المسجد رواقين عظيمين يتظلل بهما الحجاج وقت الصلاة من الشمس وجدد العلمين المرتفعين حد عرفة والعلمين الموضوعين حد الحرم وبيض المسجد الذي بمزدلفة على جبال قزح وهو المشعر الحرام على رأي وجدد عين عرفات وابتدأ المعمار العمل فيها من سفح جبل الرحمة الى وادي نعمان فوجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يصل الى أم العين وكانت قد انقطعت منذ مائة وخمسين سنة وكان الحجاج يقاسون في يوم عرفة من قلة الماء ما لا يصبر عليه ثم أصلح البركة وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح بركتها وبنى قبتها وامتلأت البرك وعم النفع بها وبعين عرفات وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوار وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل منبر خشب للمسجد الحرام في الخامس والعشرين من ذي القعدة الى مكة المشرفة في البر فركب في جهة باب السلام وحول الى المطاف وخطب عليه الخطيب في أول ذي الحجة وفي سنة احدى وثمانين أصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقي وعمر رخام الحجر الشريف من داخله وخارجه ورصصت الشقوق التي بين أحجار المطاف داخل البيت الشريف • وفي سنة اثنين وثمانين وثمانمائة أمر السلطان قايتباى

عبد الكريم ومن معه يطلبهم الى الشرع فركب الجماعة المذكورون الى الشريف عبد الكريم والتمسوا منه ذلك فقال سمعا وطاعة وبعث جماعة من كبار الأشراف منهم الشريف عبد المحسن ابن أحمد بن زيد وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر وأحمد بن هزاع وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد ابن بركات وعبد الله بن حسن وغيرهم فدخلوا مكة ونزلوا على اوزبيك فأخذوا اوزبيك معهم ووصلوا الى القاضي واستدعوا الشريف سعيدا فنزل ومعه السيد أحمد بن حازم فصارت بينهم وبين الشريف سعيد مقاولة انتجت زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق ثم انصرفوا والقلوب مشحونة والنفوس مغبونة غير مأمونة ثم ان السيد أحمد بن حازم والسيد سليمان بن أحمد حضرا في اليوم الثاني مع جماعة من الأشراف في بيت اوزبيك لفصل الخصومة فتزايد الكلام حتى قرب وقوع الكلام وحصلت المباينة فانصرفوا على غير صفا والأشراف يطالبونه بالوفاء ثم ان الشريف سعيدا اجتمع بالشريف عبد المحسن واتفق معه على انه يعطيهم ثلث المكس وعلى أن يستمر له في الثلث ويصبروا عليه في الثلث الباقي فوافقت الأشراف على ذلك ورأوا أن هذا عين الصلاح وعقدوا المجلس لذلك الأمر في منزل السيد علي بن أحمد بن بازباجة ليلة التاسع عشر من ربيع الثاني فبينما هم كذلك عند السحر جاءهم الخبر أن الشريف عبد الكريم وصل طوى هو ومن معه من الأشراف فلما بلغ ذلك الشريف سعيدا أرسل اليهم رسولا لبيت السيد علي بن أحمد يقول لهم ما هذا بيني وبينكم وهذا عين الغدر واعتذروا له بعدم علمهم بذلك ونحن نخرج اليه ونرده فانصرف الكل وخرجوا من طريق المسفلة وعرجوا على الطنبداوي ثم الى الشبيكة وأرادوا أن يفدوا على طوى وأما الشريف عبد الكريم فانه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل ووجد بعض مضاربه وبها عسكر وعبيد الشريف سعيد فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا منازلهم فنهبها العبيد وما فيها فبينما هم بطوى اذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشيخ محمود فتلاقوا فانهزم الشريف عبد الكريم وامتنع الى جبال أبي لهب ثم كر بمن معه من الأشراف وغيرهم من جماعته على الشريف سعيد فانهزمت قومه ووقع فيهم القتل فقتل نحو الستين من جماعته ولما وصل الشريف عبد الكريم الطنبداوي وجد الشريف عبد المحسن بن أحمد ومعه الأشراف السابق ذكرهم فلم يعرج عليهم وسار خلف الشريف سعيد بمن معه من الأشراف حتى أوصله الى دار السعادة من السوق الصغير وكان معه نحو أربعين شريفا فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج من المعلى وترك البلد فانهم أخذت فلم يلتفت اليهم وعطف على سويقة وجاء بيت ميرداد الانكشارية واستغاث بهم فأجابوه وخرجوا معه ودخلوا معه من المسجد على بيت اوزبيك وعنده عسكر

وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن أن يشيد عمائر الامير سنقر الجمالي وان يحصل له موضعا مشرفا
على الحرم الشريف ويبني له مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الاربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل
منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى الفقراء وأن يقرأ له ربعة في كل يوم يحضرها القضاة الاربعة والمتصوفون ويقرر
لهم وظائف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل رباط السدرة ورباط المراغي وكانا متصلين وكانا الى جانب
وراء المراغي دار الشريفة شمسية من شرا الشريف حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا
ومشرفا على الحرم الشريف وعلى المسعى الشريف ومكتبا ومأذنة وصير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام
الملون والسقف المذهب
وقرر فيه أربعة مدرسين
على المذاهب الاربعة
وأربعين طالبا وأرسل
خزانة كتب وقفها على
طلبة العلم وجعل مقرها
المدرسة المذكورة وجعل
لها خازنا عين له معلوما وقد
استولت عليها أيدي
المستعيرين وتسعروا منها
جانبا كبيرا وبقي منها
تتمة الف مجلد وهو تحت
حكام مؤلف هذا الكتاب
منها وكانت بعض مجلدات
منها رثة ودعمنها ما يحتاج
الى التجليد واستخلصت
بعض ما وجدته وأعدته الى
الوقف صانه الله وجعل
الواقف في ذلك المجمع
القضاة الاربعة حضورا
بعد العصر مع جماعة من
الفقهاء يقرؤن له ثلاثين
جزأ من القرآن وجعل
فيها معلم أربعين صبيا من
الايتام ورتب لكل واحد
من الايتام وأهل الخلاوي
ما يكفيهم من الشعير في كل
سنة وللمدرسين والمؤذنين وقراء الاجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع في
ودور تغل في كل عام نحو ألفي ذهب ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل في كل عام الى مكة وعمل من
الخيرات العظيمة ما لا يعلم ذلك السلطان قبله وذلك باق الى الآن الا انه قد استولت على تلك الاوقاف فضعفت جدا وهي
آيلة الى الخراب وصارت المدرسة سكنا لامراء الحاج أيام موسم الحاج ولغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة في وسط السنة
وصارت أوقافها مأكلة للنظار عمر الله من عمرها وأحيا من أحياها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما
من ناحية باب السلام والثاني من ناحية باب الحزورة في سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد الامير سنقر الجمالي رحمه الله تعالى

العرب وبقية المماليك فطلب منهم الخروج معه فامتنعوا فصاحوا على اوزبيك وقالوا له انك
مع الناس ثم خرجوا من باب ابراهيم على سوق الصغير فرموا الشريف عبد الكريم بالرصاص فظن ان
جميع الاتراك خرجوا فدفع عنهم حتى خرج من الشبيكة وقد فرق قومه على الجبال فأشار اليهم
بالنزول فنزلوا هاربين من طريق الزاهر ولحق به الشريف سعيد الى الزاهر فتناظروا هنالك وأخذ كل
من صاحبه مهلة الى قواعدهم ثم رجع الشريف سعيد الى داره وصوب ممن معه من الاشراف
جماعة منهم السيد أحمد بن علي بن أبي القاسم برصاصة ثم مات منها وأصيب السيد أحمد بن حازم
برصاصة مات منها بعد أيام وأصيب من الاشراف الذين مع الشريف عبد الكريم أخوه السيد
حامد بن محمد بن علي وأخوه بركات بن محمد بن علي والسيد شبير بن بازان وشريف آخر من ذوي
حراز الا ان اصابتهم غير مضرة لهم ورجع الشريف عبد الكريم الى دخيم وأقام هنالك الى ان وردت
الى سليمان باشا الاخبار السارة عدة تضمن كتب من صاحب مصر ومن بعض الصناجق ومضمونها
انه ورد الى مصر الخبر وسعد في السابع والعشرين من جمادى الاولى محمد باشي جاويش ومعه أربعة
أوامر سلطانية أحدها بعزل أيوب بيك عن امارة الحج لما تحقق لما حصل منه من الفساد وتولية
عبد الله بيك امارة الحج والثاني بعزل الشريف سعيد وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بشرافة
مكة وان أمره من سنة ألف ومائة وسبعة عشر والثالث لاولئك الوزير باشا جدة بمراد او دخول
سليمان باشا الى مصر ثانيا والرابع انا أنعمنا على الشريف سعيد بسكنى مصر وأقطعناه بعض
بلادين ورتبنا له كفايته من المصرف كل يوم ولم تزل الاخبار تقوى مع الواردين في المراكب
المصرية وتنتشر في الناس وعند الاتراك والشريف سعيد غير معترف بذلك وكثر القيل والقال
واستمر الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادي الى ان بلغهم ان الشريف سعيد أغرى أغاوات
الانكشارية على اوزبيك لانه امر بالاغوات مع الشريف عبد الكريم فصالوا عليه غفلة
وحصروه في بيته وأبهموا الشريف سعيد ان اوزبيك ورد اليه غرة جمادى الثانية ركائب من
ينبوع عنهم السيد بشير باشا من طريق الشام بخبر ان السلطنة وصلت اليه منهم أخبار بأنهم
أنعموا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة فلما وردت هذه الاخبار وعلم بها الشريف عبد
الكريم حمى الطرق وأمر بكف الاشراف الذين معه عن النهب ولما تحقق سليمان باشا أمسك على
ما بيده من مال البندر حتى يتعين صاحب الشرافة فكان هذا سبب تغير الشريف سعيد على
اوزبيك مع كونه في الاصل هو السبب في تأييد شرافته ودخوله مكة فحصره في منزله ونهب أثاثا
كان له في دار السعادة وبات طرب الامر بمكة وأبطلت خمس صلوات بالمسجد الحرام بسبب القتال

وفي هذه السنة وردت أحكام السلطان قايتباي الى صاحب مكة يومئذ مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن ابن عجلان رحمه الله تعالى يتضمن انه رأى مناما وان بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وانه أمره ان يفعل ذلك فحضر مولانا السيد الشريف محمد بن بركات رحمه الله تعالى بنفسه وقاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة وباشا الترك ازدمر والاز كز بمكة الامير قايتباي اليوسفي والامير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الامير جاني بك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والاعيان بمكة وفاتح بيت الله الحرام عمر بن أبي راجح الشيبي والشيبيون والخدام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها قدر قامة ومن خارجها قدر قامة وغسلوا أرض (١٥٣) الكعبة وسائر المطاف الشريف وطيبوها بالطيب وكان ذلك في يوم الخميس ثامن عشر من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة

(فصل) ومن أعظم ما وقع في أيام السلطان قايتباي من الامور الهائلة حرق المسجد الشريف النبوي ذكرناه استطرادا لانه أمر هائل عظيم . وتفصيل ذلك انه في ثلث الليل الاخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المأذنة الشرقية اليمانية في ركن المسجد الشريف المعروف بالرئيسية وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متوارية النجوم اذ سمع رعدها الى وسقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المأذنة فانشق رأسها ومات الرئيس الى رحمة الله تعالى وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المأذنة فعلقت النار فيه ففتحت أبواب المسجد ونودي بالحريق في المسجد فحضر أمير المؤمنين يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالي وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس وصعدت أهل النجدة والقوة الى سطح المسجد بالماء في القرب يسكبونها على النار لتطفأ فالتهبت وأخذت في جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن اطفائها وهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشرة أنفس وعظمت النار جدا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما في المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كتبا نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كبحر لجي من نار يرمي بشرر كالقصر الى ان استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا التي فوق

في جوف المسجد واعتازت السنة بالكات الى اوزبك ولم يخرج عن طاعته الا الانكشارية ثم أجمع الانكشارية على الهجوم عليه في بيته وقتله ونهبه فحملوا أسلحتهم ونزلوا المسجد وأرسلوا الى الشريف سعيد وأخبروه فتوجه بنفسه الى القاضي بجميع عسكره وعبيده وأرسل الى العرب من هذيل وغيرهم وأمرهم ان يقفوا على أبواب الحرم فلما خرج القاضي قالوا ان لنا دعوى على اوزبيك فاحضره لنا فتعدا على بدل فبعث اليه القاضي فأعاد الرسول وهو يقول أنا بعيني أشاهد الفتنة من منزلي وأعاين اجتماع العسكر وأمر الشرع مطاع غاية الامر امهلوا هذا اليوم لئلا تكثر الفتنة اذا جئت في ذلك المكان واذا تفرقت العساكر حضرت أنا وخصمي عند القاضي ويحكم بما أراده الله تعالى فعرض القاضي مقاله على الشريف سعيد والحاضرين من العسكر الانكشارية بقوا لم يقبلوا ذلك الا ان الشريف سعيدا صرف جنده وبقيت الانكشارية على حالهم فارسلوا مرسولا آخر الى اوزبيك فقال لهم مادامت الانكشارية موجودة عندكم فالعذر واضح وليس لي قصد الا حقن الدماء بيننا وبينهم ولي قدرة على مكافأتهم ولكن ما في المهلة بأس فان الامر ما يحمل قتل المسلمين فحصل للشريف سعيد أنفة من هذا القول لعدم نفاذ مراده وأغلظ للقاضي غلاظة وقامت الغوغاء من الانكشارية في المحكمة وارتفعت الاصوات وقالوا هذا عاصي الشرع فاكتب لنا حجة بعصيانه فامتنع القاضي فهموا عليه يريدون قتله فهرب من كان هناك من العلماء وساقوا القاضي ولزوه بالايادي ورمى بعض الناس في جوف المحكمة بالبندق ارهابا له فلما رأى ذلك كتب لهم حجة على نفوسهم بعد ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة وأمر الانكشارية بالهجوم على اوزبيك في بيته فسار بعضهم من جهة باب السلام على دار المنبر قاصدين بيت اوزبيك فلما وصلوا الى مقام المالكية بادر غلمانه الى البنادق وكثروا الخلف وأوا مسد المسجد دونما بين بيت مولاهم فلما أقبلوا اطلقوا في وجوههم الرصاص فولوا هاربين الى أن دخلوا باب الزيادة واجتمعوا في زيادته وما حولها من البيوت والمدارس ولم يزل الحصار بينهم وأما الشريف سعيد فساط على اوزبيك بعسكره وعبيده وبدوه من جهة عقد بشير فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات الى تلك الدور فتترسوا هناك ومنعوا ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص واستمر الرمي من البيوت والمدارس في جوف المسجد من الفريقين واوزبيك ومن معه من البلكات محصورون في البيت ولم يزل الامر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى في البيوت وخارجها وفي المسجد وسطح المسجد وما بين الاروقة وعزل السوق وأظلم الجو من دخان البارود وبقي الامر على هذا الى اليوم الثاني فالتمس الشريف سعيد من اوزبيك الصلح وبعث الى القاضي وأمر بارسال جماعة من

فيه النبي صلى الله عليه وسلم وذاب الرصاص ولم يصل أثر النار الى جوف الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبة السفلى وعدم التأثير فيها مع ماسقط عليها مما هو أمثال الجبال وأحرقت حتى الحجارة الاساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين أسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوي والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة وقد سلمت الاساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ماحول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها تكفها عن بيوت جيران النبي صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها ٭ قال مؤرخ المدينة وعالمها ومفتيها مولانا السيد نور علي بن عبد الله السمهودي رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية بابسط من هذا في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للانذار فخص بها حضرة النذير الاعظم صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان أعمال أمته تعرض عليه فلما ساءت الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار باظهار المجازاة بها موضع العرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون قال وشرعوا في تنظيف المسجد ونقلوا نقضه من مقدم المسجد الى مؤخره للصلاة فيه وعمل في ذلك أمير المدينة وقضاتها وعامة أهلها حتى النساء والصبيان تقربا الى الله تعالى وبادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتباي رحمه الله تعالى فتهول من هذا الحادث العظيم وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله عليه لتأهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع العمائر المكية وغيرها وان يتوجه شاد العمائر الشيخ سنقر الجمالي مبادرا الى المدينة الشريفة وأرسل اليه نحوا من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومبلغا من الخزانة نحو مائة ألف دينار وأرسل نحو سفن المؤن الكثيرة الى ان امتلأت البنادر بها كالطور والينبع ونقلت الى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد الى أن كملت عمارة المسجد الشريف والقبة الشريفة والمآذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذي هو عليه الآن في هذا الزمان وذكر السيد السمهودي رحمه الله تعالى في تفصيل كتابه خلاصة الوفا ما جمعه ان أردت احاطة العلم به وذكره بأبسط من ذلك في تاريخه الكبير الذي سماه وفاء

العلماء الى ايواز بيك يلتمس منه الكف فبعث اليه ان ذلك لا يكون الا ان كف هو وجماعته واتفق الامر على ارسال جماعة من رؤس الينكجرية حضروا عند القاضي فأمرهم القاضي بالسعي في الصلح فسعوا في ذلك بعد النائب الاعظم وهمدت الفتنة بعد ان نهب لايواز بيك ما يساوي مائة كيس من القروش من الامتعة وغير ذلك وفي اليوم الثاني جمع القاضي بين ايواز بيك والشريف سعيد عنده وأبان ايواز بيك حجته وذكر ما أخذ عليه فقال الشريف سعيد أرد كل ماقدرت عليه مما هو لك ومالم أجده أعطيك ثمنه وقاما من عند القاضي وذهب كل الى بيته والله أعلم بما في نفوسهم

٭(ورود آغاة القفطان بولاية الشريف عبد الكريم شرافة مكة)٭

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر آغاة القفطان وصحبته الامر السلطاني بشرافة مكة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وانه وصل الى جدة وان الوزير سليمان باشا أرسل القفطان للشريف عبد الكريم وألبسه اياه ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر فلما وصل هذا الخبر للشريف سعيد أجاب بان البلاد للسلطان ونحن خدم له وان كان الامر صحيحا فانا مطيع الامر وان كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف وكتب كتابا لسليمان باشا عليه خطوط من معه من الاشراف وخطوط العلماء وأعيان الناس مضمونه ان الشريف سعيدا متول بامر سلطاني ولا يعزل الا بمثله وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك بن حمود بن عبد الله بن حسن فتوجه الى الباشا ورجع بالجواب الى الشريف سعيد يوم الجمعة ثاني شعبان وذكر له ان الشريف عبد الكريم وجميع من معه من السادة الاشراف وآغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة ثم أعقبه الخبر انهم نزلوا وادي مر فارسل اليهم الشريف سعيد ليلة الاحد رابع شعبان سليمان جاويش الانكشارية ومعه جاويش المتفرقة وجاويش الجاوشية ومعهم السيد جار الله بن صامل الى الوادي بخطاب الى الشريف عبد الكريم وآغاة القفطان مضمونه ان يشرفوهم على الامر السلطاني ليطلعوا به على الخافين وصلوا وسمع آغاة القفطان أحمد آغا كلام سليمان جاويش زجره بالسب واللعن ومن جملة ماقاله له لولا أنك رسول لقطعت رأسك فرجعوا الى الشريف سعيد وكانوا وهم ذاهبون الى الوادي واجههم خمسة من الاشراف متوجهون الى مكة ومعهم واحد من خدم أحمد آغا حامل القفطان ومعهم صورة الامر السلطاني وهم لا يعرفون حقيقة حالهم فأتى الجميع ونزلوا على ايواز بيك فأخذهم وتوجه بهم الى قاضي الشرع وحصلوا صورة الامر في المحكمة فلما بلغ الشريف سعيدا ذلك أرسل الى ايواز بيك يلومه على هذا الفعل ويخطئه في نزول هؤلاء الاشراف عنده فاجابه ايواز بيك ان الامر السلطاني قد تحققناه وان البلاد صارت للشريف عبد الكريم وأما

هؤلاء

هؤلاء الاشراف فانهم يعرفون قواعده وهم يردون عن أنفسهم الجواب وارسل اليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد وكرر عليهم الرسل بذلك فلما عند الصنجق ايواز بيك ذلك اليوم وحمل لهم الغداء ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان الى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع والثلاثة ذهبوا الى بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وقالوا له يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه فى البلاد الى ان يصل فلما تحقق الشريف سعيد حقيقة الحال رجع عما كره وعزم وأفهمهم ان نيته الحرب وأرسل عربان هذيل وعتيبة الى جهة أبى لهب وما بين العمرة وأمر صاحب الزربان يدق وأظهر حركة المقاومة فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم ومن جملتهم سليمان آغا جاووش الانكشارية وكان يعتمد عليه فى الصدق والخدمة فأخبره بجميع ما صار عليهم فى الوادى وما وقع من آغاة القفطان وان الامر سلطانى صحيح ليس فيه شك ولا يختلف فيه أحد فى ذلك الوقت أخرج نساءه وودائعهم من البيت وأرسل الجميع عند كرعته الشريف فهد بن سعد فلما كان قرب التذكير ركب هو ومن معه من السادة الاشراف وأتباعه وتوجهوا الى العابدية فجاء السيد طاهر بن محمد ومعه شريف آخر الى الامير ايواز بيك وأرسل معهما بعض مماليكه وعسكره ونادوا فى ذلك الوقت فى شوارع مكة البلاد بلاد الله وبلاد مولانا السلطان أحمد خان وبلاد مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وعسوا البلاد بقية تلك الليلة وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية

(دخول الشريف عبد الكريم مكة متوليا امارتها وهى الولاية الثانية له سنة ١١١٧)

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم دخل مولانا الشريف عبد الكريم متوليا مكة المشرفة بكرة النهار بالالاى الاعظم ومعه السادة الاشراف وسائر عساكر مصر وعسكر الوزير سليمان باشا وعسكر الامير ايواز بيك وآغاة القفطان أحمد آغا باش جاووش الى ان وصلوا باب السلام ودخلوا المسجد الحرام وفتحت الكعبة فجاؤا الى الحطيم فوجدوا القاضى والمفتى والعلماء وأعيان الناس وسائر أرباب المناصب والوظائف كلا فى محله على جارى عادته فألبس مولانا الشريف عبد الكريم القفطان السلطانى بالفرو السمور وألبس هو آغاة القفطان فروا سمورا وألبس كتخدا سليمان باشا فروا سمورا وهكذا بقية أهل المناصب ألبس كلا ما هو المعتاد وقرئ الامر السلطانى وكان القارئ له الشيخ عباس المنوفى ومضمونه بعد المدح والثناء الوصية على السادة الاشراف وبقية الرعايا والحجاج والتجار والمجاورين والوافدين وانا قد عزلنا الشريف سعيدا عن شرافة مكة لموجب

الوفا أخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر السلطان قايتباى أن يبنى له رباطا ومدرسة ومأذنة حول المسجد الشريف فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا مشرفا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وأرسل الى المدرسة خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وأرسل مصاحف كثيرة وكتبا للخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة فكان حصة كل نفر سبعة أرادب فى العام مسوى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان أكثر مما أوقفه السلطان قايتباى لمكة والمدينة جزى الله المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا وأجرا

(فصل) فى حج السلطان قايتباى مع اعتراف ملوك الجراكسة ما حج منهم أحد غير السلطان قايتباى لكثرة تمكنه فى الملك وكثرة ما فعله من الآثار الجليلة فى الحرمين الشريفين فاقام الامير الكبير شيبك الدوادار نائبا عنه بمصر وخرج الى الحج فى سنة أربع وثمانين وثمانمائة قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوى بنحو عامين وكان أمير الحاج خوشقدم خرج بالمحمل الشريف وركب الحاج المصرى فخرج السلطان قايتباى بقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة أيام ووصلت القصاد الى شريف مكة يومئذ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى جمال الدين السيد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان من أخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة القاضى الشافعى يومئذ بمكة عليهما رحمة الله تعالى هو والسيد الشريف محمد بن بركات بالاقاة السلطان فان القصاد أخبروا انهم فارقوه من عقبة أيلة وهى نهاية الربع الاول من طريق الحج وأرسل مولانا السيد الشريف أحد قواده ليسبقه الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له السماط الحلوى هناك فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر غاية اللطف والمجابرة وأكل وقسم على أمرائه وعسكره وكان سماطا كبيرا جليلا (ويحكى) من لطافة السلطان قايتباى انه لما جلس على السماط تناول شيأ من الحلوى فقال له كل واشكر وأكل منه وسأل من الذى جاء بالسماط ايش اسم هذا عندكم

فقال له القائد هذا اسمه كل واشكر فقال له سلم على سيدك وقل له أكلنا وشكرنا • ثم لما وصل السلطان الى الينبع عدل منها الى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج الى ملاقاته سيدنا ومولانا السيد الشريف محمد بن بركات وولده السيد بن ميزع بن محمد ومولانا القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضي جدة فبلغهم في اثناء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى منزلة بدر وأقاموا به منتظرين عود السلطان من المدينة الشريفة • قال السيد السمهودي في تاريخه الكبير ان السلطان قايتباي في سنة أربع وثمانين وثمانمائة ورد المدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام فلبس حولها حال التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سورها ومشى على أقدامه بين ربوعها ودورها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم ثنى بصاحبيه رضي الله عنهما ثم دار فصلى بالروضة الشريفة التحية وعفر جبهته في ساحتها السنية وعرض عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فاستعظم ذلك وقال لو أمكنني ان أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم • ثم صلى الجمعة في الروضة الشريفة في الصف الاول بين فقراء الزوار والى جانبه امامه الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين بن الكركي • ثم توجه لزيارة السيد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة الذين استشهدوا يوم أحد رضوان الله عليهم أجمعين فمشى مترجلا حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه ولم يركب بالمدينة تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد من الزيارة وحضر صلاة الجمعة قال السيد السمهودي رحمه الله تعالى فبدأني السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه ما يفوق وصف الواصف فأنشدته بيتي التلخيص وان

كانت مساءلة الركبان تخبرني • عن أحمد بن سعيد طيب الخبر حتى التقينا فلا والله ما سمعت • أذني بأطيب مما قد رأى بصري

فطرب لهما جدا واجتمعت به قرب المغرب في الروضة ففاتحني بالكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نرى تقلب وجهك في

ما وقع الينا من عبد الله سليمان باشا جميع ما صار في الحرمين الشريفين من الشريف سعيد من الشقاق وعدم الوفاق بينه وبين بني عمه السادة الاشراف وانا قد وليناه أنعمنا على الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بشرافة مكة المشرفة على ما هو مسطور في مرسومنا العالي لموجب ما تحققنا ان الرعايا والسادة الاشراف راضون عنه والحذر من مخالفته والخروج عن طاعته وان يعمل كل ما هو مذكور في مرسومنا البادشاه المطاع في سائر البقاع على الوجه الشرعي من غير مخالفة ولا نزاع ثم طلع مصطفى أفندي ديوان كاتب وقرأ نص الامر الوارد ثم بعد ذلك قرئت أوامر الصنجق ايواز بيك المتضمنة انا قد أنعمنا على ايواز بيك بولاية بندر جدة ومشيخة الحرم الشريف وألبس الصنجق القفطان السلطاني الوارد صحبة الاغاة وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا ثم ان مولانا الشريف توجه الى داره السعيدة وجلس للتهنئة فطلع اليه الناس وهنؤه وباركوا له بالشرافة ومدحه الادباء وهنؤه بالقصائد الفائقة ونودي له في البلد وبالزينة سبعة أيام وحصل بذلك السرور والتام للخاص والعام وهذه الولاية الثالثة للشريف عبد الكريم وفي يوم الخميس ثامن شعبان أرسلوا الامر الوارد للشريف سعيد صحبة السيد خليل الله بن حرد وأبي علي بن باز ومعهم كتخدا أغاة القفطان والذان من جبرا تخته مصر فقصدوا الشريف سعيدا بجهة الشرقية وقرؤه عليه ومضمونه انا قد عزلناك ووليناالشريف عبد الكريم وعينا لك ما يكفيك كل يوم ألف ديواني وجميع ما تنفقه من مكة الى مصر المحروسة وما تحتاج اليه نعطاه من خزينتنا فلما فهم مضمون الامر ما استحسن ذلك وتوجه الى جهة اليمن هو ومن معه ورجع المراسيل من عنده وعرفوا الشريف عبد الكريم والصنجق وأغاة القفطان بالواقع ثم نزل الى جدة كتخدا ايواز بيك وتسلم البندر وطلع الى مكة سليمان باشا جربه وفي ثاني عشر شعبان عقد مجلسا مولانا الشريف عبد الكريم جمع فيه السادة الاشراف وسليمان باشا وشيخ الحرم ايواز بيك وقاضي الشرع والمفتين والعلماء وأغاة القفطان وأغاوات العسكر وكثيرا من الناس فلما اجتمعوا تكلم مولانا الشريف مع السادة الاشراف وشرط عليهم شروطا فقال يا رفاق قد شاهدتم ما وقع من التعب والشقاق وعدم الوفاق حتى آل الامر الى الحرب والقتال وتعبنا نحن والرعايا وعمت الفتن وأصيب فيها الغني والفقير وذهب بسببها الاموال والرجال ومضى على هذا الحال زمن والكل منكم تحقق ما صار وشاهد بالعيان والموجب لهذا الشقاق كله زيادة المعاليم الخارجة عن المعتاد التي تعجز عن تحصيلها العباد والبلاد فكل ملك يتولى يحصل بينكم وبينه التعب والشقاق بسبب المعلوم فالقصد منكم ان تنظروا في مدخول البلاد وتوزعوه أرباعا فثلاثة أرباعه تكون بينكم والربع لي ولجماعتي وعسكري ومهمات البلد

السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فسألني عن هذه الآية هل نزلت قبل المعراج أم بعده وكيف كان
الاستقبال قبل نزولها فشرعت له في الجواب فأقيمت الصلاة في أثناء ذلك فصلينا فلما فرغ من الصلاة صلى ست ركعات بسكون
وتأدب فلما انقضت الصلاة أقبل علي طالبا للجواب فذكرت له ان نزولها بالمدينة وان فرض الصلاة كان بمكة ليلة المعراج
وذكرت ما حكي في تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس الى غير
ذلك من الفوائد وهو مصغ اليها متلذذا بسماعها واستمر بنا على ذلك حتى أقيمت صلاة العشاء فصلينا ثم عرضت عليه رفع بعض
البدع من المدينة فأمر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة فأمر بإزالتها وجعل لامير المدينة في مقابلة
ذلك ألف اردب قررها له في كل عام وفرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها وعلمائها نحو [illegible] آلاف ذهب وحصل لي منه خير كثير واحسان جزيل ثم برز في اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السمهودي ملخصا قال العز ابن فهد فلما وصل الخبر الى بدر بعود السلطان وبروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر لملاقاة السلطان فاجتمعوا به في مرحلة الصفراء ونزلوا على ظهور الخيل وتصافحوا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضي برهان الدين بن ظهيرة عن يساره وباقي من معهما سلموا على السلطان على بعد ومشوا أمامه وسار السلطان يلاطفهم ويسأل عن أحوالهم ويشكر مسعاهم ويطمن
خواطرهم ويجابرهم بالمكالمة وينصت لهم اذا تكلموا واستمروا كذلك الى أن وصل السلطان الى أوطاقه فرجعوا عنه الى مخيمهم
ثم صاروا يسايرونه في الطريق ويظهر كمال النشاط ويبدي لهم وافر الانبساط وألبسهم السلطان خلعا فاخرة مرارا
عديدة وفارقوه من بدر وتقدموا على السلطان الى وادي مر الظهران ورتبوا هنالك سماطا حافلا جليلا للسلطان ولمن معه فلما
كان صبح يوم الاحد مستهل ذي الحجة وصل السلطان مخيمه بالوادي ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط
وأكل منه وأطعم وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على الخدام والانفار الذين مدوا السماط خلعا فاخرة متعددة جليلة
ووصل بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا أمامه وركب السلطان ومعه شيخ

وان كان فيكم من يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذي كان في زمن الشريف سعيد والقيام به
فليتقدم وأنا أنزل له عن الشرافة وأكون كواحد منكم وطلب منهم الجواب فأجاب السيد محمد
ابن أحمد شيخ ذوي عبد الله وقال قد سمعتم ما قاله الشريف لكم فأجيبوه عن نفوسكم فأجابوا
جميعا بقولهم رضينا بذلك فسجل القاضي ما سمعه من رضاهم في المجلس وكتب عليهم بموجبه حجة
شرعية ثم التفت اليهم الوزير سليمان باشا وقال لهم أنا متوجه الى الاعتاب العلية فاذا بلغت ان
شاء الله بالسلامة اجتهدت لكم فيما يعود به النفع عليكم وانفض المجلس وفي غرة شهر رجب توجه
الامير ايواز بيك الى حضرة الشريف وطلب انعقاد مجلس فاحضر له الشريف معظم من تقدم
ذكرهم ثم ادعى ايواز بيك على الانفار بقيمة جميع ما وقع عليه من الخسار والنهب في زمن الشريف
سعيد وأثبت ذلك عليهم وكتب حجة بمضمونها ثم انهم خافوا العقاب من السلطنة فدخلوا على حضرة
الشريف والقاضي وطلبوا العفو من الصنجق فعفا عنهم وفي رابع عشر رمضان أمر الشريف
بشنق أحد عشر رجلا من هذيل من بني مسعود فعلقوا خمسة في سوق الصغير واثنين في المسعى
عند المراييز واثنين في المدعى واثنين في سوق المعلى والسبب في شنقهم انهم تعرضوا للمورق اولاد نا
الشريف في طريق جدة بالجبل المعروف بأبي الدود فأخذوه وصلبوه فرجع المورق وأخبر بما
صار عليه فأرسل الشريف خيلا وأرسل معهم السيد عبد الله بن بركات فأخذوا أثرهم وقصوا
جرتهم الى ان وصلوا الى مراح هؤلاء المشنوقين فادركوهم هنالك وتراموا معهم بالبندق ثم ظفروا
بهم وامسكوا منهم هؤلاء الاحد عشر وما بقي منهم فر الى الجبال وفي ثامن شوال نزل ايواز بيك
الى جدة وفي النصف من شوال وردت أخبار من اليمن بان الشريف سعيدا ارسل القنفذة وتعرض
لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها وانه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل
وقصده يدخل بهم مكة فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع في جمع القبائل وأرسل اليهم
بعض الاشراف يأتيه بهم فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير ثم ذهب بنفسه عند القاضي وجمع
المفتين وبعض العلماء وأغاوات العسكر وقال لهم تحيطون علما ان الشريف سعيدا جمع أشقياء
العرب المفسدين البغاة وقصده أن يدخل بهم مكة بلاد السلطان و[illegible] فما تقولون فأجابوا
جميعهم نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وقد كان عند الوزير سليمان باشا وأخبرنا بمثل هذا
فأجبنا بالسمع والطاعة وليس فينا من يخرج عن الامر فقال لهم الشريف ان قصدي اقامة أحد
اخواني بمكة فتكونوا جميعا تحت طاعته فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد وتجتهدوا في
محافظة العباد والبلاد وأنا خارج لمقابلته خارج البلد فأجابوا جميعا نحن في خدمتك وتحت أمرك

الاسلام القاضي ابراهيم بن ظهيرة وولده القاضي أبو السعود وأخوه القاضي أبو البركات وامام السلطان الشيخ برهان الدين البكري الحنفي واستمروا الى أن دخلوا الى مكة من أعلاها وكان القاضي ابراهيم هو الذي تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الادعية والتلبية الى أن دخل السلطان من باب السلام البراني فطلع فرسه منه فخيل به جواده فسقطت عمامته واستمر مكشوف الرأس الى أن تقدم المهتار رمضان وتناول العمامة من الارض ومسحها وناولها السلطان فلبسها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث كان يتعين عليه أن يترجل ويدخل محرما مكشوف الرأس تواضعا لله تعالى • ثم لما وصل الى عتبة الداخلة من باب السلام ترجل ونزل وقرأ بين يديه الرئيس بصوت جهوري قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ثم اندفع يدعو للسلطان ولمن معه من أهل الاموات ودخل من باب السلام ومولانا القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء الى أن دخل الطواف وقبل الحجر الاسود وهو الذي يطوفه ويلقنه الادعية والرئيس ينادي بالدعاء من أعلى قبة زمزم والناس محيطون بالمطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له الى أن تم طوافه وصلى خلف مقام ابراهيم ثم خرج من باب الصفا الى الصفا وسعى راكبا ومعه القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء فلما فرغ من سعيه عاد الى الزاهر وبات في خيمته وركب في الصبح في موكبه وأمامه مولانا السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القضاة البرهاني ابراهيم بن ظهيرة وابنه الجمالي أبو السعود وأخوه القاضي فخر الدين وابن عمه والخطباء وأعيان الناس وأكابر التجار فخلع السلطان عليهم على الجميع ومشوا قدامه في موكب عظيم وأبهة عظيمة ولم يتخلف أحد بمكة من النساء والرجال حتى المخدرات ودخل بمكة بهذا العنوان الى أن وصل الى مدرسته فترجل الناس له وسلم عليهم ودخل الى مدرسته ومد له بها السيد الشريف محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر على ذلك مدة مقامه بها وأحسن الاسمطة الجميلة ومد له في ثاني يوم قاضي القضاة البرهاني سماطا جليلا واستمر السلطان بمدرسته ما ظهر لاحد غيرانه يتصدق بالليل كثيرا وركب مرة لدرب اليمن فشاهد ما قدمه مولانا السيد الشريف حسن

وأمر السلطان ثم ألبس منهم جماعة عشرين معه من العسكر وأعطوه مالا به وقرؤا الفاتحة وتفرقوا وفي عاشر ذي القعدة برز الشريف بعسكره عند بركة ماجن وخرج اليه جميع العربان الذين تجمعوا وخرج أيضا الوزير سليمان باشا بعسكره ثم توجهوا الى الحسينية وجاءهم الخبر ان الشريف سعيدا ومن معه نزلوا الشرفية ثم انتقل الى ان وصل العابدية فأرسل اليه الشريف عبد الكريم السيد دخيل الله بن حمود وعرفه ان هذا الفعل ليس بصواب وان مجيئك بهؤلاء القوم كالاب الحاذر يزري به السلطنة والاولى ان تحقن دماء المسلمين وترجع بهم من حيث جئت فما التفت لهذا الكلام لان قومه كانوا في غاية الكثرة فاغتر بهم فرجع السيد دخيل الله وأخبر الشريف عبد الكريم بما معه من الشريف سعيد فالتقى الجمعان ووقع الرمي بينهم ساعة ثم رمت المدافع التي مع الشريف عبد الكريم فانحازت العربان الذين كانوا مع الشريف سعيد من موضعها ورجعوا القهقرى وتحصنوا برؤس الجبال وكذبت عليهم خيل الشريف عبد الكريم والباشا فانهزموا وركب خلفهم الشريف عبد الكريم بعسكره الى أن نزل بجهة مسجد نمرة ونزل الباشا بعسكره بعرفة وباتوا تلك الليلة ولما أصبحوا شرعوا في الحرب ووقع بينهم الرمي بالبندق من بعد وفي هذا اليوم وصل الامير ايواز بيك بعسكره من جدة وحضر الحرب فوقعت مقتلة عظيمة فانهزم الشريف سعيد ومن معه وتركوا ما وصلوا به من مال وجمال وبقر وحمير وغير ذلك من الاثقال فغنمه من كان مع الشريف عبد الكريم وصار الناس يأتون بالنكس الى مكة فوجا بعد فوج ووصل البشير الى مكة فحصل به السرور والانس فانه قام الشريف عبد الكريم ودار المبشر على بيوت الاشراف فألبسوه وزكرت علامة النصر في بيت الشريف والاشراف ودق الزير وفي ثاني يوم وصل الشريف عبد الكريم الى مكة ومعه الباشا وايواز بيك والعسكر وكل من كان معهم ودخلوا في آلاي أعظم وجلس الشريف في داره للتهنئة ومدحه الشعراء بقصائد وحمد الناس فعله حيث خرج لهم خارج مكة فوقع الحرب بعيدا عن البلد والناس آمنة مطمئنة والاسواق عامرة وجماعة المسجد قائمة فجزاه الله خيرا ثم بلغ الشريف عبد الكريم ان الشريف سعيدا دخل الطائف فأرسل خلفه بعض اخوانه مع عرب ثقيف فخرج من الطائف ودخل موسم هذه السنة والناس في أمن وأمان وخرج مولانا الشريف عبد الكريم للقاء الحج على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس على المعتاد في أمن وأمان وبعد توجه الحج المصري والشامي سافر سليمان باشا ودخلت سنة ألف ومائة وثمانية عشر وفي أواخر صفر وردت الاخبار بأن الشريف سعيدا جمع جموعا من العرب يريد بهم مكة فشرع الشريف عبد الكريم يتهيأ لقتاله وجمع جموعا وبرز بعسكره بالابطح أوائل ربيع

الابل والخيل وتشكر من فضل السيد الشريف واستمر بمدرسته الى أن طلع الى عرفات ومعه امامه راكبا الى جانبه ومعه شيخ الشيوخ البرهاني ابراهيم بن الكركي والامير شيبك الجمالي وأولاد القاضي يحيى بن الجيعان كاتم السر وخصيصه القاضي أبو البقاء ابن الجيعان ورمضان المهتار ووقف بجبل الرحمة متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين فأولى مع الناس وأتم حجه وفرق الانعامي غنما كثيرة وأهدى شيأ كثيرا وكان المناسب ان ينحر شيأ من البدن فما أشار عليه أحد بذلك وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتوجه الركب المصري وتأخر هو بمكة أياما وقرر وظائف مدرسته لاهلها من المدرسين والطلبة وقراءة صحيح البخاري وقراءة الربعة وخادمها وخادم المصحف وانقراشين والبوابين والوقادين والجبادين والسقائين والسبيل والايتام والعريف والفقيه والمؤذنين وناظر المدرسة والوقف الحلبي والمصري وأصحاب الخلاوي ونحو ذلك وجعل لكل واحد كفايته من القمح والدراهم والزيت وكتب بذلك وقفية أشهد على نفسه بذلك وأوعها من الخيرات ما لم يسبق اليه وحضر بنفسه يوم الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بدار في الايوان وقدامه المصحف على كرسي وفرق على الحاضرين أجزاء الربعة الشريفة وتناول السلطان جزأ منها كأحد القراء وقرؤا الى ان ختم القاضي ابراهيم ولم يزل جالسا من السلطان الجزء حتى ونعه بنفسه وجمعت الاجزاء في صندوق الربعة ودعا الداعي للسلطان ومدة للحاضرين سماطا حلوى بدور المدرسة ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضي ابراهيم وأكلوا ثم سقاهم سكرا وسوبية وفرق عليهم فتوحا وانصرفوا وكان بنى السلطان سبيله على يمين الداخل الى خان البزازين بالمسعى يقال له العلقمية وكان أمامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضي شهاب الدين الطبري على يمين الذاهب الى المروة فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وصار المسعى مكشوفا وعمارة الخان والسبيل ظاهرا وسافر السلطان في ظهر يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد ان طاف للوداع والرئيس يدعو له على قبة زمزم ومشى القهقرى الى أن خرج من باب الحزورة وركب معه السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القضاة ابراهيم بن ظهيرة الى الزاهر ثم ردهم وودعهم وسار الى مصر وعاد الى مملكته

الاول وبعد عيد المولد توجه بمن معه للاقاة الشريف سعيد ونزل الشرفية تجاه الخيران الشريف سعيد ادخل الطائف ثامن عشر ربيع وان قومه أربعمائة فتوجه اليه الشريف عبد الكريم فبرز اليه الشريف سعيد جهة المليسا

•(عزل المفتي عبد القادر الصديقي وتولية الشيخ تاج الدين القلعي سنة ١١١٨)•

وفي هذه السنة أعني ثماني عشرة وقع شيء بين المفتي الشيخ عبد القادر الصديقي والشيخ تاج الدين القلعي فسافر الشيخ تاج الدين للابواب السلطانية ثم رجع من أبواب السلطنة ومعه أمر سلطاني بعزل المفتي عبد القادر الصديقي وتوليته وكان وصوله في السادس عشر من رمضان اسنا أخرهما من ينبع فقطع من ينبع الى مكة في ثلاثة أيام لاجل حضور المجلس السلطاني بالمسجد الحرام ليلة سبع عشرة من رمضان التي يحصل بها ختم السلطان ثم أرسل مولانا الشريف عرضا للدولة العلية يطلب فيه ارجاع المفتي عبد القادر الى الفتوى فاجيب الى ذلك وجاءه الامر بذلك في رجب سنة تسع عشرة فاعيد المفتي عبد القادر الى الفتوى واستمر بها الى أن توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأقيم في الافتاء بعده ابنه الشيخ يحيى وتوفي سنة احدى وأربعين ومائة وألف ووقع القتال بينهم فانهزم الشريف سعيد وتوجه الى جهة لية فمشى خلفه الى الجبال ثم رجع الى الطائف وجاء المبشر الى مكة ثامن عشر ربيع واستمر الشريف عبد الكريم بالطائف ومعه ابواز بيك نازلا في المثنى في بستان السيد أحمد بن سعيد عم المكه ومنا كره الى شهر رجب ثم رجع الى مكة وفي شعبان رجع ابواز بيك الى جدة ورجع الشريف من الطائف في شوال ودخل مكة في الآي أعظم واستمر الى الحج وفي غرة ذي الحجة من سنة ثماني عشرة وصل ابواز بيك من جدة وجاء لمولانا الشريف أغاة من السلطنة ومعه القفطان وسيف مرصع ومعه مرسوم سلطاني فقرئ بالحطيم على المعتاد ومضمونه ان الحجة والمحضر المرسلين من أهالي مكة المكرمة وصل كل منهما ووصل بعدهما من طرفكم مكتوب بالصداقة وعروضات الى بابنا ودلالة على مرور سعادتنا خلاصتها فاستدللنا بذلك على حسن سيرتكم وصفاء طويتكم وسريرتكم وأطنب في المرسوم غاية الاطناب ثم قال وقد وجهنا اليكم جميع ما طلبتم ومن جملة ذلك ما كان معينا من منصرف بندر جدة للشريف سعيد وهي أربعون كيسا وما كان معينا للجوهر آغا نائب المذكور وهي خمسة أكياس من سقائف الهند المجموع خمسة وأربعون كيسا زيادة على ما هو مقرر لكم تستعينون به على مصالحكم وتقوية أموركم عناية منا بكم واحسانا اليكم ولما كان يوم الخامس من ذي الحجة دخل الحج المصري مكة فخرج مولانا الشريف يوم السادس للاقاته ولبس الخلعة على المعتاد ثم وصل الحاج الشامي

ولم يختل عليه شيء من أمر المملكة مع غيبته عن تخت مصر مدة سفره الى الحج وعوده اليها وهي نحو ثلاثة أشهر وذلك لاتقانه أمر الملك وتدريبه فيه وضبطه رحمه الله تعالى * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم الى قلوب الرعية في اللطف والمؤانسة وأجلهم جمالا واجلالا وأحسنهم احسانا وأفضلهم افضالا وأكملهم عقلا ونبلا واعتدالا وأكثرهم في جهات الخير آثارا وأوفرهم عمائر وأوقافا وأدرارا وأطولهم طولا وزمانا وأكملهم ملكا وقوة وامكانا وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته تجلي كالعروس في حلل الجوهر والذهب وعاشت الرعية في أيامه عيشا رغدا وظهرت العلماء في أيامه وعزوا انصارا والنجوم الهدى الى ان انتابه الزمان الجائر واستيقظت له صروف الليالي والحدود العواثر ودارت عليه كما دارت على من قبله الدوائر وهذا شأن الدنيا الدنية في أبنائها الاصاغر والاكابر ودأبها في السلاطين والملوك الغوابر والبقاء والدوام لله عز وجل القدير القاهر فقدم على مانباى بريد أجله وما أغنى عنه ما جمعه من خيله وخوله فأقدم على ما قدم من صالح عمله وترك ما خوله من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج في أكفان أعماله بعد ما غسل بدموع تحسره وأنزل من سرير الملك الى التابوت الى قبره وقدم على رب كريم ووقف بين يدي ملك الملوك الحكيم الحليم

اذا أمسى فراشي من تراب
وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنوني أصحابي وقولوا
لك البشرى قدمت على كريم

فكان انتقاله رحمه الله تعالى في أواخر يوم الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة الحرام سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه الشريف يوم الاثنين ودفن بتربته بالصحراء التي بناها في حياته في غاية الحسن والزينة وبها مساكن للقراء وأوقاف دارة عليهم الى الآن ليس بمصر أحسن تربة منها وصلي عليه بعد ذلك صلاة الغائب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد لملك قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة الا غانية أشهر ولم يملك أحد من ملوك الجراكسة قدر مدة ملكه رحمه الله تعالى ﴿وولي بعده الملك ولده الملك الناصر أبو السعادات محمد﴾ وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات الى الملك والى السلطنة بل غلب عليه اللهو واللعب والحركات المستبشعة ويحكى عنه أمور قبيحة منها انه كان اذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائر فرجها وتطعمه

وأميره سليمان باشا الذي كان متولي جدة فخرج مولانا الشريف للقائه على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس ولما كان يوم عرفة حصل بين الجمالين مشاجرة في التقدم عند النفر أوجبت المراماة بالرصاص مع ان القانون القديم ان التقدم لمحمل الحاج المصري ثم لما رأى حضرة الشريف ما وقع أرسل بعض الاشراف الى الامراء لتسكين الفتنة لحفظ الحاج وتخلف هو عن وقت نفره المعتاد الى العشاء الى أن سكنت الفتنة وشد الحاج كله ولم يبق أحد من أهل مكة وغيرهم فجزاه الله عن المسلمين خيرا وأرسل مولانا الشريف هذه السنة هدية سنية للسلطنة العلية صحبة يوسف آغا شيخ القراء وتوجه مع الحج المصري ودخلت سنة ألف ومائة وتسع عشرة وفي ثامن عشر جمادى الآخرة دخل الشريف سعيد الطائف خفوة النهار وطلب الضيافة من أهلها فجمعوا له شيئا وقدموه له وقبض على جماعة من أهل الطائف وأهل مكة وأخذ منهم جانبا من المال فبلغ الشريف عبد الكريم ذلك فجهز الشريف عبد الكريم للتوجه اليه واخراجه من الطائف وتأخر خروجه من مكة الى شعبان لامور عرضت له أوجبت التأخير فلما وصل في شعبان الى الطائف وجد الشريف سعيدا قد خرج منها وفي هذه السنة عرض مولانا الشريف عبد الكريم للسلطنة العلية في شأن السيد يحيى بن بركات واستأذنهم في أنه يسكن مكة بدلا عن الشام فاجيب الى ذلك فوصل الشريف يحيى بن بركات مكة في رمضان ومعه يوسف آغا الذي توجه بالهدية من مولانا الشريف عبد الكريم ومعهم اغاة القفطان الوارد هذه السنة أيضا بخلعة ومرسوم سلطاني وسيف مرصع فدخل مكة مع الشريف يحيى في الاي أعظم ودخل السيد يحيى بن بركات في زي الاروام بالقاووق على رأسه فذهب للسلام عليه الخاص والعام وقابلهم بالمقابلة الحسنة اللائقة به وأنزل كلا منزله فشكروه على ذلك وكان مولانا الشريف عبد الكريم حين وصولهم بالطائف وصل في شوال وبعد وصوله قرأ المرسوم الذي جاء به الاغاة ولبس القفطان وتقلد السيف المرصع وفي يوم السبت رابع ذي القعدة اجتمع السيد يحيى بن بركات وشيخ الحرم ايواز بيك وقاضي الشرع وأصحاب الادراك من السبع بلكات وبرزوا الى الاسواق والازقة وشرعوا في هدم الدكك التي قدام الدكاكين والبيوت وأزالوا الزوائد من الاشرعة والظلال والمساطب التي في الطرق والاسواق واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فحصل بذلك غاية السعة في جميع الاماكن ولما وردت الحجوج خرج الشريف لملاقاتها على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس في أمن وأمان ثم سافرت الحجوج على المعتاد وفي هذه السنة أيضا أرسل مولانا الشريف هدية سنية للسلطنة العلية ودخلت سنة ألف ومائة وعشرين وفي شهر صفر جاء خبر لمولانا الشريف أن الشريف سعيدا وصل الى الحسينية ونزل على الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فاراد

الشريف عبد الكريم أن يركب عليه بعسكره فأرسل الشريف سعيد يطلب مهلة خمسة عشر يوما فأعطاه المهلة وبعد تمامها توجه الى اليمن وكان جماعة من الاشراف تناقروا مع الشريف عبد الكريم فخرجوا مغاضبين وانضموا الى الشريف سعيد وصادفوا جمالا من اليمن وأرسلها من اليمن فأخذوها فأرسل خلفهم جماعة من الاشراف والعسكر ثم لحقهم بنفسه فأدركوهم ببدر وأخذوا بعض اليمن وأطلقوا في بعضه النار وأخذوا البعض وأودعوا البعض وتركوا البعض الذي عجزوا عنه وفر بعضهم الى الخواء وبعضهم الى ديرة بني سليم فلما جاء جماعة الشريف أخرجوا ما دفنوه وأخذوا ما وجدوه ورجعوا في أواخر شهر جمادى الآخرة جاءت الاخبار بأن الشريف سعيدا جمع جموعا وقصد مكة ثم في رجب جاء الخبر بأنه دخل بجموعه دوقة فأخذ الشريف عبد الكريم يتجهز لملاقاته وأرسل في طلب القبائل فجاء كثير منهم فتوجه بهم الشريف عبد الكريم مع العساكر الى الحسينية في شعبان فلما بلغ قوم الشريف سعيد أن الشريف عبد الكريم خرج لهم في قوة عظيمة تفرقوا عنه بعد أن وصلوا الى العابدية ثم سعت الاشراف بينهم وأخذوا له مهلة وجعلوا له في كل شهر ثلاثة آلاف أحمر وشرطوا عليه أن يسكن بيشة فوافق على ذلك وبعد أيام أرسل له الشريف عبد الكريم يقول له ارحل على الشرط الواقع فاعتذر وتوقف فانقضى ذلك المعين ولم يتم واستمر الشريف سعيد في العابدية الى دخول رمضان فصام هنالك وأرسل الى مكة وطلب بعض أهله فصاموا عنده وعيد في العابدية وجاء في هذه السنة أيضا آغا القفطان سلخ رمضان ومعه مرسوم وسيف مرصع وفروة وفعل كل ما جرت به العادة وفي المرسوم كلام كثير مع غاية التلطف في الخطاب للشريف عبد الكريم والاجلال والتعظيم ومع ذلك في المرسوم الحث على ابعاد الشريف سعيد عن سائر أطراف الحجاز الى أن قيل فيه خطابا للشريف عبد الكريم ولتكن كراكب الكميت المتمكن من صرف عنانه بيده حيث شاء واستعملوا التأخير الدعاء فأرسل الشريف سعيد بالترحل من العابدية ومن هذه الجهات وأطراف الحجاز وان حضرة السلطان ألزمنا بذلك فرحل الشريف سعيد هو وأتباعه وتوجه الى اليمن ثاني شهر ذي القعدة وتعرض لقافلة جهة الليث فأخذها وفي هذه السنة عزل أيواز بيك من جدة وتولى محمد باشا وتولى امارة الحج الشامي نصوح باشا ولما جاء الحج خرج الشريف لملاقاته على العادة وألبس الخلعة وحج الناس وتوجهت الحجوج بالسلامة

•(دخول سنة ١١٢١)•

ودخلت سنة ألف ومائة واحدى وعشرين وفي شهر ربيع الاول توجه الشريف عبد الكريم الى المبعوث ومكث فيه الى أن دخل شهر جمادى الآخرة وفي خامسه دخل الطائف بالتوبة والعساكر

في ضبط أهله لنظم فروج النساء ● ومنها أن والدته كانت من أعقل النساء وأجلهن وهي أن له جارية جميلة جدا وجعلها في بيت حزين أعدته لهما فدخل بها وغلق الباب على نفسه وعليها وشرع يسلخ جلدها عنها كالجلادين وهي تصيح فلما سمعوا صوتها وبكاءها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه غلق الباب من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالتبن وخرج يظهر لهم استاذيته في السلخ وان الجلادين يعجزون عن كماله في صنعته ● ومنها أنه مر وهو في موكبه بدكان حلواني يبيع الحلاوة ويبسطها قدامه فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة ودار حوله أمراؤه يشترون منه وأخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الحلاوة الى أن يموت وكان له حركات من هذه الخرافات منها ما تقدم أنه يزنه ما يحكى الى أن سقطا من أعين العسكر وسطوا عليه كما سطا أبا الحسام الأشرف وسلطوه كما سلط تلك الضبعة فقتلوه بالحبس ومن قوة كل عزيز وأعذاب الآخرة أكبر فمن غروره انه خرج مستخفيا منفردا عن عبيده وخدمه منها عدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشي وحده الى بر الجيزة فما كان له عشرة أنفس من مماليك أبيه في جبة على غرة فلما وصل اليهم وكان وحده منفردا فخرجوا عليه من الخيمة وعسكروا له ثم قرصه وضربوه بالسيوف الى أن قطعوه وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه في سنة أربع وتسعمائة ﴿ثم ولوا بعده خاله الظاهر قانصوه﴾ وهو خال الناصر محمد بن قايتباي كان شابا أميرا لا يعرف الا باللسان الجركسي قريب العهد بالبلاد لان السلطان قايتباي جلبه من بلاده وهو كبير وخلته الشيب وصار يرقيه بواسطة زوجته خوند ادم الناصر فبذلت له الأموال والخزائن وأرادت اقامته مقام ولدها الناصر وأرادت تقريبه واقامته واصلاحه ● ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر ● فما استكملها الجد للاثابة وما أهلوه للسلطنة وكيف له بها وأنى له فخلعوه بعد أن سامهم سنة وسبعة أشهر وأخرجوه من الملك في أواخر سنة خمس وتسعمائة ﴿وولي بعده أمير كبير يسمى جان بلاط وتلقب الملك الاشرف جان بلاط﴾ في أوائل سنة ست وتسعمائة وما تهنأ بالسلطنة ولا رافقه أحد عليها وخلع بعد ستة أشهر ﴿وولي مكانه الملك العادل طومان باي﴾ وما استكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم أحد على السلطنة وكانت الامراء متوفرة وكلهم يشير بعضهم الى بعض في الجلوس على تخت الملك واتفقوا على أن يولوا

قانصوه الغوري لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أي وقت أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم ناظرا وأعقبهم
قوة فأشاروا عليه أن يتقدم فأبى فألزموه بذلك فقال أقبل ذلك منكم بشرط أن لا تقتلوني واذا أردتم خلعي من السلطنة أخبروني
بما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك وأترك لكم الملك وأمضي حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقبوه
﴿السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري﴾ في سنة ست وتسعمائة وفرح العسكر بولايته لانهم سئموا تعدد السلاطين
وسرعة تقضي ملكهم بل فرح العامة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم في الجملة وكان قانصوه الغوري كثير الدهاء ذا رأي وفطنة
وتيقظ الا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف محبا للعمارة ﴿ومن جملة عماراته الجامع والتربة﴾ بين

القصرين بمصر وكان في نيته أن يدفن بها ووقف عليها أوقافا كثيرة وما قدر له دفنه فيها بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عرف وما تدري نفس بأي أرض تموت وله آثار جميلة في طريق الحج في عقبة أيلة وما أثر بمكة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حرمته على الأمراء بالتدريج والتنزل من غير تشديد عليهم ولا اظهار عظمة أو نهي وذلك في ابتداء أمره الى أن تمكن من قوته وبأسه وحكى الشيخ شهاب الدين أحمد بن موسى بن عبد الغفار المقري الأصل ثم المصري نزيل الحرمين الشريفين وهو ممن أخذنا عنه رحمه الله تعالى عن والده وكان من المباشرين أرباب الأقلام من ديوان السلطان قانصوه الغوري رحمهما الله تعالى قال لما تم الغوري ما الذي خشيه أراد الأمراء احداثه أو أرادوا
أن يعملوه مما قدموه عليه من السلطنة فلما استشعر الغوري ذلك منهم عمل ديوانا جمع فيه الأمراء وقالوا
والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كأحدهم وكانت عادة الأمراء والمقدمين الوقوف بين يدي السلطان ولا يجلسون معه
الا على السماط في الأكل فقط فلما أجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا يتفقدون عن سبب ذلك وكل مصغ الى
ما يقول متوجه للسلطان غاية التوجه فقال يا اخواني منكم لا سألكم سؤالا فاخبروني وأجيبوا جوابه على الوجه الذي ترونه صوابا
فقالوا نعم فقال أسألكم عن جماعة جاؤا الى رجل وناولوه صرة من الدراهم مربوطة مختومة وأودعوها عنده فقال انما استودع
منكم هذه الوديعة بشرط ان تأتوني وتطالبوا وأود بعضكم مني بلا نزاع ولا خصومة فأردود بعضكم اليكم فقالوا له نعم قبلنا منك هذا

ثم بعد أيام رجع الى المبعوث واستمر الى شعبان ثم رحل الى بلاده وغزا قبيلة مطير وأخذ منهم أخذة
عظيمة ورجع الى مكة تاسع عشر رمضان وفي الخامس والعشرين من رمضان توفي محمد باشا صاحب
جدة الذي جاء بدلا عن ابراز بيك وأقام مولانا الشريف مقامه شريف دار الباشا وصيره الى أن يجيء
بدله ثم جاء في شهر جمادى الآخرة من السنة الآتية ابراهيم باشا متوليا على جدة وفي شوال من
سنة احدى وعشرين جاء الى الشريف مكتوب من الصدر الاعظم مضمونه ان نصوح باشا أرسل
الينا مكتوبا يشكو منكم نوع تقصير وعدم ملاطفة واستقر بذلك الكلام لعلنا نحسن سيرتكم
ومعاملتكم فالمأمول أن تزيلوا ما ذكر على فرض وقوعه وتبدلوه بحسن الملاطفة والمؤانسة كما
هو المعروف في صدق محبتكم وخلوص مودتكم وشاع بين الناس أن نصوح باشا أعرض في
الشريف عبد الكريم بشكوى منه وانه ورد اليه أمر بالتفويض في عزل الشريف أمره وجمع العربان
وانتظر المدافعة فلما جاء الحج خرج الأغوات على المعتاد ولبس الخلعة ولم يحصل شيء ورجع بالناس على
المعتاد ولم يحصل شيء ولله الحمد ورجعت الحجوج

﴿دخول سنة ١١٢٢﴾

ودخلت سنة ألف ومائة واثنين وعشرين وفي آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الأشراف من
ذوي مسعود وذوي عمرو وذوي عبد الله وذوي حازان والتجؤا الى الشريف سعيد وتعرضوا الثلاثة
من الجلاب الواصلة من اليمن ثم جمعوا جموعا وقصدوا مكة مع الشريف سعيد فتجهز الشريف عبد
الكريم لملاقاتهم والتقوا في شهر ذي القعدة عند المفجر ووقع بينهم قتال عظيم ثم انهزموا ورجع
الشريف عبد الكريم الى مكة وتوسط بعض الأشراف فأصلح بعض المعاصين وأدخلهم في الطاعة
ووصل الحج فخرج الأغوات ولبس الخلعة على المعتاد ورجع بالناس في أمن وأمان الا أنه حصل بين
الشريف عبد الكريم ونصوح باشا منافرة بسبب أن حمزة أمير الحج الشامي عليه لبعض السادة
الأشراف دراهم بحسب العوائد القديمة فنوى في هذه السنة عدم اعطائها فوصل الى نصوح باشا
ودخل عليه وأراد المشي في صحبته فأرسل الباشا سنيلا وعسكرا من جماعته الى بيت الأمير حمزة
لأخذ كراه وحمله فبلغ الأشراف ذلك فتوجهوا الى الشريف وأخبروه بالواقع فاستغرب من الباشا
هذا الفعل وأرسل اليه يعرفه بالعوائد والقوانين وان هذا الرجل جاء بصحبة حج الشام ما هو من
حمايتك الذي جاء في صحبتك وعليه دراهم عوائد لبعض الأشراف فما التفت الباشا الى هذا الكلام
وأعاد الجواب الى الشريف بكلام أوجب نفرته منه فأرسل الشريف القاضي والباشا صاحب جدة
وأمير الحاج المصري وأغوات السبع بلكات في كلام نصوح باشا فكلهم صار يلوم نصوح باشا

الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا اليه بعد مدة وقالوا اطلب الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة
خذوها بلا نزاع وضراب مني كما شرطت عليكم فقالوا لابد لنا معك من الخصام والنزاع فانهم على الباطل وأنهم على الحق ففهموا
مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جلست معكم الا لتعلموا اني كأحدكم لا أمتاز عنكم بشيء وهذه السلطنة أصلها لا بكم أراد ولا
أنازعكم فيها ولا أخاصمكم عليها وانما أنا واحد من الجند فقبل كل واحد منهم يده وأذعن له بالسلطنة وسألوه في استقراره سلطانا
عليهم وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضرورات أخرى وطال معه الحال الى أن صار يأخذهم واحدا
بعد واحد ويتغافل ثم يعمل حيلة أخرى وسيلة أخرى لاحدهم فيأخذهم بها ويوقع بين الاثنين ويأخذ هذا بذاك
و يأخذ ذاك بهذا ويدس
لهم الدسائس من السم في
الطعام ونحوه حتى أتى
على أعيانهم ودهاتهم وأخذ
عددا وعددا فصاروا
يظلمون الناس ظلما
و يعاملون الخلق عسفا
وغشما وصار يقضي عنهم
و يتغاضى لهم فأظهروا
الفساد وأهلكوا العباد
وأكثروا العناد وطغوا
في البلاد وصار هو يصادر
الناس و يأخذ أموالهم
بالقهر والبأس وكثرت
الموالية في أيامه لكثرة
ما يصغي اليهم وصاروا اذا
شاهدوا أحدا توسع في دنياه
وأظهر التجمل في ملبسه
أو مثواه وشرابه الى
السلطان فيرسل اليه
الاعوان ويطالبه بالقرش
و يستصفي أمواله ويرسله
الى السجن حتى يأخذ ماله
ويهلك أهله وعياله ويعذبه
بانواع التعذيب الى أن
يصير فقيرا معدما وبعدما
بعد ثروته واستغنائه
وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة وخزائن واسعة جسيمة ذهبت في آخر الامر سدى وتفرقت بددا وتمزقت بددا وهكذا
كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع بهذا الطريق المنكوب لا ينتفع من جمعه بل يضره ما جمعه ويهلكه منعه وهيهات ان
ينفع مال حصل بأنين كل حزين وسلب بالقهر والقسر من كل محتاج مسكين وكيف ينفع ماله ومانعه ساخطه وكيف يتهنأ به من
اكتسبه على هذا الوجه وأبكى كاسبه الا ان مالا كان من غير حله سيخرب يوما أهله وأتابه وأما الميراث فبطل
في أيامه وصار اذا مات أحد يؤخذ ماله جميعه للسلطنة و يترك أولاده فقراء الا ان اعتنى به اعتناء كبيرا فيجعل له نزرا يسيرا من مال
أبيه ويأخذ لنفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه في آخر أيامه واستجاب الله فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله

وقالوا والله لا سبيل لنا الى هذا فتمنع الشريف من نفاذ أحكامه في بلده واغتاظ الشريف لمدافعته فلما
رأى عزم الشريف وشدة بأسه بادر بالارتحال فتركه الشريف وأعرض عنه واستخلص كتابه
محضر في نصوح باشا على لسان السادة الاشراف وشخص من أهالي مكة ومحضر من صاحب جدة
وكتب العلماء ومضمون الجميع شكوى نصوح باشا ورفع أفعاله الى الدولة بجميع ما سلكه في
الحرمين وأرسل المحاضر مع هدية صحبة رجل من الارواام وجاءت الاخبار بان عربان حرب
جمعوا جموعا كثيرة وقعدوا لنصوح باشا في جبال الطائف فأرسل جماعة من عسكره يكشفون له
خبرهم فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال وقتل غالب العسكر الذين أرسلهم واشتد عليه الكرب ثم دفع
لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيسا فأرسل مبارك بن مضيان الى العرب وفرق عليهم
الدراهم وتعاهد معهم على الكف عن القتال وأرسل للباشا انه لا يحصل الصلح سوى ارحل بالحج
لان العرب جمعتهم عندي وفرقت عليهم الدراهم فعند ذلك رحل الباشا بعزته وصحبته أكابر الحج
وأتباع الدولة وتأخر كثير من الحجاج وكان بعض العرب وهم عوف استقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك
من الدراهم لكثرتهم فحصل بينه وبينهم موافقة ثم نكثوا عليه ولحقوا الحجاج الذين تخلفوا
وأخذوهم عن آخرهم وحصل بذلك غاية المصيبة على المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون وحصل
للشريف عبد الكريم والمسلمين غاية الهم لما بالمقيم النظر وأرسل لمبارك بن مضيان يقبح فعله
و يتهدده و يعرفه ان سيف السلطان طويل وأما نصوح باشا فانه لما وصل المدينة طلب من أهل
المدينة محضرا مضمونه ان جميع ما صار على الحاج من نهب وتعب فكله بأمر من الشريف عبد
الكريم فما وافقوه على ذلك وقالوا ما عندنا علم بذلك فكيف نكتب شيئا ما شهدناه فلما آيس من
ذلك تكلم في شيخ الحرم ورميه ونسبه الى الوراس مع الشريف عبد الكريم وحرب وجمع أكابر
الحاج وقاضي المدينة المتوجه صحبته وأمين الصرة وكتب حجة مضمونها ان الشريف عبد الكريم
أرسل اخوانه الى عرب حرب وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحاج وانما أرسل اخوان الشريف
بأعيانهم يقاتلون مع عرب حرب وكتب فيها جميع ما أراده ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب من
عنده ما أراده وأرسل الجميع صحبة الحجة الى الدولة من اثناء الطريق وأرسل صحبتهم هديته

•(دخول سنة ١٢٢٣)•

وكان ذلك كله في شهر محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف وفي يوم الثلاثاء السابع
والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطنة العلية
أمرت بتوجيه شرافة مكة للشريف سعيد وورد اليهم صورة الامر الصادر من الدولة العلية ومعه

رب العالمين • حكى لي والدي رحمه الله تعالى عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله تعالى انه رأى بمصر في أيام السلطان الغوري جنديا من الجراكسة الجلبان أخذ متاعا من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه منه وهو يمتنع منه فقال له الدلال بيني وبينك شرع الله تعالى فضربه بالدبوس فشج رأسه وسقط الدلال مغشيا عليه ومضى الجندي بالمتاع وماقدر أحد من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل فصعب علي مشاهدة هذا الحال فرفعت يدي الى الله تعالى ودعوت على الجندي المزبور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من أعوانه فصادف ساعة الاجابة وبت تلك الليلة على طهارة وأنا مفكر في أمرهم وأحدث نفسي بذلك وأقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم وقد ملأت جنوده الارض وانى للمسلمين بسلطان آخر يرفق بالرعايا وتطمئن في دولته البرايا وأخذني النوم فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت من السماء وبأيديهم مكانس يكنسون الجراكسة من أرض مصر ويلقونهم في بحر النيل فاستيقظت من النوم واذا بقارئ يقرأ القرآن فأنصت له واذا هو يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلمت ان الله يأخذهم أخذا وبيلا فما مضى قليل الا وبرز الغوري بجنوده وأمواله وخزائنه من مصر لقتال المرحوم المغفور له السلطان سليم خان الى حلب فقابله الغوري بعد قليل بأنه انكسر وقتل أكثر جنوده وفقد الملك تحت سنابك الخيل في مرج دابق وهرب بقية السيوف من الجراكسة وصيروا الملك بعده الى طومان باي سلطانا والسلطان سليم في اثرهم يفتح البلاد ويضبطها الى أن وصل الى الريدانية خارج مصر فخرج اليه طومان باي ومن معه الى قتاله فانجلى هو ومن معه الاساعة وانكسروا ودخل السلطان سليم خان الى مصر وضرب وطاقه في الجزيرة الخضراء على ساحل النيل وهرب طومان باي الى البرية فمسكه شيخ عرب وجاء به الى أوطاق السلطان سليم خان فأمر بصلبه في باب زويلة حتى يراه الناس ويصدقون بأنه مسك وصار وا يزعمون بأنه اختفى لئلا يصل له غريمه فيخرج وكثر كلام الناس وصار مظنة الفساد وكثرة القيل والقال فأمر السلطان سليم بصلبه تسكينا للفتنة وكان صلبه في باب زويلة في حادي عشر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وبصلبه انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دولة غيرهم من أرباب الدول من الاتراك والاكراد والعبيديين وهكذا شأن

كتب من نصوح باشا لشيخ الحرم وللقاضي ولاغاوات الاسباهية وآغاة الطاسة وسقموا الجميع ان البلاد صارت للشريف سعيد وأمرهم بالنداء في المدينة فتوقف شيخ الحرم ثم تغلب عليه بعض آغاوات المدينة والقاضي وساعده بعض الناس ونادوا للشريف سعيد يوم الاثنين تاسع عشر شوال وزينوا المدينة وأرسلوا صورة الامر لاسمعيل باشا متولي جدة وطلبوا منه ان ينادي في جدة فامتنع من النداء خوفا على البلد والطريق لئلا يقع خلل بموجب ذلك وفي تاسع شهر ذي القعدة وصل جماعة من الطائف وأخبروا ان الشريف سعيدا وصل قرب الطائف ومعه قوم فأمر الشريف عبد الكريم عسكره الخيالة والقمانية ان يبرزوا الى المعابدة ثم تعلقهم يومين وبرز هو الى الابطح بقية عسكره وعسكر مصر والسادة الاشراف ونزل في مخيمه وأرسل من يأتيه بخبر الشريف سعيد وقومه الذين معه ثم جاءه الخبر انه وصل الى الشداد فأمر بدق الزير واجتمع الاشراف والعساكر وتوجه بهم الى عرفة في الثاني والعشرين من ذي القعدة فوجد الشريف سعيدا نازلا بها فبات كل منهما وعند الصباح وقع الرمي بين الفريقين بالبندق واستمر الحرب الى آخر النهار ووقع الصواب في الجيشين وقتل البعض من العسكرين ثم ان الاشراف تداخلوا بينهم بالكف عن الحرب يومين فانتقل الشريف سعيد الى الشريعة بلاد ذوي بازان والشريف عبد الكريم جالس مقابلا له بينهما مسافة ساعة فركب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الى الشريف سعيد وقال له ياسيدي طلبنا الكف عن الحرب يومين وقد مضت والآن قصدي ان تكون المهلة الى ثالث عشر ذي الحجة فان كان الامر السلطاني جاء لك فتكون هذه المدة لك ويخرج الشريف عبد الكريم من مكة فتم الامر بينهم على هذا فركب الشريف عبد الكريم بمن معه ورجع الى مكة ونزل في بستان الوزير عثمان حميدان واستمر في البستان من ظهر يوم الثلاثاء الى يوم الخميس وفيه طلع اليه جميع العساكر الا الانكشارية والمتفرقة فانهم تأخروا عن الطلوع وطلع أيضا السادة الاشراف للتصدير له بالالاي على مجرى العادة وكان بعض الاشراف في مدة الاجلا نزل الى البلد بصورة الفرمان الوارد للشريف سعيد وبيت الامر لهم مع الانكشارية والمتفرقة والقاضي فعند خروج العسكر للالاي اجتمعوا عند القاضي وسجلوا صورة الامر الوارد واجتمع خلق في المحكمة ووقع القيل والقال فحصل من ذلك ضجة عظيمة وأرسلوا المنادي ينادي في البلد للشريف سعيد ومع المنادي شريف من الاشراف وأما الشريف عبد الكريم فاعتمد على جميع ذلك واجتمع عنده السادة الاشراف والعساكر الذين خرجوا للالاي فركب وركبوا معه وساروا من بستان الوزير عثمان حميدان الى ان وصلوا الى الدرويشية فلاقيه السيد طاهر بن محمد هناك وأخبره

بالواقع

الدنيا في أبنائها تتقلب بهم وتحول عنهم أي تقلب وأي تحول كالفلك   ما اختلف الليل والنهار وما

دارت نجوم السماء في الفلك   الا نقل السلطان من ملك   قد زال سلطانه الى ملك   وملك ذي العرش دائم أبدا

ليس بفان ولا بمشترك   وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم طومان باي ومدة ملكهم مائة وثمانية وأربعون عاما وليس لطومان باي أثر لقصر أيام سلطنته وللأشرف قانصوه مآثر جميلة وعمائر حسنة جليلة رحمه الله تعالى وسامحه ومما عمره السلطان قانصوه الغوري بمكة المشرفة باب ابراهيم بنى فيه قصرا عاليا وقصرا في جانبه مسكنين لطيفين وبيوتا معدة للكراء حول باب ابراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ولا يصح وقف ذلك القصر لانه في هواء المسجد وكذلك المسكنان لان آخرهما واقع في أرض المسجد وما أمكن العلماء ان ينكروا عليه ذلك في أيام سلطنته ودولته لعدم اصغائه الى كلام أهل الشرع والدين وعدم اقدام العلماء على الملوك والسلاطين لطمع في الدنيا الدنية وللوقوف على مناصبهم الاعتبارية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن آثاره أيضا ميضأة خارج باب ابراهيم على يمين الخارج من المسجد وقد بطلت الآن لان روائح عفونتها قد تصل الى المسجد فيتأذى به المصلون فأبطل وخلي قريبا في سنة ثمانين وتسعمائة بالأمر الشريف السلطاني ومن آثار الأشرف الغوري أيضا الترخيم الواقع في حجر البيت الشريف عمل بأمره في أيامه واسمه مكتوب فيه وفرغ من عمله عام سبعة عشر وتسعمائة ومن آثاره بناء سور جدة فانها كانت غير مسورة وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها وأسرت عربان زبيد في أيام الفتن الطوالباشي محمد القاري وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا الى بيته وأنزلوه من السطح وأركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه واحد من زبيد وأخذوه الى أماكنهم وهو قرب عقبة السويق من درب المدينة الشريفة ومكث عندهم الى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم فردوه الى مكة بعد ان استوفوا هذا القدر منه ونهبت جدة مرارا في الفتن التي وقعت بأرض الحجاز بعد وفاة المرحوم المقدس الشريف محمد بن بركات بين أولاده وجرت أحوال يطول شرحها فأرسل السلطان الغوري أحد أمرائه المقدمين وهو الأمير حسين الكردي وجهز معه عسكرا من الترك والمغاربة [illegible] نحو خمسين نفرا بالدفع ضرب النفط فقال

بالواقع وان المنادي وصل الى سوق المعلاة وان بعض الاماكن مترسة فأخذ الشريف يفكر في عاقبة هذا الامر فتشاجر عنده السادة الاشراف وقالوا لابد من الدخول الى البلاد فمنعهم الشريف عبد الكريم من ذلك وقال نخشى على الرعية تذهب بسببنا ويهلك القوي والضعيف وعذري منكم يا رواني ما صنعتم وأما مكة فقد أعطيتها حقها وذببت عنها ودفعت من أراد دخولها وجميع ما وقع فيها من ولس وغيره فانما كان في وجه جماعة من آل بني نمي وآراني أن يرجعوا شفقة على البلاد والعباد ثم مشى الى الجوخ الى أن وصل طوى فوقف هنالك الشريف ثم تتابعت الاشراف أيضا وعزموا على دخول البلد من الشبيكة فمنعهم أيضا ثم استدعى السيد عبد المعين ابن محمد بن حمود وأودعه بأزقته ورجاله وجميع ما يتعلق به كله وعدتهم وتوجه الى الوادي بمن معه من الاشراف والاتباع ما عدا العسكر الجبالية فانهم خدمة كل متول وأما الشريف سعيد فانه لما نودي له بالبلاد وجاءه الخبر أن الامر قد تم له وصل عند القاضي أقبل فوصل الى المعابدة عصر يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة ونزل بالالاي والعساكر والاشراف ونزل الى دار السعادة عند غروب الشمس وأصبح يوم الجمعة فطلع اليه الناس وسلموا عليه وهنؤه ونودي له بالامان في شوارع مكة وبالزينة سبعة أيام وفي غرة ذي الحجة وصل جماعة من الاشراف الذين كانوا عند الشريف عبد الكريم وسلموا الى الشريف سعيد وفي ثالث الشهر وصل الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وسلم عليه أيضا وفي رابع الشهر وصل الباشا من جدة وفي خامس ذي الحجة وصل كتخدا نصوح باشا ومعه الامر السلطاني فانعقد مجلس بالحطيم حسب المعتاد وقرئ المرسوم على جري العادة وألبس الشريف سعيد القفطان الوارد وألبس أهل المناصب على العادة الجارية ثم أرسل الشريف سعيد الباشا وأمر أن ينصب في المسعى ويهيأ سماطا عظيما لنصوح باشا وخرج لاستقباله واستقبله وألبسه ولاة الشريف القفطان الوارد صحبته الحج على حسب المعتاد ورجع بالالاي الى بيته يوم السبت سادس ذي الحجة ثم عرض لامير المصري على القانون المعتاد وألبس القفطان الوارد صحبته ثم حج بالناس على جاري العادة ولم يحصل شيء من المخالفات وشاهدوا المحمل

﴿الولاية الخامسة للشريف سعيد سنة ١١٢٣﴾

وهذه الولاية الخامسة للشريف سعيد واستمر في هذه الولاية الى ان توفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف وان حصل من الشريف عبد الكريم بعد هذا حركات فهي غير مفيدة شيء فانه في شهر ربيع الاول من سنة أربع وعشرين ومائة وألف جاءت الاخبار للشريف سعيد بأن الشريف عبد الكريم وصل الى خليص وتوجه للوصول الى مكة ومعه جماعة من الاشراف والعرب فجرد الشريف

في بحر الهند وكان مبادي ظهورهم وأمره بدفع الفتن الواقعة اذ ذاك في جدة وجعلها له اقطاعا فلما وصل الامير حسين الكردي الى جدة بنى عليها سورا في سنة سبع عشرة وتسعمائة وهو الباقي الى الآن وكان ظالما غشوما سفاكا للدماء ولا يرحم من في الأرض ليرحمه من في السماء واذا اخبر أو طاقه في سفر أو حضر رتب حوله أعوانه وجنوده ترتيبا خاصا للارهاب من حضر ونصب أعوادا للصلب والشنق والتنكيل وأقام جلادين للقتل بالتوسيط والضرب والبهدلة فأي متمكن وقع في يده قتله بأدنى سبب أو عذبه بالمقارع أو سائر اظهار الناموس القوي في المهيب واخافة للخلق بالسياسة والترهيب كما يحكى ان الطباخ دخل بلده فصادف انسانا عند دخوله فأمسكه وأمر بضربه فقال له بأي ذنب تضربني بسببه فقال أريد ارهاب أهل البلاد فجلس الى ان قتل ساعة فضربه خمسمائة سوط ثم أطلقه • وكانت للامير حسين المذكور واسطة بعد وردة في سائر الايام وكان اكولا بذولا للطعام سمحا في المواكلة والاطعام بمعروف الظروف وعنده مع أربعة عبيد وثلاثين لعصابة وكان كرديا دخيلا في وثاقتين بطلا راكبة لا تغلا عنهم ولا يعتبرونه فيما بينهم وأراد السلطان الغوري ابعاده عنهم حماية منهم وكان معتنيا به فأعطاه بندر جدة على وجه التيار وجهز معه عمارة لمقاتلة الفرنج الذين ظهروا في بنادر أرض الهند واستطرقوا اليها من بحر الظلمات من وراء جبل القمر الذي هو منبع ماء النيل ووصلوا الى أرض الهند ووصل اذاهم وافسادهم الى بلاد العرب وبلاد اليمن وقصد السلطان الغوري دفع أذاهم عن المسلمين بارسال الأمير حسين الكردي الى جدة فلما أتى جدة سورها وبنى ابراجها وأحكمها وهدم كثيرا من بيوت الناس فيما يقارب موضع السور لوضع الاساس واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين وضيق على البنائين بحيث يحكى ان أحدهم تأخر قليلا عن المجيء فلما جاء أمر ان يبنى عليه فبني عليه واستمر قبره بجوف البناء الى يوم الجزاء الى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد وبنى السور جميعه في دون عام من شدة غشمه واقدامه وظلمه واستمر حاكما بجدة الى ان تقوى بالمال والاثقال فتوجه الى الهند في حدود سنة احدى وعشرين وتسعمائة فدخل واجتمع بسلطان كجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفر ابن السلطان محمود شاه الكجراتي فأكرمه وعظمه وأنعم

سعيد بالملاقاة وأخرج العساكر والمدافع الى طوى وطلب قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وناصرة ثم رحل من طوى الى الشوارية ثم منها الى الوادي ثم تلاقى هو والشريف عبد الكريم بثنية عسفان ولم يحصل بينهما شيء بل تبين أن الشريف عبد الكريم لم يصل بقصد المقاومة وانما قصده النزول في الحما بلاده فظن مولانا الشريف سعيد أنه جاء بقصد القتال فاشتد لمقاومته ومدافعته ولم يحصل شيء غير أن السيد يحيى بن بركات واخوان الشريف عبد الكريم طلبوا الدخول في البلد فوافق الشريف على ذلك ونزل الشريف عبد الكريم بالحما ثم سافر الى جهة حرب ومكث مدة طويلة ثم سافر الى مصر واستمر بها الى ان توفي الى رحمة الله بالطاعون سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وولايته كانت على مكة ثلاث مرات

﴿عدد ولايات الشريف عبد الكريم ومدتها ست سنين وعشرة أشهر﴾

المرة الاولى حين نزل له عن الولاية الشريف عبد المحسن سنة ألف ومائة وست عشرة سلخ ربيع الاول واستمر فيها الى سلخ رمضان من السنة المذكورة فدخل مكة الشريف سعد حين كان الشريف عبد الكريم باليمن كما تقدم فكانت مدة هذه الولاية ستة أشهر والولاية الثانية بعد اخراج الشريف سعد من مكة في التاسع عشر من شوال من السنة المذكورة واستمر فيها الى سادس ذي الحجة ختام سنة ست عشرة المذكورة والولاية الثالثة كانت بأمر سلطاني وصل الى مكة المشرفة رابع شهر شعبان من سنة ألف ومائة وسبع عشرة واستمر فيها الى عشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وأخرجه منها الشريف سعيد بالامر السلطاني كما تقدم وبعدها تم بعد الشريف عبد الكريم الى شرافة مكة المعظمة فجملة مدة الولايات الثلاث ست سنوات وعشرة أشهر الا أنه في الولاية الاخيرة انتجعت أحواله وكثرت أمواله وتوفرت أجناده وتعددت أعضاؤه فلما انقضت المدة انقطع العدد رحمه الله رحمة واسعة وفي أواخر سني دولته الاخيرة ورد من الهند صدقة لأهالي الحرمين قدرها خمسة لكوك روبية فحصل بذلك الشريف وللناس سرور كثير وعمت تلك الصدقة الخاص والعام وانتفع بها خلق كثير وكان ورودها في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

﴿وفاة الوزير عثمان حميدان سنة ١١٢٣﴾

وفي هذا الشهر انتقل الى رحمة الله تعالى الوزير عثمان حميدان رحمه الله وكان قد استوزره عدة من ملوك مكة المشرفة وارتفع صيته وعلا ذكره واجتمع عنده من الاموال ما لا يحصى ومشى في جنازته جدنا ومعه مولانا الشريف عبد الكريم لان موته كان في مدة شرافته وأما مولانا الشريف سعيد

فولايته

عليه بتمام الاته عظيمة جليلة ولما سمع الفرنج بما ارتفعوا عن بنادر بكرات الى بنادر الركن وتحصنوا بقلعة متقنة محكمة لهم هناك هي تحت ملكهم الى الآن يقال لها كوة بالكاف العجمية المضمومة والواو المشددة المفتوحة بعدها هاء ساكنة نصره الله تعالى لسلطان الاسلام وقطع بسيفه دابر الفرنج اللئام وكافة عباد الصلبان والاصنام وقد أحسن من قال

أعباد المسيح يخاف صحبي • ونحن عبيد من خلق المسيحا

ولم يستقر الامير حسين في بكرات بل بادر الى اليمن واقتتل في طريقه على عوده الى مكة عن بني طاهر ملوك اليمن فقاتلوا وغدروا به في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد أمور يطول شرحها وترك بها اثقاله في زبيد امه برسباي جركسي وترك السلطان عامر بن عبد الوهاب وكانوا ملوكا (١٦٧) من أهل السنة والجماعة ظاهرين في الاعتقاد ظاهرين على أهل البدع والالحاد رحمهم الله تعالى وانقرضت به دولة بني طاهر من اليمن وعاد الامير حسين الى مكة وبقي بها كانا بحث عنها بطانته وقدم الى مكة وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت بحضوره الكريمة السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنات وسقى عهده صوب الرضا والغفران • وتوجه سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الاشراف وتاج رؤس الشرفاء من بني عبد مناف مولانا السيد الشريف جمال الله والدين محمد أبو نمي بن بركات خلد الله سعادته وأبد دولته وسيادته أرسله والده الشريف بركات الى حضرة السلطان السلطان الثاني عمر وعمره يومئذ اثنا عشر عاما فعمل له بذلك غاية التعظيم والاكرام وبلغ بذلك جميع ما طلبه ورام وعاد الى والده الشريف منصورا مؤيدا معه أحكام شريفة بكل ما طلبه وأراده وأرسل حكما الى السيد عرار بن عجلان ابن السيد الشريف بركات رحمه الله بقتل الامير حسين الكردي المذكور وهو الذي استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير حسين المذكور فأخذ مقيدا الى جدة وربط في رجله حجر كبير وغرق في بحر جدة في موضع يقال له أم السمك فأكلته الاسماك بعد أن كان يعدي الاملاك وكان طعاما للحيتان بعد اطعامه الضيفان وغرق مقيدا في الاصفاد بعد أن قتل ما شاء الله من العباد وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بددا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا

الباب السادس في ظهور آل عثمان خلد الله سلطنتهم القاهرة الى آخر الزمان وذكر ... من

ولاية شرافة مكة كانت خمس مرات

عدد ولايات الشريف سعيد ومدتها عشر سنين وسبعة أشهر

الاولى سنة تسع وتسعين وألف بعد وفاة عمه الشريف أحمد بن زيد فاستمر تسعة أشهر وانتزعها منه الشريف أحمد بن غالب وولي مكة ودخلها ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف ومكث فيها سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما انتزعها منه الشريف محسن بن حسين بن زيد ثم بعد كثرة الاختلاف بين الاشراف نزل عنها الشريف محسن لاخيه سعيد بن سعد بن زيد بعد سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام فهي مدة ولاية الشريف محسن وكان الشريف سعيد محاصرا لمكة بجنوده فنزل الشريف محسن عن الولاية للشريف سعيد في ذلك اليوم فدخل مكة الشريف سعيد في سابع محرم سنة ثلاث ومائة وألف فهذه الولاية الثانية للشريف سعيد واستمر فيها الى سابع ذي الحجة من ذلك العام فجاء والده الشريف سعد من الروم متوليا من الدولة العلية وكانت الولاية الثانية للشريف سعيد سنة كاملة الا أياما الى وصول والده وان نظرنا الى وقت ولاية والده تكون مدتها أحد عشر شهرا وثمانية أشهر الولاية الثالثة للشريف سعيد سنة ألف ومائة وثلاث عشرة حين نزل له والده عن ولاية مكة وجاءه التأييد من الدولة العلية في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر بها الى أن حصل الاختلاف بينه وبين الاشراف فانتزعها منه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد في الحادي والعشرين من ربيع الاول سنة ست عشرة ومائة وألف وبعد تسعة أيام نزل عنها للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى فكانت مدة الولاية الثالثة للشريف سعيد سنتين وأربعة أشهر الولاية الرابعة للشريف سعيد في ذي الحجة ختام سنة ألف ومائة وست عشرة حين جاءته المراسيم السلطانية مع التجريدة التي كان عليها الوزير ... واستمر فيها من سابع ذي الحجة الى أن انتزعها منه الشريف عبد الكريم بالمراسيم التي جاءته بواسطة ... في ... من شعبان سنة ألف ومائة وسبع عشرة فكانت مدة هذه الولاية الرابعة للشريف سعيد تسعة أشهر الولاية الخامسة للشريف سعيد حين جاءته المراسيم السلطانية صحبة ... وولي مكة سابع عشر ذي القعدة سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين واستمر فيها الى وفاته في المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وعمره أربع وأربعون سنة لان ولادته كانت في محرم سنة خمس وثمانين وألف وكانت مدة هذه الولاية الخامسة للشريف سعيد ست سنين وشهرا واحدا فمدة ولاياته كلها عشر سنين وسبعة أشهر

•(وفاة الشريف سعيد سنة ١١٢٩)•

ولما توفي الشريف سعيد في الحادي والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف

مناقب أسلافهم السلاطين العظام وذكر ما عمروه في بلد الله الحرام وفعلوا فيه من الخيرات الجسام وذكر بناء المسجد الحرام على الوضع الذي هو عليه الآن وفيه فصول﴾ ●(الفصل الاول)● في ذكر الفتح الخاقاني ودخول ممالك العرب والعجم في سلك العثماني ونبذة من ذكر أسلافهم الكبار بطريق الاختصار خلد الله ملكهم العثماني مدى الزمان وأبقى ملك الارض فيهم وفي عقبهم الى انتهاء الدوران ● لما أراد الله تعالى بأهل الارض احسانا وافضالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهم اكراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الاسلام وتقريب أهل السنة المتمسكين بسنن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واقامة الشرع (١٦٨) الشريف على رغم الملاحدة اللئام اطلع في أفق الخلافة العظمى شموس الايادي العثمانية وأسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى بدور ل المعدلة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله أعنة ممالك الاسلام وفتح على يديه أكثر الامصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام والحسام الحاسم مواد ظلم الظالم من كل ظالم او ظلام ونشر به جناح الامن والامان على أهل الايمان من الانام فأخذ أحاسن محاسن هذا الربع المسكون وكان مظهر القول من يقول للشئ كن فيكون ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون واستولى بتأييد الله ونصره على شام البلاد ومصره وملأ قطع الدنيا باحسان سيف قهره كاملا الدنيا وانما سيف عدله ولطائفه وبره وتشرفت بذكره في الحرمين الشريفين صدور المنابر ورؤس المنابر وعمر مساجدها انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الملة الحنيفية وأحيى ما هامن مآثر الملة الملك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خير خلق خلفاء الرحمن شرف سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازي تغمدهم الله بالرحمة والرضوان وحفهم بروائح الروح والريحان وابدلهم عما انتقلوا عنه من الملك الفاني بالملك الباقي في غرف الجنان وأبقى السلطنة فيهم خالدة كما كانت الى يوم الحشر والميزان

هم معشر كلهم غار وكلهم ● خير الملوك صناديد الصناديد

كان له كثير من الاولاد وكان أكبرهم الشريف عبد الله بن سعيد وكان غائبا في نواحي اليمن فلما بلغه والده الما اشتد مرضه جاء وحضر وفاة والده ثم جمع الاجناد والعساكر وفرق جانبا منها في البيوت وجانبا في المنائر حفظا للبلاد ودرءا للفساد وأراد الاشراف كافة ان تكون شرافة مكة للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لانه في ذلك الوقت كان كبير الاشراف ورئيسهم فامتنع الشريف عبد المحسن من قبول الولاية واستحسن ان تكون للشريف عبد الله بن سعيد المتوفى ولم تخرج بقية الاشراف عن رأيه فنزل بنفسه الى المسجد الحرام لملاطفة الباشا والعساكر والاروام وقبض الخلعة من أيديهم ورغبوا وضعوا الخلعة على مناكبه يريدون توليته فطرحها عن أكتافه فأخذها وزفها الى الشريف عبد الله بن سعيد والبسه اياها في ذلك اليوم ونودي له في البلاد

●(تولية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٢٩)●

وكانت ولاية الشريف عبد الله بن سعيد يوم الحادي والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وسلك في أول ولايته سبيل العدل والاستقامة واتفق مع الاشراف ثم تغير حاله وحصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير حتى خرج كثير منهم من مكة مغاضبا له والتجأوا الى اليمن وعجز الشريف عبد المحسن عن الاصلاح بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وضاق ذرعه وخرج الشريف عبد الله بن سعيد عن طوعه ولم يزل أمر الشريف عبد الله بن سعيد في اختلال الى غرة شهر جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين فكان عزله في هذا التاريخ فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وهذه ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى ولما تحقق الشريف عبد الله عزله باتفاق الاشراف سار الى جهة اليمن ثم ان الاشراف أجمعوا على ان الولاية لا تكون الا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وهو ممتنع من قبولها مطلقا وامتنع أن يولي أخاه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فامتنع الشريف عبد المحسن أيضا من تولية أخيه فأراد جماعة من الاشراف ولاية الشريف يحيى بن بركات وامتنع من ذلك جماعة آخرون ثم اجتمع الاشراف عند الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وقالوا له رضينا من توليه علينا وتختاره فاستحسن حسم المادة وايضاح الجادة بولاية الشريف علي بن سعيد أخي الشريف عبد الله بن سعيد وقد كان الشريف علي المذكور يريد الارتحال واللحوق بأخيه الشريف عبد الله لما رأى كثيرا من الاشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات ولم يخطر بباله ان الولاية تكون له ولا تحدث بذلك وانما استحسن ذلك الشريف عبد المحسن بن أحمد قطعا للنزاع لانه رأى ان ولاية الشريف يحيى بن بركات تؤول الى المخاصمات والمنازعات بين الاشراف فطلب الشريف علي بن سعيد وأفاض عليه خلعة

الولاية

الولاية وقال الحسين بن مقير في ذلك

وكم طامع في حاجة لا ينالها • ومن آيس منها أتاه بشيرها

•(ولاية الشريف علي بن سعيد سنة ١١٣٠)•

وكانت ولاية الشريف علي بن سعيد لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين وكتب الاشراف والعلماء وأعيان الناس محضرا للدولة العلية باستحسان ولاية الشريف علي بن سعيد وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد في شوال من السنة المذكورة من طريق البحر وفي هذه المدة حصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير واضطربت البلاد وكثر الفساد وصار النهب في أطراف مكة وبالليل في مكة أيضا وعظمت سرقة العربان بنواحي مكة واستمر ذلك الى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وفي هذا الشهر خرج السادة الاشراف برمتهم الى الوادي ونواحيه لقطع معاليمهم وعوائدهم المقررة من أبيه وجده ولم يبق بمكة أحد منهم واستمروا بالوادي الى قدوم الحج الشامي ولم يقع منهم خلاف في تلك الاطراف فلما وصل الحاج الشامي رفعوا أمرهم الى أمير الوزير رجب باشا وأشير وعليهم يريدون عزل الشريف علي بن سعيد وولاية الشريف يحيى بن بركات أو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فسألهم الوزير رجب باشا عن كبير الاشراف الذي يرجع اليه أمرهم فأخبروه بأنه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الا أنه لم يحضر معهم لتوعك مزاجه وهو مقيم بالحسينية والشريف يحيى بن بركات كان مقيما بمكة لم يحضر مع الاشراف بالوادي فكتب الوزير رجب باشا كتابا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد يستشيره ويعين عنده لولاية مكة وأرسل الكتاب مع جماعة من الاشراف ومعهم أخوه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والامر لم يكن يخبره بالاعلية فمن حضوره أب الشريف عبد المحسن وأعلموه بكتاب الوزير وصارت بينهم مراجعات طويلة ملخصها انه تنكب عن ولايته أخيه واعتذر بأمور عظام منها انه مسؤل تحت هذا الامر اليه

•(خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لاخيه الشريف مبارك وعزله عن ولاية مكة وما ترتب على ذلك من العزل والطرد عن مكة)•

ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له هل بعد الولاية الا انتظار العزل واذا صار العزل عدوت مطرودا في جميع الطرق والمسالك واجتمع السادة الاشراف على الاعادة عن مثيري الشر بالادلة فهل أحرزت من شر ذلك غير عدا وتلك أرماك وأحبب فيما أؤمله فيملئوا رجوه وفي الحكمة من جميع الوجود من انك ستكون الجامع لاهلي وعيالي اذا كنت شمسي وغاب هلالي وهل بعد اجتهادي في حاب الدر فيك تضيع أملي فيك قل من ذلك واقتدى بي وسر على نهجي وبهداي ثم شرع يحول بع

أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا • ومن سواهم فلغو غير معدود لو خالد الدهر ذو عز لعزته • كانوا أحق بتعمير وتخليد

وجده الاعلى السلطان عثمان الغازي رحمه الله تعالى أصله من التراكمة الرحالة النازلة من طائفة التتار والسلطان عثمان أول من ولي منهم السلطنة في بلاد الروم في سنة تسع وتسعين وستمائة وهو ابن ارطغرل بن سليمان ويتصل نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الاربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد خان رحمهم الله تعالى كانت أسماء آبائهم ملفقة التركية لقد علم تذكرها لعسر ضبطها وهي مذكورة في التواريخ المذكورة وكان سليمان شاه مقيما في الشرق في بلاد ماهان قرب بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرقت تلك الممالك وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين ألف بيت من التركمان الى أرض الروم ومر بحلب وعبر بحر الفرات فغرق بفرسه في الفرات وأخرج منه الى جوار دمشق أعلى الجبال ودفن أمام قلعة جعبر وتفرق من معه من التركمان في أطراف تلك البلدان وذراريهم موجودون رحالون نازلون الى الآن • وكان لسليمان شاه أربعة أولاد اثنان منهم توجها الى بلاد العجم وهما سنقدر ودندار وتوجه اثنان الى بلاد الروم الثاني وهما ارطغرل ولوند وعدي وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان سلطان بلاد قرامان وتخت مملكته قونية فأكرمهما وأذن لهما في الاقامة في أرضه والتأذن بالاقامة في جهاد الكفار واجتمع عليهما طائفة من الغزاة وصار دأبهم الجهاد في سبيل الله وكان مقرهما بين قره حصار والجبل في محل يقال له سكود يجاوره وقت لاقهم وجبل يلاتبع لهم فلا قوم فسكنوهما مع مواصلة الغزاة والجهاد وقمع الكفرة حول تلك البلاد الى ان توفي ارطغرل في سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف أولادا أنجادا أمجادا أشدهم بأسا وأقواهم جاشا وأعلاهم قدرا السلطان عثمان وكان مولده في سنة ست وخمسين وستمائة دأب في خدمة والده في الجهاد وغرس في الغزاة في سبيل الله منذ نشأ مع الاولاد واشتهر مع القمع للكفار في القتال والجهاد فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده في الجلاد وعلم قابليته وشجاعته في فتح أطراف تلك البلاد فأكرمه وأعزه وأمده بأنواع الاعانة والامداد وأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر وسمعه باسم السلطنة تقوية لبدنه وشد العضد فلما أرسل الطبل والزمر عملوا نوبة

بين يديه فعند اول سماعه اول صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا لآل عثمان باقيا مستمرا الى
الآن فانهم يقومون على أقدامهم عند ضرب النوبة على أبوابهم وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة في سنة
تسع وتسعين وستمائة وافتتح قراجه حصار من الكفار وأمر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فقيه كان من أهل العلم اسمه طورسن
فقيه • ثم افتتح قلعة [illegible] حصار • ثم كوبري حصار • ثم قلعة [illegible] • ثم قلعة ابن اذكى • ثم قلعة يوند حصار • ثم قلعة
اينه كول • ثم قلعة بكجه شهر • ثم زوج ولده أورخان على نيلوفر خاتون بنت تكور صاحب يار حصار فعمل أبوها سماطا عظيما
فلما حضرت الغزاة أسروا [illegible] تكور وافتتحوا قلعة يارحصار فدخلها السلطان عثمان وصارت من

جملة ممالكه واستمر في
الغزو والجهاد وافتتاح
البلاد وقتل الكفار
وأهل العناد الى أن دعاه
الله الى جنته وأبقاه
سلطانا خيرا من سلطنته
فأجاب داعي الحق لما دعاه
وبادر الى اجابته والى نداه
فعاش سعيدا ومات شهيدا
الى رحمة الله تعالى عن
ست وستين عاما في سنة
خمس وعشرين وسبعمائة
وكانت مدة سلطنته سبعا
وعشرين سنة وكان
للسيف والضيف كثير
الانعام فاتك الحسام
كثير البذل واسع العطاء
شجاعا مقداما على
الاعداء [illegible]
ولاعدائها لا ذرعا وسيفا
يجاهد بهما الكفار
وبعض [illegible] وقطعة من
[illegible]
والى الآن تزين
حول بلاد بروسا [illegible]
[illegible] ثم ولده
السلطان أورخان
الغازي ولد سنة [illegible]
وسبعين وستمائة وجلوسه على تخت السلطنة بعد والده المرحوم في سنة ست وعشرين وسبعمائة ومدة سلطنته الشرافة
خمس وثلاثون سنة وعمره ثلاث وثمانين سنة وهو الذي افتتح بلاد بروسا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعا كثيرة وله حروب مع
الكفار [illegible] • وكان السلطان اورخان في حياة والده في الجهاد وفتح البلاد ففتح بروسا في أيام والده • ثم قبوق حصار
وقلعة ازنيق في سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ثم قلعة كوينك وقلعة بالي كسرى ولاية قرسي وقلعة كوجاسي وقلعة الوباد في سنة
خمس وثلاثين وسبعمائة وقلعة قرجه طوزله في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وفتح عدة قلاع مع حصونها واتسعت ممالكه ونفذت كلمته
• واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع ضرر المسلمين عن بلادهم فاتفق قرال انكروس

السادة الاشراف فمن يصلح لهم ويبلغهم من السعادة آمالهم فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات
فكتب الشريف عبد المحسن كتابا للوزير رجب باشا يعرفه بذلك وكتب كتابا للشريف يحيى بن بركات
بمكة يعرفه بأن الاتفاق قد صار عليك وأمره بالمسير الى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا والشريف
يحيى بن بركات كان أبوه الشريف بركات تولى شرافة مكة ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات ثم عزل
وأسند الشريف أحمد بن زيد كما تقدم فرحل الشريف سعيد الى مصر وأخوه الشريف يحيى الى
الشام وأنعمت عليه الدولة بحكومة بعض القرى بالشام ثم بامارة الحج الشامي وصيرته باشا فجاء بحجه
الحج الشامي سنة ألف ومائة واثنين كما تقدم ثم رجع الى الشام وتقلبت به الاحوال الى سنة ألف
ومائة ونيف وعشرين فاستأذن الدولة ان يرجع الى مكة ويجاور فيها وعرض له في ذلك أيضا الشريف
عبد الكريم كما تقدم فجاء الاذن له فرجع الى مكة ولم يزل معاضدا للشريف عبد الكريم الى أن
عزل بالشريف سعيد فلازم الشريف يحيى داره واشتغل بالعبادة وحضور صلاة الجماعة ولم يزل على
ذلك الى وقوع هذه الحادثة واتفق الاشراف على ولايته شرافة مكة

• (ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٠) •

فلما جاء كتاب الشريف عبد المحسن بن أحمد للشريف يحيى بن بركات بأمره بالمسير الى الوادي لمقابلة
الوزير رجب باشا بولايته شرافة مكة امتثل الامر وكان مجيء الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف
بالبيت فسار ووصل الوادي قبل ارتفاع الشمس في رابعة النهار ووجد الاشراف في انتظاره فألبسه
الوزير رجب باشا خلعة الشرافة وكان ذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ألف ومائة
وثلاثين ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع وخرج الشريف علي بن سعيد من البلاد وسار من غير
حرب ولا حصار فكانت مدة دولته سبعة أشهر وأربعة أيام ولم تعد له ولاية مكة الى أن توفي سنة اثنتين
وأربعين ومائة وألف واستمر الشريف يحيى بن بركات في ولايته الى يوم الاربعاء لسبع خلون من
شهر رجب المعظم سنة ألف ومائة واثنين وثلاثين

• (عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢) •

فعزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد بن زيد فكانت مدة ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة
وسبعة أشهر ويوما واحدا وهذه ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى

• (ذكر وفاة الشريف عبد المحسن سنة ١١٣١) •

وبعد عزله ان الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد توفي في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة وألف
فحصل بعد وفاته اختلال كثير واختلاف بين الاشراف لان الشريف عبد المحسن بعد نزوله عن

يعني سلطانها وسلطان لاز والصرب واجتمعوا أن يتعدوا من بلاد روملي الى بلاد اناطولي ويقاتلوا السلطان أورخان في محله وكان له ولد نجيب اسمه سليمان باشا فاستأذن من والده ان يتعدى الى روملي ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا لقتاله قبل ان يصلوا الى اناطولي فأجازه والده لما رأى نجابته وشجاعته فتوجه مع خدامه فعبر بهم الفرات مع من الشجعان ... ورون ... المشهورون فعدوا الى روملي فصادفوا الكفار في غفلة وهم يريدون العبور الى جهة اناطولي فوقع بينهم حرب عظيم قتل فيه من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وانهزم الباقون الى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون يأسرون منهم ويقتلون ونصر الله الاسلام وخذل النصارى اللئام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار (١٧١) وانتهى الامر الى غاية المراد ورجع سليمان باشا الى والده مظفرا منصورا مؤيدا مسرورا وكان السلطان أورخان كوالده آثار الجهاد ظاهرة الاعتقاد سليم الفؤاد محبا لاهل العلم كثير الاجتهاد عاش سعيدا ومات حميدا في سنة احدى وستين وسبعمائة ﴿ثم ولي بعده ولده السلطان مراد الغازي﴾ مولده سنة ست وعشرين وسبعمائة وجلوسه على التخت في سنة احدى وستين وسبعمائة مدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره خمس وستين سنة وولي السلطنة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح كثيرا من البلاد منها ادرنة في سنة احدى وستين وسبعمائة وهو أول من اتخذ المماليك وجعلهم عسكرا يسمى العسكر الجديد وأصلهم ... الى ... وسكون الراء ... وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطان ... السلطان مرادا لاعظم ... سلطان الكفرة وانهزم الكفار وأنابر واحد من ملوكهم الاطاعة اسمه ... وتقدم ليقبل يد السلطان ... خنجرا كان أعده في كمه فضرب به السلطان مرادا فاستشهد الى رحمة الله تعالى في سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فصار القانون ان لا يدخل على السلطان أجنبي أو غيره بسلاح وان يفتش ثيابه ان يدخل على السلطان ... ﴿ثم ولي السلطنة بعده ولده يلدرم بايزيد خان﴾ مولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وولي السلطنة وعمره ثلاث وثلاثون سنة ... ومدة سلطنته ثلاثة عشر عاما ولما ولي استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم وأراضيهم وصارت النصارى تلتجئ الى بعض ملوك التتر في بلاد الروم

الشراقة الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى الى حين وفاته كان مرجعا لجميع الاشراف لا يتولى ملك ولا يعزل أمير الا برأيه ولا يستمر الا اذا كان تحت أمره ونهيه وما عهدت هذه السيادة التي لم تصر لاحد من عهد قتادة وكان تاريخ وفاته شطر بيت من قصيدة قبله شطر موطئ فيه ذكر لفظ التاريخ وهو هذا

توحوا على قبر الشريف وأرخوا ، طود الشراقة والرياسة قد هدا

فلما توفي الشريف عبد المحسن تفرقت كلمة السادة الاشراف واختلفت آراؤهم وكان الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مع الشريف يحيى بن بركات في أول الامر بالالفة والمحبة واتحاد الكلمة الى ان رمى بينهما بسهم التفريق وصار كل واحد منهما عن صاحبه في طريق ولذلك أسباب يطول الكلام بذكرها فخرج الشريف مبارك مغاضبا الى داره بالحسينية فتوسط بينهما بعض الاشراف فلم يتم الحال ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتنحي عن البلاد فسار الى وادي ... وأمهله ثلاثة أيام ثم سار الى الطائف ونواحي الحجاز فلحق به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبد المحسن ابن أحمد بن زيد في جملة من الاموال والخيل والرجال ومعه جماعة من أعاظم السادة الاشراف بعد المعاهدة بينهم على ايقاع الخلاف وجمع السيد أحمد بن عبد المحسن ومعه الشريف مبارك بن أحمد جموعا من القبائل وعزموا على مقاومة من بالطائف من الاشراف والاجناد والاتباع للشريف يحيى بن بركات فوقعت بينهم حروب ثم دخلوا الطائف وكثرت اتباعهم من عتيبة وثقيف وقصدوا مكة فخرج لهم الشريف يحيى بن بركات بمن معه من الجند والتقى الجيشان بعرفة يوم الاربعاء سابع عشر من رجب سنة ثنتين وثلاثين ومائة وألف واقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير من الفريقين ثم انهزم الشريف يحيى بن بركات وتوجه الى الوادي ثم منه الى الروم قاصدا الاعتاب السلطانية

﴿دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مكة أميرا عليها سنة ١١٣٢﴾

فدخل الشريف مبارك البلد الحرام ونادى في الناس بالامان وبسط العدل والاحسان واتفق له ما لم يتيسر لاحد من ولاة هذه الممالك الحرمية انه دخل تحت طاعته ما كان شريفا مقدارا وقد ولي امارة مكة قبله وهما الشريف عبد الله بن سعيد وأخوه الشريف علي بن سعيد وكانا في اليمن في أيام دولة الشريف يحيى بن بركات وكان قد أرسل لهما من يمنعهما عن القدوم الى الاقطار فصار بينهم حرب جديد وقتال شديد فلما صار بين الشريف يحيى والشريف مبارك بن أحمد ذلك الفراق بعث الشريف مبارك يستدعيهما ليكونا عنده وكانا متجولين في الموضع الذي كانا فيه الا بعد ان تمكن الشريف مبارك وخروج الشريف يحيى من مكة فلما ... الى

فلزم ان يستولي السلطان يلدرم بايزيدخان على ملوك الطوائف فضيق على جماعة منهم مثل ابن كرمان أخذه وحبسه مع بعض
وزرائه فهرب مع وزيره من الحبس ومضى الى تيمورلنك وهرب أيضا ابن منتشا منه وحلق لحيته وحواجبه وصار في صورة قلندري
وذهب الى تيمور وكذلك ابن ايدين هرب في صورة سقطي بياع الخروات وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من أمراء تلك الديار
وملوكها وصلوا الى تيمورلنك وشكوا من السلطان بايزيدخان وحسنوا له ان يصل الى بلاد الروم فوصل الى البلاد الشامية والحلبية
وقتل فيها وفتك وسفك الدماء وعاث فيها وأخذ تلك البلاد وأسر أهلها ونهب المسلمين وشرح ما فعله في بلاد الاسلام يطول جدا وذلك
مذكور في تاريخ الاسلام للذهبي وتغير واستمر تيمور يفسد في الارض ويقتل ويسفك الدماء الى ان وصل الى
أنقرة بيان وخرج السلطان بايزيد لقتاله وجمع عسكر الروم ولما التقى الفئتان هرب من عساكره طائفة التتار وعسكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيدخان وذهبوا الى تيمور ووقع الحرب الشديد وقتل من أولاد السلطان بايزيد السلطان مصطفى فشرع عسكره في الانهزام وثبت هو وقاتل من معه واستمر يقاتل الى ان وصل الى تيمور بسيفه المشهور قاتل بنفسه الى ان وصل الى تيمور وقد عجز راحلته فرموا عليه بساطا وأمسكوه وحبسوه وحصل له حمى محرقة فتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة خمس وثمانمائة وتسلطن بعده أولاده وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتي عشرة سنة الى ان استقل بالسلطنة

(السلطان محمد خان بن السلطان يلدرم بايزيدخان) توفي سنة ست عشرة وثمانمائة ومولده في سنة عبد
سبع وسبعين وسبعمائة واستقل بالسلطنة وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وعاش ثمانيا وخمسين عاما وكان
شجاعا مقداما مجاهدا في سبيل الله افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه في الغزو والجهاد وجهادها أعظم جهاد ومما افتتحه قلعة
قسطمونية وقلعة اسكليب وقلعة صامسون وقلعة آق شهر وغيرها وظهر في أيامه بدر الدين بن سماونه وادعى السلطنة وجمع جمعا
من مريديه فأرسل السلطان محمد خان عسكرا لقتاله فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر ومسك بدر الدين بن سماونه وكان يرى
بسوء الاعتقاد وله رسائل في شيء من ذلك وقد جمع بين الاصول الاشعرية والفصول العمادية جمعا ضيق فيه العبارة وأخفى

الشريف مبارك تلقاهما بالقبول والاكرام وطلب منهما المساعدة فقبلا له ذلك وسلكا معه أحسن
المسالك واستمرا على ذلك الى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فحدثت بينه وبين الشريف
عبد الله مقتضيات الفساد ولمعت بينهما بروق النوى والابعاد وتواترت النقول لدى الشريف
مبارك بفساده وثبت عنده انه يحوم حول منصبه وبلاده فصمم على ارجاعه الى اليمن فامضى
عزمه وأخرجه الى الليث واستعمل عقبه من سيره السير الحثيث وما فعل ذلك الا لانه تحقق ان
الشريف عبد الله يريد القيام بطلب الامارة من أمراء الحج وأعيان الدولة العثمانية فصار الشريف
عبد الله ينتقل تارة عند ذوي بركات بالجديد وتارة بوادي مر وتارة بنواحي الطائف وأما أخوه
الشريف علي فبقي على حاله بمكة لم يقع منه خلاف ثم ثارت فتنة بمكة بين الاشراف وبين شريف مكة
الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراتهم ورفع جانب فقرائهم فخرج عن طوعه لذلك
جميع الاشراف وأخافوا الطرق والمسالك وكان ابتداء ذلك في رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم
اجتمعوا بأسرهم في الوادي واستقر رأيهم على ان تكون الشرافة للسيد أحمد بن عبد المحسن بن
أحمد بن زيد وان يعزلوا عمه الشريف مباركا وجاءهم الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره
وانضم اليهم وكذلك لحقهم أخوه الشريف علي بن سعيد الا انهما لم يتعرضا لامر الشرافة بل كانا
لاري الخلافة وأقاموا مدة من الايام وآراؤهم تنقض تارة وتارة تكون بغاية الابرام ولم يزل هذا حالهم
الى ان نفدت أموالهم وقلت لديهم الاقوات وانحصرت عليهم جميع الطرقات وهم ينتظرون
خروج الشريف مبارك اليهم وصولته عليهم فيأخذونه في طرفة عين ويرمونه بالمدافع وهو
مقيم في مكة بالبلد متحصن بعساكره وأجناده وأصاب الناس في مكة شدة وبلاء عظيم الا كاد
وكذا الشريف مبارك اصابته شدة حتى آل الامر الى بيع آلات ملكه ثم عزم الاشراف الذين في
الوادي على حربه وقتاله واجتمع معهم كثير من القبائل فجاؤا وضربوا خيامهم بالزاهر فخرج لهم
الشريف مبارك بمن معه ووقع القتال بينهم في اليوم الرابع والعشرين من شوال وصارت بينهم
معركة عظيمة عليهم وهولها جسيم أصيب فيها أشخاص من الاشراف وغيرهم وكانت الغلبة
للشريف مبارك عليهم فطلبوا منه الامان على ان يمكثوا ثلاثة أيام في ذلك المكان ثم يرحلون
ويبعدون فأبى وقال لابد من الرحيل والابعاد فرجعوا من يومهم الى واديهم ثم توسط بينهم بعض
كبار الاشراف بالصلح فكان أول من وفى للمسالمة والاصلاح الشريف عبد الله بن سعيد ثم اجتهد
هو وبقية الاشراف ورفعوا ما كان بينهم من الخلاف وضمن لهم جميع حقوقهم وأدى اليهم
ما ترتب عليه الحال في مشاهراتهم فدخل مكة زعيمهم السيد أحمد بن عبد المحسن صحبة الشريف

الاشارة وهو متداول بين العلماء لا يؤخذ الا باصله وأما هو فلا يوثق به لما يحكى عنه من اختلال العقيدة ان صح ذلك عنه وله في الفقه متن سماه لطائف الاشارات وشرحه سماه التسهيل وله في التصوف رسالة الواردات ورسالة مسرة القلوب وله غير ذلك قتل باقتاء مولانا حيدر العجمي في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وصلب وسكنت الفتنة • ثم خرج عليه محمد بن قرمان وأحرق بورصة فجاءه السلطان محمد خان من بلاد روملي ووصل قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان حرب عظيم شديد وانهزم فيه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتي بهما أسيرين الى السلطان محمد خان فعاتبهما وعفا عنهما وتصدق عليهما بمملكتهما وللسلطان محمد مدارس وعمائر وأفعال خير وهو أول من عمل الصر لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان رحمهم الله تعالى فلما تم أجله في أم الكتاب أراد الله تعالى نقله الى جنة المآب ودعاه من ملك الفناء الى البقاء المستطاب فعاش سعيدا ومضى حميدا وتحول من دار الفناء الى دار البقاء والى رضوان الرحيم وكانت وفاته بمرض الاسهال فيكون له مرتبة الشهادة أيضا وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة رحمه الله تعالى ﴿وولي بعده السلطان مراد خان بن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان﴾ مولده في سنة ست وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عاما ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكا مطاعا مقداما فاتكا مجاهدا ولا واسع العطاء حتى للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب للشرفاء السادات من خزينته وفي كل عام مثل فتح الفتوحات ولين الجوحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين • ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة موره وقاتل قرال انكروس وكسرهم وأسر منهم خلقا كثيرا واستمر يجاهد الكفار ويفتح الديار الى أن انتقاه ولده السلطان محمد فرأى نجابته ولمح في غرته سعادته وعرف اقباله وشهامته وأجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ في مغنيا بحسن رضاه ﴿فتولى السلطان محمد بن مراد خان في سنة ست وخمسين وثمانمائة﴾ مولده في سنة ست وثلاثين وثمانمائة وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من أعاظم سلاطين آل عثمان بحر الممالك

عبد الله المذكور ورتبوا الاحوال لجماعتهم وجاؤا متتابعين وهذه المرة الثانية لدخول الشريف عبد الله بن سعيد وأتباعه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد

(ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الاغاوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤)

وفي مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة أربع وثلاثين ومائة وألف وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الاغاوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البرزنجي المدفون بجدة المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها ان رجلا من توابع الاغاوات ادعى على قنا أراد ان يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل في العسكرية فامتنع من ادخاله كار العسكر حيث انه كان في العسكرية ووقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد وقال أغاوات الحرم لابد من ادخاله وطال النزاع بينهم ووافق أهل المدينة كار العسكر في عدم ادخاله ووقع في المدينة ضجة واتسع الامر حتى آل الى القتال واشتد ذلك على قنا ومن كان معضدا له من الاغاوات وكان معهم بعض من قبائل حرب فقصدوا واعتاروا الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد وترسوا بعض البيوت التي بجانب الحرم النبوي وعزموا على محاربة العسكر ومن يعضدهم من أهل المدينة فرفع كار العسكر وأهل المدينة أمرهم الى قاضي الشرع خوفا من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وذهاب ما في الحجرة من الاموال وما يحدث من القتل وغضب الدولة العلية عليهم فأرسل قاضي الشرع للاغاوات يمنعهم من الفتنة ويطلبهم للحضور الى مجلس الشرع فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضي فحكم عليهم القاضي انهم عصاة بغاة يجب قتالهم فشرعت العساكر وأهل المدينة في قتالهم وضيقوا عليهم من كل جانب وقتل في تلك الفتنة أناس من الفريقين وتعطلت صلاة الجماعة في المسجد النبوي نحو الشهر وامتنع العساكر وأهل المدينة الا بعد احضار الاغاوات القائمين مع قنا وحبسهم في قلعة السلطان بالوجه الشرعي ثم رفع أمرهم الى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد شريف مكة اذ ذاك فحضر خمسة أو ستة من كبار الاغاوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا في القلعة ورفع الامر الى شريف مكة المذكور فطلبهم الى مكة لاقامة الدعوى فوصلوا الى مكة وحضر معهم مفتي المدينة السيد محمد أسعد وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف مبارك لهم مجلسا حضره من جاء من المدينة المنورة وقاضي مكة وابراهيم باشا والي جدة ومفتي مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الاغاوات فأمر الشريف مبارك بحبسهم في داره الى ان يرفع الامر الى الدولة العلية ويأتي الجواب فجاء الجواب من

الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذى حكم به قاضى المدينة على الاغاوات وأمروا عليهم بالعقوبات المحكوم بها من العزل لبعضهم والنفى لبعضهم ثم مازال الاغاوات يسعون فى الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ويوسطوا لذلك الوسائط ورحل بعضهم الى أبواب السلطنة بنفسه حتى انتقموا من كثير منهم وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة فى هذه القضية العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن محمد البرزنجى وابنه الفاضل السيد حسن وكان الاغاوات عرضوا الى الدولة جميع أسماء أولئك الجماعة الذين اتهموهم فى الدخول فى تلك الفتنة فجاء الامر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم فنزوله وقبل مجئ الامر الى مصر ونفى والده السيد عبد الكريم المدينة فصعب عليهم قضية بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة الى مكة المشرفة والاقامة بها فلما وصل الى مكة قبض عليه وزير جدة أبو بكر باشا وأنفذه الى جدة وحبس بالقلعة

● (ذكر قتل المظلوم بجدة وهو السيد عبد الكريم البرزنجى سنة ١١٣٦) ●

ثم أمر بقتله فقتل خنقا وزمى فى سوق جدة يوما كاملا ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس وغسل وكفن ودفن بجدة وهرعت الناس الى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمة واسعة وقبره مشهور يزار ويعرف عند أهل جدة بالمظلوم وكان قتله فى ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف وفى مدة الشريف مبارك المذكور كانت وفاة خاتمة المحدثين العلامة الشيخ عبد الله بن سالم البصرى وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رابع رجب وكان تاريخ وفاته قد حل عبد الله دار قرار ولم يزل الشريف مبارك فى شرافة مكة الى ست من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف فانتزعها منه الشريف يحيى بن بركات بولاية من السلطنة السنية فكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف وهذه الولاية الاولى وسيأتى الثانية ان شاء الله تعالى وسبب انتزاع الشريف يحيى الولاية من الشريف مبارك ان الشريف يحيى لما هزم فى رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف توجه كما تقدم للديار الرومية ولم يزل يجتهد حتى اجتمع بالسلطان أحمد بن محمد بن ابراهيم يوما كاملا الا قليلا وصار بينهما حديث طويل فانعم عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين وصدر الامر بتوجهه مع الحج الشامى ومعه الوزير على باشا كاهى متوليا بندر جدة وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى ومعهم أيضا أمير الحاج الشامى على باشا المشهور بابن المقتول فجاء الجميع فى عسكر جرار ودخلوا مكة مستهل من ذى الحجة وخرج منها الشريف مبارك وجماعته وأقاموا بأطراف الطائف عوضم يسمى جريجة بعد وادى لية قريبا من بلاد غامد

الفضايل الفاضل النبيل العظيم الجليل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأثبتهم جاشا وأقواهم فؤادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين دارت كالاطواق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام وغزوات كسر بها أصلاب الصلبان والاصنام ● ومن أعظمها أنه افتتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن تجرى رخاء برا وبحرا وهجم عليها بجنوده وأبطاله وأقدم عليها بخيوله ورجاله وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار والفجار وسل على من فيها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج ومن قرع الباب ولج وثبت على متن الصبر الى أن أتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله بالتقريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اسلنبول فى اليوم الحادى والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهى أيا صوفيا وهى قبة تسامى قبة السماء وتحاكى فى الاستحكام قباب الاهرام وما وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما كأن أبراجها أبراج الافلاك ومصابيح أبوابها نجوم السماء لمزق منها جلابيب الصلبان والاصنام وخلع عليها خلع مساجد الاسلام وأبدلها الله تعالى عن الظلمات نورا وكساها نور الاسلام شرفا وعزا وحبورا لا زالت محلا للصلاة والعبادة والاعتكاف مقر الاستقرار قلوب العلماء والاصفياء والزهاد فيها والعباد مستقر السلاطين آل عثمان ●(الولاية أهل العدالة والانصاف أبد الآبدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ● وقد أسس المرحوم المقدس فى اسطنبول للعلم أساسا راسخا الايخفى على شمسه الافول وبنى بها مدارس كالجنات لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول ورغب فى طلب العلم الشريف وتكسو الطالبين حلل القبول بعد الحول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومنحه بها أجرا وأكثر ثواب فانه جعل لهم فى أيام الطلب ما يسد به فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتماد عليها الى أن يصلوا الى سعادة الدنيا ويتوصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى وانه رحمه الله

استجلب العلماء الكبار من أقاصي الديار وأنعم عليهم وعطف بإحسانه العام اليهم كمولانا على القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اسطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها الى الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الانام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام لاسيما العلماء الاكرمين قلدها في أجيادهم هي باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعددت مآثره لشحنت بها مجلدات أسكنه الله فسيح الجنات وأنزل على قبره شآبيب الرحمة والبركات وكانت وفاته سنة ست وثمانين وثمانمائة ﴿ثم تولى الملك السعيد السلطان بايزيد خان الغازي﴾ ومولده سنة ست وخمسين وثمانمائة (١٧٥) وجلس على تخت الملك في ثامن عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثلاثون عاما وعمر اثنين وستين عاما وهو من أعيان السلاطين العظماء تفرع من شجرة زكية طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتحدر من سلالة الملوك الاكابر وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه رؤس المنابر وترشحت بذكره صدور الدفاتر وامتلأت بمدائح أوصافه بطون الصحف والدفاتر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات ومما افتتحه قلعة ملوان وقلعة كوكلك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وخالف عليه أخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم وفر الى مصر وحج في زمن السلطان قايتباي وعاد وأكرمه السلطان قايتباي اكراما زائدا فذهب الى ورسق وجمع طائفة من الغواة ونازع أخاه على الملك فقاتله السلطان بايزيد فانكسر السلطان جم ثانيا وفر الى بلاد النصارى في سنة سبع وثمانين وثمانمائة فارسل اليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأنس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق رأسه فحلق رأسه بموسى مسموم وهرب في الحال وأثر السم في رأسه وسرى الى بدنه فمات الى رحمة الله تعالى وله أشعار لطيفة بلسان التركي ، ومما افتتحه السلطان بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة مدون وقلعة قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر في أيامه في بلاد العجم شاه اسمعيل بن الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي في سنة خمس وتسعمائة وكان الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي له ظهور عجيب

•(الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٤)•

ولما ورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رفقه ورأفته بالاشراف كما كان في الولاية الاولى بل تولى الامور بشدة وغلاظة وقابل السادة الاشراف بزعامة وفظاعة رجوعا عن سيرته الاولى واستحسانا بأن التكيف بهذه الكيفية أصوب وأولى مع اعتماده على من جاء معه من الارواح والوزراء العظام فلم يزل حال الاشراف معه في نهاية الاضطراب مع نفور الاعراب والحال أن الشريف مباركا وذويه آل زيد بن محسن مقيمون باطراف الطائف ونواحيه فقضى الشريف يحيى الحج وكذا صاحبه الوزير قاضي جدة على باشا كهيه ثم وجها همتهما لتمهيد الامور واشتدا لبعض الدور وكان معهما أوامر كثيرة متضمنة لاشياء عديدة منها ابعاد السادة آل زيد بن محسن ومنها هدم دارهم المعروفة بهم المسماة بدار السعادة وغير ذلك ولم يتم لهم شئ من ذلك أما السادة آل زيد فذكرنا أنهم نزلوا باطراف الطائف فوق قرية تسمى لية في موضع غربي يسمى حرجة قرب بلاد ثقيف وكان في حرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف فنزلوا به والذين نزلوا به من آل زيد هم الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد ومعه أخوه الشريف على ومعهم اخوتهم ومن يلوذ بهم من الاتباع فلما كان أواخر محرم من سنة خمس وثلاثين ومائة وألف توجه الشريف يحيى بن بركات وعلى باشا كهيه الى الطائف على طريق نخلة بالخيول والعساكر وسارا سيرا حثيثا حتى وصلا الطائف وأقاما به يوما واحدا ثم توجها الى دلالة بعض شيوخ ثقيف ووصلا اليهم تحت الحصن المذكور واستولت العساكر على أدباشهم ولم يسلم منهم الا أشخاص وكادوا يدهمون قتلا لولا حفظ الله تعالى وعنايته بهم وهذه الغارة انما كانت على الشريف مبارك وأتباعه وأما الشريف عبد الله وأخوه الشريف على فقد رحلا قبل وصولهم اليهم بقليل وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص وذهب جميع ما معهم ورجع الشريف يحيى وعلى باشا الى الطائف وأقاما أياما عند ان أفطارا الطائف ثم سارا الى مكة ودخلاها وفي رجوعهم الى مكة وقع اضطراب لاهل مكة وسبب ذلك أنهم وجدوا فيما أخذوه من الادباش كتابا خط بعض أهالي مكة ممن ينسب اليهم بأشياء كوجيه الدين عبد الرحمن بن على بن سليم فان عليا باشا وجد له على مكاتبات بينه وبين الشريف مبارك ووجد أيضا مكاتبات لآخرين غيره فذهب بيت عبد الرحمن المذكور وأراد القبض عليه وقتله فهرب بمساعدة بعض الخدم ثم ذهب الى اليمن وأراد الآخرين أيضا لكنهم هربوا ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعا من بادية بجيلة وناصرة وبني سعد وثقيف فاجتمع معه نحو الالف وأقبل بهم على الشريف يحيى وصاحبه فخرجا لملاقاته الى عرفة ووقع بينهم قتال شديد في أول الامر حملت

واستيلاء على ملوك العجم يعد من الاعاجيب فتك في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل
العجم الى الاضلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأخرب بلاد العجم وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل في ملكه
ما أراد وتلك الفتنة باقية في تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقل ولا أعلم أحدا تعرض له من العلماء الامجاد وظهر
من اتباع شاه اسمعيل المذكور في بلاد الروم شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولي أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل
وتبعه غواة لا تحصى وقويت شوكته وعظمت به في تلك الاقطار الفتنة وارسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم علي باشا بعسكر كثير
لقتال هذا الباغي وأيده بجيش عظيم (١٧٦) فقطع دابر هذا الطاغي واستشهد علي باشا في ذلك القتال وانكسر

شيطان قولي المفسد التعيس
وعسكره من جنود ابليس
وقتل مع طائفة من أعوان
الابليس وأسكن الله تلك
الفتنة بعد ما عظمت وكفى
الله شر أولئك الاشرار
بعد ما عظمت فتنتهم
وعمت وذلك في سنة خمس
عشرة وتسعمائة وكان
السلطان بايزيد رحمه الله
وجعل الجنة مثواه من
المجاهدين في سبيل الله الذين
لا يزالون على الحق ظاهرين
على من ناواهم منصورين
على من شق عليهم العصا
وعاداهم مجاهدين
لتكون كلمة الله هي العليا
وكلمة الذين كفروا السفلى
فما زال غازيا في سبيل الله
مظفرا منصورا على
أعداء الله الى أن صارت
بيضة الاسلام بسيوفه
محمية محفوظة وحركاته
وسكناته بعين عناية الله
واعانته منظورة ملحوظة
فكانت أيامه من أحسن
الايام وأكثرها أمنا

وراحة وجمع قلب للانام وكانت به كلمة الاسلام مجموعه وكلمة أهل الضلال خاسئة مقموعه وولى وحدث
الله على يديه اعزاز دينه واذلال طواغيت الشرك وشياطينه وكان مع ذلك محبا لفعل الخيرات مثابرا على بذل الاطعام والصدقات
دخل الخلوة فجلس أربعين وارتاض مثل الصلحاء الناسكين ودخل معه الخلوة مولانا والد أبي السعود أفندي المفتي المفسر
رحمه الله تعالى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات والتكايا والزوايا والخانقاهات ودار الضيافات ودار الشفاء للمرضى
والحمامات والجسور ورتب للمفتي الاعظم ومن في رتبته من العلماء العظام في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد
من مدرسي الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان في كل عام سبعة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي شرح

الجبل على الشريف مبارك ومن معه فكسرته والبادية الذين معه انحصروا في الجبل المسمى
بالباطة ووقع منه قتال أهال الاتراك وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه البلكات السبعة
بعساكرهم بل ومن بقي اليهم من سكان مكة من أبناء الروم ومصر والمغاربة وعساكر بندر جدة
فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره وقتل جم غفير من الاتراك وغيرهم
ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم ابدا فاعطوهم الامان وبذلك سلم بقية الاتراك من القتل ونزل البادية
من الجبل وتوجهوا الى الطائف آمنين مطمئنين ويقال ان علي باشا أصابه صواب في نفسه في تلك
الواقعة فكانت الهزيمة في هذه الواقعة على الشريف مبارك ورجع الى الطائف ثم خرج من
الطائف بسبب عسكر وجهه اليه الشريف يحيى وبقي في أطراف الطائف الى شهر رمضان من
السنة المذكورة ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل الشريف يحيى وهو السيد محمد بن الشريف
عبد الكريم بن يعلى واستمر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية وكان بالطائف حين
دخول الشريف عبد الكريم زعيم الاشراف ورئيسهم وهو السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن
عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن محسن فتولى الامر وذب
عن الرعية وأرسل كتابا مع ولده السيد عون للشريف يحيى بن بركات ولعلي باشا يعرفهما بذلك فارسلا
يطلبانه فوصل الى مكة واجتمع بهما معا ثم بعلي باشا بمفرده وتواطآ على أن يكتبا للشريف مبارك
كتابا بالملاطفة ويعدانه بشرافة مكة بعد الحج وأن يرسلا له مبلغا من الدراهم يستعين به ويفرق من
كان عنده من البوادي ويستقر بالطائف آمنا لا يتعرض لشيء من الاحكام وتعهد السيد محسن
للباشا أنه ما يخالف ما تأمره به وأنا أمشي اليه بنفسي لاجل ذلك وفي ضمن ذلك تنطفي الفتنة ان
شاء الله تعالى وتنطفي ثائرة الاشراف القائمين على الشريف يحيى لكن لابد من تسليم شيء لهم
فضمنوا في ذلك واستقر الامر على تسليم علوفة شهر للاشراف نقدا ثم سلم ذلك لهم علي باشا من
خزانته ثم توجه السيد محسن الى الطائف ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الاشراف
وأعطى الشريف مباركا كتابه من الباشا والمبلغ الذي له وأنزله عما كان عليه وأعطى الاشراف
الذين معه علوفة شهر نقدا وتفرقت البوادي واستقرت الاحوال وأمنت البلاد ومشت فيها
أحكام الشريف يحيى بن بركات ثم عاد السيد محسن الى مكة ومعه جماعة من الاشراف وجماعة من
عيون خدم الشريف مبارك لقضاء بعض أغراضهم فوجدوا علي باشا قد توجه الى جدة فلحقوه بجدة
فأكرم السيد محسنا ومن معه بما لم يعهد مثله وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتثال
الامر في كل ما أمر به فسر بذلك وتشكر من السيد محسن فيما فعله ورجع السيد محسن الى مكة

العمر الثاني عثماني وكذلك رتب لمشايخ أهل الطريق الى الله ومريديهم وأهل الزوايا الكل واحد على قدر مرتبته وصار ذلك جاريا
بعده مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كثيرا ورتب لهم الصرة في كل عام وكان يجهز للفقراء
الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا يصرف نصفها على فقراء مكة ونصفها على فقراء المدينة وكانوا
يستغيثون بها ويتفقون بها ويدعون له واذا ورد عليه من أهل الحرمين الشريفين أحد ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من
عنده بصلات عظيمة ومواهب جليلة وممن ورد عليه في شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محيي الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن
العراقي والشيخ شهاب الدين بن الحسن العليف شاعر (١٧٧) البطحاء وامتدحاه بالامداح شعرا كثيرا وصنف العليف

وحدث لعلي باشا مرض طال به الى ذي القعدة ثم توفي بجدة ودفن بقرب أمنا حواء وبنوا عليه قبة
واستقر في منصبه بعده كيخيته احمد باشا وأوقع علائف العسكر على عادتهم مع علي باشا وكانت
هذه التولية برأي الشريف يحيى وقاضي الشرع وأعيان الدولة واستمروا الى شهر ذي الحجة
الا انه صار في العسكر تعديات كثيرة على الرعية لعدم ضبطه لهم كسابقه وكان الاشراف في نهاية
الاضطراب لانضمام جميعهم للشريف يحيى لقطعه مقرراتهم المعروفة والشريف مبارك بن أحمد
قد تحول بالطائف لجميع البادية والسير الى مكة بعد وفاة علي باشا المذكور ولم تزل الحال كذلك الى
أن وصل الوزير عثمان باشا المكي ابن طوق أمير الحاج الشامي

•(ذكر عزل الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة وتوليه بركات سنة ١١٣٥)•

وكان في مكة أعيان الدولة كحسن آغا دار السعادة وأيوب آغا شيخ الحرم النبوي سابقا وغيرهما
فتواطؤا على أن الشريف يحيى يعزل عن الشرافة ويولوا الشريف بركات ويصير هو شيخ الحرم
المكي فاذا فعل ذلك ذهبت حقوق الاشراف القديمة ويقوم لهم الشريف بركات بما يقطعه عنهم حالا
وفي هذه السنة قبل وفاة علي باشا صارت فتنة بين عبيد السادة الاشراف وبين عساكر علي باشا
أفضت الى قتال صار بين الفريقين وكان الشريف يحيى يميل مع العبيد والعساكر في طرف
علي باشا في الاخرين فحصل من ذلك انه هرب جميع عبيد السادة الاشراف وتفرقوا في جبال
مكة وارتفعت نفوس الاشراف على صاحبهم الشريف يحيى ولم يتمهل هذا الامر وقتل في هذه
الوقائع بعض شيوخ العبيد وصار على العبيد ذل لم يعهد لهم مثله ثم انهم قاتلوه من العسكر في الحرب
الواقع بين الشريف مبارك وبين الشريف بركات كما سيأتي ذكره والحاصل أن هذه السنة صار فيها
حوادث جمة وخاصمات وغارات بين الشريف يحيى والسادة الاشراف وبين عبيدهم وعساكر
الوزير المذكور وعساكر الشريف يحيى وكانت سنة مزعجة ولم تزل الحال كذلك الى شهر ذي الحجة
وفيها كان عزله عن الشرافة وتولية الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل آخر
السنة المذكورة أعني سنة خمس وثلاثين بعد المائة والالف من ظهور الخلاف في جميع الاطراف
لاسباب اقتضت ذلك أحدها موت عضده الوزير علي باشا وثانيها تحرك الشريف مبارك بالطائف
واطراده لموت الوزير المذكور واختراعه ما كان بينه وبينه من الوعد وثالثها عجز الشريف يحيى
عن ابقاء السادة الاشراف حقوقهم فلما وصلت الحجوج الشامية والمصرية وغيرها وخرج
الشريف يحيى الى عرفات فكانت الاشراف بينهم في ناحية عنه لم يخالطوه وأرسلوا كتاباتهم الى
أعيان الدولة الواصلين في ذلك العام ومن جملتهم أمير الحاج الشامي الوزير عثمان باشا أبو طوق بمكة

تاريخا سماه الدر المنظوم
في مناقب السلطان
بايزيد خان ملك الروم لا
يخلو من فوائد لطيفة
• ومما نظمه الشهاب
العليف في مدحه رحمهما
الله تعالى من قصيدة رائية
مطلعها
خذ دوامن ثنائي موجب
الحمد والشكر
ومن در لفظي طيب النظم
والنثر
•(ومنها)•
فدارا كأن يسري على ظهر
ضامر
الى الروم يسري قصدوها
طيب النشر
فثم الملك وافت برسمي
خسروا
يريد الاصطنبول صاحبه
الذكر
به ملك لا يبلغ الوصف كنهه
شريف المعالي بايزيد انتهى
بالامر
الى بايزيد الحبر والملك الذي
حمى بيضة الاسلام بالبيض
والسمر

(٢٣ - تاريخ مكه) وجرد لله بن الخليج صارما • أباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده • رجاء لما يبغي من الفوز بالاجر له هيبة تملأ الصدور وصولة • مقسمة بين المخافة والذعر
أطاع له ما بين روم وفارس • ودان له ما بين برصى الى مصر هو البحر الا انه دائم العطا • وذلك لا يخلو من المد والجزر
هو البدر الا انه كامل الضياء • وذا الكامل المنتقص في معظم الشهر هو الغيث الا ان الغيث مسكه • وذا لا يزال الدهر ينهل بالقطر
هو السيف الا ان ذا سيف نبوة • وذلك ذا ماضي العزيمة في الامر سلالة بني عثمان والسادة الالى • علا مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوك كرام الاصل طابت فروعهم • وهل ينبت الا طيبا طيب البذر محوا أثر الكفار بالسيف واغتدت • بهم حوزة الاسلام سامية القدر

فياملكا فاق الملوك مكارما • فكل الى أدنى مكارمه يجرى   لئن فقتهم في رتبة الملك والعلا • فان الليالي بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الارض طرا لانها • سرار وأنت البدر في غرة الشهر   تعاليت عنهم رفعة ومكانة • وذاتا وأوصافا تجلى عن الحصر
لك الغرة القعساء والرتبة التي • قواعدها تسمو على منكب النسر   سموت علوا اذ دنوت تواضعا • وقت تقى الله في السر والجهر
غدت بك أهل الروم تزهو ملاحة • وترفل في ثوب الجلالة والفخر   أنست ابن عثمان الذي سار ذكره • مسير ضياء الشمس في البر والبحر
يميناه تروى عن يسار ونائل • وتنبئنا في البشاشة عن بشر   وأنى اصوات الدر قلا أدعى • عن المدح الاوفى يامالك العصر
فقابل رعاك الله شكرى بمثله • فانك معروف من أكرم النجر   (١٧٨)   فلازلت محروس الجناب مؤيدا •
من الله بالتوفيق والعز
والنصر
ويحكى ان القصيدة لما
وصلت اليه فرح بها كثيرا
وأمر لصاحبها أحمد
العليف بألف دينار ذهبا
جائزة ورتب له في دفتر الدبر
في كل عام مائة دينار ذهبا
تصل اليه في كل عام
وصارت بعده الى أولاده
• وكان للمرحوم السلطان
عدة أولاد صاروا ملوكا
وصار لاولادهم أولاد
منهم السلطان جهان شاه
والسلطان أحمد والسلطان
قورقند والسلطان سليم
والسلطان محمود
والسلطان عبد الله
والسلطان علم شاه وكان
أنجبهم وأمجدهم وأعزهم
وأسعدهم وأكملهم
وأرشدهم السلطان سليم
شاه وكلهم أعلام الهدى
ومصابيح الدنيا ونجوم
لرجوم شياطين العدا
نشؤا في مهد السلطنة
وحجرها وغذوا بلبن صدرها
وخيرها من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها ولا غرو ان يجود الجواد كأصله وتلوح   لا حقا
مخايل الليث على شبله والولد سر أبيه في فصله ونبله وكل شيء في الحقيقة يرجع الى أصله   ملوك بني عثمان من طاب أصلهم
• كرام لهم في المكرمات مآثر   اذا ولد المولود منهم تهللت • له الارض واهتزت اليه المنابر   ولما ترعرعوا وبرعوا أخرجهم
والدهم الى السناجق العالية في بلاد الروم وأنعم عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ممالك الاسلام وقلدهم الامور الجسام
فجعل لاكبر أولاده السلطان أحمد مملكة أماسيه وما والاها وكان يتوقع منه أن يكون ولي عهده ويأبى الله الا ما أراد وأنعم
على السلطان جهان شاه بمملكة قرمان وأعمالها وولى السلطان قورقند مملكة منتشا وتوابعها وجعل للسلطان سليم مملكة

ما التفت اليهم ولا أخذ بأيديهم واعمالهم مع الشريف يحيى فاستقر الرأى بينه وبين الشريف يحيى
وأعيان الدولة ان ينزل الشريف يحيى عن الشرافة لولده الشريف بركات فبهذا النزول تنهدم
حقوق الاشراف المنكسرة عنده وتصلح الاحوال ويداخلهم الشريف بركات بحسب جهده • ففعل
ذلك الشريف يحيى ونزل لابنه الشريف بركات في مجلس الوزير عثمان باشا أمير الحاج الشامي
وبحضور قاضي الشرع وأعيان الدولة على أن الشريف يحيى يلبس خلعة مشيخة الحرم استقلالا لا
عن صاحب جدة وكان ابتداء ولاية المذكور في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين
ومائة وألف فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية سنة كاملة الا ثلاثة أيام والاولى سنة وسبعة
أشهر ويوما الجميع سنتان وسبعة أشهر الا يومين فزاد الاضطراب لما عرف السادة الاشراف أنها
حيلة على اذهاب حقوقهم واستولى على الشريف بركات المذكور أبوه وعمه السيد عبد الله بن
بركات فلا يرد ولا يصدر الا عن رأيهما وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن
حسن بن أبي نمي منافرات ومخاصمات عند بعض الامور فأراد الشريف بركات من الشريف يحيى
ازالتهما فلم يمكنه ذلك لاطاعته لهما فأوى السيد محسن بن عبد الله على الاشراف وكذا جماعة من السادة
الاشراف وأجمعوا على الارسال للشريف مبارك بن أحمد ليصل بمن معه من الاشراف والبادية
وعزموا على مقاتلة الشريف بركات واخراجه من البلاد فلما أزمع رأيهم على ذلك فارقوه على
مقتضى قواعدهم وبرزوا الى خارج البلاد ورحلوا يوم السادس من محرم سنة ست وثلاثين ومائة
وألف ولاقوا بهم الشريف مبارك في عرفات يوم عاشر الشهر المذكور وفي اثناء هذه المدة لم تزل
المكاتبة بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وكان في
أطراف اليمن ولم يزل يتقرب الى أطراف مكة الى أن اجتمع بالسادة الاشراف والشريف مبارك ثم
وصلوا جميعا الى أعالي مكة

•(ذكر الحرب بين الشريف بركات وبين الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة ١١٣٦)•

وخرج لقتالهم الشريف بركات بن الشريف يحيى ومعه والده وعساكرهم واسمعيل باشا صاحب جدة
بعساكره حيث انهم علموا ان الشريف مبارك ومن معه وثارت الحرب بينهم بأعلى مكة
عند المعلاة يوم الاربعاء ثاني عشر محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وحمي الوطيس واشتد
الحال في القتال الى ثلاث ساعة من النهار فحملت السادة الاشراف حملة واحدة على الشريف
بركات ومن معه وهزموهم هزيمة شنيعة وقتلوا فيهم قتلا عظيما الى ما منه في امتلاء أعالي مكة
من القتلى وولوا مدبرين ثم دخل السيد محسن بن عبد الله وأمن العساكر الهنية ونزل بهم الى مكة

طرابزون وهو الذي يجري في حلبة السعادة فسبق وسبقت في علم الله تعالى سلطنته فكان أولى من الجميع وأحق وأعطى السلطان محمد ابمملكة الكفار وما يليه من الاد اسفار وكلهم ملوك أبرار وسلاطين كبار من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يهدى بها الساري وأسعد الله جهان شاه ومحمدا وأحمد لو وافق حمام الدهر لكنها حم الله تعالى القتل والقتال وما رحال ما عند السلطان سليم الا ما حال رحمهم الله تعالى جميع أولئك الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجرى من تحتها الانهار • وكان والده السلطان أبا يزيد خان استولى عليه مرض النقرس وهو أكثر من آل عثمان رحمهم الله تعالى فضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر لا يطرحهم وكثير من أحزابهم يطلبون سلطانا باشا بأقوى الحركة كثير الاسفار يجاهد بهم في سبيل الله تعالى ويغنموا من الكفار غنائم ورأوا أن السلطان سليم خان أجلد من سائر اخوانه وأقوى على ذلك لقوة جنانه وعلو شانه فمالوا اليه ومال اليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم وخرج على والده محاربا وركب عليه مرة الاولى مغاضبا فقاتله أبوه فهزمه وولى هاربا ثم خرج على والده ثانيا لما رأى ميل العسكر اليه واختيارهم له على والده واجتماعهم عليه ورأى السلطان أبا يزيد توجه أركان الدولة والعسكر الى السلطان سليم وأشار عليه وزراؤه أن يخرج عن السلطنة للسلطان سليم بقلب سليم ويختار التقاعد في أدرنة في عز وتعظيم وأبرموا عليه في ذلك فرأى مساق اجابتهم الى ما سألوا وموافقتهم الى ما طلبوا وأملوا فطلبوه الى حضوره وعهد اليه السلطان بالسلطنة وسلم اليه التخت وتوجه مع خدامه الخواص الى أدرنة فلما وصل الى قرية جورلو انكسر مزاجه وعجز الاطباء في علاجه وسقاه ساقي الحمام كأس أجله المحتوم فسلم الى قابض الأرواح روحه المرحوم وقدم على الله تعالى الحي القيوم ورزق مرتبة الشهادة ونال بها أعلى درجات السعادة وانتقل من الملك الزائل الفاني الى الملك الدائم الباقي وكان ذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة ﴿وولي موضعه السلطان الأعظم السلطان سليم خان﴾ كاسر سلطان العجم وفاتح اقليم مصر وسائر ممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الأعلى محله ومأواه • مولده في أماسية سنة اثنين وسبعين وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ست وأربعون سنة وكانت مدة

لا مقابهم الشريف مبارك حتى أوصلهم اليه في داره العامرة وتوجه الشريف بركات ووالده الى وادي مر بأجلة وكفلاء على قانونهم المعتاد ثم توجه الشريف يحيى الى الشام وتوفي بها وكذا ابنه بركات

(الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦)

فكانت ولاية الشريف بركات بن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوما ونادى المنادي بمكة للشريف مبارك وبالأمن والأمان وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك وأمنت العباد ودخل صحبته السيد الشريف عبد الله بن سعيد واستمر الحال على أحسن ما يكون ثم بعد شهرين أو ثلاثة اضطرب الحال بين الشريف مبارك والسيد محسن بن عبد الله ولذلك أسباب الاول ان السيد محسنا كان قد تعهد للشريف مبارك باخراج الشريف عبد الله بن سعيد بعد الدخول فلم يفعل بل حصل بينهما مزيد المصادقة وثانيهما ان السيد محسنا أراد عزل وزير الشريف مبارك وهو عبد القادر بن سليم ويولي وزيرا آخر فلم يفعل وعضد الوزير المذكور جماعة من كبار الاشراف فتوقف عنه السيد محسن المذكور وشرع يتألف خواطر السادة الاشراف مع انقطاع الطرق ووقوع غلاء أضر بالناس وكثر السراق بمكة المشرفة بالليل ولم يلتفت الشريف مبارك لشيء من ذلك ثم خرج في أثناء ذلك الشريف مبارك الى طريق جدة ليأمن الطريق فلم يحصل أمن بل اشتد القطاع لما قربوا من الموضع الذي كان نازلا به ولم يفرغ ثم رجع الى مكة فما كان الا على الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن فلم يعد دخولهما مكة وقد كان الشريف عبد الله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند ما رام الشريف بركات بعث عرضا الى الدولة العلية عند دخوله يعني أغاوات العساكر المقيمين بمكة مضمون العرض شكايات من الشريف مبارك بن أحمد وانه قتل جميع الاتراك وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات ولا ذنب عليهم وسلمهم من القتل الا الشريف عبد الله بن سعيد فوصل هذا العرض الى الدولة فما كان جوابه الا عزل الشريف مبارك وتوجيه امارة مكة للشريف عبد الله بن سعيد فلما كان اليوم الثاني عشر من جمادى الاولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة بتوجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد وصادف ذلك ما هم فيه من الاختلال فحالما جاءت الاخبار الى مكة بذلك رجع الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن الى مكة وصار ابتداء الشريف مبارك فلما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الثانية نزل الشريف عبد الله بن سعيد الى محكمة الشرع عند قاضي مكة المشرفة وحضر أيضا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجميع أغاوات العساكر المصرية وأشرفوا القاضي على الكتب التي جاءت من المدينة وطلبوا من القاضي عزل

سلطنته تسع سنين وكان عمره جميعا أربعا وخمسين سنة لم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان كثير القتل وهذه عادة الله في السلاطين والامراء والحكام اذا أكثروا سفك الدماء وكان سلطانا قهارا ملكا جبارا كثير السفك قوي البطش عظيم الفتك كثير التفحص عن أخبار الناس شديد التوجه الى أهل النجدة والباس عظيم التجسس عن أخبار الممالك عارفا بمسارب الطرق والمسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون حول القلعة وفي الاسواق وفي الجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمع بعد التوثق منهم وقد أدركت جماعة من مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة (١١٠)

السلطان سليم المرحوم معهم ولطفه بعشرتهم وشدة تيقظه ورداءة وهمه وضبطه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه في اللغة الفارسية وشعره بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فحول الطائفتين ورأيت بيتين بالعربي بخط الشريف كتبهما على المياس في الكوشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وقد عفى لطول الزمان مداده ومال الى لون البياض سواده وكان هذا الكوشك محترما مقفلا لا يصل اليه أحد لعظمة بانيه ولا يتبذل بالدخول اليه لعظمة واضعه دخلت الى مصر في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك الكبير لكي يحضره خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي فطلع وأطلعني معه في صحبته خسرو باشا المذكور ورأيت على الرخام الابيض كتابة الرحمة نقشه لا تكاد تظهر الا بتأمل هذين البيتين

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قسرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة * فوق التراب لكان الامر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه رحمه الله في اللسان العربي أيضا لانهما من أعلى طبقات الشعر العربي البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة عالية في حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم

الشريف مبارك وتولية الشريف عبد الله بن سعيد فتوقف القاضي في عزل الشريف مبارك اذ ليس له مسوغ شرعي يستند اليه فتغلب عليه الاتراك مع الزام السيد محسن للقاضي بان البلاد قد خربت والطرقات تقطعت والناس قد هلكوا وقالوا انت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد لهذه المكاتيب الواردة من المدينة من شيخ الاسلام بالمدينة وغيره فهذه الاشياء توجب العزل فحث السيد محسن حضرة القاضي على العزل وقال القاضي نخشى وقوع فتنة وقتال بمكة المشرفة فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك وانه لم يقع ان شاء الله ما يكدر على المسلمين غير انكم أحضروا الملبوس ولا تقصروه على الشريف عبد الله بن سعيد الا اذا اختفى بيت الشريف مبارك ففعلوا حسب ما أمرهم فذهب السيد محسن وحذر العسكر الذين معه من الحركة وأخبرهم ان الشريف عبد الله قد لبس خلعة الشرافة عند القاضي وها هو قد أقبل ثم دخل بيت الشريف مبارك

(الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٣٦
وخروج الشريف مبارك من مكة)

فعلى مقتضى ذلك ألبس القاضي الشريف عبد الله وخرج من المحكمة على جهة سويقة ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحس بالخبر وتحرك للقتال فثبطه وأرخى كفه عن ذلك وأخبره ان الامر قد تم وان الحركة ليست نافعة فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية وخرج من بيته وتوجه الى بركة ماجن يريد الطائف وأقام بها مدة ثم توجه الى اليمن ومدة ولايته هذه خمسة أشهر والاولى سنتان ونصف فالجميع ثلاث سنين الا شهرا واحدا تقريبا ولم يقدر الله له عوده الى شرافة مكة واستمر باليمن الى ان توفي في سنة ألف ومائة و... باليمن رحمه الله تعالى وتولى الشريف عبد الله بن سعيد وتم الامر له وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد وكان جلوسه هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين ثم جاءت المراسيم السلطانية بعد أيام قلائل وباستمراره على مكة المشرفة وما حولها من الاطراف متفقا مع السادة الاشراف الى ان انكسر لهم عنده في ذلك العام مبلغ عظيم من معاليمهم ولم يكن عنده ما يفي لهم بذلك فثاروا عليه ولم تزل العداوة بينهم وبينه عند القاضي ترفع وعظم القيل والقال ثم آل الامر الى القتال في شهر ذي القعدة واقتتلوا بمكة صبح الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر الى مضي خمس ساعات وتحصن الشريف عبد الله المذكور في بيته دار السعادة بعد ان فرق عساكره فيما حوله من البيوت والمنائر وكر على المقاتلين له الرمي بالمدافع والسادة الاشراف متحصنون بدار

العربية فضلا عن سلاطينهم المتقدمين ضبط الممالك وتمهيدها والفائقون في ذوق الشعر العربي وحسن ادراكه من العلماء والموالي في غاية القلة معدودين منهم ولا يعد هذا نقصا فيهم لان فهم الشعر العربي على وجهه كما ينبغي قليل أيضا في علماء العرب الا من توغل منهم في علم الادب وتعب في تحصيله ودأب وقد كانوا اذ ذاك قليلا وقد صاروا أقل من القليل

﴿ثم لما استولى﴾ السلطان سليم خان على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده توجه الى قتال أخيه السلطان أحمد فقتله وجهز السلطان سليم عسكرا لاحمد وبقي في عدد قليل واخذ أسيرا وأتي به أسيرا الى السلطان سليم فامر بخنقه فخنق وتوفي تاسع صفر سنة تسع عشرة وتسعمائة ثم فر السلطان قورقود الى كوه جبل وأراد التحصن (١٨٤) منه الى مكان صعب فعرف مكانه فسلم حتى به ابنه فخنق وكذلك بالسلطان محمد ابن السلطان شهنشاه والسلطان عثمان ابن السلطان علم شاه والسلطان مصطفى والسلطان أورخان والسلطان سليمان أولاد السلطان محمود وسبعة أولاد كانوا في المهد خنقهم في ليلة واحدة في بروسا فكانت المخدرات السلاطين بكاء وعويلا وصراخا أعظم من صراخ الثكالى [illegible] وبلا [illegible] الجنازة [illegible] الازرار وشققن ثيابهن كأنهم الازهار [illegible] السود [illegible] ألوان أحمر ثم أسود وابيض حتى الطبل [illegible] وتعمم بالاسود وكان أمر الله قدرا مقدورا وسيف القضاء بيد القضا ماضيا مشهورا

فلا المعري [illegible] بعد ميته
ولا المعري ولو باشا الى حين

﴿فلما استقر﴾ السلطان سليم الملك وهيهات أين الاستقرار وثبت على تخت السلطنة ورأى لها الثبات والقرار شرع في تمهيد المملكة وأخذ الممالك والاستيلاء على الاقاليم والبلدان والسلطنة [illegible] الشاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصوفي كما نذكره مجملا من ذلك في هذا الفصل الثاني واني ما ظفرت بكتاب فيه تفصيل ذلك وانما تلقيته من أفواه الرجال وأخبرني ثقة من أعيان كتبة الديوان الشريف على ان السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذره منجم حاذق من أهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما يولد له عدة أولاد وكان تحذيره له قبل أن يولد السلطان سليم فطلب امرأة معتمدة عنده بيدها جواريه الموطوآت وهي قابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات الديّنات فقال لها اذا وضعت احدى الجواري بعد الآن [illegible] ولا تبق [illegible]

الرحمة المعروفة ببناء الشريف يحيى بن بركات [illegible] من تلك الجهات وأما ذرية العبادل وعراك الفوارس فهو على سبيل الرمي من المتارس وأما الاتراك فهم في بيوتهم حافظون أنفسهم عن الفريقين الا انهم في آخر الامر حضروا الى اعانة الشريف عبد الله بن سعيد بعد ان كان بينهم وبين السادة الاشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة فنقضوا تلك العهود السابقة فلما أتوه حصل له النصر فأخرج الذين قاموا من التحصن مكسورين بعد ان قتل من الفريقين بعض أشخاص فتوجهوا جميعا الى طوى فقاموا ثلاثة أيام لقضاء [illegible] ووصل اليهم الشريف عبد الله بن سعيد في أثناء تلك الاحوال وأخذ خواطرهم [illegible] من آبائهم [illegible] وادي مر قاصدين [illegible] الوزير عثمان باشا [illegible] أمير الحاج الشامي [illegible] وأعلمه بحقائق أحوالهم لانه كان أميرا في الحج [illegible] فلما [illegible] اجتمعوا به وشكوا ما حل بهم [illegible] ووعدهم بقضاء مطالبهم فلما وصل الى مكة واجتمع الشريف عبد الله أشار باجتماع السادة الاشراف به [illegible] اليه وأفهمه [illegible] ما حصل اليه من الحصر [illegible] الوزير المذكور [illegible] ثم اتفق الشريف مع الوزير المذكور على [illegible] قدر الحصص [illegible] وكتبوا بذلك دفترا يحتوي على [illegible] ومقرراتهم المألوفة وأمرهم [illegible] بالتزام عليه [illegible] السادة الاشراف في سائر الاطراف وعاقب الشريف عبد الله بعض أهالي مكة ممن كانت له يد مع أولئك السادة الاشراف

﴿عزل الشيخ محمد الشيبي عن سدانة البيت الحرام سنة ١١٣٦﴾

فمن جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي وطوقه الادهم وأثبت عليه الذنب الذي اقتضى ذلك وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال فسلمه ودفعه [illegible] بذلك دمه وفي أثناء الاعتقال عزله عن المنصب وسلمه الى ابن عمه [illegible] من الاعتقال أمره بملازمة بيته ومن جملة ذلك أيضا انه أغار على شيخ الحديث في عصره العلامة الشيخ سالم ابن الشيخ عبد الله البصري وألزمه بدفع جسيم من المال [illegible] وأفهمه [illegible] الوزير ومنعه من الوصول اليه وبث الشكوى اليه ولم يزل يكرر عليه الرسل في دفع المبلغ الذي طلبه منه حتى باع عقار ذريته وكتبه وسلم جميع ذلك [illegible] على رجل من علماء الاروام يدعى

وإذا وضعت أنثى أتركها تعيش مع بناتي وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك إلى أن ولدت السلطان سليما والدته فرأت صبيا فخرجت عليه وتناولته القابلة لتخنقه فرأت صورة جميلة فرقت وقالت بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت لبايزيد قد حصل لك بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سماها سليمة واستمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه غير الله تعالى والقابلة والأم وصار كلما ظهر وانتشا ظهر عليه سيما النجابة والشهامة وإذا اجتمعت البنات وجلس بينهن قام من إلى جانبه وضربه ونهب ما وجد بأيديهن من ملعوبات الأطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد في يوم عيد إلى داخل السرايا وأمر بالمكان فزين واستدعى (١٨٣) كل واحدة منهن من أنواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان سليم واسمه سليمة فشرع في مد أعينه على عادته وخطف ما بين أيديهن من الحلوى والفواكه وجمع الكل بين يدي نفسه والجميع [illegible] ثاقفات منه هاربات له فتعجب بايزيد لذلك وصار يتأمل جدا وفي أثناء ذلك دار حولهم زنبور كبير أرادوا مسكه فعجزوا عنه وهو يلسع من يريد مسكه فيهربون منه فمد السلطان سليم يده إليه وهو طائر حوله فصاده بكفه وعرسه (?) وخنقه ورماه من يده فتعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتا فاكشفوا لي عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هذا صبي وليس بنت فقال لها وكيف خالفتي أمري وما قلته فقالت خفت من الله رب العالمين وخلصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم لا ذنب له ذكرا وبلا إثم قال ما قدر الله فهو كائن لا مفر عنه وأمر بالكف عنه وتربيته إلى أن كان ما كان بتقدير الله تعالى

(الفصل الثاني في قتال شاه إسمعيل وانهزامه) * البلد هو شاه إسمعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد ابن الشيخ إبراهيم خواجا علي ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين بن إسحق الأردبيلي وإليه تنتسب الأولاد فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في أردبيل وله سلسلة في المشايخ أخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وتنتهي بوسائط إلى الإمام أحمد الغزالي وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وهو أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف وأول من اختار سكنى أردبيل وبعد موته جلس في مكانه الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره وممن زاره والتمس بركته تيمور لما عاد من الروم وسأله أن يطلب منه شيئا فقال أطلب منك

صالح أفندي كان له عند الوزراء مكانة وصيت فما طلب به إلى أن اختصه ووجهه إلى ناحية القنفذة خشية من إفساده عليه عند دخوله على هؤلاء العظماء لأنه كان له لسان يفحم به المصاقع ويعيي البلغاء المواقع تارة بلغة أبناء جنسه الصريحة وتارة بالعربية الفصيحة وصرح له بأنه ورد أمر بنفيه من الدولة العلية وقد كان سابقا من جملة أعضاده ومن أعاظم أنصاره وأجناده وهكذا كانت صفة الرجلين الأولين معه فربح عليهم في جميع أعمالهم وأذاقهم مرارة نكاله ومن جملة ذلك أنه أبرز دفترا يحتوي على أسماء التجار مكتوب فيه الواردين من جميع الأقطار تتورع (?) مال خطير ويحمل المتولي بجمعه حضرة الوزير فكانت هذه السنة من أقسى الأعوام على سكان بلد الله الحرام ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة وألف والحال مستمر في الشدة إلى دخول شهر ذي القعدة فوصل واليا على جدة الوزير أبو بكر باشا ثم وصل إلى مكة ومنع الشريف عبد الله عن بعض تلك الأشياء وقد كان في شهر رمضان من العام المذكور خرج السيد محسن بن عبد الله بن حسين إلى ناحية الشرق ومعه جماعة من أبناء عمه مغاضبين للشريف عبد الله المذكور لما حصل بينهم من التنافر مع أن السيد محسنا أيما به تستتم ذروة الملك ومريره وما كان تمام الأمر له إلا بتدبيره ولما خرج السيد محسن إلى نواحي الشرق استقبلته بالإكرام البوادي وآوته الأيادي ثم أرسل إليه الشريف عبد الله بن سعيد سرية فوقع بينهم وبينه نوع من القتال ثم صار منهم [illegible] سالما وافترق الحال فمكث في تلك النواحي إلى أن بلغه وصول أبي بكر باشا فكاتبه ثم كتب السادة الأشراف محضرا لأبي بكر باشا فيه خطوطهم وأختامهم وشرحوا له شكاياتهم وجميع أحوالهم وأرسلوا ذلك صحبة السيد عون بن محسن والسيد زين العابدين بن إبراهيم فلم ينتج ذلك إلا حفظ خاطر أبي بكر باشا وارتفع عما كره من معاونة الشريف عبد الله بن سعيد أن حصل بينهم وبينه قتال ورجع السيد عون والسيد زين العابدين إلى الطائف في اليوم السابع والعشرين من محرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وثلاثين ومائة وألف ثم ترددت الرسل بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وعرض عليهم الصلح وأن يبذل لهم قدرا عظيما من المال لينصرم ذلك الأنفة الواجبة وأبى [illegible] عن قبول المدفوع فقدم عليهم الطائف وكانوا قد خرجوا من الطائف فقدموا عليه وتم صلحهم معه وفرح بذلك المسلمون ثم ساروا معه إلى أن دخلوا مكة كلهم أجمعون وكان ذلك في غاية شهر من شهر ربيع الأول من العام المذكور وكانت هذه الواقعة من أكبر الوقائع على الشريف عبد الله بن سعيد وأدناه فاه شفقة وتعبا وما ظن أحد من أرباب العقول أن تكون عاقبتها على هذا المنوال إلا أنه استبدل شكر هذه النعمة بالعقاب العنيف لبعض سكان هذا

أن تطلق كل من أخذته من بلاد الروم سركنا فأجابه الى سؤاله وأطلق الاسركن جميعهم فصار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الاردبيليين من ذريته الى الآن وحج والده السلطان خواجا علي وزار النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه الى زيارة بيت المقدس وتوفي هنالك وقبره معروف في بيت المقدس ٭ وكان ممن يعتقده ميرزا شاهرخ بن تيمور ويعظمه فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية بأردبيل كثر مريدوه واتباعه في اردبيل فتوهم منه صاحب اذربيجان يومئذ وهو السلطان جهان شاه بن يوسف التركماني من طائفة قراقوينلو فأخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مريديه الى ديار بكر وتفرق عنه الباقون وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بك بن علي بك من طائفة آق قوينلو جد (١٨٣) أوزون حسن بك البايندري وهو أول من تسلطن من طائفة آق قوينلو جدا وزن حسن بك وولي سنة وأخذوا ممالك فارس من طائفة قراقوينلو وأول سلاطينهم قراقوينلو وآخر سلاطينهم قرا يوسف من قراشحد التركماني ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم على يد أوزون حسن بك المذكور في شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ٭ وكان أوزون حسن بك ملكا شجاعا مقداما مظفرا في حروبه مع قوته تروله وركوبه الا انه وقع بينه وبين السلطان محمد ابن السلطان مراد خان حرب عظيم في بايبورت فانكسر أوزون حسن بك وقتل ولده زينل بك وهرب هو وسلم من القتل وعاد الى آذربيجان وممالك فارس والعراقين ولما التجأ الشيخ جنيد الى طائفة آق قوينلو صاهره أوزون حسن بك وزوجه بنته خديجه بيكم فولدت له الشيخ حيدر وملك استولى أوزون حسن على البلاد وطرد عنها ملوك قوقوينلو وأضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر الى أردبيل وكثر مريدوه واتباعه وتقوى بأوزون حسن بك لانه صهره فلما توفي حسن بك وتولى ٭ وضعفه السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثاني السلطان يعقوب فزوج بنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه اسمعيل في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قوينلو وقراقوينلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور وكان الشيخ جنيد جمع طائفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين في سبيل الله فتوهم منه سلطان شروان ان يخرج الى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه

البلد المنيف واستمر الحال بين الشريف عبد الله بن سعيد والسادة الاشراف على مثل الحال المتقدم تارة يصالحونه وتارة يقاطعونه الى انقضاء سنة تسع وثلاثين ومائة وألف وفي أوائل سنة أربعين ومائة وألف خرج الى الشرق بخيله وعساكره وبني عمه المطيعين له في مصادره وموارده الى ان وصل الى محل يقال له القويعية فاستمر هناك الى جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم رجع الى مكة بعد ان مهد تلك المهامه والوهاد

٭(ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ وتعريف حبه المتخص والاحمر والريال)٭

وكانت هذه السنة من أرخى السنين لكثرة الامطار قال العلامة الرضي في تاريخه اشترينا البر الهندي بالذاتية الكيلة باربعة دواوينة ونصف وخمسة دواوينة والذرة الصافية بسبعة دواوينة والشعير بدواوين ونصف والسمن الرطل باربعة دواوينة والتمر بدواني ونصف والزبيب الطائفي باربعة دواوينة والفواكه كثيرة جدا رخيصة الى الغاية وصرف القرش باربعين دوانيا والاحمر بقرشين والمتخص باربعة قروش والريال بقرشين وثمن وكان السيد محسن بن عبد الله بن حسين في هذه السنة خرج الى نجد ووصلت البشائر في أواخر جمادى الثانية بأنه اقتتل مع قبيلة يقال لها مطير على ورود آمبر وجمعوا لقتاله جموعا كثيرة فنصره الله عليهم واستمرت ولاية الشريف عبد الله الى خامس عشر ذي القعدة الحرام ختام سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين فكانت مدة هذه الولاية الثانية سبع سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام والاولى كانت مدتها سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام فمجموع مدة الولايتين ثمان سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما

٭(وفاة الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)٭

فانتقل الى رحمة الله بعد ان مرض أياما وكان انتقاله في التاريخ المذكور ودفن بأسفل مكة بوسية منه في موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن ابراهيم بن أدهم وبني عليه بناء وتابوت وكان ابنه محمد غائبا في أطراف اليمن أرسله والده ليحافظ تلك الاطراف مع جمع من العساكر والاشراف فاستمر هنالك الى ان دعي بعد وفاة والده لشرافة مكة وكانت وفاة والده في آخر النهار عشرا كان له طوى خارج البلاد فأخفي موته الى آخر الليل وتولى الامر والتدبير اخوة المتوفي وهم السيد مسعود بن سعيد والسيد مضر بن سعيد والسيد مساعد بن سعيد وغيرهم من بقية الاخوة لكن كان المتقدم على الجميع السيد مسعود بن سعيد لانه كان أكبرهم فضبطوا البلاد وتداخلوا مع القاضي والعساكر المصرية وبعض السادة الاشراف بدفع جانب من المال على ان يكون المتولي بعد وفاة الشريف عبد الله بن سعيد ابنه الشريف محمد لكونه أكبر من أخيه السيد ثقبة

ثم اجتمعوا بعده مدة على الشيخ حيدر وحسنوا له الجهاد والغزاة في حدود كرجستان بجهالهم بما هم من أعواد الشجر وركبوا في كل عود سنانا من حديد وتسلحوا بذلك وألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو أول من ألبس الناس التاج الأحمر لأتباعه واجتمع عليه خلق كثير فأرسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن أوزن حسن يخوفه من خروج حيدر على هذه الصفة فأرسل أميرا من أمرائه اسمه سليمان بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمره أن يمنعهم من هذا الجمع فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه وقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسروا أولاده شاه اسمعيل وهو طفل وأسر معه أخوته وجماعته وجاء بهم سليمان بك الى السلطان يعقوب فأرسل (٨٩٤) بهم الى قلعة اصطخر وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وأمره أن يحبسهم في قلعة اصطخر فحبسهم بها أربع سنين الى أن توفي السلطان يعقوب في سنة ست وتسعين وثمانمائة وتولى بعده السلطان بايسنغر ونازعه في السلطنة أخوه وتفرقت المملكة واستقل في كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب ثم تولى السلطان رستم وتولى مكانه السلطان مراد بن يعقوب والوند بيك بن محمد وكان شاه اسمعيل في لاهجان في بيت صانع في بيت يقال له نجم زركر وبلاد لاهجان بها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحرورية والزيدية وغيرهم فتعلم منهم شاه اسمعيل في صغره مذهب الرفض فان آباءه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا متبعين مقلدين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر الرفض غير شاه اسمعيل وطلبه من أمراء الوند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فأبى أن يسلمه لهم وأنكر وحلف لهم أنه ما هو عندي وورى في رجي عينه وكان مختفيا في بيت نجم زركر وكان أتباعه من مريدي والده يترددون اليه ويعتقدون فيه ويأتون بالبيت الذي هو ساكن فيه الى أن أراد الله ما أراد وكثرت داعية الفساد واختلت أحوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة المضادة بين العباد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فاجتمع كثير من أتباع شاه اسمعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان وأظهر الخروج والدعوة في أواخر سنة خمس وتسعمائة وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وقصد مملكة شروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه وجده وكان سائرا لا يزال كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى أن وصل الى بلاد شروان فخرج لقتاله شروان بعسكره وأتوا به شاه اسمعيل أسيرا فأمر أن يضعوه في قدر

•(ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)•

فاجتمع السادة والقاضي والعلماء وأهل البلد ونادوا باسم الشريف محمد استقلالا وباسم أخيه السيد تقي وكالة حفظا لنظام البلد الى وقت قدومه فانتظمت أحوالهم واستقرت البلاد وأمنت العباد وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن فوصل في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ولبس الملبوس بحضرة الأعيان والعساكر ودعي له على المنابر وكان عمره نحو العشرين سنة ثم أقبلت الجوخ السلطانية ولبس الشريف محمد الخلع العثمانية

•(ذكر قيام العامة على العجم سنة ١١٤٤)•

وفي سنة أربع وأربعين ومائة وألف ثارت العوام بالمسجد الحرام على طائفة من العجم كانوا مجاورين بمكة لأن الحاج وصل في سنة ثلاث وأربعين فأقاموا بمكة الى سنة أربع وأربعين وكانوا جماعة كثيرين يترددون على المسجد الحرام للعبادة وأظهروا في زعم بعض العامة الرفض ووضعوا نجاسة بالكعبة المعظمة فثارت فتنة بسبب ذلك فلما علم العسكر وهيجت العامة الى قاضي الشرع فهرب من المحكمة والتجأ الى أغا كبير العسكر الانكشارية وسار معه الى أبي بكر باشا المحتسب الذي كان قد جاء الى مكة في تلك الأيام ثم ذهبت العامة الى مفتي بلد الله الحرام وأخرجوه من بيته وأخرجوا أناسا كثيرين من العلماء ذوي الهيئات واجتمعوا عند الوزير أبي بكر باشا فقصد تعصب الدعوى والحال أن الخصم غير موجود بل غير معلوم فرأيتهم بحضرة المفتي في ذلك المجلس كلام غلظة وأقوال غير مستحسنة وتعاركوا الى الوزير حتى أخذوا منه أمرا بإخراج العجم من مكة في ذلك اليوم وأخذوا من القاضي مثله ونادى منادي في أزقة مكة بالمنادي بأن من جلس بمكة المعظمة من العجم فهو منهوب مقتول ونهبوا شيئا من بيوتهم ومنعهم منه وعن غيره بعض السادة الأشراف هذا كله والشريف محمد جالس في بيته لم يعارضهم وفي اليوم الثاني اجتمعوا عند حضرة القاضي وطلبوا منه أن يرسل الى الشريف محمد ويأمره بالكتابة على ما بأيديهم من الصكوك فامتنع الشريف محمد من ذلك وقال لهم ما شيئا اقتضاها الحال والوقت ووافقهم على ذلك فأطلقوا منادين بأمر خروج العجم فخرجوا الى الطائف وجدة وغيرهما وسكتوا أياما قلائل حتى همدت القضية ثم باشر الأمر مولانا الشريف محمد وتتبع من كان السبب لهذه الفتنة وآذاه ثم أرسل الى من كان منهم بالطائف وغيره وأمرهم بالرجوع الى مكة فرجعوا وانمحت الفتنة قال الراوي وانما كان هذا التعصب من أراذل الناس والأتراك والأهالي من أهل مكة الساقطون لم يكونوا راضين بذلك ثم لم يزل الاتفاق جاريا بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن الحالات الى أن

كبير يطبخونه بأ كلونه ففعلوا كما أمروا أكلوه * وكان ذلك أول فتوحاته ثم توجه الى قتال الوندبيك فقاتله وانهزم منه واستولى على خزائنه وقسمها في عسكره وسار يقتل من ظفر به فلا يذر بها ولا يمسك شيأ من الخزائن بل يفرقها في الحال ثم قاتل مرادبك ابن السلطان يعقوب فهزمه وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره ثم صار لا يتوجه الى بلاد الا يفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب جميع أموالهم ويفرقها الى ان ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكاد أن يدعي الربوبية وكان له عسكر يأخرون بأمره وقتل خلقا لا يحصون يزيد على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الامم السابقة من قتل من النفوس ما قتله اسمعيل شاه وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق أحد من أهل العلم في بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف أهل السنة وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها واذا قتل أميرا من الامراء اباح زوجته وأمواله لشخص آخر (ومن جملة مضحكاته) انه جعل كلبا من كلاب الصيد أميرا ورتب له ترتيب الامراء من الخدم والخيكواتي والسماط والتكيلار والاوطاق والفرش الحرير ونحو ذلك وجعل له سلاسل الذهب ومرتبة ومسندا يجلس عليه كالامراء وسقط منديل من يده الى البحر وكان في جبل شاهق مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق ألف نفس تحطموا وانكسروا وتفرقوا وكانوا يعتقدون فيه الالوهية وانه لا ينكسر ولا ينهزم الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة فلما وصلت أخباره الى السلطان سليم خان تحركت فيه قوة العصبية المضية واقدم على نصر السنة الشريفة السنية وعد هذا القتال من أعظم الجهاد وقصد ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب أهل السنة الحنيفية على مذهب أهل البدع والالحاد ويأبى الله الا ما أراد فتهيأ السلطان بخيله ورجله وعساكره المنصورة ورجاله وتهيأ لقتاله واقدم على جلاله وجداله وهو يجر خميس العرمرم ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم الى أن تلاقى العسكران في قرب تبريز ورتب السلطان عسكره ونزل من عند الله النصر القريب والفتح العزيز فتجالد الفريقان وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان يهدرون كأنهم الفوالج فوق البحور

رمى الله بينه وبين عمه بسهم التفريق وتوحش قلب كل منهما من الآخر ثم جرت بينهما مشاجرات ومنابذات نشأ منها عداوة ومرافعات وصدر في اثناء المدة حادثتان عظيمتان لم يؤلف مثلهما في قديم الازمان احداهما ان أحد السادة الاشراف آل بركات كان مغاضبا الشريف محمد فأمره الشريف محمد بالخروج من البلاد فلم يفعل وكان نازلا في بيت السيد عبد العزيز بن زين العابدين بن ابراهيم بركات فكرر عليه الامر بالخروج من البلاد فطلب المهلة الى الليل فأبى أن يعطيه المهلة الى الليل مع كونه اتفق دخل مكة بالقهر وجه على القانون الجاري بينهم فلم يكن من مولانا الشريف محمد الا انه ركب بخيله ورجله وأجناده وأحاط بالبيت الذي كان فيه السيد المذكور وكان بالبيت أيضا طائفة من السادة الاشراف وحين وصل اليهم أمر برمي الرصاص الى مجلسهم المعتاد فوثبوا مقاتلين عن أنفسهم ودورهم فأصيب منهم بعض أشخاص ثم اشتعلت الفضيحة بوصول كبار السادة الاشراف فلاطفوا الشريف محمدا الى ان رجع الى داره بعد ان أفهموه ان فعله هذا خطأ ثم اجتمعوا في بيت زعيم منهم للمفاوضة في ذلك وتعيين من ينبغي ان يصدر منهم ثم أجمع الاكثرون على الفراق واقامة الحرب على ساق وجنح البعض الآخر منهم الى قبول ما يرد عليهم من حضرة الشريف محمد من الاعتذار الناهضة وسوق ما يكون به تطييب نفوسهم بحيث يحصل به تعويض الكل مال عنيف ومنعه من الاقدام على مثل ذلك ويكون ذلك بعد المفاوضة منهم في تعيينه وتحسينه الى الغاية ثم يذهب جماعة منهم اليه ويعرضونه عليه فان فعل ذلك وانقاد له كان لهم دلالة رفعة وعلو مقام وكان له مانعا عن الاقدام على مثله مرة أخرى ومانعا لمن يأتي بعده من ولاة هذه الممالك وان توقف عنه وأباه فهم ذاك من ذلك مطمعه ومرامه ويأتيانه بالمباينة والفراق واحكام تدابير الحرب بعد الاتفاق وكان هذا الرأي نتيجة فكر السيد محسن بن عبد الله بن حسين ثم لما أجمع رأيهم على ذلك خاضوا في بيان ما ينبغي ان يساق ففرضوا خمسة وعشرين من الخيل الجياد وخمسة وعشرين من العبيد وستين من الابل مع ركوب مولانا الشريف الى دارهم لاخذ خواطرهم والاعتراف بالخطا عليهم مع ارسال هذه المعدودات اليهم ففعلوا ذلك وعرضوه عليه فقبله ورضي به وفعل جميع ما قالوه فقرت الحال وزال الاشكال * والامر الثاني انه بعد ذلك بعدة قليلة فعل مثل ذلك أو ما يقاربه في بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وكان فيه جملة من الاشراف وسبب ذلك ان عبدا للسيد عبد المعين قتل أحد أولاد الشيخ أبي بكر الحنبلي واختفى العبد في بيت سيده السيد عبد المعين فمر مولانا الشريف محمد ليلة على بيت السيد عبد المعين فرأى جملة من العبيد مجتمعين على الباب والعبد القاتل معهم فأمر بالقبض عليه فهرب هو وجماعته الذين كانوا معه ولاذوا بالبيت

المواضع وتصادمت فرسان الزحف والصيال وتصادم أطواد الجبال وصارت نجوم الابطال رجوم البطش والقتال فزلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وخيلت المعركة سماء غمامها القسطل وصواعقها بروق البيض من بريق الصيقل ورعودها صليل السيوف فى أعناق الجحفل وغيوثها صيب الدم من أوداج رؤس تحز وتفصل وأنهار المدافع كالمود تحفر مجراها السيل من عل الى ان طارت قلوب الاعداء هواء وذهبت قواهم هباء وولوا على أدبارهم ادبارا وانهزم شاه اسمعيل وولى دبارا ولم يجد من دون الله أنصارا وضاقت الارض حتى ان غار بها وأى غيرة يظهر ولا وقتل عالم الجنود وأسر ابنه وساقب العساكر المصورة العثمانية من ورائهم وكادوا ان يقبضوا عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه

وترك مخلوله فى تخمه من أثاث تخلاته وكان لا نظير له فاغتنمه عسكر السلطان سليم ووصلت حوافرخيله أرض تبريز فنهى فيها وأمر وقتل من أراد وأمر وأعطى الرعية تمام الامن والامان وأشرقوا أعلام أهل الايمان وأخذ من أراد منها من الافاضل المتميزين فى الصنائع والفضائل والشعراء الاماثل وساقهم سركا الى اسطنبول على الماقون وأراد ان يقيم فى تبريز لاستيلاء على اقليم العجم والتمكن من تلك البلاد على الوجه الاتم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمائتى درهم وسبب ذلك ان القوافل التى كان أعدها السلطان سليم لان تتبعه بالميرة والعليق والمؤن تخلفت عنه فى محل الاحتياج اليها وما وجدوا فى تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق أجران الحب والشعير وسبقوه وغير ذلك واضطر السلطان سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية خاوية على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه واخبران سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغوري فانه كان بينه وبين شاه اسمعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث انه كان السلطان الغوري يتهم بالرفض فى عقيدته بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم خان ان الغوري هو الذى أمر بقطع القوافل عنه صمم على قتال السلطان الغوري أولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه الى قتال شاه اسمعيل ثانيا فلما استقر عليه ركاب السلطنة الشريفة العثمانية فى تخت ملكها الشريف تهيأ لاخذ مصر وازالة دولة الجراكسة وتوجه بعسكره الجرار الى

المذكور فلما أحس ساداتهم بذلك نزلوا على عبيد هم فوقع القتال بينهم وبين عبيد مولانا الشريف وأوقعوا السلاح فى عبيده فرجع الى داره وطلب العساكر ووصل بهم الى قريب من البيت المذكور واجتمع جماعة من الاشراف عند بيت السيد عبد المعين لانجاد رفاقهم وكاد ان يقع بينهم وبين مولانا الشريف القتال لكن لما أراد الله اطفاء هذه الفتنة حضر مولانا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجمع جماعة من كبار الاشراف وحلوا الامر بسهولة وتلطفوا بمولانا الشريف الى ان رجع بعسكره وعبيده الى بيته وسكنت الفتنة فى أسرع وقت لكن نفرت قلوب السادة الاشراف منه وانصرفت وجوههم عنه وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود اقبال الوالد الودود على الولد المفقود وشرعوا يبرمون حبال العزل وينقضون ما أبرمه من الغزل ويتسللون من مكة الى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقا بهم وكان المولد بيدهم وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمجرد الترهيب والتخويف واستقلوا بالطائف ونواحيه وطلبوا من حوله من عربانه وبواديه وصرح مناديهم عمه الشريف مسعود باسمه ودخلت العربان تحت حكمه وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى سنة خمس وتسعين ومائة وألف وقد تقدم ان عمه الشريف مسعودا هو الذى أجلسه فى منصب الشرافة بعد موت أبيه ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها وصار هو المدبر لجميع الامور بعد ذلك بعض ذويه وشرع يرمى الفتن بينه وبين ابن أخيه فصارت بينهم مهاجرة ومباينة ومباعدة فى حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة رجع يستميل كبار السادة الاشراف فمال اليه من كل جانب ثم حدثت القضيتان السابقتان فمال اليه أكثر السادة الاشراف وصاروا معه بغاية الائتلاف الى ان اجتمعوا بالطائف كما تقدم واستمالوا قبائل ثقيف وغيرهم واستمروا بالطائف الى رابع شهر جمادى الاولى ثم نزلوا الى مكة المشرفة على طريق الثنية وأرسلوا قومهم من عقبة كرا وسبب ذلك انهم لما أطالوا الاقامة بالطائف وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم استبطأ قدومهم عليه مع معهم وكان مستعدا لهم بعساكره فى اليوم بعساكره وخيوله وجد فى طريق يعرج فلما وصل الى قرن المنازل أقام به ذلك اليوم للاستراحة وهم اذ ذاك بالطائف لم يتقلوا منه قلعهم وصوله الى قرن فناهبوا للملاقاة بموجب ذلك فلما جلس وتأخر فى قرن ولم يصلهم استضعفوه وتوجهوا الى مكة ووصلوا الى أشياء تفهمه انهم ما زالوا ماكثين فى الطائف مستعدين له وذلك انهم أوقدوا اشعال النيران وضرب الطبول بالطائف وحواليه وسروا بليلهم على طريق الثنية فما جاءه الخبر بانحدارهم الا ضحى اليوم الثانى وهم فى اليوم الثانى قد وصلوا تهامه

وسبقوه الى عرفة فرجع القهقرى بنهاية التعب ومزيد النصب الا أنه حال بينهم وبين قومهم النازلين على عقبة كرا ثم لما وصل قصدهم الى موضعهم الذي وقفوا فيه للمقاتلة وهو جبل الطلم الكائن على يسار الصاعد الى عرفات وعند ذلك صارت الوقعة بين الفريقين ثم انجلت في مدة طرفة عين وكانت تلك الوقعة من أشد الوقعات وأعظمها فتكا لانه لم يباشر القتال فيها الا الاشراف بأنفسهم وأما القبائل فقد حال بينهم وبينهم توجه الاشراف ونزولهم بالخيل الى العساكر ولم يستعملوا الا الرماح والسيوف البواتر والرصاص عليهم من اجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر والاشراف لا يتجاوزون المائة الا انهم نعم العصابة والفئة ولم يزالوا كذلك حتى هزموا الشريف محمدا ومن معه ودفعوه عن تلك المعالم وتوجه مهزوما الى ناحية الحسينية وانحازت عساكره وطلبوا الى الشريف مسعود وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف

(ولاية الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٥ وهي الولاية الاولى في ٧ جمادى الاولى)

وكانت مدة ولاية الشريف محمد سنة وخمسة أشهر واثني عشر يوما وقتل في هذه الوقعة أشراف كرام وأصيب آخرون منهم بجروح عظام فممن قتل من الاشراف السيد سليم بن عبد الله بن حسين ابن عبد الله بن حسن بن أبي نمي أخو السيد محسن بن عبد الله بن حسين وكان السيد سليم هذا قد فعل في هذا اليوم ما تذهل به عقول القروم لانه حمل على العساكر والجنود حملات تتفطر لها الكبود حتى قال بعض الاشراف كأنها شجاعة علي بن أبي طالب حتى رأيناها بأعياننا من السيد سليم بن عبد الله ولما أحضروه للغسل وجدوا فيه ثمانية عشر ضربة وقتل تحته فرسه المسماة بالطوهرة وهي من الصافنات الجياد المشهورة وبسبب وقوعها استولوا عليه والا فلا قدرة للوصول اليه وحزن عليه أخوه السيد محسن حزنا كثيرا ورثاه الشعراء بقصائد جمة ولهم التعزية للسيد محسن فمنها قصيدة للفاضل الاديب الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد سعيد المنوفي يقول في مطلعها مخاطبا للسيد محسن

صبرا أبا عون تفز بثوابه ... من فقد من نزل النعيم ثوى به
صبرا على فقد الكريم أخي الكريم ... ابن الكريم الى علي أنسابه

وهي طويلة بليغة ذكرها الرضي في تاريخه وممن قتل في هذه الواقعة السيد سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد بشير بن مبارك بن شنبر وغير هؤلاء الثلاثة والذين أصيبوا بالجراحات الهائلة كثيرون ثم ان الشريف محمدا أقام بالحسينية أياما داخلا على بعض الاشراف على قواعدهم

ثالجبة حلب في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وخرج الى قتاله قانصوه الغوري بجميع عساكره من الجراكسة وغيرهم وتلاقى العسكران بقرب حلب في مرج دابق وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الأمراء خير بك ومن جان بردي الغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم ويجعلا عسكرهما حجابا أمامه ووقف الغوري بخواص عسكره الذي يعتمد عليه من الجلبان الذين أراد أن يقدمهم خلف خير بك والغزالي وقصد بذلك ان يقتلا بالبنادق والضربزن في أول مرة ثم يسلم هو ومن معه وتفطن خير بك والغزالي لذلك وكانا راسلا الى السلطان سليم وطلبا منه الامان وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم اليهما بالامان وعهد اليهما بما يطيب من خاطرهما وأن يوليهما مملكة مصر والشام قبلا ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران واضطرمت نيران البنادق في مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي السلطان الغوري بمن معه من خواصه وجلبانه في القلب فاطلقت البنادق والضربزانات فهلك من هلك وهرب من هرب لا يدري أين سلك وانقلب النهار ليلا مظلما بالدخان وامتلأ وجه الارض لهب النفط والنيران وعاد الغوري تحت سنابك الخيل وتجاوز العدل ظلام الظلم كأنه صار النهار الليل وذهبت طلبات الجراكسة كأنهم كانوا هباء منثورا وأكلت أشلاء قتلاهم الوحوش والطيور وكأن لم يكونوا شيأ مذكورا وأقبلت رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احمرت من اسالة الدماء فطلب أهلها منه الامان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفا وكرما فخرجوا الى لقائه بالمصاحف والاعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرؤن وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالاجلال والاكرام وأفرغ على كواهلهم خلع اللطف والانعام وتصدق بأنواع الصدقات الجزيلة على الخاص والعام وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولآبائه وأسلافه وبالغ في المدح والتعريف وما زادته الالقاب فخرا وسوددا باطناب ذي مدح واكثار مادح وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذي يسر لي أن صرت خادم الحرمين الشريفين وأضمر خيرا جزيلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين

الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك وأقام بحلب أياما يسيرة وهو يمهد الملك ويجري أحكام المعدلة والسياسة ويحسن الى العرب ثم ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الأمن والامان واللطف والرأفة والاطمئنان فأجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه فقبلوا الارض بين يديه وبالغوا في الدعاء بدوام دولته والثناء عليه فخلع على كل من يستحق التشريف خلع الرضا والاكرام وألبسهم التشاريف الفاخرة كلا بحسب حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام بموكبه الشريف الكريم وأقام به

تمهيد المملكة برأيه القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقابل الناس بمن خاطك ووجه ... سرورا وجبين أغر عليه الابتهاج نورا وأمر بعمارة تربة الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ورتب عليه أوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ الطعام فيه للفقراء بالشيخ المرحوم ويعمل عليها متوليا وناظرا يجمع الريع ويصرفه في جهات الخير وتعاظم أسطاط الانتار في بلاد الشام الى الآن وما أجرى الله تعالى مثل هذا الخير العظيم على يد أحد من الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شك أن روحانية الشيخ رضي الله عنه هي التي جلبت السلطان سليما طيب الله ثراه الى سلطنة بلاد العرب وحصل له الامداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد في حصول ما أمله وطلب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ق

• واستمر السلطان سليم خان بأرض الشام الى أن مهد أمورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه الى افتتاح اقليم مصر ورفع البؤس عنها والاصر ولما وصل الى خان يونس قتل فيه الوزير المعظم حسام باشا وكان من أهل الخير وله عمارة في آن ثمور عنتر منها الطعام للمسافرين دائما رحمه الله تعالى واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل منها بمفرده الى زيارة القدس والخليل في نفر قليل بقصد الزيارة فأحسن الى أهل القدس والى أهل خليل الرحمن وعاد الى معسكره وصار كلما مر ببلد أو قرية أو قصبة في طريقه أحسن الى الرعايا وعامل بعين المعدلة والاحسان الى البرايا وأزال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر

المعادة ثم توجه تلقاء اليمن ولم يزل في مسيره الى ان اتصل بالخواة ثم تنكب ذروة ضرا وبجيلة ثم رجع الى الطائف فتلقته قبائل ثقيف وقابلوه بالتعظيم والتشريف وعرضوا أنفسهم عليه فاستخدم بهم قبائل مقصده الآتي بيانهم فبلغ حضرة الشريف مسعود صاحب مكة وصول الشريف محمد الى الطائف وان قبائل ثقيف قائمون لنصرته فنهض وأقبل عليه بمن معه من الجنود وتلاقيا بوادي المثناة بالقرب من الطائف في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ألف ومائة وخمس وأربعين وانحاز الشريف محمد وثقيف الى جبال هناك شاهقة بحيث لم يكن للخيل بها اشتغال لوعارة تلك الجبال فتواتر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص حتى لم يكن لهم غير التسليم مناص فانهزم

(الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٥)

واستقل الشريف محمد بالشرافة وتوجه الشريف مسعود بعد ان أخذ الاجلة على المعتاد وتوجه الشريف محمد الى مكة فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياما وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية ثم استمر الشريف محمد على ولايته الى ان وقعت حادثة غريبة تولد منها مفاسد وأمور شنيعة فكانت سببا لرجوع الشرافة للشريف مسعود وذلك انه في عشرين من ربيع الاول سنة ست وأربعين ومائة وألف طلع سردار الانكشارية المقيمين بمكة حسين آغا الى بستان بأعلى مكة متنزها بأهله وأولاده وخدمه وبعض أجناده فحصل من بعض جماعته فتكة في بعض العساكر اليمنية فشكاهم مولانا الشريف محمد فلما سمعت العساكر اليمنية بما أصاب صاحبهم جاؤا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين آغا المذكور وبادروه برمي الرصاص وأذاقوا جماعته مر السلاح وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفراش وغير ذلك وقتلوا له عبدا وخادما وحصانين جيدين فبلغ مولانا الشريف محمدا ما صار فركب فورا ليمنع العساكر ويحجز ما بقي من الاثاث فلما وصل الى الموضع قام السردار من محله فرحا بمجيء مولانا الشريف ووقع الطائفة ليخاطبه منها فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر بعد ملاقاته ثم مات ودفن هو وخادماه في يوم واحد فتولد من قتله فتن عظيمة ومتاعب على الخلق جسيمة وذلك ان العساكر المصرية تعصبت وتحزبت واستدعوا من كان منهم ببندر جدة فصاروا جمعا عظيما وتفرقوا في بيوت سويقة وغيرها مما قاربها وسدوا منافذ الازقة واشترعوا متارس في تلك الدور فأرسل اليهم مولانا الشريف محمد من يكفهم عن ذلك فأجابوا بأجوبة شنيعة وأصدروا الرقاع الى مصر فيها الاخبار بقضيتهم وان ذلك انما كان عن أمر من الشريف محمد قاصدا به اذلالهم وتدميرهم واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور وليس لهم قدرة على الاقدام على الشريف وقتاله وهو مستقر في داره لم يزل يعاملهم باللطف وأرسلوا

العادل في العالمين وفر بقية السيوف من الجراكسة الى مصر وولوا عليهم الدوادار وجددوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود وخرجوا
الى الريدانية بظاهر مصر ونصبوا المدافع الكبار وملؤها بالبارود والاحجار وجعلوها بالطلق فاذا أقبلت العساكر العثمانية قتلتهم فلما
أخبرهم الجواسيس بذلك عدلوا الى غير ناحية وجاؤا من خلف جبل المقطم من معسكر الجراكسة ورموا بالمدافع والمكاحل
والضربزانات على الخيل واستمرت مدافع الجراكسة من كوزة لمن يأتي من أمام الريدانية فلا تنفع ولا تضر فلما رأى السلطان طومان
باي ومن ثبت معه من أمراء الجراكسة قتال الاقوياء أظهر طومان باي شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص في
العسكر ويحمل ويعود ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم في ذلك اليوم سنان باشا وأسف السلطان

في اثناء تحزبهم الى الشريف مسعود وكان مقيما بخليص وأرسلوا اليه شيأ من المال ليستعين به على جمع
الرجال ففرق المال ثم رحل الى وادي مر وشرع يتألف الاشراف ويجمع البادية من الاطراف
فوصل الى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة صدرت منهم اليه وكان يخاطبهم
باللطف مراعاة لخاطر الشريف لعلمه أن ما صدر من عسكره ليس هو مراده ولا هواه ومع ذلك
وصل فوجدت شوكة الاتراك وأرادوا القتال فأخذ منهم مهلة ثلاثة أيام يخاطبهم وأعلمهم انه يريد
الاصلاح فهبطت نفوسهم وهيأ مجلسا فيه القاضي ومشايخ الاسلام وأهل الحل والابرام من أكابر
الاروام بعد ان حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على اصلاح الامر ثم تكلم مع الحاضرين في
تلك القضية واتفقوا على ان كلا من العساكر يكف يده الى أن يصل الجواب من السلطنة
العلية وانه هو يتكفل عليهم بعدم الاعتراض ويكفل على مولانا الشريف وعساكره بعض كبار
السادة الاشراف وكتب بذلك صكا حافظا للطرفين وأمر بحضرة الوزير بالمدافع التي في المسجد
والبلد الحرام ثم في اليوم الثاني أمر العساكر المصرية بالنزول الى جدة ونزل هو بعدهم فلما وصلت
العساكر الى جدة ارسلوا شيأ من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادي مر واظهروا التغلب
على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف واستقلوا بابدوا أحكامه وشرعوا
يشدون الدخائر الى الشريف مسعود المرة بعد المرة ويرسلون اليه الدراهم الصرة بعد الصرة
الى ان استقامت أحواله وقويت آماله فرحل من موضعه ونزل في الحديبية وبرز الشريف من مكة
الى طوى وجعل فيها خنادق ومتاريس وأكثر السادة الاشراف مال الى الشريف مسعود لكثرة
ما عنده من النقود وعزم العساكر المصرية على الرجوع الى مكة بناء على أنهم عساكر
السلطان لحفظ البلد الحرام وأخبروا انهم اذا ثارت الحرب بين الشريف محمد والشريف مسعود
يشبون أيضا نار الحرب من داخل البلاد اذا أقبل الشريف مسعود بمن معه من الاجناد فعلى
الشريف محمد لما أخبروه فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك فبلغهم
ذلك وهم في اثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديبية ثم رحلوا ونزلوا قريبا من مكة
ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين واستمرت الى الزوال من
ذلك النهار ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم فرجع العساكر الى
بندر جدة ونزل هو ومن معه من الاشراف خارج جدة ثم شرعوا في تدبير أمر آخر وطلبوا من الوزير
أبي بكر باشا أن يلبس الشريف مسعودا ويوليه امارة مكة فامتنع وقال كيف أفعل ذلك وأنتم عجزتم
لقتال الشريف محمد فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة بينكم وانما يكون هذا في المستقبل

سليم على شهادته ومن جملة نكتة انه قال عند ما أخبر بموت عساكر الاعداء وقتل سنان باشا أي فائدة في مصر بلا يوسف ويعني بالنكتة أن يوسف يلقب سنان في عرفهم ثم بعد ان ثلثوا ساعة انكسر واهربوا وتفرقوا وارتشتوا ثم تفرقوا وهرب طومان باي الى البحيرة ونزل على شيخ عربان بني حرام عبد الدائم بقرب دخل السلطان سليم الى مصر ونزل في ساحلها في الجزيرة الوسطانية وتلاقى عسكر بالبلاد وأمن الناس وازالوا عنهم الخوف والبأس ما عدا الجراكسة فانهم اذا ظفروا بهم أتوا بهم الى السلطان سليم خان فيأمر بضرب رقابهم ورمي جثثهم في بحر النيل وتجمع رؤسهم ... كوا ما بعد ذكوام الى ان عفنت الجزيرة من روائح القتلى

وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وأمر ان يبنى له في علوه كوشكا ليسكنه مدة مقامه بمصر هربا من عفونات
القتلى ثم ان شيخ العرب عبد الدائم تقرب الى خاطر السلطان سليم خان وسلم اليه السلطان طومان باي أسيرا وأنعم السلطان
سليم على شيخ العرب بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس طومان باي عنده وأراد ان يكرمه ويجعله نائبا عنه بمصر
اذا رجع عنها الى الروم وصار يحضره في مجلس الصحبة ويستخبره عن الامور والاحوال وارجف أهل مصر عن طومان باي انه لم
يقع في الاسر وانما اختفى وانه يجمع عسكرا وينتهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مسكه أحد فلما سمع السلطان سليم خان
أراجيف الناس ورأى ان الفتنة لا تسكن ما دام طومان باي محبوسا فأمر ان يركب على بغلة ويطاف بعسكر الينكجرية ويعلق في

الى باب زويلة وبصلب فيه ليراه الناس ويصدقوا بأنه مسك فصلب على باب زويلة لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ولى القضاة الاربعة على المذاهب الاربعة بمصر وهم قاضي القضاة كمال الدين الطويل ولاه قضاء الشافعية وقاضي القضاة نور الدين على بن ناصر الطرابلسي الحنفي قاضي الحنفية وقاضي القضاة الدميري المالكي قاضي المالكية وقاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن النجار الحنبلي قاضي الحنابلة وولى ملك الامراء خاير بك مصر وولى جان بردي الغزالي الشام كما وعدهما بذلك ولما تم له الامر سار الى الاسكندرية ثم عاد الى مصر ثم الى تخت مملكته القسطنطينية العظمى في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين (٩٢٣) وتسعمائة وأخذ معه كثيرا من أعيان مصر من كل الى الروم كما وقانونهم ووصل الى تخت مملكته ومقر سلطنته مظفرا منصورا وشكرا لله وحمده على نصرته وتأييده وكان عبدا شكورا ولما فقد خزائنه وجدها قد انصرف غالبها لانه كان قد صرف في هذين السفرين وهما السفر الى بلاد قزلباش والسفر الى اقليم مصر خزائن عظيمة مما جمعها آباؤه وأسلافه فلما أراد سفرا ثالثا الى بلاد العجم لدفع مادة طائفة القزلباش رأى أنه ما بقى من خزائنه لا يفي بتلك المصارف فأمر أن يجمع في خزائنه ما يجمع له من خراج البلاد وقد وفى بالمراد ويأبى الله الا ما أراد ما كل ما يتمنى المرء يدركه ● تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فظهرت له في أثناء ظهره جراحة منعته الراحة وحرمت عليه الاستراحة وعجزت في معالجته حذاق الاطباء وتحيرت في دوائها عقول الالباء وعظم الجرح وكبر القرح واتسع الخرق واتهب الحرق وكانت [illegible] والرمل توضع الدجاجة في جرحه فتذوب بجره وشوهدت معالق أكباده في جوفه من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فيه فانقطع القاسم والرقا وفدي بالاصوات والارواح فقيل اشفا وقال ولو قبل الفدا لكان فداء ● وان جل المصاب عن التفادي ولكن المنون لها عيون ● تكثر خلقها في الانتقاد فقل للدهر أنت أصبت فالبس ● برغم أنف ذلك أثواب الحداد ونودي غرغر في وله وربه ومضى بقلب سليم قادما على الله الكريم الغفور الرحيم وأقعد من سرير الملك نجله الوارث السعيد كذلك يؤتي الله الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال لما يريد ● وكانت وفاته رحمه الله تعالى وأسكنه غرف الجنان وأنزل

ان شاء الله تعالى لاني قد أرسلت الى الدولة العلية ما حصل في هذه القضية فاربحوا ان يصل الامر السلطاني بابقاء اسم الشريف مسعود فامتنع الشريف مسعود من قبول هذا الكلام وخرج مضمرا تجديد القتال وأما الشريف محمد فانه لما بلغه نزولهم الى جدة أرسل بعض الاشراف الذين كانوا عنده بمكاتبات لصاحب جدة ومكاتبات لبعض الاشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود يعرض عليهم مقرراتهم ويطلعهم على المعتاد ثم نزل الشريف محمد بنفسه الى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها فقابله الباشا بالاكرام والاجلال وسلم للاشراف جميع ما قرر عليه الحال وسعى بعض الاشراف أن يصلح الحال مع الشريف مسعود وتسليم ألف أحمر علوفة شهر فقبل ذلك منهم في الظاهر وهو مصر على ما عزم عليه وكان نازلا بقرب جدة ثم سرى بالليل على خيل وركاب ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة وقصد الطائف وأخرج من فيه من اتباع الشريف محمد ونهب بيت أغاة العسكر فلما بلغ الشريف محمد دخوله الطائف توجه من جدة الى مكة ثم عين من عساكره جماعة وجعل عليهم أميرا من السادة الاشراف وأرسلهم الى الطائف فالتقاهم ولم يعقبه تعرج يلقوهم أن الشريف مسعود في غاية القوة فصدوا في حصن العبيد برأس عقبة تعرج واستمروا هناك مدة طويلة لا يقدرون عليه لاجتماع ثقيف وغيرهم من العرب اليه ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال والشريف محمد مقيم بمكة ثم أقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزلوا الى مكة المشرفة فخرج اليه الشريف محمد بعساكره العثمانية وتقابلا صبح اليوم السابع من رمضان من السنة المذكورة واستمر القتال بينهم ساعة من النهار ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد وأتباعه فهزموهم ودخل الشريف مسعود مكة وتوجه الشريف محمد الى الحسينية

﴿الولاية الثانية للشريف مسعود سنة ١١٤٦﴾

فكانت مدة ولايته الثانية سنة وثمانية عشر يوما وهذه الولاية الثانية للشريف مسعود وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة ألف ومائة وست وأربعين فأمن البلاد والعباد وانقطعت دواعيه وبعد دخوله بيوم قتل بعض اخوانه رجلا مغربيا ينتسب للعلم الا أنه كان مسلوب الاختيار يجالس الناس في اللبس والمشية وكان له بالشريف محمد محبة واتصال لما توهم فيه من العلوم الغريبة كالضربيات والطلسمات وما أشبه ذلك مما يستعين به على دفع الشريف مسعود ويدانيه في الواقعة التي دارت بأسفل مكة وانهزم فيها الشريف مسعود أنه حضر هذا الرجل وكان يقابل الشريف مسعودا وقومه ويقرأ بعض الاشياء ويرمي نحوهم بالحجارة

عليه شآبيب المغفرة والرضوان فى سنة ست وعشرين وتسعمائة ﴿الفصل الثالث فى عمارة المرحوم السلطان سليم خان فى الحرم الشريف وبعض احسانه الى أهل الحرمين الشريفين فى أيام سلطنته﴾ كان رحمه الله تعالى كوالده المرحوم كثير المحبة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التى كان يجهزها اليهم والده المرحوم ومكارمهم وقام عليهم منهم ثم [illegible] أهل ... وعامة ... الرومية ... مرة ... بمكة ماهو ... المرحوم لاهل الحرمين فى أول سلطنته ... جماعة من أهل مكة منهم الخطيب محيى الدين العراقى فحصل لهم انعام (١٦١) جزيل وخير جليل وتسلمه فى دفتر الامر مائة دينار ذهبا وفرح عن قدم عليه من الحجازيين وانعم على كل منهم وكان رسل الصدقات الرومية فى كل سنة فلما افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضى القضاة صلاح الدين محمد بن أبى السعود بن ابراهيم بن ظهيرة وكان السلطان الغورى حبسه بمصر من غير ذنب بل للطمع والمال ونسيا ذكره حين خرج الى مرج دابق أخرج كل من فى حبسه من أرباب الجرائم الا القاضى صلاح الدين فانه أبقاه فى الحبس فلما انكسر وقتل فى مرج دابق أخرجه السلطان طومان باى من الحبس فلما دخل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضى صلاح الدين فأكرمه وعظمه وخلع عليه وأحسن اليه وجهزه الى مكة معززا مكرما وكان بمصر جماعة من الحجازيين أحسن اليهم كلهم وأكرمهم وولى أمانة جدة للخواجه الخواجا قاسم الشروانى وكان مقيما بمكة ثم سافر الى مصر قبل دخول السلطان سليم الى مصر لخدمة وتقربه الى خاطره الشريف فأرسله الى مكة أمينا فى بندر جدة أميرا عليها فوصل اليها وتمكن من البندر وأرسل السلطان سليم من امرائه الى مكة الامير مصلح الدين بك بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة الشريفة وبالمحمل الشريف الرومى فوصل فى صحبته أمير الحاج المصرى المقر العلائى بالمحمل الشريف المصرى على المعتاد وبرز شريف مكة يومئذ السيد بركات لملاقاة المحملين الى سبيل الجوخى هو وولده سيدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد أبو نمى أطال الله تعالى عمره الشريف ولبس الخلعة الشريفة السلطانية وسار أمام المحملين المصرى والرومى بأعلامهما وطبولهما واستمر فى هذا الموكب الى أن فارقا المحملين وأمير الحاج والامير مصلح

والرمل الى ان انهزم وانصاره كانت عند الشريف محمد ثم لم يزل يتظاهر بذلك ويتقرح به حتى قتل بسببه ولما دخل الشريف مسعود الطائف واستمرت تلك المدة الطويلة من غير سبب مع توافر الجنود من البادية عنده نسبوا ذلك التعطيل الى هذا المغربى وكل هذه الامور كانت ترفع للشريف مسعود فى مراسلات خواصه ثم لما كان قضاء الله لامر عنده متى ذلك المغربى بنفسه الى الطائف ليكون عنده برأى من الشريف مسعود فلما وصل الى الطائف ذهب الى الشريف مسعود بنفسه ولم يكن الشريف مسعود يعرفه فعرفوه به فقبض عليه وحبسه واهانه وأمر جميع الخدم ان يبولوا عليه ليبطل سحره الذى معه ثم بعد ذلك مع قضاء الله توفرت دواعى المسير معه على صاحبه بمكة المشرفة فكان انشط من عقال ولما توجه الى مكة كان ذلك المغربى معه فى السلاسل والاغلال واقسم بانه ان صار له انتصار عفونا عنك وان لم يصر له انتصار أهلكك فكان هكذا يكون فحصل له النصر بحمد الله فلما وصل الى مكة وضعه بعض الخدم فى الحبس الى أن يطلبه مولانا الشريف مسعود ويحكم عليه بما فيه كا وعده فحدث منه حادثة أوجبت القتل بعد وصول الطلاع مولانا الشريف مسعود وهو انه هرب من الحبس والتجأ الى بعض بيوت السادة الاشراف آل زيد فقتله أخ لمولانا الشريف مسعود فقتل به وكانت هى القاضية ودفن بالمعلى فى مقبرة الشيخ محمد ابن سليمان ثم بعد استقرار الامر للشريف مسعود حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى زعيم الاشراف فى ذلك الوقت ورئيسهم فتوجه السيد محسن الى الابواب السلطانية صحبة الوزير سليمان باشا ابن العظم أمير الحاج الشامى ووعده بان يتم له أمر شرافة مكة فلما حط رحله بالشام عرض لمزاجه بعض الآلام ولم يزل يتزايد به ذلك الالم الى ان دعاه الحق الى جواره جنانه فتوفى بالشام سنة سبع وأربعين ومائة وألف فى السادس والعشرين من صفر من السنة المذكورة ودفن بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات رحمهما الله تعالى

﴿عدد أولاد السيد محسن بن عبد الله جد سادتنا آل محسن ووفاته بالشام سنة ١١٤٧﴾

وأعقب من الاولاد السيد عون والسيد أحمد والسيد حسن والسيد عبد الله ورثاه بعض الشعراء بقصائد منهم الشيخ تاج الدين المنوفى ومطلع قصيدته

رحمة الله لم تزل تتوالى • وبلها دائما بأوفى الزياده

فوق رمس به أقام حسيب • أشرف كان مقتدى السياده

محسن الاسم وهو فى الوصف بر • حسن سيرة المكارم عاده

الى ان قال فى البيت الاخير وفيه التاريخ

الدين من عند باب السلام وأدخل المحملان الى الحرم الشريف ووضعا عن يمين مدرسة الاشرف قايتباي ونزل أمير الحاج المصري في مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بلدة كلبركه من ملوك الركن وقد هدمت الآن في ذلك الجانب من البيوت والمدارس الملاصقة لجدار الحرم الشريف توسيعا لطريق السيل ودفعا لضرره ودخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا تراكم السيل وكان هدمها بالامر الشريف السلطاني في سنة أربع وثمانين وتسعمائة وفرقت الصدقة الرومية في يوم الجمعة لاربع مضين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في الحرم الشريف على الفقهاء وقرر جماعة من المجاورين لكل واحد مائة ذهب منهم مولانا نور الدين حمزة من القاضي مصلح القرماني ومولانا تاج الدين علي القرماني وقرر باسم مولانا السيد الشريف أبي نمي أنالة الله الى عمره الشريف خمسمائة دينار ذهبا في أول دفتر الصدقات باقية الى الآن باسم الشريف تقبض له في كل عام وفرقت بعد هذا الدفتر وهي صدقة كانت تجهز من خزينة مصر من قبل ملوك الجراكسة أبقاها السلطان سليم على حالها وأجراها في كل عام من خزينة مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب أرباب الدرك في طريق الحج وهي باقية الى الآن وفرقت الصدقات المصرية التي تجمع من أوقاف الحرمين بمصر وتجهز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصر الحكمي وهو باق الى الآن وان تنوقص وضعف وصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الاوقاف المصرية واستيلاء الاكلة عليها ودخول الظلمة فيها أحياها الله من أحياها وأعلى حياة من عمرها وعينها بعد الفراغ من توزيع سلطان الصدقات قرئت ختمة شريفة في الحطيم الشريف حضرها الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان سليم وأهدى الى صحائفه الشريفة ثوابها وقرر الامير مصلح الدين ثلاثين نفرا يقرأ كل واحد منهم جزأ شريفا فرآنيا في كل يوم فتكمل يوم ختمة كاملة في كل يوم ويهدى ثواب ذلك الى السلطان سليم خان وقرر لهم مفرقا للاجزاء وداعيا وحافظا للاجزاء وجعل لكل واحد منهم اثني عشر دينارا ذهبا في دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم في كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء أعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهبا سماها الفرقة وكتب أسماءهم في الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب أسامي من في ذلك البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة

وأرخ تاريخه بقولي • نال بالشام شعبان للشهاده

وأما الشريف محمد بعد انهزامه فانه صار ينتقل في أماكن كثيرة الى أن صار منفردا بنفسه سنة ألف ومائة واحدى وخمسين وحصل له تعب شديد ووعده قبائل حرب بالقيام معه والنصرة له ولم يقع منهم شئ من ذلك ثم اجتمع بامير الحج الشامي الوزير سليمان باشا ابن العظم وحاوله هو وكبار حرب أن يولوه الشرافة فامتنع الوزير المذكور ثم لما وصل الى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود بالصلح حتى أصلح بينهما على شروط وأخذ من كل منهما مواثيق وعهودا وجاء الشريف محمد الى مكة فقابله عمه مسعود بالاعزاز والاكرام وتقرر بكل ماله وجميع الخدم واستمرا على الاخوة والصفاء وفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف حصل بمكة سيل عظيم ملأ المسجد الحرام الى باب الكعبة واتفق انه كان حصوله يوم الجمعة فلم يحصل للخطيب طريق الى المنبر فخطب في دكة شيخ الحرم التي في باب الزيادة وصلى الجمعة ومعه خمسة أنفار وفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف بعث مولانا الشريف مسعود عساكر وفرسانا من السادة الاشراف لقتال الاشراف ذوي حسن المقيمين بالشاقتين بطريق اليمن وهم ينتسبون الى الحسن بن عجلان بن رميثة فيجتمع نسبهم مع الاشراف آل أبي نمي في الحسن بن عجلان المذكور فهؤلاء الاشراف ذوو حسن سكنوا في أطراف اليمن بالشاقتين وأقاموا هناك حتى صاروا عددا كثيرا وملكوا أموالا كثيرة من مزارع ونخيل وتصرفوا في الاعراب المجاورين لهم ونفذ أمرهم فيهم وانقادوا لهم وصار لهم هناك شأن عظيم وهم بطون كثيرة فحدثت منهم أمور هائلة من القتل والنهب وقطع الطريق فشمر مولانا الشريف مسعود ذيل الهمة وجهز عليهم جيشا من العسكر والاشراف وقبائل آخرين وجعل أمير هذا الجيش ومدبر أمرهم ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد المتقدم ذكر صلحه مع عمه الشريف مسعود بعدما كان بينه وبينه من الحروب الشديدة فسار بهم بذلك الجيش الى منازلهم على مسافة خمسة أيام عن مكة فلما قرب منهم ارتحلوا من منازلهم وقصدوا مواضع حصينة لفرارهم في تلك المواضع التي تحصنوا فيها وأخذ ما تقدم من نعمهم وأثاثهم وظفر عند دخوله على دفائنهم من الحبوب والادباش والقناطر والاموال فامر العساكر باخذها والانتفاع بها ولم يزل محاصرا لهم فلما اشتد عليهم الحال فروا في ليلة من الليالي الى جبال بني سليم فلحقهم الشريف محمد ومن معه بتلك الجبال وحصرهم ثم كان نتيجة هذا الحصار ان قبض على شيخهم عساف وابنه وجماعة من كبارهم وبعثهم الى الشريف مسعود وأقامهم بالسجن حتى ماتوا بالجدري ودخل بقية جماعتهم تحت الطاعة وأمنهم فرجعوا الى منازلهم واستقامت أحوالهم وفي سنة سبع وخمسين ومائة وألف كان في تاريخ الرضي حصل بغي من نادرشاه طهماسب

دنانير ذهبا وألحق ذلك في دفتر الرومية ومعاما البيوت وهي باقية الى الآن ثم كثر عليه الفقهاء فجمعهم في حوش كبير وأعطى لكل واحد دينارين ذهبا ووسع لهم العامة وكتب أسماءهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كله باق الى الآن وثوابه لمن أسس فعل الخيرات جار في صحائف حسناته الى يوم القيامة ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويري خطبة التروية في سابع ذي الحجة وفي ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وتوجه المقر بالمحمل المصري الى عرفات وصلوا في يوم التاسع صلاة الظهر والعصر جمعا بهم بعد الزوال بعد أن خطب الخطيب في مسجد نمرة ثم شرعوا في الوقوف في ذيل جبل الرحمة وخطب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه (١٩٣) الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وأمير الحاج المصري بالمحمل المصري ولم يحصل في ذلك العام المحمل الشامي ودعا الخطيب للسلطان سليم خان وكذلك سائر الحجاج وأفاض الناس حين أفاض الامام وكانت الوقفة الشريفة يوم الاربعاء المبارك وباتوا بالمزدلفة ثم أفاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل شيخ الكعبة من منى في يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين لاتمام بعض الاوامر السلطانية وانفاذها ولايصال الخير والاحسان الى الفقراء واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته وفي ليلة الجمعة في أواخر شهر ذي الحجة الحرام طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ يس الحضري والشيخ عبد القادر ناكير الحضري وشيخنا الشيخ محمد

ابن عبد الرحمن الحطاب المالكي وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكي والشيخ أيوب الازهري وجماعة من العلماء وأحضر لهم دواب يركبونها الى التنعيم عند مساجد السيدة عائشة رضي الله عنها وركب معهم وأشار عليهم ان يعتمروا عن والد السلطان سليم خان فأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحوم ولبى عنه وعادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا وأهدوا ثواب تلك العمرة الى صحائفه ثم أحسن اليهم ورتب لهم السعي في دفتر الصدقات فدعوا له وللمرحوم ولولده السلطان سليم خان رحمهم الله تعالى ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة عشر راسخات مشحونة فيها حبوب الصدقات السلطانية لأهل الحرمين الشريفين جهزها ملك الامراء خير بك نائب السلطنة الشريفة بمصر بأمر السلطان

سلطان العجم وخرج على كثير من ممالك الدولة العلية بالعراق واستولى عليها وأرسل كتابا لمولانا الشريف مسعود صاحب مكة يقول فيه انه حصل الوفاق والاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على اظهار المذهب الجعفري وان يصلي امام خامس في جميع الاوقات في كل الجهات يصلي الصلوات الخمس بلا معارضة وأن يدعى لنا على المنابر والمقام كما يدعى للدولة العلية في جميع ممالك الاسلام فواصلكم امام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلي بالناس صلاة خاصة بالمسجد الحرام وجعل في كتابه شيأ من التهديد والترغيب فحصل لمولانا الشريف كرب عظيم من هذا الامر وكذا أهالي مكة حتى انزعج سكان أم القرى من طلبه من اظهار مذهب الرافضة مع ان جميع ما ذكره من الاتفاق زور وبهتان على دولة آل عثمان أدامها الله تعالى واستحسن مولانا الشريف أن يرسل صورة الكتاب للدولة العلية ويستمهل الرسول مدة الذهاب والاياب وأن يعامل الرسول بالملاطفة والاكرام ولم يرض الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بهذا الرأي بل قال لابد من قتل هذا الرسول فأبى مولانا الشريف أن يسلم الرسول للقتل وقال لابد أولا من انهاء الامر الى الباب العالي فأغلظ عليه بكير باشا وتعصب واتهم الشريف بأنه اعتقد هذا المذهب فخشي الشريف أن يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد

(سبب لعن الرافضة في المنبر والمقام سنة ١١٥٥)

فأمر لدفع التهمة ان يجهروا على المنبر والمقام بلعن الرافضة وأهل البدع اللئام فزال ما نسبوا اليه من ذلك الاتهام فجاء الامر من الدولة العلية بتكذيب ما افتراه شاه العجم وطلبوا ذلك الرسول وهو السيد نصر الله ليحضر الى الباب العالي فتوجه صحبة أمير الحاج الشامي أسعد باشا في ذلك العام وهذه القضية هي أصل التصريح باللعن في المنبر والمقام ثم جهزت الدولة العلية جيوشا لقتال شاه العجم وهزموه هزيمة شنيعة واسترجعوا ما استولى عليه من الممالك والقصة شهيرة ومذكورة بالبسط في التواريخ ومما كان في دولة مولانا الشريف مسعود انه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان فرفع من القهاوي والاسواق وصار حاكمه يقبض على من يراه عنده من الآلات فقيل انه كان يعتقد فيه التحريم وقيل ان فعله هذا لا ينشأ عن تحريم ولا تحليل وانما لما رأى ان الناس يشربونه في الشوارع وتعاطاه الاراذل والاسافل ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف أو عالم أو فاضل فأمر بعدم التظاهر بشربه لذلك وللعلماء في الدخان أقاويل بين تحريم واباحة وتحليل ويلزم القائلين بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم حيث كانوا اما شاربا أو في بيته من يشرب أو مشاهدا فلا يخرج أحد من الثلاث عن واحد فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدل فحصول العدالة شرطا في شهود النكاح ويترتب على هذا ان الانكحة على بعض المذاهب سفاح وهذا حرج عظيم وخطب جسيم مع أن الدخان

سليم وهي سبعة آلاف اردب منها ألفا اردب لاهل المدينة وخمسة آلاف اردب لاهل مكة ووصل الامر الشريف السلطاني أن
يوزع ذلك الامير مصلح الدين خاص في الحرم وطلب قاضي القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضي صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي
والقضاة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي ونائب جدة الامير قاسم الشرواني وبقية الفقراء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطاني
واستشارهم في توزيع ذلك فذكروا له أنه لابد من عرض ذلك على شريف مكة سيدنا ومولانا الشريف بركات وأخذ رأيه في ذلك
فارسل اليه ساعيا وكتبوا له صورة الامر الشريف السلطاني واستدعوا رأيه العالي في ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى
امتثال الامر الشريف وتوزيع ما وصل من حب (١٠٩١) الصدقة الشريفة على المستحقين بحسب اتفاق الامراء من أعيان أهل
الحاص فاجتمعوا ثانيا بعد
وصول الجواب واتفق رأيهم
على بيع بعض ذلك الحب
ليصرف في نقله من جدة
الى مكة وأن يكتب أسامي
الناس عدل الى العموم
ويصرف الى كل واحد
ما يخصه من الحب وما
يخصه من ثمن ما باعوه
بعد استيفاء المصارف
وأمر شيخ الاسلام
الصلاحي أن يشتركا
دفتر ذلك ورقم أسامي
الناس الشيخ رضي الدين
المناوي الشاهد العدل
كبير الشهود العدول في
باب السلام المكي فكتب
بيوت كل محلة وكتب ما في
كل بيت من أعداد الانفار
رجالا ونساء وأطفالا وخدما
ما عدا التجار والسوقة
والعسكر فكانوا اثني عشر
ألف نفر لخمس كل نفر
رباعي بكيل الربع الكبير
الذي هو أربع كيل عن
أربعة وعشرين قدحا
بالكيل المصري المستمر
الآن وأن يدفع مع ذلك
لكل نفر دينارا ذهب فوزع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الاربع ثلاثة أرادب وزيد في اعطاء للناس
بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت وهذا أول صدقات الحب الشريف السلطاني واستمر الى الآن وزيد على ما كان
بحيث صار رفقها لمكة والمجاورين يتعيشون بوصول هذا الحب اليهم اما في جميع السنة أو أكثرها فلو فقد والعياذ بالله هلكوا
وكذلك يرتفقون بالصدقات الرومية وغيرها مما كان سببا الانعام بها عليهم سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم
السعيد وطوق بقلائد احسانهم جيد أم القرى أهلها من الاحرار والعبيد فأقامت في الرقاب لهم أياد هم الاطواق والناس الحمائم
فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدى الزمان

بالتحريم لا مستند لهم صريح من الكتاب والسنة وانما ذلك بعض الاقيسة المحتملة مع أن البلوى به
عامة بين الاشراف والعلماء والعامة وبعض العلماء توقف عن الافتاء فيه بتحريم أو تحليل وكتب
في جواب سؤال سئل فيه عنه بقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال
وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وكان أول ظهور
شجرة الدخان سنة تسع وتسعمائة وتسع وتسعين وقد أرخ ذلك بعض الفضلاء بقوله

يا خليلي عن الدخان أجبني • هل له في كتابنا ايماء
قلت ما فرطنا في الكتاب شيء • ثم أرخت يوم تأتي السماء

٩٩٩ ١٣٢ ٨١١ ٥٧

ومما كان من الحوادث أيضا في دولة الشريف مسعود أنه نادى على جميع الفقراء من جميع الاجناس
بالتوجه الى بلدانهم وأمر بتكرر ذلك النداء وأغلظ في العقوبة على من أهمل ذلك وسبب ذلك كثرة
الفقراء بمكة حتى اتخذوا هذا ارتكن فقطعوا بذلك عن أهلها الحسنى وصاروا يتعاطون بيع الاقوات
واستولوا على أغلب ما في الدوائر السلطانية من المرتبات فتوجه بعد ذلك منهم خلق كثير وكان
الامر بذلك سنة تسع وأربعين ومائة وألف وكذلك المنع من شرب التنباك وفي سنة سبع وخمسين
ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد بجيش يغزو بني
خالد فجمعهم وأخذ ما بيده وعندهم من المواشي والغنم وقتل جماعة منهم وما سلم الا من تحصن
برؤس الجبال ثم دخلوا في الطاعة ورجع الشريف محمد ومن معه سالمين وفي سنة ثمان وخمسين
ومائة وألف غزا مولانا الشريف مسعود بنفسه قبائل عضل حوالي الليث لقطعهم الطريق
وكثرة فسادهم فأغار عليهم وأخذ أغنامهم وابلا وكان ذلك في شهر صفر وفي شهر رمضان من
السنة المذكورة جهز جيشا عظيما على قبائل البقوم وجعل الامير على ذلك الجيش أخاه الشريف
مساعد بن سعيد فغزاهم وسفح جبل حضن وأنزل عليهم البلاء والمحن ونهب أموالهم وقتل كثيرا
منهم وربط آخرين ورجع سالما هو ومن معه وفي سنة تسع وخمسين ومائة وألف حصل مطر عظيم
في أيام منى والناس بها وحصل من ذلك المطر سيل عظيم ذهب بجانب من الحاج وأموال كثيرة
وكان ذلك آخر الليل وأظلمت الدنيا حتى لم ير الانسان من جانبه وأصبح الناس نازلين الى مكة وهم في
غاية التعب والمشقة يعدون أشخاص ذكور واناث وأطفال قد طمهم السيل وفي سنة ستين ومائة
وألف حصل اشتباه في هلال عيد رمضان ثم أثبت بالطريق الشرعي صبح ذلك اليوم فذهب
الخطيب لتصلية وصلى بالناس العيد وانقطع بذلك ما كان معتادا من جلوس مولانا الشريف

للناس ليلة العيد ومن الالبسة والحلواء والاسمطة النفيسة بعد الرجوع من صلاة العيد فحصلت
المفاوضة في ذلك في مجلس مولانا الشريف مسعود بينه وبين بعض الاشخاص من أهل المقام العالي
باظهار الاسف على انصرام مجالسه المعتاد وذهاب رونق العيد وما يصير اليه من طلوع أهل الحارات
على الجبال ومن البيع والشراء فصدر الامر منه بانقضاء الصلوات وأن يعمل في الليلة الآتية ما كان
يعمل في الليلة الماضية الا التكبير والخطبة والصلاة فالتوقيت المستفاد من الشرع الشريف ولان
الصلاة والخطبة قد حصلا فصار في الليلة الآتية طبق ما أمر فيه فتحت الاسواق وطلع أهل الحارات
على جبالهم وصنع ما هو معتاد ليلة العيد ويومه من الحلواء والملابس والاسمطة وهذا أمر لم يعهد قط
وفي سنة احدى وستين ومائة وألف وقعت فتنة بين مولانا الشريف مسعود والوزير علي باشا
صاحب جدة وسببه انه نازع مولانا الشريف في كثير مما هو مقرر له من المحصولات ببندر جدة
فابرز له مولانا الشريف ما بيده من الاوامر السلطانية وما كان بيد آبائه وأجداده فلم يمتثل الوزير
المذكور لشيء من ذلك فتوسط بينهما كثير من التجار وغيرهم فلم ينتج ذلك نتيجة بل ازداد الباشا
تجبرا ورمى البلد وحصن السور وتعدى على كثير من خدام مولانا الشريف واتباعه فعند ذلك جهز
عليه مولانا الشريف جيشا وجعل الامير على ذلك الجيش اخاه السيد جعفر بن سعيد فتوجه بذلك
الجيش وأحاط بمن معه على دائرة السور وحاصر الباشا المذكور ووقع بينهم القتال ثم أرسل بعض
أهل البلد للسيد جعفر ان يدخل من جهة البحر بمن معه من الجنود فهجم الجند على سور البلد
من تلك الجهة ودخل الجيش جميعه فركب الباشا البحر بخواصه وتمكن الشريف جعفر من البندر
ولم يحصل على أهل البلد خلاف من البادية وغيرهم فلم يمكن الباشا الرجوع الى البلد فسافر
وأرسلت الدولة على جدة غيره وجاء الامر من الدولة باجراء ما هو مقرر لمولانا الشريف على حسب
ما ادعاه وأراده واستمر مولانا الشريف في ولايته والناس آمنون مطمئنون الى سنة خمس
وستين ومائة وألف

﴿ذكر وفاة الشريف مسعود سنة ١١٦٥ وولاية أخيه الشريف مساعد بن سعيد﴾

مرض في أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة أياما قلائل ثم توفي يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني
من العام المذكور وولي امارة مكة بعده أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد
وألبسه والي جدة وقاضي الشرع الشريف ونودي باسمه في البلاد وأقبلت لمبايعته السادة
الاشراف والعرب من سائر الاطراف ولم يتأخر عن بيعته الا السادة الاشراف من آل بركات فانهم
مالوا لتقديم ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتجمعوا بالوادي مر ولم يكن معهم الشريف

كانت دولتهم الشريفة هي عماد الاسلام واحسانهم متواصل الى كافة الانام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران نبيه عليه
أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة في أيام هذه الدولة الزاهرة ورأوا من الصدقات المتكاثرة في نوبة
هذه السلطنة القاهرة ما لم يتصور من الدول الماضية الغابرة والله تعالى يديم علينا سلطانهم كما دام علينا برهم واحسانهم
﴿ومما جدده الامير مصلح الدين﴾ المذكور بناء مقام الحنفية وانه كان مسقفا على أربعة أعمدة في صدره محراب عمل سنة احدى
وثمانمائة فأراد أن يوسعه ويجعله قبة فأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الاربعة والائمة والاعيان فقال لهم ان
الامام الاعظم أبا حنيفة روح الله تعالى روحه الشريف ونور ضريحه بالروح والريحان والرحمة والرأفة
والرضوان جدير بأن يكون له في هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه ومقلدوه يكون أوسع من هذا المقام وقد ذكر بعض العلماء أنه لا شك في صحة كل واحد من الائمة رضوان الله عليهم أجمعين غير أن تعدد المقامات في مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بامام ما أجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات في وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الانكار في ذلك العهد ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدي الناس الى الآن وان علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وشنعوا على من قال بجوازه ثم انفض المجلس على غير اتفاق • ثم ذكر القاضي بديع الزمان بن الضياء الحنفي ان جده القاضي أبا البقاء ابن الضياء أفتى بجواز ذلك
فشرع الامير مصلح الدين في اتمام مقصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عالية من الحجر الاصفر والاحمر الشميسي
وصرف على ذلك ذهبا كثيرا واستمر مقاما يصلي فيه امام الحنفية بالناس الى أن غيره الامير خوشكلدي أمير بندر جدة وهدم
القبة وبنى المقام مربعا ذا طبقتين جعل الطبقة العليا للمكبرين لتصل أصواتهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باق
الى الآن على هذا الحكم • ثم بعد فراغ الامير مصلح الدين من بناء القبة توجه الى المدينة الشريفة بما معه من الصدقات
الرومية وتصدق بها على جيران النبي صلى الله عليه وسلم وكتب دفتر الاسامي وأحسن اليهم احسانا وافرا واستجلب الدعاء منهم
للمرحوم السلطان سليم خان ثم توجه الى ينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وأبقى له ذكرا جميلا وحصل ثوابا جزيلا رحمه

الله تعالى ﴿الباب الثامن فى دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان وبعض ما فعله من المآثر الحسان والصدقات الجارية والخيرات الباقية على صفحات الزمان سقى الله عهده سحائب الرضا والغفران﴾ كان سلطانا سعيدا ملكا أيده الله لنصرة الاسلام تأييدا (وولى السلطنة) بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان فى سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة وما دى أنف واحد ولا أريق فى ذلك محجمة دم . ومولده الشريف سنة تسعمائة كذا ذكره مولانا شمس الدين خطيب قاسم الروى فى حاشية كتاب له مختصر من ربيع الابرار للزمخشرى سماه الروضة ورأيت ذلك بخط طائفة من الفضلاء المعتمدين فيكون سنه الشريف حين ولى السلطنة ستا وعشرين سنة واستمر فى السلطنة تسعا وأربعين سنة وكان عمره أربعا وسبعين سنة وشهرين وهو سلطان غازى فى سبيل الله مجاهد لنصرة دين الله مرغم أنوف أعدائه بلسان سيفه وسنان قلمه كان مؤيدا فى حروبه ومغازيه مسددا فى آرائه ومعاريه مسعودا فى مباديه ومغانيه مشهودا فى وقائعه ومراميه آيات مؤيداته وأنى توجه فتح وقلع وأين سافر ظفر وقلع وسلت سراياه الى أقصى الشرق والغرب وافتتح البلاد الواسعة الشاسعة بالقهر والحرب وأخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وأيد الدين الحنيفى بحدود سيفه البتار وأقام الملة الحنيفية وأحيا ما لها من مآثر ودثر مذهب أهل السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع وردع أهل الالحاد وقمعهم فما لهم من ناصر وكان مجددا دين هذه الامة المحمدية فى هذا القرن العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والأدب الغض الذى يقصر عن شأوه كل أديب وشاعر ان نظم نضد عقود الجواهر أو نثر نثر منثور الازاهر أو نطق قلد الاعناق الدر الفاخر له ديوان فائق بالتركى وآخر عديم النظير بالفارسى يتداولهما بلغاء الزمان ويحرز أن تنسج على منواله فضلاء الدوران تتناقله الركبان بكل لسان وتستلذ معانيه العقول والاذهان وكان رؤوفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا قيل له صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يأتنف مساوى الاخلاق بل هو صافى الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب فى كمال ديانته ولا يشك فى ولايته

محمد المذكور ولم يظن مولانا الشريف مساعد ان لهم بعد الشريف محمد لانه أول من حضر لمبايعته ولم تكن منه منازعة فما زال يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم لا يجيبون الى سؤاله ثم بعد ذلك أرسل اليهم جماعة من الاشراف بطلب الصلح ومعهم ابن أخيه الشريف محمد المذكور فلما وصلوا الى الوادى أظهروا أمرهم فى معاملتهم الشريف محمدا وأظهر هو نفسه أيضا فى ذلك فرجع بقية المراسيل وأخبروا مولانا الشريف بما شاهدوه فحصل بمكة اضطراب كثير وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبد الله بن سعيد الى الطائف يجمع له القبائل فتوجه فوجد الشريف محمدا قد نزل بالسيل ومعه قبائل عتيبة فتوجه بها الى الطائف فملكه بعد حرب يسير وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور فلما ملك الشريف محمد الطائف نادى باسمه فى البلاد وأقبل عليه كثير من العربان وبعد عشرة أيام توجه بمن معه الى مكة وترسم فى موضع يقال له دقم الوبر فخرج له عمه مولانا الشريف مساعد واقتتلا قتالا شديدا ثم انهزم الشريف محمد ونهبت خزائنه ورجع الى الطائف وذلك خامس رجب سنة خمس وستين ومائة وألف ثم جمع كثيرا من العربان وجاء بهم الى مكة فى ثانى شعبان وخرج له عمه والتقيا الا فى تلك المواضع الشريف مساعد مقابلا الموضع الذى فيه الشريف محمد بحيث انه يرى كل منهما نار الآخر ونار الشريف محمد تشتعل على رؤس الجبال فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح فرحل الشريف محمد بمن معه فى نصف الليل وقصد مكة والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع فلما أصبح بلغه ان ابن أخيه قد التى وقصر بين الحصب والصفا فوجه خلفه طلائع خيله السوابق وارتحل وما زال يرحل ويجد حتى التقى الجمعان بوادى الجعفا ووقع الحرب بينهما واستمر ساعتين ثم انهزم الشريف محمد ومن معه وتفرقت عنه تلك البوادى وتوسط السيد عبد الله الشمر بينهما بالصلح وأصلح بينهما على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الاشراف وحصل الوفاء بذلك فدخل مكة فى النصف من شعبان وهمدت تلك الفتنة وفى موسم هذه السنة توجه السيد عبد الله الشمر بعروض من مولانا الشريف للدولة العلية ورجع فى سنة ست وستين بقضاء كل مطلوب لمولانا الشريف مساعد ثم ان الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد فى سنة سبع وستين خرج الى المبعوث فأقام به برهة يسيرة وعينه بقيرة الملائم تكن قريبة ثم توجه لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وكذا فى سنة تسع وستين توجه الزيارة ثم قصد الرجوع الى مكة

﴿ذكر وفاة الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٦٩﴾

توفى وهو راجع عند ثنية عسفان فنقلوه الى مكة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه على ضريح

وما تناهيت في بث محاسنه • الا وأكثر ما فاته أدع. وقد أحلني الله لان قبلت يده الشريفة وتشرفت برؤية طلعته المنورة
اللطيفة وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرأيت نورا يتلألأ وهيبة ألبسها الله مهابة واجلالا وجبينا يتضوع ضياء وجمالا
والبسني تشريفه التشريف الشريف وخصني باحسانه الوافر الوريف فها أنا الى الآن أتقلب في جزيل انعامه وأعيش الى
الآن في فائض تفضلاته واكرامه وأترحم على ذاته الطاهرة الجليلة كلما تذكرت احسانه وجميله وأخلد ذكره الحسن في أوراق
الليل والنهار وأرقمه في صفحات دوائر الأيام حيث لا تمحوه كرور الدهور والأعصار ولا تزيده الأيام الا جدة ونضارة ولا يزال
عاطرا بأجديد البراعة والعبارة ﴿فصل في ذكر أولاده (١٩٧) الكرام وأحفاده النجباء العظام﴾ كان أكرمهم

وأنجبهم وأنجدهم
وأسعدهم وأرشدهم
وخلاصة عنصره ورب
سره ومهلك مشيد أركان
الملك العثماني السلطان
سليم الثاني أجلسه الله
على سرير الشرق والغرب
وعوضه ملك الفردوس
الباقي عن الملك الفاني
مولده سنة سبع وعشرين
وتسعمائة كما يأتي في محله
• ومنهم السلطان الشهيد
السلطان مصطفى وهو
أكبر أولاده مولده سنة
احدى وعشرين وتسعمائة
استشهد والده من الفعل
الذي ولا مرية ومضى الى
أركان وهو متوجه الى
بحر بلاد العجم
فوصل اليه ممتثلا أمره
باذلا نفسه وكان والده
يتوهم منه خروجه عليه
فلما حضر بين يديه أمر
طائفة من البكان بخنقه
فخنق صبرا وقتل في أواخر
شوال سنة ستين
وتسعمائة والمؤلف مؤرخ

في تاريخه ما لم يحدود آخر شوال • ثم أرسل ابراهيم باشا الخادم في بروسا فقتل ولده مراد فقضى اليه وخنقه
وبوالده ألحقه رحمهما الله تعالى ولم يرتكب السلطان سليمان هذا الأمر الفظيع الذي قطع القلوب أي تقطيع الا ليتمكن من
واطفاء نائرة الحرب ما ظهر منها وما بطن صونا لدماء المسلمين وحفظا لنظام أمن المسلمين ومن أولاده السعداء السلطان
محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتوفي على فراشه باجله في سنة خمسين وتسعمائة • ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب
الشريد بايزيد مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة اجتمعت به مجلسا واحدا في رحلتي الثانية الى الروم في سنة خمس وستين وتسعمائة
وقد استدعاني وأنا مار عليه بقرب كوتاهية يقال لها اقرا بولي وكان الامر منعجما بعد بينه وبين والده المرحوم فعدلت اليه

والده قبالة الشيخ محمود وعمره ثلاث وأربعون سنة رحمه الله تعالى ثم بعده وانتهت اليه الرتبة مولانا
الشريف مساعد وانقادت له الامور الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف فحصل تنافر بينه وبين
السيد عبد الله الفعر فلما جاء الحج الشامي وكان أميرا عليه عبد الله باشا الشتجي وأمير الحج المصري
كشكش حسين بيك فدخل عليه السيد عبد الله الفعر وحسن له أن يلبس السيد مبارك بن محمد بن
عبد الله بن سعيد وبذل له شيئا جزيلا من عروض ومال فوافقه على ذلك ولم يفكر في العواقب ووافق
على ذلك جماعة من السادة الاشراف والمرادرة المصرية فألقوا الامر بالخفية والشريف مساعد
لا علم له بشيء من ذلك الى أن حج الناس فلما كان الحادي والعشرون من ذي الحجة البسوا الشريف
مباركا المذكور عند القاضي بغير فرمان سلطاني ولا أمر بالشورى وفرق العساكر على أسطحة الحرم
والمنائر واتخذوا جميع المنائر حصونا ومتاريس وترسوا البيوت المطلة على دار السعادة منزل مولانا
الشريف مساعد فبينما هو نائم في داره لم يشعر الا ورمي الرصاص كالمطر سائل أبوابه ونتبه من
ذلك وأخبروه بما صار فعند ذلك استدعى العساكر والرجال وبذل لهم الكثير من المال فقامت الحرب
بينهم على ساق واستمر الحرب ذلك اليوم بحاله ورأى الموت تقصير الآجال ومازال الحرب بين
الفريقين في الليل الى الصبح فأخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جانبا من
العسكر ونزل بهم من أسفل مكة وطلع الحاكم عبد الغني باهل الحارات من كل ناحية وسكة حتى
ظهرت الصولة والغلبة لمولانا الشريف مساعد عليهم فعند ذلك طلب السيد مبارك الذمة وأخذ
الامان له وللصنجق كشكش وكان قد أخذت ذخيرته ونفائس أمواله ثم بعد ما أعطاهم الامان توجه
السيد مبارك الى وادي مر الظهران والتمس الصنجق من مولانا الشريف مساعد أن يرجع له
ما ذهب له فتحمل بالحج فأمر أن يرجع له ما يلقونه بأيدي الناس فجمع ما وجد وما شاهر ظاهرا كالخيام
والقرب والخف والحافر وأخذ ما تحصل له وارتحل ونادى خلفه لسان شؤمه الى حيث ألقت • ثم ان
السيد مباركا أقام بالوادي أياما فدخل بينهما بالصلح السيد عبد الله بن سعيد والسيد سليمان بن
يحيى وضمانه كل ما طلب من مولانا الشريف في غرة المحرم سنة اثنين وسبعين ومائة وألف وفي ليلة
النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك فقبض عليه وحبسه الى تمام السنة وتوفي ثامن
ذي الحجة من السنة المذكورة ولما تحقق مولانا الشريف أن الذي كان من تولية الصنجق للسيد
مبارك انما هو بواسطة السيد عبد الله الفعر اشتد غضبه عليه فأمر بالتوجه من أقطاره فارتحل
وتوجه الى اليمن ولم يزل سائرا حتى قدم صنعاء فأكرمه الامام وعرض عليه أن يمده بالرجال والاموال
فامتنع السيد عبد الله الفعر من ذلك وقال الاولى ان تطلب لي الاستعطاف من مولانا الشريف

وحضرت بين يديه فاقبل على بكليته وأقبلت عليه وعظمني وعظم أمري وأكرمني فوق قدري وباسطني وخاطبني بدون واسطة وقربني وأخلى مجلسه لي وحدي ولم يترك فرعا من الفروع الذي أراد كشفها وتحقيقها الا سألني عنها بلطف وتؤدة وأجبته عنها بأدب وسكون وملاحظة وأدرجت مع ذلك نصائح تصلح للملوك وهو يصغي اليها ويحسن في الاصغاء الى استماعها ويتفكه ويتلذذ بسماعها وسألني في الاقامة عنده لمصاحبته فاعتذرت اليه وكرر ذلك فأبيت عليه وكان الخير في ذلك وكلما طال المجلس استأذنت للقيام فيأبى ويقول ما أسرع ما مللت حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان أول المجلس من صلاة الظهر واستمر الى بعد صلاة العصر فالتمس التشريفة وأحسن الى بأثواب صوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت اصطنبول وتوجهت والدته المالكة أم السلاطين المالكين بعد دخولي وحضرت جنازتها وما أجرى من الصدقات عليها وكانت هي كالمتسلم للسلطان بايزيد فلما توفيت حصل الشنآن بينه وبين أخيه السلطان سليم خان أدى الى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو خمسين ألف نفس فصاعدا ثم لما عجز عن مقاومة والده وأخيه هرب الى شاه طهماسب ففرح به وأقام بأموره وعجز عن حفظه فشرع طهماسب في المكر والخداع وتشرع في عسكره والاستنفار بضعف بلاده عن أن تسعهم فدبر ثم استولى عليه وحبسه هو وأولاده وقتل عسكره واحدا بعد واحد واغتنم منهم مالا كثيرا وترددت الرسل بينه وبين السلطان سليمان في تسليمه لوالده فلما أكد طلبه من طهماسب ذكر انه صرف عليه خزينة مال وانه لا يسلمه الا بأن تعطى له عوض عن ذلك قدر كثير مقدار اعظما يكون ابن مثل خراج مصر سنة فأمر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه فلما أسلمه أحضر السلطان بايزيد وأولاده الاربعة وكل واحد كأنه بدر الطالع والنجم الساطع فخنقوا أمام والدهم بادارة الوهق حتى لم يبق فيهم رمق وأخمدوا أنفاسهم بالاوطار واطفأوا أنوار الانوار ورزقوا سعادة الشهادة بالاضطرار وهم السلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان أورخان والسلطان عثمان وحملت توابيتهم أجسادهم في توابيت من قزوين الى سيواس ودفنوا في سيواس وأسكن الله الفتنة والوسواس وذلك في سنة سبعين وتسعمائة وكان للسلطان بايزيد طفل في بورسا فأمر بخنقه أيضا فخنق والله تعالى يبل مضاجعهم بأقطار أمطار الرحمة والرضوان

لا يعود الى الوطن فأرسل الامام مولانا الشريف يستعطفه ويستأذن له في الرجوع فأذن له فعاد الى الوطن في جمادى الاولى ولما أقبل الحج الشامي في العام المذكور وكان الامير عليه الوزير عبد الله باشا الآتي في العام الذي قبله عزم على عزل مولانا الشريف بحيلة دبرها وذلك انه بعد تمام الحج نزل بالمحصب وعقد مجلسا للنظر في أحوال عين زبيدة وطلب مولانا الشريف للحضور في ذلك المجلس وحضر فيه القاضي وأمراء الحجوج فلما تفاوض الحديث بينهم في أمر العين أغلظ الباشا المذكور في المقال على مولانا الشريف وقال أنت أعطشت أهل هذه البلدة المحمية وأجريت العين لسقيا العابدية مع ان هذه المقالة افكة آفكة وعين زبيدة لا تركب هنالك وقد كذب عليه من قال له ذلك فأجابه مولانا الشريف بان ذلك غير صحيح فلم يقبل منه ذلك

﴿ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢﴾

وأمر بالقبض على مولانا الشريف وألبس أخاه السيد جعفر بن سعيد وولاه شرافة مكة فلما بلغ الخبر للناس حصل اضطراب في مكة ووقع الجري في الاسواق فلما بلغ الباشا ذلك الاضطراب ركب من فوره هو وجميع أمراء الحج والقاضي ووالي جدة ونزل المسجد وأبرز فرمانا مضمونه ان الدولة فوضت له الامر والنظر في شأن الحرمين وتولية من يرى فيه الصلاح ثم نادى باسم الشريف جعفر في شوارع البلاد وأمر بالدعاء له في المنبر والمقام وأطلق الشريف مساعد بوجاهة أخيه الشريف جعفر فتوجه الشريف مساعد الى العابدية

﴿ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة لاخيه الشريف مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣﴾

فلما توجهت الحجوج حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر ان تعاد الشرافة للشريف مساعد ويعود كما كان ويبذل لاخيه الشريف جعفر شيأ من الدراهم والنقود فرضي بذلك وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف فرجع الى شرافته وتوجه الشريف جعفر الى الطائف واشترى بساتين

﴿وفاة الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٨﴾

ولم يزل بينهما تمام الاتفاق بينه وبين أخيه الى ان توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين وفي سنة أربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد بن سعيد وسببه ان وزير مولانا الشريف وهو محمد الشامي أدب عبدا من عبيده فذهب لمولانا السيد أحمد بن سعيد متوجها اليه ان يستشفع له سيده فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاده ليبت سيده وطلب منه العفو اكرامالك العبد فقبل توجهه في ظاهر الامر وسمع وبعد خروج مولانا السيد أحمد

وغيرهم من شبابهم الجنة وروح أرواحهم في غرف الجنان بالروح والريحان والحور والولدان والخيرات الحسان • ومنهم الشهزاده جهان كيرخان مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وكان أحدب ظريفا ضعيف الروح لطيفا يحبه والده ولم يفارقه الى أن توفي بأجله في حلب بمرض الخناق في سنة ستين وتسعمائة ونقل الى اصطنبول ودفن في تربة أخيه محمد الشهزاده • ومنهم الشهزاده السلطان مراد توفي بأجله في سنة سبع وعشرين وتسعمائة • ومنهم الشهزاده السلطان محمود توفي بأجله سنة ثمان وعشرين وهذا والذي قبله مدفونان في تربة السلطان سليم جدهما رحمهم الله تعالى • ومنهم الشهزاده السلطان عبد الله توفي بأجله في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وتوفيت والدة السلطان سليمان خان في سنة أربعين وكانت صالحة زاهدة عابدة تفعل الخيرات كثيرة الصدقات أسكنها الله أعلى غرف الجنات

{فصل في وزرائه العظام}

كان أول وزرائه آصف زمانه بزرجمهر أوانه معدن الرأي والدها موضع العقل والنهى محمد الجلبي الصديق المعروف {ببيري باشا السلاني} وزيرا لوالده وأبقاه على وزارته مدة وكان السلطان سليم تفرس في أول سلطنته ولو انقضى العلا الغيرين بكمال العقل والرأي فلم يجد أكمل عقلا منه وكان وافيا في بعض التصرفات مقربه وولاه وزارته العظمى واستمر في مدة سلطنته وزيرا عنده لم يغير وسلم من قتله لكمال درايته مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأي عاقلا يضرب المثل بفراسته وعلمه وفضله وجلالة قدره ولما ولي السلطان سليمان رأى في خدمته من شباب مماليكه من هو على الوزارة طامح اليها بناصيته ورأى سلطانا مائلا الى أقرانه وذوي أسنانه وهو بينهم الشيخ بحته وكبر سنه لا يناسبهم فاستعفى عن الوزارة فأجيب الى سؤاله فاجتمع للنظر في حاله وماله ورأى لمن كان له عدم ثبات الدهر في أحواله وأخذ في زاد ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات • فمن آثار عمارته وأدرنة في دربند وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل المسلمين فعمل هنالك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم اليهم ومسجدا جامعا ورتب له ولتلك كل ما يحتاج اليه ووقف أوقافا عظيمة عليه فصار آثارا باقيا على صفحات الزمان وجميلا يذكر به ويدعى له الى انقضاء الدوران وله خيرات أخر غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى • وكان عزله في سنة تسع

ابن سعيد قتلت بالسيف وضرب بالسياط وقيد وقهرت ابنة مقيدا الى بيت مولانا السيد أحمد بن سعيد وأخبره بما جرى بعد خروجه فانتهى الامر لأخيه • ولا يأتي الشريف مساعد فلم يلتفت اليه ولم يتكلم مع وزيره بشيء لأنه كان مقربا لديه • وقد قيل في المثل • ان عدم الصفقة بين الخدم تفضي الى الندم والمناصفة بين الخدم ممن في دمهم وتعدي الخادم عن طوره دليل على ظلم المخدوم وجوره فغضب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه الى شكايته من وزيره فتوجه الى الوادي عمان وجمع شيئا من العربان ثم ان الخبر لما بلغ مولانا الشريف مساعد جمع هو أيضا وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه وكان السيد أحمد بن سعيد جاء بمن معه ونزل في التنعيم فالتقى الجمعان واقتتلوا عند الجبال التي حول أبي لهب ووقعت بينهما ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين وآخر الامر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد فانهزم ونهبت خزنته ثم طلب ذمة من أخيه وارتحل للوادي ثم ومكث هنالك أياما حتى دخل جماعة من كبار الاشراف بينهما بالصلح فرجع واصطلح مع أخيه وأنزله المنزل الذي يرضيه وأمر الوزير أن ينقاد لأخيه ويستسمحه فجاء اليه فذهب اليه واستسمحه مجاهدا فسمح له عن الذنب وعفا • وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا الشريف مساعد وبين السيد أحمد بن الشريف سعيد ابن عبد الكريم بن محمد بن يعلى منافرة تولد منها خراب كبير فرحل السيد أحمد بن عبد الكريم الى الوادي واجتمع عليه آل بركات وأجمع رأيهم على تولية السيد عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات شرافة مكة ووافقهم على ذلك وجمع ما أمكنه من الرجال وبذل ما قدر عليه من المال وبنوا أمرهم على انهم يأخذون قبل ذلك بندر جدة ويستولون على ما فيها من الأموال فتوجهوا الى جدة بمن معهم من الجموع وأحاطوا بسور جدة من كل جهة فصدهم أهلها ورموهم بالمدافع والقنابل فلم يجدوا اليهم خلاصا فأحرقوا العشش التي هي خارج البلد بعد ان تفرق كثير من جموعهم وهم من جملة بنشاشيب جعلوا الكبريت الموقد في رؤسها كالرياش واحترقت تلك العشش فلم يقر لهم قرار وقيل ان مولانا الشريف مساعدا أرسل من أحرقها فرجع الشريف عبد الله بن حسين الى الوادي ثم توجه الى مصر وطلب من صاحب مصر الاعانة له على بلوغ المأمول وكان صاحب مصر اذ ذاك علي بيك الكبير [illegible] قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها وأخرج الوزير المتولي أمرها من الدولة وصار الحل والعقد بيده حتى انه بعد هذه المدة أرسل جيوشا ملكت بها الشام كما هو مذكور في تاريخ مصر للعلامة الجبرتي فلما جاء السيد عبد الله بن حسين لعلي بيك مستنجدا به أجابه لمرامه وأوصى أمير الحاج المصري وكان الأمير المذكور رجلا كان لعلي بيك يسمى محمد أبا الذهب وأكد عليه ان يسعفه بمراده ويجتهد في تمكينه

وعشرين وتسعمائة وولى مكانه في وزارته العظمى من المماليك الذين عنده داخل السرايا أوده باشا حرمه الخاص ابراهيم باشا وكان شابا فقد امتلأ غصن نضارته بماء الشباب ولازمته السعادة والعزة والعظمة والدولة من جملة خدام الركاب وكان أقدم منه في الخدمة أحمد باشا وظن أن الوزارة لا تعدوه الى غيره لانه من خواص مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك السلطان سليمان نفسه فراجعه في صدد دست الوزارة وجلس بقوة لانه يخدم السلطنة الشريفة في محل الصدارة فشكاه ابراهيم باشا الى السلطان فدبر في ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر وأعطاها تمارا له واقطاعا يستجلب به خاطره فمضى الى مصر واليا (٢٠٠) عليها وصار يتقصد ابراهيم باشا العداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر بجماعة من الامراء المستحفظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه في محله بالامر الشريف السلطاني ويولي أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة بكلربكي بمصر وأرسلت هذه الاحكام الى الامراء المذكورين فوصلت تلك الاحكام الى احمد باشا قبل أن تصل الى الامراء المذكورين فجمعهم في ديوانه وذكر لهم ان الامر الشريف السلطاني ورد اليه بقتلهم فاذعنوا للامر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه العصيان وظن أنه يأوي الى جبل يعصمه من السلطان وانه يقابل ويقاتل ان شيئا يلحقه من مصر فادعى السلطنة لنفسه على المنابر وأمر أن يدعى لنفسه على المنابر في أيام الجمع ورتب عسكرا من الغواتية وجمع وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل ولايته فهجم عليها الشطار وأخذها بالحيل وقتل من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة جانم الحمزاوي ومحمد بك وأراد قتلهما وقد أخر الله أجلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادبا من أتباع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت السنجق خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمد بك وجانم الحمزاوي بمثابة الوزير وتوجها بالعسكر الى الحمام وكبسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعجله النصف الثاني هجوم العسكر السلطاني فهرب الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ الى شيخ عرب الشرقية عبد الدائم بن بقر وقوي العسكر السلطاني

بلغ بها اجتهاده حتى يجلسه على كرسي الشرافة فلما اتت الاخبار لمولانا الشريف مساعد فاخذ في أسباب الاحتراس غاية ما فلما وصل الحج المصري الى الوادي توجه الى مكة وترك الشريف عبد الله ابن حسين يجمع له كثيرا من البوادي ووصل الحج الى مكة وخرج الشريف مساعد لابس الخلعة الواردة مع الحج المصري فالبسه اياها على العادة الجارية ولم يظهر أمير الحج المصري شيئا مما في نفسه فلما تم الناس حجهم بالامن والاطمئنان اتفق مولانا الشريف مع أمير الحاج الشامي وهو عثمان باشا الصادق وكان محبا لمولانا الشريف على تقديم سفر الحج المصري واخراجه من مكة قبل أوان الطلوع لما علم من قصده مع الشريف عبد الله بن حسين وامروه بالخروج والسفر يوم الثامن عشر من ذي الحجة قبل ان يتم مراده وحيث لم يمهد ذلك حصل اضطراب وضجة فامتثل الامر وارتحل قبل ان يتم مراده وارتحل بعده بثمانية أيام الحج الشامي فلما بلغ الشريف عبد الله بن حسين خروج الحج المصري حصل له غيظ وحنق وبذل المال واجتهد في جمع الرجال ودق زير الحرب واجتمع عليه كثير من القبائل والاشراف ما عدا آل حسن وكذلك الشريف مساعد جمع من الرجال اضعاف ما جمعه الشريف عبد الله بن حسين مع ما عنده من العساكر والرجال فاقبل الشريف عبد الله بن حسين بمن معه من البوادي وخيم بالجبال التي حول الزاهر فخرج الشريف مساعد بمن معه لقتاله ومكن كثيرا من جنوده بجبال المعابدة والمعلى ووقع القتال بين الفريقين في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف واشتد الامر وسالت الدماء وكانت ملحمة عظيمة ظهر فيها من الشجاعة للقائد مثقال ما لا يحصى ولمولانا الشريف مساعد ما لا يخطر بالبال حتى انه رفع السيد رشاء من ظهر فرسه وهو مدرع ورفعه على قائم زنده ورماه بين يديه ثم ما لبث القتال فرجعت وجوه ثم اسفرت هذه المعركة والواقعة المرتبكة عن انهزام السيد عبد الله ابن حسين فتوجه الى الوادي وطلب ذمة واعطيها الى المعتاد ثم توجه الى مصر قاصدا عزيزها علي بك ليشكي اليه ما قاساه من الاحوال فامده بالرجال والاموال وجهز معه علوكه محمد بك أبا الذهب ومعه بردة عظيمة فيها ستة عشر قارا وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا وجعل الذخائر والاثقال تبارحهم في ثلاثة مراكب في البحر وأكد عليهم ان يملكوا الشريف عبد الله بن حسين من سيادته ويخرجوا الشريف مساعد من دار سعادته فقدر الله انه حصل للشريف مساعد توعك ومرض من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل اليه الخبر وتوفاه الله تعالى قبل وصوله

﴿ ذكر وفاة الشريف مساعد سنة ١١٨٤ ﴾

وكانت وفاته يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة وألف وكانت مدة

ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر وأعقب أولادا كراما منهم مولانا الشريف مسرور والسيد مسعود والسيد عبد العزيز والسيد عبد المعين والشريف غالب والسيد محمد والسيد لؤى وكان قبل وفاته عقد البيعة من بعده لاخيه مولانا الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن ابن حسين بن حسن بن أبي نمى

﴿ذكر ولاية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فبعد وفاة مولانا الشريف مساعد ولى شرافة مكة أخوه الشريف عبد الله المذكور وألبسه قاضى الشرع الشريف ونودى له فى البلاد فنازعه فى الامر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال أنا لها أنا لها فنزل له عن الشرافة وقلده اياها وعاش بعد ذلك ست سنوات وتوفى وأعقب أولادا كراما منهم السيد فهيد والد السيد عبد الله بن فهيد المشهور ومنهم السيد مساعد والسيد عامر والسيد على والسيد عبد العزيز والسيد خليل الله المشهور بالعواجى

﴿ذكر نزول الشريف عبد الله بن سعيد عن شرافة مكة
لاخيه الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فولى شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها وظهر عقب ولايته فى شهر صفر نجم فى السماء ذو شعاع وله ذنب ما رأته العرب قبل ذلك وطوله يزيد على رمح يطلع بعد المغرب ولا يغرب الا عند الصبح فتشاءم الناس من طلوع ذلك النجم وكثرت فيه الاقاويل والقيل والقال ثم اطلع كثير من الناس على قصيدة للعلامة الفاسى تؤذن ان بعد ظهوره تبدو أمور غير جيدة والقصيدة باقية وهى تدل على ظهور طائفة الوهابية ولنذكرها تتميما للفائدة ثم نتمم الكلام على الحرب التى جاءت مع الشريف عبد الله بن حسين قال

اذا لاح نجم من المشرقين • كثير الشعاع طويل الذنب
اذا ما بدا فاحسبوا بعده • ثلاثين عاما ترون العجب
خوارج تخرج من مشرق • تدوس البلاد بكثر العطب
يكون لهم حروب كثير • وتلق العشائر أقصى التعب
وتبدو شرور وتعم البلاد • الى أن تولى الثلاث الحقب
ويقمع صنعا وأربابها • ومن حل فى حولها أو اقترب
برابعة بعد تلك الثلاث • بأشكال زينب وعمرو وحب
وفى الخمس ينبعث المشرق • يبيد البلاد بكثر العطب

ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وتخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فأتاهم بعمرو كاشف فقطعوا رأسه وطافوا به فى مصر وعلقوه فى باب زويلة ثم جهزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك فى سنة اثنين وتسعمائة وضبط محمد بك وجانم الحمزاوى مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكار بكا واستمر ابراهيم باشا فى وزارته العظمى معظما عند السلطان نافذ الامر واسع العطاء كريما جوادا منفردا بالامر والنهى الى أن أفرط بالدلال وزاد فى الادلال واستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة تجبره وادلاله فطلبه السلطان فى ليلة من أواخر رمضان عنده وأنعم عليه على جارى عادته بنفائس الانعام ووهب له جميع ما فى مجلسه من أوانى الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت عنده فى مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى أن غاب سلطان الكرى على مقلته وأماقيه وأمر بذبحه وأخطأ الذابح نحره فصاح مستجيرا والسلطان قريب منه وقد صمم فيه أمره فأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفأ نبراسه وأخمدت أنفاسه وما كانت نار الغضب على ابراهيم بردا وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولعل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التى زادت على الحد والقياس نفعته عند الله فى الدار الاخرى ولعله صدقت نيته فى بعضها فصادفت قبولا وكان عند الله الكريم ذخرا فكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه

الجنة مع الشهداء والابرار ومات بظلام للعبيد وكان قتله فى الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ثم ولى الوزارة الوزير الثانى وكان من الارنؤط من مماليك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبا للصلحاء معتقدا فى طائفة العلماء معتدلا فى أحواله صادقا فى أقواله قطوفا فى آرائه وأفعاله اجتمعت به فى أول رحلة الى اسطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يكاتب والدى ويلتمس دعاءه فأكرمنى وأقبل على وأحسن الحضور بانى عند السلطان وأخبره عن والدى وكبر سنه وانفراده بعلم الحديث وعلو السند فى عصره فحصل لى احسان كثير وانعام كبير جزاه الله عنى أحسن الجزاء ورحمه وأسكنه جنات العلى واستمر وزيرا الى أن توفى مطعونا فى سنة (١) وأربعين وتسعمائة ثم ولى

(١) بياض بالاصل

اذا ما تقارنت الزهرتان * لاول شوال رأيت العجب
وزاد عطارد في سيره * على المشتري طالعا والتهب
فذاك دليل بكرب الكسوف * لآخر جمادى وأول رجب
اذا كسف الشمس عند الغروب * صحيح رواية أهل الادب
بعسر وخوف وعيث قليل * يقول الهضرب فيها احسب
يقيمون في الذل دهرا قليلا * وتفنى الفنانر والمكاسب
وفي الست يظهر سبط الرسول * كريم المناقب عز العرب
يبيد الفساد وأربابه * ويذهب في الحرم من ذهب
وتقلب الناس نحو السراة * يحيشوا اليه جميع العرب
ويأتيك عام به عوصة * لمن عاش من بعد ما قد ذهب
وفي السبع يظهر داعي الهدى * أعز البرية أما وأب
فتصفو البلاد ويحيي العباد * ويحكم فيها عماقد وجب
فطوبى لمن شاب في وقته * وطوبى لمن هو طفل يرب
فهذا رسم امرئ عالم * أتيته بصير بما قد كتب
فان قيل ما قاله كاذب * الا لعنة الله على من كذب

قال الشيخ عبد الله عبد الشكور في تاريخه وأراد بذلك ان الطائفة الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عاما بهذه العصبية قال وذكر هذا النجم العلامة البغدادي في لاميته وانه محقق انه عنوان ظهور أهل الشرق حيث قال

ويبدو في السما نجم طويل * له ذنب وذو شعر طوال
فتلك دلائل القرى يبدو * بانواع الغواية والضلال

قال وللاميته طويلة ذكر فيها أغلب ما يقع في البلدان وعدد القرى والشرق يتفقان في الحساب بغير شك ولا ارتياب

﴿ذكر وصول الجردة﴾

ومن الحوادث في أيام مولانا الشريف أحمد بن سعيد انه وصل الى ينبع الجردة بالعسكر المصرية اتباع المرحوم الشريف مساعد وكان أميرها أبو الذهب محمد بيك ليجلس الشريف عبد الله بن حسين على كرسي الشرافة فلما وصل ينبع عاله وزير الشريف الذي كان بها وهو درويش آغا ثم عجز

بعد الوزارة العظمى الحاج علي باشا وجنسه من الارنؤط وهو من مماليك المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واحتفال ومشاركة في بعض الفضائل وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الاعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وله آثار حسنة في وزارته منها ابطال الاولاق وانه كثر في تلك الايام وعم اذاهم للمسافرين وكانت الطرقات لا تخلو منهم فيأتي أحد الاولاقية الى المسافر ويرميه عن دابته ويركبها الى أن تنقطع فيرميها ويأخذ دابة مسافر آخر وهلم جرا ولا يسلم منهم أحد فلما ولي الوزارة ابطل كثرتهم وعين ان لا يرسل الاولاق الا في المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة يخشى عليها منه وامثال ذلك من الامور العظيمة جدا فابطل ضررهم بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس تدعو له بسبب ازالة هذه المظلمة وكانت الخلفاء قديما تربط لهم في كل بلد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل البريد فيركبها الى أن تصل الى قرية أخرى فيجد فيها أيضا خيل البريد فيركبها ويترك الاولى وهكذا الى أن يصل الى بغداد ويرجع عنها بالامر الذي يؤمر به وكان لهم خدام لمثل هذه الخيول بعلوفات ومرتبات رحمهم الله تعالى ورحم من أزال بقية ظلم الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء رحمهم الله تعالى واستمر علي باشا الى أن وقع بينه وبين زوجته مشاحنة وهي أخت حضرة السلطان سليمان وبينها كثرة ميله الى الجواري فشكته الى أخيها فطلبه عنده وضربه بالقرص على رأسه وأمره بفراقها ففارقها مكرها وطلب الاذن في الحج فاذن له فحج في سنة تسع وأربعين وتسعمائة واجتمعت به وأراني تأليفه وأخذتها وأمرني بتعريبه فعربته ثم أمرني ان أترجمه بالفارسية فترجمته له حسب ما أراد وأحسن الي بسبب ذلك ثم عاد من الحج الى الباب واستأذن ان يكون في قريته من اقطاعه فاذن له واستمر فيها الى ان توفي رحمه الله في سنة ست وخمسين وتسعمائة وكان عزله في سنة سبع وأربعين وتسعمائة ﴿وولي مكانه الوزارة العظمى سليمان باشا الخادم﴾ هو من الارنؤط من مماليك السلطان سليمان وكان قد ولي ايالة مصر قريبا من عشرة أعوام ثم عزل عنها ثم أعيد اليها وجعل سردارا للعسكر المجهز الى الهند لدفع ضرر الفرنقال اللعين عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند ثم كثر اذاهم لبنادر اليمن ووصولهم الى بندر جدة والى بنادر السويس على مرحلتين

وعاثوا في البحر وأخذوا سفائن الحاج والتجار غصبا ونهبوا أموال المسلمين وأنفسهم قتلا وأسرا وفتكوا بسلطان كجرات السعيد السلطان بهادرشاه وقتلوه غدرا فتحركت الحمية السلطانية واضطرمت نار العصبية الاسلامية السليمانية فأمر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يعمر سفائن ويركبها مع عسكر جرار الى أرض الهند ويقطع دابر الكفار ويطهر تلك الاقطار من الكفرة الفجار فعمل نحو سبعين غرابا وسفائن معمارية كبار وحمل الاثقال ورتب العسكر وقتل عند سفره جماعة لا ذنب لهم غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدا لهم على ما آتاهم الله من فضله منهم الامير جانم الحمزاوي وولده الامير يوسف وكانا من الصناجق العظيمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة وقتل أيضا الامير داود بن عمر أمير الصعيد وكان كريما

به ولاحاطة البلاد الصعيد بغير ذنب أتاه ثم توجه الى الهند وسلب صاحب عدن في طريقه مع انه فتح له باب عدن وزين الاسواق بوصول العسكر المنصور السلطاني فبمجرد وصوله اليه صلب على صاري السفينة وجعل صنجقا في عدن وتوجه الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير أن ينال كفار الفرنج منه ضررا وكان الامير أحمد صاحب زبيد اذ ذاك من جملة الاوند الذين استولوا على تلك الديار فأعطاه الامان وطلبه عنده وقتله وولى بعده أميرا ممن كان معه وعاد الى مصر ثم الى الباب العالي واستقرت سفرته على أخذ زبيد وعدن وكان ظالما غاشما كثير سفك الدماء لا يعتمد له على عهد ولا يوثق له بأمان لم يعهد منه شجاعة ولا اقدام وانما يفتك بمن يقع في يده مأسورا مغلولا ودعاه المرحوم السلطان سليمان لخدمته رأفة بالسلطان سليم لصدقه في الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا عن لطفي باشا لما عزله واستمر وزيرا أعظم مدة يسيرة الى أن عزله {وولى مكانه الوزارة العظمى رستم باشا} في سنة احدى وخمسين وتسعمائة وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات خانم سلطان بنت السلطان سليمان خان فلاعين الوزارة وزين صدر الصدارة وهو من جنس الارنؤط من مماليك السلطان سليم خان رحمه الله تعالى وكان ذكيا لمعيا حاذقا فطنا ذكيا ذا بال وسيع وفكر دقيق بديع جيد الحافظة حسن القريحة ثاقب الرأي حليما صبورا رزينا وقورا كامل العقل كثير الادب اجتمع فيه من صفات الكمال ما لم يجتمع في غيره من الرجال ولم يكن فيه خصلة تشينه غير افراط حب الدنيا والميل الشديد الى

فأخذوها وقتلوا الوزير المذكور ونهبوا البلد وكان الشريف عبد الله بن حسين قد تقدم فأرسل الجردة الى الوادي وجمع جموعا من العربان ومن أطاعه من الاشراف وشاع أمر الجردة بمكة فأرسل الشريف أحمد بن سعيد حريم آل زيد الى الطائف وأقام بمكة بمن عنده من العسكر والناس بين مصدق ومكذب ومهون ومصعب ولما ظهر الامر وتحقق أرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلي من الدرهم والدينار فاجتمع عنده نزر يسير ثم تفرق أكثرهم وفي اليوم الرابع عشر من ربيع الاول وصلت الجردة الى الوادي فأرسل الشريف أحمد المفتي علي بن عبد القادر الصديقي والسيد عبد الله القمر الى الوادي لكشف هذا الامر فاجتمعوا على أبي الذهب بوادي مر وخاطبوه في هذا الامر فرأوه لا يرضى الا بجلوس الشريف عبد الله بن حسين على كرسي الشرافة فأرسلوا فأخبروا الشريف بما شاهدوه ثم رجعوا وفي اليوم السادس عشر من ربيع الاول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالزاهر ونصب المدافع تجاه بشطوى فخرج الشريف أحمد بمن معه من العسكر والرجال ولم يتجاوز المصانع التي في الربيع وهو القضاء والقدر مسلم ومطيع وظهر له انه لا فائدة في اللقاء والحرب فأودع السيد حامد بن حسين أخا الشريف عبد الله بن حسين اشرافه واطرافه تلافيا لذلك اسلافه وطلب منه الامان وأخلى لهم الديار وبان فدخل مكة ثم توجه الى العابدة ثم الى الطائف

(ذكر ولاية الشريف عبد الله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤)

وفي يوم الجمعة ثامنة عشر من ربيع الاول دخل أبو الذهب الى مكة وملأت جنوده كل ناحية وسكة ونزل بدار الملك والسيادة المسماة بدار السعادة وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوما وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرافة مولانا الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبي نمي وحسين والد عبد الله بن حسين ينسب اليه السادة الاشراف من ذوي بركات المشهورون الآن بذوي حسين وقد بارك الله في أولاده حتى صار منهم لعدد الكثير وانهم يفوقون على بقية أفخاذ ذوي بركات مع أن المدة الآن بينه وبين جدهم حسين المذكور نحو مائة سنة ولما تولى سيدنا الشريف عبد الله بن حسين سكن بدار أبائه الكرام المسماة بدار الهنا ونودي في البلاد باسمه وألبس أرباب المناصب وأجرى كل ما كان معتادا وامتدحه الشعراء ومات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طليه أحد أعيان تجار جدة وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة فجاء بيت المال عثمان البوشي بنقد جزيل وقال له قد مات أحد أعيان التجار وخذ هذا من ماله هذا المقدار فزجره عن أخذ شيء من أمواله وقال كيف تأخذ ذهاب وجود أهله وأولاده أما سمعت قول رب العزة ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت أكثر الطباع والشيم وغلبت على أكثر أهالي الوهم ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستمر في الوزارة العظمى الى أن قتل المرحوم السلطان مصطفى وكان ذلك مما يقال بتأسيسه وتخيله وتدسيسه حتى ان بعض الظرفاء جعل تاريخ ذلك مازعم انه ألهم به وهو (مكر رستم) وتوهم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله السلطان صونا له وخوفا عليه من العسكر ﴿وولى مكانه الوزارة العظمى أحمد باشا﴾ الذى كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته محلة القسم ونقلة لما أضمره السلطان في خاطره الاثم الى أن قدر الله ماقدره في الازل ودنا منه وقت حلول الأجل فعند بروزه من عرض الامور عليه وانصرافه من بين يديه أمر بقتله عند الباب الداخل من السرايا فقتل هنالك وأخرج ماهو فاقى بساط وتفرقت عنه الأتباع والأسباط ومضى الى الله الكريم وقدم على الغفور الرحيم ﴿وأعيد عوضه رستم باشا﴾ واستمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كثيرا يعمل بآرائه وينفرد بانفاذ الأمر وامضائه لا يعارضه أحد من الأركان بل يطيعونه ويذعنون له غاية الاذعان وصار لا يتصرف قضاة العسكر والدفترداريه والبكلاربكيه وسائر الحكام والنظار في منصب جليل أوحقير صغير أو كبير الا بأمره واشارته وارادته بحيث لم يعهد لوزير قبله أحاط بالامور كاحاطته وضبط جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ كحفظه ويقظته وكان لا يخلو من الصدقات والاحسان والميل الى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلالته لم يختل منه شيء الا في فتنة السلطان بايزيد ولكل شيء حد محدود وأمد من المقدور معدود فان السلطان فارسل اتهمه بالميل مع بايزيد وزلت بسبب ذلك مرتبته عنده باليوم البعيد ولكنها كانت تهمة واهية لا أصل لها وكان خائفا من ذلك أشد الخوف ولم يشاوره السلطان في شيء من أحوال بايزيد وكان يشاور علي باشا فأدى الحال الى ماأدى ولو استشار رستم باشا وأطاعه في رأيه لم يتفاقم أمره الى ما آل اليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والامر الى الله من قبل ومن بعد وماقدره الله فهو كائن والاقدار تدور وتحول أولي الاخطار وكم أريق في هذه الفتنة دم لا ذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفوس مظلومة لا جرم لهم في هذه البلاد ونوائبه لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم واستمر رستم خائفا يترقب الى أن

ثم أمره أن يعيد المال الى أهله بعد ان وبخه ولامه على فعله ومما اتفق له انه كان راكبا ذات يوم فطعنه رجل من الدراويش المساكين في فخذه الايمن بسكين وكان هذا الدرويش مجذوبا غائبا عن الوجود يعتقد الناس فيه خيرا فاراد قتله جميع الخدم فلما تحقق الشريف حاله سمح عنه عفوه وكرما وعلى كل حال فقد كان مولانا الشريف عبد الله بن حسين حسن الخلق عربي الطباع وله فضل في العربية شاع لكن أبو الذهب الذى جاء بالجردة سدره منه ومن اتباعه أنواع الجور والاجحاف

•(ذكر سجن مفتي مكة وتغريمه عشرين ألف ريال)•

فن ذلك انه سجن مفتي مكة الشيخ علي ابن المفتي عبد القادر الصديقي ولم يخلصه حتى أخذ منه عشرين ألف ريال وأخذ من التجار أموالا كثيرة بالظلم والاعتساف ونهب دار المرحوم الشريف مساعد التي كانت في سفح جياد ثم أخرج من بقي من آل زيد من مكة ووقع حريق في دار السعادة فظن بعض الناس انه بأمره لكن تبين ان الامر ليس كذلك لانه كان ساكنا في تلك الدار واحترق في النار بعض مماليكه وذهب كثير من ماله حتى صاروا يخرجون ادباشه باعظم مشقة ومن الظلم الذى حصل من اتباعه انهم في مدة اقامتهم بمكة لم يسلم من أذيتهم أحد ولم يزالوا يجورون على الناس في الاسواق هذا ما كان من أمر الجردة وأما الشريف أحمد بن سعيد فانه لما طلع الطائف قصد وادي لية وجمع بعض العربان وقصد الطائف فهرب منه وكيل الشريف عبد الله بن حسين وهو أخوه السيد عبد الكريم بن حسين فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لست بقين من شهر ربيع الاول ونودي باسمه في البلاد فارسل الشريف عبد الله بن حسين الى الطائف السيد أحمد بن عبد الكريم ابن يعلى فانسد على الشريف أحمد كثيرا من الرجال وأرسل للشريف عبد الله بن حسين يطلب منه جانبا من عساكر الاتراك فاتفق مع أبي الذهب على ارسال حسن بيك شبكة ومعه جملة من الغز على الخيل السوابق ومعهم نحو الثمانين من السادة الاشراف ونحو المائتين من العسكر وأمر عليهم أخاه السيد حامد بن حسين فلما بلغ الشريف أحمد هذا الخبر ولى مسرعا وفروق اليوم الثاني والعشرين من ربيع الثاني قصد الشريف أحمد مكة من طريق كرى وقد جمع جماعة من بني سعد وثقيف واناخ بعرفة فخرج لقتاله الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر واقتتلوا معه يوما كاملا وكانت جنودهم تزيد على جنوده باضعاف مضاعفة ومع ذلك فقد ظهر عزمهم مرارا ثم حصل من الدسيسة ومكيدة وذلك انه جاءه جماعة من عسكر الشريف ونكسوا اعلامهم وقالوا نحن معك ومنضمون اليك فاطلعهم معه على الجبل الذى كان فيه فلما ان تمكنوا قاتلوه وأقبلت عليه جنود أبي الذهب من كل محل فطلب الامان وقد اجهده ومن معه الجوع وتحقق عند أبي الذهب ذلك

أمرضه الوهم وأقعده فصار في فراشه يتقلب الى أن وافى أجله المحتوم فمات وقدم على الله الحي القيوم وهو عليم بما تخفي الصدور وهو الرحيم الرؤف الغفور وكانت وفاته في سنة ثمان وستين وتسعمائة ودفن في تربة بقرب تربة الشهزاده السلطان محمد رحمهما الله تعالى ﴿ وولي بعده الوزارة العظمى علي باشا ﴾ وكان من جنس البوسنة وكان جسيما طويلا فهما فطنا نبيلا على خلاف ما يتراءى من عظيم هيكله وسمين بدنه فانهما فطنة البلادة في الاكثر واذا أخطأ فيه مقتضاه زادت فطانته غاية كما نقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه فانه كان في غاية الفطنة والذكاء يضرب به المثل في ذلك وكان علي باشا له فضيلة في الانشاء والنظر في التاريخ اجتمعت به في رحلتي الى اصطنبول في سنة (٢٠٥) خمس وستين وتسعمائة فرأيته لطيف المحاورة حسن المفاكهة لذيذ المصاحبة ذكر لي بعض غزواته الدالة على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة اقتلعها منهم فقلت له ان لم يقيد ما ذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر ولا يعلم تفصيله بعد من انت قائله وانا فني من كان حاضرا في هذه الغزاة فني خبره أيضا ولم يذكره أحد بعد ذلك من آثار ينمحي عليه من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بعلم التاريخ وانه من جملة كتب التاريخ الكتب الروضتين في أخبار الدولتين لابن أبي شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين ابن أيوب وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد وعدالتهما على الجهاد وهو كتاب في غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاصي والداني تخلد فيه ذكرهما وبقي الى أن أوراق الدهر آثرهما وهما في الحقيقة أميران من أمرائكم أحدهما بكلربكي مصر والثاني بكلربكي الشام فلأي معنى لا تكون أخباركم وآثاركم متداولة في الكتب مخلدة في صفحات الاعصار والحقب فأعجبه كلامي كثيرا وأمر فاضل ذلك الوقت في الانشاء العربي صاحبنا المرحوم المقدس مولانا علي جلبي الحيدي المعروف بقنالوزاده أفندي أحد أفراد الدهر علما وفضلا وواحد علماء العصر كمالا ونبلا طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى مثواه أن يكتب شيأ في ذلك فشرع وأتى بعد هنالك في شيء من هذا المعنى فائق في بابه لطافة وحسنا ثم تقلبت الليالي والايام ومنعت الموانع من حصول ذلك المرام

فارسل اليهم شيأ جزيلا من الطعام فقبله منه الشريف أحمد وأهدى اليه كيلة من خيله الجياد فقبلها أبو الذهب ثم توجه الشريف أحمد الى الليث ورجع الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر الى مكة ثم ارتحل الى مصر في عشرين من جمادى الاولى وأبقى حسن أغا شبكة وجعله واليا على جدة وأبقى عنده شيأ من العسكر فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبي الذهب من مكة شمر عن ساعد الجد لاخذ الثار وجمع العربان من كل مكان وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشنبري عربانا من ثقيف وأقبلوا على مكة ونزلوا بعرفة في الحادي عشر من جمادى الثانية وأجمع رأيهم ان يجعلوا القوم شطرين شطرا من طريق المسفلة وشطرا من أعلى مكة فخرج لقتالهم الشريف عبد الله بن حسين ومعه حسن شبكة فالتقوا مع القوم عند المعابدة فاقتتلوا أربع ساعات واقبل العربان الذين من أسفل مكة وشنوا الغارات فأسفرت هذه الملحمة عن انهزام الشريف عبد الله بن حسين وقتل من جماعته جم غفير وقتل من البادية الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف ومنهم رابع شيخ بني ثقيف وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد لانه لما قتل رابع شق قتله على قومه فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبد الله بن حسين ثم انه طلب ذمة وتوجه الى الوادي ومعه الصنجق حسن شبكة

﴿ ذكر رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة وخروج الشريف عبد الله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤ ﴾

ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد فكانت مدة الشريف عبد الله بن حسين شهرين وثلاثة وعشرين يوما ومنذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات لاعتقاده انهم الآمرون بحرق دار السعادة فنهب الناس جميع ما في دار آل بركات ونهبوا الدور التي للرجال المقربين عندهم من أرحام وأتباع ونادى المنادي في شوارع مكة باسم الشريف أحمد بن سعيد ولما توجه حسن شبكة الى الوادي توجه منه الى جدة ودخلها فارسل له الشريف أحمد يأمره بالخروج فأبى وامتنع وتوجه اليه من الاشراف والبوادي والعساكر ما ينوف على أربعة آلاف ثم وصل الى مكة السيد عبد الله بن مسعود ومعه من قبائل اليمن جرود ولم يلحق بهم الحرب السابق فتوجه بهم الى جدة ولحق الاولين وتحقق عندهم ان الصنجق مصمم على القتال فأغلق أبواب البلاد وترسها وأخرج المدافع الكبار على الكدوة وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعس الى الرغامة ثم تعود صبحا الى جدة بالسلامة فوصلت السرية الى جدة بليل وأقاموا على موضع يقال له غليل وأرسلوا كتابا من الشريف أحمد الى كخدا العسكر ليفسد من معه من العسكر في البندر وجعلوا له شيأ من المال

ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام

واستقر علي باشا على وزارة العظمى في مسند صدارته الأجل الأسمى نافذ الأمر عالي القدر صاحب الصدر إلى أن نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه داعي القضاء إلى حضرته فعاش حميدا ومضى إلى الخلد وحيدا فريدا وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء حميدا وما حجبه عما تخوله غير ما تقدم من أعماله وقدم على الله الكريم بما كسب من أفعاله وهو أرحم الراحمين بعباده في كرمه وأفضاله (ثم ولي مكانه الوزارة العظمى) في ذلك المقام الأرفع الأسمى أصف الوزراء العظام أسعد السعداء الكرام (حضرة محمود باشا) أبقاه الله تعالى في مسند الصدارة على الثبات والدوام (١٢٠٦) وصانه عن آفات الدهر وحرسه عن نوائب الأيام وقد ملئ به عقلا وحزما وصرامة وعزما وإقداما وحزما ودقة وفهما وذكرا ثاقبا ورأيا صائبا وحذقا وفطانة وصدقا وأمانة وكمالا وجمالا ومهابة وإجلالا وسعادة وإقبالا ونظرا في عواقب الأمور ورعاية لمصالح الجمهور ومحبة للعلم والعلماء واعتقادا في الصلحاء والأولياء وإحسانا إلى الفقراء والضعفاء ويقال فيه

وما باعت كف امرئ متناولا • من المجد إلا والذي نال أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحه • وإن أطنبوا إلا الذي فيه أكمل

وكان على وزارته وعظمته وصدارته إلى أن أناط إليه أيضا كمال التدبير والمضاء بحيث تحير العقلاء وثبات جأشه وعدم نفرته واستقامته وضبط الجيش الأعظم وحفظ الخميس العرمرم وهم في أرض العدو في حومة القتال وفترة الحرب والصيال وشدة الجلاد عدم الجدال وقد توفي السلطان سلمان في ذلك الحال فلم يقع شيء من الاختلال وانتظمت الأحوال وأخذت قلعة مكنوار من القزال وهي محشوة بالعدد والعدد من المدافع والآلات والسلطان في السكرات والغمرات وكتم ذلك عن جميع خدامه ومن حوله من الأعوان وأرسل إلى ولده السلطان سليم من مسافة ستين يوما وأجلسه على التخت وما وضعت الحرب أوزارها بل أضرمت المجاهدون نارها وغنمت المسلمون وخذلت النصارى بأنصارها ثم عاد العسكر وقد انتصر الإسلام وانهدم ركن الأصنام وخذل الله في هذا الحال طوائف الكفار اللئام وكان ذلك الاحتيال والترتيب بتدبير هذا الوزير الحاذق اللبيب ورأيه المنير الثاقب

فسعى في نقض تلك المباني وتواطأ معهم أن يهجموا من الباب اليماني فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السرية ومن معه وكانت واحدة في غاية جمادى الآخرة بعد أن قتلوا جملة من الأتراك وأخرجوهم من الأماكن ولم يبق في أيديهم غير القلعة فتركوها بناء على أنهم أصدقاؤهم فاجتمعت عساكر الشريف حولها وتحقق الصنجق أن القلعة لا تصونه ولا تدفعه فخرج من الباب الصغير الذي في مؤخر القلعة وخاض بجيشه في البحر وتوجه بمن معه إلى ينبع وتبعه الشريف عبد الله بن حسين وشاع عند الناس أنهم يريدون تلك المدينة وبلغ الخبر أهل المدينة فتحصنوا واستعدوا وأصبحوا عازمين على القتال ثم تبين أنهم لم يريدوا المدينة بل توجهوا إلى مصر ولم يزل الشريف عبد الله بن حسين مقيما بمصر القاهرة متعجبا في حكمة الله الباهرة وكيف مضى عليه هذا كله في أول أيام تولي الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام ثم توجه إلى أرض الروم ومكث فيها إلى أن توفي رحمه الله تعالى لكن عساكر الشريف وجنوده لما دخلوا إلى جدة وملكوها في هذه الواقعة نهبوا غالب دور أعيانها التجار والحواصل التي فيها أموال التجار وتركوا البندر خرابا بعد العمار وكان في جدة من الأقوات شيء كثير فأتلفوه فنتج هذا حصول غلاء بمكة وجدة وبقية الأطراف واشتد الكرب على المسلمين حتى أن البادية كانوا في مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح واستمر الأمر هكذا إلى آخر السنة ثم انجلت الغمة في سنة خمس وثمانين ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها لما بهم من الجوع في مدة الغلاء حتى أنه اتفق أنه أخرج إلى السوق خمسمائة أردب في يوم واحد فلم يأت عليها الضحى الأول ولم يبق منها شيء حتى قال بعض الملأ أن الجن عندهم مثل ما عندنا من الغلاء وفي هذا العام كثر قطاع الطريق وتمرد كل جبار وزنديق وفي سنة خمس وثمانين منع إمام اليمن جميع التجار من إرسال شيء من البن لهذه الأقطار بسبب ما أحدث من زيادة العشور وثقل على الشريف المدخول فأرسل السيد عبد الله بن أحمد الفقير إلى اليمن لاستعطاف الإمام لست بقين من شهر الصيام ورجع في شهر الحجة مخبرا ومبشرا بأن الإمام أطلق للتجار إرسال البن ولما وصل وجد الشريف سرورا قد جلس على كرسي الشرافة فبارك له وهنأه وكان السبب في تملك الشريف سرور كرسي الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد أن الشريف أحمد في شهر شوال من سنة خمس وثمانين ومائة وألف أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة وتوجيهها للوزير حسين ابن إبراهيم الشامي فوجهه إلى البندر المذكور ومعه السيد سليمان بن يحيى وجماعة من العسكر وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل ووضعه في الأغلال والسلاسل وكان الشريف سرور حين صدور هذا الأمر من عمه حاضرا في مجلسه ولم يجعل الشريف أحمد هذا الأمر مكتوما فتولد من

المصيب وتداركها بما يجب تداركه بالقلب الرحيب وكل ذلك بالالهام والامداد من الله القريب الرقيب مع كثرة احسانه ووفور انعامه وتأنس ألطافه واسعافه واكرامه سيما أهل الحرمين الشريفين من اجراء عيون وحفر آبار وابنية للفقراء وغير ذلك من المآثر الجليلة والخيرات الوافرة الجزيلة التي يحتمل أن تفرد بالتأليف وتورد في تصنيف جليل لطيف وله مآثر في أكثر بلاد الاسلام وقد أجرى عين الزرقاء بالمدينة الشريفة بعد خفيها وأضاف اليها آبارا منها بئر أريس بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة تحتية واهمال آخره معروفة بقباء من أعذب آبار المدينة ذكر المجد الفيروزابادي ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو جالس على حافة البئر فأنزل فيها رجالا ليخرجوه فلم يظفروا به ونزحوا ماءها اثني عشر يوما فلم يجدوا الخاتم وكان أول الفتن الى أن أدت الى شهادته واختلاف الناس على سيدنا علي رضي الله عنه وتنتهي هذه الفتن الى ذهاب خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان في عصرنا جعل حضرة الوزير الاعظم دبلا من مائها الى مصب عين الزرقاء وصرف على ذلك أموالا عظيمة وقوي بت العين وأضاف اليها مياه آبار أخر حلوة قوي بها جريان عين الزرقاء الى أن أجرى دبلا منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضعا يتوضأ فيه الناس لدخول المسجد الشريف وأجرى دبلا منها الى حمام عظيم مكلف بناه في المدينة الشريفة انتفع به أهل المدينة والوراد ودعوا له بالخير وسارتوا ابا جاريا ومن خيراته أنه أوسع بئر ذي الحليفة ويقال لها بئر علي رضي الله عنه وهو ميقات أهل المدينة وأهل الشام للاحرام لدخول مكة فحفرها ونزل في الارض الى أن جعل وجه الماء عشرا في عشر لا ينجس بوقوع النجاسة فيها وجعل أحد جوانبها الاربع درجا ينزل من أعلاه الى أسفله حيث كان محل الماء فصار كل أحد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج الى دلو وحبل ونحو ذلك وهذا خير عظيم جزيل ومنها أنه أمر أن يبنى له بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون مأوى للفقراء من الملازمين للمسجد الحرام عنهم وأن يبنى فيه مساطب ومباسط تصلح للمرضى فتكون دار الشفاء لهم وأن يبنى من خارجه دكاكين وبيوت تكرى وتصرف في مصالح هذا المكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم البنيان طيب الماء والهواء وله رباط أيضا

علم كثير ان هذه الامور كثير من الشرور فخرج الشريف سرور من المعابدة وركب ناقته وتوجه الى جدة فوصل اليها قبل أن يصلوا اليها ونزل عند الوزير يوسف باشا وأخبره بالامور التي قصدوها وعزموا عليها فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد لقبض الوزير يوسف باشا منعهم الشريف سرور وقال أنا له مجير وطال بينهم وبينه النزاع ثم حصل الاتفاق ان يتوجهوا جميعا الى مكة لملاقاة الشريف أحمد ويكون النظر اليه في أمر يوسف باشا أو يكرمه فخرجوا جميعا من جدة فلما كانوا في أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف باشا عنهم ثم لا رجعهم على قتال عمه وانتزاع الامارة منه مستعينا على ذلك بأموال يوسف باشا وكان وعده بذلك

والليالي من الزمان حبالى • مثقلات يلدن كل عجيب

فلما أصبح الصباح عليهما الا وهما على وادي مر فطلب الشريف سرور به خيامه وقبب وأرسل لعمه كتاب النسب فأرسل اليه عمه يراوده على الصلح فلم يرض الا بالقتال فلما علم عمه عدم الرضا استشيروا أمره ولم يدر ما يجري به القضاء وانما استشيروا أمره لان الشريف سرورا كان صغير السن في ذلك الوقت كان عمره ثماني عشرة سنة ورحم الله القائل

لا تحقرن صغيرا في تقلبه • ان الذبابة تدمي مقلة الاسد

ثم ان الشريف سرورا أرسل الى قبيلة عتيبة وواعدها على موضع يقال له السيل وسار من الوادي بجمع ابل واجتمع عليه بعض الاشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجال فتوجه بهم الى العابدية وجاء بعض عتيبة الذين وعدهم بالسيل فلم يرد جميع ما اجتمع عنده على الثلثمائة فتوجه بهم الى المنحنا فخرج له عمه مع من عنده من العسكر ومعه الخيل الجياد وسمر القنا ووقعت الملحمة بين الفريقين وأسفر الامر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد وانفرط عقد ملكه وتبدد وزالت عنه الدنيا وولت وهذا شأنها أينما حلت نعوذ بالله من الاغترار بها فطلب الشريف أحمد من ابن أخيه ذمة على حسب القواعد بين السادة الكرام وتوجه نحو نعمان واتفق انه عند انهزام الشريف أحمد نهبت البادية الخزانة نارت نار في شيء من البارود بالخزانة فهلك من ذلك نحو خمسين من العرب

•(ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٨٦)•

قد دخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ابن أبي نمي وكان دخوله يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف ونودي باسمه في شوارع مكة وأمنت البلاد والعباد

وخيرات أخر كلها مثوبات عظمى * ووردت صدقاته في سنة أربع وثمانين وتسعمائة مضاعفة ففرقت في الحرم الشريف على الفقراء والضعفاء وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة ولجلاله السعيد بلغه الله تعالى مراتب الكمال ورزقه السعادة والاقبال والله تعالى يطيل بقاه ويديم عزه وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه في صدر الصدارة الكبرى مادامت الدنيا محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بعين الله التي لا تنام مصونا من نوائب الليالي والايام بجاه سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وهذا أساس شامل النفع للورى * فيارب قابل بالقبول دعائي

﴿فصل في ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان﴾ (٢٠٨) كان السلطان المرحوم المغفور له محبا للجهاد في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء كلمة الله يؤثر التعب في ذلك على الراحة ويحب العز ويرغب في السعي عن الاستراحة بحيث لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر جهادا وأنصر للدين وأكمل عددا وأقطع لدابر المشركين وأكبر ملكا وسلطانا وأكثر جيوشا وأعوانا وأقطع سنانا وأحمى للاسلام وذويه وأشرق للشرع ومحبيه وأعدى للافرنج الملاعين وأقمع للكفرة والملحدين وأقوى نصرا للاسلام والمسلمين وأشد عضدا لأهل الايمان وأنصر لأهل السنة في هذا الزمان من السلطان سليمان خان فكم دوخ بلاد الكفر واستباحها ودمر أرض أعداء الله عافر فرسه واجتاحها وجاس خلال معاقلها ورباعها وافتتح صياصيها وقلاعها وأخرب معاهد الاصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحائف الدول لكانت دولته عن غرة تلك الدول ولو عددت فتوحات السلاطين لكانت مساعيه طراز تلك الحلل وان غزواته يجب افرادها بالتأليف لتبقى في صفحات الدهر ذكره الشريف وأما هذا التصنيف اللطيف فلا يسع منها الا الطفيف فنذكرها اجمالا في هذه العجالة ونعدد أسماءها في غضون هذه الرسالة فان فسح الله في الاجل وساعد العمر على ذلك الأمل حررنا لآل عثمان تأليفا جليلا وكتابا حافلا طويلا يستفيد منه علماء العرب والعجم مالا يجدونه في كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى ﴿فنقول أول غزواته﴾ عند ما ولي السلطنة غزوة انكروس بزوالها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع

(الواقعة الثانية بين الشريف مسعود وعمه الشريف أحمد بن سعيد)

ولما تم له عشرون يوما من ولايته أقبل عليه عمه في غاية من القوة فخرج لقتاله عاليه من خيل وعسكر وخدم ووقع القتال بينهما عند بركة السلم فانهزم الشريف أحمد وتفرق جيشه وتبدد وأخذ ذمة عشرة أيام ورجع الى موضعه الاول وأقام وهذه الواقعة الثانية من الوقائع التي كانت بينهما وكانت في رابع ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف ولما كان اليوم الثامن من ذي الحجة أراد الشريف مسعود الصعود الى عرفة فامتنع جميع العسكر من الصعود معه يزعمون ان لهم عند عمه سبع جوامك يقولون له ان أسلافنا أبا علي توجهنا معك فالتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها والنصف الآخر عند ما يرجع الحجوج وتعهد وأعطاهم رهونا مقدمة فامتنعوا من ذلك تعصبا وعنادا فتركهم وسط عبيده وعبيد أبيه ونزر من عشيرته وذويه معه ركب أهل المدينة وحج بالناس وكانت حجة أمن وسرور ولما نزل الناس من الحج اجتمع كثير من السادة الاشراف وقصدوا مصطفى باشا أمير الحاج الشامي وطلبوا منه ان يعزل الشريف مسعود ويولي بعده عمه كما كان فامتنع وقال لا يمكن هذا الا بفرمان من السلطان ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التي امتنعت من الصعود الى الحج مع الشريف مسعود الى الشريف أحمد وطلبت منه ان يصل اليهم ويقومون بحمايته وارجاعه الى كرسي الشرافة فدخل البلد خفية وتوارى في بيته ولم يشعر به أحد فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذي الحجة قبل الصلاة والشريف مسعود غافل لم يعلم بشيء مما صنعوه لم يفطن الا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبي قبيس ينصب كالمطر فسأل عن ذلك فأخبروه بأن عمه قد وصل الى داره والعسكر قائمون معه لاخذ ثاره فاستلحق من بقي عنده من القبائل الذين عرضوا عليه في أيام الثمان وشمر عن ساعد الجد ثم خرج عبد الله مثال آغا وطلب من ابراهيم بيك أمير الحج المصري ان يمده بالعساكر فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال لكن ليس للخيل في ميدان الرصاص من خلف الجدار مجال واستمر الحرب بقية اليوم والليلة

(الواقعة الثالثة)

وفي صبيحة يوم السبت دق بابهم الحرب واشتد القتال والضرب وعاد ثانيا الى قتال آغا التي الصغي في طلب الرصاص والبارود فأعطاه صناديق من الفشك وجانبا من الرجال فحملت القوم على القوم فانكسرت جماعة الشريف أحمد بشيء يسير دون فلما ظهرت الغلبة عليهم واشتد الحصار طلبوا الامان وأخذ الشريف أحمد ذمة ثلاث ليال في المعاندة ثم خرج وأما العسكر فأمر مولانا الشريف مسعود باخراجهم من البلاد وان لا يبيت فيها منهم أحد الا عسكر اليمن فانهم كفوا أيديهم

وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كرار عظيم المقدار يدك الارض دكا ويصدك الجبال الراسيات صكا فلما وصلوا الى ديار الكفار جاسوا خلالها ونازلوا أبطالها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ونهبوا أمتعتها وأموالها وفتحوا حصونها وقلاعها وملكوا أرضها وبقاعها وأعظم ما افتتح قلعة بلغراد وهي قلعة منيعة محكمة باقية الى الآن بيد المسلمين وأخذوا غيرها من بلاد المشركين وغنموا الغنائم الكثيرة وأثروا الآثار الاثيرة وعاد السلطان الى دار ملكه سالما غانما ظافرا منصورا مؤيدا بنصر الله ناصرا مسرورا وزينت البلاد لانتصاره وكان ذلك من أعظم أنصاره وذلك أول فتوحاته وغرة أسفاره وغزواته وكان عوده الى سرير ملكه في شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام عصى

جان بردي الغزالي الجركسي أمير الامراء بالشام وجمع طائفة من عصاة العرب وبعض أشقياء الجراكسة وادعى السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه فرهاد باشا فقاتله بقرب الصالحية وأمسكه وقطع رأسه وأزال عن المسلمين ضرره وبأسه وأرسله الى الباب العالي وكفاه الله أمره ودرأ عن المسلمين فتنته وشره وذلك في سابع عشرين من شهر صفر الخير سنة سبع وعشرين وتسعمائة ﴿الغزوة الثانية غزوة رودس﴾ هي جزيرة في وسط البحر ما بين اسطنبول ومصر وبني بها الكفار حصنا حصينا وحصارا في غاية الاستحكام مكنا اتخذه الكفار مكمنا لاخذ المسلمين وأتقنوه نهاية الاتقان والتمكين بحيث رفع أساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى تخوم الشرطين والبطين ينظرون الى

السفائن التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيؤن للتحصن ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم

ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه ويبذلون في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى أسفله من جميع جوانبه نقوبا وضعوا فيها المدافع الكثيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من جهة من الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويبنون أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج والتجار أخرجوا اليها تلك الاغربة فنهبوا ما فيها من الاموال وأسروا المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتليهم وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين

عن القتال فخرج العسكر منكسي الاعلام مفرقين بين عري وشام وهذه الوقعة الثالثة للشريف أحمد مع الشريف سرور

●(ذكر وفاة المفتي علي بن عبد القادر الصديق مفتي السادة الاحناف سنة ١١٨٧)●

وفي شهر صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف توفي المفتي علي ابن المفتي عبد القادر الصديق وكان تقلد الفتوى بعد أخيه المفتي يحيى المتوفى سنة أربعين فكانت مدة مباشرة المفتي علي الفتوى تزيد على الاربعين سنة وبعد وفاته تقلد الفتوى ابن أخيه المفتي عبد القادر بن المفتي يحيى بن المفتي عبد القادر الصديق وتوفي سنة احدى وتسعين وتقلد الفتوى بعده المفتي عبد الملك بن عبد المنعم القلعي ومكث فيها الى سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين وفي سنة سبع وثمانين خرج كثير من الاشراف منافرين لمولانا الشريف سرور وتفرقوا في كل الجهات ومنعوا السبل وقطعوا الطرقات

●(الوقعة الرابعة)●

وفي شهر ربيع الاول أقبل على مكة الشريف أحمد بن سعيد بجموعه فخرج له مولانا الشريف سرور بالجموع وحصل بينهما القتال في أول الامر حصلت هزيمة للشريف سرور وطلب ذمة ثم حمل بنفسه حملة أي حملة فانهزم الشريف أحمد وأخذ ذمة ثم توجه الى المعدن وهذه الوقعة الرابعة بينهما ثم رجع الشريف أحمد في ربيع الثاني وملك الطائف بغير قتال

●(الوقعة الخامسة)●

ثم قصد مكة فخرج له الشريف سرور بعبيده ومن عنده من العسكر وحصل القتال بينهما في المعابدة فانهزم الشريف أحمد وتوجه الى خليص وهذه الوقعة الخامسة

●(الوقعة السادسة)●

ثم في شهر شعبان وصل السيد عبد الله الفعر الى الطائف واتفق مع السيد سليمان بن يحيى ان السيد عبد الله الفعر يخرج دراهم من عنده لجمع عربان يدعوهم لطلب مكة للشريف أحمد بن سعيد وهو في خليص فبلغه الخبر فتوجه للطائف فامتنع السيد عبد الله الفعر من اخراج الدراهم ثم نزل الشريف أحمد الى نعمان فبلغ الشريف سرورا وصوله فخرج له فذهب الى موضع هذيل يقال له ضيقة فلحقه وثار عليه الحرب فارتفع الى جبال شاهقة رأى فيها حصانته فرجع الشريف سرور الى مكة وهذه الوقعة السادسة وكانت في رمضان

●(الوقعة السابعة)●

ثم توجه الشريف أحمد الى الهدا وجمع عربانا وأخذ الطائف بغير قتال وأخذ من أهله جملة من

عن دفع ضررهم وعم اذاهم المسلمين فجهز السلطان سليمان خان بعسكره المنصور الى أخذ هذه الجزيرة وكان مسيره اليها ونزول جيشه الشريف في اسكودره متوجها الى هذا الغزو لعشرين بقين من رجب الرجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة فأحاط بها برا وبحرا وما أمكن من في البر ان يتقدم من حصار رودس ألخندق العظيم الذي حولها مع ضرب المدافع العظيمة من أعلى الحصار ولا أمكن من في البحر القرب منها لسلسلة الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقرب بالمدافع الكفار فصاروا يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تأثير المدافع فيه فأمرت عساكر الرقاب الا وأمروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى أن وصل التراب الى الخندق وامتلأ به وقرب منه جدار الحصار وارتفع عليه وصار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار وأحرقوهم بنار الى القبل الاخرة الى ان عجزوا ووهنوا وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا من السلطان سليمان خان الامان وشرطوا ان يحملوا نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويغربوا ان أرادوا فأجابهم السلطان الى ذلك بعد ان نهاه الوزراء عن أمانهم فانهم لم يبق لهم منعة ولا قوة وان الاموال التي أرادوا حملها خزينة كبيرة وان هؤلاء الكفار اذا خرجوا بهذه الخزينة أمكنهم التقوي بها وجمع العسكر من النصارى والعود الى أذى المسلمين فلم يطع السلطان الى عزمهم ومنعهم وأعطاهم الامان وخرجوا بجميع أموالهم وما عز عليهم ثم وأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا الى بلاد الغرب وعمروا قلعة في مملكة اسبانيا من جزيرة الاندلس في غاية الحصار والمتانة ويقال لها مالطة وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحاج والسفار وهم الآن يعرفون بالمسلمين الان أذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان خان على اعطاء الامان لهم وأرسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر عظيم لاخذهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير والاسكندر باري سردارا فوقع بينه وبين القابودان فتنة أدت الى انكسار المسلمين وكان في ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر آخر لاخذ مالطة وقهرها فأتاه أجله المقدر رحمه الله تعالى وكان فتح رودس لست

الاموال وتوجه قاصدا مكة بمن معه من البادية فخرج لقتاله الشريف مسعود وحصل بينهما قتال ساعتين ثم انهزم الشريف أحمد وسار خلفه الشريف مسعود من المعابدة الى الحسينية وذلك في سابع شوال فأدركه غلة وسلب عبيده وخيله وعساكره وتركه فمكث بالحسينية ستة أيام وأراد التوجه الى اليمن فبلغ ذلك الشريف مسعود فأنفذ اليه وأرسل اليه جميع ما عنده من العبيد وما أبقى له شيئا فتوجه الشريف أحمد الى وادي مر ثم الى خليص ثم الى المدينة وهذه الوقعة السابعة وأقام بالمدينة الى ان وصل الحج فأرسل للباشا يطلب مواجهته فامتنع فمكث بالمدينة الى المحرم ثم توجه الى خليص وأقام بها وفي السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة وألف نزل مولانا الشريف مسعود الى جدة ومكث بها مدة وأ[illegible] منها وبعد رجوعه الى مكة اجتمع كثير من السادة الاشراف وطلبوا منه معاليمهم وشددوا في الطلب فقال لهم أعطيكم ان قدمتم على دفتر الشريف مسعود فقبلوا منه ذلك وهو بالنسبة الى ما كان يعطيهم قدر الربع فأعطاهم على ذلك ولما قدم الحج أراد السيد عبد الله الفعر ملاقاة أمير الحج الشامي والاجتماع به فامتنع الباشا من ملاقاته لما علم انه مغاضب لمولانا الشريف مسعود فواجه أمير الحج المصري فوعده بأنه يأتيه يوم عرفة ويصلح بينه وبين مولانا الشريف مسعود فأتاه يوم عرفة فركب الصنجق وترجى عند الشريف فلم يقبل ذلك الرجاء وأبى من الصلح مع المذكور وقال ان لم يرحل لا آمن عليه وأقبضه فارتحل قبل تمام المناسك وتوجه الى الطائف فلما بلغ الشريف أحمد ما صار على السيد عبد الله الفعر ارتحل من خليص واستقر في المعدن وفي أواخر جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف مسعود قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه الى الطائف بقصد اخراج السيد عبد الله الفعر أو يقاتله ان لم يرتحل ودخل السيد عبد الله الفعر في حصن حصين له بالطائف ثم توسط بينهما جماعة من الاشراف وأقروا الصلح وعاد الشريف الى مكة في رجب وفي شهر شعبان غزا قبيلة من هذيل يقال لهم الضيبان وأخذ مواشيهم وحقن دماءهم حتى صاروا له كالعبيد.

(الوقعة الثامنة)

وفي شهر رمضان بلغ الشريف مسعود ان السيد عبد الله الفعر نقض الصلح واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجماعة قبائل وأقبلا على الطائف واستعد لقتالهم وكيل الشريف بالطائف وجمع لهم جندا فنكصا على أعقابهما وهذه ينبغي ان تجعل ثامنة للوقعات وان لم يحصل فيها قتال

(الوقعة التاسعة)

مضين من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وحصل لأهل الإسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ لطيفة ألطفها ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وفتحت أيضا عدة قلاع في ذلك العام منها استانكوس وقلعة بودرم وقلعة أيدوس وغير ذلك من القلاع أخذت من الكفار الفجار وصارت في ضبط العساكر السلطانية وأرسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر إلى علي بك بن شاه وار أمير أمراء ذلقادر فإنه كان يظهر الطاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الوزير عنده وأظهر أنه وصلت إليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولأولاده فوصل إليه علي بك بن شاه وار مع أولاده الخمسة فأدخلهم فرهاد باشا إلى محل خلوته وأمر بقتلهم فقطعت رؤسهم وجهزت (٢١١) إلى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى شره وذهب فساده ثم عاد السلطان من سفره إلى تخت ملكه الشريف اسطنبول دار الإسلام لا زالت معمورة إلى يوم القيام ووصل إليها في أخريات ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام خرج بمصر كاشف الشرقية الأمير جانم الجركسي عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة اينال بك واجتمع عليهما طائفة من الجراكسة المماليك وجماعة من عصاة عربان الأباظة وأظهروا الطغيان فأرسل إليهما بكاربكي مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا فقتلا وقطع رؤسهما وعلقا بباب زويلة ثم أرسلا إلى الباب العالي وكانت فتنة دفع الله شرها وكفى المسلمين أمرها وذلك في محرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ﴿الغزوة الثالثة﴾ غزو السلطان سليمان خان إلى كفار انكروس ثانيا فإن ملك انكروس المسمى قرال ظهر منه التمرد والجدال فتوجه إليه لقطع مادته ومحو أثره وعادته السلطان المرحوم بالجيش الأعظم والخميس العرمرم وضرب أوطاقه المظفر في حلقة لوبكار لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب المرجب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم رحل بالعساكر المنصورة إلى أن وصل نهر طراوة وبنى عليه جسرا من السفائن وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر إلى أن وصل بودون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وفي ذلك الحرب الشديد انكسر قرال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الإسلام وغرقت عباد الصليب والأصنام وافتتحت في هذه الغزوة عدة من القلاع المشهورة والحصون الشديدة المعمورة وصارت من

ثم رجعا وهجما على الطائف في الثالث عشر من شوال وقت الفجر وكان معهما السيد عبد الله بن مسعود وكان وكيل الشريف بالطائف فنزل وحصل بينهم وبينه قتال شديد ووجد عشرون من بني سعد الذين كانوا مع الشريف سعيد محرزون دار البارود في بيت الوكيل فأرادوا اقتحامه فثارت فيه نار فقتلتهم فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف فولوا فارين واستقر الشريف سعيد بالمعدن والسيد عبد الله الفعر في ليا وهذه الوقعة التاسعة ثم توجه السيد عبد الله الفعر إلى خليص لملاقاة أمير الحج الشامي فوجده قد زلف عنه وما أمكن مقابلته فارتفع إلى الحرة فبلغ خبره الشريف سرورا فأرسل سرية من الخيل والركاب ووكل عليها السيد ناصر بن مستور من آل بركات وأمره بقبض السيد عبد الله الفعر أينما حل فأدركته الخيل في طرف الحرة فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله فأمر الشريف سرور بحبسهما في القنفذة ثم أمر بإطلاق السيد بركات بن جود الله وبقي السيد عبد الله الفعر مسجونا هنالك ستة أشهر ثم أرسل الشريف سرور بطلبه فلما كان في أثناء الطريق أرسل الأمير فرحان من اللحية سفينة وعسكرا فأطلقوا السيد عبد الله الفعر وأتوا به إلى اللحية فأكرمه الأمير فرحان فلما بلغ الشريف سرورا هذا الخبر أزعجه ثم أرسل لإمام اليمن يقول له إن هذا الفعل يورث بيننا ضدا ونقضا فأرسل الإمام للأمير فرحان يأمره أن يرسل السيد عبد الله الفعر لصاحب مكة وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر بإطلاقه وأنه يرسل من يقبضه من الأمير فرحان فأرسل عبد أبيه الوزير بشيرا فأخذه منه وحبسه في القنفذة حتى مضى عليه حول ثم أمر بنقله إلى ينبع فسجن في ينبع مضيقا عليه إلى أن مات وقيل إنه قتل في السجن خنقا والله أعلم

(الوقعة العاشرة)

وفي أواخر سنة تسع وثمانين أرسل مولانا الشريف سرور سرية من الركب والخيل وصبحوا بعض قبائل هذيل وفي سنة تسعين غزا بنفسه على الشلابين وصبحهم وأتوا صاغرين وفي أوائل سنة تسعين أيضا جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل وجمع كثيرا منهم ونزل بهم وادي نعمان فأرسل الشريف سرور سرية أمر عليها السيد مبارك بن عجلان فلما أحس بهم الشريف أحمد ولى هاربا فاتبعوه ووقع القتال بينهم وبين هذيل ثم قتل من هذيل ثلاثة وصوب خمسة فرجعت السرية وبقي الشريف أحمد عند هذيل مدة وهذه الوقعة العاشرة

(الوقعة الحادية عشرة)

ثم نزل الشريف أحمد بهم ثانيا إلى نعمان فركب الشريف سرور بنفسه إلى العابد بجميع من معه

جملتها قلعة آونيك وقلعة تبرزان وقلعة آبلوق وقلعة راجه وقلعة برقاص وقلعة نوكاى وقلعة وثوار وغيرها من قلاع الكفار وحصون أولئك الفجار وأعظمها قلعة بودون محل تخت انكروس الملعون فانها قلعة راسخة البناء عالية الفضاء سامية الى عنان السماء تناطح الثريا وتسامي السهى وتطاول الجوزاء في غاية الثبات والاتقان واستحكام الوضع والبنيان وهو تحت سلاطين انكروس ومقر سلطنة ملكهم المنحوس وعند ما أحاط بها حضرة السلطان وجنود أهل الايمان علم من كان فيها من جنود الشيطان فخرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان فأمنهم حضرة السلطان وضبط البلاد وجعل فيها عساكر تحفظها من أهل العدوان وغنم كثيرا (٢١٢) من الاموال والانفس والارواح وقتل أعداء الاسلام وسفك دماءهم المطلول المباح وعاد الى مقر سلطنته ودار مملكته سعيدا مظفرا منصورا حميدا فوصل الى سرير السعادة وتخت الملك والسيادة في أواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة

(الغزوة الرابعة غزوة بيج)

اجتمعت كفار المان وغيره قرال وقردنوس وأغاروا على قلعة بدوس وأخذوها من المسلمين على غرة فتوجه السلطان الى دفعهم وقلعهم وقمعهم وبرز من اسطنبول الى حلقه لو بكار لليلتين مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا الى أن وصلت الى المخيم العالي امرأة من ملوك انكروس اسمها أردل ماتوا وداست البساط الشريف السلطاني والتزمت بأداء خراج بلاد انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الاحكام الشريفة بالامان وعادت الى بلادها في أواسط ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر الوطاق الشريف السلطاني الى أن وصل العسكر المنصور الخاقاني الى قلعة بودون وأحاطوا بها احاطة الاطواق بالاعناق وبياض العين بسواد الاحداق في أواسط ذي الحجة من السنة المذكورة الى أن فتح الله بودون وسائر البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وولوا هاربين بين مأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لاربع مضين من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمائة ثم فتحت قلعة بناق حصاري ثم توجه العسكر المنصور الى قلعة بيج وهي محل تخت عجيه القرال الخائب الاشل وأحاط بها المخيم مرادفات الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عند الله القريب

كثيرا من الاشراف والقبائل وأقام بها أياما وتفرقت قبائل الشريف أحمد ورجع الى جبال هذيل وهذه الحادية عشرة من الوقائع وان لم يقع فيها قتال

(الوقعة الثانية عشرة)

وفي أول ربيع الثاني من سنة احدى وتسعين ومائة وألف خرج السيد لباس بن عبد المعين الجودي أخو السيد عبد الكريم ومعه جماعة من ذوي جود وهذيل فأخذوا قافلة من طريق الطائف وفي شهر جمادى أخذوا أخرى من طريق كرى وكان الشريف سرور بالعابدية فجاءه الخبر فركب خلفهم فسار قليلا فلما رأوه طردوا ما أخذوه وصعدوا رؤس الجبال فمنعه وأرجعه لاصحابه ثم لم يزل الشريف سرور يترصد السيد لباس بن عبد المعين المذكور حتى أرسل له سرية فقبضوه في الشرفية وحبسه فوجه في اطلاقه ذوو جود فلم يقبل رجاءهم وأرسله الى ينبع لحبس فيها فضاق من ذلك أخوه الشريف عبد الكريم فخرج مغاضبا ومعه السيد بركات ابن الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتوجها الى جبال هذيل فوجدا الشريف أحمد بن سعيد قد اجتمع عنده كثير من العربان فنزلوا جميعا الى وادي نعمان وخرج الشريف سرور الى العابدية بما عنده من العساكر والرجال وأقام بها أياما حتى تفرق قوم الشريف أحمد وهذه الوقعة الثانية عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي ثالث شعبان من هذه السنة أعني سنة احدى وتسعين عدا جماعة من ذوي جود في طريق الطائف وهم الذين كانوا مع السيد لباس فركب خلفهم مولانا الشريف بنفسه فلحقهم وقتل ثلاثة منهم ورابعهم قطعت يده برصاصة وفي ثالث رمضان بلغ مولانا الشريف سرورا أن جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقوه من المعدن وأقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة بمن يجتمع معهم وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبد الله بن سعيد والسيد عبد الكريم بن عبد المعين الجودي والسيد عبد الله بن مسعود بن سعيد والسيد مسعود العواجي وابنه فلما نزلوا بوادي نعمان أرسل لهم سرية من الخيل فلما أدركتهم هربوا الى الجبال الا السيد مسعودا العواجي وابنه والسيد عبد الله بن مسعود فقبضوا عليهم فحبسهم مدة ثم أطلقهم فسافر العواجي الى مصر وأما السيد بركات والسيد عبد الكريم فتوجها الى اليمن ثم بعد مدة اصطلحوا مع الشريف فرجعوا الى مكة وممن كان مغاضبا الشريف سرورا السيد مبارك بن محيين من آل بركات وكان يقطع الطريق ويفرق ما يأخذه على من يكون معه من البوادي وتعب الشريف سرور في أمره وكان يعطي النذور على القبض عليه وكان لا يستقر في مكان فوضع الشريف سرور عليه الجواسيس ولم يزالوا يترصدونه حتى جاءه الخبر في رمضان بأنه مقيم في اطراف

الحرة

العجيب وهرب منها عجبة قرال وهو مدبر مكسور وطلب أهل القلعة الأمان وأتوا بمفاتيحها الى حضرة السلطان فأعطاهم الأمان وأخذ قلعة بج وهي من أعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار وذلك لليلتين بقيتا من محرم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام عسر مؤنتها من هجوم الكفار اللئام أمرت الحضرة السلطانية بهدمها فهدمت وأخربت ونهب أطراف تلك القلعة وسبيت أولاد النصارى ونساؤهم وتركت خرابا وعادت الحضرة السلطانية الى تخت الملك بالنصر والتأييد والعز المشيد والفرح الجديد فوصل الى اصطنبول في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة الخامسة غزوة ألمان﴾ لما وصلت الاخبار الى (٢١٣) الابواب السلطانية ان عجبة قرال جمع طائفة من كفار ألمان وأراد الفساد والطغيان وتوجه السلطان سليمان خان الغازي في سبيل الله الى قتال هذا الكافر اللعين وبرز من دار الاسلام اصطنبول الى حلقة الوسكادار في ثمين من شهر رمضان المبارك عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وأرسل في البحر لحفظ وجه البحر من النصارى وشد الاسافل والسواحل أمير الامراء الكرام أحمد باشا القبودان بثمانين غرابا مشحونة بالابطال أهل الصفاح والكفاح وتطير اليم بأجنحة الرياح من غير جناح الى أوائل شعبان المكرم من السنة المذكورة وافتتح نحو ستة قلاع من بلاد الافرنج الفجار وأذلوا الكفار واستعجلوا بهم الى عذاب النار ووصل الخيم الشريف السلطاني مع الجيش المنصور الخاقاني الى مملكة ألمان وغزوات وسبوا من ذراري الكفار أولادا كالنجوم الدراري ومن البنات والساحرات كالكنس الجواري ونهبوا الاموال وقتلوا الابطال ودكدكوا الرجال وهرب ملوكهم وتركوا رعيتهم وسعى ملوكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة الشريفة الى سؤالهم وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترفيه حالهم وعادت الحضرة الشريفة السليمانية الى دار ملكها المسعود مظفر الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة السادسة سفر العجم﴾ أرسل قبل سفره الميمون الوزير الاعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم وجيش كالبحر الخضم الملتطم وفئة كثيرة كالجيش العرمرم لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين وتسعمائة ووصل

العرة فركب الشريف بنفسه في معقوده من خيله وركابه حتى أصبح عليه وأدركه فقاتله فشمت لها المقطة وكان تريابهم فعدوا على الشريف سرور وقاتلوه وقتلوا أربعة من عبيده وفرسين من جياد خيله ثم كر عليهم فاسترجع الفرسين وأخذ جميع مواشيهم ورجع الى مكة لثلاث بقين من رمضان وفي آخر شوال غزا الشريف على الحلة من هذيل ويقال لهم القرح وأخذ ما وجده عندهم من المواشي والمال وتحصنوا منه برؤس الجبال وفي عشرين من ذي الحجة اجتمع صنجق الحج المصري وبدوي بن عيد شيخ طوائف حرب في مجلس الشريف وأراد التوفيق بينهما في المعلوم المقرر لأبي بدوي بن عيد وتهدد الصنجق وتوعده ثم علم انه أخطأ في ذلك فذهب الى أمير الحاج الشامي بطلب منه الترجي عند الشريف في العفو عما صدر منه في حق الصنجق في مجلس الشريف وأظهر الشريف انه قبل الرجاء ثم أمر بالقبض عليه وحبسه حتى مات بالجدري في السجن فتعصبت قبائل حرب عند موت شيخهم وخرجت عن طاعة الشريف فشق عليهم أذاه فرضوا به ظاهرا وسكتوا وفي آخر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين جاء الخبر ان الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن الى جبال هذيل واجتمع معه خلق كثير

•(الواقعة الثالثة عشرة)•

فخرج الشريف سرور بعسكره ورجاله الى الزاهر ثم دخل الى مكة ليفرق على العبيد البارود فلما فرقه أخذوا أحد منهم جمرة لتختبر البارود فأحرقه وثار دخان كثير أحرق نحو الاربعين فاغتم الشريف لذلك ثم ان هذيلا تفرقت عن الشريف أحمد فتمكث بأطراف نعمان ثم انتقل الى الثنية ثم توجه الى جهة الشام فتبعه الشريف رجاء ان يدركه ففات عليه وتوجه الى المدينة فأكرمه أهلها كما هي عادتهم في اكرام من وفد عليهم تصديقا لقوله تعالى يحبون من هاجر اليهم وهذه الوقعة الثالثة عشرة وانه لم يقع فيها قتال وفي هذه السنة في شعبان غزا مولانا الشريف على المقطة الذين حاربوه مع ابن مزيد فأخذ مواشيهم ووقع بينه وبينهم قتال وبقيت رجاله وقتل له عبيد ودرس وصوب خيال ثم رجع عنهم وأرسل اليهم سرية في شوال وحصل بينهم قتال ثم طلبوا الامان ودخلوا في الطاعة وفي نصف شوال نزل بالحابت جماعة من هذيل بقصد قطع الطريق فأرسل اليهم سرية فقتلوا منهم رجلين وأخذوا آبالهم فتفرقوا وفي ثامن ذي القعدة ركب عليهم بنفسه فوقع غالطا على آل خالد وقتل منهم أربعة رجال وسبى ثلاثة وأخذ أغنامهم وقتلوا منهم أغاة من أغاوات العسكر ومعه عبيد فغضب لذلك جميع هذيل فأتوه جهارا واجمعوا على قطع الطريق فنهبوا أثقالا قيد قاضي الطائف في حريق الرأس وأخذوا أثقالا أخرى وادي نعمان وقتلوا أربعة وجرحوا ثمانية

الى حلب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السلطانية والجيوش المؤيدة الخاقانية وبرز عقبه الوطاق الشريف السلطاني والخيم المكرم الخاقاني العثماني الى اسكودر آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة احدى وأربعين وتسعمائة واستمر متوجها لنصرة السنة الشريفة السنية وقمع طوائف الرفضة البدعية الى ان وصل مخيمه الشريف العالي الى ميلاق أوجان قريب تبريز وجاء الى استقباله المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجها بجميع العساكر المنصورة الى آخذ سلطانه من مملكة العجم فلما وصل الركاب الشريف السلطاني الى قصبة آب هرب من طائفة القزلباش محمد خان ذو الفقار ووصل الى لثم البساط الشريف العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاحترام وصار من جملة عبيد الأبواب واستوفى البرد الشديد على العسكر المنصور ونزل الثلج كأنه الجبال وهرب العدو ولم يقابل وصار يخادع ويقاتل فلزم التوجه الى بغداد لصون الرجال والاثقال فلما سمع بوصول العسكر السلطاني حافظ بغداد من جانب قزلباش محمد خان هرب وترك بغداد ومن بها من الرعية فارا فعند ذلك توجها الى الوطاق السلطاني فدخل بعسكره المنصور بغداد وأعطى الأمان لأهلها واستكنوا في مساكنها وصارت من مضافات الممالك الشريفة العثمانية وكذلك ما حولها من جميع البلاد والقلاع وسائر الحصون والقلاع وكذلك المشعشع والجزائر وواسط وأمرت الحضرة السلطانية بتحصين قلعة بغداد وحفظها وصونها من أهل الالحاد وزار مشهد سيدنا الامام الحسين وسيدنا الامام موسى الكاظم رضي الله عنهما ونور مرقدهما ونفع ببركاتهما وبركات أهل وهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بتعمير هما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه وبنى على قبره الشريف قبة وعمارة ومدرسة ونصب في بغداد دفترداره المرحوم المغفور له الشهيد السعيد اسكندر چلبي بتهمة الخيانة في المال السلطاني برمي أعدائه وحساده وبراءته من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريما بذولا حسن الخلق محسنا ما خاب من قصده ولا حرم من أمله مع الفضل التام والتكريم التام رحمه الله تعالى وأسكنه أعلى فردوس الاعلى وبوأه من الجنات الدرجات العلى وبهم الوزير ابراهيم باشا برميه بما رمى به وما مال عليه الطول حتى أتى به واجتمعا في دار الحق بين يدي الحكم العدل

(الوقعة الرابعة عشرة)

ولما جاء وقت اقبال الحج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامي فأبى الخروج من المدينة في اثره وانه يريد خلاص جهة الشريف مسرور ومن معه وأمر عليها السيد ناصر بن مستور وأكد عليه ان يترصد الشريف أحمد ويقبض عليه وادركته السرية على حين غفلة فحملت عليه الخيل فلما أحس بهم ركب فرسه وفر وقتل من السرية فرس وعبد فرجعت السرية وغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور واتهمه انه قصر في القبض على الشريف أحمد وهذه الوقعة الرابعة عشر وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أغارت هذيل على شريف من ذوي حامل وتهبوا متاعه وتمر وضربا أسباب منه المقاتل فمات بعد ذلك وفي السادس والعشرين أغاروا أيضا على جماعة من أهل الطائف وفيهم شريف من ذوي جازان فنهبوهم وضربوا الشريف ثم قتلوه وقاتلوا معه رجالا من وقدان فانقطع بعدها الطريق وقويت شوكة هذيل

(الوقعة الخامسة عشر)

الوقعة الخامسة عشر من الوقائع التي جرت بين الشريف مسرور والشريف أحمد بن سعيد وهي آخرها انه في سنة ثلاث وتسعين في شهر جمادى الاولى بلغ الشريف مسرورا ان الشريف أحمد مقيم رهاط وهو موضع بينه وبين مكة ثلاثة أيام فركب الشريف مسرور بنفسه في قوة عظيمة فلم يفطن الشريف أحمد الا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب فلم يتمكن من الفرار وقد جرت عليه الاقدار فاستسلم للقضاء فقبض عليه وعلى ولده وتشتت عبيده واسد قاؤه فاركبه خلف واحد وأمر بحفظه وأسرع السير ونزل به الى بندر جدة ثم أركبه في سفينة في البحر وأمر بحبسه في ينبع وحبس معه ولديه السيد راجحا والسيد الحسن وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن فانظر أيها المتأمل لهذه الدنيا وغدرها وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها كيف أسقته كأس الهوان وقد كان بالأمس في دست السلطان واعجب لتقلبها وتلك مطامع كانت عند السماك منه بدو باع ملك مالك اقليم الحجاز وصارت قبضته بالحقيقة لا المجاز طال ما أمر ونهى وامتطى بأخمصه هام السها فصيرته في السلاسل والاغلال وأذاقته غاية الاذلال ان في ذلك عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر وهي الدنيا الدنية وأمورها كالاحلام المقضية لقد صدق الحريري فيما قال في قصيدته التي هذا أولها

يا طالب الدنيا الدنية انها • شرك الردى وقرارة الاكدار
دار اذا ما أضحكت في يومها • أبكت غدا تبا لها من دار

اللطيف الخبير • ثم توجه الركاب الشريف السلطاني بعد مضي شدة الشتاء البارد من مضتا من شهر رمضان المبارك الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتى في تبريز وانه مقيم بها قاصدا للقتال وعزو أنه من مخالف الايام والليالي فلما وصل الى منزل صاروقامش وصل من الشاه ومن باج لوخانم ايلجيا بطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه الى تبريز فخرج الشاه وطائفة القزلباش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية خاوية على عروشها وتبعهم العسكر المنصور فما ظفروا بهم وصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان وتكررت رسله الى الابواب العالية بطرق باب الصلح وتحقق حضرة السلطان الاعظم ان الصلح خير فقبل الصلح وكتبت الاجوبة بقبول ما طلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه المخيم الشريف السلطاني الى العود من بلاد العجم وغنم السلطان في تلك السفرة اخذ البلاد وفتح عراق العرب والنف تاريخ قيل فيه (فتحنا العراق) وكان وصول الركاب الشريف السلطاني مع العسكر المظفر العثماني الى قتل اخت الشريف السلطاني مع النصر والتأييد الرباني والفتح العظيم السبحاني لاربع عشرة ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى واربعين وتسعمائة (الغزوة السابعة غزوة الونيسة المعروفة بكورفس) وهي بلاد الكفار النصارى من أتباع اسبانيا العدا وتوجه اليها في البحر ركابه الشريف العالي وارسل في البحر لطفي باشا والقابودان خير الدين باشا بنحو خمسمائة غراب منصورة بعساكر البحر الى ان نزل بعسكره المنصور على آولونية في سنة ثلاث واربعين وتسعمائة فاستباحها قتلا واسرا ونهبا وافتتحت في جزائر ذلك البحر اربعة وثلاثون حصنا حصينا هدمت الى الاساس وقتل من فيها من الناس وغنمت جيوش المسلمين من طائفة الكفار المشركين ما لا يحصى من الاموال والسبايا وعاد السلطان مع سائر عساكره الجهيرة برا وبحرا الى تخت الملك الشريف سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين (الغزوة الثامنة غزوة قرابغدان) توجه بنفسه النفيسة لافتتاح تلك البلدان وبرز بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريف الى تلك البلاد وقتل فيها وفتك وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وأخذ الرقاع والبقاع وغنم اموالا ومغانم كثيرة واسرى وساعدية غير محصورة وعاد الى تخت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح

وهي طويلة ذكرها في المقامات فسبحان المعز المذل الذي لا يزول ولا يحول يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل

•(ذكر وفاة الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٩٥)•

وكث الشريف أحمد محبوسا في ينبع مدة ثم نقله الى حبس جدة وما زال محبوسا الى ان توفي في عشرين من شهر ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وكان أحمد وقت يموت في السجن وأما الاخر وبعد ان قبض الشريف سرور على الشريف أحمد بن سعيد تتبع كثيرا من الجناة وقطاع الطريق وعاقبهم بأشد العقوبات وصار يتجسس بالليل والنهار على السراق والمفسدين وكان يعس في الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشاء الى الصبح يفعل هذا كل ليلة فحصل منه ارهاب لكل جبار عنيد وانكف من أفعاله الذين كانوا يعتدون واشمأزت نفوسهم منه ومما يأنفون

•(ذكر الجماعة الذين أرادوا قتل الشريف سرور)•

واتفق جماعة على انهم يترقبون الفرصة لقتله واعتقدوا انهم يتمكنون من ذلك في الليل حين يخرج يعس وليس معه الا قليل من الخدم بان يجلسوا له في بعض الازقة والطرق وكان مع هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبد المجيد بن سعيد بن علي فنم عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره وقال له انه اتفق على قتلك سبعة من ذوي زيد ومعهم ما ينوف على الخمسين من ناس ملفقين وزعموا انهم يقتلونك في ليلة خانكة الجلاب وهي مكان تحت السيد داب وان سالم بن علي ابن عبد الله هو الوزير وقد فرقوا المناصب على الكبير والصغير وان السيد مسعود العواجي هو الذي يتقدمهم بالقتل ويتناجيك فلم يصدقه في الحديث الذي رواه فأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم ولم يزل عنده حتى أزهرت النجوم فأرسل من يكشف له الخبر فعاد الرسول وأخبر بانه وجد المذكورين في الازقة والاسواق حاملين السلاح فثبت عنده صحة الخبر وبادر في امساكهم من غير امهال فامسكوا بعضا منهم وهرب البعض فمن امسكوا السيد مسعود العواجي وابنه السيد مساعد والسيد محمد عمار ابن الشريف عبد الله بن سعيد وسالم بن علي ومحمد بن جابر الخروج ونحو العشرين من العبيد فحبسهم نحو شهر ثم أخرجهم وقررهم فاعترفوا بما اتفقوا عليه فأمر بقطع أربعة من العبيد وقطع يد السيد مسعود وأمر على سالم بن علي أن يصلب على عود وأرسل الباقين الى جدة ثم سفرهم الى الهند مع المراكب الهندية وأما البعض الذي هرب ففيهم السيد داب وأولاد عبد الله بن مسعود فاقاموا بيدر ثم سافروا مع الحج فمنهم من مات بمصر ومنهم من مات بالروم

الجديد فوصل الى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لست ليال بقين من ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة ﴿ الغزوة التاسعة غزوة أسطوبور من بلاد الكردوس ﴾ وذلك ان السلطان رحمه الله كان أنعم على ازدلبالو بتلك البلاد وبلغه انها توفيت وان غبه قزال ومن معه من الكفار والفجار أرادوا الاستيلاء على بلادها بعد موتها فتوجه السلطان رحمه الله الى دفع أولئك الفجار سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وصمم على قتال غبه قزال لانه أراد أخذ بودون وسوست له نفسه ما يتمناه المفسدون فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني فرهاربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعه الابطال ففر منهم في أطراف تلك الجبال فخالت العساكر المنصورة (٢١٦) السلطانية في تلك البلاد وقتلوا أهل البغي والعدوان والفساد وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة وذخائر تحتار وتصطفق وفتحت قلعة اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد وأضيفت الى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت • وفتحت أيضا قلعة وشرة وقتل من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وعادت الحضرة السلطانية مع في ركابها الشريف من العساكر المنصورة العثمانية الى مقر تختها الشريف منصورين مؤيدين لتأييدهم الدين الحنيف ﴿ الغزوة العاشرة غزوة بيج واسترغون ﴾ توجه الركاب الشريف السلطاني والخيم المنصور السامي الى افتتاح عدة قلاع في بلاد بيج لتنظيف أطراف البلاد من طوائف الكفار أهل العناد من قطع دابر أولئك الفجار بالغزو والجهاد في سنة خمسين وتسعمائة وبرز من دار شبوخهم الملك اصطبول بالجيش المتواتر الموصول والجند الاعظم المهول الى ان أحاط بقلعة ويوه وقلعة شقلاوش وهما من أحكم القلاع النامية وأعظم الحصون المرتفعة العالية تناطح النطح وتسامت السماك وتوازن الميزان فافتتحا في غرة ربيع الاول من ذلك العام وصارت من مضافات ممالك الاسلام • ثم فتحت قلعة استرغون وهي قلعة في غاية الاتقان والاستحكام أشد في احكام البنيان من الاهرام كان قنديل رأسها نجوم الثريا وحارس بابها الكوكب العواء ونطاق منطقها وشاح الجوزاء مشحونة بالاموال والذخائر مملوءة بالعدد والعدد الوافر ألقى الله تعالى في قلوب أهلها رعب عساكر الاسلام وخذلهم الله تعالى

وفي شوال سنة ثلاث وتسعين غزا الشريف الشيابين وأخذ ابلهم وغنمهم وماشيتهم ثم ركب على هذيل فقد رتهم العيون والجواسيس فأخذوا حذرهم وكمنوا له في الشعاب والهضاب فلما أقبل عليهم بادروه بالقتال ومكث الحرب ساعتين فرجع ولم يبلغ منهم المأمول ثم ركب على الشيابين مرة أخرى فانذروا وولوا مدبرين فعاد ومكث سبعة أيام ثم ركب على الشلاوى باطراف القرى فاجتنب له وركابه وسبقهم في اليوم الثالث واستدام الحرب بينهم نهاره عاطال ثم ولوا مدبرين وتركوا الحلال والمال فأخذه فمن ذلك سبعة آلاف من الغنم ومائة وثمانون من حمر النعم سوى الادباش والسلاح

وفي موسم ثلاث وتسعين أرسل مولاى محمد سلطان الغرب ابنته ليزوجها الشريف سرور وأرسل معها أخويها وأموالا عظيمة أهداها للشريف وصدقة للاشراف والسادة وأهل مكة فتزوج بنت سلطان الغرب بعد ان دعا للعقد جملة من السادة الاشراف والمفاتي والعلماء وباشر العقد لمولانا الشيخ المفتي عبد الملك القلعي وفي هذه السنة حصلت منافرة بين مولانا الشريف وبين امير الصنجق امير الحج المصري بعد تمام الحج فاراد امير الصنجق عزل الشريف وتولية السيد سليمان ابن يحيى وجعل كل ليلة يتردد على الصنجق وبلغ الخبر سيدنا الشريف سرور فاطرح العيون على السيد سليمان وأمر بالقبض عليه فخرج ذات ليلة متنكرا في زي سائس فقبضوا عليه في طريق الجرون وحبسه بمكة ثم أرسله الى ينبع وحبسه هناك ولما بلغ الصنجق القبض عليه اشتد غضبه وأراد القتال واستعد لذلك مولانا الشريف ثم ان الصنجق ثنى عزمه عن القتال وارتحل وتعرضه في الطريق جماعة من حرب وكان معه جملة من شيوخهم رهائن فخوفهم بعدما مر تلك الجهات ولم يعطهم في ذلك العام شيأ من المعاليم التي لهم

•(ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤)•

وفي سنة أربع وتسعين عزم مولانا الشريف على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بأهله فتجهز وخرج من مكة في أحسن نظام كان معه من الجمال ثلاثة آلاف وخمسمائة ومن العربان خمسة آلاف ومن مراجل ألفان وخمسمائة من السادة الاشراف ومن الخيل مائتان وخمسون وصرف على هذا الجند مبالغ جزيلة من المال وتوجه من مكة ليلة الاربعاء في اليوم الحادي عشر من جمادى الاولى من العام المذكور ولما وصل الى بدر تلقاه أهله برحب الصدر وعرضوا عليه وفد موالهم ايام وسوس لهم الشيطان فادعوا ان لهم عوائد على الملوك اذا مرت بهم وقوانين وادعوا انه أخذ عليهم من الصنجق معلوم ثلاث سنين فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام فلم يقبلوا فثار الحرب بينهم من كل الجهات واستمر ثلاث ساعات فانتصر عليهم وقتل منهم أربعة عشر نفرا وفر من بقي فدخل بعض

فامتنعهم ذلك المنيع وما وجدوا الاعتصام فأخذوا أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الاموال وسبيت النساء والاولاد والاطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع وافتتح ما يقربها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة استوان بقراد وهي قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد لم يخلق مثلها في البلاد كأنها من بناء شداد أخذت وضبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها دزدار وحصار يه وقاضيا يجري الاحكام الشرعية وسجقا لاسجقا فاذا وصارت من مضافات الممالك المحروسة السلطانية وصارت الكنائس مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركاب الشريف السلطاني الى سرير ملكه وتخته (٢١٧) الخاقاني مظفرا منصورا سالما غانما مسرورا في الغزوة الحادية عشرة من الغازي وهي تحتمل تفصيلا طويلا لا تحتمله هذه العجالة فنعدل عن الاسهاب والاطالة ومجملها ان القاص أخو الشاه لابيه وكان واليا على شروان فوقعت بينهما مشاحنة في الباطن أدت الى توجه القاص الى الابواب الشريفة السلطانية وقبل اليد الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل له من الحضرة السلطانية اقبال عظيم ومرتبة عالية وأنعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعده بان ينصره على أخيه ويؤيده ويعلي كلمته ويواليه وأمر الوزراء العظام وأركان دولة الاسلام أن يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجليلة ففعلوا ذلك وجاروه وعظموه وناصروه وكان ذلك في سنة أربع وأربعين

شيوخهم بين الفريقين بالصلح وأعطاهم مولانا الشريف سرور أربعة عشر ألف قرش وأعطوه ربائط فأخذ منهم أربعين رجلا رهائن ولما وصل الى الحراب أمر بهم ان وادي نصار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنه فأرسل خلفه من أتى به فوضعه هو والرهائن كلهم في الحديد وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد ودخل المدينة في اليوم التاسع من رجب فخرج أهلها وقابلوه ودخل بموكب وأناخ بالمناخة وسكن هو وأهله بها ثم توجه لزيارة القبر الشريف ونثر عليه من الذهب والفضة الكثير حتى التقط من ذلك الكبير والصغير وآمارة ان حرب فشدد عليهم غاية التشديد فلما بلغ قومهم ذلك قطعوا الطريق ولما جاء الزوار من مكة على عادة زيارتهم في رجب منعوهم من الوصول فرجعوا الى مكة من غير زيارة ثم بلغ الشريف أن حربا قصدهم الوصول الى المدينة لمحاربته فاستعد لهم وطرح عليهم العيون وصارت خيله كل ليلة تخرج خارج المدينة فيقبضوا على من يجدونه منهم فوجدوا ليلة خيالا خارجا من المدينة ومعه كتب من الكوائحي الى قبائل حرب يحثونهم على الاقدام عليهم ويصدد الحرب على القلعة من داخل البلد وأنتم من الخارج فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكوائحي وقرأها عليهم فأنكروها وقالوا انها مزورة عليهم فقال لهم ان كنتم صادقين فاعطوني القلعة حتى يتضح لي الحال فامتنعوا فأبقاهم عنده وأرسل شيخ الحرم لاهل القلعة يطلبها منهم لتكون تحت يده فحصنها بن مختار فوجدهم قد ترسوها بالرجال وتحذروا من اعطائها لشيخ الحرم واعتذروا بأنا رمينا عند سيدنا بالزور والبهتان ولا نسلمها ما لم تأتنا منه بالامان

(ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة)

فلما رجع وأخبر بالخبر أعطاهم الامان وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظه فلم يفطنوا الا والرصاص سم كالمطر فقهر هو ومن معه عنهم وأصابوا واحدا من العسكر فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكوائحي وشيخ القلعة وجعلهم في الحديد فاشتدوا بالرمي على بيته وقتلوا رجلا وجاءني فنقل أهله الى بيت بعيد عن القلعة ووقع القتال بينهم وبينه من ليلة المعراج الى مضي ثلاثة أيام وما تم لاحد من الفريقين مرام فصنع سلالم من الخشب الطوال وأطلع عليها عبيده في ليلة من تلك الثلاث الليالي فتسوروا لهم فلم يملكوها ورجعوا ثم أرسل لهم باني قد سمحت عنكم فاخرجوا ولكم الامان فرضوا بخدعته وأخذوا مهلة ثلاثة أيام وأرادوا أن يدخلوا القلعة من لم يكن داخل منهم فكف الرمي من الطرفين وأرسل عسكرا تترس البيوت التي حول القلعة من كل جانب وأمرهم أن يمنعوا من أراد الدخول ومن أراد الخروج يتركوه فلما علموا انه ترس البيوت التي حولهم عرفوا انه تنبه لخديعتهم فاحرقوا السلالم التي صنعها في الحال وشرعوا يرمونه بالرصاص فأمر

(٢٨ - تاريخ مكة) وتسعمائة واستمر ملتجئا الى الظل الشريف الوريف الممدود على القوي والضعيف وصار السلطان سليمان خان يصاحبه ويلاطفه ويقربه ويستدنيه ويوانقه الى أن صمم العزم الجازم وشد نطاق الصرامة والحزم وبرز بعسكره المظفر ونصب أوطاقه في اسكودار لثمان ليال مضين من شهر صفر الخير سنة خمس وخمسين وتسعمائة ومعه القاص ميرزا مكرما بكر عا ومعززا معززا وتوجهت الحضرة الشريفة السلطانية الى أخذ تبريز وأمر القاص ميرزا أن يشتي في بغداد الى أن يمضي زمان الشتاء فيهجم بالعسكر المنصورة في بلاد العجم فاستمر الركاب الشريف السلطاني سائرا بالعون السبحاني والنصر والفتح الرباني الى ان أخذ قلعة وان بعساكر أهل الايمان وجعل فيها بكلربكيا وعسكرا قويا فانها أقفل ديار العجم وحصنها

بآلات الحصار والهدم واستقر القاص ميرزا متوجها الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر السلطانية الى دركزين ووصل الى همذان وتعدى الى اذربيجان ونهب تلك البلدان واستلب أوطاق أخيه ميرزا وعاد الى المخيم الشريف السلطاني والوطاق المحفوظ الخاقاني بما نهبه من الاموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وغاب برد الشتاء فشتى حضرة السلطان بالمخيم الشريف السلطاني في حلب وجهز جيشا كثيفا مع أحمد باشا لحفظ حدود البلاد وغزا طائفة الكرج واغتنم منهم غنائم وعاد الى الاوطاق الشريف السلطاني بغنائمه ٭ وأما القاص ميرزا فنابذ بعض الوزراء وخرج من بغداد مغاضبا وأظهر النفور من جانب السلطنة الشريفة ولم يرع الايادي الجليلة السابقة واللاحقة وعزم الى أمير من أمراء الاكراد فعمل أمنوه به فأرسل اليه ولدعه واستدعاه عنده ووده في شروطهم أنه وجعل ذكره فرزق الشهادة ولحق بالشهداء والى الله المصير ٭ ولما وصل علم ذلك الى الحضرة الشريفة السلطانية تأسف على ذهابه وعزل ذلك الوزير عزلا مؤبدا وعادت العساكر المنصورة السلطانية في ركاب الحضرة السلطانية الى دار ملكها المؤيد بالنصر والتأييد والسعد الجديد والعز المشيد في أواخر سنة خمس وخمسين وتسعمائة ﴿الغزوة الثانية عشرة سفره الى الشرق﴾ لما بلغ الحضرة الشريفة السلطانية تعرض طائفة القزلباش على بعض الحدود السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السلطانية بجيوشها المنصورة العثمانية الى أن شتى في مدينة حلب وبعد انقضاء الشتاء توجه الى أخذ قزلباش فبرز الوطاق الشريف السلطاني من دار الاسلام القسطنطينية العظمى الى اسكودار في أوائل شهر رمضان عام ستين وتسعمائة واستمر الى أن وصل الى اركلي يقطع المراحل والمنازل فاستقر أوطاقه الشريف العالي خارج اركلي واستدعى ولده السلطان مصطفى فامتثل أمره الشريف ووصل اليه ودخل البحر كاه العالية ابرز الاوق تابوت حمل على الاعناق الى بورسا واتبع به ولده ودفن معه في بورسا أيضا عليهما الرحمة والرضوان ٭ وروائح الروح والريحان وقع ذلك في أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركائب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمر بها أيام الشتاء وتوفي بها السلطان جهانكير قرة عين السلطنة الشريفة وغرة فؤادها

عسكره بقتالهم واستمر القتال يومين ثم ظاهر عليهم فرط واحد الاوصار وايقكرونه ويخرجون من القلعة خفية فجاءه الخبر بأمر مدفع على بيت آغاة القلعة فاحترق وانهدم فأرسل شيلا تطلب الذين حرب وأمن القلعة هاربين فطلب الباقون الامان فاعطاهم الامان ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة ونهبوا ما فيها من الاثاث والنقود وكان غالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم النفيسة في القلعة فذهبت شذر مذر وقبض على جملة من كانوا سبب هذه الفتنة ووضعهم في السلاسل والحديد ووضع وزيرا في القلعة وهو رجل من عدوان ومعه عسكر وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين صحبهم معه الى مكة لما توجه وأبرز فرمانا بعزل شيخ الحرم وأمره أن يسير معه الى مكة ثم أطلق رهائن حرب وأمرهم بالانصراف وقطع علائقهم

﴿ذكر رجوع الشريف سرور من طريق الشرق﴾

وتوجه من المدينة في الحادي والعشرين من شعبان وأظهر انه يريد التوجه على طريق حرب الى ساحة السفر ثم توجه على طريق الشرق قصر القشر ولما وصل الخبر بذلك عليه وعلى من معه لقلة الماء وحصل لهم شدة من العطش ثم فرج الله وجاءهم من أتاهم بالماء ولما وصل البركة توجه باهله الى الطائف ودخلها سابع رمضان ومكث أياما ثم توجه الى مكة ودخلها في السادس والعشرين من رمضان ثم ورد له خطاب أن أهل المدينة محاصرون للوزير الذي في القلعة ومن معه من العسكر فأرسل اليهم سرية نجدة لهم نحو ثلثمائة من الخيل والركاب فاتفق ان الوزير ومن معه لما اشتد عليهم الحصار طلبوا الامان وخرجوا بعد قصة طويلة فبلغ السرية عند وصولهم المدينة ان الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالامان فنزلت السرية تحت جبل أحد وأرسلوا الوزير يطلبونه للرجوع فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا لقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون بهم الوزير فالتقى الصفان في البساتين التي خلف البقيع في غرة ذي القعدة ووقع بينهم حرب فظيع وقتل وضرب جماعة من كل من الفريقين ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه ووصلوا الى مكة في الثاني عشر من ذي القعدة هذا حاصل ما كان في زيارة مولانا الشريف سرور بغاية الاختصار والا فتفصيل ذلك وبسطه طويل وفي هذه السنة وقع بين جهينة والحاج المصري قتال فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الثمانين والربع من الطريق الشرقي قصدوا له في طريق القرار فاتصل معهم وقتل منهم أربعة وأما الحج الشامي فانه لما وصل الى المدينة اجتمع باميره أهل المدينة وأخبروه بما صار واعترفوا بالذنب وسألوه أن يستعطف لهم مولانا الشريف ويطلب منه العفو وأن يطلق المرابيط الذين عنده من أهل المدينة وكان أمير الحاج الشامي في

ذلك

لعشر ليال بقين من ذي الحجة الحرام سنة ستين وتسعمائة وجهز تابوته الى اصطنبول في ذي الحجة سنة ستين وتسعمائة ، ولما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطاني الى الجولان من بلاد العجم فأخلاها الشاه وتركها خالية ومضى الى الاطراف والجوانب ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية الى أماسية وأقام العسكر على بلاد العجم ثانيا فأرسل رسل الشاه وطرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفة السلطانية اجابة الشاه الى سؤاله ترويحا للعساكر السلطانية وحقنا للدماء الرعية فانعمت على الشاه بقبول ما تمناه وأمرت بارسال أجوبة حسب مراده ومناه وعادت حضرتها الشريفة الى تخت ملكها الشريف محفوظا ظل سلطانها الوريف واستقرت ذاتها العالية قريرة العين بالسعادة الباهرة السنية على تخت الخلافة العلية بدار الاسلام قسطنطينية لازالت سيوف السلطنة العثمانية محروسة بعون الله آمين وذلك في سنة احدى وستين وتسعمائة

﴿الغزوة الثالثة عشرة غزوة سكتوار وهي آخر غزواته الكبار﴾ لما كان دأب هذا السلطان الاعظم المجاهد في سبيل الله ونصرة دين الاسلام كدأب آبائه وأسلافه العظام ولكل امرئ من دهره ما تعود وعادة الجهاد في سبيل الله أعظم ذخرا عند الله وأعود تاقت نفسه النفيسة الى الجهاد واشتاقت الى قتال الكفار الفجار وصمم على السفر الى بج ودمشوار وكان مزاجه الشريف متوعكا باستيلاء مرض النقرس عليه ويتألم تألما شديدا ويتصبر صبر الرجال ويظهر غاية التجلد والاحتمال فمنعه عن السفر رئيس الاطباء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصوني المصري وكان من أحذق الحذاق وأفضل الفضلاء في سائر العلوم على الاطلاق أديبا أريبا كاملا لبيبا طبيبا حبيبا بيني وبينه ملاطفات ومراسلات أدبية ومطارحات تجتنى ثمار الادب الغض من رياضها وتقتطف ازهار المفاكهة من أكمام أغصان حياضها برد الله مضجعه وأنزل عليه من زلال رحمته سلسبيلا وسقاه من الجنة كأسا كان مزاجها زنجبيلا فلم يقبل السلطان المرحوم عن السفر ولم يطع الطبيب فيما ذكر وقال له أريد أن أموت غازيا وأبذل روحي في سبيل الله مجتهدا ساعيا فبرز بجيوشه المنصورة وجنوده ورايانه المقرونة بالنصر وجنوده والظفر يقدمه والسعد يخدمه وانقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع

ذلك العام محمد باشا ابن العظم فلما بلغ الشريف ذلك أرسل المرابط الى العابدية فلما وصل الباشا ترجى في اطلاقهم فلم يقبل رجاءه فلما وصل الباشا المدينة راجعا أخبرهم بما صار فقطعوا عذره وشاع عندهم أن مولانا الشريف مقبل عليهم بجنود لا قبل لهم بها فترسوا القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا لقتاله فلما وصل الحج المصري أخبرهم بان ذلك غير صحيح فاطمأنوا وفي سنة خمس وتسعين في غرة جمادى الآخرة ورد خطاب لمولانا الشريف من الدولة العلية جاء على يد مرو أخبره انه استضاف نصار بن عطية ووعده انه اذا رجع ومر عليه يحسبه معه الى مصر فارسل الشريف لوزيره في ينبع بانه يترصد نصار بن عطية اذا رجع الخطاب ويقبض عليه فترصده وأرسل له عشرين على خيل وركاب فاحاطوا بنصار ووقع بينهم وبينه قتال فانتصروا عليه وقتلوه وجاؤا برأسه لوزير ينبع وهرب ابنه وذهب الى قبائل حرب واستصرخهم فاجتمع نحو خمسة آلاف وجاؤا الى ينبع وأحاطوا بالوزير فقاتلهم ثلاثة عشر يوما وقتل من القوم نحو الخمسين ثم ركب البحر وتركها لهم ينبع فملكوها فلما أرسل الوزير الى جدة كان مولانا الشريف بجدة فاخبره الخبر

﴿ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب وكثرة تجهيزه له سنة ١١٩٥﴾

فاشتد غضب الشريف على حرب وعزم على التجهيز عليهم ومحاربتهم وأمر وزيره بجدة أن يرسل جملة من أغربة الى ينبع وشحنها بالذخائر وتوجه الى مكة في غاية رجب وكتب الى جميع القبائل يطلبهم من كل مكان وواعدهم ان يصلوا اليه في رمضان ثم توجه الى الطائف لجمع القبائل أيضا فحضر عنده كثير من الشيوخ فاعطاهم الدراهم وألبسهم الجوخ ثم رجع الى مكة وأراد التوجه في رمضان فتأخر بعض القبائل فأخر السفر الى شوال وأطلق خمسة وعشرين من أهل المدينة المسجونين وأبقى الباقين وصرف للقبائل شيئا كثيرا من المال أعطى كل رجل اثنى عشر محبوبا وللخيال عشرين محبوبا واستعد بشئ كثير من الذخائر والرصاص والبارود وأمر وزيره بجدة ان يجهز الاغربة والسواعي والداوات بانواع الذخائر ويرسلها الى ينبع مع شئ من العسكر ليخرجوا من قربها ويملكوها فلما وصلوا قريبا من ينبع خرج لهم جهينة في داواتهم مستعدين للقتال فانهزمت الاغربة وعادت الى جدة وفي الرابع والعشرين من شوال توجه مولانا الشريف سرور من مكة بمن معه من الجنود وكان معه من عتيبة ستة آلاف وسبعمائة من السادة الاشراف ومن ثقيف وهذيل ثلاثة آلاف ومن مراجله نحو الالفين فكان جيشه كله يبلغ اثنى عشر ألفا ومعه من الخيول الطوائل خمسمائة ومائة وخمسون من أرباب الصنائع من المعلمين والنجارين وعبيد العين وغيرهم ومعه من الجمال التي تحمل الذخائر نحو سبعة آلاف فلما وصل الى خليص وأراد التوجه منه

القواضب حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق وخفقت أعلامه كالرياح الخوافق واختطفت أبصارهم بوارق الأسياف والصواعق * وكان بروزه من القسطنطينية المحمية في يوم الاثنين المبارك لتسع مضين من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة أربع وسبعين وتسعمائة واستمر عوج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض احسانه على فقير محتاج كالغيث الثجاج وهو يقطع المراحل والمنازل ويسلك فجاج المسالك والمناهل الى قطع الانهار الغزار والمياه العظيمة الكبار بجسور محكمة بنيت عليها وسفائن كالاطواد غرقت فيها لتدعيم الجسور اليها الى أن أمكن تعديته ذلك بالجيش العرمرم ومرور ذلك الجيش الاكبر والسواد الاعظم ونزلوا به بعد الحذار والترحال ومعاناة الاهوال على قلعة سكوار من أعظم قلاع الكفار وهى أعظم قلاع دمشوار فاحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق وداروا حولها وعليها دوران الاهلة على الافق وهى مدينة حصينة واسعة شاسعة مكينة راسخة البناء في قعر الماء شامخة الهواء الى عنان السماء في غاية العلو والتحصين والعلاء ونهاية الاستحكام والتمكين وأقوى ما يعد الكفار من المكان الحصين كأنها في الارتفاع والشهوق تناطح النطائح وتعاون العيوق وكان بريق نيران المعان البروق عند الخفوق مشحونة بآلات الحرب والمدافع محفوفة بالمكاحل الكبيرة والقلاع مرسومة بجيوش النصارى رابطا لهم مرسومة بشبانهم الشجعان من رجالهم فحفر لهم عسكر الاسلام وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وناوشوهم وصالوا عليهم ومنعوهم فتحصن الكفار في قلعة سكوار ورموا على المسلمين بقامع النار فتترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة المناحيس وحمى الوطيس وتحمس الخميس وأقدم من الابطال المشهورين والفرسان والشجعان المجبورين من أظهر شجاعته بيده البيضاء آية للناظرين وطلب من الله النصر وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الابطال تصادم أطواد الجبال اذ غلب على السلطان توعكه وسقمه واشتد عليه مرضه وألمه وغمرته غمرات الموت ولاحت أمارات الفوت وهو يلهج الى الله المجيب ويتضرع الى جنابه الرحيب بطلب الفتح القريب فاستجاب الله الكريم دعاه وحقق بحصول المراد رجاه واضطرمت النار في خزينة بارود

امتنعت هذيل من التوجه فراجعهم وكرر عليهم المراجعة في المسير فامتنعوا وأغلظوا في الجواب فضرب واحدا منهم بشعاب ضربة غير مؤلمة فعمد الى بندقة ورماه برصاصة تهدمها فقتله فسجله الله ثم كروا الى مكة راجعين ولم يبالوا فأرسل خلفهم السيد منصور بن عبد الله الجودى وأمره أن يلاطفهم ويقول لهم قولا لينا فلم يفد فلما لاطفهم قالوا انه ان رده الى مكة فامش معنا ونحن نخاربه الحرب الشديد فلما أخبره الخبر تحير في أمره وتكدر وأمر برد الخزانة الى خليص وأبقى عنده بعض المراجل

﴿ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وقبائل هذيل﴾

وتوجه خلف هذيل بالعساكر والمراجل على خيل وركاب فأدركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة وحصل بينه وبينهم ملحمة من الاشراق الى الغروب وقتل كثيرا منهم وأخذ ما معهم من جمال وبنادق وسلاح ثم طلبوا منه الامان فأعطاهم وقتل في ذلك الحرب من عتيبة الذين معه أحد عشر رجلا وواحد من الاشراف ثم عاد الشريف الى الوادى وأقام به حتى لحقته الخزانة التى أبقاها في خليص ثم رحل الى مكة وأمر القبائل والعربان الذين معه بالانصراف وأضمر الغزو على حرب الى سنة أخرى وفي عشرين من ذى القعدة أرسل من بقي من شايبس أهل المدينة الى القنفذة ليكون حبسهم هناك وجاءت الحجوج وكان أمير الشامى محمد باشا بن العظم الذى كان في السنة التى قبلها وجاء في قوة عظيمة وتوهم الناس منه حصول فتنة لما صار بينه وبين الشريف في العام السابق من كونه لم يقبل شفاعته في فكاك أهل المدينة ولم يحج أكثر أهل مكة خوفا من حصول الفتنة لكن الله الحمد لم يحصل شيء مما توهمه الناس فحج الناس في أمن وسرور وجاءت الامور على خلاف القياس وسافر الحج الشامى على الطريق الشرقى والحج المصرى على طريق الفرع ولم يعط ما هو مرتب لحرب وجهينة وفي سنة ست وتسعين عصى على مولانا الشريف آل على بن سالم وهم بطن من هذيل وقطعوا طريق الطائف وتحصنوا في جبال شاهقة لا يمكن الوصول اليهم فيها

﴿ذكر ابتداء عمارة القلعة التى في جياد سنة ١١٩٦﴾

وفي هذه السنة شرع مولانا الشريف في عمارة القلعة التى في جياد بعد أن اشترى ما حولها من البيوت وأنفق في عمارتها مالا كثيرا ثم نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعاده على أحسن اتقان وفي ذى القعدة طلب المحبوسين من أهل المدينة من القنفذة وحبسهم في جدة ثم جاءت الحجوج وحجت بالامن والسلامة الا أن الحج المصرى في رجوعه حصل عليه أمطار وسيول أذهبت ثلث الحج وفي سنة سبع وتسعين جاءت صدقة من سلطان المغرب للسادة الاشراف والعلماء وخدمة البيت الحرام وكذا لاهل المدينة وكانت هذه الصدقة ذهبا مطبوعا مقدار كل واحد وزن الريال الفضة

الكفار وهى محزونة بقلعة سكتوار وكانوا أعدوها لقتال المسلمين وأكثروا منها السكوت موفرة عندهم فأصابها شرر من النار بتقدير القدير القهار فأحدثت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هائلة الى تخوم الماء وتطايرت جلاميد الصخور الى الهواء ورمت شررا والهبا ودخانا الى أن امتلأ الفضاء فضعفت بذلك طائفة الكفار وعذبهم الله بالنار قبل عذاب النار وتزاحم المجاهدون فى سبيل الله معتمدين على نصر الله لان الحرب والجهاد وصدق النية والاعتقاد واشتد القتال والجلاد ورمى الكفار مدافع أقوى من الصواعق واخطف للاسماع والابصار من الرعود والبوارق وثبت المسلمون وأقدموا على النيران وهم كالاطواد الراسخة بقوة الجنان لم يتأخر أحدهم واذا رخطمه وتدفعه ولم يبال على أى جنب فى الله مصرعه وتقدم الجيش المنصور وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور يوم النشور والمدافع تتهادى كالتهادى الشهب وتتراى بالاحجار كأنها بوارق السحب وتوجهت المسلمون نحوها فانصالوا بالله وجالت على الكفار حملة واحدة بغاية التيقظ والانتباه غير مبالين بموت ولا حياة موقنين بأن لا مفر مما قدره الله وتعلقوا بأطراف القلعة واقتلعوها من أيدى الكفار وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل ونجا من نجا بمساعدة الاقدار وافتتحت قلعة سكتوار ورفعت الرايات السلطانية على أعلى منار ووضعت السيوف السلطانية فى جميع الكفار وقتلوهم وساقوهم الى جهنم وبئس القرار وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة والاحسان واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن وانتقل من سرير الدنيا الى سرير مرفوعة فى أعلى الجنان وأخفى حضرة الوزير الاعظم محمد باشا وفاة السلطان وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الامراء والحكام بكى الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات وأرسل سرا يستدعى السلطان سليم خان الثانى ويستعجله فى سرعة الوصول الى التخت الشريف العثمانى وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن جميع العسكر والامراء والوزراء وسائر الانام وأحسن التدبير فى هذا الكتم وهو من اللازم الحتم فى الامور العظام واستمرت أمور المملكة فى غاية الانتظام وأحوال العسكر المنصور السلطانى فى أعلى درجات النظام وهم

الفضة مكتوبا عليها والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

﴿ذكر سعى أهل المدينة أمين الصرة﴾

وفى هذه السنة تمرد أمير الحج المصرى عن تسليم معاليم أهل مكة وفعل مثل ذلك مع أهل المدينة فاحتالوا عليه وأدخلوه بيت العشرة وقالوا له ان لم تعط فانت مسجون فلما تيقن عدم الخلاص أعطاهم ما عليه من النقود وأبقى وهو باقى الباقى

﴿ذكر عزل وتولية﴾

وفى سنة ثمانية وتسعين عزل حسن النابتة من شندارية الصار وتولى أحمد الشارى بأربعة آلاف ريال وعزل حسن الرشيدى عن نظارة السوق وتولاها محمد مرزاوى بثمانية عشر ألف قرش وعزله بعد ثلاثة أشهر وأعيد حسن الرشيدى بمبلغ من المال وتولى درويش بن صالح سبعة بيت المال بشئ من المال ومعه عشرة وجاب من عين مولة وفى سنة تسع وتسعين اتفق ان أمير الحج المصرى رحل الزيارة ولما وصل الى رابغ مال الى خفروش ثم الى ينبع ولم يعط أهل المدينة ما هو لهم من الصر ولم يتفق ان الحج المصرى ترك الزيارة الا فى ذلك العام وفى هذا العام قبض مولانا الشريف على الشريف المسمى بالوبير وكان من قطاع الطريق وطالما ركب عليه المرة بعد المرة فلم يظفر به وفى هذه المرة ركب عليه وقبضه فى المضيق وأخذ سلاحه ومواشيه وأودعه السجن

﴿ذكر موت الوزير ريحان وماله من خيرات بين مكة والطائف وجدة سنة ١٢٠٠﴾

وفى سنة ألف ومائتين توفى الوزير ريحان فى الثامن والعشرين من رمضان وله كثير من الخيرات منها انه بنى مسجدا ببندر جدة ووقف عليه أوقافا تجرى منها مصالحه وعمر بالطائف مسجدا ووقف عليه بستانا فى وادى لية يقال له بلاد ووقف عليه دارا بمكة فى خط سويقة على قارعة الطريق من كان على الطلة التى تحاذى الرفيق نص على ذلك الشيخ عبد الله عبد الشكور فى تاريخه ثم قال وبنى بمكة زاوية بأول شعب أجياد وسماها زاوية الحداد وهى فى الحقيقة مسجد يصلى فيه من بيوت الله ووقف عليها جملة من الكتب النافعة

﴿ذكر ابتداء بناء بيت عرفة سنة ١٢٠٠﴾

وفى شهر ذى القعدة أرسل مولانا الشريف شيئا من المعلمين عمارا بارسم الى عرفة فبنوا له بيتا ولم يسبق لغيره بناء بيت فى عرفة وفى هذه السنة كان أمير الحاج الشامى أحمد باشا الجزار وكان ظالما غشوما وكان تارة يدعى انه شريف من الحسينيين وتارة يدعى انه المهدى المنتظر ولم يحصل فى الحج فى هذه السنة ولله الحمد خلاف الا ان أمير الحج المصرى وهو راجع وقع منه أمر عجيب نشأ منه

في ديار الكفر بعيدون عن ديار الاسلام وذلك من كال العقد التام والرأي الثاقب الصائب القائم الى أن وصل حضرة السلطان سليم الى مقر تخته الكريم وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها وعاد مع أركان دولته ووزراء سلطنته وبقية عساكر بابه الى القسطنطينية العظمى كما يأتي تفصيله ان شاء الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وأنشد لسان الاعتبار بقوله فيه انظر الى هذا الدنيا بأجمعها • هل راح منها بغير القطن والكفن ووضع في تابوت وحمل على الاعناق وقد قلدها في حياته قلائد نعم حلت محل الاطواق وهو عن يليق ان يقال فيه

كم ذات ترحل المولى غسله (٢٢٢) • هلا أطاع وكانت في نصائه وأزل آفاقه الخطوط رقعها • عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومن الملائكة الكرام حمله فلذا الما حال من نعمائه واستمر ولا الى ان أتى به الى اسطنبول وخرج لاستقباله جميع العلماء والموالي العظام والمشايخ الاتقياء الكرام وسائر أصناف الانام وبكوا عليه بكاء طويلا وأكثروا عليه عويلا وصلوا عليه وأمهم في صلاة الجنازة المفتي الاعظم مولانا أبو السعود أفندي عالم بلاد الاسلام ودفن في تربة أعدها لنفسه رحمه الله تعالى ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد طنانة سارت بها الركبان أعظمها وأحسنها قصيدة المفتي المذكور وهي طويلة حسنة حذفت بعضها رومًا للاختصار وذلك قوله رحمه الله تعالى

أصوت صاعقة أم نفخة الصور

فالارض قد ملئت من نقر ناقور

أصاب منها الورى دهياء داهية • وذاق منها البرايا صعقة الطور تهدمت بقعة الدنيا لوقعتها فتابعوا وانهد ما كان من دور ومن سور أمسى معالمها قاعًا صفصفة • ماقي المنازل من دار ومن دور تصعدت قال الاطواد وارتعدت كأنها قلب مرعوب ومذعور واغبر ناصية الخضراء وانكدرت • وكاد تمتلئ الغبراء بالمور في كئيب وملهوف ومن دنف عان بسلسلة الاحزان مأسور فباله من حديث موحش نكر • يعافه السمع مكروه ومنفور تاهت عقول الورى من هول وحشته فأصبحوا مثل مجنون ومسحور تقطعت قطعًا منه القلوب فلا • يكاد يوجد قلب غير مكسور أجفانهم سفن مشحونة بدم تجري بحر من العبرات مسجور أني يوجه نهار لاضياء له • كأنما غارة شنت بديجور أم ذاك نعي سليمان الزمان ومن

مصيبة أي مصيبة وذلك أنه لما وصل الى خليص قبض على بعض اللصوص من حرب فتشفع فيهم شيوخ حرب فأبى ان يطلقهم حتى يسمهم بالنار ليعرفوا من بين الناس فاحمى الحاديد وكواهم على الخدود وأطلقهم فصرخ صارخهم وتلاحقوا بعد اجتماعهم وأدركوه بموضع يقال له قوزة وأرسلوا له يقولون ان أردت السلامة فاجعل مقررات لمن جعلت في خدودهم العلامة فامتنع فصاحت الاعراب واجتمعت وحملت على الحج حملة واحدة فظهر عليه الذل والانكسار فقر ومعه تجريدة من الخيل ويحمل يطردها بالنهار والليل حتى دخل المدينة وترك الحاج في تلك الفجاج واستولى عليهم العربان فقتلوهم واستأصلوهم عن آخرهم ومنهم ولا رؤي ان حجا استؤصل الا هذا العام

•(ذكر التجهيز الثاني لقتال حرب سنة ١٢٠١)•

وفي سنة ألف ومائتين وواحد عزم مولانا الشريف على التجهيز لقتال قبائل حرب الا انه كتم الامر وأرسل في شهر جمادى الاولى لطلب القبائل من كل جهة فأقبلوا عليه فوجا بعد فوج وهو يبسط عليهم النفقات ويبذل لهم المال الكثير فلما حضروا أخبرهم انه يريد قبائل حرب ووقع ايام اجتماعهم قتال بين عتيبة وهذيل ولم يمسكوا عن القتال حتى ركب على هذيل بنفسه وفرقهم وأمرهم بالنزول على الجبال فأطاعوه وقتل من كل الطائفتين أناس لم يعلم عددهم ولما تكاملت الجنود خرج الى الزاهر مولانا الشريف يوم الثالث عشر من رجب وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات وكانت القبائل عددا كثيرا من جملتهم قبائل الشرق بلغ عددهم تسعة آلاف ومعهم مائتان من الخيل وتوجه منه يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور ولم يزل سائرا الى ان وصل الى مستورة فأرسل غزية على جبل صبح فعفوا وأتى أهل تلك الديرة ورجعوا وأما طائفة عتيبة فانهم كلما وصلوا بلدة رأيته دونه قبل وصول العسكر فأقام أياما على مستورة وأمر على عتيبة أن يتقدموا بعيدا عن الجيش بسويعات في محل مرتفع يقال له الحديبة وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة وكانوا نازلين بما يصعب على قتاله حتى وصلهم فانتظروه وطالت اقامتهم وانتظارهم اياه وظنوا انه لا يأتي حتى طالت المدة وفاتهم وخطر بالهم انه يدهموه في محله فظفروا به وبخزائنه فحركهم داعي البغي والهوى فأقبلوا من مواضعهم على عتيبة أولا لكونهم بعيدا عن بقية الجيش وأرادوا استئصالهم فلما رآهم من كل مكان فاقتتلوا معهم ومات من كل الفريقين من دنا أجله فعند ذلك صاح مستنجدهم بالشريف فنهض كما ينهض الاسد واستنجد الكماة من بني عمه السادة الاشراف وكل من معه في ذلك النادي من العسكر والبوادي وفرغ لهم الذهب الاصفر فرموا أنفسهم في الموت الاحمر فلما رأوا عيون القوم قال كل من قطع رأسا فله خمسة من المشخصة

مضت أوامره في كل مأمور   ومن ومن ملأ الدنيا مهابته • ومن حضرت كل جبار ونمرور   مدار سلطنة الدنيا ومن كرها
خليفة الله في الآفاق مذكور • ومحيي معالم دين الله مظهرها • في العالمين بسعي منه مشكور   وحسن رأي الى الخيرات منصرف
وصدق عزم على الإنفاق مقصور • بآية العدل والإحسان ممتثل • بغاية القسط والإنصاف موفور   مجاهد في سبيل الله مجتهد
مؤيد من جناب القادر منصور • بالهدي الى الأعداء منعطف • ومشرق على الكفار مشهور   وراية رفعت للمجد خافقة
تحوي على علم بالنصر منشور • ومسكر ملأ الآفاق محتشد • من كل قطر من الأقطار محشور   له وقائع في الآفاق شائعة
أخبارها أزرت في كل طامور • يا نفس مالك في الدنيا مخلفة • من بعد رحلته (٢٢٣) من هنا الدور   وكيف تمشين فوق الأرض غافلة

فتتابعوا القتال كأنهم نشطوا من عقال فلم يكن إلا كلمح البصر إلا والرؤوس بين يديه كالتلول وقتلوا فيهم القتل الشنيع فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذته الشفقة فقال الربط منهم أولى ونادى المربوط دون المقتول فعندما وقع عليه القول فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم ويأتون بهم كالغنم فربطوا ما ينوف عن الخمسمائة وهرب منهم من بقي أجله وكتب الله السلامة من الربط وبعد فراغ القتال جعل يستعرض المرابيط ويسألهم عن أعمالهم ومن أي القبائل هم ويأمر بوضعهم في الأغلال والسلاسل وجاءت البشائر الى مكة فزينت البلاد ونصبت أعلام النصر ودق الزير وبعد أيام جاءت المرابيط الى جدة في الزعائم مصفدين وكبكبوا في الحبس أجمعين ثم توجه مولانا الشريف الى الفرع وملكه بغير قتال وهرب أهله فحرق بعض الدور وقطع بعض النخل ثم جاؤه يرجعون اليه طالبين العفو والسماح فعفا عنهم ثم رجع الى مستورة ثم توجه الى بدر فلاقيه أهلها قابلين بالأمن فأعطاهم الأمان ثم ارتحل الى ينبع النخل ثم الى السويق وطلب أهله الأمان فأعطاهم ووقع هناك من بعض أتباعه مع بعض أهل السويق خصومة آلت الى القتال فلما علم بذلك كف أتباعه حتى جعل يضربهم بالسيف فسكن الأمر بعد أن قتل من الطرفين وقبض على سبعين من أهله لعصيانهم وأرسلهم في الحديد مصفدين ثم ارتحل الى بدر ومنها الى الجديدة فوجد أهلها متحصنين على رؤوس الجبال وقد جعلوا أردما بين جبلين صدروه كالسد لمنعه من العبور فأمر بهدمه وحرق بعض الدور وقبض على عشرين منهم وجعلهم في الحديد ثم أرسل بشيرا آخر الى مكة بهذا الفتح الجديد وطلب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي ليفوز بالزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وتوجه وكان دخول مولانا الشريف سرور المدينة في السابع عشر من شوال فتلقاه أهل المدينة بالتعظيم والإجلال وأقام هناك الى وصول الحج الشامي ولا تعرض أهل المدينة بنقض ولا حل ولا تولية ولا عزل ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم ودخل مكة في أوائل شهر ذي الحجة بمن معه من القوم ودخلت الجوخدار في ذي الحجة وحج الناس في أمن وسرور وورد في هذه السنة صدقة لأهل مكة من الهند وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص وصدقة أخرى من سلطان المغرب وصدقة ثالثة من محمد علي خان من الهند أيضا وفرقت جميع الصدقات وانتفع منها الكبير والصغير والغني والفقير

﴿ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنين فعزم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه بإقامة فرح عظيم فأمر بالتهيؤ والاستعداد لذلك فكان ابتداء ذلك الختان والفرح في اليوم العاشر من ربيع

أليس جمعا له في القبر محصور
حق على كل نفس أن تموت أسى
لكن ذلك أمر غير مقدور
فإن منايا مواقيت مقدرة
تأتي على قدر في اللوح مسطور
وليس في شأنها للناس من أثر
ومدخل لما بتقديم وتأخير
يا نفس [illegible] أسفا
فإن مطلوبة في [illegible] مقدور
إذا رب مأمورة المستحيل ولا
[illegible] محمود وميسور
ولا تظنيه قد مات بل هو دا
حي بنص من القرآن مزبور
له نعيم وأرزاق مقدرة
تجري عليه بوجه غير مشهور
إن المنايا وإن عمت بحرمة
على شهيد جليل الحال مبرور
مرابط في سبيل الله مقتحم
معارك الحتف بالرضوان مأجور

ما مات بل نال عيشا باقيا أبدا • عن عيش فان بكل الشر مغمور   ابتاع سلطنة العقبى بسلطنة الدنيا فأكرم بربح غير محصور
بل حاز كأنهما الأجل منزلة • عن لم يقايره في أمر ومأمور   أما ترى ملكه المحمي آل الى • من سر سري له في الدهر مشهور
ولي سلطنة الآفاق مالكها • براوه راعين اللطف منظور   ظل الإله ملاذ الخلق قاطبة • وملتجى كل مشهور ومقهور
وإنه عينه في كل مأثرة • وكل أمر عظيم الشأن مأثور   ولا امتياز ولا فرقان بينهما • وهل تميز بين الشمس والنور
مجدد ما بعد زادت مهابته • تحت الخلافة في عز ومنصور   هذا الجديدان في أيام دولته • سارا كأنهما مسك وكافور
أضحى بقبضته الدنيا بتمامها • ما كان من مجهول منها ومعمور   بدا بطاعته والناس في كرب • وهو وصال من الأحوال مشكور

فاصبحت صفحات الارض مشرقة • وعاد آكادها نورا على نور سبحان من ملأ جنات مفاخره • عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها و براع الواصفين لها • بحر تخيس الى منقار عصفور لا زالت احكامه بالعدل جارية • بين البرية حتى نفخة الصور

﴿فصل في بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان خان وخيراته وصدقاته الجارية الحسان في جميع البلدان سيما في بلد الله الحرام وبلد خاتم الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام﴾ (اعلم) ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات ونحو ذلك من أنواع الخيرات في كل الجهات التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان (٢٣٤) رحمه الله تعالى كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا يدخل تحت احاطة البيان ذكرها ولا يسعه هذا الكتاب لكان ذكرها جملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته في الحرمين الشريفين وغيرهما مما وصل الينا بالسماع والمشاهدة برأى العين فمن ذلك الصدقة الرومية التي هي الى الآن مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فانها وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام وأجداده الملوك الفخام الا أن المرحوم السلطان سليمان خان هو الذي زادها وضاعفها وأنماها وكثرها وقررها وأضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهي ترد وقتنا الحاضر في كل عام بدفتر محفوظ مضبوط وأمين وكانت تقسم في الحرمين الشريفين تجاه بيت الله المطهر الشريف وتقرأ الفواتح بالاخلاص ويكثر الضجيج من الفقراء والفقهاء والعلماء والصلحاء والدعاء بدوام سلطنة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه وأجداده من آل عثمان وتفرق عليهم حسب الدفتر الشريف السلطاني المرسوم بالشاب الشريف العثماني فيصرفون ذلك في قضاء ديونهم فان فضل فضلة صرفوها في حجهم وكساويهم وأنفقوها على عيالهم وأولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول في محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت ترد مرة في العمر أو عند وصول خليفة منهم الى الحج ما تحققنا مواظبة وصولها على هذا الوجه الذي شرحناه لاحد غير ملوك آل عثمان خلد الله سلطنتهم وهذه بركة جليلة ونعمة كبيرة جزيلة يفوزون بها على غيرهم فالله تعالى

الاول من العام المذكور وتم في ذلك الفرح ما لم يسبق مثله فالبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان ونثر من الذهب والفضة أعظم النثار وعرض عليه أهل الحارات فأنعم عليهم بالملابس والعطايا الجزيلة ومن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر والنوبة تضرب وعرض عليه السادة الاشراف فألبسهم الملابس الفاخرة وأعطاهم من العطايا ما تقربه العين وكذا احضر كثير من أهل البادية وعرضوا عليه وأنعم عليهم بالملابس والعطايا وأولم للسادة الاشراف والعلماء وأعيان الناس وليمة منتظمة وضع فيها أنفس المآكل وخيار الاطعمة ثم أولم لبقية الناس ولائم متعددة وأولم أيضا للعساكر وأتباعه وعبيده وأتباعه ثم أطلق في الولائم ولم يخص أحدا فما بقي أحد الا وحضر تلك الولائم واستمر هذا الفرح من عشرة من ربيع الى السابع والعشرين منه وفي السابع والعشرين أمر جميع عساكره وخيالته أن يحضروا بباب دولته وامارته وأمرهم أن يطوفوا بكافة البلاد في موكب عظيم وآلاى منتظم فخرجوا بأفخر الملابس ركبانا على الخيول المسومة مصطفين كل أربعة خلف أربعة مقدما امام الجيش سبعة من المدافع تسير معه ولم يبق أحد من أهل البلد الا خرج يوم الزينة ولما رجعوا الى داره العامرة ألبسهم الملابس الفاخرة ونثر عليهم من الدراهم ما أغنى به كل صعلوك وفي غرة ربيع الثاني عمل فرحا عظيما للنساء وصنع لهن وليمة ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء وخرج نساء البلد متفرجات وأكل من الوليمة من حضرها من بواديهم أو حضرها والمغنيات يغنين بأنواع الالحان كتغريد الطيور على الاغصان واستمر فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام وتم في هذا الختان ما لم يتم لغيره من السرور واذا تم أمر يخشى منه عواقب الامور كما هو مذكور في المثل المشهور

اذا تم أمر بدا نقصه • ترقب زوالا اذا قيل تم

فلم يمض مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح الا وتبدل السرور بالكدر

﴿ذكر مرض الشريف سرور﴾

فرض سيدنا الشريف سرور وحصل له اغماء غيبه عن الوجود فكتموا أمره عن الناس الى يوم الرابع عشر من ربيع الثاني فأغمي عليه اغماء شديدا ظنوا انه الموت فاعلنوا بالنحيب فاضطربت البلاد لعظم المشقة ووقع الجري في الاسواق والازقة ثم أفاق من ذلك الاغماء فاستبشر الناس واطمأنوا وعاش بعد ذلك أربعة أيام

﴿ذكر وفاة الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم انتقل من دار الفناء الى دار البقاء في اليوم الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ألف ومائتين واثنين

يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه أفضل الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام الخالد ذكر جميلهم في صفحات الايام أبقاهم الله تعالى الى يوم القيامة ● ومنها صدقة الحب وقد تقدم ان المرحوم سليم خان الاول أول من تصدق بارسال صدقة الحب الى أهل الحرمين الشريفين عند افتتاحه بلاد العرب وأخذه لاقاليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن المرحوم السلطان سليمان خان وكانت ترسل من أنبار الخاص بالسلطان وأوردها السلطان سليمان قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلالها وريعها لاهل الحرمين الشريفين وكتب لذلك كتاب وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالي وجعل من ريعها آلافا وخمسمائة اردب لاهل المدينة المنورة يحوزها في كل عام الناظر المسئول على ذلك ثم ضاعفها وجعل في كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف اردب ولاهل المدينة المنورة ألفي اردب واستمرت ترد كل عام وتوزع على أهل الحرمين حسب دفتر مقيد باحكام شريفة سلطانية وتذاكر تروية وتقريرات من القضاه ونظار الحرم الشريف واستقر الحال على ذلك واستمر الى أوانا هذا والى ما بعده ان شاء الله تعالى وهذا أيضا احسان عظيم ونفع جليل لانه مدار سبب المعاش أهل الحرمين الشريفين وبقوتهم ومادة حياتهم ومعيشتهم وأودهم وقوتهم فلو عدموه واحتاجوا اليه هلكوا والتجاوا من عدم قلوبهم مبتذول في الحرمين الشريفين بدوام دولة سلطان الزمان والترحم على آبائه الكرام واسلافه العظام وهذا الاحسان لم يعهد في زمن السلاطين السابقة ولا أيام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الا ما فعله السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بعدما حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فانه وقف على أهل المدينة ضياعا وقرى يصل ريعها الى الآن الى الحرمين الشريفين وللسلطان جقمق أيضا أوقاف يصل منها شيء دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت أوقافها الى الخراب وضعف ريعها جدا وأما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة آهلة يفيض منها الزوائد ويحصل منها النمو وعليها مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وأغناها وعمر من عمرها وزكى من زكاها ● ومنها صدقات الجوالي وهي جمع جالية ومعناه ما يؤخذ من أهل الذمة في مقابلة استقرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم

واثنتين وحزن عليه الخاص والعام والكبير والصغير وجهز وصلي عليه بعد الاشراق عند الكعبة ودفن بالمعلى بقبة السيدة خديجة رضي الله عنها رحمه الله رحمة واسعة وعمره نحو خمس واثنين سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وأعقب من الذكور عبد الله ويحيى وسعدا وحسنا وأحمد ومحمدا

﴿ذكر ولاية الشريف عبد المعين بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبد المعين وأقام بها أياما وقيل نصف يوم

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

ثم نزل عنها بلا حرب ولا قتال لاخيه سيدنا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي فاختاره الله لحماية هذا الحرم وجاءته الخلعة السلطانية في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من هذا العام وأدخلها مكة في موكب عظيم ولبسها بعد قراءة الفرمان السلطاني بالحطيم وأجرى ما هو معتاد من الملابس لارباب الرتب والمناصب وأمر بالزينة ثلاثة أيام

● (ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه) ●

وفي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة فارقه بعض اخوانه وخرجوا الى جبل وتوجهوا باتباعهم الى جبال هذيل فغابوا نحو ثمانية أيام وجمعوا بهذيل اليمن والشام وتوجهوا الى المضيق وتلك الجهات فخرج لقتالهم بمن عنده من العسكر والاتباع وأمده أمير الحج الشامي بنفر من العسكر والتقى الفريقان في تاسع عشر الشهر وحصل بينهم وبينه قتال أسفر عن انتصاره عليهم ثم توجهوا الى الطائف وتحاربوا مع وكيله بالطائف فهزمهم وتحصنوا وتحصن في المضيق ثم رفعوا الى بسل وأقاموا أياما ثم رجعوا الى مكة طالبين القتال فلما تحقق الخبر أمر بتجهيز العسكر وبرز بالابطح وجعل هو يخرج كل ليلة ويبيت في المعابدة ويرجع الى داره بمكة في الصباح وفي ثمانية من ربيع الاول سنة ثلاث بعد المائتين والالف جاءه المستفزع الى داره بسبب خروجهم وعبورهم ووصلوا الى الميدان فركب من فوره فوجدهم قد اقتتلوا مع عسكره وهزمهم العسكر قبل وصوله وبعد انهزامهم قصدوا وادي الزيماء ووادي لية ثم الاخيضر وأقاموا شهرا ويوما وفي نصف جمادى الاولى جاءهم عربان ثقيف وحاربوا الطائف وأخرجوا وكيل الشريف ومن معه ثم توجه الوكيل ومن معه الى مكة وأخبروا الشريف بأن اخوانه يجمعون له الجنود فارسل مولانا الشريف للعربان وجمعهم من كل مكان وفي اليوم التاسع عشر برز الى المعابدة بالبيارق والعساكر والاثبات عنده انه في غد يكون القتال سلم لكل واحد من العربان سبعة ريالات فوصله الخبر انه في غد يكونون في عرفة ثم مضى يومان وهم

مقيمون في نعمان ثم انهم واجهوا مولانا الشريف من الجنود ورجعوا الى الطائف

•(ذكر الصلح بين مولانا الشريف واخوانه)•

وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور أرسل مولانا الشريف غالب السيد ناصر بن منصور ونائب قاضي الشرع والمفاتي الاربع يتوسطون في الصلح بينه وبين اخوانه فوصلوا اليهم فقابلوهم بالاكرام والاجلال وعرضوا عليهم الصلح فقبلوه واشترطوا شروطا فقبلها مولانا الشريف فتمموا الامر على أحسن منوال ونزلوا جميعا الى مكة فخرج مولانا الشريف لملاقاتهم الى العابدية وقابلوه بها وباتوا ثم دخلوا مكة في الاثنين أعظم وتمام الحمد على ذلك

•(ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن أحمد خان سنة ١٢٠٣)•

وفي هذا العام كانت وفاة مولانا السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد خان بن محمد بن ابراهيم وجلس بعده على تخت السلطنة ابن أخيه مولانا السلطان سليم بن السلطان مصطفى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم

•(ذكر قتل الخطيب)•

وفي شهر رجب وقعت حادثة بمكة وهي ان يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام المرشدي فتعرض له عبد المنير بالقرب قبل الصلاة وضربه بسكين فقطع بها أمعاءه فكانت هي القاضية ووقع في المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام ان المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام وحمل الخطيب وزال الالتباس وتقدم خطيب آخر فخطب وصلى بالناس وأمر مولانا الشريف بصلب ذلك القاتل فصلب وفي شهر شعبان حصل اختلاف بين والي جدة عزة محمد باشا ووزير مولانا الشريف الماس رمضان فأغلق الباشا الترسانة والقبان وقلد قاضي الشرع بها السيد فضل القاضي بنزل الفرضة لجمع العشور ويضبط ما يحصل من المال ويعرف ما يخص الباشا وما يخص مولانا الشريف غالبا ثم عزل مولانا الشريف الوزير الماس رمضان لانه السبب في هذه الفتنة الحاصلة بين مولانا الشريف ووالي جدة وجيء به الى مكة وسجن مقيدا بالحديد

•(ذكر الفتنة بين الشريف غالب والشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)•

وفي خمس وعشرين من جمادى الاولى من سنة أربع بعد المائتين والالف حبس مولانا الشريف يحيى بن سرور وكان مقيدا لاخيه المرحوم الشريف سرور فاطلع مولانا الشريف غالب على أشياء صدرت منه تكون سببا للفتنة بينه وبين أولاد أخيه الشريف سرور فقبض على يحيى المذكور وحبسه في حبس تحت الارض في بيت رتعات الفروجي وأقام فيه برهة من الزمن ثم هدم بالوغة المطهر وهرب منها وتوارى في بيت أولاد المرحوم الشريف سرور وكان ذلك داعيا للفتنة والشرور ولم

عنها وهي من أجل الاموال ان أخذت على وجهها المشروع ولا يحل ما لها جعلت وظائف العلماء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شيء قليل في أيام الجراكسة لبعض المشايخ فلما كانت سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نور الله تعالى مرقده وحفه بالرحمة والرضوان أخرجها من خزائنه العامرة بالتدريج الى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين الى ان استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرا أخرجه من خزائنه الشريفة وذلك من جوالي مصر وبعدها غير جوالي الشام وحلب وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما صرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من تحصول الممالك في سائر ممالكهم المحروسة وغير ما صرف ملوك بني عثمان من ريع أوقافهم وزوائدها وغير ما يخرجون من خزائنهم العامرة في وجوه الخيرات واستمرار هذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام الكرام الخلفاء في زمن من الازمان في دولة الا آل دور سلطان وانتقضت الى في هذه الدولة الشريفة الباهرة والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة الى ان تنقضي الدنيا وتقوم الآخرة ومن خيراته الدارة اجراء العيون ومن أعظمها اجراء عين عرفات الى مكة المشرفة وسبب ذلك ان العين التي كانت جارية بمكة هي عين حنين وهي من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد وامها أمة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ويقول أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من أجل الخيرات ولها مآثر عظيمة الى الآن ومنها اجراء عين حنين الى مكة المشرفة وصرفت عليها خزائن أموال الى أن جرت الى مكة المشرفة وهي واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات وصفها الله تعالى بأنها واد غير ذي زرع فنقبت أم جعفر زبيدة الجبال الى أن ساقت الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وانفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الاموال وكانت في قصر عال مطل على الدجلة فأخذت الدفاتر ورمتها في بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه وألبستهم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين

بعلم

يعلم له مولانا الشريف غالب بمكان وتطلبه فلم يجده ثم أن السيد يحيى سالوح الشريف عبد الله بن سرور على طلب شرافة مكة وهو صغير عمره اثنتا عشرة سنة وتكفل له بالاعانة فأرسل لترده من العبيد نحو الخمسمائة ورموا بالبنادق من المسجد على بيت مولانا الشريف غالب ثم ولوا مدبرين وترسوا بيت الوزير ريحان وبيت القطبي وما حوله من البيوت وثبت الشريف في داره فوقع الحرب من البيوت بين الطرفين واستمر الى أربعة أيام وليال وانقطعت الناس عن السير في طرقات البلاد وانقطعت الصلوات الخمس والطرائق فلما ظهر وانهزموا أخذوا ... وخرج أولاد الشريف سرور مع أخيهم الشريف عبد الله وتوجهوا الى العابدية وخرج معهم يحيى سالوح وعبيد أبيهم وجملة من الاشراف وجملة من البادية كانوا مختفين ببيوتهم فأخرج اليهم رتبه (٢) حاصروهم في بيت العابدية فخرجوا الى البلاد وتوجهوا الى بلاد هذيل وجمعوا جموعا وأقبلوا على مكة

(ذكر القتال بينه وبين الشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)

فخرج مولانا الشريف بمن معه من العساكر والجنود الى بركة الماجل وحصل بينهم وبينه قتال نحو ساعات ثم انهزموا ورجعوا الى رهيمات ورجع مولانا الشريف الى مكة ثم جاء الخبر انهم رجعوا الى العابدية فأرسل مولانا الشريف اليهم سرية أمر عليها أخاه الشريف عبد المعين ومعه مائة من الخيل وكثير من العساكر ثم اتبعه بجند آخر أمر عليه أخاه السيد عبد العزيز ففر القوم الذين بالعابدية حين علموا بخروج الجند اليهم وتوجهوا الى جبال هذيل ثم الى الطائف وأما بنو ثقيف فحاربوا الوكيل وملكوا الطائف ثم توجهوا الى رهاط فجمعوا بعض القبائل ثم أقبلوا هم وقبائل ثقيف فخرج مولانا الشريف لقتالهم بالابطح ووقعت ملحمة عظيمة ثم انهزموا وانقبض مولانا الشريف باليد على السيد عبد الله بن سرور وأخيه محمد بعد ذلك الجمع فحبسهما أياما ثم أطلقهما وأرسلهما الى أمهاتهم واستقر الامر وهرب يحيى سالوح الى ديار حرب ثم الى المدينة ثم الى دمشق وزور عروضا للدولة تتضمن طلب الملك للسيد عبد الله بن سرور وذهب بها الى الابواب السلطانية فلم يصادف قبولا ثم عاد الى مصر وبقي بها الى ان مات وفي شهر المحرم من سنة خمس بعد المائتين والالف غزا مولانا الشريف الاشراف ذوي حسن سكان الشاقة لانهم كانوا يقطعون طريق اليمن فصبحهم وأخذوا مواشيهم وقتل منهم

(ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم عما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥)

وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب في عقيدته التي كفروا بها المسلمين وينبغي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمرهم

وبقي لها هذا الاثر العظيم في العالمين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلى عليين وكانت هذه العين ترد الى مكة وينتفع بها الناس ومنبع هذه العين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة من جبال التيه (٢) من طريق الطائف وكان يجري الماء الى أرض يقال لها حنين ليسقي به نخيل ومزارع مملوكة لناس والى الآن تسمى جريان هذا الماء وكان يسمى حائط حنين يعني بستان حنين وهو موضع غزاة النبي صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين وخبرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت زبيدة هذا الحائط وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت له القناة في الجبال وجعلت فيه الفساقي في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الامطار وجعلت فيه قناة متصلة الى مجرى هذه العين فيحصل اذا انها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل فسقية عينا يساعد عين حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقي وعين ثقبة والبازيان وكل مياه هذه العيون تنصب جميعها في ذيل عين حنين ويزيد بعضها وينقص بحسب الامطار الواقعة على أماكن هذه العيون أو على جميعها الى أن وصلت على هذه الصورة الى مكة المشرفة ثم انها أمرت باجراء عين وادي نعمان الى عرفة وهي عين منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ ذاهب جدا أعلاه أرض الطائف مستوية تصب سيول مائه الى أسفله الى أعلاه من جهة فيه آرزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته ويتصب من ذيل جبال كرا في قناة الى موضع يقال له الاوجر من وادي نعمان ويجري منه الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات وقد أولع شعراء العرب بذكر عرفات وغزلات في وادي نعمان وفيه يقول القائل أيا جبلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها (وبعده) فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على كبد حرى تجلت همومها فعملت القنوات الى أن سرى ماء عين نعمان الى أرض عرفة ثم أديرت القناة بجبل الرحمة محل الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرق الى البرك التي في أرض عرفات فتفتح ماء يشرب منه الحاج في يوم عرفة ثم استمر عمل القناة الى أن خرجت من أرض عرفات الى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار الذاهب من عرفات ويقال له طريق ضب بالضاد المعجمة المفتوحة والالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة

ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث • ثم تصل منها الى مزدلفة ثم تصل الى جبل خلف منى في قبليها ثم تنصب الى بئر عظيمة مطوية باحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة اليها ينتهي عمل هذه القناة وهي من الابنية المهولة مما يتوهم انه من بناء الجن • ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الامطار وتهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا بلغهم ذلك أرسلوا وعمروها عند انتظام سلطنتهم على هذا المنوال فمن عمرها صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كك كوكبوري بن علي في سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكوكبوري معناه بالتركي الذئب الازرق وكان كثير الخير والاحسان وله ترجمة واسعة في وفيات الاعيان لقاضي القضاة أحمد بن خلكان رحمهما الله تعالى ذكر له أوصافا كريمة ومكارم عظيمة

ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من جزيل الخيرات ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور في سنة خمس وستمائة • ثم عمرها بعد ذلك أمير المؤمنين المستنصر بالله العباسي في سنة خمس وعشرين وستمائة ثم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم في سنة أربع وثلاثين وستمائة كما وجدت ذلك مكتوبا في نصب حجارة مبنية في قرب الموقف الشريف بعرفات • ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين في أيام السلطان أبي سعيد خدابنده في سنة ست وعشرين وسبعمائة واجرى عين حنين الى مكة وعم نفعها لاهل مكة فانهم كانوا في جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله بذلك رحم الله تعالى أهل الخير • ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن جد ساداتنا أشراف مكة الآن أبقاهم الله تعالى وأدام عزهم وسعادتهم مدى الزمان وكان من أهل الخير والاحسان أجزل الله ثوابه في الجنان وكان تعميره لها في سنة احدى عشرة وثمانمائة فجرت وانفجرت ونفعت وأبهجت وكثر الدعاء له من أهل البلاد والحجاج والعباد تقبل الله منهم صالح أعمالهم • ثم انقطعت ولقي الناس لذلك شدة شديدة الى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة هكذا ذكره الفاسي القاضي رحمه الله تعالى • ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة السلطان الملك الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى عمر عين عرفات وأجراها الى أرض عرفات وعمر عين حنين الى أن جرت الى مكة وعمر عين خليص وحصل بها

وحقيقة حالهم فانهم قوم من أجلاف القرن التي ظهرت في الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائغة بنجد وقراها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه أهلها وسيأتي ذكر شيء من عقيدته التي حمل الناس عليها ومازال يطيعه على هذا الامر كثير من أحياء العرب حي بعد حي حتى قوي أمره فخافته البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتسع له الملك وكانوا في مبدا أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم رامواحج البيت الحرام وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فارسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن في الحج ولو بقرر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في المشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك فامر مولانا الشريف مسعود ان يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هي مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع ان يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم في السلاسل والاغلال فسجن منهم جانبا وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أمرهم واستكبروا أي عن هذا المقصد وتأخروا حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا في مدته يستأذنون في الحج فابى وامتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة وأبى أن يقر لهم في حج البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم في الحج بعد ان ثبت عند العلماء انهم كفار كما ثبت في دولة الشريف مسعود فلما ان ولي الشريف سرور أرسلوا أيضا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فاجابهم بانكم ان أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة مثل ما آخذ من الاعجام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول فعلا

الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك وباحساناته وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى أجره ومثوباته وذلك عمارة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة ثم عمرت عين حنين آخر دولة الجراكسة السلاطين قانصوه الغوري رحمه الله تعالى في عام ست عشرة وتسعمائة على يد الامير خير بك المعمار رحمه الله تعالى الى أن جرت وملأت برك الحجاج والمعلاة ثم جرت الى بازان ثم الى بركة ماجن في درب اليمن من أسفل وارتفق الناس بذلك ثم انقطعت في أوائل الدولة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية وبطلت العيون وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من آبار يقال لها العسيلات في علو مكة قريب من المعلا ومن آبار في أسفل مكة من مكان يقال له الزاهر ويسمى الآن الجوخي في طريق التنعيم وكان الماء غاليا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الاماكن البعيدة وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون شيأ غير الماء لعزته ولا يطلبون الزاد وربما طلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة فيحصلون أمر الامن تلك الاماكن البعيدة أيضا فانه تعسر الماء جدا في يوم عرفة وكنت يومئذ من أعضاء خدمة والدي رحمه الله تعالى وفرغ الماء الذي كان حملناه من مكة الى عرفات وعطش أهلنا فطلبت قليلا من الماء للشرب فاشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان بأصبعه بدينار ذهب والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء بدل حلوتهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا بباقيه على بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشنا عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم وحصل البكاء الشديد والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل بها من الالطاف العظيم من كرم الله العميم وأرجو به كرم الكريم وأتيقن انه الغفور الرحيم الذي أنزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية العثمانية باصلاح عين

فصار يغزو عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات الى أن انقضى ما قضى الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان مؤسسها محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعد من المنظرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبعة وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بدا هلاك الخبيث) فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادا أخذوا

٦٤ ١١٤٣ (أعني سنة ١٢٠٧)

منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولاده هم عبد الله وحسن وحسين وعلي وكان عبد الله الاكبر فقام بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا في أمرهم قتله ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر وأما حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولي قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا تحكموا فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد ابن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا علي بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين ولم يزل نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية وهم أولاد الشيخ وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد بن سعود ولما مات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد بن عبد الوهاب في ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح مختصر بافضل في مذهب الشافعي وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندي من أكابر علماء الحنفية بالمدينة وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الالحاد والضلال ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه وكذا والده عبد الوهاب فانه كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي وأضرابهم فكأنه كان يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لاظهرها وكان يسمي جماعته من أهل بلده الانصار ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين واذا اتبعه أحد وكان قد حج حجة الاسلام يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض واذا أراد

حين وانه لاح عين عرفات وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده في عمارتها واصلح قناتها الى أن جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من بركة ماجن واصلح عين عرفات واجراها الى أن صارت تملأ البرك بعرفات وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ويدعون لمن كان سببا لاجراء هذه الخيرات • ثم اشترى ناظر العين عبيدا سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن السلطنة الشريفة ورسم خدمة العين ولاخراج آثارها من الدبول والقنوات وهذه خدمتهم دائما وصاروا يتوالدون وهم باقون الى الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة • ثم توجه مصطفى ناظر العين الى الابواب السلطانية السليمانية وعرض (٢٣٠) في أمر العين أشق الاتعاب عرضها فأجيب في كل ما سأل فيه وعاد مجبورا الى مصر ثم ركب من بندر السويس الى مكة فغرق في بحر القلزم شهيدا وما غرق الا في رحمة الله تعالى وما مات بل هو حي عند الله تعالى • وكانت وفاته الى رحمة الله تعالى في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة واستمرت عين حنين جارية الى مكة لكنها تقل تارة وتكثر أخرى بحسب قلة الامطار وكثرتها واستمرت عين عرفات تجري من نعمان الى عرفات الى أن صارت عرفات بساتين وغرس بها الغروس وصارت مرجة خضراء تجلى كالعروس الى أن قلت الامطار وبست العيون وترحت الآبار في سنين متعددة من سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها وكانت سنوات تقارب سني يوسف شدادا عجافا وانقطعت العيون الا عين عرفات فانها لم تنقطع الا أنها قل جريانها في تلك السنوات (ولما عرضت) أحوال العيون صحيفه الى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية التفت الخاطر السليماني العاطر السلطاني وتوجه العطف الشريف السليماني الى تدارك ذلك بأي وجه يكون وأمر بالفحص عن أحوال العيون وكيف يمكن جريانها الى بلد الله الامين المأمون فاجتمع المرحوم عبد الباقي بن علي المغربي قاضي مكة يومئذ والامير خير الدين خضر شيخ جدة المعمورة حينئذ وغيرهما من الاعيان وتفحصوا وداروا وتأملوا واستشاروا فأجمع رأيهم على أن أقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة ودولابها من بئر زبيدة الى مكة مبنية أيضا وانها مخفية تحت الارض وانما تحتاج الى الكشف عنها والحفر الى أن تظهر لا زبيدة فلما تبين الدول من عرفة الى بئرها

أحد أن يدخل في دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان ويسمي له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهدوا قبلهم والا أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من أتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الفاسقين وكان يتنقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها انه يقول انه طارش وهو في لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين بمعنى انه صلى الله عليه وسلم حامل كتب مرسلة معه أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير أو غيره في أمر لاناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وانما هو طارش ومضى قال بعض العلماء ان ذلك كفر في المذاهب الاربعة بل هو كفر عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى بسماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنارة بعد الاذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل اثما ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر ويلبس على أصحابه وأتباعه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد فما أفظع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها وأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيئا من القرآن حتى صار الذي لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ اقرأ لي شيئا من القرآن وأنا أفسره لك واذا قرأ له شيئا يفسره وأمرهم أن يعملوا بما يفهمونه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء وتحيل في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخاري في

المشهور بخاف منى الذى جميعها ظاهر على وجه الارض والباقى أيضا من ذلك المحل الى مكة مبنى أيضا الا أنه خاف تحت الارض
واستغنى عنها بعين حنين وتركت هذه وتشعثت وطمت وغفل عنها هكذا طورا وخفوا ثم انهم تتبعوا عين عرفات من أولها من الاوجر
الى نعمان ثم الى عرفة ثم الى المزدلفة ثم الى منى بيده وأصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقى وعمروا ما وجدوا وانتهوا منه فما
ورمموا الباقى احتاجوا الى ثلاثين ألف دينار ذهبا أو ذرعوه وقاسوه فكان من الاوجر الى بطن مكة خمسا وأربعين ألف ذراع بذراع
البناء الآن وهو أكبر من الذراع الشرعى بقدر ربعه وهذا الذى تحصلوه من وجود بقية الدبل تحت الارض لم يوجد فى كتب التاريخ
وانما أداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك الى الباب الشريف فى أوائل سنة تسع وستين
وتسعمائة فلما وصل علم ذلك الى المسامع الشريفة السلطانية السليمانية انبعثت صاحبة الخيرات الكاملة المخدرات تاج المصونات ملكة الملكات قدسية الملكات عالية الذات صفية الصفات ذات العلا والسعادات ﴿حضرة خاتم سلطان﴾ كريمة حضرة السلطان الاعظم سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أن يأذن لها فى عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة هذا الخير أولا أم جعفر زبيدة العباسية فناسب أن تكون هى صاحبة هذا الخير فأذن لها فى ذلك فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالى فيمن يصلح لهذه الخدمة واتفقت آراؤهم الشريفة أن هذه الخدمة لا يقوم بها الا دفتردار ديوان مصر
الامير الكبير المعظم فائض الجود والفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعلم والعلم ﴿الامير ابراهيم بن تغرى بردى﴾
المهندار ثم الدفتردار بمصر بوأه الله جنات تجرى من تحتها الانهار وسقاه من حوض الكوثر زلالا باردا يطفئ كل أوام وأوار
وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفتردارية وأمر بالتفتيش عليه عن أيام دفترداريته فعفى من التفتيش وأعطته السلطانة خمسين
ألف دينار ذهب على ما اختاره لم يصرفها فى عمل هذه العين فتوجه من مصر الى مكة المشرفة بتجمل عظيم وبرك كثير وترتيب يعجز عنه
كبار البكلربكية وكان ذا همة عالية واقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة وحذاقة وفطانة وكان بينى
وبينه سابقة اجتماع وما رأيت أحدا من الامراء والوزراء والبكلربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم أجمل نظاما ولا أحسن ترتيبا

صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى
الكفار فجعلوها فى المؤمنين وفى رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخارى انه صلى الله عليه وسلم
قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه فهذا وما قبله صادق على
ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومما يدعيه محمد بن عبد الوهاب انه أتى بدين جديد كما يظهر من أقواله
وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن مع أنه انما قبله ظاهرا
فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق
أهواءهم لا بحسب ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه
لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة
والتابعين والائمة المجتهدين ولا بما استنبطه الائمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا
القياس الصحيح وكان يدعى الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضى الله عنه كذبا وتسترا وزورا
والامام أحمد برئ منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا فى الرد
عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه ومن أعجب من
ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا
بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء
والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به
شيطانه وهواه وكان أصحابه لا ينتحلون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون
ظاهرا بمذهب الامام أحمد رضى الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد
الصلاة ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدعوته عبد العزيز بن
سعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا
أكبر يستباح به الدم والمال وكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية
واجماع الائمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلى أجمعت عليه الامة
وكان يقول فى كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشئ وتارة يتستر ويقول ان الائمة على حق
ويقدح فى أتباعهم من العلماء الذين ألفوا فى المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا
وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهم جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة
رسوله لا نعمل الا بهما ولا نقتدى بقول مصرى وشامى وهندى يعنى بذلك أكابر علماء الحنابلة
وغيرهم ممن لهم تأليف فى الرد عليه واحتجوا فى الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضى الله عنه

انتظاما ولا أدق فكرا ولا أعلى همة ولا أصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبوأه الفردوس
الاعلى وأرضى عنه خصماءه يوم القيامة وكان وصوله الى بندر جدة في يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع
وستين وتسعمائة فتوجهت الى ملاقاته لسابق احسانه الي فرأيته نزل بوطاقه من خارج جدة من الجهة الشامية فقابلني بالاجلال
والاكرام وركب من جدة الى سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي نجم الدنيا والدين محمد أبي نمي خلد الله سعادته وأبد دولته
وسيادته وكان يومئذ نازلا في مر الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم ومد له سماطا عظيما ولاطفه
وواكله وأكرمه ولاطفه وباره (٢٣٢) ثم عرض على حضرته الشريفة ما جاء بصدده فقوبل بامتثال الامر الشريف
السلطاني وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم الشريف السلطاني وانه يقوم بذلك بنفسه وولده وأتباعه وخدمه ثم ركب من عند دخوله الى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أبو نمي صاحب مكة أدام الله عزه وسعادته وضاعف نصره وتأييده وسيادته وأمده بالاجلال والاكرام وقابله بالترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كل الاقبال وتعاملا بغاية الأدب والاجلال واستمر معه الى أن فارقه من باب السلام فدخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى بين الصفا والمروة وعاد الى مخيمه بأجياد وهو المحل الذي عين لنزوله
ومد له من قبل السيد حسن مد الله تعالى ظلال سعادته سماط عظيم جليل كبير جلس عليه وأكل الله
منه هو وخواصه وأذن لأهل الرباط والفقراء والفقهاء وعامة الناس فأكلوا وحملوا وفضل شيء أمر بتفريقه على الفقراء وألبس
الذي مد السماط قفطانا من السراسر الى المال وأعطاه ذهبا كثيرا ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين
وكبير البلدين المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء الاعلام سيد السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد القاضي
حسين الحسني أدام الله عزه واقباله وخلد سعادته ودولته واجلاله ففرح به الامير ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم ثم عرض عليه
أموره وأحواله واستشاره في سائر ما بدا له من أحواله فأشار عليه بالآراء الصائبة وأعلمه بما ينبغي رعايته ومراعاته وما

وكان يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة ومن توسل بالنبي فقد كفر وكان
أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه
وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل أنت جعلتها
ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد
ابن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة في رمضان فقال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي آخر ليلة يعتق
مثل ما أعتق في الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين
يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك فبهت الذي كفر ولما طال النزاع بينه
وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها
له فلم ينته وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطو بهم ما تقول اذا أخبرك رجل
صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني
فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثرا ولا أحدا منهم جاء تلك
الارض أصلا أتصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له ان جميع
المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك
فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل فقال له حتى
مشايخي ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل
فعمن أخذته فقال وحي الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصورا فيك فكل أحد يمكنه ان يدعي
وحي الالهام الذي تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه
وجهين ولم يذكر ان فاعله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فانهم قائلون بصحة التوسل
به صلى الله عليه وسلم فلا وجه لك في التكفير أصلا فقال محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس
فلم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان
النبي صلى الله عليه وسلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك وان استسقاء عمر
بالعباس انما كان لاعلام الناس صحة التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تحتج باستسقاء
عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق فالتوسل
بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة
التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبهت وتحير وبقي على عماوته ومن قبائحه الشنيعة انه منع
الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروا النبي صلى

يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ﴿وأول ما بدأ به الامير ابراهيم﴾ تنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها واخراج ترابها وزيادة حفرها لكثرة مائها وحصل للناس بذلك رفق كثير وشرع في جمع ما يحتاج اليه في عمله وتوجه للكشف عنه الى أعلا عرفات وكثر تردده اليها وتفطنه لمجاريها ومناقبها ومشاربها ومساربها والفحص عن أحوالها الى أن وصل الركب المصري وكان أمير الحاج يومئذ افتخار الامراء الكرام عثمان بك بن بكار بكي اليمن بكار بكي الحبشة أزدمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بكار بكي الحبشة بعد وفاة والده وصار بكار بكي اليمن وأظهر اليد البيضاء في افتتاح مدينة تعز ثم صار بكار بكي الحسا ثم البصرة ثم ورد آمد وهو من ابكار بكية الكرماء العظماء المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة أبقاه الله تعالى يوصل الى مكة فاتفق في ذلك الموسم مع الركب الشامي وهو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء الاماثل مولانا فضيل أفندي ابن مولانا علي جلبي المفتي الحنفي وهو من أجلاء العلماء العظام له التصانيف الحسنة المقبولة وهو الآن أوزاق في الباب العالي أدام الله تعالى ظلال افضاله وأفاض على الطلاب سحائب فضله ونواله وجمع الناس بجمعه هنيئة وجمع الامير ابراهيم ورجع جميع وفاد الحاج الى أوطانهم فائزين بالغفران والقبول حائزين لكل مطلوب ومأمول وتوجه الامير ابراهيم الى الكشف عن دخول عين عرفات وضرب أوطاقه في الاوج من أودية نعمان في عالي عرفات وشرع في حفرها وتنظيف دولابها وكانت عائلة جدا وكانت مما تركه الفاعلون في خدمته نحو

أربعمائة مملوك في غاية الجمال والرشاقة والحذاقة واللياقة وأقامهم في هذا العمل من الاوج الى مزدلفة وكتب نحو ألف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين وجلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام وحلب واسطنبول ومن بلاد اليمن طوائف بعد طوائف من المهندسين وخدام العيون والآبار والحدادين والبنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم وأتى بآلات العمارة وصحبها معه من مصر من مكاتل ومساح وأحجار بقر وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وغير ذلك من الهمة القوية والاقدام التام والاهتمام وعين لكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف مجاريها من الدبول الظاهرة بها بسعيه واجتهاده وكان يظن انه يفرغ من هذا العمل الذي بصدده فيما دون العام ويرجع الى الابواب

الله عليه وسلم وبلغه خبرهم فلما رجعوا أمر واليه في الدرعية فأمر بحلق لحاهم ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحساء وبلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق المدينة والمسلمين يبقى جماعته يتخلفون معه والحاصل انه لبس على الاغبياء ببعض الاشياء التي توهمهم باقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي باقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال اتباعه ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستمائة سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودماءهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليه في كتب مبسوطة عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقوله صلى الله عليه وسلم ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها فممن ألف في الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق فانه ألف كتابا في الرد عليه سماه تهكم المقلدين بمدعي تجديد الدين ورد عليه في كل مسئلة من مسائله التي ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات كتبها وأرسلها اليه فعجز عن الجواب عن أولها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب وما فيها من المجمل والمفصل وما فيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي والعقلي وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وأين موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها من ايجاز قصر وايجاز حذف وما فيها من احتراس وتتميم بين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من

السلطانية لينال المناصب العالية ويظفر بالمراتب السامية ويأبى الله الا ما أراد وما كل ما يتمنى المريد يدركه من المراد وألسنة الأقدار تناديه من وراء الحجاب كيف الخلاص والى أين الذهاب واستمر على هذا الجد والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى المحل الذي انتهى عملها اليه ولم يوجد بعد ذيل ولا آثار عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم أن الخطب كبير والعمل كثير فتحقق أن القدر الباقي من هذا العمل لا يتم لأن زبيدة اخذت ذراعا غير الذراع وعدلت منه الى عين حنين وتركت العمل من عند البئر لصلابة الحجر وصعوبة امكان قطعه وطول مسافة ما يجب قطعه وانه يحتاج من بئر زبيدة الى ذيل منقور تحت الارض في الحجر الصوان طوله ألفا ذراع وعدة ذراع البنائين حتى يتصل بذيل عين حنين ويصب فيه ويصل الى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الحجر وانه يحتاج في النزول الى خمسين ذراعا في العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظا لناموس السلطنة الشريفة فلما وجد الامير ابراهيم حيلة غير ان يحفر وجه الارض الى أن يصل الى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الارض والنار لا تعمل الا اعلاه ولكونها تعمل علا يسيرا من جانب الثقل مقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بالحديد الى أن يوصل الى الحجر الصلب الشديد ثم يوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى الى أن يصل في ذلك الحجر مقدار خمسين في العمق في عرض خمسة أذرع الى أن يستوفي ألفي ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال فيهم قارون وصبر أيوب وما رأى عن ذلك محيصا فأقدم عليه الى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة وغلا سعره وضاق الناس بذلك وتعب الامير ابراهيم لذلك وذهبت أمواله وخدامه وأولاده ومماليكه على ذلك الى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر الى أن صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهبا من الخزائن العامرة السلطانية وغرق له مركب كان فيه باقي تجملاته وخزائنه ونقوده وفيه جملة من عبيده وأسبابه وكان يقول عن مائة ألف ذهب في ابتداء أمره ثم مات له ولد طفل نجيب كان خلفه بمصر احترق عليه كثيرا

وجوه الانكار ومن طرق الصدق التي اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه في كتب العلماء علم بعقد وعقد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه الله خيرا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الاحاديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث كانت من الاخبار بالغيب وتلك الاحاديث صحيحة بعضها في الصحيحين وبعضها في غيرهما فمنها قوله صلى الله عليه وسلم الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه يعني موضع الوتر سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان في أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفي قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه ولا يتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك فالحديث صريح

ومات له ولدان من أعيان نجيبان فاضلان أخذا بمجامع قلبه وفتتا كبده ثم مات كتخداه وكان بمنزلة أمراء الصناجق ثم مات أكثر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها الى أن ذهبت قواه وما بقي رمقه ولا دماه وترفعه الاسهال ورمته الأهوال وجاءه الأجل الذي لا يتقدم وان أجل الله اذا جاء لا يؤخر فمات مغفورا له شهيدا ومضى الى ربه وحيدا فريدا في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جدا وأسف الناس على فقده لكثرة احسانه ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الابطح في تربة كان أعدها لنفسه ودفن فيها والديه وخلف طفلا وحملا وبنتا من أهل الخير كثيرة الصلاح والعبادة كان ذكر لي أن مولده سنة اثنين وعشرين وتسعمائة رضي الله تعالى عنه وأرضى عنه خصماءه وآمنه يوم الفزع الأكبر وسقاه من حوض الكوثر * ثم أقيم بعده في هذه الخدمة سنجق جدة الأمير قاسم بك بأمر من سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وأمره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية فبرز الأمر الشريف السلطاني باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أمينا على مصارفها وأن يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين السيد القاضي حسين الحسيني خلد الله تعالى ظلال سيادته وأبد قيام سعادته ناظرا على ما بقي من عمل عين عرفات الى أن تصل الى مكة المشرفة فاستمر الأمير قاسم مباشرا العمل في هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال وبعض عناد وما أراد مولانا شيخ الاسلام معارضته فتركه على رأيه وما أراد الله أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فكان ثالث الأميرين السابقين فطرقه الأجل وأدركه الحين وفاز برتبة الشهادة وصار من شهداء العين وانتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية قرير العين في ليلة خامس من رجب المرجب الفرد الأصب سنة ست وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة الى جانب الأمير محمد بك الدفتردار المتوفى قبله أمين العين المزبورة واستوقفت العين بثلاثة من الأمراء الصناجق سقاهم الله تعالى شرابا طهورا وكان بهم برا رحيما غفورا * ثم توجه سيدنا ومولانا

فيهم وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول لا يحتاج التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه واقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه وجددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ لك ان تأمر بحلق رؤوس النساء لأن شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذي كفر ولم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما قال وقوله صلى الله عليه وسلم حين أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء في رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب وجاء في بعض الروايات وبها يعني نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك وفي بعض التواريخ بعد ذكره بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وجاء في بعض الأحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب الا دخلته تصل الى جميع العرب قتلاها في النار واللسان فيها أشد من وقع السيف وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعني يعمى بصائر الناس فيها فلا يرون مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدي عبد الله بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى بجلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام من جملة الأحاديث التي ذكرها في الكتاب المذكور حديثا مرويا عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور وفي الكتاب الذي مر ذكره وأصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل انه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من

شيخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسني مد الله تعالى ظلال افضاله وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله توجها تاما الى تكميل مابقي من عمل عين عرفات باعتبار ما يبدو من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة في الاقطار والجهات وجد في الاهتمام وعرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضي حسين المشار اليه خدمة تامة فأقدم بهمته العلية أتم اقدام الى اكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام فساعدته السعادة والاقبال على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك فيما دون خمسة أشهر بعد ان عجز عن اتمامه الامراء المذكورون قريبا من عشرة أعوام وهلكت نفوسهم (٢٣٤) وأموالهم وتبددامهم وما ظفروا بما المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ● فجرت عين عرفات وانفجرت ينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجري في تلك الدول والقنوات الى أن دخل مكة لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة وكان ذلك اليوم عيدا أكبر عند الناس وزال بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وباس وعمل في ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار اليه أعطية عظيمة في الابطح بستانه العظيم الأفيح وجمع بين الاكابر والاعيان في ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوان وذبح أكثر من مائة من الغنم ونحر عدة من الابل والنعم وقدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد والنعم وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعا فاخرة وأحسن الى باقيهم بالانعامات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين وأنعم على الكبراء والاساطين شكرا لهذه النعمة ذلك الجزيلة وحمدا على هذه المنة الجليلة حيث أنعم الله بها على عباده وأحيا وأخصب منها شيء بلاده وكان يوما مشهودا وساعة سعيدة وزمانا محمودا ● ثم جهز أخبار هذه البشائر العظمى وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى الى الباب الشريف العالي السلطاني الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم السلطان سليم خان سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان من حوض الكوثر في أعلى غرفات الجنان والى سرادقات ذات الحجاب الرفيع والستر السابغ المسبول المنيع صاحبة الخيرات ملكة الملكات بلقيس الزمان حضرة خاصكي سلطان أدام الله تعالى ظلال عفتها وعصمتها وأسبغ أستار رفعتها وعظمتها فأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية

الذين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد فكان هذا الخارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان واديهم لا يزال وادي فتن الى آخر الدهر ولا يزال الدين في بلية من كذابهم الى يوم القيامة وفي رواية ويل لليمامة ويل لا فراق له وفي حديث ذكره في مشكاة المصابيح سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله في بني تميم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قال السيد علوي الحداد المذكور آنفا ان الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شيء كثير ويكفيك ان أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وان الطاغية ابن عبد الوهاب من تميم وان رئيس الفرقة الباغية عبد العزيز من وائل وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت في مبتدا الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا أقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة قال السيد علوي الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فاخبرني انه الف كتابا في الرد على هذه الطائفة سماه الانتصار للاولياء الابرار وقال لي لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي في قلبه وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخاري يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه قال السيد علوي الحداد وأما ما نقل عن العلامة الحفظي ساكن الحجاز انه استصوب بعض أفعال النجدي من جمعه البلد وعلى انه لا مورك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو غلط حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته وتكفيره الامة من ستمائة سنة واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهاره التجسيم للباري سبحانه وتعالى وعقده الدروس لذلك وتنقيصه للرسل عليهم الصلاة والسلام وللاولياء ونبشه قبورهم وأمر في الاحساء ان تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والاذكار ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعطي بعض الاغبياء الطغام بدعوات النبوة ويفهمهم

بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجليلة على سائر المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه حضرته الشريفة ترقيات عظيمة فصارت مدرسة السلطانية السليمانية عالية عثمانية وما عهد ذلك لاحد من الموالي العظام في مدارسهم وجهزت اليه أنواعا من الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجزيل منه وانه دخل في جملة خواص السلطنة الشريفة المشمولين بنظرعواطفها المنيفة وانعاماتها الجزيلة الوريفة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على ممر الليالي والايام والاعمال الصالحات الباقيات التي لا يفنيها تكرر السنين والاعوام وما عند الله من تضاعيف الاجر والثواب فهو خير وأبقى عند أولي الالباب ﴿ومن آثار المرحوم السلطان سليمان خان بمكة المشرفة المدارس الاربعة السليمانية﴾ وسبب ذلك ان الامير ابراهيم أمير امراء عين عرفات أسكنه الله من الجنة الغرفات عرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمانية وأنهى الى الاعتاب العلية الخاقانية ان المناسب لذلك أن الشريف السلطاني وقدره العلي السامي السليماني أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويتفقهون بوظائفها ويكون سببا لاحياء علم الشريعة ويسطر ثواب ذلك في صحائف السلطنة الشريفة فأجابه السلطان سليمان المرحوم الى ذلك وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعين لهذه الخدمة الامير قاسم أمير جدة المذكور آنفا وان يبادر الى عمل ذلك في أحسن الاماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الغربي من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصوري ومدرسة لصاحب كبالة السلطان أحمد شاه سلطان كبرات من أقاليم الهند وكان من أصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلف هذا التاريخ والبيمارستان المنصوري وأوقاف المؤيد للسلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بسيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد حسن صاحب مكة المشرفة أدام الله عزه واقباله ورباطا يقال له رباط الطاهر فاستبدل

ذلك من فحوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح في مجالسه وخطبه بكفر المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه ويمنع من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من الاموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله بدعة ثم قال السيد علوي الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتنقيصهم تعمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة اهـ ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويضل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان قرين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة فصار يتنقل في قرى نجد من قرية الى قرية ويلقي اليهم تلك العقائد شيئا فشيئا من زخرفة الالفاظ مظهرا لهم انه يريد التوحيد الصحيح والتبري من الشرك فيصدقه الجاهلون ويتبعه لتلبيسه الغافلون ومازال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فلما رآه أهل الدرعية وظن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم ان الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على أتقياء الامة وكان من تبعه وقبل منه كل ما يقول محمد بن سعود أمير الدرعية واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأثبت في قلوبهم ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب فيهم كالنبي في أمته لا يتركون شيئا مما يقوله ولا يفعلون شيئا الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويجلونه غاية التجليل ومازال يطيعه حتى يدعي من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا جزيرة العرب واذا أراد أن يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فيجيب به العربان ويلبي دعوته من كل مكان ويحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشيء واذا نهبوا شيئا من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أينما يسير لا يستطيعون مخالفته في نقير ولا قطمير واذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها

الجمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناه الخواجا بخشي القرماني ولم تتم وقفيته فباعه ورثته فاشترى بجهة السلطنة
الشريفة وجعل بدلا عن مدرسة الكتانية واستبدل برباط الظاهر رباط آخر بسويقة أحسن وأمكن فيه ووقف موضعه بدلا
عنه ﴿وأما الدول الى لسيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه ودولته
فقيد مواجيها السلطنة الشريفة واستبدلت أوقاف المؤيد بضياع قرى في الشام اختارها ذرية المؤيد الموقوف عليهم وكتب
مستنداتها وحججها وشرع الامير قاسم في هدمها وطلب العلماء والصلحاء والأشراف ووضعوا الأساس فتقدم قاضي مكة المشرفة
يومئذ قدوة العلماء الأعالي وصفوة العلماء الموالي مولانا شمس الملة والدين أحمد بن أحمد بن محمد بن ملك النشاخي
عظم الله تعالى شانه ورفع
قدره ومكانه ووضع بيده
الشريفة الأساس وتبعه
من حضر من العلماء
والسادات وأعيان الناس
ووضع كل واحد منهم حجرا
في ذلك الأساس وكان يوما
مشهودا مباركا مسعودا
وذلك ليلة الخامس من
رجب المرجب سنة اثنتين
وسبعين وتسعمائة وكان
عمق الأساس عشرة أذرع
وعرضه أربعة أذرع
بذراع العمل ووضع فيه
أحجارا كبارا جدا وأحكموا
الأساس احكاما قويا
واستمر قاسم بك في بذل
الجد والاجتهاد مشدود
الوسط كأنه بعض العمال
يجري بنفسه من أول
العمل الى آخره بقوة
وجلادة من غير دعة فهم
ولا فتور طبع مع الحلاقة
وامتطوا الاستبداد بالرأي
وعدم المشاورة وعدم
الاصغاء الى رأي أحد فأتم
بناء المدارس الاربع في
غاية الاحكام في بعض الجدارات من غير تمين وعمل بها أدنة عالية أحسن فيها ووقف فوق المدرسة وحل
ولدور ابوابها الخشبات عتيقات واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام
وكتب قاسم بك بعض طرازها بخط ردي مخطط وبعضه بخط رائق فائق لكونه أميا لا يعرف الكتابة ولا يصغي الى كلام أحد وصارت
الاحكام تتوارد اليه بالاستعجال والاهتمام وهو يستعجل في الاتمام وعين المرحوم سليمان عليه الرحمة والرضوان وظائف
المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا في كل يوم وعين للمعيد أربعة عثامنة في كل يوم
ولكل مدرس خمسة عشر طالبا لكل طالب عثمانيين وللفراش كذلك وللبواب نصف ذلك يجهزها في كل عام ناظر الاوقاف السلطانية

واقترب وسلط الأمير على ما بعدها حتى تبدد شملها فملك أولا الشرق بأكمله ثم اقليم الحساء
والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا أخذه من الشمال ثم رجع الى الجنوب
فملك الحرار بأسرها ثم الجيوف ذوات النخيل وملك الحربية والفرع وجهينة ثم ملك جميع ما بين
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين
الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا
القبائل التي حول مكة ثم دخل مكة بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب رحمه
الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان عجز مولانا الشريف غالب عن حربه
ولم يبق أحد الا صار من حزبه فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين
حين جهزت الدولة العلية عليه عساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد علي باشا
صاحب مصر فأتاه بجيوش من العساكر المنصورة فطهر الارض منه ومن أتباعه ثم جهز ابنه
ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأفنى وأباد من بقي
منهم وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتي مكة المفتي
عبد الملك القلعي لما سأله مولانا الشريف غالب هل أرختم خروجهم فقال قطع دابر الخوارج

١٧٩ ٢٠٧ ٨٤١
١٢٢٧

﴿لطيفة﴾ كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير يسمى
الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد من مساجد تلك البلدة فاتفق ان
اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال
أحد الرجلين لا بد ان يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما
كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا ثم ذهبا في غد يصليان صلاة الصبح خلف الشيخ
عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فيما اختلفا فيه
فلما صليا خلفه قرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون
وسيأتي ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف غالب له

(ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية)

ولكن ينبغي أولا ان نذكر الشبهات التي تمسكوا بها في اضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل
ما تمسكوا به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين فمن شبهاتهم التي تمسكوا بها زعمهم ان الناس
مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم
قبره صلى الله عليه وسلم ونداءهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة وزعموا ان ذلك كله اشراك

بالشام مع الركب الشامي الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ولم تكمل المدارس الاربع الا في دولة السلطان الاعظم مالك الممالك التركية والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان فأتم بالمدرسة المالكية السليمانية وهي رأس المدارس الاربع وعلى سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالي العظام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين الحسني أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مدرسة عثمانية عثمانية وأنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا في أواسط جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتي (٢٣٩) الاعظم مولانا أبي السعود العمادي بوأه الله غرفات الجنان وأنزل عليه شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان وقرأت في الدرس الثاني الطب ودرسا في الحديث وأصوله والى الآن أدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكامل بن الهمام الذي كملها العلامة عالم الاعلام وهامة فضلاء الموالي العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدان المنطوق والمفهوم حائز قصبات السبق في حلبة علمائها وفريد دهره في التدقيق والاتقان ووحيد عصره في التحقيق والايقان صاحب التصانيف الفائقة التي سارت بها الركبان وتداولتها العلماء في سائر البلدان الكريم الحسن المحسن الى غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضي زاده أفندي قاضي العسكر بولاية أناطولي أظهر الله على قلمه ما خفي ودق عن الافهام وأفاض من زلال ألفاظه العذبة ما يروي أكباد العلماء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن الهمام وقلد أعناق مذهب النعمان قلائد درر تسق النظام ومد لطلاب العلم الشريف موائد فوائد تدوم بها لهم على طريق الشام وأورد فيه من خاصية طبعه الشريف فلا تتأتى الا في تصرف من بنات أفكاره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولا شك ان ذلك فيض من الله الكريم أفاض به من خزائن جوده العميم فشكر الله سعيه الجميل وأثابه على ذلك مزيد الاجر والثواب الجزيل ونفع بتأليفه سائر طلبة العلم الشريف وأبقى في صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد أحسن الي في أيام صدارته وربائي لدى الحضرة السلطانية فرقاني السلطان الاعظم

وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين قال محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين ما اعتقدوا في الاصنام انها تخلق شيئا بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون انهم عبيد لله مخلوقون ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا انهم يخلقون شيئا ولا انهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة واعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي

والخاقان الاكرم السلطان مراد خان خلد الله سلطنته مدى الزمان فصارت مدرستي بهمته بستين عثمانيا جزاه الله تعالى عني أفضل الجزاء وأسبغ عليه من خزائن فضله وكرمه واسع الخير والعطاء • وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيا ودرس فيها كتب فقه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطه السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وغمره في بحر الرحمة والاحسان • وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد بن حنبل فعدل عنه الى علم الحديث الشريف (٢٤٠) وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ بها الصحاح الستة فرحم الله السلطان سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات أعلا غرفات الجنان والنظر الى وجه الله الكريم في أعلى مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا الذي ذكرناه بعض ما فعله من الحسنات ولو أردنا استيفاء ما فعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات قصدنا الى ما أثبتناه في هذه الورقات وكأنما سرنا الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات

﴿الباب التاسع في دولة السلطان الاعظم الخاقان الملك الاكرم الافخم العثماني صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمباني السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران وسقاه بروائح الروح والريحان﴾ كان مولده الشريف في سنة تسع من وعشرين وتسعمائة وجلوسه الكريم على تخت ملكه الشريف بالقسطنطينية العظمى في يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة ومدة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنه حين تسلطن ست وأربعون سنة وعمره كله ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة أيام من جلوسه على التخت الشريف توجه الى سكتوار وحفظ العساكر الاسلامية المجاهدين في سبيل الله في حصار بلاد الكفر مشغولين بفريضة الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار مسرعا حثيثا الى أن وصل ركابه الشريف السلطاني الى سمرد نديقال له سرم فلاقته عروض الوزير الاعظم آصف الزمان ﴿محمد باشا أنعش الله بوجوده الوجود انعاشا﴾ تتضمن هجوم

أوقعهم في الشرك فلما قيمت عليهم الحجة بأنها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب واتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذا علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب واتباعه فيما صنعوه ولو كان شئ مما صنعه المؤمنون من التوسل اشراكا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل صريح لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضي الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به

﴿ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة﴾

وقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير وذكره أيضا كثير من الائمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة رواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم الى آخر ما تقدم في رواية ابن السني ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله بحق السائلين عليك فهذا توسل صدر منه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف

الشتاء وتيسر فتح قلعة بلكتوار وقمع مردة الكفرة الفجار والتمس الاذن الشريف للعسكر المنصور الخاقاني بالعود الى الاوطان واستقر الركاب الشريف السلطاني بذلك المكان الى ان وصل مع بقية الوزراء وأركان الدولة الى ان الركاب الشريف السلطاني والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقاني وبعد ذلك يعودون في الخدمة الشريفة الخاقانية الى مقر التخت الشريف السلطاني بالقسطنطينية العظمى وأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار اليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل واستقر رأيه الى ان ورد حضرة الوزير الاعظم المشار اليه حضرته العلية وباقي الوزراء من أركان الدولة الشريفة السلطانية وقبلوا الركاب السلطاني وهنؤه بالملك الشريف الخاقاني وعادوا في خدمة السلطنة الشريفة الى اسطنبول غاية الامن والامن والبشر والقبول عند الوصول وعند الوصول الى باب السراية السلطانية حصل من رعاع العسكر وجوانهم حول مدافعة وممانعة عن الدخول الى السراية الشريفة وطلبوا الدخول عند شيخ الاسلام الذي الى سوء أدب من بعض جهالهم فقال المرحوم المفتي الاعظم رئيس العلماء الاعلام وكبير حكام البوابين العظام من لا ما أنوابه الهادي ثبت الله تعالى خلاله في الخلق وأفاض عليه سحائب الاجر والثواب والفضل والمنة فوعظ العسكر وألان لهم الكلام والتزم لهم عن الدخول وعطاياهم العظام فلانوا بعد القسوة واستغفروا من تلك الهفوة وعدوا من شكر الجهالة واعتذروا بعد الضلالة ودخل

 حضرة السلطان الاعظم الى سراية الشريف وجلس على تخته العالي المنيف ووفى للعسكر بما التزم لهم به حضرة الفقيه الاعظم وأفاض احسانه عليهم وأنعم واصرف في ذلك خزائن عظيمة لا تحصى ووزع عليهم من العسجد والورق ما لا يحصى ولا يستقصى وأمر بقتل بعض من كان سببا لهذه الهوجاء من السفهاء وسكنت الفتنة ولله الحمد على جزيل النعماء ولله الشكر على جميع الآلاء ولله الحمد في الآخرة والاولى ودخل عليه العلماء العظام للتهنئة بالملك والتحية والسلام ثم أركان الدولة على قوانينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم الاجلال والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن والاطمئنان وتمام حسن النظام * ثم جهزت البشائر السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية بالخلع الشريفة الخاقانية

من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في فعاد وقد أبصر وفي رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط وخرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكر الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير ففي هذا الحديث التوسل والنداء وابن عبد الوهاب يمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعاء استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة وكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي

يحصل لنواب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور وتمام البشر والحبور بانتظام الامور ووصلت التهنئة من ملوك الاطراف بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت الغيون واستقرت الخواطر والظنون وكان سلطانا كريما رؤفا بالرعية رحيما عفوا عن الجرائم حليما محبا للعلماء والصلحاء محسنا الى المشايخ والفقراء كان احسانه يصل الى فقراء الحرمين وهو شاه زاده مدة تصرفه في تشاريقه وكان يبعث كل عام الى العلماء والفقهاء وكان يصل الي احسانه وكسوته في كل سنة وبعد أن ولي السلطنة الشريفة لم ينقطع عادة احسانه واستمر يصل الي ذلك في كل عام بحيث أضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة على حكمه السابق الى الآن فهو الملك الهمام المحسن المنعام الفائض الاحسان والانعام طالما خافت بكعبه الآمال وصابح بأوامره الليالي والايام فأثمرت وغرس في رياض السعادة غروس أشجار العبادة فبسقت وأثمرت وكم سرت عساكره أرجاء البلاد فشيدت معاهد الخراب وعمرت ودمرت سياسته أركان الظلم فخربت ديار الظالمين ودمرت وكم أظهرت سواد الكفر وصارمه البيضاء آية للناظرين وكم جهزت جيوش العساكر في سبيل الله فقطع دابر القوم الكافرين • فمن أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس بسيف الجهاد ومنها فتح تونس الغرب وحلق الوادي • ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة البغاة أهل الالحاد ومن خيراته تصدقه بصدقة الحب وارساله مدة سلطنته الى الحرمين الشريفين ومنها الامر ببناء المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما الى غير ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة الكريمة فلنذكرها وذكره بطريق الاجمال الضيق المجال ﴿فتح قبرس﴾ فاعلم ايها السامع لا بالصلاح كالعادة فيه العوام جزيرة في البحر قال الفقيه العدل المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري في كتابه الروض المعطار في أخبار الاقطار قبرس جزيرة على البحر الشامي كبيرة القطر مقدارها مسيرة ستة عشر يوما بها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواش وبها معدن الزاج القبرسي ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام يومان في البحر وقبرس على ممر الايام وخطؤها شامل وخيرها كامل وكان معاوية غزاها وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا العهد عليه فغزاها ثانية فقتل وسبى شيأ كثيرا • وروى انه لما

الله ثم جاءه البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كانت لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي لا للشك في الرؤيا وانما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث في اليقظة فانه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتيانه لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ونداؤه له وطلبه ان يستسقي لامته دليل على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها قال بعض المفسرين في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هي توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي باسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب انك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح

افتتحت قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم بكى أبو الدرداء وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه تجري على خديه فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره فبينما هي قوة ظاهرة وقدرة قاهرة على الناس إذ تركوا أمره فصاروا إلى ما ترى من السبي والإهانة وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم وليلة وأعمر مدن جزيرة قبرس بوفن كان بها ملك يسمى قابوس كان يعظمه الكفار ويعظمون لأجله جزيرة قبرس وأهل مدينة قبرس موصوفون بالغنى واليسار وبها معادن الصفر ويجمع فيها اللاذن الحسن الرائحة الذي يغلب الورد في طيبه يجمع

منه على الشجر خاصة وكان يحمل إلى جميع الأقطار لطيبه لأنه أفضله وما يجمع منه مما يتساقط على وجه الأرض يبيعونه للناس وكانت أم حرام بنت ملحان الصحابية رضي الله عنها شهدت غزوة قبرس فتوفيت بها وأهل قبرس يزورون قبرها ويقولون هو قبر المرأة الصالحة وكانت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لها الله عز وجل أن يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر غزاة في سبيل الله فدعا لها وهو حديث معروف وكان الأوزاعي يقول إنا نرى هؤلاء يعني أهل قبرس أهل عهد وأن صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم وأنه لا يسعهم نقضه إلا بأمر يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن صالح في حدث أحدثوه أن ذلك نقض لعهدهم فكتب إلى عدة من الفقهاء يشاورهم في أمره منهم الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأبو إسحق الفزاري ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد بما ظهر له قالوا وانتهى خراج قبرس الذي يؤدونه إلى المسلمين بعد المائتين من الهجرة إلى أربعة آلاف ألف وسبعمائة ألف وسبعة وأربعين ألفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار . قلت وقد تقدم ما يفيد أنها فتحت في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الأشرف برسباي الدقماق وأسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة فكان أهل قبرس في أيام الدولة الشريفة العثمانية مهادنين يدفعون إلى الخزانة العامرة السلطانية ما كان مقررا عليهم غير أنهم أخذوا في المكر والخداع وإظهار الإطاعة والوفاق وإخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق في البحر على المسلمين وإذا أخذوا سفينة من سفائن المسلمين

وذكره الإمام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الأنام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكره كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد بإسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الإمام مالك ونسب له كراهة استقبال القبر فنسبة الكراهة إلى الإمام مالك مردودة ولما استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني أن عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالأحياء أو بالأموات وقول من منع ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم لأن فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الإمام أحمد أيضا وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه وأدر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما كان الحق معه حيث كان وهذان الحديثان من جملة الأدلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة لأن عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءته الخلافة له ونازعه غيره قاتله ومن الأدلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه حجة على جوازه قوله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن

فلما جميع من كان فرواية في تلك السفينة لاختفاء ما فعلوه وصاروا يأوون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى
ان كثر اذاهم وعم ضررهم. واستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتي الاسلام مولانا أبي السعود أفندي العمادي
رحمه الله تعالى فأفتاه بأنهم غدروا ونقضوا العهد وان قتالهم جائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان
سليم جيشا كثيفا وعسكرا منصورا واختار لهم من الروم عمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردارا الجميع حضرة الوزير
المعظم والمشير المفخم نظام العالم مدبر مصالح جماهير الامم قائد جيوش الموحدين قاهر جيوش الكفار والملحدين اعتضاد الملوك
والسلاطين المخصوص بعناية رب العالمين ﴿ حضرة مصطفى باشا اللالا ﴾ زاده الله عزا واجلالا وسعادة
وسعادة واقبالا وأيده
النصر المبين والفتح
القريب اسعادا واجلالا
فامتثل الامر الشريف
السلطاني وزحف وقا
بالنصر الصمداني والعون
الرباني ومعه عسكر
جرار من كل بطل مغوار
ملأ وجه الارض برا وبحرا
كأنهم قطعة نار مضطرمة
أو أشد من آساد سلكوا
فتحركوا وملكوا زايا
محذرا من الاعداء
ففككوا وفككوا ودمرت
طبول النصر فكانت
كفتح النصر وانتشرت
العساكر المنصورة
مؤذنة بيوم الحشر والبعث
والنشور وتوجه حضرة
الوزير مظفرا مؤيدا
منصورا وسعى الى جهاد
الكفار وكان سعيه
مشكورا وطوى المراحل
والمنازل وهو يطوي
الارض طيا ويفري
بسيف عزمه أديم المهامه
والمناهل فريا الى ان
وصل ركابه العالي ومن معه من الجيش المنصور المتوالي الى جزيرة قبرس فاحاطت بقلاعها احاطة الخاتم في
بالاصبع وفرق الجنود على حصونها اذ كانت من كل حصن أحكم وأمنع وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقلاعها وأحكموا
خنادقها وأوعروا مسالكها سهلها وجبلها فارتجت بوصول تلك العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها وتزلزلت
جبالها ورمالها وأسفالها وبقاعها . وكان من أحكم الحصون المشيدة ثلاث قلاع في غاية العلو والارتفاع ونهاية القوة
والمنعة والامتناع شامخة البنيان راسخة الاركان . وأقواها قلعة ماغوسا لا يعاق عليها من الطيور الا النسران ولا يوازن
أبراجها من بروج السماء الا الميزان تلامس في العلو والشهوق نجوم الثريا والعيوق وتوازي بناء الاهرام في الاتقان والاحكام

مالك رضي الله عنه وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه
وسلم ليبين للناس ان الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم جائز ومشروع لا حرج فيه لان
الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس انه لا يجوز
الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر رضي الله عنه الجواز ولو استسقى بالنبي صلى
الله عليه وسلم لادى ذلك انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن يقال انما استسقى
بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان العباس حي والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات لان
الاستسقاء انما يكون بالحي لان هذا القول باطل مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلى
الله عليه وسلم بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف وكما في حديث بلال بن
الحرث المتقدم وكما في توسل آدم ورواه عمر رضي الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد
وفاته وقد روي التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره فتلخص من هذا انه يصح
التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من
الاخيار كما فعله عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما
تقدم وانما خص عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله عنه
كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه قال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعباس رضي
الله عنهما دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي
الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم فانه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما تأخر الاجابة
لانها معلقة بارادة الله ومشيئته فلو تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف
الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا تأخرت
الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة والاضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة
التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين
والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا
خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا
للنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق

بل تزيد عليها وتفوق لا تبالي بضرب المكاحل والمدافع ولا يوهنها قرع المقارع والمقامع مشحونة بآلات الحرب من جميع الانواع مملوءة بالمقاتلة وأهل القراع محشوة بأجلاف النصارى الابطال أهل الصيال والصراع وفيهم من الرماة من يرمي على الحدق ويصور فلا يخطي من الدرع الحلق وعندهم المياه وافرة والاقوات والزرع والبساتين ومن دونهم خنادق عريضة نازلة الى تخوم الارض محمية بالمدافع الكبار ترمي من أعلى القلاع الى من يقرب منها بالليل والنهار فاحاطت العساكر المنصورة السلطانية بتلك القلاع والحصون وناوشوهم القتال وأذاقوهم كؤوس ريب المنون وقاتلهم المسلمون بالليل والنهار ورماهم الموحدون برمي المدافع الكبار بالاصائل والابكار فكاد النهار أن ينقلب ليلا بدخان البارود والبارق والليل ان ينقلب نهارا ببوارق قناديل البنادق الصواعق فحاصرهم المجاهدون في سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فهدمت دورهم وهدمت قصورهم فصارت بيوتهم قبورهم وكسرت ظهورهم وافتتحت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم قلعتان وبقيت القلعة وهي ماغوسا وفيها سلطانهم محصور وكل محصور ومأخوذ مأسور فثبت وأظهر الجلد وكابد في محاصرته أنواع النكد الى أن وهنت قواه وذابت كبده وحشاه واضطر الى طلب الامان والتذلل لحضرة الوزير الرفيع الشان فشملته عناية حضرة الوزير الرفيع الشان المعظم المكين وأعطاه الامان وشرط عليه أن يطلق من عنده من أسارى المسلمين ويدوس البساط السلطاني ليتم له التأمين ويحصل له التطمين فوافق على ذلك وأطلق الاسرى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبرا وقسرا فاخبر بعض الاسرى أنه خان بعد انعقاد الامان وقتل جماعة من المسلمين وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم حضرة الوزير المعظم أن ملكهم قد خان طلبه بين يديه وأهانه غاية الهوان وركبه على خشبة السرج وأمره أن يمشي قدامه كسائر الغلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده وأخذ أمواله وذخائره وقتل من أراد واستأسر واسترق من أراد وصارت قبرص دار الاسلام وأضيفت الى سائر الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم واصابة آرائه وتدبيره الصائب الاتم وما بقي تفصيل ما وقع في هذه الغزوة وما أمكنني تحقيقها وأوردت كثيرا افرادها بالتأليف

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيأ وليس لهم تأثير في شيء وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات ونحن نقول الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وهؤلاء سبب عادي في ذلك لا تأثير لهم وذلك مثل السبب العادي فانه لا تأثير له وحياة الانبياء في قبورهم ثابتة بأدلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والاولياء وليس هذا محل بسط الكلام عليها وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يتوسعون في الكلام ويأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون أن العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا تقصد بالتوسل الا التبرك ولو أسندوا للاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الادب في التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازي مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني وهذا الدواء أو الطبيب نفعني فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي فان الطعام لا يشبع والمشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادي لا تأثير له وكذا ما بعده فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشيء لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء

وذكر ما وقع فيها لم أظفر بذلك فإن أظفرني الله تعالى بالاطلاع على أكثر مما ذكرته ههنا أجعل له تاريخاً مستقلاً وأسبغ الجمال على ذلك المقال كما يليق بالمقال إن شاء الله تعالى (وأما فتح بلاد اليمن) فإن أقاليم اليمن من صنعاء إلى عدن كانت داخلة في الممالك الخاقانية العثمانية في أيام دولة المرحوم السلطان الأعظم سليمان خان أسكنه الله تعالى فردوس الجنان وحف روضته المطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان أول فتحها الخاقاني على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكلربكي مصر لما توجه إلى الهند لمنع الفرنج الفرتقال في سنة خمس وأربعين وتسعمائة وأقام بكلربكياً واستمر كذلك في تصرف البكلربكي الذي يولى من الباب الشريف السلطاني يتولاها واحداً بعد واحد إلى أن صارت مملكة اليمن واسعة يمكن أن يولى في أعلاها في الجبال من أعلاها إلى تعز بكلربكي ويولى في التهائم وعدن وزبيد وسائر السواحل والبنادر بكلربكي آخر وكان هذا عين الخطأ فإن ذلك مظنة الاختلاف والجدال كما قال الله الكبير المتعال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فقبل عرضه في الباب العالي قصداً إلى تكثير المناصب وتعديد البكلربكية فولي على اليمن وجبالها المرحوم مراد باشا وكان يقال له أوزدمر مراد الأشل كان بإحدى يديه وكان خرج من خدمة السراية السلطانية وكان من أمراء السناجق وصار أمير الحاج الشامي ثم ولي سنجق غزة ثم أعطي نصف مملكة اليمن وولي جهة التهائم حسن باشا وهو أيضاً من المماليك السلطانية من السراية السلطانية فانقسمت عساكرها وأموالها وحصولها إلى نصفين وضعف أمر كل واحد وكان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدي بعقله وسوابقه في له نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة في خاطره فصادف انقسام المملكة وصول وفاة المرحوم السلطان سليمان خان فأظهر العصيان هو ولفيفه من العربان وجهز أميراً من أمرائه يقال له علي بن شويع يجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على مراد باشا في محطة ذمار وهو غافل عن عصيانهم وكان قاصداً من تعز إلى صنعاء وهي محصورة بالعربان الزيديين فصدموا على الخيل وخلوا من الطعام بالكلية وكلما أرسل من طائفته من يأتيه بالغلال والميرة قطعوا عليه الطريق وقتلوه فلما زاد به هذا الأمر وفطن بعصيان العربان رجع مراد باشا إلى تعز ووصل إلى وادي خبان وهو محل وعر بين جبلين عاليين في غاية الوعورة والصعوبة

الماضي في كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة وصح صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله حراماً ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً وكل ذلك باطل لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على الحرام أو الإشراك لأن من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادراً منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام أو الإشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة بل قال بعضهم إنه حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس فالأولى بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سد الذريعة ومنع الألفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغي أن يكون التوسل بالأدعية وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام كأن يقول المتوسل اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء قبله وعبادك الصالحين أن تفعل بي كذا وكذا لا أنهم يمنعون التوسل مطلقاً ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير إلا لله وحده لا شريك له ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فإن الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضاً كأن ينادوه باسمه وقياساً على ذلك لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء والصالحين الأشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وإن كان الطلب من الله على سبيل أنه المؤثر بالإيجاد ومن غيره على سبيل التسبب والتكسب لكنه ربما أوهم تأثير غير الله تعالى فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الإيهام والجواب أن هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقاً ولا يقتضي منع الطلب إذا صدر من موحد فإنه يحمل على المجاز العقلي بقرينة صدوره من موحد فلا وجه لكونه حراماً أو شركاً فلو قالوا إنه خلاف الأدب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه أن يكون بالأدب والاحتراز عن الألفاظ الموهمة لكان له وجه والمنع مطلقاً لا وجه له ومن الأدلة الدالة على صحة التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفا حيث قال روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق قال العلامة المراغي وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة

عسير السالك كثير المهالك فلما توسطوا بين هذين الجبلين وقد امتلأ سفلهما كالجراد المنتشر رموهم بالاحجار والصخور الكبار والصغار وأطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون في ذلك الماء وقد ازدحموا على محل الخروج وهو مكان ضيق سدته الجمال والاحمال وليس لهم منعة ولا لهم نجاة ولا لخيلهم قوة ولا قدرة على الجولان فاستمر القتل وقتل منهم من دنا أجله وخرج مراد باشا ومعه عشرون نفسا قد سلبتهم العربان وتركوا كل واحد منهم عريانا في لباس وسار بعضهم مكشوف الرأس وأتى مسجدا يقال له مضرح وعيون الماء التي تسرح اليه ونطعم فوصل اليهم شيخ مضرح وكان له ثأر قديم عند الاروام كان أصابه باشا سلب أيام الفتح عدن فصاح واثاراه وقتل مراد باشا وأرسل

رأسه الى مطهر وقيد الامراء وقدمهم الى مطهر فلم يقتلهم بل سجنهم في مطامير تحت الارض ومات بعضهم من الضيق واستهلك وخلص من له بقية عمر بعد ذلك واستمر أمر المطهر يأخذ بلاد جبال اليمن الى أن أخذوا صنعاء وأقروا [illegible] وعدن ونكروا عن آخر [illegible] الله بالاولياء والصالحين [illegible] قدس الله [illegible] الارواح [illegible] بالامام [illegible] لاهل زبيد ومعه [illegible] لكل زبيد ووصل لاخذها علي بن شويع ومعه فوق خمسين ألف مقاتل وحط خارج زبيد فخرج اليه بقية العسكر السلطاني وهم نحو ستمائة فارس وبرزوا للقتال هذا الجم الغفير وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وحملوا على علي بن شويع وقد ألقوا بأنفسهم الى التهلكة فولت فئته وهرب هاربا وسقط من فرسه في هروبه ولحقه جماعة من الاسباهية أرادوا قتله فلحقه عبد من عبيده بفرس فركب وهرب ونجا بنفسه لاجل [illegible] الله وسمع من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمى عليهم من غير أن يرى شخص فنصر الله المؤمنين على أولئك الملحدين في الدين وقتل منهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى وغنمت العساكر خيولهم وأثقالهم وأموالهم وولوا على أدبارهم أجمعين ولم يقدموا بعد ذلك على زبيد كانما عليها حصن من حديد من عند الله العزيز الحميد فلما أحاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاختلال في اليمن برزت الاوامر السلطانية الشريفة الى بكلربكي مصر يومئذ الوزير المعظم نظام العالم صاحب السيف والقلم مدبر مصالح جماهير الانام فاتح ممالك اليمن الايمن من كوكبان الى عدن وفاتح قلاع حلق الواد وآخذ بلاد تونس الغرب ودافع الكفرة عنها والحق ليث

في أسفل الحجرة وان كان المستقبل حائلا بين القبر الشريف والسماء. قال السيد السمهودي ويستمر اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هناك وليس القصد الا التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى وقال أيضا العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفا ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجته ويستشفع به صلى الله عليه وسلم قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي وهو مروي أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعي رضي الله عنه قال العتبي كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفي رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وفي رواية واني جئتك مستغفرا بك متوسلا من ذنوبي ثم بكى وأنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه • فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها الأحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي في الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره. قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي الى ربي فنودي من القبر الشريف انه قد غفر لك وجاء ذلك عن علي أيضا من طريق أخرى ويؤيد ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة أنه

مرين الوطيس افترسا وأشدهم بأسا وباشا الوزير المعظم سنان باشا أنعش الله به الوجود والدين الحنيفي انعاشا وأيد بنصره أهل السنة السنية وفرش الارض بعدله فراشا فانه أسد ضرغام وليث قمقام وحسام صمصام وكريم محسن فائض الجود والاكرام جواد بذول لم يضن الهلال الا ليكون نعلا فى حافر جواده ولا مدت الثريا كف الخضيب الا لتتمسك بذيل افضاله وامداده ولا فتحت الورى أفواهها الا لتنطق بمدحه ألسنة الاقلام ولا سرا الحبر بياض الطروس الا ليشير أن الليالى والايام له من جملة الخدام طالما طوق الاعناق أطواقا من الافضال والانعام كأنها أطواق الحمام وكثيرا ما أحسن الى العلماء والصلحاء

من جيران بلد الله الحرام وجيران سيد الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام

وكنت ممن شملني بره وانعامه ووصل الى فى أكثر الايام احسانه واكرامه فقلدت ذكر محاسنه فى صفحات الكتب ورقمت كرائم صفاته فى صفحات الاوراق لا تخلقها الجديدان ولا يبليها الدهر الغدار وكنت باسمه الشريف تاريخا حافلا سميته البرق اليمانى ذكرت فيه أحوال اليمن من سنة تسعمائة واستيلاء حسين الكردى وطائفة الجراكسة ثم الاستيلاء الى زمن الفتح العثمانى على يد أبى زيد سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين على يد مطهر ابن شرف الدين ثم الفتح العثمانى ثانيا على يد الوزير المعظم سنان باشا أدام الله نصره وجلاله وخلد سعادته واقباله على سبيل التفصيل وكنت صدرت ذلك التاريخ بقصيدة طنانة من نظمى الطنان صارت بها الركبان وتلقتها بالقبول أدباء علماء البلدان أحببت ايرادها هنا لاغتنام اعتناء علماء البيان وفصحاء اللسان تسابق ألفاظها ومعانيها الى الاذان والاذهان تسابق أفراس الرهان يعد كل بيت منها بديوان ويسحب كل كلمة منها أذيال البلاغة على سحبان وهى هذه

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر ... على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت ... به الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود رمت فى كوكبان خيامها ... وآخرها بالنيل من شاطئ مصر
يجر من الابطال كل غضنفر ... بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا ... خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا ... وبيض المواضى والمثقفة السمر
له فى سرير الملك أصل مؤثل ... تلقاه عن أسلافه السادة الغر

يستحب أن يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل فى قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ويقولون نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا فى زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفى الجوهر المنظم أيضا ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لى سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لى غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقنى على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فرد ودعا رواه الامام نفسه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبى حنيفة أيضا ورد قول الكرمانى انه يستقبل القبلة وقال ليس بشئ قال فى الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا بانا متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يعلم زائره وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته فى قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واذا اتفقنا فى المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك رحمه الله للمنصور ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبر القبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل

القبر

ملوك تسامو العلا وخلائف • أولو العزم في أزمانهم وأولو الأمر • شموس تفيض النور عموغياهبا • من الكفر منهم يستضيء البدر
هم ملؤا عين الزمان وقلبه • فقرت عيون العالمين من البشر • هم العقد من اعلى اللآلي منظما • وسلطاننا في الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم • سليم كريم أصله طيب الفخر • عماد يلوذ المسلمون بظله • وسد منيع للانام من الكفر
وحين آتاه ان قد اختل جانب • من اليمن الاقصى أصر على القهر • وساق لها جيشا خميسا عرمرما • يدك جبال الارض في السهل والوعر
لهم أسد شاكي السلاح عرينه • طوال الرماح السمهرية والبتر • وزير عظيم الشان ثاقب رأيه • يجهز في آن جيوشا من الفكر
يقوم باعباء الوزارة قومه • يسد جيوش الدين بالايد والازر أبادله بالناس كاسرة العدا •
ولكنها بالجود جابرة الكسر • به أمن الله البلاد وطامن الـ • عباد وأقصى الدين منشرح الصدر
سنان عزيز القدر يوسف عصره • ألمزه في مصر أحكامه تجري
تدلى الى أقصى البلاد بجيشه • ومهد ما كان قد عرق بالشر
وشتت شمل الملحدين وردهم • مثال ورود في الجبال من الذعر
وقطع روسا من كبار رؤسهم • ابهم باذان السرحان والنسر كالقمر •
وكان عصى موسى تلقف كلما • بدا من صنيع الملحدين من السحر
ولا زال فيهم عاملا الرمح عاملا • ولا نحوا في الذل بالقتل والاسر
وما عن الامان ثانت تبع • وتابعه من ملك قديم ومن قهر • وقد ملكها آل عثمان اذ مضت • بنوطاهر أهل الشهامة والذكر
فهل يطمع الزيدي في ملك تبع • ويأخذه من آل عثمان بالمكر • أبي الله والاسلام والسيف والقنا • وسر أمير المؤمنين أبي بكر

﴿ولما تم الفتح الخاقاني العثماني في القطر اليماني﴾ عاد الوزير المعظم الى بلد الله المكرم وحج حجة الاسلام وزار المزارات العظام وصادف الحج الاكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة أفضل الايام وأثر ببلد الله الحرام أنواع الخيرات والانعام وأحسن الى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيهما من حجاج الانام وقابل شرفاء مكة أدام الله عزهم وسعادتهم بالاعزاز والاحترام • فمن آثاره الخاصة به في المسجد الحرام • تعمير حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة

القبر الشريف كيفية المذاهب وكذا القول في التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ما ذكره الالوسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك وقد بسط الامام السبكي نصوص المذاهب الاربعة في استحباب التوسل في كتابه المسمى شفاء السقام في زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعني من المؤمنين اذهب فقد أعتقتك ثم أنشد القسطلاني أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقاني البيت الآخر وهما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم • في رقهم أعتقوهم عتق أحرار

وأنت يا سيدي أولى بذا كرما • قد شبت في الرق فاعتقني من النار

ثم قال في المواهب وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يا رسول الله بدل قوله يا محمد لنهى عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن أبي فديك من أتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين وهو من المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة قال الزرقاني في شرح المواهب اسمه محمد ابن اسمعيل بن مسلم الديلي مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه البيهقي وفي شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللهم اني أستشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص الواردة عن سلف الامة وخلفها ان التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد

بالحصى بدور بهادور حجارة منحوتة مبنية حول الطاشية بالحجر الصوان المنحوت ففرشت به في أيام الموسم وصار محلا لطيفا داثرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وسائر ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار كسائر المسجد خاص بذكر الله بالصالحات وأدام له العز والسعادات • ومنها تعمير سبيل في التنعيم أنشأها وأمر باجراء الماء اليها من بئر بعيدة عنها يجري الماء منها الى السبيل في ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها خادما يستقي من البئر ويصب في الساقية فيصل الماء الى السبيل يشرب منه ويتوضأ به المعتمرون والواردون والصادرون ويدعون له بالنصر والتأييد وعين مصاريف ذلك من ريع أوقافه بمصر • ومنها آبار أمر بحفرها بقرب المدينة الشريفة لفوائد الزوارق بوادي مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا ومنها قراءة ختمة شريفة كل يوم يقرؤها ثلاثون نفرا بمكة وأخرى بالمدينة الشريفة وعين لكل قارئ جزءا في كل سنة تسعة ذهبا وكذلك لمفرق الاجزاء والداعي ولشيخ القراء وعين مصارف ذلك جميعه من أوقافه الآن من محروسة مصر عمرها الله تعالى وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام سلالة آل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بدر الملة والدين السيد القاضي حسين الحسيني أدام الله عزه واقباله وضاعف سعادته واجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى • وأما فتح الواد وبلاد تونس الغرب فهي من أجل الفتوحات العثمانية وأعظم فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة في أيام السلطان الأعظم العثماني السلطان سليم خان الثاني رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ومنحه لذات جنة النعيم • وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجئ الى نصارى الافرنج ويأتي بجنود الكفرة يستعين بهم على أخذ تونس وصار الافرنج يقاتلون من في تونس من المسلمين ويقتلونهم ويسبون أولادهم ونساءهم وينوون انقلاع في تلك البقاع ويواصلون بجنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوي حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بها من المسلمين الى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم

الجوهر

البعث في عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الاطالة بذكرها فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه ولبس به على المؤمنين قال في المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا • ونجى في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره • ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال في المواهب فالتوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصا قال وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر في المواهب كثيرا من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها • وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال في تلك الابيات

وليس لنا الا اليك فرارنا • وأين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابي الابيات قام يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكى للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر فقال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان في ذلك اشراك لانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبي طالب من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغيثوا ودر عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فانشأ أبو طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال في

وتواطئوا على الحيلة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد أو صنع العادين من قبائل عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد بآلات الحرب والقتال وصارت النصارى تكمن فيها للمسلمين ويرسلون منها المراكب والاغربة في البحر على بلدان المؤمنين الموحدين ويقطعون الطريق قتلا وأسرا ونهبا وسلبا الى أن تعدى ضررهم على طوائف أهل الاسلام وزاد فساد أهل الصليب على ضعفاء المسلمين من الانام ♦ وكبير النصارى الآن صاحب اشبيلية من جزيرة الاندلس أعادها الله تعالى دار الاسلام ببركة النبي سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ويسمونها العوام اسبانية تحريفا الكلمة اشبيلية جهز جيشا كثيفا لاخذ تونس ودلس على ذلك سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصي فأبلاه الله تعالى بسوء فعله عاقبته وأخذ النصارى مملكة تونس ونشروا الصيوف في أهلها فقتلوا الرجال وسبوا الاولاد والنساء والاطفال وباء أحمد المذكور بإثمه واسود في صحائف الليالي والايام ديباجة وجهه واسمه وانقلب ناصبا مدحورا وانخلع عن ربقة الدين وازداد خيبة وكفورا وتفطرت قلوب المسلمين منه وزادت نفورا وكيف لا يكون كذلك وقد استعان على الكفر على الاسلام واستدعى عبدة الصليب والاصنام ينتصرهم على أهل ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأخرج دار الاسلام تونس بأقدام أولئك الكفرة اللئام والاعتصام بالله الكبير المتعال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانتشرت هذه الاخبار المدهشة والانباء المظلمة الموحشة الى أن وصلت أبواب سلطان سلاطين الاسلام ظل الله الممدود على مفارق الانام مالك صهوة الملك من الذروة الى الغارب ملك الملوك من مشارق الارض والمغارب واسطة عقد ملوك آل عثمان المشمول بشمول المرحمة والمكرمة والغفران من الله الكريم المنان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وأبقى السلطنة في عقبه الى انتهاء الزمان فلما طرق سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما أصاب أهل الاسلام من هذه المصائب العظام والامتحانات التي قصم الظهور وأوهن العظام استشاط غيظا وغضبا واضطرمت نار حميته وتأججت لهبا وتحركت العصبية الاسلامية والتهبت نيران الحمية العثمانية وقام وقعد وأرغى وأزبد وأبرق وأرعد

الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية فأولا يتوسل به وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الامم السابقة وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفا ان العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضي حاجته وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فأطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بأرجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته والمؤمن اذا توسل به انما يريد نبينا الذي جمعت الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه وأيضا الوسائل فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فالمانع من جوازها بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب العالمين وذلك كله سبب لكونهم من عباد الله المقربين فيقتضي ذلك صحة التوسل بهم في حوائج المؤمنين وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها ان سواد بن قارب انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها

فأشهد ان الله لا رب غيره ♦ وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة ♦ الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ♦ وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ♦ بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة النبي صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها

وهدد وأوعد وخاطب الوزراء العظام والبكلربكية الكبراء الفخام وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام وإذلال عبدة الاصنام ويستنقذ من أسر من المسلمين بيد أولئك النصارى الطغام ويخرج من عهدة الكفار الفجرة اللئام فبادر الوزير المعظم والليث الغشمشم صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن الاعز المكرم أبو الفتوحات المفخم لازالت ألوية امره منشورة الذوائب مشرقة كالشمس تغشى ضوؤها المشارق والمغارب صاعدة الى أفق السماء حتى تزاحم مناكب الكواكب وقال أنا لهذه الحالة أنا لها أفرج كربتها وأفتح مقفلها وأصلح خللها وأزيل عللها ولم تدخر السلطنة الشريفة الخاقانية ومواهبنا العواطف الكريمة العثمانية الا لبذل أرواحنا وأموالنا في مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون به من المصائب الكوارث فقابله السلطان الاعظم بالشكر منه والثناء عليه وشرفه بالالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سردار العساكر المنصورة وأمره أن يتوجه الى قهر النصارى المقهورة وأمر أن يتوجه معه لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته وسآمته وضبط العساكر البحرية وترتيب السفن الحربية قاپودان الباب العالي فارس ميدان البحر السابق الى قلة أبراج المعالي الاسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام أمير الامراء العظام حضرة قلج علي قاپودان باشا يسر الله له من الفتوحات ما يشا فشرعا في أخذ أسباب السفر وأخذا معهما من أمراء السناجق وأمراء العساكر كل أسد غضنفر وكل بطل معقود بناصيته أسباب النصر والظفر ومن له في حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التي يتصرف بها في الماء والهواء وحضروا مائتي وما غراب تطير بأجنحة القلاع وتهدم عالي أمن المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المؤنات الكثار لحمل الاثقال ودفع الاحمال الثقال وحمل مكاحل الضاس لهدم الثغور وهدم السور والجسور الى الاساس وكثرة التخويف والترهيب وشدة القوة والباس * وكان بروز العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوما عظيما مشهودا وساعة مباركة أظهرت يمنا وبركة وسعودا وذلك غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وركب الوزير المعظم سردار العسكر حضرة سنان باشا والقپودان والعساكر المنصورة بنصر الله الملك الديان ثبج البحر كأنهم طوفان فوق طوفان وطارت بهم الاغربة على وجه البحر أقوى طيران

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء مع قولها وأنت رجاؤنا وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا وقال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب الامام أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء الى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعي ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالي وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال

آل النبي ذريعتي * وهم اليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

(ذكر دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه)

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى مجمع الاحباب في ترجمة الامام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن انه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه عليه قال فقال لي قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من الغم الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك ان تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما عمله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعني التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفي الاذكار للنووي ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار قال في شرح الاذكار خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع وفي شرح حزب البحر للامام زروق بعد ذكر كثير من الاخبار اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك

ثم القراءة وقالوا اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها حتى وصلوا الى مالطه وكلبا من ممالك البندقية ووصلوا في يوم الخميس بمصين من شهر ربيع الاول كما ن الخير واستقروا بها ليلة الجمعة وأصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر والظفر يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفائنهم أبا العمان وما أمكن لغيرهم من العساكر عبور العمان بهذه السفائن الكثيرة خوفا من تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن الله يسلم من أراد لا دافع لما راد ولا راد وهو على كل شئ قدير فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكورك على وجه ذلك البحر الوسيع الى أن ظهرت لهم في اليوم الثامن جبال فلاوريه واستمروا كذلك الى أن وصلوا وقت الظهر من اليوم التاسع طبرق حصاري وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما

وصلت العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاعين فدهكهم العسكر المنصور دهكا ودكوا من تحت أرجلهم الارض دكا فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمى نجبة ووقع قتال عظيم استشهد فيه من رزق الشهادة وأعطاه الله في جهاده الحسنى وزيادة منهم حضرة كتخداي القابودان سنجق قره جه ايلي محمد بك نزل من سفينته مشتاقا الى الجهاد في سبيل الله فأصابته بندقة في يده نفذت من الجانب الآخر واستمر صاحب فراش خمسة أيام ونالت عليه الملائكة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله تعالى شهيدا ثم رمى وقت المغرب مدفع لاعلام الغزاة بالعود الى سفائنهم للمسير فحضروا وركبوا ورفعت القلاع وصاروا يسيرون تارة برفع القلع وتارة بالكورك الى أن وصلوا في اليوم الرابع عشر الى جزيرة صينية استقر بها عسكر المسلمين ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة حصار سر اقول حصلت فرتونة في البحر تفرقت بسببها السفائن من الضحى الى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء في محل يقال له كير ثم مروا بقال ابان خوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة أولاو وصل اليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الذخائر وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفائنهم وصاروا يتراوحون كل يوم لاجل السفينة الى جانب من ساحل صقلية وكلما وصلت يدهم اليه من نهب وغارة وقتل وأسر لطائفة الكفار بادروا اليه وأسروا افراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفائنهم فاجتمع كل من في ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل

وما أحبول حتى أحببتهم فصيف بأهم وصلوا الى حبل ونحن لم نصل الى حبهم فيك فهم لنا ذلك التمع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين

●(ذكر دعاء تنوير البصر)●

ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية وهي لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده لا شريك له فكما ان الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا شرك ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية وانما أطلت الكلام في ذلك ليتضح الامر للمتشكك فيه غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة في ابطالها ولا سيما في الجوهر المنظم ولا فرق في التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه خلقا وايجادا والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا والغوث منه تسببا وكسبا فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أي وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وكثيرا ما تجيء السنة ببيان الحقيقة ويجيء القرآن الكريم باضافة الفعل الى مكتسبه ويسند اليه مجازا كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فالآية بيان للسبب

فسار واعسكر واقدموا على قتال من نزل من المسلمين فخرج اليهم من السفائن بعض البحارين والكروجية وبعض من في نيته الجهاد في سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب أرواحهم وأموالهم وأسر أولادهم ونسائهم قبل الآن ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم أطلق المسلمون النار في تلك السواحل وأحرقوا أشجارها ودورها وقصورها وجعلوا أهلها الى نار جهنم وساءت مصيرا * وفي اليوم السادس عشر من شهر ربيع الاول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة بالقمح كانت متوجهة الى بعض قلاعهم فاغتنم المسلمون ذلك وكان أخذها فالاعانة للمسلمين وفي اليوم (٢٥٤) الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا جهودا راحى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة خراب في قرب تونس قريبا من قالينة وهي على ثمانية عشر ميلا من مدينة تونس فزينت السفائن والاغربة بالرايات المصبوغة ألوانا اظهارا للهيبة الاسلام ونزلوا بالعساكر المنصورة وأرسوا في اليوم الرابع والعشرين في جزيرة حلق الواد ونزلت العساكر المنصورة السلطانية ونصب وثاق حضرة الوزير المعظم والقابودان المكرم على مسافة لا يصل اليها المدافع ونزلوا المدافع الكبار التي اذا رمى بها تزلزل الجبال وتهدمها وتخرب الاطواد الكبار وتحطمها وشرعوا يتقربون قليلا قليلا الى القلعة ويبنون لهم متاريس يتترسون بها ويسوقون الاتربة أمامهم ويتسترون خلفها ويحفرون خنادق فيها كيلا تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون من القلعة على هذا الاسلوب الى أن أحاطت العساكر دع المنصورة بقلعة الحلق وبنيت المتاريس والمدافع ووجهت الى صوب الكفرة أفواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا المحفوف بنصر الله يحرض حول الموت وهو راء محتسبا نفسه في سبيل الله معتمدا على عون معين نصير أنجد اطمأنت به الجبال وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بقلاع أكادها من أشد الصواعق وأخطف للابصار والاسماع من الرعود والبوارق تختطف ما صدفت من النفوس والارواح وتخرق ما صدمت من الهياكل والاشباح وتفصل اللحم من العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة مقدمون على هذه الاهوال ثابتون ثبات الاطواد والجبال

العادي الذي لا تأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقي وهو فضل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثني يا الله تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثني يا رسول الله تريد الاسناد المجازي باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيأ كثيرا من ذلك ومنه ما مر في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله استغاثوا بآدم فان الاسناد مجازي اذ المستغاث به حقيقة هو الله تعالى وصح عنه صلى الله عليه وسلم لمن أراد عونا أن يقول يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني وجاء في قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقي والى موسى عليه السلام مجازي وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ هو حي صلى الله عليه وسلم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه المذكور وفيه انه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك أي ادع الله لهم فعلم انه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدي الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فمتى صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ الابوصيري حيث قال

على الحرب والقتال اذ وصل الخبر بوصول بكلربكي تونس المولى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية السلطانية أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام والمجاهدين العظام حيدر باشا وكذلك بكلربكي طرابلس الغرب أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء المجاهدين العظام ذو القدر والعظمة والاحتشام مصطفى باشا أيدهما الله تعالى بالنصر والتأييد وظفرهما على كل كافر عنيد وكانا وصلا قبل وصول العمارة السلطانية من البر الى مقدار نصف يوم من تونس بقصد محاصرتها وأخذها فلما علم البكلربكيان بوصول العمارة السلطانية الى حلق الوادي واشتغال العسكر المنصور السلطاني بالجهاد وصلا بالخفية مع قبائل من الغلبان الى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا سنان واجتماعه وفرح كل منهما بكمال الفرح وحصل له الاطمئنان بوصول الامداد والاعانة على أخذ تونس وما أمكن الوزير المعظم سنان باشا أن يتوجه معهما بنفسه فأمر طائفة من أمرائه وعين نحو ألف نفر مع التفكجية وبعض المدافع والكلار والضربزانات أن يتوجهوا مع البكلربكيين من السناجق فخر الأمراء العظام ابراهيم بك من سناجق مصر وسنجق قرستي محمود بك وسنجق قره حصار بالى بك ومقدار ألفي نفر من طائفة كونللوا مع أغاتهم حسين بك فتوجهوا في الحال مع حيدر باشا ومصطفى باشا وأحاطوا بتونس وكان سلطانها المولس مع النصارى أحمد الحفصي ومن معه من النصارى ورأوا أنهم عاجزون عن حفظ تونس [illegible] ورأوا ان قلعتها أيضا خراب متهدمة لا تصونهم فخرجوا من تونس الى مرحلة بقرب بحيرة يقال لها اوملودكر يعني بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب محشوا بالتراب وتحصنوا فيه وكانوا نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة من النصارى المخذولين وشحنوا هذا الحصار بآلات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك فلما اخلت تونس من أعداء الدين فتحها عساكر المسلمين وضبطوها وحصنوها ثم برزوا الى قتال أولئك الملاعين وحاصروهم في قلعتهم التي أحدثوها وأحكموها بالأخشاب والألواح والطين وأرسلوا خبر ذلك الى سردار عسكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فأرسل لنصرتهم وامدادهم واعانتهم القابودان المعظم والبكلربكي المفخم قلج علي فتوجه بطائفة من المسلمين من العساكر المنصورة السلطانية الى اعانة بكلربكي تونس حيدر باشا وبكلربكي طرابلس الغرب

دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظمه الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وقال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام ابراهيم عليه السلام فانها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ونحن في ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثاني افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للأصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الباري عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط واذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلي لأن اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الأصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الاضلال والهادي والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون يا هامان ابن لي صرحا فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلي لأنه سبب آمر فهو يأمر ولا يبني بنفسه والباني انما هم الفعلة وأما الأحاديث ففيها الشيء الكثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان صدور ذلك الاسناد من موحد كاف في حمله على المجاز لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا

مصطفى باشا ومن جهز معهم من العساكر سابقا وهم محيطون بالقلعة التي تحصنوا بها الكفار الاشقياء والعربان المرتدون فرأى قلج علي باشا صعوبة أخذ القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة وطلب عسكرا آخر وعددا ومدافع أخر من الوزير المعظم سنان باشا فارسل له ألف ينكجري وعصوبلي اشي ومن سلحدارية الباب العالي علي آغا وجهز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزن ولحقوا بالقابودان قلج علي باشا وأحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة والملاعين ومن ارتد منهم من عربان تونس في غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فخرجوا من القلعة مرارا وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس في جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد في ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا الى رحمة الله تعالى في أعلى عليين فلما بلغ حضرة الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدة جاء بنفسه اليهم فان المسافة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حلق الواد والحرب قائم على حاله فتوجه حضرة الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوى جأشهم وعين في كل موضع طائفة وأشار على القبودان والبكلربكية بما رأى فيه الصواب وطمنهم وشد قلوبهم وعاد من يومه الى حلق الواد لاحتياج عساكر المسلمين اليه في هذه الجهة أيضا واستمر كل من الفريقين على مجاهدة الكفار وهم على الثبات والقرار لا يسأمون من مصادمة النار ولا يخافون من الموت لانهم قادمون على جنة الخلد وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلي الاعلى • ووصل في هذا الاثناء في بكلربكي الجزائر سابقا أمير الامراء العظام أحمد باشا لاعانة عسكر الاسلام وأقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يأمره به فاعطاه عدة من المدافع وعين له جهة الجنوب من حلق الواد فتوجه اليه وبنى المتاريس عليها وجاهد في الله حق جهاده وأقدم على قتال الكفار وألقى الى الحرب مقاليد قياده فوصل العسكر المنصور الى حافة خندق الكفار بعد أربعة عشر يوما وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقبا طويلا وصلوا به الى موضع كان كرلختانه وفيه قلة برج يصلح للتحصين فوصلوا اليه من تحت الارض وملؤه من الرجال وآلات الحرب ففطن المسلمون لذلك وكان قريبا من الجانب الذي فيه حضرة الوزير

الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه يقع في الاشراك وأما الفرق بين الحي والميت مع اعتقاد ان الحي يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على منع العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا اذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلي ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعلينا باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب في الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفي حديث عرفجة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد وحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتي الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تمنعهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت ان المشركين اعتقدوا الالوهية لغير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم وشبهة هؤلاء الخوارج في المنع من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم انهم يقولون ان الله تعالى قال

فتوجه اليه بنفسه النفيسة ووقع فيه حرب شديد وأخذت القلعة وقتل من فيها من النصارى المخذولين وأرسل حضرة الوزير
بالليل من يقيس عمق الخندق الذي وصل اليه العسكر المنصور فكان عمقه ستين ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر مملوء ماء
فتشاور الوزير مع الامراء وأصحاب الرأي في ذلك فما وجدوا لذلك حيلة غير ان يملأ الخندق بالتراب ويبنى عليه المتاريس
فأمر الوزير المذكور سائر العسكر بذلك فشرعوا في نقل التراب من خلف المتاريس وباشر حضرة الوزير المشار اليه ذلك ونقل
بيده الشريفة التراب ابتغاء مرضاة الله العزيز الوهاب ونصرة لدين الاسلام وتأييدا للملة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
ورأى الامراء ذلك فبادروا بأنفسهم الى نقل التراب ورأى العسكر المنصور ذلك فوهده واعانة الاهتمام
وأقدموا وانهالوا الاقدام
وحملوا التراب كامثال
الهضاب ورموا بها في
الخندق الى ان امتلأ
فارتفع وزاد في الارتفاع
فبنوا المتاريس دون ذلك
الى أن اعتلوا على الحصار
وذلك لاربع عشرة ليلة
خلت من ربيع الاول سنة
احدى وثمانين وتسعمائة
وصارت مدافع المسلمين
تصل الى وسط قلعة الكفار
وتفناهم وتحرقهم بالنار
وتسوقهم الى جهنم وبئس
القرار ووصل رمضان
باشا ومعه ثلاثة آلاف
مقاتل واجتمع بحضرة
الوزير المعظم وطلب منه
خدمة يؤديها فأرسله بمن
معه من عسكر الاسلام
الى اعانة المسلمين الذين
حصروا الكفار بالقلعة
التي بقرب تونس فتوجه
اليها ونزل في جهة من
جهاتها وحط عليها مع من
هنالك من العساكر كبيه
والامراء والغزاة
والمجاهدين والكبراء واستمر حضرة الوزير في محاصرة حلق الواد والاستيلاء على من فيها من أهل
الكفر والعناد وأقدم المسلمون على الدخول على الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وحمل الوزير المعظم بمن معه من الابطال حملة
تزلزل الجبال وحمل من الجهات الثلاث من العسكر والامراء والرجال فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال لست مضين
من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ووضعوا السيف فيمن وجدوا بها من الكفار وساقوهم بالنار الى عذاب النار جهنم
وبئس القرار وغير ذلك واستؤسر صاحب القلعة كبير النصارى المخذولين وكذلك أسرى سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصي
وقيدهما وحبسهما حضرة الوزير وأمر بقتل سائر من وجد من النصارى والعرب المرتدين وفرح بفتح هذا الحصن كافة أهل

في كتابه العزيز من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب
للشفاعة من أين علم حصول الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه
ومن أين علم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحة
الصريحة في حصول الاذن له صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع لمن قال بعد الاذان والاقامة اللهم رب
هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن
زار قبره صلى الله عليه وسلم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة في شفاعته صلى الله عليه وسلم لعصاة
أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي فكل من مات مؤمنا فانه يدخل
في شفاعته صلى الله عليه وسلم فهي ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلى الله عليه وسلم فيها والطالب
للشفاعة كأنه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الايمان
حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى التطويل ببسط الاستدلال في ذلك
مع وضوح الامر الا لمن عميت بصيرته وأما شبهتهم في المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب
للجمادات والغائبين والاموات من الشرك الاكبر الذي يباح به الدم والمال ولا مستند لهم في ذلك
بل الاحاديث الصحيحة الصريحة في بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للاموات والغائبين
والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية
التي نزلت في المشركين على الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات وهذا كله منهم تلبيس
في الدين وتضليل لاكثر الموحدين وانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء
الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذي يكون
عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه
فالذي يوقع في الاشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد
النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله
وارد في كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب
دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحي والميت
فانهما مستويان في ان كلا منهما لا تأثير له في شيء ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى
ولا تأثير أحد سواه فالدعاء الذي هو مخ العبادة هو الرغبة للاله والخضوع بين يديه وسأذكر لك
كثيرا من الاحاديث والآثار التي جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان تقدم

الاسلام والمؤمنين واستبشروا بهذا النصر والفتح المبين فانه يعد من أجل فتوحات الاسلام وأعظم التأييدات لدين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكانت هذه القلعة من أحكم القلاع التي أحكمها اللئام وأقواها في المكنة والاستحكام وأشدها ضررا على أهل الاسلام ❊ ومن عجيب الاتفاق ان هذه القلعة المذكورة بنتها النصارى في سنة ست وثلاثين وتسعمائة وكملوا استحكامها في ثلاث وأربعين سنة وافتتحها حضرة الوزير المعظم سنان باشا في ثلاث وأربعين يوما من محاصرتها بعدد السنين التي أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة ❊ ولما تم هذا الفتح المبارك رأى حضرة الوزير ان ترميمها واعادتها وحفظها بالعسكر يحتاج الى مؤنة كبيرة وخزائن من الاموال كثيرة مع قلة جدواها لبعدها عن الباب العالي وطول مداها ورأى ان الاولى هدمها وتعمير بهائها فهدموها حجرا حجرا وتركوها خبرا لا أثرا وأعملت المعاول في رأسها الى أن وصلوا الى أساسها فصارت طللا من الاطلال ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا والشمال ولا يسمع فيها نداء أو صدى الا صياح بوم أو صدى ولم يبق بها أنيس الا اليعافير والا العيس وأرسل حضرة الوزير المعظم بشائر النصر والفتح المتوالي الى جهة الباب الشريف العالي والى سائر بلاد الاسلام ليأخذ المسلمون حظهم من هذا البشر التام والفرح الشامل العام ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ويدعو بدوام هذا السلطان الأعظم نصره الله وخلد ملكه على الدوام وهذا دعاء لا يرد لانه يراد به كل الورى والممالك تراه بلا شك أجيب لانه ❊ اذا ما دعوا بأمتعه الملائك وتوجه البشير كأنه الصبح الصادق ينشر على الخافقين رايات النصر الخوافق مايدب وعلا برايات الفرح أقطار المغارب والمشارق وكوكب الصبح يجاب على يده ❊ يخلق علا الانباء بشائره ثم لما فرغ حضرة الوزير من مأربه من حلق الوادي وتحصل في تلك الوهاد والهاد والاوعاد والانجاد ما أراد توجه بعسكره المنصورة الى تونس لتطمين طائفة الغزاة من أهل تونس وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين مجاهدون مجتهدون في أخذ أولئك الملعونين ففرح بوصوله الى كار بكية الذين يحامون لنصرة الدين واشتد أزرهم وقوي جأشهم على قتال المشركين كيف وقد نشؤا على الطعان والقراع كأنشأ الاطفال على الرضاع وضروا بدماء الكفار ضراوة الاسود السباع بما افترسه من

كان من ذلك فلا بأس باعادته فمنها حديث النصر الذي رواه عثمان بن حنيف رضي الله عنه فان فيه يا محمد اني أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وحديث بلال بن الحارث رضي الله عنه فان فيه انه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله استسق لامتك ففيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه ان يستسقي لامته والاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور في كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله السلام عليكم يا أهل القبور والسلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء وخطاب وهي أحاديث كثيرة لاحاجة الى الاطالة بذكرها وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يارسول الله اني جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وصح عن بلال بن الحرث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه وصح أيضا ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه وفي الشفاء للقاضي عياض ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وا محمداه فانطلقت رجله وجاء الخطاب بصورة النداء في التشهد الذي يأتي به المسلم في كل صلاة وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه فان فيه السلام عليك أيها النبي وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل أرضا قال يا أرض ربي وربك الله ففيه الخطاب والنداء للجماد وذكر الفقهاء في آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل ياعباد الله احبسوا واذا أضل شيأ أو أراد عونا فليقل ياعباد الله أعينوني أو أغيثوني فان لله عبادا لا تراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادِ ياعباد الله احبسوا فان لله عبادا يحبسونه ففيه نداء وطلب نفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفي حديث آخر رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل ياعباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني فان لله عبادا لا ترونهم قال العلامة ابن حجر في حاشية ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوي

﴿دعاء يؤتى به في السفر اذا أقبل الليل﴾

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر

الصيد وهن جياع وحل بإقدامه حضرة الوزير المعظم على من في القلعة حلة الأسد الغشمشم وسابقت العساكر المنصورة الى استئصال أعداء الدين سبق السيل العظمطم وتعلقوا بأطراف الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا في سبيل الله وصاروا أحياء لا أمواتا عند الله في دار السلام واستمرت عساكر المسلمين على الاقدام على الموت الزؤام وحد السيف والحسام الى أن دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على القلعة فدخلوها ووضعوا السيف في الكفار عبدة الصليب وقتلوا منهم ثلاثة آلاف دراع مقاتل من فرقه الى قدمه في سابغات الحديد ورمى نفسه الباقون من أعلى القلعة الى أسفلها وهم زهاء خمسة آلاف نفس نزلوا على أقدامهم في الرمل وهربوا فقد رميه سهم أو سهمين وشرعوا في التترس بأتربة ورمل أرادوا أن يتحصنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل من بقي في القلعة ونهب الأمتعة والأسلاب فوجدوا بها أخشابا وألواحا أعدها الكفار لإتقان القلعة وإحكامها وبارودا كثيرا ومدافع وأنواعا وآلات الحروب وبكسماطا كثيرا لأزوادهم وكانت القلعة بسبب العجلة غير محكمة البناء وعاقتهم العساكر المنصورة السلطانية الإسلامية عن إتمامها وإتقان إحكامها ولو تأخر ورود العساكر السلطانية عنهم في ذلك العام لكانوا أتقنوا تلك القلعة إتقانا قويا لا يقوى عسكر الإسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك الطائفة أيما اتفقوا بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الجيش العرمرم في هذا العام قبل استيفاء إحكام القلعة غاية الإحكام وكان ذلك بيمن سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية وحسن اهتمام هذا الوزير الأعظم ولطائف تدبيراته العلية ودقة آرائه الثاقبة الجلية ثم أمر حضرة الوزير أن يستعقب العساكر المنصورة الإسلامية أولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم ووجدوهم قد شرعوا في عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا عليهم هجمة واحدة فتيقن الكفار أن لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا أشد قتال وقاتلهم المسلمون بالنصال وصار الوجه في الوجه والناب في الناب والسيوف المسلولة من القراب تغوص في الرقاب والخناجر تدق في اللبات والحناجر حتى سالت الدماء كالسيل العباب الى أن أنبت كافور تلك الرمال شقيقا وصيروا أحجار الفلا عقيقا وضرب النقع في السماء طريقا وجند الله على كل حال هم الظافرون والكافرون هم

ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وذكر الفقهاء في آداب السفر أنه يسن للمسافر الإتيان بهذا الدعاء عند إقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال ربي وربك الله ففيه خطاب للجماد وصح أنه لما توفي صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك وفي رواية للإمام أحمد فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم قبله ثانيا وقال واصفياه ثم قبله ثالثا وقال واخليلاه ففي ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك من لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فانظر الى هذه الألفاظ التي صدرت من عمر رضي الله عنه وقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والغزالي في الإحياء والقسطلاني في المواهب اللدنية وابن الحاج في المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين إن كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه وفي رواية الى جبريل نعاه والنعي هو الإخبار بالموت وقد يكون الإخبار للمعرفة أسفا على فقده فكل من الروايتين صحيح في المعنى ففي هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفي المواهب ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراث كثيرة قالت في بعضها قصيدة منها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

الصاغرون وصب من دماء أولئك الارجاس ماتجس به الرمل على طهارته والبر على سعته وقتل الكفار عن آخرهم تقتلا ذريعا وشكر المسلمون الله عز وجل صنيعا وانتصر على النصارى أهل ملة الاسلام الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام الى كافة الانام وعاد حضرة الوزير المعظم ظافرا منصورا غانما مسرورا مثابا مأجورا وغنمت العساكر المنصورة السلطانية والجيوش الموفرة الايمانية ما يكل عن حصره أنامل التحرير وتضيق عن ذكره أدراج الاساطير وجهزت البشائر الى الابواب الشريفة السلطانية والاعتاب المنيفة العثمانية وتطايرت أخبار البشارة الى سائر المسلمين فى الآفاق تخفق على الخافقين أجنحة السرور وانتشر الخفاق مابين حدود المغرب والاشراق ولولا لطف الله تعالى بأهل الاسلام لكان البلاء عاما على سائر بلاد المسلمين فان السلطان الاعظم الافخم السلطان سليم خان لولم يتم بدفع هؤلاء الكفار الملاعين لكانوا يتسلطون على أخذ تونس وأخذ الجزائر كلها وكانوا يحكمون قلاعها وأسوارها وحصونها ومصارها غاية الاحكام وكانت تزيد عن الاسلام عربان المغرب وتقوى الكفار الفجار على أخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام لابلغهم الله المرام وأنزل عليهم الخزى والخذلان والنكال الى يوم القيام وقد أعان الله سلطان الاسلام لدفع أولئك الكفرة الطغام وعزقهم كل ممزق بالسيف والسنان والحسام وشتت شملهم وفرق جمعهم فلا يقوم لهم رأس بعد ذلك والله تعالى يشكر لمؤيد الاسلام صنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم السلطان سليم خان صاحب هذه الهمة العالية والقوة والايادى الحسان ويجازيه المذهب عن الاسلام والمسلمين خير ادام الفيضان ويشكر همة هذا الوزير الاعظم العالى الشان على نصر أهل الايمان أعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحد السيف والسنان ٭ وكان هذا الفتح الاخير فى يوم الخميس المبارك لخمس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقتل فى القلاع الثلاث من الكفرة الخبائث عشرة آلاف مقاتل ساقهم الله تعالى الى النار وقد استشهد من الغزاة والمجاهدين ما يوازى عشرة آلاف غازى من عين أمراء السناجق من أمراء الاكراد خضر بك وسنجق ابنه خاص مصطفى بك وسنجق ملكية مسعود بروز بك وسنجق برلى مصطفى بك وسنجق أولية أحمد بك وسنجق ترخالة بايزيد وسنجق اسكندرية

فى الميت نداؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضى الله عنهم مع حضورهم وسماعهم له وعما جاء من النداء للميت الملقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء واستندوا فى ذلك الى حديث الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه واعتضد بشواهد وصورته أن يقول للميت عند قبره بعد دفنه ياعبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا ربى لا اله الا هو رب العرش العظيم فى التلقين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين ببدر بعد القائهم فى القليب مشهور رواه البخارى وأصحاب السنن وذكروا ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وأما ما جاء من الآثار عن الائمة الاخيار والعلماء الاخيار والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشئ كثير تنقضى دون نقله الاعمار ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين بشئ قام على ثبوته البراهين وفى الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب الاحتياط فى ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الا بواضح قاطع للاسلام وممن رد على محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى صاحب حواشى شرح مختصر بافضل ومن جملة ما قاله فى الرسالة التى رد بها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فانى أنصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اه والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه خلائق لايحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة فى كتب مبسوطة ومختصرة وبعضهم التزم الرد عليه بنصوص مذهب الامام أحمد ليبين له انه كاذب متلبس فى انتسابه

نفر بلوكباشية انكشارية قرهادور وأس زمرة الباب وكثيرا من الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم عدة عديدة وأعطى حضرة الوزير الامان لطائفة من الكفار رأى في ذلك مصلحة تؤازي زهاء مائتي نفر وزواق أمان حضرة الوزير وأخبروه بأمور مهمة كان يريد الاطلاع عليها منها أن عندهم من المعلمين الاستاذين في عمل الطوب الكبار الذي يعجز جميع الكفار عن عمل مثلها مائتي نفر وخمسة أنفار ممن لا نظير لهم في هذه الصناعة فأمنهم وطلبهم وأخذ خاطرهم وأعطاهم الامان على أنفسهم وشرط عليهم أن يسبكوا دائما النحاس ويعملوه مدافع كبارا ويعمل لهم علوفة ويوضع في أرجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم وصاروا من خدام الترسخانة السلطانية موكلا عليهم من يحفظهم ويتيقظ لهم ويستخدمهم في الخدم السلطانية ويسبكون النحاس للطوب الكبار والمدافع العظام وغنم حضرة الوزير المعظم في قلعة حاق الوادو قلعتي تونس مائتي مدفع وخمسة وثلاثين مدفعا لحفظ تونس من الكفار الفجار وأرسل مائة وثمانين مدفعا من أكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف السلطاني ليستعان بها على قتال الكفار اللاعنين اذا حضر عليه العساكر في كل حين ثم لما فرغ حضرة الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والغنم الكثير أنعم على من في ركابه الشريف من الامراء والكبراء والبكلربكية وسائر الزعماء وأرباب التيمار وبلوكات العسكر المنصور وأرباب الجوامك والعلوفات بالترقيات العظيمة والمناصب الكبيرة كل أحد بمقدار سعيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارا كبيرا من الخزائن العامرة السلطانية فقوبل جميع ذلك بالقبول ووقعت موقع الاجابة في المأمول والمسؤل وذلك في مقابلة ما بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وجاهدوا في الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وأنعمت السلطنة على حضرة الوزير بأنواع الانعامات السنية والترقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية في مقابلة سعيه في نصرة الدين وبذل أمواله للغزاة والمجاهدين وأخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يتفق في كثير من الزمان مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض الاعانة الربانية والنصرة الالهية السبحانية ولله الحمد على نصرة الاسلام وتأييد

لمذهب الامام أحمد رضي الله عنه وأما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها وانعقد الاجماع على استحبابها وجاء في فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها ما رواه البيهقي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري كنت له شفيعا وشهيدا وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وروى الدارقطني وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من زار قبري وجبت له شفاعتي وفي رواية من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية لابن منده من زارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وفي رواية لابن عدي من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني والمراد من الجفاء غلظ الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد انه فعل فعل الجافي لا أنه جفا حقيقيا لان ذلك أذى ولا يجوز أذاه صلى الله عليه وسلم وفي رواية للدارقطني من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة وزاد في رواية ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة وفي رواية رواها ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي الى قبري كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال شفيعا والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها مع اجماع السلف والخلف على استحبابها حتى ظهر المنكرون لها الملاعون منها وفي هذا القدر كفاية ومقنع لمن كان يرى من التوفيق ومجموع ما ذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب ولبس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم ولم ينتدب لحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف غالب رحمه الله تعالى فانه قام بهذا الامر أتم قيام وبذل فيه جميع وسعه سنين متطاولة جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وتقدم أن الشريف مسعودا ومساعدا وأحمد بن سعيد ومسرورا كل منهم لم يأذن لاحد من أتباعه في الحج

﴿ذكر قتال الشريف غالب للوهابية سنة ١٢٠٥﴾

فلما تولى مولانا الشريف غالب استأذنوه في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم واتبع القول بالفعل لانهم ظهر أمرهم وتطاير شررهم فاراد دفعهم عن الوصول الى حرم الله تعالى وفعل كل ما أمكنه حتى عجز جزاه الله خيرا ولنذكر الوقائع التي كانت بينه وبين هذه الطائفة فاقول توفي عن خمسين واقعة من سنة خمس ومائتين وألف الى سنة عشرين ومائتين وألف

سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم عاد حضرة الوزير المعظم المنصور المكرم خلد الله عليه سوابغ النعم الى الابواب الشريفة السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطاني وأذن لغيرهم من العسكر المنصور وسائر الامراء والبكوات بكمال العود الى أوطانهم وأماكن حكومتهم مجللين محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين واستمر حضرة الوزير المعظم الى ان ورد الى الباب الشريف العالي السلطاني وقبل قوائم السرير الشريف العثماني فقوبل بأنواع البشر والتهاني وشمله النظر الشريف الخاقاني ونظرت اليه السلطنة بعين القرب والتداني وأفرغ على كاهله مرة بعد أخرى خلع التشريف الخسرواني وقبل كل ما عرضه حضرة الوزير المعظم المشار اليه على الاعتاب الشريفة السلطانية من المطالب وأنعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ما سأل فيه من المقاصد والمآرب وكان يوم دخوله الى اسطنبول يوما عظيما مشهودا ووقت حلوله في منزله السعيد وقتا مباركا مسعودا وازدحمت الخلائق على مشاهدة طلعته والتبرك بوجهه الكريم وسعود غرته وصاروا يتبركون بالنظر الى المجاهد في سبيل الله ويطلبون الدعاء منه وممن معه من المجاهدين الغزاة والاسارى من النصارى يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال مقرنين في الاصفاد بشديد الذل والنكال ودخلت سفائن العمارة وأشرعت الى الاستقبال مزينة مزخرفة بالبيارق والسناجق وخفقت عليها رايات الفرح بالنصر والظفر والجلالة وأطلقت المدافع للفرح فزلزلت الارض زلزالها وكادت تصم الآذان فلا تسمع الناس مقالها وعساكر الباب السلطاني وردت صفوفا بعد صفوف وتعاطفت عائدة بالنصر والتأييد عدد آلوفا بعد آلوف ودخل أيضا القابودان المعظم المجاهد الاكرم الافخم حضرة قلج علي باشا المكرم لا زال في حرب البحر مظفرا منصورا مسعودا فتقدم فقوبل من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وأنعم عليه بسائر مقاصده ومطالبه وحصل له غاية ما يتمناه من سؤله ومآربه وحصل لسائر العساكر المنصورة الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور وأعظم من ذلك ما حازوه من الاجر العظيم والثواب الجزيل الجسيم وناهيك بهذا العز والفخر وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل في صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالي

﴿الغزوة الاولى﴾

فاول غزوة كانت في سنة خمس ومائتين والالف أرسل عليهم خيلا وركابا وجنودا كثيرة من السادة الاشراف وغيرهم وكان الامير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة ستمائة فزاد عليهم في الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب يطول الكلام بتعداد تلك القبائل فسار بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل وتلك القرى قرية بعد قرية حتى وصل الى عرق الدسم فشرع على تلك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فملك قرية وهي أول قرية من قرى نجد فذبح منها اهله عشرة رجال وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل الى قرية يقال لها سكة فهرب أهلها فحصرها وملكها ثم ارتحل منها وأناخ بقرية سواج فهرب أهلها ثم ارتحل الى اثلة ثم الى قرية ونان فطلب أهلها الامان وكذا أهل قرية الكبريتية ثم ارتحل ونزل على عنيزة قرية بسام وكان أهلها في حصن حصين فحاصرهم أياما ثم انتقل عنها لان المدة طالت وسئم من كان معه من الاشراف والجنود وأراد كثير من الاشراف الرجوع بل توجه كثير منهم بالفعل قاصدين الرجوع الى أم القرى لان المدة بلغت نصف عام فهذه الغزوة الاولى وهي أول الوقعات وفي مدة هذه الغزوة غزا سيدنا الشريف بنفسه على ذوي حسن الحارثيين بالشاقة وصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم وسبب ذلك قطعهم الطريق ورجع الى مكة سالما وهذه لم تحسب من الغزوات التي كانت على الوهابية أو بسببهم فهي خارجة عن عدد تلك الغزوات

﴿الغزوة الثانية﴾

وأما الثانية من الوقعات المتعلقة بالوهابية فهي ان سيدنا الشريف غالبا لما طالت غيبة أخيه في الغزوة الاولى ضجر عن مساعد الجلد وجهز جيشا آخر وسار فيه بنفسه فخرج من مكة في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والالف ولم يزل سائرا بجنوده حتى أناخ على الشعراء وهي قرية محصنة فأحاط بجوانبها الاربع وعاملها بالقنبرة والمدفع والحرب يزداد كل يوم ثم طلب أهلها الامان فأمنهم وأراد العود الى مكة لقرب زمن الحج وأقبل عليه أخوه السيد عبد العزيز وهو مقيم على الشعراء وأما الاشراف الذين فارقوا السيد عبد العزيز فانهم قابلوا مولانا الشريف غالبا قبل ذلك في الطريق فعاملهم بمزيد الانعام ورجعوا معه الى الشعراء ثم رجع هو وأخوه السيد عبد العزيز وجميع من معهم الى مكة ودخلوها في الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة

﴿الغزوة الثالثة﴾

كانت في ربيع الثاني من سنة ست بعد المائتين والالف جهز جيشا وأمر عليه أيضا أخاه السيد

والايام ويحمي عصابتهم كافة ويؤيد بتأييدهم ملة الاسلام ويبقي سلطنتهم على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين في نصرة الملة الحنيفية الغراء من يد بيضاء آية للناظرين وكم فتحوا ادار الكفر وصيروها دار الاسلام على رغم المشركين والكافرين ويكاد تلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولقد حكت علماء أئمة الاسلام واتفق قول الائمة الاعلام رضوان الله عليهم أجمعين وشملهم برحمته انه أرحم الراحمين أن سيوف الحق أربعة وما عداها الى ارتياب سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين وسيف الله ماض بين المسلمين وأول وسيوف بني عثمان رحمهم الله تعالى وأبقى الملك فيهم وفي عقبهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى اذا اعتبرتها وتأملتها لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة فانهم رحمهم الله من أول أسلافهم رحمهم الله تعالى الى الآن مجاهدون الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين والباغين ويحيون شعائر شعائر الدين والله تعالى يمد ظلال سلطنتهم على المسلمين ويؤيدهم أهل السنة وينفع بهم كافة الطالبين وهذا الدعاء يجب أن يدعو به طوائف المؤمنين فانهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وسبب قيامه بين الانام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لأهل الاسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصر لسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتأمين البلاد وتطمين العباد وتوهين أهل الفساد وقطع جادرة الالحاد وقمع جميع أرباب البغي والفساد ﴿فصل فيما جدده المرحوم السلطان الاعظم سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان﴾ وذلك في أول سلطنته الشريفة أمر لاهل الحرمين الشريفين أن يزاد لهم سبعة آلاف اردب حب من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم في كل عام فكانت تحمل في كل سنة من الانبار الطاحونة السلطانية على ظهور الجمال من مصر الى السويس وتوضع في سفائن الدشائش الشريفة السلطانية من بندر السويس الى بندر جدة والى ينبع وتوزع على الفقراء وكان برز أمره الشريف العالي ان يضاف ثلاثة آلاف اردب الى الدشيشة العامة السليمانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وأن يوزع خمسمائة أردب على الفقراء المنقطعين بينبع العاجزين قهرا عن السفر الى المدينة الشريفة فيستعينون بها على

عبد العزيز اقتال القبائل الذين دخلوا في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود فوصل بهائل رنية ثم الى رنيه ثم الى بيشة وأطاعه جميع قبائل تلك الجهات ورجعوا الطاعة عبد العزيز وصاروا أتباعهم مسعودون الى طاعته ثانيا واقام مدة ببيشة ثم عاد بمن معه الى مكة المشرفة

﴿ذكر فتنة بين وزير مولانا الشريف والكواخي الماكات وذكر وقوع الفتنة بين شيخ الحرم وأهل المدينة سنة ١٢٠٧﴾

وفي سنة سبع في شعبان وقعت فتنة بالمدينة بين وزير مولانا الشريف والكواخي على الماكات فارسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فاصلح الامر وطفئت الفتنة ثم وقع اختلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة وكادت ان تقوم الفتنة بينهم فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فأصلح الامر وفي هذا الشهر أرسل مولانا الشريف للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محمد بن عبد الله الحوردي والسيد حسين مفتي المالكية فلم تكترث الدولة لهذا الخبر ولم تلتفت اليه

﴿الغزوة الرابعة﴾

كانت في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان بعد المائتين والالف وحصل تلك الغزوة أيضا على من دخل في طاعة ابن سعود وتبعوه على ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب فجمع كثيرا من العربان من البقوم وعتيبة وغيرهم وأمر على هذه الغزوة عثمان المضايفي فصبح جماعة ابن قحيان بموضع يقال له عقيلان وصارت بينهم ملحمة عظيمة وحصل على عثمان هزيمة وانه بعد ان أخذ جميع ابل ابن قحيان وطاع القعر وطاف صال ابن قحيان على عثمان وهزمه ولكنه لم ينتزع منه ما أخذ من ابله فمنعه منه عثمان حتى رجع الى مكة وفي سنة ثمان قبض مولانا الشريف على الشريف عبد الله بن سرور لامر بلغه عنه وأودعه السجن أربعة أشهر ثم تدلى بحبل وهرب

﴿ذكر السيل الذي كان بمكة سنة ١٢٠٨﴾

وفي شعبان من سنة ثمان كان السيل المشهور عند أهل مكة الذي خرب كل ناحية وسكة وهدم كثيرا من الدور وقتل من الخلق نحو الاربعين جرى عليهم المقدور

﴿الغزوة الخامسة﴾

في شهر ربيع الآخر من سنة تسع جهز سيدنا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أخاه مولانا الشريف عبد المعين فسار من الطائف ومعه كثير من القبائل والجنود وقصد موضعا يقال له رغوة وبه هادي بن قرملة وكان ممن تبع ابن سعود ودخل في دينه فلما وصل ذلك الموضع وجده قد أخذ به

التوجه الى حيث أرادوا وتوزع خمسمائة اردب على فقراء جملة المنقطعين بها العاجزين عن التوجه الى مكة لاداء فرع الفرض والنفل وذلك مقصد جليل للمرحوم فكان الفقراء يتوسعون فيها ويرتفقون بها وكانت ترد اليهم في كل عام من أعوام سلطنته الشريفة وكان الدعاء مبذولا له من سائر الفقراء المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا وأجرا وافيا جليلا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأثابه المثوبة العظمى في الدرجات الآخرة على مقاصده الجليلة وخيراته الوافرة الجزيلة ومنها أيضا ما كان يتصدق به على فقراء الحرمين الشريفين أيام كان شاهزاده قبل أن يلي السلطنة العظمى فانه كان يرسل ألف دينار ذهبا توزع أيام موسم الحج على فقراء مكة يستعينون بها على الوصول من المدينة الشريفة المنورة الى مكة المشرفة لأداء الحج الشريف في كل عام وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الاصواف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها اليهم يستمد منهم الدعاء بظهر الغيب منهم فلما ولي السلطنة الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطاني كان يرسل لهم عوائدهم السابقة في كل عام وجعل ذلك مضافا الى دفتر صر الرومية فكانت ترد أيام سلطنته الشريفة واستمرت ترد الى الآن بعد انتقاله الى رحمة الله تعالى وذلك أيضا من مقاصده الجليلة وخيراته الباقية العميمة وله أنواع من الخيرات أيضا في القدس الشريف وفي الشام وفي حلب وفي مصر بجامع الازهر وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية غير ما بني في بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك رحمه الله تعالى

﴿فصل فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكي في أيامه رحمه الله تعالى﴾ اعلم ان عمارة المسجد ومن الحرام زاده الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما من أعظم مزايا الملوك والخلفاء وأشرف مآثر السلاطين العظماء وقد يسر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان أيد الله تعالى نصرهم وخلد سعادتهم مدى الزمان فوقع الشروع فيها في أيام السلطان الاعظم الخاقان الاكرم الافخم خليفة الله في أرضه القائم باقامة سنته وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادم الحرمين الشريفين المحترمين عامر البلدين المكرمين المنيفين واسطة عقد ملوك بني عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان أمطر الله تربتهما سحائب الرحمة والرضوان وجعل

وفر هاربا فقصد الشريف عبد المعين رنية بمن معه من العربان وكان في رنية من تبع ابن سعود ابن قطنان فحصره في قصره حتى قبض عليه باليد وأرسله الى سيدنا الشريف غالب فلما وصل اليه طلب السماح والعفو فعفا عنه وعاهده وأطلقه فتوجه بعد توبته وعهده والغدر يلمع بين عينيه فلما وصل الى بلده أظهر العصيان وقاتل فصنع له الشريف عبد المعين دسيسة وأرسل له جماعة أظهروا انهم معه وعلى دينه فصدقهم فطلعوا عنده في القصر واحتالوا عليه حتى قتلوه ثم ان الشريف عبد المعين ارتحل قاصدا مواضع فيها قوم ممن تبعوا ابن سعود منها موضع يقال له بريم ثم قصد شعبا وغزا على موضع يقال له سباح الخيل نزل به أناس دخلوا في دين محمد بن عبد الوهاب فيهم جماعة من هتيم ومطير فأما مطير فلما رأوهم نفروا وتحولوا وأما هتيم فسكهم سكة عجيبة وقتل منهم كثيرا وأخذ مواشيهم ثم رجع الى مكة في ثامن رجب الاصم من العام المذكور فهذه غزوة مشتملة على غزوات

﴿الغزوة السادسة﴾

كانت في شهر صفر من سنة عشر جهز مولانا الشريف غالب غزوة من جنوده وأمر عليها السيد ناصر بن سليمان وأمره بقصد جماعات من القبائل الذين دخلوا في دين ابن سعود فغزاهم وتنقل في مواضع كثيرة منها القامية عداوتها على آل زروق وقتلهم قتلة شنيعة وأخذ لهم قطائع من الابل ورجع سالما

﴿الغزوة السابعة﴾

كانت في الثالث من شهر ربيع الثاني من سنة عشر أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد وأمره بقصد جماعة من اتباع ابن سعود فأناخ أولا بمن معه بالمبعوث فعرض عليه كثير من القبائل ثم أناخ بالحنو فعرض عليه البقوم وقبائل كثيرة ثم أناخ بالقنصلية ثم أناخ دون رنية فعرض عليه بنو هاجر على رأس شذان وقبض وهو في ذلك الموضع على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة فقطع رؤس اثنين منهم واخبره الثالث بموضع القوم فخادعه ان يقتله فعفا عنه وارتحل واجد في السير بمن معه وفي اليوم الثاني وصل الى الموضع الذي فيه هادي ابن قرملة فادار عليه الرحى وأخذه آخذة الضحى وقتل من جماعته ما يقارب المائة وانهزم من بقي من تلك الفئة ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان تحت امارة ابن قرمان ومعه كثير من الابل فأغار عليهم وأخذها وقتل من كان معها الا من فر ومن عجيب الاتفاق انهم صادفوا ابن شذير من شيوخ قحطان كان غازيا بعض العربان وكان ابن قحدان ممن تابع ابن سعود فقتل السيد فهيد من جماعته خمسة وأربعين وأخذ ابن شذير وما معهم من الابل واقتلع من خيلهم خمس قلائع ٢

ومن جيد الركاب عشرين ذلولا وربط سبعة وأوصلهم الى رنية وأمر بقطع خصاهم ثم رجع الى القرشية ثم الى تربة ثم الى الطائف وكان مولانا الشريف غالب اذذاك بالطائف

﴿الغزوة الثامنة﴾

كانت فى الحادى عشر من شوال سنة عشر أرسل جيشا أمر عليه أخاه السيد عبد المعين فسار بمن معه حتى أناخ على بريم الى نصف القعدة وورد عليه كثير من القبائل وصار يرسل الجواسيس فوجدوا من يريدون من العربان قد ترفعوا وأبعدوا المسافة واجتمعوا بعد الغزو فى رنية أمر عليها السيد سعد بن عرمطة واستأذن مولانا الشريف غالب فى الرجوع وأذن له فرجع فوجده يستقبله فى الاخيضر ثم رجعا معا الى الطائف ثم الى مكة رابع ذى الحجة

•(الغزوة التاسعة)•

كانت فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة عشر أرسل سيدنا الشريف غالب جيشا كثيفا أمر عليه السيد ناصر بن سليمان فتوجه حتى أناخ عيران وعرض عليه كثير من القبائل ثم انتقل الى موضع يقال له عفيف ثم الى موضع يقال له الشعاس وتزايد عليه العربان فدهمهم جيش الوهابيين ومعهم ابن ربيعان وهادى بن قرملة والدوشان وخلق كثير فصار بينهم قتال وملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل من مراحل الشريف ثلاثة وأربعون وأخذ الوهابيون كثيرا من مواشى البوادى ورجع السيد ناصر بن سليمان ومن معه الى مكة

•(الغزوة العاشرة)•

كانت فى ثلاث من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فتوجه بمن معه من الطائف الى الاخيضر ثم الى ركبة وأرسل منها سرية الى الخرمة وأمر عليها السيد حسن بن غالب فأغار على أهل الخرمة وقتل منهم ورجع الى ركبة وجاءه قبائل من قحطان والبقوم وانضموا الى من معه وارتحل بمن معه وأناخ بكتب وأغار على قوم من حرب دخلوا فى دين الوهابى وأخذ لهم خمسين من الابل ثم ارتحل الى موضع يقال له روغ النعام فدهمهم الجيلانى أمير الخرج ومعهم جند كثير من مطير وغيرهم فوقعت ملحمة عظيمة بينهم وقتل كثير من الطرفين ثم ارتحل السيد فهيد بمن معه الى الحناكية وهى قريبة من المدينة المنورة وعرض عليه كثير من قبائل حرب ووفد عليه كثير من بنى حسين أهل السوارقية ثم انتقل الى موضع يقال له صابة وغزا بمن معه على هادى بن قرملة بموضع يقال له ... فصكهم صكة أى صكة وقاتلهم قتلة شنيعة وأخذ مذوس ابن قرملة وابله ثم عاد الى صابة ثم أراد غزو آخر

قبره ما روضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية فى عقبه الى يوم الحشر والميزان الى أن يعود القارظان كلاهما • وينشر فى القتلى كليب لوائل ﴿وسبب الامر الشريف﴾ بتعمير المسجد الحرام ان الرواق الشرقى مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها فى جدار المسجد وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباى وجدار مدرسة الافضلية التى هى الآن من أوقاف المرحوم ابن عماد الله فى شرقى المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه فى الجدار المذكور أكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد ميلا ظاهرا وصار نظار الحرم الشريف يصلحون الخلل الذى قد فارق خشب السقف اما بتبديل خشب السقف بأطول منه أو بنحو ذلك من انواع الاصلاح وأما الرواق الذى ظهر ميله الى صحن المسجد فرسوه بأخشاب كار سقر والهاى المسجد تمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقى متماسكا على الاسلوب فى أواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدرا من دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما أفحش ميلان الرواق المذكور وعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية السليمية سنة تسع وسبعين وتسعمائة برز الامر الشريف السلطانى بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان والاحكام وان يجعل عوض السقف الشريف قببا دائرة بأروقة المسجد الحرام لما أمر من ان تأكل خشب السقف كان مما كان من جانب طرفيه بطول المسجد وكان يحتاج بعض السقف الى تبديل خشبه بخشب أخرى كل قليل اذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه • وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور فكان من أحسن الرأى تبديلها بالقبب لمكثها ودفع مواد الضرر عنها • ووصلت أحكام شريفة سلطانية الى بكاربكى مصر يومئذ الوزير المعظم والمشير المفخم حضرة سنان باشا أدام الله تعالى سعادته واقباله وضاعف عظمته واجلاله ان يعين لهذه الخدمة من أمراء السناجق المستوطنين بمصر من يخرج من عهدة هذه الخدمة الشريفة ويكون فى غاية الديانة والامانة والمعرفة والخير والصلاح فأمر البكاربكى يومئذ وهو سنان باشا أمراء مصر ان يقبلوا هذه الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها واشتغالهم بأمور دنياهم والتوغل فيها

فامتنع العسكر أشد الامتناع فرجع الى مكة

•(الغزوة الحادية عشرة)•

كانت فى العام المذكور بعد رجوع السيد فهيد جهز له مولانا الشريف غالب جيشا وأمره بالرجوع وأن يغزوا أهل رنية فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه و بينهم فملكها وأخذ ما فيها من الغنائم وأحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعا يسمى الجنينة وقابله أهلها بالترحاب وأرسل الجواسيس ينظرون له قوما معادين لهم أراد الاغارة عليهم فرجعوا وأخبروه انهم ارتحلوا وأبعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع الى رنية ثم الى تربة ثم الى مكة وفى هذه السنة أعنى سنة احدى عشرة توفى السيد عبد العزيز بن مساعد وهو أخو مولانا الشريف وكانت وفاته فى الثانى والعشرين من جمادى الاولى ودفن فى قبة السيدة خديجة على أخيه الشريف سرور وفى قبره وفى شهر رمضان ركب سيدنا الشريف بنفسه على بنى عمرو أهل القاع لقطعهم الطريق فقتل منهم ثلاثة وربط أربعة وأتلف مراحهم ورجع الى جدة ثم الى مكة وهذه خارجة عن الغزوات المتعلقة بالوهابى

•(ذكر الحريق الذى فى دار أولاد الشريف سرور سنة ١٢١٢)•

وفى سابع عشر محرم من سنة اثنتى عشرة حرقت دار بباب القطبى لاولاد الشريف سرور فيها من الادباش ما ضاق عنه السطور وهى خراب الى يومنا هذا وفى سنة اثنتى عشرة أيضا أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركى للدولة العلية يستنجدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابية فلم يجيبوا دعوته ولم يلتفتوا لذلك ولم يكترثوا به فصار يقاتل اتباعهم وحده

•(الغزوة الثانية عشرة)•

كانت فى الخامس والعشرين من محرم سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أيضا السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فأغار على قوم موهبين من حرب فى عرق الدسم وغنم ما عندهم من النعم ورجع سالما

•(الغزوة الثالثة عشرة)•

كانت فى الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة اثنتى عشرة أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد فأغار على قوم من حرب أيضا موهبين وكانوا فى موضع يقال له العلم فأخذ جميع ابلهم ومواشيهم ثم توجه مقبلا فصادف خمسة وأربعين من الوهابيين خارجين ببضاعة الشعير وهى من المدينة المنورة فقبضهم ووضعهم فى الحديد ثم أخذ أخبارهم وقتلهم جميعا وأقبل راجعا فبلغ مولانا الشريف رجوعه فمنعه من الرجوع وأمده بجيش

يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة • وكان من جملة الامراء القاطنين بمصر كتخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسى بكلربكى مصر سابقا فخر الامراء العظام ذخر الكبراء ذوى الاحترام أحمد بك بارك الله فيه وفى ذريته وآتاه من خيرى الدنيا والآخرة ما يرغبه وكان ممن اجتمع فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه الى الله تعالى وقلة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقراء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحب العدالة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلو الهمة ووفور الاهتمام فطلب منه حضرة الوزير المشار اليه هذه الخدمة الشريفة وأضيف اليه عمل بقية دبل عين عرفات من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة وان السلطنة الشريفة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجرى فى دبل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا للامير أحمد المذكور وعرض له ذلك الى الباب الشريف العالى فوردت الاحكام الشريفة السلطانية له بذلك حسب ما عرض له وأضيف الى الخدمة سنجقية جدة المعمورة تعظيما لشانه وتوفير القدره ومكانه وبعد ورود الاحكام الشريفة السلطانية اليه أخذ فى أهبة السفر وتوجه من مصر من طريق البحر الى بندر جدة ثم وصل الى مكة شرفها الله تعالى فى أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة موليها غاية الاهتمام سائلا من الله تعالى الاعانة والامداد التام وكانت الاوامر الشريفة السلطانية للمتكلم عليه من جانب السلطانية المنيفة الخاقانية سيدنا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الانام بدر الملة والدين حسين الحسينى خلد الله سعادته ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام وشد مناطق حزمه على مناطق عزمه وقام فى ذلك أحسن قيام وحصل بين مولانا الناظر والامير أحمد المشار اليه كمال الملاءمة والاتفاق وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق وجرت عادة الله أن الخير كله فى الوفاق والشر جميعه فى الشقاق ولم يكن الرفق فى شئ الا زانه ولم يكن العنف فى أمر الا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله رفق الله تعالى به وأعانه ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الانظار جليل الآثار تقدم له مباشرة الابنية العظيمة وحصلت له بالتجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه فى هذه الصناعة ودقة نظره فى لوازم هذه البضاعة اسمه المعمار محمد جاويش الديوان العالى وهو انسان من أهل الخير

عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الرأي منور الباطن مشكور السيرة زاد الله توفيقه وأرشد طريقه فاتفق الناظر والأمين والمعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه الى أن يوصل الى الاساس فشرع أولا في اكمال الدبل المستقل لاجراء عين عرفات وبناه من جهة المدعى ثم مر به من عرض ثم من جهة سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير وأكمله الى منتهاه وبنى نية في الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب في جداره برابيز من النحاس يشرب منها الماء ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد الى الابطح في قبلي بستان بيرم خواجه الصاير الى المرحومة الخاصكية أم سلاطين آل عثمان ثم اجار بنى مسجدا آخر وسبيلا ومتوضأ في انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وكل ذلك من أعمال الخير الجارية النافعة للمسلمين وعرض ذلك على أبواب

آخر في جمادى الاولى وأمر عليه السيد سعد بن سعيد عرمطه فتكون هذه

•(الغزية الرابعة عشرة)•

فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صلبة تلك الجنود وارتحلوا وأقاموا على مران وارسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم وأخبروهم ان الوهابي جمع لهم جموعا لا طاقة لهم عليها فأرادوا الرجوع الى مكة فمنعهم مولانا الشريف من الرجوع وخرج بنفسه وهي

•(الغزية الخامسة عشرة ويقال لها غزية الخرمة التي كان فيها الوقعة العظمى)•

غزا فيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت في الحادي عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة أيضا جمع مولانا الشريف جماعة عظيمة من ابطال الرجال وادخر الخزائن كامثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأخذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادي العقيق واجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرمطه ثم ارتحل الى المويه والبقرة وأغار على قوم من قحطان وأخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة في القنصلية ووقع فيهم ذبحة عظيمة وفر ابن قرملة منهزما ثم عاد مولانا الشريف الى رنية وحاربها وقطع نخلها وخربها فأطاعه أهلها وطلبوا الصلح فعفا عنهم وسالمهم ثم ارتحل الى بيشة فأقر بها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فأحرق دورهم ثم أتى قرية تربة وارتحل الى الخرمة وبادها ولم يبق لها حرمة وأقام بها أياما ففي بعض الايام ورد عليه شريف من العبادلة اسمه لؤي وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المنهمر والجراد المنتشر واتهمه ولم يصدقه ظنا انه تابع لتلك العصابة فما مضى يوم أو يومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال فوقع القتال بينه وبينهم فكانت هنالك ملحمة كبرى فقتل فيها من الفريقين ما يزيد عن الالفين وقتل من أغلب بنود الاشراف نيف وأربعون شريفا وكانت الغلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف بعد انقضاض القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذي القعدة وفي شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر فقرئ الفرمان بمكة والمدينة وأمر الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمي وحمل السلاح فأخذوا أسوار جدة وعمروها واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد ولكن كفى الله المؤمنين القتال

•(ذكر الصلح سنة ١٢١٣)•

وفي غاية جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود الممالك والقبائل التي تحت طاعة مولانا

السلطنة الشريفة فأنعمت على الامير المشار اليه سبعين ألف عثماني زيادة في علوفته في مقابلة هذه الخدمة ثم شرع في تجديد أروقة الحرم الشريف فبدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام في منتصف ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة وأخذت المعاول تعمل في رأس شرفات المسجد وطاب سقفه الى أن ينكشف السقف فتنزل أحجاره الى الارض وتجمع في صحن المسجد الشريف وتنظف الارض من نقض البناء وأتربته وتحمل على الدواب ويرمى في أسفل مكة في ناحية جبل الفلق ثم تمام الاساطين الرخام الى ان تنزل بالرفق الى الارض واستمر وافي هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب علي الى باب السلام وهو الجانب الشرقي من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا فأخرجوا الاساس جميعه وكان جدارا عريضا نازلا في الارض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاساطين على تلك القاعدة فشرع أولا في موضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام لست مضين من جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة واجتمعت الاشراف والكبراء والامراء والفقراء والمشايخ والصلحاء تبركا وتيمنا بالحضور في هذا الخير العظيم وفرشت الشواغ بالاخلاص من سويداء القلب الصميم وذبحت الابقار والانعام والاغنام وتصدق بها على الفقراء والخدام ووضع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وتبارك وكان يوما مباركا مشهودا منيعا ميمونا مسعودا ولله الحمد على هذا الاكرام وله الشكر والثناء

الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وهو بنو سعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والخو وبارق ومحائل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويراسلون اهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح وتبعوهم كما سيأتي بيان ذلك وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وان الحرب بينهم موقوف وان يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالامن والامان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا في مكة من كل مكان فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شان وفي موسم هذا العام حج من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شرذمة من الوهابيين ولم يحج أميرهم لكون صاحب بغداد سليمان باشا جهز عليه جيشا رئيس له حمد وجعل أميره علي بيك كخية الوزير المذكور فغزا العرضي وأحاط بهم وحصرهم أشد الحصار وتأهبوا وادرعوا من ذلك وأيقنوا بالهلاك لكن لما كان في علم الله ان مدتهم باقية لم تتم هيبا لهم أسبابا فوسطوا وسائط افسدوا كثيرا من أهل العرضي فركب علي بيك بجانب السمري ولم يطب له القعود وقرهار باقتبد دخل ذلك الجيش وتفرق ولم ينل منهم شيئا لانهم لما كانت مدتهم باقية كانت الرشوة لهم واقية

﴿ذكر حج سعود سنة ١٢١٤﴾

وفي سنة أربع عشرة حج سعود بن عبد العزيز ومعه قوم كامثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لهما بالابطح وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ارتحل وحج أيضا في سنة خمس عشرة ومعه جند عظيم وقدم سعود لمولانا الشريف هدية تقدم بها قبله حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون رأسا من الخيل وعشرون من النوق العمانيات فقبل ذلك مولانا الشريف وكافأهم على ذلك بما يليق بشانه وكان مولانا الشريف قبل قدومهم للحج قد احترس وتحرز منهم خوفا من وقوع غدرهم فأمر أولا ببناء سور الطائف ثم ببناء الابراج التي في أطراف مكة فشيد مداخل مكة بالابراج وطلب كثيرا من القبائل من جميع الفجاج ورتب جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود بجيشه مكة قبل الوقوف بل نزل بعرفة وكان معه ما يزيد على عشرين ألفا وفي أيام منى في اليوم الثاني عشر وقعت خصومة بين عربان سيدنا الشريف وقوم سعود آلت الى قتال وضرب بالرصاص فما زال مولانا الشريف يمنع عربانه حتى كف القتال واتصل الجري الى مكة وفي كل ناحية ومكة ونزل الناس من منى قبل الزوال وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة توجه سعود بقومه الى الشرق وفي هذه المدة التي مضت بعد الصلح كان سعود يراسل خفية كثيرا من مشايخ القبائل أرباب البغي والفساد فكاتب شيخ محايل سعدي بن شار وشيخ بارق أحمد بن زاهر فصارا يفسدان كثيرا من القبائل حتى كان منهما من الفساد

الحسن في المبدا والختام وكانت الاساطين المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الأروقة فظهر لهم ان ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها القلة استحكامها اذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الأربع فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الابيض دعامات أخرتبنى من الحجر الشميسي الاصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع اسطوانات من الرخام فيكون مقابلها من كل جانب فتقوى على تركيب القبب من فوقها ويكون كل صف من أساطين الاروقة الثلاثة في غاية الزينة والقوة ففي أول ركن من الرواق الاول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسي ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر الشميسي وعلى هذا المنوال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثاني كذلك على هذا المنوال الى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال وبنيت القبب على تلك الدعائم والاساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف خط مستو وأزالوا ما كان قبل ذلك من الازورار والاعوجاج والحجر الشميسي نسبة الى شميس تصغير شمس جبل بقرب بئر شمس وهي حد الحرم من جانب جدة به جبيلات صغيرة يكسر منها هذه الاحجار وتحمل الى مكة مسافة ما دون ليلة فكان في ادخال هذه الدعامات الصفر ما بين الاساطين البيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهي أن أساطين الرخام الباقية في المسجد كانت في جوانبه الاربعة لان الجانب الغربي احترقت أساطينه الرخام وسقفه أيام الجراكسة في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة وأرسل ما حصل من أمرائه الامير سيف الطاهري الى مكة المشرفة فعمر الجانب الذي احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك في محله وصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام وهي الجانب الشرقي والجانب اليماني والجانب الشامي على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الابيض وأساطين الجانب الغربي جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الاخر الآن وبادخال هذه الدعامات الصفر صارت الاساطين كلها على نسبة واحدة وهي أن كل ثلاث أساطين من الرخام الابيض يكون رابعها دعامة واحدة من الحجر الاصفر الشميسي وذلك في غالب الأروقة من الجوانب الاربعة من المسجد الشريف

كلها ناطقة على أقدامها بنهاية الاحكام كأنها ماضوف واقفة بالادب حول صحن مسجد بيت الله الحرام من جهاته الاربع وهى أعلى من الارتفاع السابق وأرفع كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ماسواها وتطول
ان الذى سمك السماء بنى لنا ٭ بيتا دعائمه أعز وأطول
واستمر أمير العمارة الشريفة حضرة الامير أحمد المشار اليه شكر الله سعيه وبارك له وعليه فى غاية بذل الجد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد يتلطف بالخدم والعمال ويتفضل عليهم بأنواع الافضال ويوصلهم أجورهم كاملة لا يقتطع منها مقتطعا من أحد ولا يضر عماله بل يزيدهم من عنده ويسامحهم عماله مع كمال الدقة فى الاموال السلطانية والحرص على حفظها وعدم التبذير فيها وأما مال نفسه فيوسع به على الفقراء ويبذل لهم وللخدام والعمال ما أراد ويحسن الى أهل البلاد مع التواضع وحسن الخلق ولين الكلام ومواساة الناس فى جميع المهام والمشى فى تشييع الجنائز معهم وعيادة مرضاهم وسلام القدوم واستجلاب رضاهم بحيث ترك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس لكثرة تواضعه فأحبه الناس وحمدوه وشكروا جميله واحسانه وذكروا كثرة تجمله ولطفه ولقد جاءنى الى منزلى متفضلا مرارا وأنا من آحاد الفقهاء بل من أدنى الفقراء وما فعل ذلك الا محبة فى الله أحبه الله لا لأمر سواه فمن فاته أجل قدرا وأعظم خطرا من ذلك وما ذكرته الا ليعلم حسن تواضعه وتخلقه وتأسيه بالاوصاف الجميلة وتخلقه فلا جرم أن الله تعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة وأتم عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه ذلك سعادة فى الدنيا والآخرة فكم من وزير كبير نبيل بل ملك عظيم جليل يتمنى الوقوف فى هذه الخدمة مع جلالته ويعدها من أكبر سعادة دنياه وآخرته وما قدرها الله تعالى الا لمن ظهرت العناية الازلية فى حقه فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه وهو هذا الامير الكريم الصفات والله تعالى يعينه على فعل الخيرات ويسدده فى أفعاله وأقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما كمل جانبين من المسجد وهما الجانب الشرقى والجانب الشمالى وحصل خبر انتقال حضرة السلطان سليم الى دار النعيم رحمه الله وطيب ثراه وأحسن اليه فى الدار الآخرة واستمر حضرة الامير أحمد المشار اليه أحسن الله تعالى اليه فى عمله المبرور وفعله المعمور بالمعمور

ما حصل بسببه انتقاض الصلح وكان سببا فى دخول جميع قبائل الحجاز فى دين الوهابية ولما تبع مولانا الشريف أن شيخ شمائل كاتبهم وتبعهم على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره بالقنفذة أبى بكر بن عثمان وكان مشهورا بالشجاعة وأمره أن يجمع كثيرا من الاخيار ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ شمائل فامتثل أمره وخرج لقتاله فوقع بينهما قتال شديد وهزمهم الوزير وملك ما فى واديهم ثم أضرم النار بواديهم ثم عاد الى القنفذة

﴿الغزوة السادسة عشرة﴾

وهى الغزوة السادسة عشرة ثم بعد أيام بلغ الوزير بالقنفذة أنهم رجعوا وتجمعوا للفساد وصاروا يراسلون أهل تلك الاطراف فدخل فى دينهم كثير من أهل تلك الاراضى ومن لم يطعهم يتهددونه بالسيف والسنان فعند ذلك أرسل الوزير لمولانا الشريف يعرفه حقيقة الامر

﴿الغزوة السابعة عشرة﴾

فكانت الغزوة السابعة عشرة وذلك ان مولانا الشريف جهز جيشا عظيما وأمر عليه السيد منديل ابن أبى طالب فتوجه حتى وصل الى القنفذة واجتمع بوزيرها ثم توجه بمن معه الى قوز أبى العير وعرض عليه بنو علي وبنو زيد ورجال وزبيد فغزاهم على بنى كنانة وقتلوا منهم قتلة شنيعة ورجع الى قوز أبى العير وفى هذا الاثناء جاء الخبر لمولانا الشريف ان أهل حلى دخلوا فى دين الوهابى فأرسل غزوة أخرى معينة للسيد منديل

﴿الغزوة الثامنة عشرة﴾

وهى الغزوة الثامنة عشرة جهز جيشا وأمر عليه السيد ناصر بن سليمان فسار حتى أناخ على حلى ووقع بينه وبين أهله القتال فقتل منهم كثيرا وغنم من البقر والغنم والدقيق شيأ كثيرا وسبى بعض العسكر بعض أولادهم وباعهم بمكة بيع الرقيق ورجعوا الى مكة ودخلوها سابع عشر رمضان سنة ست عشرة ورجع معهم بعض أهل حلى تائبين مطيعين راجعين عن دين الوهابية وطلبوا من مولانا الشريف أن يرسل معهم جيشا يقيم بأرضهم وتعهدوا انهم يمونونه وينصرونه وان يؤمر عليه واحدا من بنى عمه ففعل ذلك وأرسل معهم جيشا وأمر عليه وعليهم السيد منديل بن أبى طالب

﴿الغزوة التاسعة عشرة﴾

فكانت هذه الغزوة التاسعة عشرة فلما أناخ على حلى استحسن أن يعمل عليها سورا للحفظ من العدو فاستأذن مولانا الشريف فأذن له فبناه وجمع عنده من التجار والطرائف شيأ كثيرا لخافة هجوم العدو فلما تم له ثلاثة أشهر بلغه أن الوهابيين مقبلون للقتال على رأس أمرائهم عشر وكان

مستعينا بالله ولى الامور ﴿فصل فى وفاة المرحوم المقدس السلطان سليم الثانى وانتقاله الى عالم القدس من ملك هذا الفانى﴾ لما كان لكل أجل كتاب ولكل نفس أنفاس معدودة قدرها الله تعالى فى أم الكتاب لا يسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا جنود ولا سيد ولا مسود ولا ينجو منه شئ خرج من كتم العدم الى فضاء الوجود هو الموت سلطان البرايا بالعاجز • لديه وغلاب كن لم يغالب ودرع الفنا فى حكمه درع غارة • وايوان كسرى من بيوت العناكب قدر الله تعالى له بالانابة عن كل ما يخالف أمره ورضاه وغلب عليه قرب توجهه الى الله صلاحه وتقواه وطهره الله تعالى بمقاساة المرض وكفاه وصيره نورا روحانيا جوهرا علويا سنيا وهيكلا شريفا ملكيا يصلح لجناب قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم ومضى الى رحمة ربه الرحيم فائزا بالملك الاخروى فى جنات النعيم مخاطبا من الحضرة الالهية بلسان الالطاف الرحمانية يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى • وكان وقوع هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر رمضان فيضان الرحمة والاحسان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ودفن جسده الشريف وهيكله الطاهر المنيف بقرب أياصوفية تربة طيبة غراء وروضة نضرة غناء تروح بها أرواح الاطيار وتبكى فيها سحب الامطار وتشق أنوارها أكمام الازهار وتلاطم خدودها أوراق النهار أنزل الله تعالى عليه مطر الرحمة والرضوان وجعل قبره الشريف روضة من رياض الجنان

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما • سرى جوده فوق الركاب ونائله أفاض عيون الناس حتى كأنما • عيونهم مما تفيض أنامله منهم باعين حتى لا تشحى بسائل • على ملك لا يعرف الدهر سائله وان دفنوا تحت التراب جماله • فما دفنت أوصافه وشمائله سقى جدثا مالت عليه ترابه • أنامل هم مع الغمام ووابله

﴿الباب العاشر﴾ فى سلطنة سلطان العصر والزمان خاقان خواقين العهد والدوران ملك ملوك المشرقين والمغربين سلطان سلاطين الخافقين خادم الحرمين الشريفين حامى البلدين المحترمين المنيفين أعظم سلطان خفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس المنابر وأكبر مليك جند الجنود وكتب الكتائب وحشد العساكر وأعدل خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت على عظمته عقود الخناصر ملك اذا ضاق الزمان بأهله •

فاختارا القتال وقد أرسلوا الشيخ على واستمالوه فمال وانعقد بينهم الكلام على أنهم متى خرجوا لقتال كم منعوهم من الدخول فلما أقبلوا وخرج السيد منديل لقتالهم غالب المراجل وبقى بنفسه فى البلد ومعه خمسون مقاتلا فوقع بينهم قتال شديد وقتل من الفريقين جمع عديد ثم انهزم الوهابيون من حديقة وتقرروا وجعلوا لهم كمينا فلما جدوا وخلفهم ظهر الكمين واشتد القتال وعجز بين الفريقين حر النهار وقيل انه لما ظهر الكمين كانت الغلبة لهم ثم أظهر أهل على الخيانة وأمروا السيد منديل بالخروج من البلد وتسوروا الاسوار ومنعوا السيد منديل فكر فرأى ان العود أحمد فاختار الخروج فرجع الى مكة سالما

﴿الغزية المكملة عشرين﴾

الغزية المكملة عشرين حاصلها ان مولانا الشريف بلغه أن عربا بساحل اليمن تجاه الاحسبة دخلوا فى هذا الدين المبتدع منهم قبيلة يقال لها دمينة وقبيلة يقال لها عامد الشرعاء فأرسل غزية من السادة الاشراف ومعهم كثير من العسكر والبوادى وأمر على هذه الغزية السيد سعد بن زيد القتادى فسار حتى نزل بموضع يقال له أم الخشب وأغار على آل دمينة وعامد الشرعاء وقتل فيهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم تسعة عشر رجلا ورجع الى أم الخشب

﴿الغزية الحادية والعشرون﴾

الغزية الحادية والعشرون كانت من وزير القنفدة أبى بكر بن عثمان وحاصلها ان المذكور كان قد أذاقهم الويل فى قتاله لهم فصاروا يترصدون له ويحتالون على اغتياله وطاعته ثلاث قبائل مكرا وخديعة وهم بالقرب وبنو سهيم وبالمنتشر وتجمعوا فى مواضعهم وكاتبوه ان يقبل عليهم ليقاتلوا معه الوهابيين والمجاورين لهم وأضمروا انه اذا وصل اليهم قبضوا عليه بالبلد واقبل عليهم بمن معه من الجند فلما وصل اليهم بادروه بالقتال واستضعفوا من كان معه فقاتلهم بمن معه وأظهره الله عليهم وقتل كثيرا منهم وأخذ كثيرا من مواشيهم ورجع وخيم بموضع قريب من القنفدة ثم انتقل الى أم الخشب واجتمع بالسيد سعد بن زيد القتادى ثم بلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة وانهم افترقوا فرقتين فرقة قصدها دخول القنفدة وفرقة تقاتله خارج القنفدة فلما بلغه هذا الخبر توجه فى الاثر فأقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا ومن معه ولما أشرفوا على الموضع الذى هو فيه عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوه وأما الفرقة التى أقبلت على القنفدة

﴿الغزية الثانية والعشرون﴾

فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان فقاتلهم وأثخن فيهم القتل ونهب مواشيهم وأثقالهم ولم يسلم

منهم الاطو بل العمر ثم رجع الى القنفذة وينبغى أن تجعل هذه الغزوة ثانية لما قبلها فتكون هى الثانية والعشرين ثم ان مهدى بن شار شيخ قبائل جمع جموعا من كنانة وأهل الحورا وعامد والفرعاء وقبائل يبلغون اثنى عشر ألفا وعزم هو ومن معه على انهم يملكون القنفذة وافسدوا وأسروا وأطفالهم ونساءهم وكان ذلك على حين غفلة من الوزير وذلك فى أوائل سنة سبع عشرة فلم يمكنه أن يجمع كثيرا من العربان وعلم ان تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة

﴿ الغزوة الثالثة والعشرون سنة ١٢٢٣ ﴾

فتكون هذه الغزوة هى الثالثة والعشرين فوصل الى الموضع الذى هم فيه قبل الفجر ومعه سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل وصاح فيهم كما يصيح الذئب فى الغنم فقتل منهم قتلة تجل عن العدد حتى قال بعضهم لما سمع بهذه القتلة هذه هى داهية الغفلة قيل ان القتلى بلغوا أربعمائة والجرحى مائتين واخذ سلاحهم ومواشيهم وهرب الباقون وربط منهم نحو المائتين وهذه الوقائع المذكورة بعد الصلح كلها كانت فى مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر وافسادهم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم فى الدين حتى افسدوا جميع اقليم اليمن ثم سرى الامر الى غيرهم ولما علم سعود أن اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع فى افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك سيدنا الشريف غالب أرسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطلب منهما الوفاء بالعهود فارسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وزعم ان هذه الشوائع أكاذيب من العربان يريد بها بعضهم بعضا لاجل نقض الصلح فارسل مولانا الشريف السيد فاتر ابن سلطان بن حازم وأمره أن ينزل عند زهران ويعرفه ما شاهد ورآه فاقام عندهم أياما فظهر له تحقيق الخبر فعرف بذلك مولانا الشريف غالب فارسل مولانا الشريف الى الدرعية رجلا يسمى عثمان ابن عبد الرحمن المضايفى ومعه من كبار الاشراف السيد عبد المحسن الحرث وجماعة منهم ابن حميد شيخ المقطة لاجل تجديد الصلح والعهود وربط الامر واحكامه فتوجهوا من الطائف وكان مولانا الشريف اذ ذاك بالطائف فلما وصلوا الى الدرعية والتقوا بعبد العزيز قدموا له المكاتيب فقابلهم بالبشاشة والترحيب فاول ما نطق به عثمان ان قال يا عبد العزيز بشرنى بالامارة وأشر لى عكة علىكها وأطلب منك أن تخلى فى المجلس لامور أبديها فاختلى معه وحدثه بكلام طابله وأمره على الطائف وما حوله من العربان ولم يجتمع عبد العزيز وسعود بالسيد عبد المحسن وابن حميد فى مجلس آخر الا يوم السفر فكتب لهم جوابات مكاتيب الشريف وجعلوا الكلام الذى فيها ظاهره الكلام فى كتبه وكان ذلك مكرا وخديعة وأمرهم بالتوجه وكان عثمان قد كره أحماء شيوخ

بعلا توسع فى المكارم وانفسح • تكبو السحائب اذ تجارى كفه • فالغيث من راحاته عرق رشح • ومكلف الاسد الهصور بذله • فى القفر أن يرعى الغزال اذا سرح • المنصوب له على أعلى أوج سرير السلطنة سرادق الخلافة العظمى المرفوع فى أرجاء بساط البسيطة لواء الملك الاسنى المعظم الاسعد حضرة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان • نسب كأن عليه من شمس الضحى • نورا ومن فلق الصباح عمودا • لازالت أعلام خلافته مرفوعة على هام الثريا ولا برحت ألوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكانا عليا مادام الجديدان وطلع النيران ولمع الفرقدان • مولده الشريف فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على تخت الملك الشريف فى عاشر رمضان المبارك سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه الشريف ... سنين ولى الملك الشريف ثلاثون سنة وهو ملك همام وأسد ضرغام وهزبر مقدام وسيف صمصام وبحر طام وملك بقائم سيفه ملوك الاملاك وأدار على حسب مراده الافلاك وطن بصيت عظمته ما بين السماك والاسماك وطابه الصبح والليل أسعد الله صباحه ومساءه شداوند كار العالم وسلطانه وامام المسلمين الذى اذا اجلس على كرسيه فما قدر كسرى وايوانه وهو منذ عمر الى الهند والرضاع مجبول على كرم الخصال وشرف الطباع مشغول اللسان بالذكر والقرآن مشغوف الجنان بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالى الشان مقصود الامنية بعلو القدر ورفعة المكان لم يزل قائما بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين وانى أشرق هذه الرسالة بسيرة معدلته فى الرعايا وأعددت عواطفه الله عليه من كرم السجايا وحبب الى خلقه الشريف من الرأفة بالبرايا والمحبة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب والعطايا وحسن نظره الى الحرمين الشريفين واحسانه الى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المنيفين وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فائقة حسنة رائقة باقية فى صفحات الايام فاق بها من قبله من الخلفاء الكرام وسائر سلاطين الانام وكافة ملوك الاسلام فلقد آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العالمين وجمع له بين أعظم سعادة الدنيا والدين وجعله ملكا كريما وسلطانا رؤفا رحيما ومنحه ملكا جليلا عظيما وافقا عند مراد ربه سبحانه فلا يتعداه عاملا فى أمره بتوفيق الله مراعيا العدل والاحسان فيما أمر به

معانى بنى عثمان غير خفية • وكل الى شأو المفاخر سابق وقد تخمد الشمس النجوم بضوئها • تفاوتت الانوار والكل رائق
بأمر مراد ينجلى كل مشكل • عويص وتنقاد الجبال الشواهق وبوهمناف ان آدم لعت • حنوعلى أولاده منه صادق
وألطاف تساوى الخلق فيه فضلهم • كاضمت الحصر الرقيق المناطق بفاؤله فى الاسلام عز مؤبد • فدم وابق للاسلام ما ذرشارق
طالما عمرنى وغمرنى باحسانه وهو شهزاده قبل جلوسه الشريف على تخت السلطنة والسعادة وشملنى لحظه الشريف السلطانى
بالحسنى وزيادة واستمر ذلك اللحظ الشريف السلطانى يشملنى بلطفه واكرامه ويكرمنى بحسن التفاته الشريف وانعامه
فوق ما يبدى من المدرسة (٢٧٢) الشريفة السلطانية السليمانية مدرسة جده المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية وأتم على
أولادى بالتدريس وأولادهم بكل اكرام واحسان لطيف نفيس
فلو أن لى فى كل منبت شعرة لسانا يبث الشكر كنت مقصرا
وما يبدى الا الدعاء لعمره لملك قسرا ملك كسرى وقيصرا
وانى لاخدمه آباء أولادى وأجدادى فى بلد الله المنيف بالدعاء بطول عمره الشريف وخلود ظل عدله الوريف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام خلافته الزاهرة الباهرة وأخلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكتب والشر طيب عرف شكره على مرور الاعصار والحقب وانى وان أعطيت فى القول بسطة • وطار على هذا الكلام المحبر
لاعلم انى فى الثناء مقصر وان الذى أولاه أربى وأوفر
فأى جميل من عطاياه ينتهى وفى كل حين فضله يتكرر
ولكننى مادمت حيا لشاكر وشكره بهدى كتابى المسطر
﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد ثبت الله سلطنته وشيد وأدام ملكه السعيد وخلد مقارنة والمدفع
هذا الوزير المعظم الاكرم الافخم ظهير السلطنة الشريفة العثمانية وعضد الدولة المرادية الخاقانية مدبر الامور برأيه المصيب الثاقب
ومهد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصائب أعظم وزراء السلاطين العظام وأكبر الصدور والكبراء الفخام فى دواوين أعظم
ملوك الانام ﴿حضرة محمد باشا﴾ المشار الى حضرته العلية سابقا فى وزارة والد هذا السلطان الاعظم وجده قرن الله صدارته
بسعادته وجده وأدام صدارته فى ظل اقبال هذا السلطان الاكرم وشمله بسعده فأول خدمة هذا الوزير حسن التدبير حتى أجلس
حضرة هذا السلطان الاعظم روح هذا العالم على السرير وقام بأعباء هذا الامر الخطير ودبر ذلك برأيه السديد أحسن تدبير وأعانه

القبائل التى يريد التامر عليهم فكتب لهم كتبا يخبرهم فيها بانه أقام عثمان المضايفى أميرا عليهم
وسلمها بيده والجماعة الذين معه لا علم لهم بذلك كله الا انهم لما خرجوا من الدرعية متوجهين الى
مكة أنكروا على عثمان فى كلامه فانه صار يمدح ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب من الطين ويثنى عليه
ويرغب فى اتباعه والدخول فى طينه وما زالوا سائرين الى أن وصلوا العبيلاء وهو موضع بينه وبين
الطائف يوم وله به حصن على جبل فجلس هنالك وأمرهم بالتوجه الى مكة وأظهر لهم انه يجىء فى
أثرهم ودخل الحصن ونصب له بيرق الزير وأظهر الامارة وأرسل بعض الكتب التى معه لبعض
شيوخ القبائل القريبة منه فاطاعوه وعزم على شن الغارة وكان بالطائف الشريف عبد المعين
وكيلا عن أخيه ولم يكن مع عثمان من الخيل سوى ثمانية جمعها من الطريق ولفقها تلفيقا ثم أرسل
عثمان كتابا للشريف عبد المعين يأمره بالدخول فى الطين وأول من أطاع عثمان من القبائل
الطفعة ثم الذعمة والعصمة فغزا بهم على الزوران فاطاعوه بعد قتال ثم غزا بهم أسفل وادى لية على
عوف وطال بينهم وبينه القتال فكسروه فرجع الى حصنه ثم خرج بمن معه على العرج فقاتله أهل
العرج فهزمهم وأحرق دورهم ونهب مواشيهم وعاد الى حصنه ولما تحقق مولانا الشريف غالب
أمره استدعى القبائل وأمرهم بالحضور فى الطائف فاجتمع بالطائف من القبائل ما ينوف على ثلاثة
آلاف

﴿الغزوة الرابعة والعشرون﴾

وهذه الغزوة الرابعة والعشرون وكان عثمان قد خرج من حصنه فى رمضان قاصدا قتال من بالطائف
عن معه من العربان فخرج الشريف عبد المعين لاستقباله وقتاله بمن معه من القبائل وخرج معهم
كثير من أهل الطائف والتقى مع عثمان وقومه بوادى العرج واقتتلوا قتالا شديدا من أول النهار
الى غروب الشمس فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من قوم عثمان نحو الستين ولولا أنهم
تحصنوا فى جبل منيع ما سلم منهم أحد وأخذ ما كان معهم من الابل والذخائر ورجع الى الطائف
واستشهد من جماعة الشريف عبد المعين جماعة وهم السيد ابراهيم بن سعيد بن على وخمسة من
أهل الطائف وثلاثة من ثقيف وأربعة من هذيل ثم رجع عثمان الى حصنه وما زال يراسل القبائل
فعزم مولانا الشريف غالب أن يتوجه اليه بنفسه فجمع كثيرا من الجنود وأحضر كثيرا من الذخائر
والمهمات وخرج من مكة ليلة الثامن عشر من رمضان

﴿الغزوة الخامسة والعشرون﴾

فكانت هذه الغزوة هى الخامسة والعشرين فسار بالجنود قاصدا العبيلاء والتقى باخيه الشريف
عبد المعين قبل وصولها فلما نزلوا العبيلاء أحاطوا بالحصن من الجوانب الاربع ورموا عليه بالقنبرة

على ذلك تقدير اللطيف الخبير وتيسير العلي الكبير والله على كل شيء قدير وأقبلت السلطنة الشريفة عليه الى أن صار ملهج
لسانها وعظم في عين الدولة الشريفة فحل محل انسانها وكبر شأنه وقد كان كبيرا عظيما وعم احسانه وكان كثيرا عميما وعرف
نعمة الله فقابلها بالشكر والتحميد واعترف بآلاء الله تعالى جالب المزيد ورابط التأبيد الفقيد وأشرقت شمس سعادته في الآفاق
وأورقت رياض صدارته أي اشراق وقلد أجياد أركان السلطنة الشريفة بعقود منه السامية المنيفة فكانت كالاطواق في
الاعناق والنور في الاحداق بحيث لم يبق من أمراء الديوان وزعماء الجيوش والامراء والكبراء كافة الاعيان من لم يضرب
بسهم وافر من عطاء ولم يحدد مه الافاز بانعامه وحباه وأحسن الى السادات والمشايخ والعلماء والموالي وسائر
الفقهاء والأهالي والى
أهل الحرمين الشريفين
وجيران البلدين الطاهرين
المنيفين وأكثر فيهما
الصدقات وأجرى فيهما
الخيرات من اجراء العيون
وحفر الآبار وبناء دار
الشفاء والحمامات وغير
ذلك من الاعمال الصالحات
مستجلبا بذلك دعاء
الفقراء والصلحاء وتوجه
خاطر الاولياء والاصفياء
بدوام دولة هذا السلطان
الاعظم وقيام دولة
سلطنته العظمى
وخلافته الكبرى على
هذا العالم فهم واظبون
على وظيفة الدعاء بدوام
دولة سلطان الربع
المسكون وبقاء صدارة
هذا الوزير الاعظم
بالسعد المقرون زين الله
أعماله بحسن القبول
وكسى ديباجة وجهه
الشريفة قبولا يدوم
بدوام الصبا والقبول في
ظل مراحم هذا السلطان

الحقوق بالعدل والاحسان خلد الله سلطنته العادلة مدى الزمان وأبد خلافته الكاملة
مادام الفرقدان وأضاء النيران ومن سعادة هذا السلطان الاعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنته
لحضرة الخواجا المعظم الاسعد الاكمل الافضل الاكرم الاعلم الفائق في كل علم على من كان في علم العلوم فائقا والمتميز في كل فن
على من كان في فن من الفنون ماهرا سابقا ان نظم أتى بعقود الجواهر من نحو والطور وان نثر نثر أزهار المنثور من الروض
الممطور بعبارة رائقة وألفاظ بارعة في الالسن الثلاثة وفصاحة بارعة فيما حازها كسبا ووراثة طالما مهر الناقد البصير
بحسن التقرير ولطف التحرير وأتى في البديهة بما يقصر عنه بعد الروية كل ماهر نحرير ولا شك انه يغترف من بحر الفيض

والمدافع فامتنع عليهم فتصها وأخذها وجاء يوم العيد وهو بالعبيلاء فعيد هنالك ثم دخل الطائف وأقام
به أياما ثم رجع الى العبيلاء مرة ثانية وحاصرها

﴿الغزوة السادسة والعشرون﴾

وهذه الغزوة السادسة والعشرون ولم يرد الله أن يستولي عليها فرجع الى الطائف فلما كان اليوم
الخامس والعشرون من شوال أقبل على الطائف عثمان بن معمر من العربان وجاء مددا الأمير
بيشة سالم بن شكبان ومعه من العرب عدد كالرمال فأحاطوا بالطائف ووقع القتال بينهم طول النهار
فلما غربت الشمس عادوا وتباعدوا عن السور بعدما أهلكتهم المدافع والقتال

﴿الغزوة السابعة والعشرون﴾

وهذه ينبغي أن تكون الغزوة السابعة والعشرين فلما أصبح الصباح أقبلت على الطائف طوائف
الاعراب وطال بينهم القتال حتى جاء الليل فرجعوا بعدان قتل كثير منهم الى خيامهم

﴿الغزوة الثامنة والعشرون﴾

وهذه الغزوة الثامنة والعشرون ووقع هذه الليلة أمر غريب يتعجب منه العاقل الأديب وذلك ان
عربان الشريف تفرقوا واشتد غدرهم وعالجوا على العقود وبعطيهم ما أرادوا من المال فأرادوا نقوه
وظهر خلل كثير في السور والابراج واتفق السيد عبد الله بن سرور ومع جماعة من الاشراف أن
يرحلوا من الطائف ويتوجهوا الى مكة وفعلوا ذلك فلما أصبح الصباح أخبروا مولانا الشريف غالب
بالخبر وقيل له أيضا ان عثمان وسالم بن شكبان ومن معهم من العربان يريدون التوجه الى مكة فأرسل
من يكشف له الخبر فجاءه ذلك الرسول وأخبره انه رآهم نازلين من ريع التمارة فحقق الامر عنده فعزم
أن يعود السير الى مكة من الطريق الثاني فخاء من قصره الذي في سوا بالى الطائف وحرضهم على قتال
العدو وأعطى للعسكر ومن بقي من البوادي كل واحد عشرة مشاخصة وتوجه الى مكة على طريق
المثناة ولما انفصل وغاب عن الطائف انشغل أهل الطائف وذهلت عقولهم وتركوا الحصون
والاسوار وخرج من الطائف رجل يسمى دخيل الله بن حريب فأسرع جدا في طلب الوهابيين
واسترجاعهم بعدان ولوا مدبرين وأخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا مقبلين وتقدمهم رجل
يقال له عبد الله بن بحيث وكان من كبارهم يتولى لهم الامور وخبرهم عن بقي في السور فدخلها مع
دخيل الله بن حريب وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وكان من أعز أهل البلد وأغناها فاتفق معه على
مبلغ جزيل من المال يدفعه لسلامة أهل البلد

﴿ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية﴾

القدسي ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانسي وانه كتب الخط الحسن وما يقل خط صداره الانصر وتميز في الكمالات على مشايخه فضلا عن أقرانه في عصر شبابه الازهر باحث العلماء في دقائق العلوم ورجح عليهم في تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم على وجنات الطروس نفثات أقلامه فبهر العقول والالباب وأتى بالتصانيف الفائقة في كل باب وآتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين وثاني سعد الدين مكنه الله من العز المكين ومنحه أعلى رتب السعادة والفضل والتمكين ولقد أسعده الله وأكرمه غاية التكريم فساقه الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذي الطبع السليم والتالي الكريم وهو شهزاده واقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الاقبال فانطبع في مرآة ذهنه الذكية نقوش صور العلم والكمال وانتقش في صحيفة ذهنه الصقيل مزايا الفواضل والفضائل والافضال فلما ولي السلطنة العظمى عرف لمخدمته السابقة ورفع مرتبته السنية الفائقة وأعلى مكانته ومكانه وعظم قدره وأعظم شأنه فاشتاقت العظماء والموالي العظام الى بابه وكذلك الاكابر والاعيان حمدوا الى جنابه فأحسن اليهم كما أحسن الله اليه وعطف عليهم بمزيد الحنو والاحسان كما عطفت السعادة والاقبال عليه فهو بالخير الجليل مذكور وبوفور اللطف والتكرم معروف مشهور ولقد شملني باحسانه الكثير الوافر وعضدني بالطافه وجميله المتواتر وأنا بيدي أخذ الله بيده وأدام عليه فضله الباهر وأحسن غاية الاحسان الي وتفضل بأنواع التفضل علي وشمل بفضله أولادي وذوي نظر الله بعين عنايته وألطافه اليه وأجرى مواد الكرم والاحسان على يديه وأسعد في ظل هذا السلطان الاسعد وخلد سلطنته العظمى وأيد خلافته الكبرى وأيد وهذا الدعاء للبرية نافع • وحسن رجاء للسعادة جامع وقد حفه حسن القبول لانه • عليه شعاع الصدق والحق ساطع

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمر الله بشمول سعادته وبرحمته علماء العالم كثرة العلماء العظام الاعالي والفضلاء الفخام الموالي والمشايخ الاولياء الكرام والاعالي في بابه الكريم العالي وتحت ظله الظليل المتعالي فقد برز من اجتمعت به وعرفت كمال فضله واعترفت بعد مشاهدته برفعته في العلم وحله واعترفت من بحر فوائده وتقلدت

فخرج اليه وحيث على أن يأتيهم بالامان من عثمان وسالم بن شكبان فرماه برصاصة من منارة بعض أهل الطائف فكان فيها موته وهلاكه فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور حملة واحدة ولم يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فادركتهم الخيل وقتلوهم وما سلم منهم الا القليل ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلا عاما واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والامير والشريف والوضيع وصاروا يذبحون على صدر الام الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعا ثم خرجوا الى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ويقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات فوربا لهم من جبار السموات ولم يبق من أهل الطائف الا قدر سبعة وعشرين التجأوا الى بيت المفتي وترسوه ومنعوه بالرصاص أن يصلوه وجماعة في بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم عامة النهار وشاغلوهم بكثرة النضال ثم قاتلوهم في اليوم الثاني والثالث فعلم ابن شكبان ان لا سبيل الى هؤلاء الا بالمكر والخديعة فراسلهم بالامان وقال لهم انكم في وجه ابن شكبان وعثمان وأعطوهم على ذلك العهود فكفوا عن القتال ودخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم حله للمشركين غير مباح ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الامير فلما امتثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعا ففازوا بالشهادة وكان قتلهم بقوز يسمى دقاق اللوز وكان جماعة متفرقون في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين كانوا متترسين برموهم بالرصاص فاخرجوهم أيضا بالامان والعهود على سلامة الارواح والرقاب دون بقية الاسباب ثم أخرجوهم الى وادي وج وتركوهم في البرد والثلج ومنازلهم الكشف في السواتين حتى رموا عليهم اطمارا بالية من الكساء وجمعوا بين الرجال والنساء وصارت المخدرات في أسوء الحالات ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوما على الدخول في الطين وصاروا يتكففون المسلمين فيعطون السائل الخبزة من الذرة مثل الكف يقضمها وصاروا العربان كل يوم يدخلون الطائف وينقلون الاموال الى الخارج فنهبوا النقود والعروض والاساس والفراش وتهافتوا على ذلك تهافت الفراش فصارت الاموال في مخيمهم كامثال الجبال الا الكتب فانهم نشروها في تلك البطاح وفي الازقة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها من المصاحف والربايع ألوف مؤلفة ومن نسخ البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو وغير ذلك من بقية العلوم شيء كثير ومكثت أياما يطؤنها بأرجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة وأخبرهم بعض شياطينهم ان عز الاموال مدفونة في التابي تحت احصيرة في بعض المحال فوجدوا فيها

عزيز

بدرر فوائده ومنهم من كاتبني بفضله وكاتبته لفضله وتحققت ثقوب فهمه ووفور علمه وعقله ومنهم من أسطت عنا بكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله وافضاله فوجدتهم في الرتبة العليا في الفضل والكمال فأتقن علما الدنيا في هذا العصر على كل حال فاني أتتبع علما كل اقليم وأسأل عن مراتبهم في العلم وكمالاتهم في التعلم والتعليم وأكثر التفحص عن أحوالهم وانصافهم وفضائلهم وفوائدهم ونتائجهم واستجلب ما يمكن جلبه وأطلب منهم ذلك اذا أمكنني طلبه وأسترشد من العلماء في كل البلاد وأبناء طلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد وهذا دأبي منذ أعيطت على التمائم وأنيطت عذاري عقود العمائم مع كثرة الواردين الى بلد الله الحرام والوافدين من الاقطار الشاسعة لاداء حجة الاسلام وشدة شغفي بلقائهم والتيمن ببركاتهم والسؤال عن فضائل فضلائهم وكمالاتهم وكنت أكثر الناس خبرة بأحوال العلماء وبدرجاتهم فوجدت الموالي العظام من علماء الروم هم المتقنين في هذا العصر في هذه العلوم ونظر حسهم بأدق نظر في المنطوق والمفهوم زادهم الله اجلالا وكمالا وفضلا بأهرا وافضالا وكل ذلك ثمرة شريفة من ثمرات هذا السلطان العالم سلطان العالم خليفة الله الاعظم على كافة الامم جعل الله بوجوده الانام وأكرم بتعظيم اكرامه العلماء الكرام وأكابر فضلاء الموالي العظام ورفعوا في أيام سلطنته في حلل المناصب العالية المقام وأحرز واقصب السبق في ميادين المراتب في دولته الطائل المستدام أدام الله تعالى له ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام وأما زمرة المشايخ والاولياء والصلحاء والاصفياء نفعنا الله ببركاتهم وأعاد علينا من بركاتهم فهو في عداد خدام عتباتهم في شأنهم عدم الظهور لاعين الناس الا نادرا وأما أرباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى لاهل الزوايا أصحاب الذكر والتكايا فكثير ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفع بهم ويجب على كل أحد أن يعتقدهم ولا ينكر على أحد منهم وان شاهد منهم ما ينكر وحمل نفسه على قصور فهمه فكم فيهم من ملامتي يقصد أن ينكر عليه يخفي حاله على الناس فحمل حاله على الصلاح أسلم وأجمل وقد ذكر الشيخ الاكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في أول فتوحاته المكية من أعظم سعادة الانسان أن يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كان كاذبا فنسأل الله تعالى أن يسعدنا بالاعتقاد في أوليائه حيث كانوا وكيف كانوا وبدخلنا في زمرتهم ويبعدنا

عن المال مخافة وان جميع الدور كذلك عمروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها وأخربوها من أسفلها وأعاليها حتى عمروا بيوت الخلاء والبالوعات فأخربوا آثار الربوع التي كانت عامرة بالانس والمسامرة فسبحان من بيده ملكوت كل شيء يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وما هذه الدنيا الا موعظة واستبصار لاولي الفكر والاعتبار ليعلم أهل الدنيا أن نعيمها زائل وخيرها محال أي محال وان القادمين فيها على جناح سفر فليتخذها جسر عبور ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة فقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم غصة وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة وبعد جمعهم تلك الاموال التي أخذوها من الطائف أخرجوا منها الخمس للامير واقتسموا الباقي كما تقسم غنائم الكفار وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد وبقي عثمان أميرا على الطائف وأرسلوا كتابا الى سعود بما صار على الطائف من القضاء الموعود فسر بذلك غاية السرور وكان سعود بالدرعية ناويا الحج فسار الى العراق بعد رجوعه سبعة أيام عن الدرعية فأسرع مقبلا الى هذه الاطراف فالتقى بابن شكبان فأمده بمن معه من العربان ثم أرسلوا الى قرية يقال لها العبيلاء وهي الى مكة على ثلاث مراحل أناخوا بجنودهم على تلك القرية وهم كدود على عود فبلغ الخبر جيران بيت الله الحرام فحصل اضطراب لاهل مكة وحجاج المسلمين وكان ذلك في شهر ذي القعدة ومكة قد امتلأت من الحجاج من جميع الآفاق واشتد كربهم لانهم علموا ما صار على أهل الطائف وجاء للحج في هذا العام من أرض المغرب نحو خمسة عشر ألفا وحج امام مسكت سلطان بن سعيد وحج أيضا شريف المغرب ولما وصل الحجيج كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم ومعه كثير من العساكر وأمير الحج المصري عثمان بيك ومعه أيضا كثير من العساكر وكثرت الناس بمكة واشتد الزحام ولم يعلم قبل هذه السنة في سائر الاوقات مثل ما حضر في هذا العام وتراكم الناس بعضهم على بعض حتى امتلأت بيوت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها فلما كان يوم التروية ورد الخبر أن سعودا يريد نحو عرفة فحصل للناس خوف ووجل كثير فلما صعد الحجاج للوقوف وهم خائفون لم يجدوا أحدا من هذه الطائفة فحج الناس في أمن وأمان وكانت كثرة الحجاج في هذا العام هي السبب في تأخر تلك الطائفة عن الدخول زمن الحج ولله تعالى في كل شيء حكمة بل حكم كثيرة ثم بعد تمام الحج نادى منادي سيدنا الشريف أن يخرج الناس للجهاد ومدافعة أهل البغي والالحاد فأول من خرج شريف باشا والي جدة بمن معه من العساكر فلما سمع سعود هذا الخبر تقهقر قومين عن موضعه وتأخر فعند ذلك جمع مولانا الشريف أمراء الحج وعقد لهم مجلسا وأشار عليهم بالركوب على هؤلاء البغاة فأبوا ودفعه

عن المنكرين عليهم ﴿فصل﴾ ومن أعظم مآثره الجليلة الكرام وأكرم آثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما وقد تقدم أن والده السلطان الأعظم المندرج في رحمة ربه الكريم الاكرم شرع في تعميره على الوجه الذي تقدم وأتم منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي الى أن انتهت العمارة الشريفة الى باب العمرة فاعتبر الى أن تتم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله السعيد السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الافخم الاكرم خلد الله ملكه الاعظم وأفاض على العالمين عدله الاقوم فبرز أمره الشريف العالي الى أمير العمارة الشريفة المشار اليه سابقا افتخار الامراء الكرام أحمد بك ان يبذل جده وجهده في بناء المسجد الحرام ويسرع في انجاز عمارته بكمال السعي والاهتمام فبادر الامير المشار اليه الى بذل الجد والاجتهاد وتوجه بكليته الى اتمام العمارة في خير البلاد فأعانه الله على اتمامها ومد بذلك معالم اسعادها الى أن تم بناء الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرفاته وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد الحرام وخارجه في أيام هذا السلطان الاعظم الاكرم خلد الله ملكه الاقوم وأبد سلطانه الافخم وأفاض عليه سوابغ الفضل والانعم فتم ولله الحمد بيمن طالعه السعيد وكمل على هذا الوجه الجديد بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد وكان ذلك في آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر وبهجة للخاطر وجلاء للنواظر وصفاء للقلوب والخواطر بحيث لو عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكر ويوصف لان هذا البناء الشريف أمكن وأزين ولا وأعلى وأشرف فكان الآن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الاجياد وقبب سامية كقباب القلال الشداد وشرفات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد بل أعلى وأشرف وأجمل وألطف وأرفع وأظرف فبني ذلك بالرخام الابيض المرمر والحجر الشميسي المنحوت الاصفر كأنه سبائك الذهب أو سبائك العسجد والجوهر مكتوب على الابواب وصدور الاروقة آيات الكتاب والاسم السامي السلطاني المستطاب بجلي الذهب بخط كسلاسل الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية بالكتابة الحسنة وبلاغة الجملة وتخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان

أحد على الخروج والركوب وتعللوا بعدم الذخائر وفوات الوقت للمسافر فضمن وتعهد لهم بكل ما يحتاجونه من ماله بغير ثمن فما قبلوا قوله بل قالوا بكتابة كل منا بكتاب ويرشده الى الصواب فان رأى فهو المطلوب والا نحن عليه الركوب وأرسل كل أمير منهم من طرفه رسولا يحذره عن القدوم فلما وصلت اليه المكاتيب علم وتحقق ان عصبة عزمهم وهنت وتضعضعت عراها فأعاد لهم الجوابات وشحنها بكثير من تزويره وأباطيله وأكثر فيها من التهديدات وأظهر لهم انه في غاية القوة ولا يبالي بهم فلما وصلت المكاتيب للامراء علموا انه لا مطمع في رجوعه عما يريد واضطربت آراؤهم وارتبكوا كل الارتباك فأشار عليهم مولانا الشريف ثانيا بالركوب عليه وقال لهم في ركوبنا ناموس للدولة العلية واكتساب عز وفخر وتكفل لهم بما يحتاجونه من النقود والذخائر وآلات القتال فقالوا لا بد من اعادة المراسيل ورأوا الحصول أمر مستحيل فأرسلوا وأرسلوا مكاتيب مرة ثانية فأعاد جواب كل بخلاف ما أمله وأخافهم حتى عافت المسئلة وتهدد كل واحد منهم بقوله من أقام بمكة غير ثلاثة أيام أحله بالقتل العام وأجعله عبرة للانام ففزعوا وأدركهم الخوف وهموا بالفرار فعالجهم شريف مكة أشد العلاج على الثبات وما حصل لعلاجه انتاج فعند ذلك اجتمع أكابر مكة وأعيانها وذهبوا الى عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي وترجوا عنده ان يقيم بمكة عشرة أيام فأبى وسافر في خامس المحرم سنة ثماني عشرة وفي ثاني يوم توجه أمير الحج المصري ثم توجه شريف باشا الى جدة وبقي الشريف وحده لما توجهوا كلهم هاربين فعند ذلك توجه هو أيضا الى جدة فبقيت الرعايا بمكة لا يقر لها من الخوف قرار ونودي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس للبلاد حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير فقد استسلم أهل مكة للشهادة وطلبوا من الله الكريم الحسنى وزيادة لعلمهم ان هذا الرجل لا يدخل أرضا الا أفسدها ولو لم يكن الا قصة الطائف وما فعل بأهلها لكان في ذلك كفاية فعند ذلك أقام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود مع القائد حامد بن سليم اغا على فرس وطلب منه امانا لجيران بيت الله الحرام وان لا يخفر لسكان مكة ذمام وان يكون هو عامله فيها وان أهل مكة تحت طاعته وأرسل أهل مكة رسلا من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي منهم العلامة الشيخ محمد طاهر سنبل والعلامة الشيخ عبد الحفيظ العجيمي وشيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني والد مولانا السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة بعد هذه المدة كل ذلك لاجل سياسة سكان البلد الامين وشفقة بالفقراء والمساكين فتوجه الجميع واجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة وتكلموا معه بأفصح كلام وطلبوا منه الامان لجيران البيت الحرام وانهم يدخلون في طاعته فقال لهم انما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام والطواغيت

ولا تشركوا بالله الذي يحيي ويميت فأجابه الشيخ طاهر بقوله والله ما عبدنا غير الله فدلّهم بيده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه على هذا المقال من غير بحث ولا جدال فعند ذلك كاد يطير من السرور والفرح واطمأن بخروج الشريف والشرح وقال أحمد لله شكرا فقد أولانا أرضه فمزالنا ونذرا وأمر كاتبه ان يكتب كتاب الامان ليصل لاهل مكة الامتنان في كاغد لم يزد عن الخمس الاصابع وهذا ما هو مذكور فيه كما هو الواقع بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاغاوات وقاضى السلطان السلام على من اتبع الهدى اما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام وكان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والالف فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤس الاشهاد فقالوا احبا وكرامة وحمدوا الله تعالى على حصول السلامة وفي ثامن محرم يوم السبت وصل سعود ودخل محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة وصعد بستان الشريف الذي في المحصب وفي ثاني يوم نادى مناديه بان سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غداة ضحوة النهار فاجتمعت الناس على طبقاتها وحضر الشريف عبد المعين ومن بمكة من السادة الاشراف والقاضي ومفتي مكة مولانا الشيخ عبد الملك القلعي وبقية المفاتي والعلماء ومازالت الناس في اجتماع وائتلاف وسعود المذكور في المطاف ثم أقبل وصعد على درج الصفا والناس أفواجا ينظرون له ويسمعون قوله فاخذ المفتي عن يمينه والقاضي وعن شماله فحمد الله وأثنى عليه وقال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم صعد بيمنه وجانبه سكنه ثم قال يا أهل مكة أنتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكنى حرمه وأنتم في خير بقعة اعلموا أن مكة حرام ما فيها الا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من أضعف العرب ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونستتر بها منهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما أسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الناس

واخترت أخصرها لانه خير مساجد الله ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت جدد المسجد الحرام مراد ✽ دام سلطانه وطال أوانه ثم رأيت تاريخا جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام وناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الانام سيد السادات العظام بدر الملة والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسيني قاضي المدينة المنورة سابقا أدام الله اجلاله وضاعف فضله وافضاله فأثبته هنا لحسن انشائه ولطف مبناه وسلامة لفظه وبلاغة معناه وهو هذا باسمه سبحانه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ✽ تعمير في عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلفائه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين المستظل بظل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الاعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه بدأ أمرا كمله وأتقنه وحسنه وجعله وارث الملك الاعظم الامام الافخم والخليفة الاكبر المعظم والملك القاهر العرمرم من ملكه الله شرق البلاد وغربها وجعل طوع يديه بلاد عجم الرعايا وعربها وأطلعه سراجا منيرا في المشارق والمغارب وما لكاما فوقها على هام الكواكب وصيره للاسلام حصنا محيطا وجعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعناد وجمع له بين الملك في الدنيا والفوز في المعاد خليفة الله على كافة العباد ورحمة الله الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان بن السلطان الخنكار الاعظم مراد لا زال الوجود بدوام خلافته عامرا ولا برح الايمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة ونصرا وشد علا ثكنه الكرام أزرا فتاريخ تمامه قد جاء ﴿أطال الله لمن أتمه عمرا﴾ ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ منظوم در الصور وغريب البحور ونثره كالدر المنثور والزهر المنشور بخطبة وتعريفات السلطان الاعظم في آخره ثلاثة أبيات بالعربي لا أعلم من أبدعه واخترعه وأنشأه ونظمه ورسمه وورد معه حكم شريف سلطاني يتضمن الامر بكتابته

والعام وقد كنت في هذا العام غازياً في العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا عليكم بغزوهم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وأنقذكم من الشرك وقد آن أوان ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه وأطلب منكم ان تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة ثم جلس وقد بايعه فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ثم مولانا المفتي عبد الملك ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم وكان هذا من عادتهم ولما تمت المبايعة ركب فرسه وصعد الى المحصب وقال قبل ركوبه يا أهل مكة انتظروني بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام لابين لكم الدين وشرائع الاسلام فلما كان العصر اجتمع الخلق وصعد المقام الذي على ظهر زمزم والمفتي معه فنبههم وبلغهم وتشدق وتكلم والناس تحته ملؤا الحرم وسار يعلمهم دين رعاة الغنم وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم ثم وقف يخاطب المفتي عبد الملك ويعلمه الدين لا يتوقف في قوله ولا يرتاب كأنما له مسئلة يقول له عليها الناس حتى يعرفها الجاهلة فكان أول ما علمه من كلامه قوله اتقوا أيها الناس ان الامير سعود يقول لكم ان الخمر حرام والزنا حرام الى آخر الكلام الذي يعلمه البهائم والانعام

﴿وذكر هدم القبب﴾

ثم قال له قل لهم في غد اطلعوا القبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لا يكون لكم معبود غير الله فقالوا سمعاً وطاعة وتفرق الناس فلما أصبح الصباح الا وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولاً ما في المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومولد سيدنا علي رضي الله عنه وقبة السيدة خديجة رضي الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون وبالغوا في شتم القبور التي هدموها وقالوا ان هي الا أسماء سميتموها حتى قيل ان بعض الناس بال على قبر السيد المحجوب وأما أهل مكة فانهم المحرضون على الهدم وليس لهم قدرة على ترك الطاعة وارتكبوا أخف الضررين فبعضهم جعل يدفع الاحجار وبعضهم مشى خلف أولئك الفجرة فما مضى ثلاثة أيام الا ومحوا تلك الآثار وفي اليوم السادس من أيام اقامته نادى مناديه بابطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام فكان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء يصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلي بالناس الجمعة المفتي عبد

على بعض أبواب المسجد الحرام فامتثل الامر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على باب سيدنا العباس الى بابه على رضي الله عنهما في الجانب الشرقي من المسجد ونقر له في الحجر الشميسي وطلي محله بالذهب في ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام ويبقى ذلك النقر في الحجر على صفحات الليالي والايام وهو هذا الحمد لله الذي أسس بنيان هذا الدين المتين بنبي الرحمة والارشاد وخصه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد وجعل حرم مكة مطافاً للطائفين ومأمناً للحاجين من أقاصي البلاد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاجلة الامجاد ووفق عبده المنقاد باحكام الاحكام الشريفة وتشييد أركانها على وجه المراد المدخر ذخر الآخرة المزيد من زاد المعاد أدام الله ظله الممدود على مفارق العباد السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان مراد جعل الله الخلافة فيه وفي أعقابه الى يوم التناد تجديد معالم المسجد الحرام الذي سواء العاكف فيه والباد فتم في افتتاح سلطنته العظمى لازال الحرمين الحرمين خادما ولاساس الجور والاعتساف هادما بتجديد حرم بيت الله عز وجل بامره المعز الجليل وتعمير عامر جوده ما انصدع من أركانه بعدما كان ينقض حوالي جدرانه فجدد جدران البيت العتيق وسوره بأكمل زينة ومسورة بعدما أبلاه الحديدان وأكل عيدان أرضها الارضة والديدان ورفع القبب موضع السطوح المبنية بالاخشاب وأنهى بجهد الطاقة الكبرى كل شيء وشيد ما قد عتى اليه مع شرف الباهر والمجد الفاخر تالين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وداعين له من الله بالجميل والذكر الزاهر قائلين اللهم أدمه في سرير الخلافة محروساً بحفظك الملك من آفة وظاهراً على من يريد خلافه مشيداً للمساجد والمدارس مجدداً لكل خير منهدم ودارس واجعل بابه للراجين حرماً آمناً وجنابه للمحتاجين كهفا لا ضاما يأتون اليه من كل فج عميق لحرمه البيت العتيق تقبل الله معطي السؤال بجاه الرسول هذا الدعاء الحري بالقبول فلما أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان جاء مشيد الاركان ما كروضات الجنان وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله لمنشور سعادته في أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية وكان الابتداء بذلك تجديد بأمر والده المدرج الى مدارج الملك الحميد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم السلطان سليم ابن

السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد بن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرر في دار الجنان وأثل اخلافهم في مسند الخلافة الى انقراض الزمان وكان الشروع في الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة ثم لما توفي السلطان سليم ودعته بأحسن تسليم وارتحل من دار القصور الى ما هيأ الله له في الجنة من القصور قبل تمام ما رام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن اجلاس وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله الاتمام بطاعة الملك الموجود في الليالي والايام وأنام الانام في مهد عدله الى قيام الساعة وساعة القيام ونظم راقم هذه الارقام تاريخا يليق ان يكتب في هذا المقام وهو هذا (٩٧٩)

جدد السلطان مراد بن سليم
مسجد البيت العتيق المحترم
سر منه المسلمون كلهم
دار منشور الثواء والعلم
والروح القدس في تاريخه
عمر سلطان مراد الحرم
انتهى ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي الذي هو مجرى السيل الآن فان الارض علت وامتلأ المسيل كله الى أسفل مكة بالتراب الى أن لم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التي في تلك الجهة الا ثلاث درجات بعد ان كانت خمس عشرة درجة يصعد منها الى أن يدخل من الباب الى المسجد وكان هذا المسيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج البلد من جهة المسفلة في كل عشرة أعوام مرة فغفل عنه نحو ثلاثين عاما فعلت الارض فأتت سيول طائفة ليلة

الملك القاهر وفي اليوم الثامن أمر أن يأتيه الناس بالشيش وآلات اللهو وذوات الاوتار وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار بعد كتابة أسماء أصحابها ليعرف من أطاعه ومن عصاه وكان ينزل من الحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع ليلة المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ثم سمعهم يقولون يا أرحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك أكبر ومنعهم من ذلك كله ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا عقيدته التي ألفها محمد بن عبد الوهاب ومعناها كشف الشبهات ووضع فيها شيأ من التكفيرات فقرؤها وأولوا فيها من التلبيس الذي هو من وساوس ابليس ولم يقدروا على الانكار ثم غالب قبائل العرب التي حول مكة تابعوه وأخذ منهم من المال شيأ كثيرا وزعم انه نكال ووضع في القلعة مائتين من بيشة وجعل عليهم أميرا فهدا أنا سالم بن شكبان فأرسل كتابا لاهل جدة مع علي بن عبد الرحمن أخي عثمان المضايفي يطلب منهم الدخول في طاعته فأجابوه بأن عندهم سيدنا الشريف غالب فطاعتنا من طاعته واذا فرض انا نطيعك وتعصيه هل تطلب منا شيأ من الدراهم أم يصح الدخول فقط فلما قرأ الكتاب فرح عافيه من الجواب وظن انه حق وهم يسخرون به فأرسل يطلب منهم مائتي ألف ريال وستين ألف مشخص ومن القهاوي ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه الملك الاموال من يقبضها في الحال وعزم على التوجه بجيوشه الى جدة وكان ذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم سنة ألف ومائتين وثماني عشرة ومدة اقامته بمكة أربعة عشر يوما ولما أناخ بجدة استعد له مولانا الشريف غالب بالمدافع والقتال فصار يشتتهم ويفرقهم بالمدافع وكل مدفع قتلوا حملة رجل واحد ورامو ان يقفزوا على السور فاذا رمى عليهم بالمدفع يهربون الى موضع شاسع ويعودون الى محلهم وفي اليوم الثاني يصعدون على السور ويفعلون كما فعلوا بالامس فيجدون مثل ما وجدوا من الناس فعلوا ذلك مرارا عديدة وقتل منهم خلائق لا يحصون فمضى عليهم ثمانية أيام ثم نادوا بالرحيل والتفت سعود الى عثمان المضايفي يعنفه ويشتمه لكونه هو الذي أشار عليه بالنزول الى جدة ثم بعد ارتحالهم أناخوا بالوادي ولم يدخلوا مكة وأمر على أهل الوادي السيد ابراهيم بن سليمان البركاتي ثم توجه من الوادي الى الزيمة ثم الى الشرق وبعد ارتحاله من الوادي ركب مولانا الشريف من جدة وغزا أهل الوادي فكبسهم ودخلوا في الطين فقتل وأسر وأما أميرهم ففر ثم رجع مولانا الشريف الى جدة

﴿الغريبة التاسعة والعشرون﴾

وهذه الغريبة التاسعة والعشرون وفي أيام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرقات وتنهب الاموال في كل ناحية وليس عنده من العسكر والجند ما يدفعهم به وفي أيام امارته الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة انه قد دخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى أن غطى الحجر الاسود وجدار الحجر الشريف ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى أن قرب من قفل الباب الشريف ووقف الماء في الحرم الشريف يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة أوقات وبادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم المكرم أحمد بك أمير العمارة الشريفة بخدامهم وعبيدهم وسائر المتسببين وخدام الحرم الشريف واتفقوا مع الاعيان والتجار الى فتح طريق الماء من أسفل مكة ثم تنظف وغسل داخل البيت الشريف ثم المطاف وغسل المطاف الشريف ومقام الحنفي ثم أخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين

أكواما في المسجد ثم أخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب في ذلك حضرة الامير أحمد بك وصرف من ماله مبلغا كبيرا ثم شرع في قطع المسيل وتهبيط أرضه الى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبي من المسجد الحرام الى آخر المسفلة وهو ممر سيل أعالي مكة فصار السيل اذا سال درج بسرعة ولم يصل الى أن يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة في الجانب الشمالي وهو ممر سيل قيقعان وحواليه ويجري الى باب الزيادة ولم يصعد الى باب المسجد بل يدخل سردابا واسعا يسمى العتبة ويجري فيه الى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى أسفل مكة مع السيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك تسيل ولم تصل الى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأي سديد وعمل مهم نافع فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول اليه غير انه يحتاج الى أن تتفقد في كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع ما علا من الارض قبل أن يعلو كثيرا فيحتاج الى قطع كثير ومصرف زائد فاللازم على ولي الامر سلطان الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وشيد به قواعد الدين أن يقنن لذلك قانونا فيقطع هذا المسيل في كل عامين مرة ليستمر المسيل منهبطا دائما لجريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل اليه في كل سيل يأتي ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلاطين ويسطر ثواب ذلك في صحائف هذا السلطان الاعظم نصره الله تعالى • وكانت اليد البيضاء في هذه المرة في هذه الخدمة الشريفة الامير المعظم أحمد بك المشار اليه أتم الله عليه وأكرم منزلته لديه وأجرى كل خير بيديه ويكفيه عند الله هذه المرتبة العظمى والمثوبات العظمى ان الكبرى • وأخبرني الامير المشار اليه أعظم الله شأنه وأحسن اليه أن الذي صرفه في عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطعا الارض المسيل من جهة الجنوب الى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة الى آخر مجرى سرداب العتبة من خاصة أموال السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى مائة ألف دينار ذهب جديد سلطاني وذلك غير ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحي والمخارق والمسامير والحديد المحدد رأسه بطول الروافين و بين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام عليه وغيره فيلوث المسجد بذرقه وهذا الحديد المحدد رأسه رؤوسه يمنع من جلوس الطير عليه وغير أهلة

ورد عبد الرحمن أبو نقطة أمير عسير ومعه جنود كثيرة وظن انه يدرك سعودا وجنوده قبل رحيلهم فبلغه وهو بالحسينية انهم قد ارتحلوا فلم يدخل مكة وحدثته نفسه انه يقاتل أهل جدة ويأخذها عن معه من الجند وكتب من الحسينية كتابا لمولانا الشريف عبد المعين وأرسل مع الكتاب خمسة عشر ريالا فقال في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة الى عبد المعين بن مساعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته اعلم أن قصدي أخذ جدة وقد استعددت لها بالسلاح والقوم ومذهبات بهذا الوادي فجمع زادي فعدلي خمسة ريالات دقيقا وخمسة ريالات سمنا وخمسة ريالات عدقا فترعا بطول علينا زمن الحصار ويخشى من عدم الزاد مضارا وأرسل لنا قدر مائة سلم تنقرع بها السور وتهجم على البندر المذكور فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته ثم أرسل له مع الرسول كل ما طلب فوصل الى نصف طريق جدة وحرض قومه على القتال ثم تأخروا امتنع عن الاقدام وعاد الى مكة ونزل بالمحصب فسأله بعض الناس وقال له لم رجعت عن القتال فقال قد أسلم على يدي كل من كان بجدة وأطاع ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فضحك الناس من قوله وعبد الوهاب أبو نقطة هذا قتله الشريف حمود الخيراتي بعد مدة حمل عليه في وسط خيمه فقتله وخلف ولدا يقال له دوسري أمسكه سيدنا الشريف محمد بن عون حين كان أميرا على عسير لاستشعاره منه بعض الفساد وأرسله الى مصر فبقي بها مدة ثم لما جهز محمد على باشا على عسير المرة الاخيرة أرسل دوسر المذكور مع الجيوش ثم رجع الى مصر ولم يطب له القرار بهذه الديار وبقي بمصر الى أن مات ولما نزل عبد الوهاب أبو نقطة بالمحصب طلع الشريف عبد المعين الى الابطح لمواجهته ومعه نحو خمسمائة من أهل مكة تقلد كل منهم بالسلاح فسلم عليه وآنسه وحياه ثم صنع له ضيافة واستمر مقيما بالابطح أياما ثم ارتحل الى حيث أتى وخاف من جماعته أربعمائة أسكنهم في بستان سيدنا الشريف غالب الذي بالابطح وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول عزم سيدنا الشريف غالب على القدوم الى مكة واخراج من فيها من جماعة سعود وأبي نقطة

﴿السرية المكملة ثلاثين﴾

فكانت هذه السرية هي المكملة ثلاثين قال بعضهم وهي حرية بأن تسمى غزوة الفتح فتوجه من جدة ومعه الوزير شريف باشا صاحب جدة وكثير من العساكر والجنود وثلاث مدافع منها مدفع كبير أهداه له امام مسكت فنزل أولا بالزاهر ثم أرسل العساكر والعبيد وأحاطوا بالقلعة التي بجياد فيها من خلفهم سعود وترسوا البيوت التي تليها وحصروهم أشد الحصار ودخل مولانا الشريف مكة ومعه شريف باشا بعد الاشراق ولم ينازعه الشريف عبد المعين فمكثوا يوم ثم رتب بعض العسكر وأمرهم

أن يحيطوا بالبستان الذي فيه من خلفهم أبو نقطة وأثار الحرب عليهم وركب عليهم المدفع وصنع لهم لغما تحت الارض فلما أثاره ورفع انزعج الى الجوعن فيه من الجند ومع ذلك مارجعوا عن القتال فطلب مدفعا كبيرا من جدة لا يمكن سيره بدون خمسين بعيرا فلما وصل رموا به الى جدار البستان فصار في كل رمية يطرح جانبا من البنيان حتى وقع منه شيء كثير فطلبوا الامان فاعطاهم الامان واستأسر لهم جالا يتوجهون عليها الى الادعية وأما الذين في القلعة فانقطع العسكر عن قتالهم وكان يخرج جماعة منهم بالليل ويحرقون بعض العشش ويعودون الى القلعة ونزل جماعة منهم يوما في ضحوة النهار ونهبوا أغناما فارعت العساكر عليهم فرجعوا الى القلعة فرضيهم مولانا الشريف انهم حرسا لئلا يخرج أحد منهم من القلعة وأمر على الحرس القائد أحمد بن مثقال وبعد ثلاث أو أربع ليال هربوا من القلعة جنح ليل بالخيبة والويل ومانالهم الامان الذين كانوا في البستان الا بعد علمهم بخروج الذين كانوا في القلعة وكانت مدة الحصار لهم خمسة وعشرين يوما ثم أقبلت قبائل هذيل لمبايعة سيدنا الشريف غالب وطلبوا الامان لثقيف وأبى أن يعطيهم الامان الا ان يأتوا بعثمان فاظهروا صدق دعواهم لعداوته وتمكثوا بعد ذلك ثم جهز مولانا الشريف غالب ونبه لمحافظة الزعماء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف اعانة لثقيف وأمر عليها السيد ناصر بن أبي طالب

﴿الغزوة الحادية والثلاثون﴾

فكانت هذه هي الغزوة الحادية والثلاثين واحاطوا بالطائف مع ثقيف وضيقوا على عثمان أكثر من شهر ثم أمده الامير سعود من الشرق بالجنود وأمر عليهم سعد بن قرملة فلما رأى السيد ناصر أمير الغزوة هذا المدد قبل الارتحال الى قرن وأقام به أياما ثم رجع الى مكة ثم أرسل مولانا الشريف جندا الى قرن

﴿الغزوة الثانية والثلاثون﴾

وهي الغزوة الثانية والثلاثون فجاءهم جند كثير من عثمان فرجعوا الى مكة ودخل ثقيف في طاعة عثمان فجهز مولانا الشريف غالب غزوة أخرى

﴿الغزوة الثالثة والثلاثون﴾

وهي الغزوة الثالثة والثلاثون وأمر عليها وزيره القنفذة أبا بكر بن عثمان فتوجه بجنود كثيرة حتى أناخ ركبه فوجد فيها القوم فنازلهم وقاتلهم ذلك اليوم وأخذ خيامهم ومواشيهم وقتل منهم ورجع الى مكة وفي شهر رمضان من سنة ثماني عشرة توجه عثمان ونزلاء سالم بن شكبان لقتال هذيل الشام نزلوا بوادي الزعماء والمضيق وأخذوا جماعة من هذيل الشام ومن حل بذلك الوادي وسلبوا النساء واهلكوا الرجال ثم ارسلوا لبني مسعود وهم يجمعون بجبالهم المعهود وطلبوا منهم الدخول في هذا الدين فابوا الدخول واستعدوا للقتال في الجبل وترسوه فأقبلوا عليهم بجنودهم وأحاطوا بهم من كل ناحية وثار القتال بينهم وأهلك بنو مسعود منهم جماعة قيل انهم سبعمائة ومع ذلك ماتركوهم حتى صعدوا اليهم الجبل وقتلوا من ادركوه منهم ثم رجعوا الى مخيمهم ونادوا لمن يصل اليهم من بني مسعود بالامان في وجه سالم بن شكبان فصاروا يتناسلون اليه من كل حدب ويطلبونه بطالب وغير طالب ولما قلت منهم طالب النكال في أمكنهم الخلاف فاخذ منهم شيئا كثيرا ثم ركب عثمان ومن معه على الاشراف بني عمرو بأهل اللقاع وصار بينه وبينهم قتال عظيم ثم تكاثروا بجنودهم على الاشراف وقتلوا ستة وعشرين شريفا ونهبوا حللهم وسلبوا نساءهم حتى جردوهم من الثياب فطلبوا الامان وأعطاهم وعودوا حلوا في طينه ثم عاد عثمان الى المضيق واجتمع بسالم بن شكبان وصارا ينتظران عبد الوهاب أبا نقطة يأتيهم من أي ناحية وسلكه لكونهم تواعدوا على حصار مكة فتأخر عن الوصول اليهم فارتحلوا فلما وصلوا السيل نهبوا كل ما وجدوه في طريقهم من المواشي والثمرة مع وقسموا الغنائم ثم عقبهم

القبب التي عملت بمصر من النحاس وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم الشريف فركبت على أعلا القبب فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف بالاساكب من الذهب بغاية السكون والادب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة واجلالا واتقان ذلك انما هو بعناية الصدر المصروف في العمارة الشريفة وكان على أحد قبب المسجد الحرام بمصر امير بكار بكي مصر الآن نائب السلطنة الشريفة بها في هذا الزمان أمير الامراء العظام كبير الكبراء الفخام محيي البلاد والعباد بعد الاعدام سمي روح الله المسيح والاسمى نزل من السماء زاد الله شأنه عظما وأنعش باحيائه أهلنا العظماء والسادات الاجلاء الكرام وأفاض على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه الفياض ما يزيد على القياس وينزع بيده أسباب ما لديه ومرحمته وجودة بخزينة ومودة تمكن في قلوب الناس وأعانه على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع الاسوا وأفاض عليه جلائل نعمه الباطنة والظاهرة وجمع له بين سعادتي الدنيا والآخرة ولما كان هذا المسمى أحيا موات مصر وعمرها بالخيرات وأبراجيمها جاوبا أهلها من الاوصاب وأنعش أهل الحرمين الشريفين كما أحيا الموتى روح الله المسيح وجهز اليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية

ووصل الى الليث أبو نقطة بعد تفرق جموعهم حين فات أوان الربطة فأخذ أبو نقطة يشكل أهل الليث وغيرهم من العربان حتى اجتمع له من الاموال شئ كثير وزينت له نفسه أن يطلع على الطائف وهم في الجبال الكاوية ثم لم يصلوا الى شئ من المال فلما تمكنوا من نصف جبالهم الشاهق تصيدهم الجادلة بالبنادق وتسلوا منهم مائة وستين فرجعوا منهزمين مكسورين كسرة شنيعة بعد القتلة الذريعة وفي موسم سنة ثماني عشرة كان أمير الحاج الشامي سليمان باشا مملوك أحمد الجزار فبعد تمام الحج طلب منه مولانا الشريف أن يبقى جانبا من العسكر تحت يده ويرتب لهم العلائف والمقررات لحماية هذا البيت الامين فأبى وصمم على الامتناع فلم يقبل منه سيدنا الشريف ذلك الامتناع وقال لا بد من أخذ شئ من ذلك فتوسط بينهما عثمان بيك أمين الصرة ان يبقى مائة وخمسين من خيار العسكر ومائة وخمسين من الجمال موسوقة من المهمات وآلات القتال فأرسلها أمير الحج على مقتضى الشرط وفي شهور المحرم من سنة تسع عشرة أقبل سالم بن شكان وعثمان باثني عشر ألفا يريدون محاصرة جدة وأخذها لزعمهم الفاسد فأراد مولانا الشريف غالب التحرز والتحصين لمكة لئلا يدخلوها وعلم ان جدة لا يمكنهم أخذها فنادى مناديه في البلد الحرام بالنفير العام وأمر الناس بحمل السلاح والخروج الى الزاهر فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح يبيتون من وقت المساء الى الصباح حتى مضى لهم سبع ليال على هذا المنوال

•(الغزوة الرابعة والثلاثون)•

فهذه الغزوة الرابعة والثلاثون ثم تحقق انكسار فرقة الضلال ورجوعهم عن جدة بالويل والوبال وجاء البشير من جدة مخبرا بارتحالهم وقال انهم أناخوا بساحل جدة ومعهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحاطوا بالسور وفي كل يوم يحملون على البلدة حملة واحدة فتفرق جموعهم المدافع فيعودون الى الخيام حتى أفنى المدافع منهم الكثير فلما مضى لهم ثلاثة أيام ولم يظفروا بمرام ارتحلوا بالخيبة والويل والندامة من بعد ما قتلهم الجوع والعطش حتى صاروا يعدون العشرة والعشرين مدفونين في محل واحد وتوجه سالم بن شكان على طريق الوادي واسع بالمضيق وأخذ عثمان على خلاف هذا الطريق ومعه كثير من ثقيف وغيرهم فقتلوا عربانا في طريقهم وأخذوا ابلا فمولانا الشريف فلما بلغه الخبر أرسل خلفهم غزوة فيها ما ناس من الخيل الجياد

•(الغزوة الخامسة والثلاثون)•

فهي الغزوة الخامسة والثلاثون وأمرهم ان يتوجهوا على طريق عرفة فاذا صادفوا عثمان ومن معه يقاتلوهم فلم يصادفوه فعند ذلك جهز مولانا الشريف غزوة أخرى

•(الغزوة السادسة والثلاثون)•

وهي الغزوة السادسة والثلاثون جهزها من طريق البحر لتتوجه الى الليث فجهز من الداوات الكبار عشرة وشحنها بالعساكر والعساكر والمدافع الكبار والجبخانة وآلات القتال وجعل الامير عليها القائد مفرح عتيق الوزير ريحان وجهز جيشا آخر من طريق البر الى الليث أيضا

•(الغزوة السابعة والثلاثون)•

ففي الغزوة السابعة والثلاثون وفيها مائة من خيل الاروام مع كثير من الجند وجعل الامير عليها السيد حسين بن زين العابدين بن غالب وجعل أميرا على الاتراك حسين آغا تفنكجي باشا فتوجهت غزوة البر فلما وصلوا الليث وجدوا غزوة البحر قد سبقتهم ودخل القائد مفرح البندر بجيشه وأطاعه أهل الليث بغير قتال لكن وقعت قضية بعد وصول غزوة البر لم يسبق مثلها وهي ان بعض الاوباش أغرى حسين تفنكجي باشا ان يحرق ثلاثة من الاشراف المناديل ٢ فجعل لكل واحد خازوقا وأجلسه عليه وأدخله فيما بين رجليه مع انهم دخلوا في الطاعة مع أهل البلد وقد كانوا من جملة خدم

ومسرحها اليهم أحسن تسريح فهم داعون بدوام معدلته وخلود ملك السلطان الاعظم المحسن الجزيل الاحسان حيث ولى رعاياه من يرأف بهم ويتم عليهم بالخيرات الحسان أدام الله سعادته واقباله ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الاسواء ووقاه

﴿فصل في ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما صارت عليه الآن﴾ اعلم أن عدد جملة أساطين المسجد الحرام في جوانبه الاربع غير الزيادتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وستون اسطوانة وما على أبوابه سبع وعشرون اسطوانة فتكون جملة أساطين أبوابه الشريفة أربعمائة اسطوانة وستا وتسعين اسطوانة تقدم انها على السبين غيرما كانت من أساطين الزيادتين فكان في الجانب الشرقي ثمان وثمانون اسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا اسطوانة واحدة في الصف الاوسط عند باب علي فانها من الآجر مبنية بالنورة مبيضة بالجص وكان في الجانب الشمالي ويقال له الشامي مائة اسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ما عدا أربع عشرة اسطوانة من آخر الصف الاوسط مما يلي باب العجلة وباب الندوة فانها حجارة منحوتة وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني مائة وأربعون اسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا وعشرين اسطوانة في مؤخر صحن الرواق عند أبواب أم هانئ

الشريف وبني عمه فقتلوا طلبا وقهورا وكان أمر الله قدرا مقدورا فما مضى بعد ذلك ثلاثة أو أربعة أيام حتى هجم عليهم من طائفة الوهابية جنود زهاء أربعة آلاف مقاتل فوقع القتال بينهم وبين جنود مولانا الشريف فكانت ملحمة عظيمة اسفرت عن انهزام الوهابيين بعد ان قتل منهم خلق كثير واستشهد ذلك اليوم السيد حسين بن غالب أمير الغزية الثانية التي أرسلها مولانا الشريف من طريق البر وجمع بعض الاتراك رؤس الوهابيين وأرسلها لمولانا الشريف بعد المعركة فحشاها بالتبن وأرسلها فأمر مولانا الشريف بتعليقها خارج البلد وهرع الناس ينظرون اليها وبعد أيام رجع الى مكة مفرح أغا وحسين أغا وكان مجيء حسين أغا على خلاف مراد مولانا الشريف لانه أحب بقاءه في الليث لكونه مشهورا بالشجاعة فاعتذر بان باعثه على الوصول نفاد الزاد فجهز مولانا الشريف غزية أخرى

﴿الغزية الثامنة والثلاثون﴾

وهي الغزية الثامنة والثلاثون وجعل فيها كثيرا من عساكر العرب ومن الاشراف والعبيد ولم يجعل فيها أحدا من الارواام وجعل الامير عليها السيد حسن بن علي بن سعيد فتوجه بمن معه الى الليث فوجده فاضيا فليس فيه أنيس ولا من اليه غير العيس فعادوا من يومهم الى مكة فتعجب منهم سيدنا الشريف وتعجب من رجوعهم ثم جهز غزية أخرى الى جهة الوادي

﴿الغزية التاسعة والثلاثون﴾

وهي الغزية التاسعة والثلاثون ومعها كثير من السادة الاشراف ومن الاتراك نحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة وجعل الامير عليها السيد شنبر بن مبارك بن شنبر المنعمي وأمرهم ان يقيموا بقرية المضيق ليمنعوا العدو من الوصول لتلك النادي وطمأنينة أهل الوادي فقالوا مأمرهم به الان الماء والهواء متغيرا على الارواام واعتراهم مرض وسقام ومع ذلك صابروا ومكثوا ثلاثة أشهر وهم حافظون تلك الحوزة ورجع بعض منهم الى مكة ولم يبق بالوادي الا نحو الاربعين فلما بلغ عثمان الخبر أغراه على الوصول اليهم داء الطمع فجمع أربعة آلاف مقاتل ما بين راكب وراجل ودهمهم بغتة فانتشب القتال بينهم وبينه وأنزل الله النصر على أولئك الاربعين حتى صار الواحد منهم يقتل العشرة والعشرين فهزموا ذلك الجند الذي جاء به عثمان وقتلوا فيهم قتلا ذريعا حتى وصلوا الى الزيما هاربين ولا يلتفت أحد منهم الى أحد ولما بلغ مولانا الشريف الخبر أرسل خلفهم مائتين من الخيل تطرد خلفهم ولو أدركوهم لاذاقوهم كأس الويل

﴿الغزية المكملة أربعين﴾

فهذه الغزية المكملة أربعين ولما بلغ سعود هذا الخبر قال كيف يفعل الاربعون هذا الفعل وانه غاية الاستغراب واعتبر وقال انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر ثم رجع القوم من الوادي الى مكة فانعم عليهم مولانا الشريف بالدراهم والملابس الفاخرة وفي مدة هاتين الغزوتين وقعت غزوات أخر وذلك انه في خلال هذه المدة جاءت الاخبار لمولانا الشريف ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغمس يترقبون الفرصة واذا غفل عنهم بادية الحرم نهبوا ما يجدونه من الغنم فجهز غزية عدتها أربعة عشر فارسا ونحو عشرين من الرماة

﴿الغزية الحادية والاربعون﴾

وهي الغزية الحادية والاربعون وجعل الامير عليها السيد راجح بن عمرو الشنبري فوصل هو ومن معه الى المغمس فلم يجد أحدا فاخذوا على طريق الزيما فلما أقبل على سولة بدا لهم مواطئ أقدام ماشية فاقبلوا مجدين في آثارها فاذا جماعة يذودون عن الحمى فصاح السيد راجح صيحة الاسد الضاري واستعد من معه فثار الحرب بينهم وبين القوم حتى صار صوت البنادق كالرعد ودفعت

فانها كانت حجارة منحوتة وكان في الجانب الغربي سبع وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة في صفة الدائرة مركبة على كل اثنتين منها اثنتان الى أن يطول في شكل اسطوانة الرخام مسبولة بينهما من الرصاص في داخل وسطها حديد بطول الاسطوانة مخروب مكانه في وسط الحجر مسبولة عليه بالرصاص عمل ذلك في أيام الناصر فرج برقوق لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام في آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدم شرحه في محله فيكون جميع ما أدركناه من الاساطين غير الرخام مائة وتسعا وعشرين اسطوانة وأما أساطين دار الندوة فادركناها وستين اسطوانة من جوانبها الاربعة كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطلي بالجص من ظاهرها وقد ينكشف عنه الجص فيظهر الحجر الغشيم فيها في الجانب الشرقي اثنتا عشرة اسطوانة وفي الجانب الشمالي عشرون ثم في أيام دولة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أمر أمير امن أمرائه بجدة وهو الامير خوش كلدي في سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها ان يهدم مقام الحنفي الذي كان بناه الامير مصلح الدين في ابتداء الفتح العثماني لما كان امر بان يبنى مكانه مربعا على وضعه السابق الى

الخيل تركض على القوم واستمر الطعن والضرب وأثروا التكثير من ذلك الحرب وما سلم الامن فر منهم وانهزم وانهزموا هزيمة شنيعة وقتل في ذلك اليوم سعد بن قرملة وقاتله السيد راجح بن عمرو الشنبري وقتل فيها كثير من قحطان وغنم السيد راجح ومن معه كثيرا من الابل الطلائع والخيل الجياد والغنائم ورجعوا الى مكة حاملين للرؤس على الرماح ومعهم ما غنموه من الخيل والابل والسلاح وأصيب يومئذ السيد راجح في يده ومع بالغيظا ومع هذا القتل فيهم قتلا عنيفا وفرح المؤمنون بنصر الله وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفي شهر صفر جاءت الاخبار ان بداي شيخ حرب دخل ومن معه في الطاعة واستولوا على ينبع ومعه ابن جبارة شيخ جهينة وخدعاوزيرها لعدم قتال وحضروا واغارة وكان وزير ينبع محمد الجبري من عسكر الترك ولم يكن له تمكن بالحرب ودراية فحاصروه ليالي مع أيام فلم يتم لهم اربهم ولا مرام فسلطوا عليه ابراهيم الروبي فازال تحرقه وبصعب عليه الامر حتى طلب بواسطته الامان وهو في غاية التمكن والاحصان فاعطوه الامان ودخل ينبع بداي وابن جبارة مع كثير من حرب وجهينة واستباحوا قتل المسلمين بلا عقل ولا دين وتمكن من البندر ثم توجه وزير ينبع الى جدة في الداوات ثم طلع الى مكة وزماه بعض العسكر عند مولانا الشريف بانه وقعت منه خيانة في تسليم البندر فاجرى عليه ما حكم با قضاء الله وقدره وأمر بسلبه ثم سلبه فسلب وصلب وتوجه يومئذ مولانا الشريف الى جدة لاخذ الثار فصادف ان رأى مركبين من مراكب الانكليز مجهزة للبندر فتكلم مع قبطانها ان يسير معهم جماعة للقتال ولو أخذ ما طلبه من المال فاطاعه ورضي ثم خان وغدر وسافر بمركبه فقام مولانا الشريف بهمة قوية وعزيمة هاشمية وجهز عشرة داوات من الداوات الكبار وشحنها بكثير من العساكر والذخائر وجعل نصف العسكر من عساكر الاروام والنصف الآخر من عساكر أهل الاقدام

﴿الغزوة الثانية والاربعون﴾

وهي الغزوة الثانية والاربعون وجعل الامير على الاروام رسول آغا وعلى العرب القائد مفرح وقبل الى اقامته بجدة وردت رعية من ينبع واخبرها ابراهيم الروبي المتقدم ذكره الذي كان سببا في أخذ ينبع وخديعته للوزير حتى سلمها لهم وكان وصوله من عجيب الاتفاق فأمر مولانا الشريف باحضاره وسأله عن تلك القضية ووجد عنده أوراقا من بداي يقصد بها الرعية فاجاب مولانا الشريف بكلام كالعدم لا يخلو عن اتهام فالان له الكلام حتى وقف على المرام ثم أمر بصلبه بعد سلبه فصلب ثلاثة أيام ولما عزم مولانا الشريف ارسال الغزوة رجع الى مكة ثم جاءته الاخبار بان الداوات وصلت بالسلامة وطرحوا المراسي بينبع وأحاطوا بها وأداروا عليها المدافع الى مضي ثلاثة أيام ثم نزل الجند وحملوا على البلد حتى دخلوها وملكوها وقتلوا جماعة ابن بداي وقتلا ذريعا ولم يكن ابن بداي هنالك لانه بعد أن ملكها جعل فيها ابن عمه وخرج وبعد أن تمكن جند مولانا الشريف من ينبع أرسلوا له بالبشائر فأرسل الخلع الفاخرة لمفرح آغا وأنعم عليه بوزارة ينبع وأكرم رسول آغا بفرو سمور وكثير من النقود له ولبقية الجنود

﴿الغزوة الثالثة والاربعون﴾

الغزوة الثالثة والاربعون كانت في شهر جمادى الاولى سنة تسع عشرة وذلك أن سيدنا الشريف في الشهر المذكور شمر عن ذيل عزمه وركب بمن لديه من السادة الاشراف والاتراك والعساكر وتوجه الى الطائف من طريق اليمانية وأرسل القائد أحمد بن منقال من طريق كرا وأحاطوا بالطائف واجتمع معهم كثير من العربان وصار عثمان المضايفي محصورا في الطائف ولم يقدر على ملاقاة الشريف وجاءت الجنود بالبنود والرايات على السور وصارت تنفسه بالمنازل في أعماره فلم يرد الله عز وجل بلوغ المرام فاقام عشرة أيام ورجع الى البلد الحرام وفي أواخر شهر رمضان جاءت الاخبار

آلتا هذا الفاو فكره الشريف ان يجعل (٢٨٤) في المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مؤن المسجد ان يشابهوا لاشوان يجعل الى جانبه حاصلا آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وفاروف زيته ومسارجه قصد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقي منها حاصلا لين حجره وبني عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى أيام دولة هذا السلطان الاعظم عمر الله به الوجود وأفاض على أهل العالم نائل سلطنته العادلة سحائب العدل والاحسان والجود وأعيد ذلك المحل المحجور من المسجد الحرام كما كان وأما زيادة باب ابراهيم فقد كان منها في الرواق سبع عشرة اسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الخوزي على يسار المستقبل وفي الجانب الشمالي ست أساطين احداها لاصقة بالمنارة التي كانت بهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربي من هذه الزيادة أساطين ۞ ثم في أيام السلطان الغوري أرسل أميرا من أمرائه يقال له خير بك المعمار المعمر زيادة باب ابراهيم في حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة فبنى على باب ابراهيم قصرا من قدامه مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد منازل ومساكن ...

بان عبد الوهاب أبا نقطة حل بارض اليمن ثم تحقق وصوله الى الليث ومعه كثير من الجند فاستعد مولانا الشريف لقتاله وخرج بجنوده الى السعدية ثم انتقل الى الشرقية

﴿الغزوة الرابعة والاربعون﴾

وهي الغزوة الرابعة والاربعون ثم انتقل الى السعدية فوجد جنود الوهابية نازلين بها ومعهم عدد كالرمال فالتقى الجمعان عاشر شوال وتكافح الفريقان واشتد القتال فكانت النصرة في أول الامر لمولانا الشريف ومن معه حتى صارت الارائك تقطع في رؤس أولئك القوم قطع رؤس الكباش حتى فني من عسير جم كثير ثم انقلب الدور على الارائك وقتل منهم كثير فكان القتلى من الفريقين نحو الالفين لكن قتلى الوهابية أكثر بيقين ثم انهزموا وما ردخلفهم مدة جند مولانا الشريف ثم رجعوا ورجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وفي الخامس عشر من شوال وصل عثمان المضايفي الى الزيما بجنود كثيرة وتلاه عثمان بن شكبان ثم انتقلوا الى عرفة ودخل في طيبهم بعض قريش وهذيل فقتلوا من لم يطعهم ممن قدروا عليه وأسروا البعض وأتلفوا عين زبيدة بالتهديم والتكسير فقل الماء بمكة وصار الضعيف في جهد وضنك ثم انتقل كثير منهم الى وادي مر في عاشر ذي القعدة وصاروا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة حتى غدا طريق جدة أيام اقامتهم أيام نحر وتشريق ولما جاء الحج الشامي لم يدخل الا من طريق جدة ولم يصل الوادي وكذلك الحج المصري ثم وصل شريف باشا صاحب جدة وحج الناس لكن لم يحج في هذا العام أحد من أهل مكة وجدة والمدينة ومصر والشام وجميع البلدان غير ما كان في الحج الشامي والمصري بسبب هذه الفتنة والعربان محيطة بمكة حاصرة لها من جميع الجهات حتى ان أكثر البيوت حتى كانت خالية أيام الحج وكان أمير الحج الشامي ابراهيم باشا والي الشام فتكلم معه مولانا الشريف أن يخرج لقتال هذا الخارجي فامتنع ثم طلب منه أن يرسل عساكر وجمالا الى جدة لاحضار شئ من الذخائر والقوت فوعد وأخلف ثم كرر الطلب عليه ثانيا وثالثا فلم يفعل وفي ليلة من الليالي التي هو مقيم فيها بالزاهر جاء خمسة من الخيل فصاحوا في أطراف العسكر وكبروا وجالوا فحصل لهم فزع وحصل له خوف كثير فكاتب عثمان المضايفي وارتبط بينهما حبل المودة والمواصلة فصار جماعة من قوم عثمان يأتون الى الخيام ويبالغ هو في الاكرام وفي ليلة عشرين من شهر الحج سافر عند طلوع الفجر ولم يأذن له عثمان في الانتقال الا بعد أن دفع له مائتي كيس من المال وقد تقدم انه في سنة ثماني عشرة أبقى أمير الحج الشامي طائفة من العسكر لاعانة مولانا الشريف فأخذهم ابراهيم باشا في هذا العام فنصحه العلماء والقضاة وحذروه من غضب السلطان فازداد الاعتوا ونفورا فقام مولانا الشريف بأعباء تحمل الانتقال ومكن روع سكان البلد الامين بمن معه من العسكر والرجال ورمى البلاد من الجوانب الاربع لكن اشتد على الناس بقطع الطرق الجوع ووقع الغلاء الذي تسيل له الدموع فلم يجد ما يشتريه الجائع ولا ما يبيعه البائع ودخلت سنة عشرين والناس في بلاء مبين

﴿ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه﴾

وكان ابتداء القحط والغلاء من أواخر ذي الحجة سنة تسع عشرة واستمر الى ذي القعدة من سنة عشرين ومضت هذه السنة وهو كل يوم في ازدياد حتى انه في آخر الامر بلغت كيلة القمح والرز خمسين وبلغ الرطل من السكر والشحم والزيت ريالين والرطل من البن والتمر ريالا والرطل من السمن ريالا ونصفا وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل اللحم الماعز والجمل نصف ريال وأخرج أهل مكة جميع ما يملكونه من الحلي والثياب والاثاث يبيعونه بابخس الاثمان ويشترون بها ما يأكلون ثم عدمت الاقوات بالكلية ولا يجدونها بالاوقية فضلا عن الارطال وصار كثير من الناس يأكلون من أدوية العطار كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحمر وتشرب أناس الدم المسفوح وأكل

تشتمل على مراحيض وبركة ماء وقف ذلك جميعه على جهات خير وبني من داخل باب ابراهيم (٢٨٥) على يمين الداخل ماصلا في أرض المسجد رفي علو سكنا وعلى يسار الداخل مثله وقرر فيها بعض المستحقين وجعل في الجانب اليماني من هذه الزيادة ماصلا يشتمل على سبيل ماء وصهريج كبير يملئ من ماء المطر من سطح المسجد وأبقى الجانب القبلي والجانب الشمالي على حالهما وفرغ الامير خير بك المعمار من ذلك في حدود سنة عشرين وتسعمائة ‪.‬ وأما عدد شرفات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرفة وسبع أنصاف شرفة ‪.‬ وأما الشرفات التي كانت على جدر المسجد من خارجه فهي اثنان وخمسون شرفة متفرقة على أبواب المسجد الحرام فليس فيها شرفات وكانت في زيادة دار الندوة من جوانبها الاربعة التي تلي بطنها اثنتان وسبعون شرفة ولا شرفة للجهة الخارجة لاحاطة الدور بها وكانت في زيادة دار ابراهيم مما يلي بطنها في ثلاث جهات منها وهي القبلية واليمانية والشامية بضع وأربعون شرفة ‪.‬ وأما أبواب المسجد الحرام فهي تسعة عشر بابا كانت تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا وهي باقية على حالها ماعدا بابا واحدا في زيادة دار الندوة وكان يفتح على طاقين فزادها الامير قاسم أمين بناء المدارس الشريفة السلطانية ثالثة

بعض الناس الجلود والهرات والكلاب وكل حيوان على وجه الأرض فهلك الفقير وافتقر الغني وحصل الغلاء بطول وعسر وأرباب العيال صاروا حيارى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وقاسى أهل مكة في هذا العام ما لم يقاسه أصحاب السبع الشداد وفي أثناء هذه المدة وقعت الخيانة من بعض الناس من الأشراف وغيرهم فكاتبوا عثمان ومن كان في الجند من الأمراء وانساب بعض منهم أسباب السبل وهرب جنح ليل ومنهم من ثبت وقعد ودخل معهم في الخيانة بعض شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة فأراد الله لهم بالفضيحة واطلع مولانا الشريف على بعض مكايدهم القبيحة واطلع أيضا على مكاتبات من بعض الأشراف الكبار لأولئك الفجار فأمر بسجن ابن أخيه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وسجن كثيرا من غير الأشراف من العسكر والعبيد وقتل بعضا من شيوخ العبيد ودخل في طاعة الوهابي كثير من الأشراف من ذوي بركات وذوي عبد الله وذوي الحرث والعبادلة وغيرهم مما يطول الكلام بذكرهم وقويت عزائم الخارجي بطاعتهم له ومازال الناس يتهالون ويتسللون ويخرجون من مكة ويدخلون في طاعة الخبيث لا سيما لما اشتد الغلاء والجوع وكانت الأقوات في جيوش الخارجي كثيرة تباع بأبخس الأثمان ولما رأى الشريف يحيى بن سرور ما حل ببعض الأشراف من الحبس والإهانة ركب فرسه بالليل وفر ولم يزل سائرا حتى وصل وادي مر وعامل القوم كما عاملهم غيره ففرحوا به فما أقام عندهم غير ثلاثة أيام حتى جاء بجماعة قوده من الخيل على رأسه ووصل بهم إلى عمرة التنعيم وبعضهم أشرف على الزاهر فقابله الخيل مولانا الشريف غالب فأمر الفرسان بالركوب خلفهم

(الغزوة الخامسة والأربعون)

وهي الغزوة الخامسة والأربعون ففروا هاربين ولم يدركوهم ورأى أهل البلاد فترسوا أطرافها وأكنافها وحصل في ذلك اليوم ضجة أي ضجة وكان ذلك يوم الربوع لاثنين خلوا من شهر المحرم سنة عشرين وبعد يومين من هذه القضية ارتحل الجنود الذين كانوا بالوادي ونزلوا الحسينية وأقبلوا على أطراف مكة وهم منتقلون فأشرف عليهم أهل مكة من رؤوس الجبال وما كان منهم هذا الانتقال إلا لظنهم أنهم يدخلون مكة لكن قاتلهم العبيد المترسون في الأبراج التي حول مكة ومنعوهم عن الدخول كرها واستمر القتال بينهم من الظهر إلى الغروب وهلك من تلك الجنود سبعة فتوجهوا إلى الحسينية وقتلوا أحد عشر رجلا من أهلها وأخذوا مواشي أهل الحسينية وتوجهوا إلى العابدية لأنه بلغهم أن أبراجها حصينة وهي خلية لأن العبيد تركوا الأبراج وجاؤا إلى مكة لطلب الزاد فلما وصلوا إلى مكة غضب عليهم مولانا الشريف لتركهم الحصون وأعادهم بجميع ما يلزم من الحال وزاد عليهم مثلهم بين راجل وخيال وأمر سرية من الفرسان أن يصعدوا خلفهم مسرعين فسبقوا العبيد إلى الأبراج قبل أن يستولي العدو عليها فلما أقبلوا عليها وجدوا الوهابيين مسارعين إليها فسبقوا الوهابيين ودخلوها ومنعوهم عنها بالطبجات أثر أهل البندق والرماة

(الغزوة السادسة والأربعون)

وهذه الغزوة السادسة والأربعون فلما لم يتم للوهابيين أمر رجعوا إلى وادي مر ثم ارتحل عثمان بكثير من الجنود وتوجه إلى الطائف وكانوا قبل ارتحالهم بنوا حصنا بقرية المدرة وتركوا فيها عصابة من قومهم وأمر عليهم ابن جحى من عدوان وارتحل بعده سالم بن شكبان وكانوا في مدة إقامتهم بالوادي بايعهم أكثر العربان الذين بأطراف مكة كالمطارفة وقريش وبعض هذيل والجحادلة فتولوهم وأمروهم بقطع الجلب عن مكة ولما رأى مولانا الشريف ما حل بأهل مكة من القحط والغلاء والجوع أخذته الشفقة والمرحمة فاجتهد في جمع ما أمكنه من الجمال وأرسلها إلى جدة لتأتي بالذخائر والأحمال وأرسل معها جماعة من الأشراف والعسكر والعبيد ومعهم نحو المائة من فرسان الخيل

طاقا واحدا وصار على ثلاث طاقات فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن ثمانية وثلاثين طاقا في كل طاق دفتان وسيأتي تفصيلها بعد ذكر الأسطوانات المتجددة في عمرها * والذي اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الأساطين الرخام والأساطين الصفر الشميسي والقبب والطواحين والمصليات وشرفات المسجد الحرام فهي ما نذكره * وأما الأسطوانات الرخام فعددها ثلاثمائة وإحدى عشرة أسطوانة ففي جهة شرق المسجد الحرام وهي ما يقابل باب البيت الشريف اثنان وستون أسطوانة رخاما وفي جهة شامه ويقال له الجانب الشمالي وهو ما يقابل الحجر الشريف إحدى وثمانون أسطوانة رخاما وفي جهة غربيه أربع وستون أسطوانة من ذلك وهو ما يقابل المستجار العظيم ست أسطوانات من الحجر الصوان والباقي من الرخام * وفي زيادة دار الندوة خمس عشرة أسطوانة من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفي زيادة باب ابراهيم ست أسطوانات * وأما الأسطوانات الصفر الشميسي فجملتها مائتان وأربع وأربعون أسطوانة وهي عبارة عن شكل مثمن أو مسدس أو مربع على حسب ما اقتضاه المكان وهي في طول الأسطوانة نحو مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلاثة من الحجر الشميسي المنحوت * في ذلك في شرق المسجد الحرام ثلاثون

وارسل

وأرسل معهم أحمد كتخدا وخرج معهم كثير من أهل مكة لما حل بهم من الجوع وصاروا كالجراد المنتشر بين مشاة وركبان وبلغ كراء البعير الى جدة تسعين قرشا الى ثمانين وفي ثاني يوم خروجهم من مكة بلغ مولانا الشريف انه خرج عليهم بعض الوهابيين فألحقهم بما ينوف عن مائة خيال من الصناديد الابطال وأمر عليهم السيد ماضي بن سليمان

﴿الغزية السابعة والاربعون﴾

وهذه الغزية السابعة والاربعون ثم جاء الخبر ان الذين خرجوا أولا طالب المعونة والذخيرة مع أحمد كتخدا لما بلغوا نصف الطريق خرج عليهم ثلاث من خيل ذلك الفريق وهم عيون وجواسيس توصل لهم الاخبار فركض عليهم بعض الخيل وبقي بعض منها لحراسة القافلة فتبع لهم نحو عشرين خيالا كانوا متوارين خلف تلك الجبال فركض عليهم خيل الهوارة وأصابوا رجلا وقتلوا رجلين وأقاموا حصانا وقتلوا فرسين وفر بقية الاشرار للويل والدمار ولما وصلت القافلة للمنحنى وهو جبل معروف وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين قصدوا انهم يحيلوا ورجال من أهل مكة ومن العسكر فقتلوهم وقطعوا رؤسهم ودخلوا بتلك الرؤس الى بندر جدة المحروس وفي اليوم الثاني من دخولهم جدة وردت أغنام الى جدة فعدوا عليها وأخذوها فأرسل الوزير خلفهم جريدة من الخيل ليسترجعوها فلم يدركوهم ثم ان القافلة حطت أحمالها وأوسقت جمالها وتوجهت الى مكة ونالت البادية الحظ الاوفر من كراء الجمال وأكثر وأكل بعير بثلاثين ريالا وكان الشيخ عبد الله عبد الشكور صاحب التاريخ له حمل من القمح من تلك الجمال واستولى عليه بمكة الناظر عثمان بلا فرقه على العسكر وحسب قيمته على مولانا الشريف وأخذها ولم يعط الشيخ عبد الله شيئا من الحمل ولا من قيمته فرفع فيه شكاية لمولانا الشريف فجعل الشكاية في منظومة طويلة مذكورة في التاريخ وبعد وصول القافلة الى مكة أقاموا يومين فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثانيا ليأتوا بذخيرة أخرى وأمدهم بالعسكر وكراء الجمال على حاله كالرد الاول وكان أهل مكة يسمون تلك القوافل بالردود وجعل أميرا على هذا الرد السيد ماضي بن سليمان وخرج كثير من أهل مكة الفقراء مع هذا الرد فتوجه الجميع في الثالث والعشرين من المحرم ووصلوا الى جدة بالسلامة وحملوا الجمال وتوجهوا بها وسلكوا غير الطريق المعتاد وحصل لهم تعب لعسر الطريق الذي سلكوه ووصلوا الى مكة بالسلامة وأقاموا أربعة أيام فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثالثا وكراء الجمال على حاله وكثير من أهل الجمال يحملون كيلتين من البر بريال وأكثر الخلق تحوم حول المنفعة فكانوا يشترون لانفسهم كيلة البر التي قليل من جدة ويبيعونها في مكة بأربعة ريالات وكان رجوعهم الى مكة سادس صفر وكانت تلك الردود سببا لارتخاء الاسعار عما كانت عليه ثم أمر بالرجوع أيضا الى جدة رابعا وخرج معهم في هذا الرد خلق كثير من أهل مكة قيل انهم نحو ثلاثة آلاف حتى قل الناس من مكة ولم يتكامل الصف الاول بالمسجد الحرام وما حملهم على ذلك الا الفقر وكثرة الجوع وكان معهم أيضا من العسكر مثل ما كان أولا والامير عليهم السيد ماضي المذكور ووقع لأهل مكة من بعض أهل جدة كلاما شافهوا في الازقة والاسواق يقولون لهم جئتم أرضنا تضايقونا في الارزاق فتعب لذلك الكلام أهل مكة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وما صدر ذلك الكلام الا من بعض السفلة والارذال وأما المعتمدون من أهل جدة فلم يقع منهم شيء من ذلك بل كانوا يتلقونهم بغاية الاكرام وللشيخ محمد البناني مفتي المالكية بمكة قصيدة طويلة يذكر فيها ما وقع لاهل مكة من بعض أولئك الارذال وهذه القافلة الرابعة أقامت بجدة ثلاثة أيام وحطت جمالها وتوجهت لحمى البيت الحرام ولم تزل هذه الردود تسري الى ان انقطع الطريق بالكلية وأحاطت جنود الوهابيين بمكة من جميع الجوانب في شعبان ورمضان وفي تاسع شهر رمضان أرسل مولانا الشريف غزية على قوم من

اسطوانة وفي جهة غربية ست وثلاثون اسطوانة وفي جهة جنوبية ست وسبعون (٢٨٧) اسطوانة وأربع في أركان المسجد وفي زيادة باب ابراهيم ثماني عشرة • وأما القبب فعددها مائة واثنتان وخمسون قبة • فمن ذلك في شرق المسجد الحرام أربع وعشرون قبة وفي الجانب الشامي ست وثلاثون قبة وواحدة في ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفي زيادة دار الندوة ست عشرة قبة وفي زيادة باب ابراهيم خمس عشرة قبة • وأما الطواجن فجملتها مائتان واثنان وثلاثون طاجنا وفي الجانب الشمالي تسعة وخمسون طاجنا وفي الجانب الغربي ثلاثة وأربعون طاجنا وفي الجانب الجنوبي أربعة وستون طاجنا واثنان في مأذنة باب السلام وواحد في ركن المسجد من جهة باب العمرة وفي زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاجنا • وأما المصليات فجملتها ستة وخمسون مصلى في جهة شرق المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة وفي جهة شامية اثنان وعشرون وفي جهة غربية ستة عشر وفي جهة جنوبية خمسة عشر • وأما الشرافات فجملتها ألف وثلاثمائة وثلاثون شرفة فمن ذلك في شرق المسجد الحرام مائة

واثنتان وستون شرفة • قس الرخام سبع وعشرون في وسطهن واحدة طويلة ومن الطراز التميمي مائة وخمس وثلاثون

بنى طيان دخلوا فى الطين

{الغزية الثامنة والاربعون}

وهى الغزية الثامنة والاربعون جهز فيها خيلا وركابا ومشاة وأمر عليها السيد راجح بن عمرو الشنبرى أمره أن يقصد بغزوه قوما من بنى طيان دخلوا فى طاعة عثمان وكانوا نازلين بشعب من وادى الطرفاء يسمى شعب الذئب فأغار بمن معه عليهم فقتلوا ثلاثة وأخذوا من ابلهم نحو الخمسين والباقى من القوم فرجين سمعوا سنابك الخيل ورجع السيد راجح ومن معه سالمين ثم أعاده سيدنا الشريف بمن معه وأمرهم ان يغزوا المناعمة

{الغزية التاسعة والاربعون}

وهى الغزية التاسعة والاربعون فغزوا على المناعمة وعلى جماعة من المطارفة فولوا فارين مدبرين وأخذوا الممكن من مواشيهم وحللهم ورجعوا سالمين وفى السادس من ربيع الاول جهز مولانا الشريف جيشا مكمل القوة والاستعداد فيه جملة من السادة الاشراف والعساكر والعبيد وأمرهم ان يغزوا الحصن الذى فى المدرة فيه جملة من الوهابيين

{الغزية المكملة خمسين}

وهى الغزية المكملة خمسين ومعهم مدفع كبير وقنبرة فساروا الى ان نزلوا المدرة وأحاطوا بالحصن وحاصروا القوم ورموهم بالمدفع والقنبرة فلما مضى ثلاثة أيام جاء قوم من بنى طيان يريدون دخول الحصن اعانة لمن فيه فحمل عليهم عسكر مولانا الشريف وطاردوا خلفهم حتى أصعدوهم رؤس الجبال وأرسل لهم مولانا الشريف مدفعا آخر وجاء قوم من بنى مسعود هذيل الشام يريدون أيضا دخول الحصن اعانة لمن فيه فمنعوهم أيضا من الدخول ووقع القتال بينهم حتى انهزموا وتعافوا رؤس الجبال وقتلوا أناسا منهم وقتل عبد من عبيد مولانا الشريف ورجع القوم الى مخيمهم وفى هذه الايام هرب من مكة السيد ماضى بن سليمان وذهب الى الوهابيين وتبعهم على ما هم عليه فاختلفت أقاويل الناس فيه فمنهم من قال ان ذلك باطلاع سيدنا الشريف وله فيه مقصد ومرام ومنهم من قال ان الرجل غلب على قلبه الخوف منهم فمال لهم بعد ان كاتبوه وكاتبهم ثم ان القوم المحاصرين للحصن حملوا عليه وكان محيطا بخندق فأخذوا معهم أخشابا ليضعوها على الخندق ويعبروا عليها فقصرت عن ذلك فرجعوا بعد ان أصابوا من القوم خمسة أشخاص وخرج من الترك مثلهم والمجروح قصاص وكان الترك الذين هجموا امامهم وصلوا الى باب الحصن فوجدوا على الباب نحو العشرة فقتلوا منهم ستة وفر أربعة ثم رجعوا الى مخيمهم فلما بلغ الخبر مولانا الشريف جهز لهم جيشا نحو المائتين وأمر عليهم القائد أحمد بن مثقال ومعه مدفع كبير

{الغزية الحادية والخمسون}

وهذه الغزية الحادية والخمسون وكان أكثر هذا الجيش من شبان أهل مكة وجاؤا بالمدفع على نحو خمسين جملا ومدة سيره فى الطريق خمسة أيام وانكسر الجمل فوصلوا المدرة والحصار على حاله ثم بلغهم ان عثمان المضايفى أمد المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين فأخذت جنود مولانا الشريف حذرها وجعلوا لهم متارس فلما أقبل القوم رموهم بالمدفع ووقع القتال بينهم الى آخر النهار وقتل من قوم عثمان نحو الخمسين ولم يقتل من جماعة الشريف أحد بل أصيب واحد فى يده وباخفه فلما جاء الليل أشار عليهم بعض من أدركه الخوف والفزع بالرجوع الى مكة وقال لهم قد تم لنا الغلب وطاب لنا حسن المنقلب فارتحلوا فأدركتهم خيل الوهابية قبل ان يصلوا مكة فلما أحسوا بسنابك الخيل فى عتمة الليل فر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف نحو العشرة ومن الوهابيين جماعة ممن لهم شهرة واقتلع عسكر مولانا الشريف من

خيلهم

ومن جهة شامية ثلثمائة واحدى وأربعون . فن الرخام ثمانية وسبعون منها ثلاث طوال والباقى من الحجر الشميسى . ومن جهة غربية مائتان وأربع فن الرخام اثنان وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة والباقى من الحجر الشميسى وفى زيادة دار الندوة مائة واحدى وتسعون من الحجر الشميسى وفى زيادة باب ابراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسى لا غير . وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعدتها تسعة عشر بابا تنفتح على تسعة وثلاثين طاقا فى كل طاق دفتان فيها خوخة تفتح فيها بالجانب الشرقى أربعة أبواب وفى الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة أيضا تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد أو يخرج منه فترد الخوخة كما كانت وكذلك جميع الخوخات . الاول باب السلام ويعرف بباب بنى شيبة وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدد فيه شئ لكونه على احكم البناء وفى الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يفتح المسجد ويخرج منه . الثانى طاقات ويعرف بباب الجنائز وباب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجدد فى هذا الباب غير الشرفات التى عليها وعدتها أربع وعشرون شرفة . الثالث ثلاث طاقات ويعرف بباب العباس لمقابلته لدار

خيلهم خمسة من أنجب الكمائل ورجعوا الى مكة وفي ربيع الآخر ورد الخبر بان سالم بن شكبان
حل الطائف بنحو خمسمائة من قومه واستقبله عثمان بمن عنده من القوم وخرجوا الى القرب من جبال
بني سفيان وأرسلوا اليهم يأمرونهم بالدخول في الطاعة وخوفوهم وتهددوهم فأبوا الطاعة وهم نحو ابعد
ان كانوا ممتنعين أشد الامتناع ونبذوا عهود مولانا الشريف وأرسلوا مشايخهم ليمرقوا المطالب
لعثمان وابن شكبان فطوقوا أعناقهم بالحديد ثم وضعوا عليهم نكالا جسيما جعلوه على كل منها في
عشرين ريالا وأخذوا سلاحهم فعندما سمعت بذلك القبائل طارت قلوبهم من الخوف والفزع
فأرسلوا اليهم من يأخذ لهم الامان وحملوا ما طلبوه منهم من النكال مع انهم لم يقاتلوه قط وغيرهم اعطا
نه بعد قتال شديد فقبلوا منهم الدخول في الدين من غير صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام بل بمجرد
أخذ المال وقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا في الدين فارحلوا من
جبالكم واسكنوا تمامه في العابدية والحسينية وامنعوا الخيرات الواردة الى مكة وأقام على كل قبيلة
شيخها أميرا على جماعته وأمر بالحجر على المشركين في زعمه فلما بلغ سيدنا الشريف هذه الاخبار
أمر ببناء أبراج في الحسينية زيادة في تحصينها ولما بلغ المقصود عثمان وابن شكبان من هذين
القبيلتين وحازوا السلاح وظفروا بالنقدين ارتحلا من الموضع الذي كانا فيه وتوجه سالم بن
شكبان الى بيشة وعثمان الى الطائف وقد تقدم ذكر الردود التي تأتي من جدة بالميرة مرة بعد أخرى

﴿الغزية الثانية والخمسون﴾

وفي شهر ربيع الثاني من سنة عشرين بلغ مولانا الشريف ان الوهابية عازمة على أخذ الرد
في الطريق بجموع اجتمعت لاخذها فجهز غزو بزيادة في الحفظ والحماية وهي الغزية الثانية
والخمسون فأصبحت الغزية بالركاني وجاءها الخبر ان القوم بصروعة فبادروا الى ان ملؤا القرب
بالماء حتى جاءهم القوم كأنهم امة الدهماء فحصل بينهم قتال وطالت الملحمة على ظهور الخيل
واختار ثلاثون من عبيد مولانا الشريف على جبل شاهق وقتلوا كثيرا بالبنادق ثم انجلى الامر
بانهزام الوهابيين وقتل سبع أو ثمان من خيلهم وبعض من رجالهم وأخذت قافلة من خيلهم وقتل
أميرهم يحيى وصعد جماعة منهم وأحاطوا بالذين في الجبل من العبيد واقتتلوا معهم أشد القتال
فقتل من الوهابيين نحو السبعين ومن العبيد خمسة وعشرون ثم توجه جماعة الشريف بعد
العراك الى الحرم فلقيت الرد سالما وعوض الله مولانا الشريف خيلا من جدة من العبيد خمسة
وأربعون وفي الرد الذي بعده خمسون وفي شهر جمادى الاولى من هذه السنة عقد سعود جمعا
عاما وطلب جميع الامراء فحضروا واستشدهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وسالم بن شكبان
أمير بيشة وعثمان المضايفي أمير الطائف وما حوله وغير هؤلاء من الامراء وأمرهم بان يحاصروا
أم القرى من جميع الجهات وان يمنعوا عنها جميع الوارد ويبالغ في منعهم الاقوات وانصرفوا من
المجمع على ذلك وفي عشرين من شهر جمادى الثانية وصل عثمان المضايفي واستقبله خواص قومه
وسألوه عما جاءهم به فقال قد أباح لنا سعود قتل هؤلاء المشركين في الحل والحرم وان علماء
الدرعية وجدوا هذا القول في حاشية كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صادق النقل فيما
روى معصوم من الهوى ففرحوا به وطابوا نفسا ولكن اكتموا هذا الامر فانه سر مكتوم ثم
أظهر لبقية الناس خلاف ما أبطن وان سعودا أمره باصلاح عين زبيدة التي هدمها فأخذ يتجهز
بشغل المعاول وحرق النورة وجمع المكاتل والرجال وطلب من القبائل اعارة الحمير فما مضى برهة
من الزمن حتى اجتمع عنده نحو خمسة آلاف من هذيل اليمن والشام وثقيف وغيرهم من الاقوام
وتوجه بهم وخيم في المضيق ثم ارتحل بهم ونزل في حدود الحرم وفي شعبان أرسل في عشرين خيالا

العباس رضي الله عنه ويعرف أيضا بباب الجنائز ● الرابع ثلاث طاقات ويعرف بباب علي و بباب بني هاشم وقد جدد هذا
الباب والذي قبله على
أحسن وضع وعدد ما
عليهما من الشرفات مائة
وخمس عشرة شرفة
وبالجانب الجنوبي سبعة
أبواب ● الاول طاقات
ويقال له باب بازان لان
عين بازان قريب منه
وقد جدد هذا بأسلوب
حسن وعدد ما عليه من
الشرفات ست عشرة
شرفة ● الثاني طاقات
ويعرف بباب البغلة بباء
موحدة وغين معجمة وقد
جدد هذا الباب ولم يعمل
عليه من الشرفات ●
الثالث باب الصفا لانه
بإزائه ويعرف أيضا بباب
بني مخزوم وهو خمس طاقات
وقد جدد هذا الباب
تجديدا حسنا وعدد شرفاته
تسع وعشرون ● الرابع
طاقان ويعرف بباب
أجياد الصغير وقد جدد
وعدد شرفاته تسع عشرة
شرفة ● الخامس طاقان
ويعرف بباب المجاهدية
ويقال له باب الرحمة وقد
جدد هذا الباب وعدد
شرفاته عشرون ● السادس
طاقان ويعرف بباب
مدرسة الشريف عجلان
لاتصاله بها وقد جدد الباب
أيضا وعدد شرفاته
عشرون ● السابع طاقان
ويعرف بباب أم هانئ وقد
جدد هذا الباب بناء
حسن لطيف وأسلوب
ظريف وعدد شرفاته ثلاث عشرة شرفة ● وبالجانب الغربي ثلاثة أبواب ● الاول طاقات و يعرف

فالتجؤوا ركضا الى جبل المقتا وأعلنوا بالتكبير وطلبوا البراز فركبت خيل الشريف خلفهم ففروا ولم يجدوا لهم أثرا وصاروا يفعلون مثل ذلك ثلاثة أيام ثم انتقل بجنوده قاصدا جدة وأحاطوا بالسور ومعهم كثير من السلالم ومعاول الحديد ثم قربوا من السور حتى صعد بعضهم على بعض السلالم بعد وضعها على جدار السور فجاءهم من كانوا قائمين بحماية السور وأبعدوهم عنه بالبندق والمدافع وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجعوا منهزمين الى مخيمهم وكان بعيدا عن وقع الرصاص ثم ارتحل الى المدرة بمن معه من النجدية وأرسل يطلب من بقي من العربان فجعلوا ينسلون اليه من كل مكان فرتبهم لقطع الطرقات فجعل لمحاصرة جدة وقطع طريقها اهس شيخ زبيد ومعه جماعة من أهل الكبد فخيموا تجاه جدة بحيث يردون من آبار غليل ويغيرون على حول البندر بالنهار والليل وكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين وخضبوا أكفهم بدم الموحدين وفي كل يوم يصلون الى الحفر ويقطعون من يرد الماء واكثر العطب في التكارنة الذين يجمعون الحطب ومازالوا على هذا المنوال حتى انقطع الواصلون من جدة بالكلية وأمر الجحادلة وبعضا من هذيل ان يخيموا على الشرفية ويقطعوا من يرد من طريق اليمن وأمر بعضا من هذيل ان يخيموا على وادي نعمان ومعهم العرب النازلون بتلك الجبال من غير هذيل وأمر بني لحيان وعربان الحرم ان يخيموا بالحصن الذي شيده بالوادي والمدرة ثم انتقل هو ومن معه مرة ثانية الى طريق جدة يقتلون ويأخذون من مر عليهم من الحجاج وغيرهم وكم قتلوا من الحرم من الملبين بالتلبية ويقولون له يا مشرك مع انهم ما سمعوا منه لفظ الشرك الذي يزعمونه وما عرفوه قط ورأوه الا ذلك اليوم فيقتلونه بدعواهم لاجل أخذ ماله

﴿الغزوة الثالثة والخمسون﴾

وفي اليوم الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه نهبوا الابل الشريفة التي كانت في المكيشية فركبت خيل مولانا الشريف خلفهم لاسترجاعها فهي الغزوة الثالثة والخمسون وساقوا خلفهم الى الشميسي فوجدوهم قد تعلقوا بها في شواهق الجبال فرجعوا وفي اليوم الخامس من رمضان أمر عثمان أربعين من هذيل النسد وبان يقعدوا بين مكة والحسينية فجلسوا عند الشرفة التي عند جبل الثور يقطعون من مر عليهم فمر عليهم أربعة من جماعة سيدنا الشريف فقبضوهم وأخذوا سلاحهم وجعلوا ثلاثة منهم الى عثمان وأطلقوا الرابع وكان رجلا سليما تابعا طاعنا في السن فجاء الى مكة آخر الليل وأخبر بما وقع وبما فعلوه في هذا الشهر المعظم انهم منعوا الناس من الاعتمار من التنعيم ومع هذا لم يمتنع كثير من الناس الا عراب حتى انهم قتلوا شخصا معتمرا عند الزاهر

﴿الغزوة الرابعة والخمسون﴾

وفي العاشر من شوال ارتحل عثمان من طريق جدة قاصدا الحسينية فلما بلغ مولانا الشريف ذلك جهز جماعة من الخيل والفرسان والمشاة فهي الغزوة الرابعة والخمسون فالتقوا بقوم عثمان باسفل مكة عند بطحاء قريش فوقع القتال بينهم وسالت خيل مولانا الشريف عليهم فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل منهم جماعة منهم ولد السيد ماضي بن سلمان ودخل قوم الشريف برأسه محمولا على رمح وعلق في الاسواق وذبح من جياد خيلهم أربع واستشهد من جماعة الشريف السيد ذواز الحسيني أمير المدينة وواحد من الهوارة وقتلت فرس وأصيبت أخرى ثم رجع قوم عثمان على الحسينية وأقاموا يحاربون من فيها يومين فملكوها قيل ان وكيل الشريف بالحسينية خان فملكهم اياها والا فقد كان في مكان حصين والامر لله يفعل ما يشاء ولو شاء ربك ما فعلوه وكان استيلاؤهم على الحسينية في الثاني عشر من شوال فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل وأرسل يبشر

باب الحزورة ولم يجدد في هذا الباب شئ أصلا لعمارته ● الثاني طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يجدد هذا الباب أيضا العمارة قصره لان قصر الغوري مبني عليه ● الثالث طاق واحد ويعرف بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون في الغالب وكان قديما يسمى باب بني سهم وقد جدد هذا الباب وعدد شرفاته ثلاث شرفات ● وبالجانب الشمالي خمسة أبواب ● الاول طاق واحد ويعرف بباب السدة وكان يقال له باب عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرفاته ست شرفات ● الثاني طاق واحد يعرف بباب العجلة ويعرف بباب الباسطية لاتصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدم أيضا وقد جدد هذا الباب أيضا وعدد شرفاته سبع ● الثالث طاق واحد بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي ولم يجدد هذا الباب أيضا ● وطبقاته ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامي وقد كان هذا الباب قد عاد طاقين الى أن أمر المرحوم الأمير قاسم بك بناء المدارس السلطانية ففتح طاقا ثالثا ثم هدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام وأعيدت كما كانت وعدد شرفاته اثنتان وعشرون شرفة ● الخامس طاق واحد ويعرف بباب الدريبة بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الامير قاسم بك

سعود لذلك وفي هذا الاثناء وصل سالم بن شكبان بما يزيد عن خمسة آلاف من بيشة وتمرات وغامد وزهران وقحطان وغيرهم من عصائب الشيطان ثم تلاه بالوصول عبد الوهاب أبو نقطة بنحو عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فتكاملوا في الحسينية مع قوم عثمان فكانوا يبلغون ثلاثين ألفا فعند ذلك اشتد الكرب على المسلمين وضاق ذرع سكان البلد الامين ووقع القحط الذي لا مزيد عليه وارتفعت الاسعار حتى بلغت القدر الذي تقدم ذكره وبلوغها ذلك المقدار انما كان في هذه المدة وأما الغلاء الذي كان قبل ذلك فانه لم يبلغ هذا السعر فبلغت في هذه المدة الكيلة من القمح أو الرز مشخصيين وبلغ الرطل من السكر أو الشحم أو الزيت ريالين وبلغ الرطل من التمر والبن ريالا ومن ناله بهذا السعر فقد بلغ الآمال وبلغ رطل السمن ريالين ونصفا ورطل العسل ريالا ونصفا ورطل اللحم من الماعز أو الجمال نصف ريال وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل التنباك ستة ريالات ونصفا وقس على هذا فصار الناس يشترون حتى نفد ما بايديهم من النقود واشتروا بالاثاث والثياب والحلي ويبيعون ما قيمته مائة بعشرة وأقل ويشترون بالعشرة ما قيمته واحد فأقل حتى فني القليل والكثير ومات كثير من الناس بالجوع وصار كثير من الناس يأكلون الجلود اليابسة والانطاع بعد حرقها بالنار ويأكلون شيأ يسمى الاخربط وهو نوع من النبات فأزرق وجوه الناس وأرجلهم نفخا وأورامًا ثم يموتون بعد ذلك فترى الناس يموتون وهم يمشون في الاسواق وترى كثيرا من الاطفال موتى في كل زقاق وشرب أناس الدم المسفوح وأكل آخرون الهررات والكلاب وكل ما يجدون من الحيوانات ومضى على الناس شئ لم يعهد قط ثم فنيت الاقوات فلم توجد بقليل ولا كثير فصار بعض الناس يأكلون أدوية العطار مثل بزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ العربي ونوى التمر والجمر وكل شئ لين من الخرق فهلك الضعيف وافتقر الغني فلما ذهب النقد والنشب وفنيت الذخائر والمكاسب وتحققوا ان المآل الى العطب هرعت الناس الى الحسينية لان الاقوات بها رخيصة وساروا يمشون في الطرق الصعاب وعلى رؤس الجبال خوفا من السطوة عليهم في الطريق ومنهم من قتل ومنهم من مات جوعا قبل الوصول اليها ومنهم من دخلها فنجا ولاحي لم يبق بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول اذا اجتمعوا للصلاة في المسجد الحرام وغلقت الحوانيت واستمر هذا الحال الى السادس والعشرين من ذي القعدة سنة عشرين فوصل من الحسينية عبد الرحمن بن نامي أحد علماء القوم المعتمد عليهم ومعه ثلاثة منهم فاجتمع بسيدنا الشريف غالب وتذاكر في الصلح وانحسام هذا الحرج ورجع في يومه الى الحسينية تخبر بما وقع بينهما من الاتفاق وبعد يومين نهب عثمان ابلا للشريف كانت ترعى في أرض الحرم فاركب مولانا الشريف ستة من الخيل تقتفيها وتأتيه بالخبر

﴿الغزية الخامسة والخمسون﴾

وهي الغزية الخامسة والخمسون فاحاط بهم نحو الستين من خيل الوهابية كانوا خلف الجبال وقتلوا ثلاثة وقبضوا على اثنين ونجا السادس وهو السيد راجح بن عمر الشنبري فعند ذلك أرسل مولانا الشريف نحو ستين خيالا

﴿الغزية السادسة والخمسون﴾

وهي الغزية السادسة والخمسون فلما وصلوا الى ذلك الموضع لم يجدوا أحدا

﴿ذكر انعقاد الصلح بين مولانا الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة﴾

ثم رجع عبد الرحمن بن نامي من الحسينية واجتمع بمولانا الشريف وتم معه الصلح على ان الشريف يأذن لهم في الدخول الى الحج ثم يتوجهون الى بلادهم وان الناس يدخلون في الطاعة ويكون أمر

المذكورة ابقاها عند بنائه للمدارس السليمانية (وأما منائر المسجد الحرام) فهي (١٩٢) الآن ست منائر يؤذنون عليها في الاوقات الخمس * أولها منارة باب العمرة عمرها أبو حفص المنصور ثاني ملوك بني العباس وعمرها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن علي بن أبي منصور الاصفهاني في سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكان رئيس المؤذنين يؤذن بها في زمن المالكي ويتبعه سائر المؤذنين * ثم صار في زمن الشافعي يؤذن رئيس المؤذنين بباب السلام ويتبعه سائر المؤذنين وهو الآن يؤذن الاوقات الخمس على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون الا ليالي رمضان في التسحير فان رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون في التسحير واحدا بعد واحد وكذلك في التمجيد والتذكير والتوديع ونحو ذلك وقد أدركنا هذه المأذنة وهي عتيقة البناء فأمر بتجديدها المرحوم المقدس المنور له الاقدس السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان فهدمت الى الارض وبنيت بالآجر وأعيدت كما كانت بدور واحد الا أنهم غيروا رأسها على أسلوب منائر بلاد الروم وكانت على أسلوب منائر مصر يعلق عليها في رأسها ثلاثة قناديل في ثلاثة أعراد مغروزة في قبة صغيرة على رأس المأذنة وكان ذلك في احدى وثلاثين وتسعمائة * وثانيها منارة باب السلام عمرها

مكة وأحكامها تحت نظر مولانا الشريف واشترط عليهم أمورا منها اعادة الحسينية وغرامة ماذهب فيها من الكثير والقليل حتى دية المقاتيل وغير ذلك مما اشترطه فيما فيه الصلاح والرفق بأهل البلد الحرام وأذن لهم بدخول مكة وانهم يرسلون مكاتيبهم الى سعود يخبرونه بما صار عليه الاتفاق وينتظرون الجواب فدخل بعد هذا كثير من أهل مكة الذين كانوا قد خرجوا الى الحسينية وتنازلت الاسعار واطمأنت القلوب ثم دخل عثمان وسالم بن شكبان لاربع بقين من ذي القعدة وفرج الله على المسلمين تلك الشدة ثم دخل أولئك الجيوش مكة وملؤا كل زقاق وسكة وجعلوا يركضون في الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبوا كير ثم خيموا بالابطح وفي اليوم الثالث من ذي الحجة وصل عبد الوهاب أبو نقطة بجنوده ونزل أيضا بالابطح وفي اليوم الثامن توجهوا الى عرفة ووصل الحج الشامي يوم الثامن وكان أميره عبد الله باشا ومعه قوة زائدة عن المعتاد وكان معه نحو ألف وخمسمائة خيال وكان في مجيئه وقع بينه وبين قبيلة حرب قتال شديد لانهم تعرضوه في الطريق فجلس له بدار شيخ حرب ومعه قوم كثير وابن جبارة شيخ جهينة ومعه قوم كثير في جبال الناز يعنيا وقصدهما لاقتناصهم ورماهم بالمدفع وأمر بعض العسكر ان تصعد لهم في الجبال فجولهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأذاقهم العذاب الاليم ويوم العيد عرض قوم أبي نقطة على مولانا الشريف وبعد تمام الحج نزلوا بالحصب وفي هذا الاثناء جاء أبو نقطة لمنزل مولانا الشريف وسلم عليه وقدم له مولانا الشريف حصانا بجميع عدته والبس فروا وعمرو بن شالا وسيفا وأقاموا بعد سفر الحجوج الى الحادي عشر من محرم ثم ارتحلوا وكانوا مدة اقامتهم بمكة مصابين بداء الجدري فأفنى منهم خلقا كثيرا حتى صاروا يحفرون لهم حفرا ويضعون الموتى بعضهم على بعض ويدفنونهم في الحفر وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة أيضا يستأجرون أنفسهم في ما يحتاجه أهل مكة من الخدم كالاحتطاب وحمل القمامة ونزح الغائط من المراحيض ونحو ذلك فانظر كيف أعز الله جيران بيته وأذل أولئك القوم الذين جاؤا لقتلهم وسبي أطفالهم وأخذ أموالهم فنعهم عنهم وسخرهم لخدمتهم ثم ان سيدنا الشريف في افتتاح سنة احدى وعشرين رتب محافظة فأرسل وزيرا الى ينبع ومعه خمسون خيالا ومائتان من العسكر وأرسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة وأقام بها مدة ورتب أمورها وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق وأمر ببناء برج على نفس باب المدينة المسمى بالمعلم عنه الداخل الى المرسى ان قصده عدو وفي أثنائه حضر وصل من الدرعية عشرون رجلا وفيهم محمد بن ناصر أحد علمائهم وكان مولانا الشريف بجدة فنزلوا الملاقاته واجتمع بهم وأعطوه ما كان معهم من المكاتيب من سعود وفيها الغاية أمر الصلح ونزل محمد بن ناصر الى مسجد عكاش وأمر بجمع الناس له وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر بها المسلمين وحضر التجار والاعيان وطلبة العلم وكافة الناس ثم أمر مولانا الشريف بهدم قبب الصالحين تطييبا لقلوب أولئك المعاندين وأمر أهل جدة ومكة بالامساك عن شرب التنباك وان لا يباع في حانوت وأمر الناس ان يدخلوا المسجد حين يسمعون الاذان لاداء صلاة الجماعة وأمر العلماء أن يقرؤا الرسائل التي ألفها ابن عبد الوهاب لتأسيس ما ابتدعه ونهى عن تكرير الجماعة في المسجد الحرام وان لا يصلى الا امام واحد وان يقتصروا على الاذان على المنائر ويتركوا التسليم والتذكير والترحيم وامتثلوا أمر مولانا الشريف وكافة الناس على ذلك كله مداراة لهم ودفعا لشرهم وأبطل مولانا الشريف ضرب نوبته ونوبته والى جدة فلما ظهر ذلك كله لمحمد ابن ناصر ظن ان ذلك فعلوه معتقدين فيه ظاهرا وباطنا فتوجه الى الدرعية يخبرهم بتلك الطاعة وأرسل معه مولانا الشريف من جهته شيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين

المهدي بن المنصور العباسي الذي وسع المسجد الحرام في سنة ثمان وستين ومائة وهي بدورين ثم جددت في زمن الناصر فرج بن برقوق في سنة عشرة وثمانمائة وهي باقية الى الآن وثالثها منارة علي وأول من عمرها المهدي العباسي لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى أن أدركناها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد في أعلاها فأمر المرحوم المغفور له المقدس المبرور السلطان سليمان خان عليه الرحمة والروح والريحان بهدمها وشيدت من الحجر الاصفر الشميسي وجعل لها دوران أعلى وأسفل وغير رأسها على أسلوب منائر الروم . ورابعها منارة الحزورة وهي بدورين أول من بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الاشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت في سنة احدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها في مفتتح محرم الحرام سنة اثنين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وهي باقية الى الآن . وخامسها منارة باب الزيادة وهي قطعة بدورين بناها المعتضد العباسي لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الاشرف برسباي في عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو في حجر بجنب المأذنة والله أعلم . وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بناها على ورجع

ورجع بالجواب وسيدنا الشريف ما زال مقيما بجدة فنزل اليه وأعطاه الجواب فاحتاج مولانا الشريف الى اعادة جواب آخر لهم فارسل به محسنا الشبلي فغاب شهرا ويومين ورجع وفي الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة وقع بمكة قتال شديد بين الاتراك والعبيد وسيدنا الشريف بجدة فأرسل وأمرهم بالكف عن القتال فكفوا وكان من جملة القتلى ولد مرضي العسيري وكان أخوه بجدة فاء مكة لاخذ الثار وجد ركافط عمر ح فثار القتال مرة ثانية فبلغ مولانا الشريف الخبر وهو بجدة فعلم ان هذه الفتنة لا تسكن الا ان وصل بنفسه فجاء الى مكة في شهر رجب وأسكن تلك الفتنة وكان القاتلين في تلك الفتنة نحو عشرين ما بين قتيل وجريح وكانت مدة الحرب أربعة أيام ولياليها ثم بعد وصول سيدنا الشريف سأل عمن كانوا أصول هذه الفتنة وانتقم منهم بالتسفير والحبس والقتل لرئيس تلك الفتنة وهو محمد اوض باشا ولما وقعت هذه الفتنة فرح عثمان المضايفي ليجعلها قدحا في مولانا الشريف وعدم كفايته لضبط مكة فركب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعودا بهذه القضية فكان توجهه في الخامس من رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوما ولم يصادف لكلامه قبولا عند سعود

﴿ذكر بناء قلعة الهندي سنة ١٢٢١﴾

وفي السابع والعشرين من رجب أمر مولانا الشريف ان يبنى له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي وتم بناؤه في عاشر رمضان فحصنه بالرجال والذخائر وفي آخر يوم من رمضان وقع قتال أيضا بين العبيد والاتراك وعزلت الاسواق وترس كل منهم بمكان مكث يومين فتقدم مولانا الشريف بنفسه لاطفاء هذه الفتنة وما خرج الناس من صلاة المغرب الا وقد خمدت ولم يقتل من الطرفين سوى اثنين وعبدت الناس

﴿ذكر وصول الشريف عبد الله بن سرور وتوجهه الى الدرعية وحبسه في السورقية﴾

وفي ثالث شوال وصل الشريف عبد الله بن سرور من القسطنطينية بعد غيابه عن مكة أربع سنوات لانه خرج سنة سبع عشرة ورجع سنة احدى وعشرين بعدان وصل الى أبواب السلطنة وأراد ان يولوه شرافة مكة فما كان له في ذلك نصيب ولما وصل ما بين الحرمين لم يطمع في دخول مكة مدة شرافة عمه لكونه تكلم فيه عند السلطنة فوجه الى الدرعية واجتمع بأميرها سعود وأعطاه على الدخول في دينه المواثيق والعهود رجاء ان يوليه شرافة مكة فلم يفعل ذلك سعود فطلب منه امارة الطائف حين أيس من امارة مكة فلم يعطه أيضا فطالت اقامته هنالك وضاق به الحال واشتاق الى الوطن فطلب الاذن في الرجوع فلم يأذن له الا الى السورقية فرجع اليها كانه محبوس ومكث ثلاث سنين وصار يكاتب سعودا و يستأذنه في الرجوع الى مكة فأذن له بعد مضي ثلاث سنين فلما أقبل على مكة وكان بين الحالية وابي العرد أرسل لعمه كتابا يستأذنه في الدخول فلم يأذن له فتوسط بعض السادة الاشراف بينه وبين عمه وكفلوا لعمه ما يخشى منه من الفساد ومضى على ذلك ثلاثة أيام فلما سمع عثمان المضايفي بكل ما كان وكان قد بلغه انه طلب امارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وأمرهم بالقبض على عبد الله بن سرور من أي مكان كان فوجدوه في ذلك الموضع فقبضوا عليه ونقلوه محمولا اليه فلما مثل بين يديه أمر بالسجن عليه ومعه جماعة من الاشراف قيل انه مكث في السجن ستة أشهر ثم أطلقه ثم ان الشريف عبد الله بن سرور مكث بعد ذلك في الحال أكثر المدة والسنين وهو موضع قريب من الطائف ولما جاء محمد على باشا وقبض على مولانا الشريف غالب وولى مولانا الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة كان اخوه الشريف عبد الله بن سرور غائبا بالحال وكان أكبر من أخيه الشريف يحيى فكان يؤمل ان شرافة مكة تكون له

عقد باب مدرسته الذي الى جهة المسعى في غاية الصناعة بثلاثة أدوار افتخر بصنعتها مهندس عصره على مهندسي زمانه وبني نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الخيف بمنى في حدود سنة ٩٠٠ والسابعة منارة السلطان الاعظم المغفور له الاقدس السلطان سليمان تغمده الله بالرحمة والرضوان أمر ببنائها في احدى مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشبيسي الاصفر مسبوكة بسبك الذهب الاحمر لها ثلاث دوائر مرتفعة وأساسات محكمة موضوعة رأسها على أسلوب بلاد الروم تكاد تلازم معارج النجوم وتغوص في الارض الى مدارج الحوت بناها المرحوم قاسم أمين العمارة السلطانية السليمانية وسقوق جدة المعمورة فرغ من بنائها في اثناسنة ثلاث وسبعين وتسعمائة رحمه الله وهذه هي المنائر السبعة التي هي حول المسجد الحرام الآن عليها عمل المؤذنين في الاوقات الخمس وفي رمضان وغيره وكانت على المسجد منائر أخر ذكرها أصحاب التاريخ • منها على باب ابراهيم منارة شبه صومعة هدمها بعض أمراء مكة المشرفة لاشرافها على داره ذكرها التقي الفاسي رحمه الله تعالى ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهي أصغرها

مع كثرة طلبه لها ومحاولته عليها فلما تولاها أخوه الشريف يحيى ضاق ذرعه ونزل الى مكة وكان أخوه الشريف يحيى يعظمه ويجله كثيرا فلم تطب نفسه بذلك بل كان يحقر أخاه ويسفه عليه بجواره في وجهه فشكاه للوزير محمد على باشا فقبض عليه وأرسله الى مصر محبوسا فمكث فيها مدة ثم أطلق بشفاعة أخيه الشريف يحيى وقيل بل خرج هاربا خفية ورجع الى مكة ثم انتقل الى الجال وأقام به الى ان توفى سنة تسع وثلاثين بالجال فنقل منه الى مكة ودفن بها فانظر الى تقدير الله تعالى حيث لم يجعل له نصيبا في تولية شرافة مكة وما نفعه كثرة جده واجتهاده في ذلك فانه حارب عمه الشريف غالبا في أول مدة ولايته ثم توجه الى أبواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم الى الدرعية فلم ينل مارومه بل أعقبه ذلك الحبس والاهانة فعلى العاقل أن يستسلم لقضاء الله وقدره ويرضى بقسمه فان قدر له شئ هيئ الاسباب لذلك الشئ حتى يكون ولما رجع عثمان المضايفي الى الدرعية ولم يحصل له من الطعن في مولانا الشريف طائل أمر العربان بقطع الطريق مشاقة لمولانا الشريف وكان سعود أعطاه امارة العربان فغلت الاسعار بمكة ووقع للناس شدة وصار الناس كالمحصورين بمكة لقطع الطرق فأرسل مولانا الشريف الى سعود وعرفه بما هو حاصل لجيران الله تعالى وعرفه الاسباب الموجبة لذلك فأرسل سعود لعثمان ومنعه مما كان ففرج الله على الناس تلك الشدة وكانت مدتها قليلة بالنسبة لما قاسوه من الحصر الذى كان في سنة عشرين قيل ان مدة الشدة هذه الاخيرة كانت ثمانية أيام فزالت ولله الحمد بهمة مولانا الشريف ثم ان مولانا الشريف غالبا في جميع السنين التى كان فيها تغلب الوهابى على مكة كان يصانعهم ويهاديهم بالاموال الجزيلة بحيث كانت هداياه تصل الى أكثر امرائهم وعلمائهم وأعوانهم يفعل ذلك مدافعة عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقاية لاهل مكة أن ينالهم من أحد الوهابية مكروه ومع ذلك كان يكاتب الدولة العلية سرا ويحثهم على تعجيل تجهيز عساكرهم لانقاذ الحرمين من الوهابية واستمر الحال الى ان انقضت المدة التى قدر الله استيلاءهم على الحرمين فيها وكان سعود وكثير من امرائهم يأتون في كل سنة الى الحج بجنود كثيرة فيكرمهم مولانا الشريف ويجرى لهم الضيافات الكثيرة وفي سنة عشرين لما جاء الحج الشامى والمصرى الى مكة قال الامير سعود لامراء الحجين ماهذه العويدات التى تأتون بها وتعظمونها بينكم يعنى المحمل الشامى والمحمل المصرى فقالوا والله قد جرت العادة من قديم الزمان باتخاذ المحملين يجعلونهما علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا بهما بعد هذا العام وان أتيتم بهما أكسرهما وكذا شرط عليهما ان لا يصحبوا معهم شيأ من الطبل والزمر

﴿ذكر رجوع الحج الشامى من الطريق من غير حج سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين كان أمير الحاج الشامى عبد الله باشا فلما وصل هدية جاءته مكاتيب من الوهابى لا تأت الا على الشرط الذى شرطناه عليك في العام الماضى فلما قرأ تلك المكاتيب رجعوا من هدية من غير حج

﴿ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصرى سنة ١٢٢١﴾

وأما المحمل المصرى فانه لما وصل أمر سعود باحراقه وأمر بعد الحج أن ينادى لا يأتى الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا المنادى في المناداة يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانقطع مجيء الحج الشامى والمصرى من هذا العام

﴿ذكر أخذ الوهابى ما في الحجرة الشريفة سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين أيضا أخذ الوهابى كل ما كان في الحجرة النبوية من الاموال والجواهر وطرد قاضى مكة وقاضى المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة احدى وعشرين وأقاموا الشيخ

وهي علم لباب الصفا ولا يصعد عليها لضيقها انتهى • ومنها منارة على الميل الذى يهرول عنده من يشتغل بين الصفا والمروة وذكرها الفاكهى وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام وهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت وبأعلى مكة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بئر عدى بن مطعم ابن نوفل يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهي منارة عتيقة ذهب رأسها وكان لها دوران لا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير في مغرب شهر رمضان ويعلق قنديلا لاعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار في رمضان ويسحر عليها آخر الليل ويطفئ قنديلها بعد السحور اعلاما بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون من الاكل والشرب وهو باق الى الآن وذكر التقى الفاسى رحمه الله تعالى ان المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرة في الشعاب والحلات وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجرى عليهم وأول من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها هارون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقا وكان لعبد الله بن مالك الخزاعى على جبل أبى قبيس منارة وعلى الفلق منارة ومنارة مشرفة على أجياد ومنارة الى جنبها لعبد الله بن مالك ومنارة تشرف

عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمباشرة القضاء بمكة وأقاموا القضاء المدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر صدور الامر من السلطان سليم لمحمد على باشا التجهيز سنة ١٢٢٢﴾

وفي سنة اثنين وعشرين صدر الامر من مولانا السلطان سليم لمحمد على باشا صاحب مصر ان يجهز الجيوش والعساكر لقتال الوهابي واخراجه من الحرمين الشريفين وكان محمد على باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر محاربات ووقائع كثيرة والى هذا الوقت لم يصف له ملك مصر بل كان في ازة الى كثير فلم يتيسر له ارسال الجيوش لقتال الوهابي بالحجاز وكانت تتكرر عليه الاوامر السلطانية بتعجيل التجهيز فتيسر له ذلك الا في أوائل سنة ست وعشرين فجهز جيشا عظيما وجعل سارى عسكره ابنه طوسون باشا وجعل معه من العلماء الشيخ المهدى والسيد أحمد الطحطاوى مفتى الدرالمختار ورئيس التجار السيد محمد المحروقي

﴿ذكر وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابي سنة ١٢٢٦﴾

فتوجهوا من مصر في رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فملكوا ينبع وما بعدها بمراحل الى ان وصلوا الصفراء وكان قد اجتمع فيها وفي جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمرائهم وجاء عثمان المضايفي من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية في ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فانهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرت العساكر هاربة في كل ناحية ورجع من سلم منهم الى مصر وكذا المشايخ الذين كانوا مع ذلك الجيش وتأخر طوسون باشا بالقصير ينتظر الاذن من والده محمد على باشا ثم في شهر المحرم افتتاح سنة سبع وعشرين شرع محمد على باشا في تجهيز جيش آخر فبعث بعض العساكر من طريق البحر وجعل عليهم خزنداره المسمى بونابرته وأمره ان يكون هو وابنه طوسون باشا في ينبع لمحافظتها وجهز في شهر صفر عساكر غيرهم لتسير من طريق البر وجعل عليهم صالح آغا السلحدار وجعله سارى عسكر العساكر المتوجهة من طريق البر ثم صار يوالي ارسال العساكر في دفعات برا وبحرا فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر في ينبع ومعهم صناديق من الاموال أخذوا في تأليف العربان واستمالتهم ببذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا فكانوا يعملون بتدبيره وعلى ما يعتمد عليه فكان ذلك سبب اقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا الى شيخ مشايخ حرب كافة فحضر فأكرموه وخلعوا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان والبسوهم الفراوى السمور والشالات الكشميرى ففرقوا عليهم من الشالات مل أربع مواعين وصبوا عليهم الاموال وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فرانسه عينا ففرقها على المشايخ وخصه هو عفرده من ذلك ثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائق ونقودا تصرف لهم كل شهر فعند ذلك ملكوهم الارض وصاروا يسعون في خدمتهم وتقدموهم الى ان أدخلوهم المدينة المنورة في شهر ذى القعدة من السنة المذكورة وأخرجوا من كان فيها من الوهابية وقبضوا على ابن مضيان الذى كان متأمرا في المدينة وجاء الامير سعود في هذا العام الى الحج ولم يطلع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية فلما تم الحج رجع الى بلاده بسرعة فكاتب الشريف غالب العساكر الذين في ينبع فسار بعض العساكر من ينبع الى جدة من طريق البحر فلما وصلوا جدة في أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين أدخلوهم وكان بمكة جماعة من الوهابية جعلوهم عسكرا في القلعة يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول بعض العساكر الى جدة هربوا من القلعة في الليل وأصبحت القلعة

على الجزرة ومنارة في شعب عامر وعلى جبل تفاحة وجبل الاعرج وعلى الجبل الاحمر ومنائر كثيرة هدمها ورأيت في تعليقه انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة ثم قال الفاسى وقد تركت الاذان على جميع هذه المنائر وما بقى شئ منها والله أعلم

﴿خاتمة في ذكر المواضع المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة﴾

منها المواضع التى نص العلماء رحمهم الله تعالى ان الدعاء فيها مستجاب وذكر الحسن البصرى رضى الله عنه خمسة عشر موضعا يستجاب الدعاء فيها وعددها وزاد غيره مواضع أخر فبلغت ثلاثة وخمسين موضعا وذكرها مواضع غير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها وهى مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم وخلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفي المسعى وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات وعندها ثلاثة مواضع غير ان علماءنا ذكروا أن الحاج يقف للدعاء بعد الرمى عند الجمرة الاولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمى عند الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة ويظهر من كلامهم ان الوقوف للدعاء بعد جمرة العقبة يدعى هناك فقد ذكر الحسن البصرى ان الدعاء عنده مستجاب كالجمرتين الاولين

ومكة خاليتين منهم ثم توجه بعض العسكر من جدة ودخلوا مكة فقابلهم شريف مكة وأكرمهم فلما بلغ خبرهم الوهابية الذين بالطائف ألقى الله الرعب في قلوبهم وهربوا من الطائف هم وأميرهم عثمان المضايفي ولما جاءت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر على المدينة وجدة ومكة والطائف ضربت المدافع الكثيرة لذلك وأمر الباشا بالزينة خمسة أيام في الاقطار المصرية في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأرسل محمد علي باشا بشير الدار السلطانة يبشرهم بفتح الحرمين وكان يسمى لطيفا أفندي ولما وصل الى قرب اسلامبول خرج لملاقاته أعيان رجال الدولة وعند دخوله عملوا له موكبا عظيما مشى فيه أعيان رجال الدولة وصحبته عدة مفاتيح قالوا انها مفاتيح المدينة ومكة وجدة والطائف ووضعوها على صفائح الذهب والفضة وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وضربوا المدافع مدافع كثيرة وعملوا شنكا وأنعم السلطان على لطيف أفندي وأعطاه خلعا وأنعم عليه بطوخين وجعله باشا وأهداه كثير من رجال الدولة وأنعمت الدولة على محمد علي باشا بخلع وأطواق وخنجرين مجوهرين وسيف مجوهر وعدة أطواخ بولايات الباشوية لمن يريده ويختاره وسأل مولانا الشريف غالب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي وقال له هل جملتم تاريخا لانتهاء مدة الوهابي فاجابه بقوله (قطع دابر الخوارج) فكان ذلك تاريخا فعدّ ذلك من بدائع المفتي عبد الملك ولا يدري هل كان مهيئا ذلك قبل ان يسأله أو أنه استحضر ذلك حالا وعلى كل حال فهو من بدائعه فانه كان عالما متقنا متضلعا من العلوم رحمه الله تعالى ثم بعد استقرار كثير من العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية الذين كانوا قريبا من الطائف وخرج الشريف غالب بنفسه مع العساكر وتلك الوقائع يطول الكلام بذكرها الى ان قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جموعهم وقبضوا على كثير من امرائهم ومنهم عثمان المضايفي ولما قبضوا عليه سلموه لشريف مكة مولانا الشريف غالب فوضعه في الحديد وحبسه ثم أرسله الى جدة ليوجهوه الى مصر وجاءت البشائر لمحمد علي باشا في مصر بالقبض على عثمان المضايفي في شهر شوال سنة ثمان وعشرين وكان محمد علي باشا قد تهيأ الى التوجه الى الحجاز بنفسه فجاءته البشائر بالقبض على المذكور قبل توجهه ثم توجه في الرابع عشر من شوال من السنة المذكورة ووصل الى جدة في أواخر شوال ونزل مولانا الشريف غالب الى جدة لملاقاته وكان عثمان المضايفي قد بعثوا به الى مصر ومعه ابن مضيان قبل وصول محمد علي باشا الى جدة فلم يلتق به ووصل عثمان المضايفي الى مصر في منتصف ذي القعدة فاركبوه على هجين وأدخلوه في آلاي ليراه الناس ثم أرسلوه الى دار السلطنة ومعه ابن مضيان فطافوا بهما في اسلامبول ثم قتلوهما ولما كان عثمان المضايفي في مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد علي باشا وحادثوه ساعة فرأوه فصيحا يجيبهم بجنس كلامهم باحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على مثل هذا اذا ذهب الى دار السلطنة يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم الى أن حضر الطعام فواكلهم وأقام عندهم ثلاثة أيام ثم وجهوا به الى دار السلطنة مع المحافظة عليه ولما وصل محمد علي باشا الى جدة جاءته رسل من الامير سعود يطلبون الافراج عن عثمان المضايفي ويفتديه سعود بمائة ألف ريال وقالوا ان الامير سعود يريد اجراء الصلح بينكم وبينه والكف عن القتال فقابل هؤلاء الرسل أولا مع الشريف غالب وطوسون باشا وأخبروهما بما جاؤا لاجله ثم أرسلوهم الى مقابلة محمد علي باشا فلما بلغوه رسالتهم بالمكالمة مشافهة وفهم مطلبهم فقال لهم أما عثمان المضايفي فقد توجه الى أبواب السلطنة وأما الصلح فلا نمتنع منه لكن بشروط منها ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الامر الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما أخذه من الجواهر والاموال التي كانت بالحجرة الشريفة

وعد أبو سهل النيسابوري من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء باب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال له باب الحزور وباب القفص وعد منها باب الصفا وباب السلام وعد القاضي مجد الدين الفيروزابادي في كتابه الوصل والمنى في فضل منى مواضع أخر يستجاب الدعاء فيها نقلا عن النقاش المفسر في منسكه فقال يستجاب الدعاء في ثبير وفي مسجد الكبش وزاد غيره فقال وفي مسجد الخيف وزاد آخر وفي مسجد النحر وهو موجود الآن بني غير انه داثر عمارته من غيره نحر فيه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ثلاثا وثلاثين بدنة وأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يكمل نحر تتمة مائة بدنة عنه وهو موضع مأثور مشهور وزاد الحافظ ابن الجوزي وفي مسجد الكائن على يمين الذاهب الى عرفات في هذا الغار تجويف في سقفه نزعم العامة انه لاث رأس النبي صلى الله عليه وسلم فاثر فيه تجويفا فيضع الزائر رأسه فيه تيمنا وتبركا بموضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم ولم أقف على خبر أعتمده في ذلك الآن الا انه وارد بنزول سورة والمرسلات وقال النقاش ويستجاب الدعاء في دار خديجة رضي الله عنها أم المؤمنين وهي معروفة بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضي الله عنها لانها ولدت فيها هي وجميع اولاد خديجة رضي الله عنها من النبي وكذلك

وكذلك غير ما استهلك منها وان يأتي بنفسه ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا أكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا له كذلك فلما أصبح الصباح أمر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصبوا دوابا وأجروا فيه تعليما على صورة الحرب وثباته والرمي بالبنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويخبروا به من ساقهم ولما وصل محمد علي باشا مكة احتفل به مولانا الشريف غالب غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته واكرامه مع التحذر منه غاية الحذر وأنزله في الشامية في بيت القطرسي المعروف الآن ببيت باناجه وأنزل ولده طوسون باشا في الشامية أيضا في بيت السقاط المقابل لبيت السيد علي بباب الحرم الآن وكان محمد علي باشا يعظم الشريف غالبا غاية التعظيم ويقبل يده ودخل معه الكعبة وتعاهد معه وكان محمد علي باشا اذا ذهب اليه يذهب في قلة من العسكر والاتباع ومن تحذر الشريف غالب منه انه حسن له ان العساكر الواردة ينبغي أنها اذا وصلت جدة من البحر تتوجه الى الطائف من جدة ولا تدخل مكة لئلا يحصل للناس ضيق في الماء لكثرة الحجاج الواردين في ذلك العام فوافقه محمد علي باشا على ذلك فكانت العساكر تتوجه من جدة الى الطائف ولا تدخل مكة ولم يكن في مكة الا العساكر الذين مع محمد علي باشا ومع ولده طوسون باشا بقدر الحاجة وكان عند الشريف غالب عساكر موظفون من أهل اليمن آل بعسمانة ومنهم من الحضارمة ومنهم من يافع ومنهم من المغاربة ومنهم من السلمانية الجميع نحو الالفين مفرقين في قلعات في اطراف مكة لاجل محافظة الاطراف وكان عنده من العبيد نحو الالف لمحافظة القلاع ولا يغني حذر عن قدر وكان محمد علي باشا مأمورا من السلطنة بالقبض على الشريف غالب وارساله الى دار السلطنة فصار متحيرا في كيفية الوصول الى ذلك المطلب مع تحذر مولانا الشريف هذا التحذر ومع المعاهدة التي صارت بينهما فاستحسن ان يكون القبض عليه بمباشرة ابنه طوسون باشا لا بمباشرته وفاء بالعهد على زعمه فاظهر انه وقع بينه وبين ابنه منافرة لسبب من الاسباب فتوجه ابنه الى جدة مظهرا انه مغاضب لوالده وأشيع ذلك بين الناس ثم كتب من جدة لحضرة مولانا الشريف أن يتوسط بالصلح بينه وبين والده وان يشفع له عند والده في حصول الرضا ففعل ذلك حضرة الشريف فقبل محمد علي باشا شفاعته فكتب حضرة الشريف لطوسون باشا بحصول قبول الشفاعة وطلب منه الحضور الى مكة ليجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما فتوجه الى مكة فلما وصل ذهب مولانا الشريف اليه في بيته للسلام عليه وليأخذه معه ويجمع بينه وبين والده ليتم الصلح بينهما وكان طوسون باشا قد عزم على القبض على الشريف اذا جاء اليه في ذلك اليوم باشارة من والده وكان ذلك بتدبير الشيخ أحمد تركي فلما وصل حضرة مولانا الشريف الى بيت طوسون باشا وجد أكثر عساكر محمد علي باشا مجتمعة مع عساكر ابنه طوسون باشا فلم ينكر ذلك لكون ذلك اليوم كان وصول طوسون باشا فظن انهم جاؤا للسلام عليه وكان مولانا الشريف في قلة من الخدم والاتباع فلما دخل الديوان عند طوسون باشا تفرق خدمه وأتباعه في الدهاليز يتحدثون مع أتباع طوسون باشا ولما أقبل حضرة مولانا الشريف على الديوان خرج طوسون باشا لمقابلته وقبل يده وعظمه غاية التعظيم ودخل معه الديوان وجلسا يتحدثان ومنعا الناس من الدخول عليهما على عادة الامراء اذا اجتمعوا مع بعضهم وبعد قليل دخل عليهم من كبار العسكر عابدين بيك فدنا من حضرة الشريف وقبل يده وقبض على الجنبية التي تحزم بها مولانا الشريف ليأخذها من وسطه وقال له أنت مطلوب للدولة العلية فنظر مولانا الشريف فلم يجد عنده أحدا من أتباعه وباب الديوان مغلق بحيث لا يعلم من هو خارجه من العسكر وغيرهم ما هو حاصل داخله فلم ير مولانا الشريف الا الامتثال فقال له سمعا وطاعة ولكن أقضي أشغالي في ظرف ثلاثة أيام ثم أتوجه فقال لا سبيل الى ذلك فامتثل ما قالوه

صلى الله عليه وسلم ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنها الى أن هاجر الى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجدا يصلى فيه كذا ذكره الازرقي وعمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي وفي زمان الاشرف شعبان صاحب مصر وعمره أيضا الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وكان المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان أمر بتعمير هذا المكان الشريف فعمر قبة وصيره مسجدا يصلى فيه ومزارا تجتمع فيه الفقراء للذكر كل جمعة بعد الصلاة الى العصر وكل ليلة الاثنين من العشاء الى الصبح يذكرون الله تعالى وكانت عمارته في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة قال ويستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار الى الآن وفي خلفه مسجد يصلى فيه ويكون في كل ليلة اثنين فيه جمع يذكرون الله تعالى ويزار في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول في كل عام فيجتمع الفقهاء والاعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الاربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالاعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد الى سوق الليل ويمشون فيه الى محل المولد الشريف بازدحام

فأدخلوه في مخلوان الديوان وكان مهيأ مفروشا ولا يعلم أحد من العسكر وغيرهم ممن هو خارج الديوان بما صار في داخله وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة أعني سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ومكة ممتلئة من الحاج والاسواق قائمة بالبيع والشراء ولم يشعر أحد بذلك بل كان الناس يخوضون ويتحدثون في قدوم طوسون باشا من جدة لاتمام الصلح بينه وبين والده وفي وصول حضرة مولانا الشريف اليه للسلام عليه والذهاب به الى والده لاتمام الصلح بينهما ولم يخطر على قلب أحد شيء مما حصل ثم ان طوسون باشا كتب ورقة صغيرة وارسلها الى والده يخبره بما فعل وينتظر بقية التدبير منه وكان الشيخ أحمد تركي عند محمد علي باشا حين مجيء الورقة اليه فقرأها ومعه فيما يفعلونه بعد ذلك فقال له الشيخ أحمد تركي ان الشريف غالب له أولاد ثلاثة كبار فيخشى أن يحدثوا فتنة اذا علموا بالقبض على والدهم والقلاع بأيدي عبيدهم وعندهم كثير من العساكر الموظفة وهم تحت طوعهم فلا بد من الاحتيال على أولاده حتى يقبض عليهم قبل ان يعلموا بالقبض على والدهم ثم ذهب الشيخ أحمد تركي الى مولانا الشريف غالب فدخل عليه وقبل يده وقال له ان أفندينا يسلم عليكم ويقول لا تهتموا ولا يكون لكم فكر في شيء والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم في أقرب زمن ويكون في مدة غيبتكم أحد أولادكم نائبا عنكم في مكة وقائما مقامكم فاذا طلبتموهم يحضرون عندكم وتخبروهم بحقيقة الامر لاجل أن يطمئنوا ولا يحصل لهم تشويش فصدق مقالته وأمر بكتابة ورقة لاولاده ليحضروا عنده وختمها وارسلها اليهم ولم يعلم أحد ممن هو خارج الدار بما هو حاصل باطنها فلما وصلت الورقة لاولاده الثلاثة الكبار حضروا فلما دخلوا دار طوسون باشا ادخلوهم في موضع لا تراهم فيه قبل ان يصلوا الى والدهم ويجتمعوا به وأرسل طوسون باشا الى والده يخبره بذلك فتشاور محمد علي باشا مع الشيخ أحمد تركي فيمن يوجهون له امارة مكة قبل شيوع الخبر عند الناس ليحصل الامن والاطمئنان فصار الاستحسان ان تكون الامارة للشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن أخي الشريف غالب بن مساعد فارسلوا من أحضره وألبسه محمد علي باشا فروا سمورا وشالا غشاوا وأحضر له سنجقا من المال وأركبوه على فرس مزين بالرخت ومشت القواسة بين يديه الى أن أوصلوه الى داره التي تجاه باب الصفا فحينئذ علم الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفا من حصول فتنة ولم يقع شيء من تلك الفتنة التي خافوا وقوعها وضربت النوبة عند دار الشريف يحيى وجاءت الاشراف ووجوه الناس للسلام عليه والتهنئة له وسكن اضطراب الناس هذه الرواية هي الصحيحة وقيل ان أولاده قبل القبض عليهم علموا بالقبض على أبيهم فارادوا احداث فتنة فارسل اليهم محمد علي باشا يقول لهم ان وقع منكم حرب أحرقت البلاد وقتلت استاذكم ثم أرسل اليهم الشريف غالب وكفهم عن ذلك وجاءهم الشيخ أحمد تركي وقال لهم لم يكن هنا بأس وانما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم النيابة عن أبيه الى حين رجوعه ولم يزل بهم حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى بيت طوسون باشا وجعلوا في موضع غير الموضع الذي فيه والدهم محتفظا عليهم فلما كان الليل أركبوهم مع العسكر وتوجهوا بالجميع الى جدة وقيل كان ارسالهم الى جدة بعد القبض عليهم بثلاثة أيام وبعد القبض على الشريف غالب نهبت العساكر داره التي بشبيكة وأخذوا منها أموالا كثيرة وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة ثم بعد وصول الشريف غالب وأولاده الى جدة أركبوهم البحر وسيروهم على طريق القصير الى ان وصلوا الى مصر في شهر المحرم في سابع عشره من سنة تسع وعشرين فصير بواعدة مدافع اعلاما بوصوله واكراما له وقابله كبار رجال محمد علي باشا وقبلوا يده وعظموه وأنزلوه في منزل لائق به وأحضروا له ما يليق به من الاطعمة ولم يأذنوا لاحد من الاشياخ والتجار ان يأتوا للسلام عليه الا السيد

ويخطب فيه فيختصر ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يعودون الى المسجد الحرام ويجلسون صفوفا في وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس زمزم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفراشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصلي الناس على عادتهم ثم يمشي الفقهاء مع ناظر الحرم الى الباب الذي يخرج منه من المسجد ثم يتفرقون وهذا من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويأتي الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الاودية في تلك الليلة ويفرحون بها وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لا يعظمونها عيدا من أكبر أعيادهم غير أن بعض المتقشفين أنكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه لزعمه أنه يجتمع فيه من الملاهي والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وأفضى ذلك الى ما لا يصح شرعا فحكم بأنه بدعة ولم يحدث عن السلف شيء من ذلك والصواب أن هذه الجمعية ان خلت عن ما ينكر شرعا من الجمع بين الرجال والنساء ووقع فيها ما يتوهم من وقوع الملاهي فهي بدعة حسنة تتضمن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والدعاء والعبادة وقراءة القرآن وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم

البحر وفى قوافله كان رئيس التجار وكان معدودا من رجال محمد على باشا وكان عندهم بمصر اقامة فرح
لزواج اسمعيل باشا ابن محمد على باشا فاعدوا مكانا على حدته فى بيت الشرابى واحضروا فيه مولانا
الشريف غالبا وأولاده لينفرجوا على الملاعب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى
الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الصورة التى كانوا عليها بالمنزل الذى أنزلوا فيه
أولا وصنعوا فى ذلك الفرح أشياء يطول الكلام بذكرها ثم وصل فى شهر رجب حريم الشريف غالب
فعينوا له دارا يسكن بها مع حريمه فسكنها ومعه أولاده وعليهم الحرس الحافظون وتجرى عليهم
النفقات اللائقة بهم وفصل لهم كساوى من مقصبات وقشمير وتفاصيل هندية وفى التاسع
عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة حضر الى مصر الشريف عبد الله بن سرور وأرسله
الباشا محمد على منفيا من أرض الحجاز لاختلاف وقع بينه وبين أخيه الشريف يحيى فقيل انه اذا جاء
عند أخيه يتهاون به ويتعاظم عليه لكونه أكبر منه سنا ويخاطبه بغلظة وكلمات فيها احتقار له
فشكاه أخوه الشريف يحيى لمحمد على باشا فقبض عليه ونفاه الى مصر فأنزلوه فى منزل ولم يجتمع
بعمه الشريف غالب ثم اجتمع به وفى الحادى عشر من شهر رجب هرب الشريف عبد الله بن سرور
فى وقت الفجر ولم يشعروا به الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر تكدر لذلك وأرسل الى مشايخ
الحارات وغيرهم وبث العربان فى الجهات فظفروا به بعد ثلاثة أيام ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه
ومنعوه من الدخول والخروج بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيته الذى هو فيه ويذهب الى
بيت عمه ويعود وحده فبعد هذا الهروب منعوه من الخروج وضيقوا عليه وعلى عمه أيضا وفى
التاسع عشر من شعبان أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وأعطوه خمسمائة
كيس بدلا عما انتهب من أمواله بمكة بعد القبض عليه وكانت تلك الاموال كثيرة أكثر من
خمسمائة كيس التى أعطوه اياها وزودوه وأعطوه سكرا وبنا وأرزا وشرابات وغير ذلك
ليتوجه الى سلانيك حسبما صدر الامر بذلك من السلطنة السنية وفى شهر ذى القعدة جاءت
مكاتيب من محمد على باشا بارجاع الشريف عبد الله بن سرور الى الحجاز وكان ذلك بشفاعة أخيه
الشريف يحيى فيه فوجهوه بعد ان أعطوه أكياسا فقضى أشغاله وخرج مسافرا ورجع الى الحجاز وأما
مولانا الشريف غالب فأقام بسلانيك الى ان توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى
وكانت مدة امارته على مكة نحوا من سبع وعشرين سنة ولنرجع الى ذكر اتمام الكلام السابق فنقول
قد تقدم ان الشيخ أحمد تركى كان يشاوره محمد على باشا عند القبض على الشريف غالب وأولاده
وسبب ذلك ان الشيخ أحمد تركى كان رجلا مطوفا وله دراية بأحوال الحجاز وكان ذا عقل ومعرفة
وكان أولا من خدم الشريف غالب المختصين به وكان يعتمد عليه فى مهمات أموره وكان يبعثه الى
دار السلطنة فى المدة السابقة عند الاحتياج الى قضاء أشغاله فلما قدم محمد على باشا الى الحجاز جعله
ملازما له فوجده محمد على باشا ذا خبرة ودراية بالامور فأحبه وقربه وصار يستشيره فى كثير من
الامور ويعتمد على قوله ويعمل بما يشير به فيحصل النجاح بسببه فلما أراد الرجوع الى مصر
أقام حسن باشا بمكة قائمقامه وأمره ان يستشير الشيخ أحمد تركى فى مهماته وان يعتمد على
ما يقوله له فكان الامر على ذلك فكان الحل والعقد بيد الشيخ أحمد تركى وله أخبار وحكايات
مشهورة بين الناس تشهد بعقله ودرايته بحسن السياسة وبقى الى ان توفى سنة خمس وثلاثين وصار
له صيت وشهرة بين الناس وتقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى امارة مكة وهو ابن أخى مولانا
الشريف غالب لانه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين
ابن حسن بن أبى نمى وكانت ولايته فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف
بعد القبض على عمه مولانا الشريف غالب ولاه محمد على باشا امارة مكة ورتب له المرتبات الكلية

الى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله صلى الله عليه وسلم للذى سأله عن صوم الاثنين ذاك يوم ولدت فيه فتشريف هذا
اليوم متضمن لتشريف
هذا الشهر الذى هو فيه
فينبغى أن نحترمه غاية
الاحترام بشغله بالعبادة
والصيام والقيام ونظهر
السرور فيه بظهور سيد
الانام عليه أفضل
الصلاة والسلام * وأما
المستحدثات السيئة
والمنكرات فهى محرمة
فى كل مقام والله ولى
الاعتصام وقال بعض
العلماء قد اجابة الدعاء فى
مولد النبى صلى الله عليه
وسلم عند الزوال * وفى
دار السيدة أم المؤمنين
خديجة بنت خويلد رضى
الله عنها أفضل المواضع
بمكة بعد المسجد وذلك
لسكنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها وكثرة نزول
الوحى عليه بها وفيها مولد
فاطمة الزهراء رضى الله
عنها ومنها دار الخيزران
وهى بقرب الصفا كانت
تسمى دار الارقم المخزومى
ثم عرفت بدار الخيزران
وفيها هو أفضل المواضع
بمكة بعد دار أم المؤمنين
رضى الله عنها لكثرة
مكث النبى صلى الله عليه
وسلم فيه يدعو الناس
للاسلام مستخفيا عن
أشرار قريش الكفار
ذكره التقى الفاسى فى
شفاء الغرام * وقد جرب
بعض العلماء الدعاء فيها
بين العشاءين واختبا فيه
تارة وهو الموضع الذى كان صلى الله عليه وسلم يختفى فيه من الكفار ويجتمع فيه من آمن به ويصلى بهم الاوقات الخمسة سرا الى أن

من الدراهم والذخائر الآن محمد علي باشا كان يعتمد في تدبير أمور الاشراف والعرب على الشريف
شنبر بن مبارك المنعمي وكان ذلك بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان بينه وبين الشريف شنبر
المذكور محبة وصداقة فقربه وجعل تدبير أمور العرب بمعرفته وكان الشريف شنبر مشهورا
بالعقل والديانة وحسن التدبير فصارت تلك الامور كلها بيده وكان ذلك سبب وقوع العداوة بينه
وبين الشريف يحيى بن سرور الى أن قتله كما سيأتي وفي شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين جهز محمد
علي باشا ابنه طوسون باشا وعابدين بيك بعساكر كثيرة ووجههم الى ناحية تربة وكان القائم بامارة
تربة امرأة يقال لها غالية مشهورة بالشجاعة في القتال واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية
وجنودهم فوقع بينهم وبين العساكر المتوجهة اليهم مع طوسون باشا قتال شديد ثمانية أيام ثم رجع
العسكر منهزمين ولم يظفروا بطائل لان العرب بان لما وقع القبض على الشريف غالب نفرت
طباعهم من محمد علي باشا وهاجر كثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا في النواحي
ومنهم الشريف راجح بن عمرو الشنبري وكان مشهورا بالشجاعة فأتى من خلف العسكر وقت
قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد وقلت الجمال عند محمد علي باشا وصار
يشتريها من العربان الذين لهم باغلى الاثمان ووقع غلاء شديد بمكة واحتكر الباشا الغلال
الواصلة له من مصر لاحتياج العساكر وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة توفي سعود أمير
الوهابية بالدرعية دار ملكه وتولى مكانه ابنه عبد الله وفي شهر ربيع الثاني أرسل محمد علي باشا
عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة برا وبحرا واستولوا عليها وهرب من كان بها من الوهابية من قبائل
عسير فلم يجدوا بها غير أهلها وكان كبير العساكر المذكورة محمود بيك فقتلوا من وجدوه بها
وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى الباشا فأرسلها الى مصر ثم منها الى اسلامبول فلما سمع قبائل عسير
بذلك تجمع كثير منهم وكان كبيرهم يسمى طامي أبا نقطة وساروا الى القنفذة بعد مضي ثمانية أيام
من دخول العساكر فيها وحاصروا العساكر وأحاطوا بالقنفذة ومنعوا العساكر من الماء فركبت
العساكر وحاربوهم فانهزم العساكر وقتل كثير منهم وركب الباقون في سفينة فغضب الباشا
وأرسل لجدة خفارهم العرب فرجع العسكر أيضا منهزمين وفي شهر جمادى الثانية توجه محمد
علي باشا بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية وأبقى حسن باشا بمكة ومازالت العساكر تأتيه من مصر
متوالية دفعة بعد دفعة وكذا الذخائر وخزائن الاموال وورد الى جدة في هذه السنة أموال كثيرة
للتجار حتى بلغ قدر العشور التي أخذها الباشا أربعة وعشرين لكا فصار محمد علي باشا يرغب الناس
ببذل الاموال وصالح الشريف راجحا الشنبري وكثيرا من الاشراف ومشايخ العربان الذين كانوا
فارين منه قيل انه أعطى الشريف راجحا مائتي كيس ورتب له مرتبات كثيرة فصار من جملة جنوده
ثم توجه الباشا من الطائف الى كلاخ ورتب كثيرا من العساكر ووجههم الى جهات متفرقة ووجه
ابنه طوسون باشا الى المدينة المنورة ثم رجع الى مكة وجعل عابدين بيك مع العساكر ثم أرسل اليه
أيضا حسن باشا وبقي محمد علي باشا بمكة الى ان حج سنة تسع وعشرين وبعد الحج توجه الى العساكر
التي بالطائف وما فوقه في افتتاح سنة ثلاثين وسار بهم بنفسه ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان
النصر فيها له عليهم فملك تربة ورنية وبيشة وتوجه الى بلاد عسير وكان معه كثير من الاشراف من
أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبري وكان يستشيرهما في كثير من الامور
ويعمل بتدبيرهما فوصل الى بلاد عسير بعد ان ملك ما قبلها ثم ملكها وقتل في محاربته لها كثير
من العرب وقبض على طامي كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح لم يزل ينصب الحبائل
لطامي حتى قبض عليه فوضعه الباشا في الحديد ثم أرسله الى مكة ثم منها الى مصر ثم الى دار السلطنة
فقتلوه بها قيل ان الشريف راجحا جعل مالا جزيلا لمن أتى بطامي وطلب منه القبض على عمه

أسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بظهور بالاسلام وبالصلاة وأعز الله الاسلام به ، ودار الخيزران هي دور حول
الجبا ملكتها الخيزران
أم الرشيد ثم انتقلت
وتناقلت في يد الملاك الى
أن صارت الآن من جملة
أملاك سلطان سلاطين
العالم خليفة الله على
خليقته من بني آدم
سلطان الروم والعرب
والعجم الملك المظفر
المنصور والاعظم مراد
خان الاكرم الافخم عمر
الله بعدله الربع المسكون
وأسعده في كل ما ظهر
منه من الحركة والسكون
ومنها في جبل ثور عند
الظهر وجبل ثبير حراء
مطابقا ومنها مسجد البيعة
وهو مسجد على يسار
الذاهب الى منى بينه وبين
العقبة التي هي حد منى
مقدار غلوة سهم أو أكثر
وهو مسجد مهدوم فيه
حجران مكتوب فيهما ما يدل
على ذلك في أحدهما أمر
عبد الله أمير المؤمنين
أكرمه الله تعالى ببناء
هذا المسجد مسجد البيعة
التي كانت أول بيعة بايع
بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عقدها له العباس
ابن عبد المطلب وانه بني
في سنة أربع وأربعين
ومائة والمشار اليه أبو
جعفر المنصور العباسي
وعمره أيضا المستنصر
العباسي كما في حجر آخر بناه
في سنة تسع وعشرين
وستمائة وتلك الاحجار ملقاة
بذلك المسجد الخراب يخشى عليها الضياع فينبغي أثر هذا المسجد وكان المرحوم ابراهيم دفتردار مصر سابقا أمين فصنع

فصنع له وليمة فأتاه آمنا فقبض عليه وأرسله الى الشريف يحيى فارسله الى الباشا ولما دخلوا به مصر أركبوه على هجين وفي رقبته الجنزير مربوطا في عنق الهجين وكان رجلا شهما عظيم الهيبة وهو لابس عباءة ويقرأ القرآن وهو راكب لانه كان حافظا للقرآن وعملوا لدخوله شنكا وضربوا المدافع ثم أرسلوه الى دار السلطنة فطافوا به في البلاد ثم قتلوه ولم يزل محمد علي باشا يجول في بلاد الحجاز ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء في كل موضع يستولي عليه الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أعني سنة ثلاثين ثم رجع الى مكة ورتب بها مرتبات ومعاشات لكثير من الاشراف وغيرهم وهي باقية الى الآن لاولادهم وجدد ترتيب دفاتر الجراية المرتبة لاهالي مكة وكانت انقطعت في مدة الوهابية ووجد محمد علي باشا ترتيب تلك الدفاتر غير واقع موقعه لان كثيرا من الناس التجار والاغنياء استولوا عليها بالفراغات وصار كل واحد بيده نحو مائة اردب والناس الفقراء ليس لهم شيء فابطل ذلك كله ورتبها ترتيبا جديدا وهي باقية الى الآن ثم توجه الى مصر وأقام بمكة حسن باشا الارنؤطي قبل توجهه الى مصر ووصل اليها في النصف من رجب وأبقى ابنه طوسون باشا مع العساكر بالحجاز وفي شهر شعبان انعقد صلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود على ترك الحروب والقتال وانه يذعن بالطاعة وتحقن الدماء وأرسل نحو العشرين من الوهابية لطوسون باشا لعقد الصلح فارسل منهم الى مصر لمحمد علي باشا فلم يعجبه هذا الصلح ولم يرض به ولم يحسن نزل الواصلين اليه واجتمع به اثنان منهم فخاطبهما وعاتبهما على المخالفة فاعتذرا بأن الامير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الامير عبد الله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة جده عبد العزيز وانه كان مسالما للدولة حتى ان الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شيء ولم يحصل التفاقم والخلاف الا في أيام الامير سعود ومعظم الامر لشريف غالب بخلاف الامير عبد الله فانه أحسن السيرة وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من العبارات والكلمات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذي أمر لهما بالنزول فيه ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما في الركوب والذهاب والاياب فانه أطلق لهما الاذن الى أي محل أراداه فكانا يركبان ويمران في الشوارع باتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا في الجامع الازهر في وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ومكثا بمصر أياما ورجعا الى الحجاز واستمر طوسون باشا في الحجاز الى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه فكان وصوله الى مصر في شهر ذي الحجة وضربوا لقدومه المدافع وزينت مصر وكان قد ولد له مولود في مدة غيبته سموه عباسا وهو الذي تولى مصر لما كبر بعد عمه ابراهيم باشا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وتوفي طوسون باشا سنة احدى وثلاثين بطاعون وقع بمصر تلك السنة وعمره نحو عشرين سنة وبقي أمر محمد علي باشا نافذا بالحجاز وعساكره في كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ أحمد تركي والشريف يحيى شريف مكة ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر الى الحجاز ثم أرسل محمد علي باشا ابنه ابراهيم باشا الى الحجاز في المحرم من سنة اثنين وثلاثين لاستكمال محاربة الوهابية والاستيلاء على الدرعية وهي دار الملك لعبد الله بن سعود واسلافه فتوجه ابراهيم باشا ومعه عساكر كثيرة زيادة على ما أرسل قبل ذلك من العساكر وأصحبه من صناديق الاموال ما لا يدخل تحت الحصر ولم يزل سائرا حتى وصل الى مكة ثم توجه بالعرضي الى الدرعية وملك كل أرض وصل اليها بلا معارض ومعه كثير من العرب الذين دخلوا في الطاعة الى أن وصل الى محل يقال له الموتان في شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة فوقع بينه وبين الوهابية قتال شديد وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياما ومدافعين ولما وصلت البشائر الى مكة ضربوا

عمر فاحترمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنته شرع في تجديد هذا المسجد وأسسه وبنى بعض طاقاته وبدا أنه توفي الى رحمة الله تعالى قبل اتمامه وما وفق أحد بعده الى الآن لاتمامه وهو من المساجد المأثورة النبوية وهو الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وسلم سبعون من الانصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فنادى ازب العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش ان الاوس والخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه فامسكت الانصار قوائم سيوفها وقالوا نقاتل الاسود والاحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاهم الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضي الله عنه الى المدينة لما أذن لهما في الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب الدعاء فيه رحم الله من يكون سببا في تجديده وعمارته ومنها مسجد المتكا يستجاب فيه الدعاء يوم ٢ وذكر الازرقي وجوده وقال القاضي أبو البقاء بن الضياء الحنفي في البحر العميق ان بأجياد الصغير موضعا يقال له المتكا وهو دكة مرتفعة عن الارض ملاصقة لدار بعض بني شيبة قلت وهذه المذكورات الآن وما بقي منها الا بعض أحجارها وطالما سألت كثيرا من الأعيان أن يعمروها ويجددوها كما كانت فما وفق أحد بياض بالاصل

لذلك مدافع وكذا فعلوا في مصر لما جاءتهم البشائر ثم قصد ابراهيم باشا قرية تسمى الشقراء كان بها
عبد الله بن سعود فلما سمع بقرب ابراهيم باشا منه خرج هاربا الى الدرعية ليلا فجاء ابراهيم باشا
الشقراء وملكها وكان بينها وبين الدرعية يومان ثم تقدم الى ان حاصر الدرعية بعساكره ومن
كان معه من العرب واتفق في مدة الحصار ان ابراهيم باشا غاب مدة في جهة من نواحي الدرعية لامر
يقتضيه ونزل عرضيه واغتنم الوهابية غيبته وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من
العساكر جملة وافرة وأخذوا الجبخانة فلما وصلت الاخبار الى مصر بذلك قوي اهتمام محمد على باشا
وأرسل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا وأصحبهم كثيرا من الجبخانة
والدراهم والذخائر ولم يزل ابراهيم باشا يغير على أطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصلت العساكر
المرسلة ازدادت قوته وقوي عزمه وقطع عنهم ودام الى ان استولى على الدرعية وملكها في شهر
ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف وجاءت البشائر الى مكة فضربت المدافع ولما وصلت
البشائر الى مصر فرح محمد على باشا بذلك وصار له سرور عظيم وضرب لذلك نحو ألف مدفع وصنعوا لذلك
شنكا وزينة قيل ان عدد المدافع التي ضربت في أيام الزينة بلغت ثمانين ألف مدفع وكان محمد على
باشا فعل ذلك مهما بأمر ابراهيم باشا وكان يوالي ويتابع له ارسال الذخائر والاموال من الذهب
والفضة بالاحمال حتى انهم في مرة من المرات حملوا خزينة على جمال العرب خاصة من ينبع الى
المدينة بلغت أجرة تلك الجمال في تلك المرة خمسة وأربعين ألف ريال عن أجرة كل بعير ستة ريالات
يدفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول ذلك ثم صرفوا على تلك الدفعة
بعينها من المدينة الى الدرعية ما يبلغ مائة وأربعين ألف ريال وكان مثل ذلك مستمر التكرار
والبعوث ويحتاج الى كنوز قارون وهامان واكسير جابر بن حيان واذا نظرت الى هذا والى ما أنفقه
محمد على باشا من ابتداء التجهيز الى الحجاز الى آخره تعلم ان ذلك شيء لا يعد ولا يحصى ولا يمكن ضبطه
الاستقصا ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية قبض على عبد الله بن سعود أمير الدرعية وعلى
كثير من قرابته وعشيرته وأولاده وأعوانه وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن واستبدل من
بقي من أهلها بسكنى الرياض وجعلوها بدلا عنها وتركوها خرابا ثم ان ابراهيم باشا أرسل عبد الله بن
سعود وكثيرا ممن قبض عليهم من عشيرته الى مصر فكان ورود عبد الله بن سعود الى مصر في أوائل
المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين وأدخلوه مصر وهو راكب على هجين وأمامه كثير من العساكر
وخرج الناس أفواجا للتفرج وكانوا مشاة رجالا ونساء وأطفالا وكان يوما مشهودا لا يكاد يوصف
ماوقع فيه من نصب الملاعب وشدة الازدحام وضربوا عند دخوله مدافع كثيرة وذهبوا به الى بيت
اسمعيل باشا ابن محمد على باشا ببولاق فأقام يومه ثم ذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا فلما دخل
عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ماهذه المطاولة فقال الحرب سجال قال
وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ماقصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ماقدره المولى فقال الباشا
أنا ان شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى
بيت اسمعيل باشا ببولاق وكان صحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ماهذا
فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان وفتحه فوجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنا
مكللة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبه شريط ذهب فقال له الباشا الذي أخذه
من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند أبي فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة
لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح
وجدنا عند الشريف غالب أشياء من ذلك وفي التاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد
الله بن سعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من العسكر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

لذلك ليكون ذلك الثواب نصيبا لمن وفقه الله لذلك • وذكر النقاش في منسكه المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بمكة
ووقت لكل بقعة أوقاتا معينة • قال أمام خلف المقام وتحت الميزاب في الحجر وعند الركن اليماني وقت السحر وعند الحجر الاسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غروب الشمس وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وعلى بسطة البدر آخر الليل وبالمزدلفة عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوال تحت السدرة وهي غير معروفة الآن وبالموقف عند غروب الشمس هكذا ذكره النقاش ومنها جبل أبي قبيس وانما سمي به لان رجلا من اياد يكنى أبا قبيس حفر فيه وبنى فيه بناء فعرف به • قال الفاكهي ان الدعاء فيه يستجاب وان وفد عاد قدموا الى مكة للاستسقاء لقومهم فأمروا بالطلوع الى أبي قبيس للدعاء وقيل انه لم يعلم داع دعا الله منه الا أجابه الى ما دعاه اليه وفيه على احدى الروايات قبر آدم وحواء وشيث عليهم السلام • قال الذهبي في جزئه في تاريخ آدم وبنيه ما نصه وخلفه بعده شيث ابنه ونزلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس • وقال وهب بن منبه قبر آدم في موضع من أبي قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام

وفي هذه السنة أرسل محمد علي باشا خليل باشا ابن أخته بعساكر الى الحجاز فتوجه الى اليمن واستولى عليه صلحا ثم صار محافظا لمكة بدل حسن باشا وتوجه حسن باشا الى مصر ولما وصل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا كثيرا من أتباعه في نواح متفرقة وفي شهر رجب من السنة المذكورة وصل كثير من الوهابية الى مصر أرسلهم ابراهيم باشا بحريمهم وأولادهم نحو الاربعمائة ومعهم أيضا أولاد عبد الله بن سعود وكثير من عشيرته وأقاربه واسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وأولاد عبد الله بن سعود واخوانه بدار عند جامع مسكة وطفقوا يذهبون ويجيئون من غير حرج عليهم وكانوا يترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات وبعد ان حج ابراهيم باشا سنة أربع وثلاثين توجه الى مصر فوصل حرمه اليها في أواخر ذي الحجة من السنة المذكورة ووصل هو في الحادي والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثلاثين ونودي بالزينة سبعة أيام وضربت المدافع عند قدومه ودخل في موكب حافل وفي أوائل رجب من سنة خمس وثلاثين توفي خليل باشا بالحجاز فخلع محمد علي باشا على أخيه أحمد بيك وقلده منصب أخيه بالحجاز وضاعفه ثم صيره باشا بعد ذلك وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز فانه تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين وأعيد سنة ثمان وأربعين ومكث الى سنة ست وخمسين وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وفي سنة ست وثلاثين قبض حسين بيك على كثير من كبار الوهابية وأرسلهم الى مصر وسبب ذلك انهم كانوا فروا من ابراهيم باشا حين أخذ الدرعية فلما ارتحل ابراهيم باشا وعساكره من الدرعية رجعوا اليها وكان منهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وتركي بن عبد الله أخي عبد العزيز وولد عم سعود ومشاري بن سعود ولكن مشاري كان ممن قبض عليه ابراهيم باشا وهرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر وكان هربه في الحمراء وهي قرية قريبة من الصفراء وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فر حين قدمت العساكر مع ابراهيم باشا وأخذوا في تعمير الدرعية ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشاريا ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ محمد علي باشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك فأوثقوا مشاريا وأرسلوه الى مصر فمات في الطريق وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بيك وحاصرهم وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة فطلبوا الامان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الامان على أنفسهم فخرجوا اليه الا تركيا فانه خرج من القلعة ليلا وهرب ثم صار له ملك بالرياض بعد سنين ثم ثار عليه رجل من آل سعود يقال له مشاري فقتله وكان لتركي ولد يقال له فيصل كان وقت مقتل أبيه في الغزو فلما بلغه مقتل أبيه جاء بمن معه من رجال الغزو فقتل مشاريا الذي قتل أباه واستقل فيصل بالملك وسيأتي ان شاء الله تمام الكلام عليه وأما حسين بيك فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فصاروا مع جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت وفي هذه السنة جهز محمد علي باشا عساكر كثيرة الى السودان مع ابنه اسمعيل باشا فاستولى على سنار ومواضع من السودان ثم قتل فتابع محمد علي باشا ارسال العساكر على السودان حتى استولى على كثير منها وقد تقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد امارة مكة سنة ثمان وعشرين في أواخر ذي القعدة بعد القبض على مولانا الشريف غالب وكانت مباشرة أحكام الاشراف والعرب عند محمد علي باشا وممن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر وكانوا يستعينون بالشريف شنبر بن مبارك المنعمي بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان صديقا للشريف شنبر فقربه وأدناه وتوفي الشيخ أحمد تركي سنة خمس وثلاثين كما تقدم وبقي الشريف شنبر مقربا عند أحمد باشا يفوض اليه أكثر أحكام الاشراف

وجعله في تابوت معه في السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه انتهى وقيل غير (٣٠٣) ذلك وفي أعلى الجبل صهريج يزوره الناس وليس ذلك بقبر آدم عليه السلام والظاهر صهريج كان معدا للماء اذا كان على رأسه قلعة قديما وزعم الناس أن من أكل يوم السبت في جبل أبي قبيس رأسا مطبوخا سلم من وجع الرأس طول عمره والناس يتهافتون على ذلك في كل صبح يوم سبت وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وليس لذلك صحة كما ذكره السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى قال وهو أول جبل وضع في الارض وذكر بعض العلماء انه أفضل جبال مكة وفضله على جبل حراء ونوقش في ذلك ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المغاربة يسمى رباط الموفق وقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري في سنة أربع وستمائة يحكى عن الشيخ خليل انه كان يكثر اتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف انه قال ما وضعت يدي في حلقة هذا الرباط الا تذكرت ووقع في نفسي كأن الولي وضع يده في هذه الحلقة وفي مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المؤمنين سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها وهو محل في شعب بني هاشم كان فيه تابوت من خشب يزار فبني عليه قبة من الحجر الشميسي

والحرب وما يتعلق بهما فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى والشريف شنبر وحصل بينهما
معارضات ومناقشات في قضايا كثيرة واستمر الحال الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف والناس
يوشون بينهما بما يوغر الصدور بنقل كثير من الكلام الذي يحصل منه تكدير النفوس فعزم
الشريف يحيى وصمم على قتل الشريف شنبر فجاء الشريف يحيى وهو في المسجد عند باب الصفا
بعد صلاة المغرب فقتله بيده بالسلاح ليلة الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين
ومائتين وألف وارتج المسجد والبلاد وغلقت الاسواق وفزع الناس فزعا شديدا وكانت ليلة مهولة
فأمر أحمد باشا العساكر بصب الرصاص وأحضر آلات الحرب وتترس الشريف يحيى في داره
التي عند باب الوداع وأراد أحمد باشا القبض عليه فلم يتمكن له ذلك وأدار المدافع التي في قلعة جياد
على الشريف يحيى لقرب داره منه وتهدده بأن يضرب بها داره وتردد الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله
الحرام بينهما الى أن تم الامر على أن الشريف يحيى يتوجه الى مصر من طريق البر وأقر واعترف
بأنه هو الذي قتل الشريف شنبرا بيده حتى انه قيل له انكر قتله واسنده الى بعض العبيد فأبى وقال
بل قتلته بيدي ولا انكر ذلك ثم لما أصبح الصباح أخذ في التجهيز للسفر وركب بعد الظهر على ركائبه
ومعه بعض أتباعه وعبيده وتوجه على طريق الوادي فأدركه دخول شهر رمضان وهو ببدر فصام
رمضان ببدر وتكاسل عن التوجه الى مصر وجاءه مشايخ حرب ووعدوه بالاعانة والنصرة له وانهم
يقومون معه حتى يرجعوه الى دار ملكه واغتر بقولهم ومكث في بدر الى تمام السنة ولما دخلت سنة
ثلاث وأربعين أخذ في الشروع في جمع القبائل ليرجع الى مكة وكان أحمد باشا بعد مقتل الشريف
شنبر أنهى الأمر الى محمد علي باشا والتمس منه ان تكون امارة مكة للشريف عبد المطلب بن
الشريف غالب وكان الشريف عبد المطلب وأخواه الشريف علي والشريف يحيى حين صار
القبض على أبيهم صغارا فكبروا وصاروا في هذا الوقت رجالا وكان الشريف عبد المطلب أكبرهم
فاستحسن أحمد باشا ان تكون الامارة للمذكور وعرض ذلك لمحمد علي باشا فأبطأ عليه الجواب الى
تمام سنة اثنتين وأربعين فلما بلغه ان الشريف يحيى يجمع قبائل حرب ويريد المجيء للقتال استحسن
أن يعجل بتولية الشريف عبد المطلب ليجمع جموعا يقابل بها الشريف يحيى اذا جاء للقتال فعقد
مجمعا في ديوان الحكومة وأحضر العلماء وكبار الاشراف ووجوه الناس وأبرز صورة فرمان بولاية
الشريف عبد المطلب ونودي له في البلاد وضربت المدافع وضربت النوبة عند داره وجلس للناس
فأتوه للسلام عليه والتهنئة له وكتب للقبائل وشرع في جمعها ليقاتل بها الشريف يحيى بن سرور
وفي أثناء ذلك جاءت الاخبار من مصر في شهر صفر بأن محمد علي باشا استحسن ان تكون امارة مكة
للشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي
وانه أرسل يطلب له الفرمان السلطاني من مولانا السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول وكان
الشريف محمد بن عون اذ ذاك بمصر نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام لانه لما كان محمد علي باشا
بالحجاز كان قد أقام الشريف محمد المذكور أميرا على تربة ثم أقامه أميرا على قبائل عسير ومن
يتبعهم من القبائل والقرى ثم بعد سنين من امارته فيهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم
وكتب الى مصر لمحمد علي باشا يطلب منه تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير فأرسل محمد علي باشا
عساكر كثيرة من العساكر النظامية وكان ذلك في ابتداء حدوث العساكر النظامية فتوجه
الشريف محمد بتلك العساكر لمحاربة عسير سنة تسع وثلاثين فوقع انهزام لتلك العساكر وقتل في ذلك
القتال الشريف راجح بن عمرو الشنبري فرجع الشريف محمد بن عون الى مصر وبقي بها الى افتتاح
سنة ثلاث وأربعين نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام فلما وقع قتل الشريف يحيى للشريف شنبر
المنعمي استحسن محمد علي باشا ولاية الشريف محمد بن عون لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية

الامير الكبير السعيد الشهيد محمد بك سليمان جركز دفتردار مصر في أيام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية في أيام السلطان الأقدس المرحوم المقدس السلطان سليم خان عليهم الرحمة والتحية والرضوان بناه في سنة خمسين وتسعمائة وكسى التابوت الشريف كسوة فاخرة وعين له خادما ورتب له علوفة من خزائن الصدقات الشريفة السلطانية العثمانية جارية عليه الى الآن وكان من أهل الخير والجميل والمعروف كريما جوادا بذولا له احسان كثير وجميل وافر أحسن الله اليه كما أحسن الي وضاعف حسناته ومحاسنه حج الى بيت الله تعالى وهو أمير الركب الشامي وأحسن الى الناس كثيرا وعم احسانه وكان يحب العلماء الصلحاء ويكرمهم ويحسن اليهم ويقضي حوائجهم بحيث كانوا يعدون أيامه تنفسات الدهر ثم قتل مظلوما وعند الله تجتمع الخصوم والله غفور رحيم ومنها عند قبر سيدنا الفضل بن عباس رضي الله عنه وهما في محوطة فيها جماعة أولياء أجلاء أكابر منهم الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالداوائي وكثير من مشاهير العلماء آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف النقشبندي الرومي رحمه الله تعالى ومنها عند قبر سفيان بن عيينة رضي الله عنه ومنها عند قبر الشيخ أبي الحسن علي

والداقة

والبداءة لامارة مكة فحصل الامر بمكة وما أرسل بطلب الفرمان من مولانا السلطان محمود فلما جاءت
الاخبار بولاية الشريف محمد بن عون بعد ان ولى أحمد باشا الشريف عبد المطلب حسبما تقدم ذكره
وقع الاختلاف والتنافر بين أحمد باشا والشريف عبد المطلب وكان أحمد باشا بالطائف وكان الشريف
عبد المطلب أيضا كان بالطائف يجمع القبائل لمحاربة الشريف يحيى بن سرور فلما جاءت الاخبار
بولاية الشريف محمد وقع الاختلاف بين الشريف عبد المطلب وأحمد باشا وأراد أحمد باشا التوجه الى
مكة ثم بلغه ان الطرق كلها مقعود فيها وان الشريف مرزوق بن عبد العزيز الحرث أمير الصفيق
وهذيل الشام جمع قبائل وجلس بها في الريعان ليمنع أحمد باشا من العبور وشاع انه فعل ذلك باشارة
من الشريف عبد المطلب فأخذ أحمد باشا وجوها من الشريف على بن غالب وطلب منه ان يسير معه
الى أن يوصله الى مكة فحمل الشريف على ذلك ولما وصلوا وقربوا من الريعان تحققوا ان الشريف
مرزوقا الحرث في الريعان ومعه القبائل كما شاع فتقدم الشريف على وارسل اليهم يقول ان أحمد
باشا في وجهه ومنعهم ان يتعرضوا له بشئ فامتنعوا مما كانوا أرادوا ان يفعلوه وبعد ان وصل أحمد
باشا الى مكة رجع الشريف على بن غالب الى أخيه الشريف عبد المطلب ثم عزم الشريف عبد
المطلب على محاربة أحمد باشا واخراج العساكر المصرية قبل قدوم الشريف محمد بن عون فضم الى
القبائل التي كانت اجتمعت عنده قبائل غيرهم وتوجه بهم الى مكة فوقع بينه وبين أحمد باشا وقائع
متعددة يطول الكلام بذكرها وقتل فيها كثير من العرب وكثير من عساكر أحمد باشا وكانت تلك
الوقائع بعضها في عرفة وبعضها في العابدية وبعضها في الحسينية وبعضها في منى واستمر الحال الى
شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان آخر الوقائع في جمادى الاولى تقوى فيها الشريف
عبد المطلب وكثرت القبائل معه ودام الحرب ثلاثة أيام وآيس أحمد باشا من النصر وطلع القلعة
بأهله وحريمه وانحصر العسكر بعضهم في القلعة وبعضهم في البياضية وبعضهم في بيت بنت جعفر
الذي عند القبور وأحاطت القبائل بجبال مكة وطرقاتها ونزل بعضهم من الجبال وعقر بعض الخيل
التي كانت مربوطة في اصطبل خيل أحمد باشا الذي في جياد وضربت العساكر من القلعتين بالمدافع
المشحونة بالقنابل على القبائل التي في الجبال كل ذلك كان يوم السادس والسابع والثامن من جمادى
الاولى وخاف كثير من الناس الذين بمكة ان يقع النهب من القبائل اذا دخلوا مكة فادخلوا أموالهم
في الخبايا تحت الارض وبنى بعض الناس متاريس في بيوتهم وأحضروا البنادق والبارود والرصاص
ليحموا أنفسهم ودورهم من نهب العرب اذا دخلوا مكة قيل ان عدد القبائل كان تسعة آلاف
وشاع ان الشريف عبد المطلب تكاتب مع الشريف يحيى بن سرور وعقد معه صلحا واتفقا على أن
تكون كلمتهما واحدة وان الشريف يحيى يأتي من طريق الوادي ومعه ثلاثة آلاف من قبائل حرب
وغيرها وانه يدخل من أسفل مكة والشريف عبد المطلب من أعلاها وان دخولهما يكون في صبح
التاسع من جمادى الاولى ووقعت أراجيف كثيرة فبات الناس بمكة في تلك الليلة في كرب شديد فلما
أصبح صبح ذلك اليوم جاء الخبر بان الشريف محمد بن عون وصل الحدالية وفي أثره ودخل مكة
بنفسه بعد الاشراق ومعه سبعة خيالة من أتباعه وذلك انه وصل الى جدة يوم الثامن فاخبروه ان
الحرب على مكة فحين نزوله من البحر ركب وتوجه الى مكة فلما وصل بعد الاشراق جلس أولا في بيت
أحمد باشا الذي عند باب على وكان ديوانا للحكومة وطلب حضور أحمد باشا ونزوله من القلعة فنزل
وجلس معه قليلا ثم ركب هو والسبعة الذين جاؤا معه وتوجه الى الابطح موضع شدة الحرب وأمر
باخراج العساكر المحصورة في البياضية وبيت بنت جعفر وصار يرتبهم للحرب وكان الشريف عبد
المطلب عند المعابدة وقد أحضر الخيول الجنائب وصار يرتب الموكب الذي يريد دخول مكة به
والحرب قائم والقلعتان يرمى منهما بالمدافع المشحونة بالقنابل على قبائل العرب التي انتشرت في

الشولى رضى الله عنه ذكر
الشيخ خليل المالكي ان
الدعاء عنده مستجاب
وكذلك عند قبر صاحب
الخير بالمعلاة ويقال انه
اذا أراد أن يدعو عند
صاحب الخير يستقبل
القبلة بحيث تكون تربة
الملك المسعود خلفه عن
يساره وقد اندرست تربة
الملك المسعود الآن ومحلها
فوق البئر المعروف ببئر أم
سليمان الموجودة الآن
مرتفعا عن طريق السيل
ومنها عند قبر الفقيه الاحمر
بالقرب من الجبل فان
المرجاني في بهجة النفوس
الدعاء عند قبره مستجاب
ومن المواضع التي جربتها
أنا لقبول الدعاء تربة شيخنا
المرحوم مولانا علاء الدين
الكرماني النقشبندي
طيب الله تعالى ثراه ونفع
ببركاته أحياه توفي سنة
تسع وعشرين وتسعمائة
وله كتب جليلة في الطريق
أجلها كتاب منظوم في
مقابلة المثنوي رحمه الله
وفي مكة مواضع مباركة
وموالد شريفة ومساجد
مأثورة غير هذه فمنها مولد
سيدنا أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه وهو بقرب مولد
النبي صلى الله عليه وسلم
بقرب جبل أبي قبيس من
قفاه في شعب يقال له شعب
على به مسجد يصلى فيه
ومولد يزار الآن منهدم

الجبال ولما طلع الشريف محمد بن عون الى الابطح ومعه السبعة الجمالة الذين جاؤا معه صار كثير من
الناس يستهزؤن بهم ويقولون أين يذهب هؤلاء السبعة الى هذه الجنود المجندة فبينما الامر كذلك
اذ جاء الشريف عبد المطلب رجل من جنوده من شيوخ ثقيف فقال له [illegible] وكلمه سرا
وقال له ان الشريف محمد بن عون قد وصل وان القبائل قد بادرت وطلبت منه الامان والحال انه لم
يبق لك أحد معك وان هذا الذي أراده الله وأراد به فصدق الشريف عبد المطلب مقالته
وركب وتوجه الى الطائف من طريق كرى وتركت القبائل القتال وركب معه بعض غلمانه وأتباعه
والاغوات القبائل الذين تركوا عن القتال وأرسلوا للشريف محمد بن عون يطلبون منه الامان
فأمنهم وأرسل الى أهل القلاع وأمرهم بالكف عن رمي المدافع والقتال ونصب له صيوان بالابطح
وجلس فيه فجاءه شيوخ القبائل معلنين طاعتهم وعرض عليه عسكر الجوخ والشيلان وأعطاهم
الجوائز [illegible] ثم ركب الى مكة والقبائل يمشون بين يديه بموكب عظيم قبيل الظهر ونزل في دار
الشريف يحيى بن سرور التي عند باب الوداع وضربت له المدافع وضربت النوبة عند باب داره
وجاء الناس أفواجا للسلام عليه والتهنئة وأمنت البلاد واطمأنت العباد وعاد الخوف أمنا وسرورا
وكانت هذه الفتنة لم تمكث الا أياما قليلة وكان الشريف يحيى بن سرور قد أقبل بقبائل من الحربية على
الامر الذي اتفق مع الشريف عبد المطلب عليه فلما كان بالوادي تحقق عنده قدوم الشريف محمد بن
عون في آخر [illegible] وادي [illegible] فيه الشريف محمد بن عون الى بلده فقيل له لو تقدمت بالقبائل التي
معك الى طرف [illegible] الى مكة [illegible] وصل الشريف محمد بن عون فالامارة
له لا أتعرض له ولا أمنعه الدخول الى مكة ثم لما تحقق عنده خروج الشريف عبد المطلب وانه توجه الى
الطائف فرق تلك القبائل واستحسن التوجه الى الطائف [illegible] كاتب الشريف محمد بن عون والشريف
عبد المطلب [illegible] الصلح معه الجميع فلما وصل الى الطائف [illegible] المكاتيب من الشريف محمد
ابن عون بالتأمين والاستعطاف وانه يجري [illegible] على [illegible] من الجميع وانه يرتب لكل
منهم [illegible] المرتب الذي [illegible] ان يكون [illegible] حيث أراد اما الطائف أو مكة أو المدينة المنورة
واستحسن الشريف يحيى انعقاد الصلح وامتنع الشريف عبد المطلب من قبول ذلك وقال ليس بيننا
وبينه الا السيف [illegible] الطائف [illegible] وأمر أهل الطائف بحمل السلاح وأن يقوموا معه ولم
يقصروا في الاجتماع [illegible] الشريف عبد المطلب [illegible] بني سعد وناصرة وأهل
بجيلة وبني مالك وزهران وأظهر كل الجد والاجتهاد في ذلك ولم يتمكن الشريف يحيى بن سرور من مخالفته
[illegible] معه بالنسبة اليه [illegible] معه بالطائف ومعه أيضا الشريف منصور والشريف حسين وبعض
أولاد أخيه الشريف عبد الله بن سرور ومعهم أيضا الشريف عبد الله بن فهيد بن عبد الله بن سعيد
ابن سعد بن زيد وكان من كبار الاشراف ذوي زيد ومعهم أيضا السيد محمد بن حسين العطاس شيخ
السادة العلوية وقبض الشريف عبد المطلب على بعض الاشراف العبادلة الذين كانوا بالطائف
منهم الشريف [illegible] بن عبد الله [illegible] ووضعه في الحديد وحبسه في القلعة مع من قبض عليهم
معه فلما بلغت هذه الاخبار الشريف محمد بن عون تجهز للمسير الى الطائف لقتاله وجاء معه عساكر
كثيرة من عسكر الدولة والعساكر النظامية وعليها أمير اللواء سليم بيك فلما استكمل وصول
العساكر والذخائر وخزائن الاموال في صناديق كثيرة ومصاحبين كثيرة فيها الجوخ والشيلان
وأنواع الحرير والاقمشة كان استكمال وصول الجميع في شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة
توجه ومعه أمير اللواء سليم بيك وساروا الى أن وصلوا الطائف وجاء كثير من قبائل هذيل وثقيف
وغيرهما [illegible] فأنعم عليهم الشريف محمد بن عون بالكساوي والجوائز والضيافات ونزلوا
العرضي بالعقيق [illegible] قريب من الطائف حيث تصل المدافع منه الى الطائف وأرسلوا للشريف

الآن عمره الله من عمره
ومنها موضع يقال له مولد
سيدنا حمزة رضي الله عنه
في أسفل مكة لاصق بموضع
يسمى بازان وهو مجرى
عين حنين الى بركة ماجن
قال السيد التقي الفاسي
رحمه الله تعالى لم أر شيئا
يدل على صحة ما اشتهر من أن هذا
المكان مولد السيد حمزة
رضي الله عنه لأن هذا
المحل ليس محلا لبني هاشم
وطول هذا المحل خمسة
عشر ذراعا الا ثلث وعرضه
سبعة أذرع وربع وفي
صدره محراب وبابه في
الجدار الذي الى جهة بركة
ماجن انتهى وقد خرب
الآن واضمحل الاثر بالتراب
فلا يظهر له محراب ولا باب
ولا جدار وهو قد محي
عن مولد سيدنا حمزة فرحم
الله من أحياه وعمره ومنها
موضع في أعلا [illegible] يقال
له سوق الليل يقال انه
مولد سيدنا أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله
عنه يطلع الناس اليه
للتبرك والتفرج لاشرافه
على مكة ومن الناس من
يقصده للزيارة قال التقي
الفاسي رحمه الله لا أعلم
في ذلك شيئا يستأنس به
غير أن جدي أبا الفضل
النويري كان يزور هذا
الموضع في جمع من أصحابه
في الليلة الرابعة عشرة من
شهر ربيع الاول من كل
سنة انتهى [illegible] وهذا

عبد المطلب يعرضون عليه الامان وامتنع وكان عنده بالطائف بعض الطبجية في قلعة الطائف
فامرهم بالرمي بالمدافع المتحصنين بالقلعة على العرضي فلم يقدروا على مخالفته فعملوا ذلك وثار الحرب
بين الشريف والعرضي ووجهت المدافع أيضا من العرضي على الطائف وكان عنده بالطائف بعض قبائل بني
سفيان وهذيل أهل الشفا من الطائف [illegible] وغيرهم [illegible] وصلوا الى العرضي
وأخذوا الامان لهم ولقبائلهم وساروا مع الشريف محمد بن عون ولم يبق معه بالطائف الا أهل
الطائف وهو يأمرهم بحمل السلاح والقتال ولم يترك أحدا منهم [illegible] حتى الشيخ [illegible] حمل
البندق ولبس السلاح وكان من العلماء [illegible] وكان من أصدقاء الشريف محمد بن عون فامتثل أمر
الشريف عبد المطلب فكان مع أهل الطائف في جميع ما يأمرهم به الشريف عبد المطلب وكانوا
متفرقين في الطائف عند السور والابراج ليلا ونهارا [illegible] واشتغل الشريف
عبد المطلب بعدهم [illegible] القبائل الذين ذهبوا الى الشريف [illegible] من الحرب [illegible] الايام
والليالي ولم يحضر احد منهم وكان الشريف محمد بن عون [illegible] الطائف [illegible] توجه
الى مصر سنة ست وثلاثين وكان معه ابنه الشريف عبد الله [illegible]
البيت الذي كانوا [illegible] وهو المعروف ببيت [illegible] الشريف محمد [illegible]
بابه الشريف عبد الله [illegible] وأخرجوه [illegible] في العرضي [illegible] الشريف عبد المطلب
واشتد الحرب والرمي بالمدافع نحو [illegible] أهل الطائف [illegible] أقواتهم [illegible]
[illegible] الناس [illegible] وصلوا الى العرضي [illegible] الامان لانفسهم ولاهل الطائف
وعدة ايام [illegible] الشريف عبد المطلب [illegible] الامر
قبل وقوعه وأرسل وطلب الامان له وللشريف يحيى بن سرور ولكل من كان معهم [illegible]
الشريف محمد بن عون وسليم [illegible] أطلق الشريف [illegible] وكل من كان [illegible]
ثم خرج الشريف عبد المطلب والشريف يحيى بن سرور ومن كان معهما الى العرضي [illegible]
الشريف محمد بن عون وسليم [illegible] ثم الصلح [illegible] الشريف عبد
وسليم [illegible] محمد علي باشا [illegible] ثم رجعوا الى الطائف وكان ذلك
في شهر رجب من السنة المذكورة [illegible] الشريف عبد المطلب الى الحرب [illegible]
من الطائف عنده بعض ركائبه وبعض [illegible] معه [illegible] الشريف يحيى بن غالب وبعض
أتباعه [illegible] من باب [illegible] ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] الامام [illegible] لكن
عنده شيء من [illegible] العسكر [illegible] الشريف يحيى بن سرور [illegible]
من أتباعه يقال له [illegible] وأرسله للشريف محمد بن عون وسليم [illegible]
أخبرهما بذلك [illegible] الشريف عبد المطلب
ومن معه فساروا [illegible] ثم [illegible] الشريف يحيى بن غالب [illegible]
عثرت به فرسه وسقط عنها [illegible] ثم دخل الطائف الشريف محمد بن عون
وسليم [illegible] الامن والامان [illegible] ثم رجعوا الى مكة
ومعهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهم [illegible] الشريف محمد بن
عون وسليم [illegible] محمد علي باشا [illegible] شهر شوال من السنة المذكورة [illegible]
[illegible] الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهم [illegible]
[illegible] كان ساكنا [illegible] بمصر [illegible] عبد المطلب [illegible]
الشبيكة [illegible] بعد تمام الطعام [illegible] محمد علي
باشا [illegible] الى مصر [illegible] الامر [illegible] وجههم الى مصر [illegible]

باقي الى الآن يجتمع بعض
الفقراء في الليلة الرابعة
عشرة من كل شهر يذكرون
الله تعالى فيها احياء لتلك
الليلة ومنها موضع بقرب
باب العلوة يقال انه مولد
سيدنا جعفر الصادق بن
ابي طالب يقال ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخله
والله أعلم بحقيقة ذلك
ومنها في زقاق المرفق محل
[illegible] يقال انه كان
[illegible] أبي بكر الصديق
رضي الله عنه ويقال انها
دار [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في سنة ثلاث
[illegible]
[illegible]
الناس [illegible] يقال انه كان
يسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] وقال
[illegible] رحمه الله
تعالى [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه
وسلم [illegible] الذي [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله اني لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم علي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتكأ عليه
فغاص مرفقه الشريف في

الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب والشريف عبد الله بن فهيد والشريف محسن بن يحيى وبعض أولاد الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وأما الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور فكان قد توجه الى بلاد عسير حين كانوا بالطائف ولما وصل الى مصر هؤلاء الجماعة الذين قبض عليهم سليم بيك أكرمهم محمد علي باشا وأحسن نزلهم وأجرى عليهم ما يليق بهم من الطعام وغيره ثم بعد مضي سنة أذن بالرجوع الى مكة للشريف يحيى بن غالب بطلب من أخته الشريفة فقد مزينة عرضت لمحمد علي باشا الترجي عنده في ارجاع أخيها القوم بعيالهم فقبل رجاءها وأذن له بالرجوع وبقي بمكة الى أن توفي سنة اثنتين وخمسين وكذلك أذن للشريف عبد الله بن فهيد ومحمد بن الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وبقي بمصر الشريف يحيى بن سرور وابنه الشريف حسن واستمر الشريف يحيى بن سرور بمصر الى أن توفي سنة أربع وخمسين فرجع الى مكة ابنه الشريف حسن وكذلك ابنه الشريف حسين بن يحيى وكان صغيرا لانه ولد للشريف يحيى وهو بمصر وتوفي بمصر أيضا سعد ومسعود ومسرور ابناء الشريف عبد الله بن سرور وكانوا مع عمهم الشريف يحيى بن سرور وبقي الشريف منصور بن يحيى بن سرور في بلاد عسير الى أن توفي والده بمصر فقدم الى مكة سنة ست وخمسين وأما الشريف عبد المطلب فانه بعد أن توجه من الطائف مع علي الحازمي اجتمع بأخيه الشريف علي بن غالب وتوجها جميعا ومن كان معهما الى بلاد عسير وكان أمير عسير علي بن مجثل فأكرمهما ومن معهما وأحسن نزل الجميع وأقاموا عنده سنتين ثم توجهوا الى الشرق ثم الى بغداد وتنقلوا في بلاد كثيرة الى سنة ست وأربعين ثم صار لهم عزم على التوجه الى الشام ليتوصلوا الى دار السلطنة فترقبوا رجوع الحاج الشامي بعد خروجه من المدينة ورافقوه وكان أمير الحاج الشامي في تلك السنة رؤف باشا فصاروا في صحبته وبعد وصولهم الى الشام توصلوا الى دار السلطنة فأقاموا بها في عز واكرام فلما حصل الاختلاف بين محمد علي باشا ومولانا السلطان محمود سنة سبع وأربعين ثم حصل القتال الذي ملك الشام بعده محمد علي باشا ولي في تلك المدة مولانا السلطان محمود الشريف عبد المطلب امارة مكة ولم يتمكن من ايصاله الى مكة بسبب تلك الفتنة بل كان في كل سنة يبعث الخلعة وفرمان التأييد للشريف محمد بن عون وطالت تلك الفتنة الى أن توفي السلطان محمود سنة خمس وخمسين وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واشترط على محمد علي باشا ارجاع الشام والحجاز لمولانا السلطان فحصلت تلك الشروط فلما صار الحجاز لمولانا السلطان عبد المجيد أبقى مولانا الشريف محمد بن عون على امارة مكة كما كان وصار كل سنة يرسل له الخلعة وفرمان التأييد وولى ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي اعثمان باشا وبقي الشريف عبد المطلب مقيما بدار السلطنة الى سنة سبع وستين وسيأتي اتمام الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ولنرجع الى اتمام الكلام على امارة مولانا الشريف محمد بن عون فان ولايته كما تقدم كانت سنة ثلاث وأربعين فاستقامت له الامور وباشر أحكام العرب والاشراف وغيرهم وانتظمت أحكامه على أتم النظام وأقام في مشيخة السادة العلوية السيد اسحق بن عقيل وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائما منتظما بالعلماء والادباء وطلبة العلم وتجري فيه المذاكرات في كثير من الفنون ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فأجازهم عليها بالجوائز السنية وغزا غزوات بناحية الشرق والحجاز وتربة وبيشة كان له فيها كلها النصر والظفر وكان محافظ مكة أحمد باشا مقاما من محمد علي باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله محمد علي باشا سنة أربع وأربعين وتوجه الى مصر وولي محافظة مكة سليم بيك أمير اللواء الذي كان مجيئه أولا مع العساكر التي جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون فأقام سليم بيك في محافظة مكة نحو شهرين ثم عزله محمد علي باشا وولي عابدين بيك أمير اللواء واستمر الى ان توفي بمكة سنة ست وأربعين بعرض الوباء بالاسهال والقيء وكانت تلك السنة هي أول السنين التي حدث فيها ذلك الوباء بمكة ولم

ذلك الحجر وهو يكلم الحجر الذي أمامه على شماله قال القاضي أبو البقاء بن الضياء في البحر العميق ذكر سعد الدين الاسفرايني في كتاب زبدة الاعمال ان أهل مكة يمشون اذا رأوا الموالد من دار خديجة رضي الله عنها الى مسجد يقولون انه كان أبي بكر الصديق كان يبيع فيه الخز وأسلم فيه على يده عثمان بن عفان رضي الله عنه وطلحة والزبير رضي الله عنهم قال وفي جدار هذا كان أثر من فق رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء دار أبي بكر رضي الله عنه ذات يوم ونادى يا أبا بكر انتهى • قلت الجدار الذي فيه المرفق بعد عن دكان أبي بكر رضي الله عنه الى ناحية القبلة بنحو ذراع ومارأيت في كلام أحد من المؤرخين من حقق شيأ من ذلك والله أعلم بحقيقته • ومن الدور المباركة بمكة دار سيدنا العباس رضي الله عنه بالمسعى عند أحد الميلين الاخضرين وهي الآن رباط سكنه الفقراء • ومنها موضع بلصف جبل قيقعان بلصق دار سيدنا ومولانا قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام القاضي حسين بن أبي بكر الحسيني أطال

بعرفه

يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ما جاء في السنين التي بعد هذه السنة مثل هذه السنة فانه كان شديد الكثرة مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا احصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه في العسكر والجبرت فلم يكترث الناس به ولم يتحرجوا منه ثم انه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيرا من أهل مكة ومن الحاج من كل صنف ولم يزل يتزايد واشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الاموات واشتد أيضا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الاسواق والطرقات من الاموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج مولانا الشريف محمد بن عون بنفسه وركب ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والاسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه من الاكفان وامتلأت القبور من الاموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الاموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولا شديدا واستمر ذلك الوباء الى عشرين من ذي الحجة ثم ارتفع شيأ فشيأ فكان ممن توفي فيه من ذلك الوباء عابدين بك محافظ مكة فولى محمد علي باشا بدله أمير اللواء خورشيد بك ثم صار بعد مدة باشا فكانت ولايته في افتتاح سنة سبع وأربعين ثم في شهر رجب من السنة المذكورة حصل بينه وبين العساكر الخيالة والقرابة من الاتراك فتنة سببها أنهم أغلظوا عليه في طلب جوامكهم ولم يكن عنده ما يقوم بطلبهم فحاصروا خورشيد بك المذكور فخلص ونزل الى جدة ثم سافر الى مصر وأبقى نائبا عنه بمكة اسمعيل بك كبير العساكر النظامية ومعه شريف بك أيضا من كبار عساكر النظامية والفتنة باقية بينهم وبين الاتراك الخيالة والقرابة وكان كبير تلك العساكر تركي بلماز ولهذا صارت هذه الفتنة تعرف بفتنة تركي بلماز وأرسل محمد علي باشا من مصر علي آغا ارزة في تسكين تلك الفتنة والاصلاح بين عساكر الترك والعساكر النظامية فلم يتمكن من ذلك بل ازداد الامر شدة لان عساكر الاتراك استوحشوا من محمد علي باشا فاعتقدوا انهم تلك الفتنة فصاروا يقترحون أشياء زادت بها الفتنة وكذلك سيدنا الشريف محمد بن عون أراد تسكين الفتنة والاصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه فاعتزل الفريقين وطلع الى الهدا بعد ان حج في تلك السنة ومكث الى أن انقضت تلك الفتنة ولم يحضر الحرب الذي وقع بين الفريقين وذلك انه في شهر المحرم من سنة ثمان وأربعين ثار الحرب بمكة بين الفريقين عساكر الاتراك والعساكر النظامية وتغلبت عساكر الاتراك على العساكر النظامية وحصروهم في الباسطية وفي بيت بنت جعفر الذي عند مقبرة مكة واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرجت العساكر النظامية من الباسطية وقاتلوا الاتراك قتالا شديدا الى أن هزموهم هزيمة قبيحة وقتلوا كثيرا منهم فتوجه من بقي من الاتراك الى جدة فدخلت العساكر النظامية الى مكة وأمنوا الناس ولم يقع منهم خلاف على أحد الا أنهم دخلوا خان الترك الذي عند المروة وكسروا دكاكينه وأخذوا ما فيها ثم بعد مضي هذه الفتنة أعطى محمد علي باشا أهل تلك الدكاكين قيمة أموالهم التي أخذتها العساكر النظامية من تلك الدكاكين على حسب ما ادعوه وكان الذي ادعوا به شيأ كثيرا فأعطاهم اياه ثم ان تركي بلماز ومن معه من الاتراك لما انهزموا ونزلوا الى جدة أخذوا كثيرا من أموال الميري وكان بمرسى جدة مراكب لمحمد علي باشا فأطلعوا الاموال التي أخذوها في المراكب المذكورة وركبوا فيها وساروا الى اليمن وملكوا الحديدة والمخا بالتغلب ثم خافوا أن يجهز عليهم محمد علي باشا فتركوا اليمن وتفرقوا في كل ناحية والكلام على هذه الفتنة طويل ولكن هذا حاصلها ثم ان محمد علي باشا ولى أحمد باشا الحازي محافظة مكة كما كان فيها سابقا بقا في وسط سنة ثمان وأربعين وفي سنة تسع وأربعين ولد لسيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف علي وفي سنة تسع وأربعين أيضا صدر الامر من محمد علي باشا بالتجهيز لحرب عسير وكان

الله بقاه وأدام علاه يقال له مسجد الجنيد أيضا المشار اليه ما تقدم قال سعد الدين الاسفرايني انه مسجد الجنيد ومسجد ابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما

* ومن الجبال المأثورة بمكة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة ممنوعا وكانت الجاهلية تعظمه أيضا وتذكره في أشعارها في ذلك قول أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق لبر في حراء ونازل

ويقال له جبل النور لانه أيضا ظهور أنوار النبوة والكثرة اقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده ونزول الوحي عليه فيه وذلك في غار أعلاه مشهور يجتمع فيه أيام المطر ماء عذب سائغ قال السهيلي في الروض الانف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهموا بقتله كان على جبل ثبير فناداه وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني أخاف أن تقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله فناداه حراء الي يا رسول الله قال القاضي أبو البقاء ابن الضياء في البحر العميق ان النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ من المشركين في غار ثور فيحتمل ان يكون الذي

قد توفي أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مغيد وتولى بعده أميرا عليهم عائض بن مرعي وكان أيضا
من بني مغيد واستقل بالحكم وتقوى وتغلب على بعض الممالك التي كانت تحت طوع الدولة مثل
بني شهر وبني شفرة وبلاد غامد وزهران فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة ليتوجه بها مولانا الشريف
محمد بن عون ويستخلص تلك الممالك فتوجه بالعساكر وبقي أحمد باشا بمكة مقيما بإرسال الذخائر
والخزائن ووقع بينه وبينهم وقائع واستخلص تلك المواضع التي تغلبوا عليها وأرجعها إلى حكم الدولة
أي بلاد غامد وزهران وبيشة وبني شهر تحت طوعه وتقدم إلى بلاد عسير ليخلصها منهم
ويرجعها كما كانت تحت محمد علي باشا إلى الحجاز فحصل من أحمد باشا التقصير في إرسال الذخائر
والخزائن وما يحتاجون إليه فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير فوقع
الفشل في الجيوش وأدى ذلك إلى انهزام تلك العساكر فرجع الشريف محمد بن عون إلى مكة
وكان ذلك العسكر كان ذلك سنة ثلاث وخمسين وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه ونسب
التقصير إلى سيدنا الشريف محمد بن عون فطلبهما محمد علي باشا حضورهما إلى مصر ليتحقق كيف ذلك
فتوجها إلى مصر سنة أربع وخمسين وأبقى الشريف محمد بن عون وكيلا عنه بمكة الشريف مبارك
ابن عبد الله ... وأبقى أحمد باشا وكيلا عنه أمير اللواء ... فلما وصلا إلى مصر
تحقق عند محمد علي باشا أن التقصير إنما كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا الشريف
محمد شيء من التقصير فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع إلى مكة فوسط أحمد باشا
... محمد علي باشا ... الأمر على أنه هو الذي يرجع إلى مكة ويبقى مولانا
الشريف محمد بمصر وتعهد أحمد باشا أنه يستولي على عسير بالعساكر في ثلاثة أشهر فحضر مولانا
الشريف محمد عند محمد علي باشا وأخبره أن أحمد باشا يطلب الرجوع إلى مكة وأنه يتعهد بأنه يستولي
على عسير في ثلاثة أشهر فقال له الشريف محمد لا يقدر على ذلك ولا في ثلاث سنين فقال محمد علي
باشا ... فقال مولانا الشريف محمد لا بأس
... مولانا الشريف محمد بمصر ورجع أحمد باشا وكان معتمدا على بعض الأشراف مثل
الشريف منصور بن ... وكان ... أحمد باشا وكان يتعهد له بحصول هذا
الأمر وكان ... إمارته ... زهران ... إلى إمارته وكان أحمد باشا
... سلطان بن عبد الله العسيري المذكور كان أميرا على قبيلة من قبائل عسير فقال
لهم ... عسير ... فقتله ... إلى مكة ملتجئا قبل
هذه الوقائع ... أحمد باشا ... محمد علي باشا ... حتى اتفق
بمكة ... أحمد باشا ... مولانا الشريف محمد ظاهرا ... في الباطن مع أحمد باشا فكان
... وإنما ... مع أحمد باشا بالعساكر إلى بلاد عسير فلما
رجع أحمد باشا من مصر ... العساكر إلى الحجاز بلاد غامد وزهران
ومعه الشريف منصور بن ... وسلطان بن عبد الله العسيري فوقع بينه وبين عسير
وقائع ... أحمد باشا ... وذلك في سنة ثلاث وخمسين ... وقعة ... واستخلص
منهم بلاد غامد وزهران ثم رجع بعد ذلك ... ولما حصلت له هذه النصرة أرسل البشائر إلى
مكة وضربت المدافع ... بمكة ... ثلاثة أيام وأرسلوا إلى مصر لمحمد علي باشا
... هذه النصرة ... إلى بلاد بني شهر ولا إلى بلاد عسير بل
في سنة أربع وخمسين رجع العسيري إلى بلاد غامد وزهران واسترجعها والحاصل أن الأمر استقر
... سنة ست وخمسين ومولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده
الشريف عبد الله ... عزوا ... الشريف محمد بمصر ولده الشريف حسين في

اواخر

صلى الله عليه وسلم اختفيا
عن المشركين في حراء في
وقت ثم اختفى منهم في غار
ثور وقت الهجرة فلم
يقل وقوع ذلك له صلى
الله عليه وسلم مرتين
وليس في حديث السهيلي
ان حراء لما نادى النبي
صلى الله عليه وسلم إلى أن
اختفيا من المشركين
خصوصا فقال السهيلي
لم أنقل هذا الحديث في
الهجرة قال وأحسب
الحديث ان ثورا ناداه لما
قال له اهبط عني
(ومن فضائل المبارك
المأثور جبل ثور) هو
جبل أكبر من حراء وأبعد
منه بالنسبة إلى مكة سمي
بثور بن عبد مناة لسكناه به
... أن النبي صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر الصديق
رضي الله عنه اختفيا فيه عن
المشركين لما قصدوه
بالقتل ... الله تعالى
منهم ... قال صاحب الدر
المنثور ... أن أبا بكر
رضي الله عنه لما خرج مع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم توجها إلى الغار جعل
طورا يمشي أمامه وطورا
عن خلفه وطورا عن
يمينه وطورا عن شماله
فقال صلى الله عليه وسلم
ما هذا يا أبا بكر فقال
يا رسول الله [illegible]
أذكر الرصد فأحب أن
أكون أمامك وأتخوف
الطلب فأحب أن أكون

آن أخر سنة أربع وخمسين وأرسله الى مكة ليكون عند الفراضي فوصل الى مكة في المحرم سنة خمس وخمسين فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين مولانا السلطان عبد المجيد ومحمد علي باشا كان من جملة شروط الصلح ان يترك محمد علي باشا الحجاز والشام ويفوض أمرهما لمولانا السلطان ويبقى له ولاولاده مملكة مصر وأعمالها فاذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بن عون برجوعه الى مكة في امارته كما كان وان يجهز له عساكره التي بالحجاز ويرسلها الى مصر لانه كان له عساكر كثيرة بالحجاز والعربية أعني بلاد حرب وخشي انه اذا انحاز الى حكومة من الحجاز تحصل انقطاع بالحجاز فيقع ضرر على عساكره ورأى انه لا يحصل التمكن والامن في الحجاز وتسهيل ارسال العساكر الا بمولانا الشريف محمد بن عون وكانت العساكر التي في حرب [illegible] وكان [illegible] العساكر في الحجاز [illegible] وكان [illegible] والحيوف من قبائل حرب أشد المشاقة [illegible] وقطع كثيرا من خيامهم [illegible] في رؤس الجبال [illegible] الطرق وحصل لاهل المدينة ضيق شديد وانقطعت عنهم [illegible] الغلاء [illegible] الاردب القمح ثلاثين ريالا فاقتضى رأي محمد علي باشا أن يكون توجه مولانا الشريف محمد أولا الى بلاد حرب لازالة هذه المشاكل ولارسال عساكره التي هناك فتوجه من مصر في سنة ست وخمسين فلما وصل الى موضع العساكر [illegible] من وصوله [illegible] قبائل حرب [illegible] في الجبال [illegible] الامان [illegible] الطائفة [illegible] الامان [illegible] الفقرة [illegible] الفقرة [illegible] الفقرة [illegible] يطلبون منه الامان فأمنهم [illegible] من الفقرة وأرسل [illegible] الى مصر بغاية الامن والراحة ثم توجه الى المدينة [illegible] الطرق وارتفعت الاسعار [illegible] المدينة [illegible] الحرم النبوي [illegible] على الحرم [illegible] مولانا الشريف محمد [illegible] المدينة [illegible] اهل مكة في سنة [illegible] وأربعين [illegible] أهل المدينة [illegible] بقوله وأنا ابن عون [illegible] أن [illegible] انه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل الى مكة وطلب [illegible] الله تعالى من المرض [illegible] الى مكة في [illegible] وخمسين وفي آخر شهر ذي الحجة من السنة المذكورة كانت ولادة [illegible] الشريف عون الرفيق كانت أمه حاملا به وهم في المدينة فهو [illegible] ومكي [illegible] بالشامية [illegible] الشريف محمد بن عون [illegible] وكان في مدة مكثه في المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله الى مكة وكان [illegible] على التوجه الى بلاد حرب فلم يتوجه معه ابنه المذكور الى بلاد حرب بل قدم الى مكة [illegible] وكان عمره [illegible] عشر [illegible] عن أبيه أتم القيام [illegible] بعد قدومه [illegible] العساكر المصرية التي بالحجاز وأرسلت الى مصر في غاية الامن والاطمئنان وتوجه أحمد باشا [illegible] الى مصر ثم وجهت الدولة [illegible] مشيخة الحرم المكي لعثمان باشا الذي كان [illegible] الحرم النبوي ووجهت مشيخة الحرم النبوي [illegible] الذي كان [illegible] المدينة [illegible]

خافية [illegible] الطريق [illegible] الاثقال [illegible] [illegible] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] القدم [illegible] الارض [illegible] وكان [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله أبو بكر رضي الله عنه [illegible] انتهى به الى الغار [illegible] أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار فقال أبو بكر [illegible] لا تدخل حتى أدخل [illegible] أبو بكر رضي الله عنه [illegible] الغار [illegible] يكون فيه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار [illegible] الاحجار أي أبو بكر رضي الله عنه [illegible] الغار [illegible] شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار [illegible] وحمامتين وحشيتين [illegible] وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة [illegible] الاثر حتى انتهى الى الغار

وقدم عثمان باشا مكة أيضا سنة ست وخمسين ثم أقام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا الشريف محمد بن عون قائمقامه فصار قائمقام الامارة أولا بة جامعا بينهما ولما رجع سيدنا الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى في المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائمقامه واستمر الامر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا بغاية الاتفاق والمحبة الى سنة ستين فوقع بينهما الاختلاف كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولما توجهت العساكر المصرية الى مصر كان لمحمد على باشا بالحجاز كثير من الذخائر والمهمات والآلات فقومت جميعها بالقيمة واستقلتها الدولة لتخصم من الخراج المقرر على محمد على باشا في مقابلة ولايته مصر وكانت تلك الذخائر والمهمات شيء لا يمكن حصره ولا ضبطه من جملة ذلك انه وجد له من صنف العدس بمكة وحدها ثلاثة وعشرون ألف اردب وقس على ذلك بقية الاشياء وتقدم ان محمد على باشا لما كان بالحجاز رتب معاشات ومرتبات لكثير من الاشراف وغيرهم فاستمر عثمان باشا ذلك كله وعرف به الدولة فأجازته وأمرت ببقائه وسيره في دوائرها وكذلك تقدم ان محمد على باشا جدد وأرفع الجراية المرتبة لاهالي مكة ورتبها على ترتيب غير الذي كانت عليه لانه وجدها بأيدي التجار والاغنياء مانقرأ عات وليس بأيدي الفقراء منها شيء فأبطل تلك الدفاتر ورتبها على ما هي عليه الآن فلما وصل عثمان باشا وصار الحجاز للدولة أبقى دفاتر الجراية على الترتيب الذي رتبه محمد على باشا وينبغي ان نذكر هنا تجهيز محمد على باشا على الدرعية والرياض لقتال فيصل بن تركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز آل سعود فيكون عبد الله والد تركي ابن عم سعود كما تقدم وقد تقدم أيضا ان فيصل بن تركي ملك نجدا بعد أبيه ثم قوي واستفحل ملكه ورجع الى اظهار الدعوى التي كان عليها اسلافه فلما بلغت الاخبار محمد على باشا أمر بتجهيز العساكر لقتاله وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذي كان محافظ مكة سنة سبع وأربعين ووقعت المقتلة بينه وبين تركي بلمار كما تقدم بيان ذلك فجهز خورشيد باشا بالعساكر الكثيرة فسار الى نجد وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين فلما وصل الى نجد وقع بينه وبين فيصل بن تركي وقائع حصل فيها قتال شديد يطول الكلام بذكره واستمر الامر بينهما الى ان قبض على فيصل واستولى على الدرعية والرياض وغيرهما وأرسل فيصل الى مصر لمحمد على باشا سنة أربع وخمسين وكان صحبة خورشيد باشا خالد بيك ابن سعود وكان خالد من الاسرى الذين قبض عليهم ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم الى مصر فكبر خالد بن سعود وتربى بمصر فاستحسن محمد على باشا ان يجعله أميرا في نجد بلاد آبائه فأرسله صحبة خورشيد باشا ورتب له المرتبات الجزيلة فلما قبض خورشيد باشا على فيصل بن تركي وأرسله الى مصر أقام خالد بن سعود أميرا في الرياض ومهد له الامور الى ان استقر أمره ورجع خورشيد باشا بالعساكر فاستمر خالد بن سعود سنتين ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التي يرتضيها أهل نجد فثار عليه رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل انه ليس من آل سعود أهل الامارة وقيل انه منهم فتغلب وبايعه الناس وأراد الفتك بخالد بن سعود فهرب خالد وجاء الى مكة هاربا وكان يتردد بين مكة وجدة الى ان توفي وكان له معاش جزيل مرتب من محمد على باشا وصار أمير نجد لعبد الله بن ثنيان فلما بلغ الخبر فيصل ابن تركي الذي أرسله خورشيد باشا الى مصر محبوسا صار فيصل يدبر الامر في هربه من مصر ليصل الى نجد وينتزع الملك من عبد الله بن ثنيان فسهل الله له ذلك باعانة عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا وكان الامر في ذلك الوقت لمحمد على باشا ولابنه ابراهيم وليس لعباس باشا شيء من الامر الا انه كان محببا عند جده محمد على باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته وكان يجتمع كثيرا بفيصل بن تركي وهو محبوس فقال له فيصل يوما ان نجدا صارت بيد عبد الله بن ثنيان فلو أتخلص من الحبس وأصل الى نجد انتزع الملك منه ان شاء الله تعالى وأصير خادما لافندينا تحت أمره فوعده

فقال لهم الى هنا انتهى أثره فما ادري بعد ذلك أصعد السماء أم غاص في الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال لهم أمية بن خلف ما أربكم في الغار وان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله في الغار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جنود الله تعالى والراهب قصرة انها زهرة دقاق يغشى بعضها بعضا والنبات وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ذكره السهيلي وفي الصحيحين والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدمه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى وكان خوف الصديق رضي الله عنه على رسول صلى الله عليه وسلم لا على نفسه فانه قال يا رسول الله ان قتلت فأنا رجل واحد من أمتك وان أصبت أنت هلكت الامة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسكن روعه ويقوي جأشه ويقول له لا تحزن ان الله معنا فرجع المشركون خزايا وعصم الله تعالى نبيه

عباس باشا بأنه يدبر هذا الامر له وأمره بكتمانه ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال في اخراجه من القلعة المحروس فيها وأعطاه أمر البواب سرا فخرج في ليلة ووصل الى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى نجد وبعد يومين بلغ خبر هروبه ابراهيم باشا فأركب كثيرا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا ولم يزل فيصل سائرا هو ومن معه الى ان وصلوا جبل شمر وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم فصار الجميع جيشا فقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو في الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقا في الحبس وكان ذلك سنة ثمان وخمسين واستقل فيصل بالملك واستقامت له الامور واستمر الى ان توفي سنة اثنتين وثمانين وأصابه في آخر عمره غشاوة في عينيه فصار لا يبصر فكان يوقف عنده بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل ان يصل اليه ولما توفي فيصل قام بالامر بعده ابنه عبد الله ثم وقع بينه وبين اخوته اختلاف فانتزعوا الامر منه وقام به أخوه سعود بن فيصل ثم مات ورجع الامر الى عبد الله وهو باق الى الآن أعني سنة ألف وثلثمائة الا ان ملكه صار ضعيفا جدا لان الدولة العلية انتزعت منه الحساء والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وصاروا تحت أمر الدولة وكذلك ابن رشيد أمير جبل شمر قوي ملكه وخرج عن طاعة عبد الله بن فيصل وصار تحت طاعة الدولة ويدفع لهم خراجا وكذلك أهل القصيم يدفعون للدولة خراجا وأميرهم منهم ولم يبق تحت طاعة عبد الله بن فيصل سوى القبائل القريبة منه ولنرجع الى اتمام مدة امارة سيدنا الشريف محمد بن عون وقد تقدم انه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والالفة الى سنة ستين ثم حصل بينهما التنافر والاختلاف سببه ان عثمان باشا أغراه بعض الناس على بعض الامراء من الاشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سليم وقالوا له انهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة الا النزر اليسير فتهدد عثمان باشا بعض الامراء الذين قيل فيهم ذلك فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمد اغتضب لذلك وحصل بينه وبين عثمان باشا التنافر ونزل عثمان باشا الى جدة وأقام بها وتوجه مولانا الشريف محمد الى الطائف ثم الى المبعوث وأقام به وصار كل منهما ينتظر الجواب من دار السلطنة لان كلا منهما أنهى الى الدولة الشكاية وفي تلك المدة كثر القيل والقال وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلقون كثيرا من الاكاذيب وأمر عثمان باشا كرد عثمان كبير العساكر الخيالة ان يتوجه بالعساكر الى المبعوث ويكون في مقابلة سيدنا الشريف محمد وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليه فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أذن لهم بالنزول في مقابلته وكان كرد عثمان يأتي اليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه وأرسل عثمان باشا الى الدولة يطلب منهم ارسال الشريف علي بن غالب الى مكة وأظهر ان القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أموالهم فأذنت الدولة للشريف علي بن غالب بالتوجه وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرف محمد علي باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا وكان محمد علي باشا يحب الشريف محمدا لكونه السبب في أصل ولايته امارة مكة فصار محمد علي باشا مجتهدا في نصرته وكانت مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها فلما توجه الشريف علي بن غالب من دار السلطنة وجاءت الاخبار الى مكة بتوجهه كثرت الاراجيف بمكة وشاع بين الناس انه اذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتي بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميرا على مكة وكثرت هذه الاشاعات ولما وصل الشريف علي بن غالب الى مصر أكرمه محمد علي باشا غاية الاكرام

وصاحبه منهم وقد ثبت في صحيح البخاري انهما مكثا في الغار ثلاثا وعن طلحة البصري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثت أنا وأبو بكر رضي الله عنه بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا البرير قال أبو داود البرير الاراك وفي حديث الهجرة ان أبا بكر رضي الله عنه أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله المشركون فيهما نهاره ثم يأتيهما ليلا بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما في الغار اذا أمسى وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه تأتيهما ليلا بما تصلحه لهما من الطعام وكان عبد الله بن أبي بكر يكون نهاره في قريش يسمع ما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتيهما اذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر ابن فهيرة يرعى غنمه في رعيان مكة فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا لهما فاذا راح عبد الله بن أبي بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم فقفا حتى يعمي أثره على الكفار حتى اذا مضت الثلاثة وسكت عنهما الناس أتاهما صاحبهما

واحتفل به غاية الاحتفال وكان ذلك سنة احدى وستين ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفي وانتقل الى رحمة الله تعالى بعمر فقيل انه مرض وقيل مات مسموما والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان محمد على باشا عرف الدولة العلية بما هو حاصل من عثمان باشا من المضاررة للشريف محمد بن عون وطلب منهم ان يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة ويرجعوه الى مشيخة حرم المدينة وان شريف باشا الذي في المدينة يكون واليا على جدة وشيخ الحرم المكي فاجيب محمد على باشا الى ذلك وصدر الامر من الدولة بذلك فلما جاءت الاخبار لعثمان باشا بما صدر به الامر اغتم ومات من ليلته وقيل انه سم نفسه وكان ذلك أيضا سنة احدى وستين ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الامر له من الدولة العلية ووقع بينه وبين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والالفة واستقامت الاحوال على أتم النظام وفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون الى نجد بأمر من الدولة العلية لاخماد فيصل بن تركي أمير الرياض لانه بلغ الدولة انه استفحل ملكه ويخشى من تطاوله كما كان من أسلافه فصدر الامر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله واخماده وان يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره فأخذ العساكر وتوجه بنفسه وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائرا بالعساكر والقبائل تطيعه وسار معه ابن رشيد أمير جبل شمر بكثير من القبائل فلما وصلوا الى القصيم نزلوا به فقابلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي دخله غاية الرعب وأرسل لاهل القصيم وطلب منهم ان يجتهدوا له في عقد صلح ويضعوا عليه خراجا فاجتهدوا مع مولانا الشريف محمد في الصلح الى ان رضي ووضعوا على فيصل بن تركي خراجا لكل سنة عشرة آلاف ريال فرضي بذلك فيصل وتم الصلح ورجع مولانا الشريف محمد بالعساكر في سنة ثلاث وكان رجوعه من الشرق الى الطائف واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة الى ان توفي فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج وتقدم ان وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين وفي سنة أربع وستين تخلى محمد على باشا عن ملك مصر لمرض أصابه فقام ولده ابراهيم باشا ومكث نحو احد عشر شهرا وتوفي في ذي الحجة من السنة المذكورة فاقيم في ولاية مصر عباس باشا بن طوسون باشا ابن محمد على باشا وفي رمضان سنة خمس وستين توفي محمد على باشا وعمره تسع وسبعون وفي سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله بن مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا مير ميران بنيشان ولاخيه الشريف على رتبة باشا أمير الامراء بنيشان ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف الحسين ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لاخيه الشريف عون الرفيق ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف عبد الله ثم بعد مدة ترقى الجميع الى ان أعطوا رتبة الوزارة وفي سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا وفي هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر الى بيشة لاخماد عسير لانهم تطاولوا واستولوا على بيشة وبني شهر فسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع الى حكم الدولة وعقد صلحا مع عسير على أنهم لا يتجاوزون بلادهم وفي هذه السنة أيضا توجه سيدنا الشريف محمد بن عون الى الحديدة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا الى بيشة مع الشريف عبد الله وكان توجه مولانا الشريف محمد الى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا وزبيد وبيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن على بن حيدر لانه كان تغلب عليها وملكها فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد بلا قتال ووعده بان الدولة ترتب له معاشا في مقابلة ذلك ووفى له بذلك ثم بعد تملكه تلك البنادر رتبها وجعل فيها أمراء وجعل الشريف عبد الله بن شرف في المخا وكان قد أعطى رتبة باشا ومكث هناك أميرا الى ان توفي بعد سنة وأما سيدنا الشريف محمد فانه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر الى صنعاء ومعها امعاونه توفيق باشا والسيد اسحق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء

الذي استأجراه ليريهما الطريق وأتتهما أسماء رضي الله عنها بسفرتها وارتحلا وبقية أخبار هجرتهما في السير فليراجعها من أرادها

• ورحم الله الابوصيري حيث قال في بردته

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الاطم

قال المرجاني في بهجة النفوس ذكر لي ان رجلا كان له أموال وبنون وانه أصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله فقال روي انه من دخل غار ثور الذي آوى اليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شئ من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما أجد حزنا

• وقال المرجاني رحمه الله تعالى هذه الخاصية من

أئمة صنعا فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها اماما محمد بن يحيى ثم بعد أيام ثار عليه أهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقا باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين وأما الحديدة وبقية البنادر فبقيت على ما رتبها عليه سيدنا الشريف محمد بن عون ورجع من سنته وكان رجوعا بنه الشريف عبد الله من بيشة قبل رجوعه وفي مدة غيبتهما كانت أكثر الاحكام تصرف حسيب باشا ورتب مجلسا من العلماء والمفاتي الاربعة في كل أسبوع وصار يصنع لهم طعاما من أفخر الاطعمة المأكولة في كل أسبوع وأظهر في أول الامر انه يريد التحقيق في الاحكام الشرعية واجراءها على طبق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك وقال له مفتي مكة السيد عبد الله المرغني لا يسوغ لك ذلك بحال فعزله وقلد منصب الافتاء للسيد محمد الكتبي الحنفي الازهري وظن أنه يوافقه على مراده فصار السيد محمد الكتبي متحيرا في هذا الامر وانعقدت لذلك مجالس كثيرة في كل أسبوع فأراد حسيب باشا فتح دعوى على السيد عبد الله بن عقيل أخي السيد اسحق شيخ السادة لينتزع منه دارا بناها السيد عبد الله المذكور بالقرب من الصفا وأصلها من الاوقاف السلطانية فلما تحقق السيد عبد الله بن عقيل انه يريد فتح الدعوى عليه ركب بالليل على ركائب وتوجه من طريق البر الى مصر ثم منها الى دار السلطنة وكتب أهل مكة محضرا خفية عن حسيب باشا وبعثوا به الى السيد عبد الله بن عقيل ليقدمه الى مولانا السلطان وفيه جملة من أختام أعيان أهل مكة من العلماء والاشراف والسادة وغيرهم مضمونه الشكاية من حسيب باشا وانه يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي أهلها الواضعين أيديهم عليها بالفراغات الشرعية فقدمه السيد عبد الله بن عقيل لمولانا السلطان وانعقد لذلك مجالس في دار السلطنة ثم برز الامر من السلطنة السنية بمنع حسيب باشا عن التعرض للاوقاف السلطانية وابقائها على ما كان وتحرر لذلك فرمان سلطاني بطرة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وجاء به السيد بن عقيل وكان حسيب باشا بعد ان تحقق توجه السيد عبد الله بن عقيل الى دار السلطنة أمسك عن فتح الدعاوي في الاوقاف السلطانية ينتظر ماذا يكون بعد وصول السيد عبد الله بن عقيل فلما جاء السيد عبد الله بن عقيل بالفرمان المذكور بطل كل ما أراده حسيب باشا واطمأن الناس وكان الفرمان المذكور بالعربي والخطاب فيه لامير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون فقرئ الفرمان بحضوره وحضور حسيب باشا وجمع من وجوه الناس وامتثل ذلك حسيب باشا ورجع عما كان في عزمه وبقي هذا الفرمان محفوظا عند السيد عبد الله المرغني بعد ان سجل ومعل قاضي مكة ثم جاء الامر من شيخ الاسلام عارف عصمت بيك لحسيب باشا بارجاع منصب الفتوى للسيد عبد الله المرغني ففعل ذلك ثم جاء بعد ذلك العزل لحسيب باشا في شوال سنة ست وستين وكان ابتداء ولايته في آخر سنة أربع وستين ووصل الى مكة في المحرم سنة خمس وستين فكانت مدة ولايته بمكة سنة وتسعة أشهر وولي بعده عبد العزيز باشا الملقب آقه باشا واشتهر بلقبه فوصل الى مكة في شوال سنة ست وستين وتوجه حسيب باشا الى المدينة للزيارة ثم منها الى دار السلطنة وكان معه شريف باشا الا انه لما عزل حسيب باشا لم يتوجه الى دار السلطنة بل بقي بمكة مصطحبا مع حسيب باشا الى أن توجها معا بعد عزل حسيب باشا ومجيء آقه باشا لمكة وفي سنة سبع وستين نزل الشريف عبد الله باشا الى جدة ومعه أخوه الشريف علي باشا لقضاء بعض أشغال لهما فصار بينهما وما بين آقه باشا وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة فبرز لهما أمر اسلامبول من الصدر الاعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد ابن عون الى دار السلطنة فامتثلا الامر وطلعا الى المراكب وكتب آقه باشا الى والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون يخبره بذلك الامر فامتثل الامر ونزل الى جدة وركب مع ولديه في المركب

تأثير قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى • وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذي يروى ان جبريل عليه السلام ضربه بجناحه ففتحه وقال أن يدخل اليه أحد من بابه الضيق لان الدخول عسر ويحتاج الى فطنة والمشهور عند العوام أن من حبس فيه لا يكون ابن أبيه وذلك كلام باطل لا أصل له وقد حبس فيه قديما وحديثا كثير من الناس وأخذناهم مجاورون من مكة وقطعوا عنه وتكرر ذلك كثيرا في كل عصر ومع ذلك لم يتسع كثيرا بل يتعوق الناس فيه للجهل بكيفية الدخول خصوصا اذا كان جسما بطينا • وطريق الدخول فيه ان الداخل اليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفيه ثم يميل الى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه ويسلك مائلا الى اليسار وأما من لا يعرف طريق الدخول فيدخل رأسه وكتفيه مستمرا انطلاقا جسده فتصادمه صخرة أمامه تعوقه فيرفع رأسه الى فوق ويحتبس بوسطه فلا يمكنه الولوج لعنقه وكلما اشتد في الدخول

وتوجهوا الى دار السلطنة ومعهم بعض العسكر من طرف آقه باشا وأقام آقه باشا في مكة الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور قائمقام أمير مكة وشاع بين الناس ان الدولة تريد توجيه الامارة لسيدنا الشريف عبد المطلب وحسن السيد اسحق لآقه باشا انه يطلب توجيه الامارة للشريف منصور بن يحيى فكتب في ذلك وأصحبه محضرا من الاشراف وغيرهم من أعيان الناس مضمونه طلب الامارة للشريف منصور فلم يصادف ذلك عند الدولة العلية قبولا بل وجهت الامارة لمولانا الشريف عبد المطلب في شهر رمضان ووصل الى مكة في ذي القعدة من السنة المذكورة ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده الى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والاكرام وانزلوا في المنزل اللائق بهم وأجرى عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة اقامتهم وولد الشريف عبد الله بمكة وهو في دار السلطنة مولود ترك في بطن أمه سموه شرفا كانت ولادته في آخر سنة سبع وستين وولد لاخيه الشريف علي بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين وفي شهر المحرم من سنة ثمان وستين توجه سيدنا الشريف عبد المطلب لاصلاح قبائل حرب وابناء قلاع في الحريبة وقابلته قبائل حرب بالطاعة ومكنوه من بناء القلاع فبناها وأقام بها عسكرا ثم توجه الى المدينة وأقام بها مدة ورجع الى مكة في آخر السنة المذكورة وقد وقع بينه وبين آقه باشا اختلاف وتنافروا ادعى على آقه باشا انه ضاره مدة اقامته في الحريبة في ارسال الذخائر والخزائن والمهمات وانعقد بينهما مجلس في شهر الحج في دار أمير الحاج الشامي الذي جاء في ذلك العام وهو أحمد عزت باشا الارزنجاني فأعان الشريف عبد المطلب وأثبتوا الخطأ على آقه باشا فأرسل مولانا الشريف عبد المطلب للصدر الاعظم رشيد باشا يطلب عزل آقه باشا وتوجيه ولاية جدة لاحمد عزت باشا الارزنجاني فأجيب الى ذلك لانه كان بين الشريف عبد المطلب ورشيد باشا صداقة فلما رجع أحمد عزت باشا بالحج الى الشام وجهت له ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وعزل آقه باشا فجاء أحمد عزت باشا المذكور الى مكة صحبة الحج الشامي في شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومائتين وألف وأحمد عزت باشا هذا هو الذي بنى البيت الذي بالزاهر بالقرب من شهداء فخ في مدة ولايته هذه وفي سنة سبعين توفي عباس باشا صاحب مصر وأقيم في ولاية مصر سعيد باشا ابن محمد علي باشا وفي سنة سبعين كان الشروع في عمارة المسجد النبوي عمره السلطان عبد المجيد عمارة عجيبة لم ير الراؤن أحسن منها واستغرق تعميره نحو أربع سنين والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان قايتباي سلطان مصر ثم ان أحمد عزت باشا المتولي ولاية جدة لما وصل الى مكة حصل بينه وبين الشريف عبد المطلب اختلاف ومنافرة بعد وصوله بأيام قلائل حتى صار الناس يتعجبون من سرعة وقوع الاختلاف بينهما ثم طلع كل منهما الى الطائف مع وجود تلك المنافرة فاتفق ان عزت باشا المذكور طلع يوما الى الوهط لزيارة عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما على ما زعمه كثير من الناس والصحيح ان عكرمة مدفون بالشام فلما رجع عزت باشا من الوهط قرب المغرب صار عليه رمي بالبنادق من الجبال القريبة من المثنى فقيل ان بعض الرصاص أصاب طربوشه وسلمه الله منها فوقع في ظنه ان وقوع هذا الامر انما كان باغراء الشريف عبد المطلب فاستحكمت العداوة بينهما فنزل الى مكة ولم ينزل الشريف عبد المطلب في تلك السنة من الطائف وكتب كل منهما الى الدولة العلية يشكو من صاحبه بشكايات فعزلت الدولة أحمد عزت باشا وولوا كامل باشا فوصل الى مكة سنة سبعين في شهر رجب فنزل الشريف عبد المطلب من الطائف قبل قدومه وقابله وأضافه وصار بينهما محبة وألفة وكان بينهما محبة سابقة حين كان الشريف عبد المطلب في دار السلطنة ثم بعد أيام صنع كامل باشا تعليما للعساكر النظامية بالابطح وحضر هو والشريف عبد المطلب وغيرهما ممن يعتاد حضورهم وفي أثناء حصول ذلك التعليم جاء شخص للشريف عبد المطلب وأخبره

تمرق وانحبس فيحتاج الى حجار يقطع قليلا يخلصه ولا يتفطن للمسيل الى جهة ليخلص بسهولة ولكن الخرق قد اتسع كثيرا الآن ٭ ومن الجبال المباركة في الحرم جبل ثبير وهو على يسار الذاهب الى عرفات في منى وهو الذي أهبط عليه الكبش الذي فدى به سيدنا اسمعيل عليه السلام قال مجد الدين الفيروزابادي في كتابه الوصل والمنى في فضل منى ان أبا بكر النقاش المفسر قال في مناسكه ان الدعاء يستجاب في ثبير الاثبرا الذي يطلب منه مغارة الفتح لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة وذكر ان بقرب المغارة التي أشأها بطلب ثبير تعتكف عائشة رضي الله عنها ٭ وقال التقي الفاسي ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة انتهى ٭ قلت هذه الصخرة غير معروفة الآن ٭ قال رحمه الله تعالى حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية الازدي عن معاوية بن قرة عن الخلد بن أيوب عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى

بانهم يريدون القبض عليه في هذا اليوم فقام كانه يريد قضاء حاجة وخرج من المجلس وغاب طويلا ثم جاء الخبر لكامل باشا انه ركب وتوجه الى الطائف فتفرق الجمع الذين كانوا مجتمعين لحضور التعليم وكان تفرقهم بعد تمام التعليم على ما هو المعتاد ولم يعلم أحد بحقيقة الحال الا بعد مدة وبقي الشريف عبد المطلب بالطائف واستحكمت العداوة بينهما أكثر مما كانت مع عزت باشا وآقه باشا وكان الشريف عبد المطلب يتهم السيد اسحق لانه هو الذي يلقي العداوة بينه وبين الولاة لان السيد اسحق كان من أكبر المحبين للشريف محمد بن عون فلما تولى الشريف عبد المطلب نزل الى جدة واستقبله عند قدومه ومدحه بقصيدة وصار يصاحبه ويظهر له الصداقة فلم يأمنه الشريف عبد المطلب لكونه يراه مصطحبا مع الولاة فان آقه باشا كان مقربا للسيد اسحق يستشيره في كثير من مهمات الامور ثم صار بعده عزت باشا كذلك ثم كامل باشا كذلك وكانت تأتيهم مكاتيب من الصدارة ومن شيخ الاسلام بالتوصية على السيد اسحق وكان استخراج تلك المكاتيب من الصدارة ومشيخة الاسلام بواسطة الشريف محمد بن عون وابنه الشريف عبد الله فلما رأى الشريف عبد المطلب شدة اتصال السيد اسحق بالولاة ورأى محبتهم له لم يأمنه وصار يظهر له الكراهة واذا حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات وكان قد عزله من مشيخة السادة سنة تسع وستين بعد عزل آقه باشا وتولية عزت باشا وأقام في مشيخة السادة أخاه السيد عبد الله بن عقيل وبعد عزله زاد اتصاله بالولاة وزاد تقربه بهم ومحبتهم اياه لاسيما والمكاتيب من دار السلطنة تتوالى بتكرارها عليهم فاستحكمت العداوة بين السيد اسحق والشريف عبد المطلب وزاد على ذلك ان الناس الذين يسعون بالفساد صاروا يوشون بينهما وينقلون أشياء تتوغر منها الصدور ويشيعونها بين الناس ففي سنة احدى وسبعين والشريف عبد المطلب بالطائف وكامل باشا بجدة أرسل الشريف عبد المطلب من الطائف عسكرا من عسكر بيشة للقبض على السيد اسحق والاتيان به الى الطائف نهارا خفية من طريق الحسينية والسيد اسحق بداره المعروفة بالهتالة فوجدوه بالبستان المتصل بالدار وعنده نجار يصطنع له ساقية فقبضوا عليه وذهبوا به على طريق المقابر ثم على الحسينية وتوجهوا به الى الطائف فلما جاء الخبر الى مكة لقائم مقام كامل باشا أركب العسكر ليدركوهم ويخلصوه منهم فلم يدركوهم فلما وصل السيد اسحق الى الطائف أركبوه حمارا اسود قصيرا وكان السيد اسحق طويلا لاذاهنته بهيئته فكان ذلك تعزيرا له وطافوا به في الطائف وسوقه وعسكر بيشة والعبيد يحيطون به ثم حبسوه في القلعة التي في المثناة المسماة مترفة تجاه دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التي بناها في العام الذي قبله ثم بعد ليلتين أخرجوه ميتا فصار بذلك تهمة على الشريف عبد المطلب فمن قائل انه مات خنقا وقائل انهم عصروا خصيتيه حتى مات والله أعلم بحقيقة الحال فلما بلغ خبر موته كاملا باشا وهو بجدة غضب غضبا شديدا وأرسل رمزي أفندي مدير الحرم الى دار السلطنة ليبلغ هذا الخبر وكثر في ذلك القيل والقال وبقي الشريف عبد المطلب بالطائف وما نزل ولا في وقت الحج وانقضت السنة والاراجيف كثيرة فلما كان شهر صفر من سنة اثنتين وسبعين وصل الى جدة من دار السلطنة باشا فريق يسمى راشد باشا وشاع بين الناس انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويقيم الشريف عبد الله بن ناصر ابن فواز بن عون قائما مقام الشريف محمد بن عون وكان متزوجا ببنت الشريف محمد وأبوه ابن عم الشريف محمد وكان وكيلا على بيته وأمواله في مدة غيبته واتفق في تلك الايام التي قدم فيها راشد باشا انه ورد التنبيه من كامل باشا لقائم مقامه بمكة ان يجمع دلالي الرقيق ويمنعهم من بيع الرقيق بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة ففعل قائم مقام الباشا ما أمره به فصار للناس من ذلك ارتجاج واضطراب وصاروا يقولون كيف يمنع بيع الرقيق الذي أجازه الشارع وهاج الناس هيجا شديدا

فطارت من قطعة ثلاثة أجبل فوقعت بمكة وثلاثة أجبل بالمدينة فوقع بمكة حراء وثبير وثور ووقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى ومنها الجبل المقابل لثبير الذي يلحقه مسجد الخيف لان فيه غارا يقال له غار المرسلات فيه أثر رأس النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف ويقربه على يمين المار في الشارع حجر مسند الى سفح الجبل مرتفع عن الارض يظل ما تحته ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قعد تحته مستظلا ومس رأسه الكريم فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤسهم في هذا الموضع تبركا بموضع رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم كيلا تمس رؤسهم النار رحمة الله عز وجل وقال ابن خليل يستحب أن يزور مسجد المرسلات ونزلت فيه المرسلات وهو يمين مسجد الخيف وذكر المحب الطبري في كتابه القرى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى اذ وثبت علينا حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت

فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال شيخ عمر وكان رئيس العلماء وقالوا نذهب الى القاضي ونذاكره في ذلك ليراجع كاملا باشا وهو يراجع الدولة في ذلك فاجتمع معهم وهم ذاهبون الى بيت القاضي خلق كثير من غوغاء الناس فلما دخلوا الى القاضي فزع منهم وهرب ودخل الى بيت حريمه فزاد هيجان الناس واضطرابهم وهاج بسبب ذلك بعض العساكر الضابطية الذين كانوا في دار الحكومة ورأوا بعض الناس حاملين السلاح و يقولون الجهاد فثار من ذلك فتنة عظيمة وصار الرمي بالبندق من الفريقين وانتشرت الفتنة ورمي البندق في الاسواق والطرقات وصار القتل لكثير من العسكر وغيرهم وتوقف بعض العسكر مع بعض أهل البلد في المسجد الحرام وصاروا يترامون بالبندق وقتل في المسجد أناس من ذلك الرمي ففزع بعض الناس الى الشريف منصور ابن الشريف يحيى بن سرور وهو في داره وسألوه تسكين هذه الفتنة فاطلق مناديا في مكة لمنع الناس من الفتنة فامتثلوا أمره وأمن الناس وتحفظ على العساكر الشاهانية وأطلع كثيرا منهم القلعة وكذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيرا من العسكر في دار الشريف محمد بن عون وسكنت الفتنة فلما جاء الخبر في الطائف للشريف عبد المطلب جمع القبائل وقال انى أريد حماية أهل مكة لئلا يصيبهم ضرر من كامل باشا بسبب ما صار منهم فلما وصلت لكامل باشا الاخبار الاولى التى حصل منها الفتنة أرسل الى أهل مكة بالامان وانه يراجع الدولة في أمر الرقيق فلم يطمئن الناس بذلك بل صاروا خائفين من سطوته ثم لما بلغه ان الشريف عبد المطلب جمع القبائل ويريد المجيء بهم الى مكة أرسل وطلب الشريف عبد الله بن ناصر الى جدة وكذلك طلب الشريف منصور بن يحيى وقيل ان الشريف منصورا توجه الى جدة بلا طلب خوفا من الشريف عبد المطلب وتباعدا عن الفتنة ثم توجه الشريف عبد المطلب بالقبائل من الطائف وجاء بهم الى مكة وكان العساكر الشاهانية بالقلعة ومعهم أويس باشا قائد العساكر فاقام كامل باشا الشريف عبد الله بن ناصر قائمقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب انك معزول وان الدولة وجهت امارة مكة للشريف محمد بن عون وقد أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائمقامه فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك وعقد مجمعا في داره التى في القرارة وأحضر فيه كثيرا من الاشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس وأخبرهم انى انما جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين وعقد عهودا ومواثيق بينهم وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون في البلاد طول الليل ثم ان كاملا باشا جهز عسكرا من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائمقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وأرسله مع العساكر الذين جهزهم الى بحره ومعهم أيضا راشد باشا الفريق الذى قدم من دار السلطنة فنصبوا العرضي في بحره وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للامراء من الاشراف وللقبائل وأهالي مكة يخبرهم بحقيقة الحال ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير واختلاق من كامل باشا وجهز كثيرا من القبائل وأرسلهم مع بعض الامراء من الاشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين في بحره فهجموا على العرضي ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت الى مكة وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون في كل مرة منها وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الاشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل وذهب كثير من الاشراف وشيوخ القبائل الى العرضي في بحره عند الشريف عبد الله بن ناصر فصار يكرمهم بالكساوى وعطايا الدراهم ثم انتقل بالعرضي الى الشميسى فلما تحقق الشريف عبد المطلب ان كثيرا من الناس تخلوا عنه وأخذوا الامان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه الى الطائف وقال للاشراف ولاهل مكة ومن بقى معه من القبائل قد أعذرتكم فخذوا الامان لانفسكم من

الشريف

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها أخرجه البخاري * وقال السيد التقي الفاسي رحمه الله بلغني عن شيخنا المجد الفيروزابادي أنه قرأ في هذا الغار سورة المرسلات في جماعة فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوها فهربت وهذا من غريب الاتفاق لموافقته للقصة التي اتفقت للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف أبي قبيس * قال الفاكهي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد المليكي حدثنا عبد الله ابن عمر بن أسامة قال حدثنا أبو صفوان المرواني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما مطرت مكة قط الا وكان للخندمة غرة وذلك ان فيها قبر سبعين نبيا انتهى وهي مشرفة على أجياد الصغير وشعب عامر وهي معروفة الآن عند الناس بمكة * وأما المساجد المأثورة المباركة فمنها ما قد اغمي أثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره * وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد * منها مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى في شعب بقرب ثنية أذاخر يقال ان النبي صلى الله عليه

الشريف عبد الله بن ناصر وانى أريد التوجه الى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه الى دار السلطنة من طريق البر ثم توجه الى الطائف ومعه بعض أتباعه وكان ذلك فى آخر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشبيكة ودخلوا مكة وأطلقوا المنادى بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون امارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا أحدا من الناس الذين قاموا فى تلك الفتنة فاطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضى الذى فيه العسكر الذين جاؤا معهم فى الابطح وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع فى الليل يبيت فى العرضى فى صيوان نصب له هناك ويجلس فيه فى النهار أيضا فى بعض الاوقات وفى بعضها ينزل الى دار سيدنا الشريف محمد بن عون وصارت أحكام البلاد كلها مفوضة اليه وأما الشريف عبد المطلب فانه لما وصل الى الطائف وهو عازم على التجهز والتوجه الى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقضوا عزمه عن التوجه الى دار السلطنة وحسنوا له ان يجمع قبائل الحجاز كبنى سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف كثقيف وبنى سفيان ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة فوافقهم على ذلك وترك التوجه الى دار السلطنة وأرسل للقبائل المذكورة وجمعهم ودفع لهم أموالا من عنده وكان فى قلعة الطائف عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا فى القلعة ان يتوجهوا الى مكة وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها وكان الشريف فواز بن ناصر أخو الشريف عبد الله بن ناصر فى بلاد لهم تسمى رحاب ومعه اخوانه وأهله فخاف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف ان تتخطفهم الاعراب فى الطريق فعارضهم بعد أن خرجوا من الطائف وذهب بهم الى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سير معهم من أوصلهم الى الشريف عبد الله بن ناصر ولما اجتمع كثير من القبائل عند الشريف عبد المطلب فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أرسلهم الى مكة وجعل عليهم أميرا الشريف الحسين بن منصور الشنبرى ومعه جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف عبد المطلب فهجموا على العرضى الذى فى الابطح وثارت الحرب بين الفريقين وكان الشريف عبد الله بن ناصر فى ذلك الوقت بمكة فلما جاءه الخبر ركب مسرعا وتواقف الفريقان الى ان جاء الليل فصعد القبائل التى جاءت من عند الشريف عبد المطلب الى الجبال وتحصنوا فيها وباتوا الى ان أصبح الصباح فأعادوا الحرب ثم انهزموا هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وجاؤا برؤسهم الى مكة ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل آخر شهر رجب وسيرهم كالاولين فخرج الشريف عبد الله بن ناصر بالعساكر الى عرفة حين بلغه اقبالهم ليقاتلهم هناك فلما أقبلوا انتشب القتال بعرفة ثم انهزموا مثل الهزيمة الاولى ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل فى أواخر شعبان وسيرهم كالذين قبلهم ومعهم الشريف الحسين ابن منصور الشنبرى وبعض الاشراف وقيل ان الشريف عبد المطلب سار معهم بنفسه فى هذه المرة فهجموا على العرضى الذى فى الابطح واقتتلوا الى ان جاء الليل فتحصن القبائل بالجبال واتخذوا لهم متارس وبات الشريف عبد الله بن ناصر تلك الليلة فى العرضى بغاية الاحتراس خوفا على العساكر الشاهانية ان تهجم عليهم القبائل فى الليل وفى تلك الليلة جاء البشير من جدة بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى جدة وكان ذلك فى ثامن شعبان فبات العساكر تلك الليلة فى العرضى فى فرح وسرور ومظهرين الزينة فى العرضى حين ورد الخبر اليهم باطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك فلما أصبحوا انتشب القتال قليلا ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من اللتين كانتا قبل ذلك ورجعوا الى الطائف بعد ان قتل كثير منهم وجىء برؤسهم الى مكة ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة ومعه ابنه الشريف على باشا وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فانه تأخر فى دار

وسلم صلى فيه وهو منهدم وفيه حجر مكتوب فيه انه مسجد الاجابة وانه عمر فى سنة عشرين وسبعمائة وعمر قريبا ثم انهدم وبنى حوله العربان بيوتا وهم يصلون فيه ويعمرونه الا انه يحتاج الى أعظم من هذا (ومنها مسجد بأعلى مكة) يقال انه مسجد الجن قال الازرقى فى تسميه أهل مكة مسجد الحرس فى مقابل الحجون وأنت مصعد على يمينك وانما سمى مسجد الحرس لان العسس يجتمعون عنده ليلا قال وهو فيما يقال الموضع الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اهـ وقلت وهذا المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمى الآن القرهادية بينهما طريق ضيق والله أعلم ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن ويقال لها منارة أبى شامة وامامه الى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم ابن عدى بن نوفل ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد ومنها مسجد بالدعاء عند الميل الايمن للمستقبل فى مقابلة زقاق الحجرزة

السلطنة ثم أعطى رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم الى الطائف ومعه ابنه الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وكثير من الاشراف والقبائل وكان توجههم بعد ان أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الامان وان يترك القتال فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال الذي كان سنة ثلاث وأربعين وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبني سفيان فلما قرب الشريف محمد بالعرضي من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا للشريف محمد بن عون ولما توجه الشريف محمد بالعرضي من مكة في أواخر شعبان ولم يزل سائرا والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الامان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالضيافة والدراهم والكساوي من الجوخ والشيلان فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضي في العقيق في الموضع الذي نصب فيه سنة ثلاث وأربعين وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبري وبعض الاشراف فلما اشتد الحصار على أهل الطائف خرج جماعة منهم بالخفية ووصلوا الى العرضي وقابلوا سيدنا الشريف محمدا وأخذوا منه أمانا لانفسهم ولاهل الطائف وللشريف الحسين ابن منصور الشنبري ومن معه من الاشراف ثم فتحوا باب السور وأدخلوا العساكر فأحاطوا بالدار التي كان فيها الشريف عبد المطلب ثم أعطوه الامان على نفسه وقبضوا عليه وأركبوه على فرس وأحاط به الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وأتباعهما وساروا به الى ان أوصلوه العرضي وسلموه للشريف محمد بن عون وكان ذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة فأنزله الشريف محمد بن عون في داره التي بالطائف عند باب الحرم وجعل عليه عسكرا للتحفظ واطمأنت الناس وزالت الفتنة وأمنت الطرق وفي شهر شوال أنزلوا الشريف عبد المطلب من الطائف الى مكة والعساكر محيطة به للتحفظ وبعد وصوله الى مكة أنزلوه الى جدة وسلموه لكامل باشا فأركبه البحر ووجهه الى دار السلطنة ومعه عساكر للتحفظ وشاع ان الدولة أمرت بتوجهه الى سلانيك فأرسل الشريف عبد المطلب الى الصدر الاعظم رشيد باشا يطلب ان تكون اقامته بدار السلطنة فأجيب الى ذلك فجيء به الى دار السلطنة ونزل بالدار التي كان فيها أولا فبقي فيها في عز وإكرام ولم تعاقبه الدولة على شيء مما كان وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون في مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس في أمن وأمان وسرور وتقدم لمباشرة أكثر الامور ابنه الشريف علي باشا ومعه الشريف عبد الله بن ناصر وفي سنة ثلاث وسبعين عزل كامل باشا وتولى بدله محمود باشا الكردي وكان واليا على اليمن وقبل ولايته اليمن كان فريقا قائدا للعساكر بمكة فلما ولي اليمن أعطى رتبة الوزارة ثم عزل من اليمن وأعطى ولاية جدة بعد ان عزل كامل باشا فجاء الى مكة ومكث نحو سنة ثم عزل وتولى بدله نامق باشا فوصل الى مكة في أوائل سنة أربع وسبعين

﴿ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر سنة ١٢٧٤﴾

وقبل وصوله بأيام توفي الشريف عبد الله بن ناصر بعد ان مرض أياما

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤﴾

وفي الثالث عشر من شعبان في هذه السنة توفي سيدنا الشريف محمد بن عون وانتقل الى رحمة الله تعالى بعد ان مرض أياما رحمه الله تعالى وعمره نحو السبعين ودفن في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم بجانب قبرها وخلف ستة من الذكور وهم عبد الله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبد الله وكلهم في غاية الفطنة والنجابة والكمال وخلف أربعة من الاناث فلما توفي أقام نامق باشا الشريف علي باشا وكيلا للامارة الى أن يأتي الخبر من دار السلطنة

وقال السيد الفاسي رحمه الله تعالى يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ماهو مكتوب في حجرين بجدار المسجد أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبي حرمي وفيه انه عمر في رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة • وفي الآخر انه عمر في سنة سبع وأربعين وستمائة وذكره الازرقي أيضا في المواضع التي يستحب الصلاة فيها بمكة • قلت هو مسجد لطيف جدا موجود الآن معروف أعلاه بالدور الا الجهة الجنوبية منها التي هي الطريق وهو بين دكاكين السوقة يتعين على أهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك • ومنها مسجد بأسفل مكة ينسب الى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الآن دار الهجرة ويقال انه ركب منها مع النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة يزوره الناس وفيه مذكور ان الله تعالى • ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مساجد عائشة رضي الله عنها وهو بعيد عن أميال حد الحرم وكان يسمى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هنالك قد عاد وقد تهدم هذا المسجد ومابقي منه الا آثار

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا سنة ١٢٧٤﴾

ولما بلغ الخبر بالوفاة دار السلطنة وجهت الدولة امارة مكة لابنه مولانا الشريف عبد الله وقد تقدم ذكر ان في هذا العام بعد مجيء والده الى مكة وانه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص و زيادة على ذلك اشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الاحكام وكان قد قرأ في علم النحو وصار له بعد راية واشتغل كثيرا بمطالعة كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والادب واقتنى من الكتب شيئا كثيرا وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والادب و يحضر في مجلسه كثير من العلماء والادباء في كثير من الاوقات وكان يحبهم و يعظمهم و يكرمهم و يقضي حوائجهم وكان توجيه الامارة له في شهر رمضان بعد مجيء خبر وفاة والده ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الامارة له شهورا لقضاء مهماته وتوجه الى مكة في شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الاشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائما مقام والده في الولاية الاولى ولما قدم جاء معه بميزاب الكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه بعثه السلطان عبد المجيد و أرسلوا القديم الى دار السلطنة

﴿ذكر فتنة جدة سنة ١٢٧٤﴾

و ينبغي ان نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده لان الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين وملخصها ان الان صالحا جوهر أحد التجار بجدة كان له مركب منشور وفيه بنديرة الانكليز والبنديرة هي البيرق فأراد ان يغيرها و يجعل فيه بنديرة من بنديرات الدولة العلية فسمع بذلك قنصل الانكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصة من نامق باشا فأذن له بوضع بنديرة الدولة العلية وكتب له منشورا بذلك فوضعها ونشرها وأزال بنديرة الانكليز فاطلع قنصل الانكليز الصغير ودخل المركب المذكور وأنزل بنديرة الدولة التي نشرت ونشر بنديرة الانكليز وشاع انه لما أزال بنديرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه وثار من ذلك فتنة عظيمة فقتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم وأرادوا ان يقتلوا فرج يسر أحد التجار المشهورين بجدة لكونه كان محاميا عن قنصل الانكليز ومعدودا من رعيتهم فاختفى فأراد عوام الناس ان ينهبوا داره فمنعهم من ذلك عبد الله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة وكان نامق باشا بمكة والشريف علي باشا القائم مقام الامارة كان قد توجه الى المدينة المنورة لمقابلة الحج فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك ثم توجه الى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين نسب اليهم القتل والنهب ووضعهم في السجن وأرسل الى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع الى مكة لاداء الحج فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للانكليز وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقنابل على جدة فخرج كثير من الناس من جدة هاربين بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركبانا ومشاة فانزعج الناس من ذلك انزعاجا شديدا فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا في مكة مجلسا في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء والتجار وأعيان الناس وأحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لاداء الحج وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة وأخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الانكليز و يضرب القنابل على جدة و بخروج كثير من الناس منها وقال لهم القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الامر فقال له كثير من الحاضرين ان الاسلام لله الحمد قوي وأهله كثيرون وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد و زهران وعسير وانكم لو تطلبون الناس

بجدارات قائمة وكان المكان الذي أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما للعمرة منه ولا يصل اليه المعتمرون الآن بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلا و يحرمون بالعمرة و يريدون مسجد عائشة رضي الله عنها انما يتعين تجديده وتعميره لانه من الآثار المباركة القديمة وقد تركه الناس لتهدمه واقتصروا على مساجد مرضوضة بالاحجار عمارتها مرضوضة من الاحجار الصغار تهدم وتوضع غيرها وكان أمن وراء الاميال عمرا أي منها وهنا التهرنيج عظيم قديم يختلف من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون منه فلما جاء الوزير المعظم المجاهد في سبيل الله حضرة

رخيصة يفقرون فقرا عاما فيجتمع من ذلك الالوف بل الالوك فيدفعون تعدى الانكليز ولا يرضون ان يقع عليهم هذا الذل فقال لهم نامق باشا هذا العدد الذى ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل يوجد مثله اضعافا مضاعفة لكن اذا اجتمعت هذه المائة الف غاية ما يقدرون عليه انهم يصلون الى مكة وجدة وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الانكليز وغيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الاسلام ويجتمعون على محاربة الدولة العلية وليس عند هؤلاء القبائل التى اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الاسلام لانه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر ولا جبخانات ولا مدافع ولا شئ مما يحتاجون اليه وأيضا مراد نا دفع هذا الضرر الآن ولا يجتمع هؤلاء القبائل الا بعد مدة طويلة فلابد من التدبير الآن فى دفع هذا الضرر بالسرعة فقال بعض التجار الحاضرين يأذن لنا أفندينا فى تغريق هذا المركب الحربى الذى جابرى بالمدافع المشحونة بالقنال على جدة وان كثيرا من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق المراكب يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرامات يجعلونها فى المراكب فقال لهم ليس هذا صوابا فانكم اذا أغرقتم مركبا يأتيكم بعده عشرة مراكب واذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة وهكذا فيتسلسل الامر ولا يزول الضرر وأيضا ربما يتركون جدة ويتوجهون الى اضرار بقية مدائن الاسلام وانما الاحسن فى تدبير هذا الامر ان نتداركه باللطف وحسن السياسة بان نتوجه الى جدة انا وكثير من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمرا يندفع به الضرر فاستحسنوا رأيه فتوجهوا الى جدة وأخذ معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال والشيخ ابراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن اسحق بن عقيل وتجار جدة الذين كانوا جاؤا للحج فلما وصلوا الى جدة صار اجتماعهم بالقبطان المذكور وعقدوا مجلسا صار القرار فيه على انه يصير تحقيق هذه القضية ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدى فى هذه الفتنة ويكون ذلك بعد رفع الامر الى الدولة العلية وانتظار الجواب مع ايما يأمر به ورضى الجميع بذلك وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل الى جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الانكليز والفرنسيس وكان نامق باشا بجدة فعقدوا مجلسا معه واتفقوا على انهم يحضرون الناس المتهمين فى احداث هذه الفتنة ويقررونهم ويستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الامر ويعرفوا الذين قتلوا والذين نهبوا والذين هيجوا الفتنة فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا وانما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاؤا مأمورين من الدولة ومن الانكليز والفرنسيس وصاروا يقبضون على كل من صارت عليه تهمة و يحبسونه فى موضع وحده ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل ويحتالون عليهم بكل حيلة ويكتبون كل ما يقول فكان ملخص تلك الاستنطاقات ان أهل جدة الذين هاجوا فى الفتنة وحصل منهم القتل والنهب قالوا انما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضى جدة الشيخ عبد القادر شيخ والاعيان وسموا أناسا منهم وقال الحضارم أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد العامودى وقال شيخ السادة وسعيد العامودى وقاضى جدة وبقية التجار والاعيان انما كان ذلك منا بأمر من عبد الله المحتسب وقال عبد الله المحتسب انما كان ذلك منى بأمر من ابراهيم أغا القائم مقام نامق باشا هذا ملخص استنطاقاتهم فانها تتضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بانهم تسببوا فى ذلك الا انهم أسندوا ذلك لسعيد العامودى وعبد الله المحتسب والقائم مقام نامق باشا وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل اليهم مرارا يقول لهم الحذر ان تقروا بشئ من ذلك فانه يصير عليكم ضرر كثير فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك وسببه ان المرخصين الذين حضروا من الدولة

* سنان باشا يسر الله له ماشا فى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة عمر من الشعبى وكان هذا الصهريج خاليا لانه لم يكن أيام المطر حينئذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من مواضع بعيدة يتعبون فى ذلك وكانت هناك بئر بعيدة مهدمة مملوءة بالتراب فأمر سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام السيد القاضى حسين الحسينى أن يحصل له من يحفر ذلك البئر ويبنى له مجرى يجرى فيه الماء من البئر الى الموضع الذى يعتمر الناس فيه بقرب الاميال وعين جاذبا يجذب الماء من البئر كل وقت ويسلكه فى ذلك المجرى فيسيل الماء الى موضع يتوضأ فيه المعتمرون على الاتصال والدوام ويشرب منه الناس والدواب

والانكليز والفرنسيس كانوا يلاطفونهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة ويقولون لهم اخبرونا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر ويسألون كل واحد وحده فاذا نطق بشيء يخالف الواقع يقولون له ان فلانا وفلانا أخبرانا بما هو كذا وكذا وذلك يخالف ما تقول ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره فلما انتهت الاسئلة كلها الى ابراهيم آغا القائم مقام نامق باشا احضروه وسألوه فانكر جميع ما نسبوه له وكذبهم ولم يقر بشيء فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشيء فحبسوه في موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفي مؤبدا ثم بحثوا أيضا عن الاشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعرفوهم وحبسوهم ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الانكليز والفرنسيس فيما بينهم واتفقوا على انه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودي ونحو اثني عشر نفسا من عوام الناس الذين وقع منهم القتل وانه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضي جدة وبعض التجار بعضهم مؤبدا وبعضهم الى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد ان أحضروا كثيرا مما أخذوه وان ما بقي من الاموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية فلما استقر رأيهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها النامق باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاءه به من الامر من الدولة فانهم جاؤه بأوامر فيها الامر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه فأخرجوا عبد الله المحتسب وسعيد العامودي من الحبس وقتلوهما في سوق جدة على رؤس الاشهاد وقتلوا الاثني عشر الذين من عوام الناس خارج جدة وكان ذلك اليوم يوما مهولا في جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين ثم نفوا من حكموا عليه بالنفي فمنهم من قضى السنين التي أنفوها له ورجع الى جدة ومنهم من مات ولم يرجع اليها فمن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضي جدة والشيخ عمر بادريب والشيخ سعيد بغلف ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد الغفار والشيخ يوسف باناجه رحمهم الله تعالى وقبضوا من الدولة قيمة بقية الاموال المنهوبة وكان شيأ كثيرا هذا ملخص تلك الفتنة باختصار ولا حول ولا قوة الا بالله فان هذه القضية كانت من أعظم المصائب على أهل الاسلام وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولي امارة مكة بعد تمام هذه الامور كلها وكان تأخره بدار السلطنة الى هذه المدة لاجل أن لا ينال شيء من الدخول في هذه القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه ولما وصل الى جدة كان هؤلاء المرخصون الذين حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والانكليز والفرنسيس موجودين بجدة لم يسافروا فحضروا عنده يوم وصوله لجدة للسلام عليه وقالوا له صرنا منتظرين بقدومك الى جدة قبل ان نسافر لانا نريد الوصول الى مكة للتفرج عليها وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها ولما حضرت أنت تحقق عندنا أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا لانك أنت الامير المطاع النافذ الامر قال انهم لما طلبوا مني ذلك تحيرت ولا يقبلون مني في الجواب أني أقول لهم ان ذلك ممنوع في شرعنا ولا يرضى المسلمون بذلك فألهمني الله لهم جوابا عقليا اقناعيا فقلت لهم أنتم رأيتم صورة مكة في الخرائط والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شيء من الزخارف وانما هي واد غير ذي زرع بين الجبال فلو أتيتم اليها ما تكسبون شيأ زائدا عما علمتموه من صورتها التي رأيتموها في الخرائط والجغرافيات فأرى ان وصولكم اليها تعب لكم بلا فائدة فقنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول اليها وتوجهوا الى دار السلطنة وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا لما قدم أميرا على مكة معه معاون من الدولة يسمى زكي باشا وهو من رتبة فريق وفي سنة ست وسبعين غزا غزوة الى الشرق لقمع بعض المخالفين وعاد منصورا مظفرا وكان ذلك في مدة نامق باشا قبل عزله ثم عزل نامق باشا في آخر هذه السنة وتولى بدله علي باشا الكاهيل وفي هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف علي

﴿ذكر زيارة سعيد باشا والي مصر المدينة سنة ١٢٧٧﴾

والمعتمرون وأهل القوافل المارون منه هنالك وابناء السبيل وينتفعون بذلك انتفاعا عاما ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا أثر عظيم لهذا الوزير المعظم من جملة خيراته الجارية دائما ان شاء الله تعالى أجرى الله تعالى على يديه الخيرات وأثابه عليها أعظم الاجر وأسنى المثوبات وبلغه من ألطافه وعنايته مايؤمله ويرتجيه وختم لنا وله أجمعين بالحسنى وهذا آخر ما أردنا جمعه في هذه الاوراق من كل خبر لطيف وأثر ماثر شريف رق معناه وراق ولطف مورده في الاسماع والاذواق كله نخب درر ونفائس وجواهر نخب غرر ومنائح يغنى بها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطريها كأنه النجوم في سماء اللطافة زاهرة أو زهور في رياض

وفي سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبد الله الى المدينة لمقابلة سعيد باشا والي مصر ابن محمد علي باشا حين جاء للزيارة ثم لما رجع الى مصر توجه معه الى مصر ورجع الى مكة في شهر شوال من هذه السنة

﴿ذكر وفاة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولية أخيه مولانا السلطان عبد العزيز﴾

وفي آخر هذه السنة كانت وفاة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وكانت وفاته لسبعة عشر من ذي الحجة من سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة أشهر وأقيم في السلطنة بعده أخوه مولانا السلطان عبد العزيز وجاء الى مصر سنة تسع وسبعين بعد ولاية اسمعيل باشا وفي سنة ثمان وسبعين عزل علي باشا الكابلي عن ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله عزت حق باشا

﴿ذكر وفاة سعيد باشا والي مصر سنة ١٢٧٩ وتولية ابن أخيه اسمعيل بن ابراهيم باشا﴾

وفي سنة تسع وسبعين توفي سعيد باشا والي مصر وأقيم بعده اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا ولما تولى عزت حق باشا ولاية جدة سنة ثمان وسبعين وصل الى مكة في شهر رجب من السنة المذكورة واستمر الى سنة احدى وثمانين فعزل وتولى بدله محمد وجيهي باشا وجعل له مشيخة الحرمين مكة والمدينة ولم تقع لغيره وفي هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف محمد وأحضرني في التسمية فسميته

﴿ذكر مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير سنة ١٢٨١﴾

وفي هذه السنة أيضا كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لانهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة وصدر الامر من الدولة العلية لاسمعيل باشا والي مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبد الله على قتالهم فامتثل الامر وأرسل عساكر كثيرة ونزلوا على القنفذة وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التي في مكة على طريق الليث ثم وصل الى القنفذة وجعل المركز في ناحية الخواة والاحسبة وأرسل اليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم في ذلك وبينما هم كذلك اذ جاءته مكاتيب من اسمعيل باشا والي مصر يطلب استرجاع عساكره بالسرعة ولم يعول في تأخيرها وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الامر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم ان لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك فأرسل العساكر المصرية الى مصر ورجع الى الطائف من طريق الحجاز بعد ان أقام مدة في بلاد غامد

﴿ذكر وفاة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٣﴾

وفي آخر شهر ذي الحجة من سنة ثلاث وثمانين توفي بمكة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد ابن عون وعمره نحو أربع وعشرين سنة وخلف بنتا

﴿ذكر وفاة محمد وجيهي باشا وتولية معمر باشا سنة ١٢٨٤﴾

وفي سنة أربع وثمانين توفي بالطائف وجيهي باشا والي جدة وشيخ الحرمين في ربيع الثاني وتولى بعده معمر باشا ولم يجعل له مشيخة حرم المدينة كما كانت لوجيهي باشا بل ولاية جدة ومشيخة حرم مكة فقط ولما توفي وجيهي باشا دفن في قبة الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بجانب قبر الحبر رضي الله عنه ولما توفي أقام سيدنا الشريف عبد الله عزت أفندي الحاجبي مقامه الى ان وصل معمر باشا وكان وصوله في شهر شوال من السنة المذكورة وفي سنة خمس وثمانين غزا سيدنا الشريف عبد الله ناحية الشرق ووصل الى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصورا مظفرا

﴿ذكر ابتداء حفر خليج السويس سنة ١٢٨٦﴾

الاناقة زاهرة تحت كل ذرة منها درة فاخرة وتحت كل لفظة نكتة خفية أو حكمة ظاهرة جلية أعجبت للقلوب فنونا وأخصت فرط أذن واللسن والحظ قرة ولعمري يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الجبهة فدونك أيها الفاضل الوذعي الكامل الفطن الالمعي الناظر في هذا الكتاب المتصفح لوجنات هذه العذارى الكعاب ما أودعته من لطائف الآداب وأدرجته من زبد الحكم والالباب ولا يحملك الحسد الذي جبلت عليه الاقران على انكار ما تجده لغيره من المزايا الحسان ولا يستميلك استصغار مؤلفه الى نبذ فرائده والاستهانة بعظيم فوائده فان لك غنمها وعلى غيرك غرمها

وفي سنة ست وثمانين كان ابتداء حفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم وكان تمام ذلك سنة احدى وتسعين وكان القائم بذلك دولة الفرنسيس والانكليز واسمعيل باشا والي مصر وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه عوائد معلومة على قدر ما فيها من الحمل وهذا الذي حفروه حتى اتصل البحران كان هرون الرشيد أراد ان يفعله ليتهيأ له غزو الروم فمنعه يحيى بن خالد البرمكي وقال له ان فعلته تتخطف الافرنج المسلمين من المسجد الحرام فامتثل كلامه وترك ذلك والآن بعد ان فعلوه يخشى على الثغور والتي في الشرق جزيرة العرب منهم فنسأل الله الحفظ وفي مدة معمر باشا كان ترتيب مجالس الادارة ومجالس التمييز بمكة والمدينة وجدة والطائف وذلك سنة ست وثمانين

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين كانت وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون بدار السلطنة لانه توجه الى دار السلطنة سنة ثمان وسبعين وأعطي رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ورجع الى مكة سنة خمس وثمانين ومكث شهورا ثم رجع الى دار السلطنة وتوفي بها سنة سبع وثمانين بعد ان مرض مدة وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة وخلف ابنيه الشريف حسينا والشريف ناصرا وأربعا من الاناث وتقدم ان ولادة الشريف حسين بن الشريف علي كانت سنة سبعين واما الشريف ناصر أخوه فولادته كانت سنة تسع وسبعين بدار السلطنة أيضا ثم أرسله أبوه الى مكة

﴿ذكر عزل معمر باشا وتولية خورشيد باشا سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين عزل معمر باشا من ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله خورشيد باشا ووصل الى مكة في شهر شوال من السنة المذكورة

﴿ذكر فتنة حوا سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حوا كانت بين الاهالي والعسكر كانت في شهر صفر من السنة المذكورة كان سببها هذا الشخص المسمى حوا تضارب مع بعض العسكر في سوق المعلى فثار لذلك أهل السوق واقتتلوا مع العسكر ثم انتشرت الفتنة في أطراف البلد من غير ان يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر ونزلت الاسواق فركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض اتباعه وخرج الى السوق وأطراف البلد وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد باشا والقاضي والمفتي وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شيء بمقتضاه وحكموا على بعضهم بالنفي سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة

﴿ذكر استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير سنة ١٢٨٨﴾

وفي أول سنة ثمان وثمانين أيضا كان تمام الاستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة ان محمد بن عائض أمير عسير طغا وبغى ونقض العهود والصلح الذي عقده معه سيدنا الشريف عبد الله سنة احدى وثمانين كما تقدم واستولى على كثير من المحاكم التي كانت تحت حكم الدولة كبلاد بني شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين الى الحديدة والقنفذة وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فجهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديف باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة الى القنفذة على طريق البحر وفي شهر ذي القعدة وجه العساكر بالقرب من محائل وحشد عسير جنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك العمراة من بلادهم ونزل عليهم من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من امرائهم وقتلهم وبعث بعضهم الى دار السلطنة

وما عبر الانسان عن فضل نفسه
بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل
ومع ذلك فلا أدعي رتبة الكمال دون كل ذي علم عليم ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الله الملك القدوس العزيز الحكيم ولقد قيل لا يعرى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص في الميل الى نقصه ولقد كتب أستاذ البلغاء القاضي عبد الرحيم الفاضل البيساني الى العماد الاصفهاني الكاتب معتذرا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لي شيء وما أدري أوقع [illegible] أم لا وها أنا أخبرك به وذلك اني رأيت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال

﴿ذكر وفاة الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف وكان قد قرأ كثيرا من العلوم ونجب فيها فحزن عليه حزنا كثيرا رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة

﴿ذكر عزل خورشيد باشا وتولية قاسم باشا القريق سنة ١٢٨٨﴾

وعزل خورشيد باشا في شوال سنة ثمان وثمانين وتولى بعده القريق قاسم باشا وكان أولا محافظا على المدينة ثم صار محافظ الحديدة وقائمقام خورشيد باشا في جدة ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقا ولم يعط رتبة الوزارة وجعل اقامته بجدة وأزيل منه المحافظة والكتيبة ومكث سنة

﴿ذكر عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد باشا الاكريدسنة ١٢٨٩﴾

ثم عزل في شوال سنة تسع وثمانين وتولى بعده محمد رشيد باشا وبلغنا كرون في سنة تسع وثمانين كان استيلاء عساكر الدولة الذين في اليمن على مدينة صنعاء واستمر محمد رشيد باشا الى سنة احدى وتسعين

﴿عزل محمد رشيد باشا الاكرد وتولية محمد رشدي باشا الشرواني سنة ١٢٩١﴾

فعزل وولي بعده محمد رشدي باشا الشرواني الداغستاني وكان عالما متفننا لانه كان في سلك العلمية وسبب انتقاله الى الملكية انه طلب من شيخ الاسلام رتبة قضاء فامتنع وكان الشرواني صديقا للصدر الاعظم فؤاد باشا فاعطاه رتبة الوزارة وأدخله في سلك الملكية وترقى الى ان ولي الصدارة بعد عالي باشا وقبل نديم باشا ثم عزل من الصدارة وأعطي ولاية الحجاز فقدم في شهر رجب من سنة احدى وتسعين وتوجه الى الطائف

﴿ذكر وفاة محمد رشدي باشا الشرواني وتولية تقي الدين باشا الحلبي سنة ١٢٩١﴾

وتوفي في أواخر شعبان بالطائف فكانت مدته أقل من شهرين ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه في قبر وجيهي باشا وتولى بعده تقي الدين باشا الحلبي وكان مفتيا في حلب كابيه من قبله ثم وقعت فتنة في حلب اتهم بالتسبب لها فوقع بينه وبين أهل حلب تنافر فعزل من الفتوى وتوجه الى دار السلطنة ودخل في سلك الملكية وأعطي رتبة الوزارة وترقى وولي ولايات منها بغداد وليها سنة واحدة بعد نامق باشا ثم عزل من بغداد وجاء الى دار السلطنة ثم أعطي ولاية الحجاز سنة احدى وتسعين بعد وفاة الشرواني فقدم في ذي القعدة من السنة المذكورة وفي سنة احدى وتسعين ولد الشريف عون باشا مولود سماه محمدا عبد العزيز واستمر تقي الدين باشا الى سنة أربع وتسعين

﴿ذكر خلع السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ وتولية السلطان مراد خان﴾

وفي سنة ثلاث وتسعين خلع السلطان عبد العزيز وأقيم في السلطنة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وكان ذلك في السابع من جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم توفي السلطان عبد العزيز بعد خمسة أيام من خلعه ثم خلع السلطان مراد في الحادي عشر من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأقيم في السلطنة أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد بن محمود وفي مدته كان الحرب بين الدولة العلية والروسية

﴿ذكر ابتداء تعليم أهالي مكة الحركات العسكرية سنة ١٢٩٤﴾

فاستحسن سيدنا الشريف عبد الله ان أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبنادق فصدر الامر منه بذلك لاجل ارهاب الروسية واظهار الاستعداد لهم فامتثل الناس ذلك واحضر والهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجودة بمكة فتعلم كثير من الناس في أقرب زمن وكان ذلك في أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك

﴿ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله في ٢٤ جمادى الاخرة سنة ١٢٩٤﴾

وفي هذه السنة توفي سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف

في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى فالايق بالفاضل اذا عثر بشيء مما كان فيه المؤلف وعثر ان يستر الزلل ويقبل العثار وايسد الخلل والعوار والكريم غفار والحليم ستار ولقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسكا وأنظم له الجواهر اللامعة سلكا وأختمه كما بدأته بالدعاء لدوام سلطاننا الاعظم خليفة الله الاكبر الافخم صاحب السيف والعلم مولى ملوك الترك والروم والعرب والعجم سلطان سلاطين هذا الزمان الخافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة

في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه قريبا من قبر الحبر وكان مريضا بعرق النسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفي منه لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب الا في العربة ولا يستطيع المشي الا قليلا بشيء يعتمد عليه في يده وما انقطع في جميع المدة عن جلوسه في الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوي وفصل الاحكام وفي هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادى الاولى الى ان توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ست وخمسين سنة ومدة امارته نحو تسع عشرة سنة وخلف اثنين من الذكور عليا ومحمدا وأربعا من الاناث وبعد وفاته بأيام أعطى ابنه الشريف علي رتبة باشا وكذا الشريف الحسين بن الشريف علي باشا جاء الامر من الدولة بذلك ولما توفي سيدنا الشريف عبد الله أقام تقي الدين باشا أخاه الشريف عونا باشا وكيلا قائما مقام الامارة وكان أخوه الاكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة

﴿ذكر توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين وقدومه في شعبان سنة ١٢٩٤﴾

فوجهت اليه الدولة امارة مكة فقدم في شعبان من السنة المذكورة وتوجه الشريف عون الى دار السلطنة في شوال من السنة المذكورة فأعطي رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة

﴿ذكر عزل تقي الدين باشا وتولية حالت باشا سنة ١٢٩٤ ووفاته بجدة سنة ١٢٩٦ وتولية ناشد باشا سنة ١٢٩٦﴾

وفي شهر ذي القعدة من سنة أربع وتسعين عزل تقي الدين باشا من ولاية الحجاز وولي بعده حالت باشا واستمر الى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين فتوفي بجدة في شهر جمادى الآخرة وولي بعده ناشد باشا ووصل الى مكة في شعبان من السنة المذكورة وكان سيدنا الشريف الحسين حين وصوله غازيا ناحية تربة ثم وصل آخر شعبان منصورا مظفرا واستمر سيدنا الشريف الحسين في امارة مكة الى سنة سبع وتسعين وفيها توجه الى جدة في أوائل ربيع الثاني فعند دخوله جدة وهو سائر في موكب مقابل جاءه رجل أفغاني وقصده وهو راكب كأنه يريد تقبيل يده

﴿ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة ونقله الى مكة سنة ١٢٩٧﴾

فطعنه بسكين في أسفل خاصرته فاشتد عليه الالم فنزل عن جواده وكان قد قرب من الدار التي يريد النزول بها وهي دار عمر نصيف فتعاضده بعض خدمه وأدخلوه الدار فلما علموا انه مطعون طلبوا ذلك الافغاني حتى وجدوه بين الناس فقبضوا عليه ثم توفي سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه الى مكة ودفنوه بها في قبر والده في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وأربعين سنة وشهور وخلف ثلاث بنات ولم يخلف ذكرا ثم ان ذلك الافغاني الذي طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشيء ولم يقر بأحد أغراه على ذلك فقتل بعد ذلك

﴿ذكر الامارة الثالثة لسيدنا الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧﴾

ولما وصل الخبر الى دار السلطنة وكان الشريف عبد المطلب بدار السلطنة وجهت اليه امارة مكة فتوجه من دار السلطنة فلما وصل الى ينبع توجه للمدينة المنورة وأقام فيها أياما ثم رجع الى ينبع وتوجه الى جدة ثم الى مكة ودخلها في الحادي عشر من جمادى الثانية من السنة المذكورة ووالي جدة اذ ذاك ناشد باشا ثم وقع بينه وبينه اختلاف وتنافر لاسباب اقتضت ذلك وذلك ان الشريف عبد المطلب كان في هذا الوقت طعن في السن وكبر فصار كثير من اتباعه المباشرون للمصالح يحسنون له فعل بعض الاشياء فيوافقهم على ما يقولونه ويأمر بها وينسب الناس اليهم انهم يأخذون من الناس رشوة في مقابلة تلك المصالح فكثر بسبب ذلك القيل والقال ووقع التنافر

الايمان عالم السلاطين وسلطان العلماء الاعاظم الاعيان الذي تتصاغر في أبواب سلطنته تيجان كسرى وقيصر وتسعى الى لثم أعتابه ملوك الشرق والغرب وامتثل دارا والاسكندر قبلة اقبال قلوب العالمين المحسن الى أهل الحرمين الشريفين المتكرم على جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في هذين البلدين العظيمين المنيفين الباذل عدله واحسانه على كافة الرعايا والآمن في ظل أمنه ولطفه ورأفته جميع البرايا الذي هو بحر كرم تحدث الالسن مكارمه بالعجائب ولا حرج ويلوذ بأعتابه الشريفة من نابه شدة الافتقار يدخل اليه السعادة من باب الفرج لدولة أسمى لها الله في العلى

بينه وبين ناشد باشا فى تلك الاشياء التى أوجبت التنافر انهم أخبروه باشخاص انهم يقع منهم كلام غير لائق فغضب فاحضر ثلاثة منهم وهم عبد الله بن قو يحص ومحمد تركى ومساعد الهابط وكان احضارهم ليلا فامر بضربهم فضربوا ضربا كثيرا ثم بعد أيام مات من ذلك الضرب عبد الله ابن قو يحص ومحمد تركى وشنق مساعد الهابط فكثر كلام الناس فى هذه القضية ومن ذلك انه رأى دار اتحاد اره التى فى الشرارة فى مدة غيبته بناها الشريف مهدى بن أبى طالب الجودى وكانت عالية مشرفة فقال ان هذه الدار تكشف على دارى وفى بقائها ضرر كثير لا أتحمله فامر بهدمها بعد ان أحضر مشرفين أشرفوا عليها ووافقوه على ان فى بقائها ضررا وأحضر أولاد الشريف مهدى وقال لهم أدفع لكم أربعة آلاف ريال فى مقابلتها وكتب فى ذلك حجة عند القاضى ببيعهم اياها له فكانوا يقولون انهم مكرهون فى ذلك وبعد هدمها كثر كلام الناس فى ذلك ومن أسباب التنافر بينه وبين ناشد باشا أيضا وكثرة كلام الناس انه كتب تقريرا للشريف بدخيل الله العواجى فى دلالات الحلقة التى يباع فيها الفواكه والخضر فقدم دخيل الله أهلها الذين كانوا يباشرون الدلالات فيها ثم اشتروا منه تلك الدلالات بمبالغ كثيرة وفعل مثل ذلك فى دلالات الفحم والحطب والحشيش وقررفيها أشخاصا من الاشراف وكذلك فعل مثل ذلك فى خراجات جمال بعض بيوت مشايخ الجاوى فكثر كلام الناس فى ذلك كله وحصل أيضا اختلال فى الطرق وعدا كثير من الاعراب فى طريق الطائف وجدة والمدينة

﴿ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا سنة ١٢٩٧﴾

ثم ان الدولة عزلت ناشد باشا ووجهت الولاية لصفوت باشا فوصل الى مكة فى أوائل شهر ذى الحجة من السنة المذكورة أعنى سنة سبع وتسعين وتوجه ناشد باشا الى دار السلطنة بعد ان حج واستمر صفوت باشا الى سنة ثمان وتسعين وكان الاتفاق بينه وبين الشريف عبد المطلب نحو شهر ثم وقع الاختلاف بينهما أكثر مما كان مع ناشد باشا للاسباب المتقدمة وأسباب غيرها ومعارضات فى بعض القضايا واتسع الامر بينهما

﴿ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا سنة ١٢٩٨﴾

وعند تمام شهر الحجة من سنة ثمان وتسعين عزل صفوت باشا وتولى بدله أحمد عزت باشا الارزنجانى التى كانت ولايته سابقا فى سنة تسع وستين فى مدة الشريف عبد المطلب فى الولاية التى قبل هذه وقبل وصول أحمد عزت باشا وصل الى جدة الفريق عثمان باشا قندانا على العساكر وقائمقام أحمد عزت باشا الى قدومه وتوجه صفوت باشا الى دار السلطنة فى أوائل سنة تسع وتسعين وقدم أحمد عزت باشا فى المحرم من السنة المذكورة واجتمع بصفوت باشا فى جدة قبل توجهه وكان أحمد عزت باشا المذكور قد طعن فى السن وبلغ نحو التسعين الا انه قوى البنية وكان بين ولايته هذه وولايته الاولى نحو ثلاثين سنة وكان عثمان باشا قندان العساكر يباشر كثيرا من الاحكام ويعارض الشريف عبد المطلب فى كثير منها

﴿ذكر عزل أحمد عزت باشا وتوجيه الولاية لعثمان باشا سنة ١٢٩٩﴾

واستمر الحال على الاختلاف الى عشرين من شعبان من السنة المذكورة أعنى سنة تسع وتسعين فجاء الامر فى التلغراف بعزل أحمد عزت باشا وولاية عثمان باشا القمندان بدله وهو فى رتبة فريق كما كان فتوجه أحمد عزت باشا الى دار السلطنة فى رمضان من السنة المذكورة وبقى عثمان باشا واليا وكان لما توجه الى الطائف فى شعبان صحب معه مدافع كثيرة وجبخانات وكثر خوض الناس فى ذلك وصاروا يقولون انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويريد ولاية الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون امارة الحجاز

مقاما وأعلاها جنابا
وأسماها
اقصد أعربت عن سيرة
عمرية
تبوأها عثمان بالعدل
مثابا
﴿السلطان ابن السلطان
ابن السلطان الملك المؤيد
مراد خان بن سليم خان﴾
نصر الله تعالى عزائمه
وأمضى فى رؤس الاعداء
صوارمه وشيد بنيان
الاسلام ودعائمه وجعل
مغارسه فى سبيل الله
مغانمه ولازالت ألويه
نصره منشورة الذوائب
مشهورة القواضب
مشرقة كالشمس يغشى

﴿ذكر كيفية خلع الشريف عبد المطلب من الامارة وتوجيهها للشريف عبد الله باشا في ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٩﴾

فلما كان ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة أخرج بعد نصف الليل كثيرا من العساكر الى المثناة ومعهم مدافع وبعض من الاشراف ذوي عون وعربان تارئيس العساكر وطلعوا في الجبال التي في المثناة المحيطة بالدار التي فيها الشريف عبد المطلب وأطلعوا معهم المدافع ورتبوا ذلك كله بالليل ولم يشعر أحد بهم فلما طلع النهار أرسلوا للشريف عبد المطلب وأخبروه بأنك معزول ومطلوب حضورك لدار السلطنة وانه ورد لنا التلغراف بذلك وبولاية الامارة للشريف عبد الله باشا وأرسلوا له صورة التلغراف الذي قالوا انه ورد اليهم فطلب مهلة الى أن يقضي أشغاله ونظر ورأى العساكر قد ملأت الجبال وأحاطت بداره فلم يعطوه المهلة التي طلبها وبعد ساعة خرج من داره وركب العربة وأحاطت به العساكر الى أن أوصلوه القشلة التي فيها العساكر بالطائف وهيؤا له فيها موضعا نزل به ووضعوا العساكر للحفظ عليه محيطة بالموضع الذي نزل به ثم أطلقوا امدادا بالطائف بولاية الامارة للشريف عبد الله باشا استقلالا وأرسلوا الى مكة وفعلوا مثل ذلك فاختلفت آراء الناس فبعضهم يقول انما جعلوا الامارة استقلالا للشريف عبد الله باشا لاجل تسكين العربان وأمن الطرق لانهم لو لم يفعلوا كذلك لم يحصل اطمئنان للناس ولو قالوا انه وكيل ما حصل الاطمئنان ولا تصدق القبائل والعربان وتطمئن الا اذا كان الامر كذلك ففعل عثمان باشا كذلك استحسانا من نفسه وأظهر انه انما فعله بامر من الدولة وبعض الناس يقول بل جاء الامر تحقيقا من الدولة بوضع الشريف عبد الله استقلالا وأمنت الطرق واطمأنت الناس وأقبلت القبائل عليه طبق العوائد الجارية ثم نزل الشريف عبد الله الى مكة في النصف من ذي القعدة وكذلك الوالي عثمان باشا وبقي الشريف عبد المطلب وعنده بعض العسكر للمحافظة وبعد الحج أوصلوه الى مكة في داره عند أهله وعلى الدار عسكر للمحافظة

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة ١٢٩٩﴾

ثم في أواخر شهر ذي القعدة جاءت الاخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت امارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا وكان مقيما بدار السلطنة كما تقدم وان الشريف عبد الله باشا وكيل عنه الى قدومه وامتثل الشريف عبد الله ذلك وأخذ يهيئ الاسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق باشا وبعث لمقابلته من جدة أولاد أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف علي باشا والشريف علي باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا وبقي الناس في انتظار قدومه الى يوم الثامن من ذي الحجة وكان كثير من الناس توجهوا الى جدة لمقابلته وبقية الناس صعدوا الى عرفة لاداء فريضة الحج وصعد أيضا الى عرفة الشريف عبد الله باشا فلما كان يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة وصل سيدنا الشريف عون باشا الى جدة وكان يمكنه ادراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعا لكن كان معه شيخ الحرم النبوي وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه الى عرفة بسرعة السير فرعاية لهم بقي معهم بجدة وفاته الحج ووصل الى مكة يوم النحر واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا ثم صعدوا الى منى جميعا عصر يوم النحر وقرئ فرمان ولايته الذي قدم به معه ثاني يوم النحر على مثل العادة التي جرت في كل سنة فانه في كل سنة في مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأييد لامير مكة فجرى الامر على مثل العادة الجارية وأقاموا بمنى الى انقضاء أيام منى ثم رجعوا الى مكة وحصل للناس غاية الامن والفرح والسرور ثم

ضوءها المشارق والمغارب
صاعدة في أفق السماء حتى
تزاحم مناكبها مواكب
الكواكب ولا برحت
أسباب سعادته تقوى
وأحاديث المكارم اليه
تسند وعنه تروى
والقلوب تمسك من
عبد رشه وصدق رأيه
بالسبب الاقوى في عز مديد
ونصر مشيد وعمر مديد
وسلطنة ثابتة لا تهن

توجهت الحجوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة

﴿ذكر فتنة عرابي بمصر سنة ١٢٩٨﴾

والنذكر على سبيل الاستطراد الفتنة العظامى التي وقعت بمصر هذه السنة تتميما للفائدة وتسمى فتنة عرابي وكان انتهاؤها في شوال من هذه السنة أعني سنة تسع وتسعين وكان ابتداؤها في سنة ثمان وتسعين لكن الاصل الذي نشأت بسببه وتأسست عليه كان قبل ذلك وذلك ان الاصل الاصيل كان من مدة اسمعيل باشا لانه استدان ديونا كثيرة من الانكليز والفرنسيس وصار التراضي بينه وبينهم على انهم يجعلون أناسا منهم يباشرون المتحصلات من أموال مصر ويضبطونها ويجعلون قسطا منها لمقابلة ديونهم فعينوا أشخاصا من الفريقين لمباشرة ذلك سنة خمس وتسعين ثم ان اسمعيل باشا رأى منهم انهم صاروا يتداخلون في أكثر الامور ويريدون انه لا يفعل شيأ الا باطلاعهم ومعرفتهم فخاف من اتساع الامر وسلب المملكة منه فاراد أن يجعل له عصبية من أهالي مصر وان يشكل منهم مجالس ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الاهالي والعمد من مشايخ البلدان فشرع في ذلك ليكون الامر بيدهم صورة وانه لا يفعل شيأ الا بمشورتهم ليدفع بذلك تغلب الانكليز والفرنسيس وتسلطهم ففطنوا لذلك فسعوا في خلعه واقامة ولده محمد توفيق باشا بدله فما زالوا يجتهدون في ذلك حتى تم لهم

﴿ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده محمد توفيق باشا واليا على مصر سنة ١٢٩٦﴾

فخلعوه بأمر من السلطنة السنية وأقاموا ولده توفيقا باشا بدله ونفوه وعائلته الى نابولي من بلاد ايطاليا كل ذلك كان سنة ست وتسعين ثم ان الدولة العلية أرادت ان تنقص توفيقا باشا بعض الميزات التي كانت لوالده اسمعيل باشا وتحدد في الفرمان الذي تحرر له شروطا فامتنعت دولة الانكليز والفرنسيس من تنقيص شيء واجتهدت في ان الدولة تحرر له فرمان الولاية على مثل ما كان لابيه ويكون عليه من الخراج مثل ما كان على أبيه ولم تزل الدولتان المذكورتان تجتهدان مع الدولة في ذلك الى ان استخرجتا له الفرمان على مثل ما كان لابيه وجعل رئيس الوزارة رياض باشا وكان رئيسا على العساكر أحمد عرابي بيك ثم ترقى وصار أحمد عرابي باشا فاتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا في انتصف من شوال سنة سبع وتسعين ولم يزل الامر في اتساع الى ابتداء شهر جمادى الثانية من سنة تسع وتسعين فحضر في مينا الاسكندرية كثير من الوابورات الحربية التي للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم أيضا لاعانة توفيق باشا ومنع عرابي باشا ومن معه من التغلب ومن التجهيزات التي شرع فيها وبقي الامر كذلك حتى انتشبت الحرب بين عرابي وعساكر الانكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر وعقاب عرابي وبعض من معه بعقوبات مختلفة الانواع ٭ ومن الحوادث الغريبة التي وقعت سنة تسع وتسعين انه ظهر رجل ببلاد السودان التي هي في حكم صاحب مصر يقال له محمد أحمد اشتهر عند كثير من الناس انه المهدي وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر المصرية التي في تلك الاطراف قتال ووقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وملك من تلك البلاد كردفان ومواضع أخر وحاصر سنارا مدة ثم انهزم عنها وبقيت العساكر المصرية مجتمعة في الخرطوم وبعث اليهم توفيق باشا صاحب مصر امدادات كثيرة من العساكر وغيرها من آلات القتال ومعهم كثير من الانكليز الذين لهم دراية بالحرب وانقضت سنة تسع وتسعين ودخلت سنة ثلاثمائة بعد الالف ومضى منها شهور ولم ينفصل الامر بينهم وبينه وفي شهر ربيع الاول من سنة ثلثمائة توجه الشريف عبد الله باشا الى دار السلطنة ومعه ابن أخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف علي باشا فلما وصلا الى دار السلطنة قوبلا بالعز والاكرام وأعطيت

ولا تبيد وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد واقبال يلازم ركابه السعيد ما لاح نجم على أفق السماء وما هب النسيم على العشاق بالطيب

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين

رتبة الوزارة للشريف عبد الله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة وأعطى للشريف ناصر رتبة باشا وأعطى الشريف محمد ابن المرحوم الشريف عبد الله باشا أيضا مثله رتبة باشا وجاءته البشرى بذلك وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن الشريف على باشا والشريف على ابن الشريف عبد الله وصارا فى مثل الرتبة التى كان فيها الشريف عبد الله وفى شهر رمضان من هذه السنة أعنى سنة ثلثمائة وألف كانت فتنة فى أطراف مكة بخروج بعض العرب من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسايم خرجوا الى طريق جدة وصاروا ينهبون الحال الذى يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة فى ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف عون بالطائف فنزل فى أواخر رمضان ووجه جيشا لغزوهم ووصل به الى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاؤا طائعين وسكنت الفتنة وأمنت الطرق وسلكت واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال منهم ولم يرض الشيوخ بذلك وان الحامل على ذلك أن الحكماء الذين بمكة وجدة يأخذون الغنم التى يجلبونها لمكة ويدفنونها فى الارض لان فيها أثر الوباء الذى يسمونه بالكلبرة وانه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وان النصارى الذين بجدة يأخذون رقيقهم ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم وقيل ان من أسباب ذلك حبس الشريف عبد الله بن زين أحد الاشراف ذوى حسين وانه لما قبض على الشريف عبد المطلب قبض عليه وعلى الشريف على بن سعد السرورى وحبسا وطالت مدة حبسهما وادعى عليهما بدعاوى الله أعلم بصحتها وفى شهر جمادى الآخرة من سنة احدى وثلثمائة وردت أخبار الى مكة بان محمد بن احمد القائم بالسودان استولى على الخرطوم وان قصده التوجه الى الصعيد ثم الى مصر وقبل ذلك وقع قتال بين بعض جيوشه وبين الانكليز فى برسواكن وكان المتقدم على جيش محمد بن احمد فى ذلك القتال عثمان دقنة وتكرر القتال بينه وبين الانكليز فى وقائع كلها يكون النصر فيها على الانكليز وقتل منهم خلق كثير ثم انهزموا وبقيت جيوش عثمان دقنة فى برسواكن وهذا آخر ما انتهى اليه قلم المؤلف رحمه الله تعالى كما هو آخر مسودة هذا التاريخ وذلك منقول بقلم راجى عفو ربه المنان الطيبى محمد سعيد بن محمد بن سليمان لطف الله به وبوالديه ومشايخه وجميع المسلمين وغفر له ولهما ولهم أجمعين ووفقه لما يرضيه من العلم النافع والعمل الصالح ووجهه للخير أينما كان وختم له بالايمان بجاه سيد الاكوان صلى الله عليه وسلم

(فان لى ذمة منه بتسميتى • محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم)

وذلك يوم السبت الموافق عاشر يوم من شوال من شهور سنة ١٣٠٤ والحمد لله رب العالمين

الطاهرين وسائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين • وقد فرغ مؤلفه من تحريره ووقفت أنامل أقلامه من تحبيره فى ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وتسعمائة